



مجلَّة علميَّة صناعيَّة زراعيَّة

لمنشئَيها

يعقوب صرُّوف دكتور في الفلسفة

وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلَّد الرابع والعشرون

من يناير الى يونيو سنة ١٩٠٠

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزيَّة تدفع سلفاً

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXIV.

January to June, 1900.

Al-Muktataf Printing Office,
Cairo, Egypt.

فهرس المجلد الرابع والعشرين

النجمة ✲ تدلُّ على وجود الصور في المقالة التي هي فيها

المقتطف

الجزء الاول من السنة الرابعة والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢٩ شعبان سنة ١٣١٧

اعظم الآلات الفلكية

او تلسكوب معرض باريس

يذهب جماعة من العلماء الى ان عين الانسان على ما فيها من بديع الصنعة وصحة التحكيم للقرب والبعد وتمام الملاءمة للنور والظلمة انما وجدت في بدء امرها بسيطة الشكل قليلة التركيب لا تقضي الاَّ يسيرًا مما تفعله الآن ثم ما زالت ترتقي حتى بلغت من الكمال الدرجة التي نراها فيها . فاذا صحَّ مذهبهم واستمرَّت العين على هذا الارتقاء فلا يبعد ان تبلغ مبلغاً لا يخطر الآن ببال فترى ما لا نراهُ الاَّ بالمقرِّبات والمكبرات غير ان الانسان قد بلغ بقوة عقلهِ هذا المبلغ منذ زمان فاطال للعين امد البصر بالتلسكوب ووسع لها صور المرئيات الدقيقة بالميكرسكوب فصارت ترى ما لم تكن تراهُ من كواكب السماء وصغار الاحياء

والتلسكوب نظارة فلكية تجمع اشعة النور الآتية من جرم سموي بواسطة مرآة مقعرة او بلورة محدَّبة ثم تكبّر الصورة الحادثة منها بعدسيّات محدَّبة فتظهر كبيرة منيرة

والنظارات ذات المرآة المقعَّرة بلغت اعظمها في نظَّارة اللورد رُص الارلندي فان طول انبوبها ٥٥ قدماً وقطر مرآتها ست اقدام انكليزية ووزنها نحو تسعين قنطارًا مصريًّا ووزن النظارة كلها نحو ٢٤٠ قنطارًا ولا يخفى ان آلة عظيمة مثل هذه لا يحملها الاَّ البناء الفخيم ولا تدار مع الافلاك الاَّ بعناء شديد

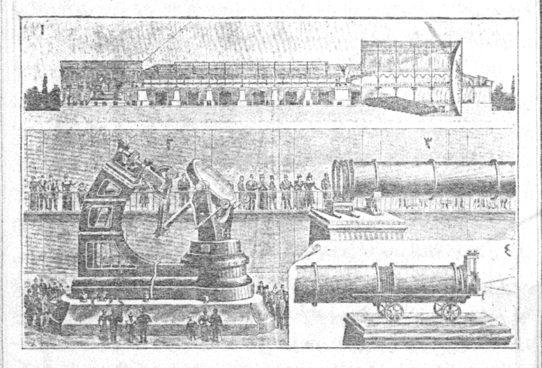
والنظارات ذات البلورات المحدبة كانت في اول امرها صغيرة لما في عمل بلوراتها من الصعوبة فكانت نظارة مرصد وشنطون باميركا من اعظمها وقطر بلورتها ٦٦ سنتمترًا ثم تمكن صانعو النظارات في اوربا واميركا من عمل البلورات الكبيرة فعملوا نظارة مرصد بلكوفا بروسيا

وقطر بلورتها ٧٥ سنتمترًا ونظارة مرصد لك باميركا وقطر بلورتها ٩٠ سنتمترًا ونظارة مرصد باركس باميركا ايضًا وقطر بلورتها متر وثمنها مئتا الف ريال . لكن هذه النظارة كادت تهدم المرصد الذي وضعت فيهِ لثقلها . وقد ذكرنا في الصفحة ٧٩٦ من المجلد الثاني والعشرين ان الفرنسويين "ابوا الاَّ ان يكون عندهم اعظم تلسكوب في الدنيا فهم يصنعون الآن تلسكوبًا لمعرض باريس التالي قطر بلورتهِ متر وربع وبُعْد محترقها عنها ستون مترًا وتبلغ نفقات عملها مليونًا واربع مئة الف فرنك . ويستحيل تحريك تلسكوب كبير مثل هذا حتى يتبع الكواكب في سيرها ولذلك سيوضع وضعًا افقيًّا ثابتًا ويُعكَس النور الى بلورتهِ عكسًا عن مرآة كبيرة قطرها متران وسمكها ثلث متر وثقلها ٣٦٠٠ كيلوغرامًا وقد سبك اثنا عشر لوحًا من الزجاج لهذه المرآة فوجد اللوح الاول اصلحها كلها وهم في نحتهِ وصقلهِ سبعة اشهر ولم يتم حتى الآن . واكبر تلسكوب موجود الآن لا تزيد قوة تكبيرهِ على اربعة آلاف ضعف اما هذا التلسكوب فسيكون فيهِ بلورتان الواحدة تكبر ستة آلاف ضعف والثانية عشرة آلاف". هذا ما ذكرناهُ عن هذه النظارة منذ سنة وثلاثة اشهر ولا بدَّ من ان يكون كثيرون من القراء متشوفين الى معرفة ما تمَّ من امر هذه النظارة حتى الآن فنقول ان المعامل لا تزال مشغولة بعمل اجزائها فمعمل غوتيه المشهور بعمل الآلات الهندسية الدقيقة يعمل الآلة التي تحمل المرآة (السيدروستات) وهي المرسومة تحت الرقم ٢ في الشكل التالي وطولها ٢٦ قدمًا وربع قدم وعلوها كذلك ويتصل بها آلات ساعة تدير المرآة مع الافلاك حتى تبقى مواجهة للجرم السموي الذي يراد رصدهُ بها وتحت ادوات المرآة حوض فيهِ زيبق فتعوم بهِ تسعة اعشار ثقلها على مبدإ الفيلسوف ارخميدس وهو خفة الاجسام اذا غاصت في السوائل فتخف كثيرًا ويسهل على آلة الساعة ان تديرها

وقطر المرآة متران وثقلها ثمانون قنطارًا مصريا . وقد بني اتون خاص لسبكها في معامل جمون بفرنسا تسع بوتقتهُ نحو ٥٠٠ قنطار من الزجاج فاذيب الزجاج فيها وأُتي بالقالب اليها وأُفرغ فيهِ وتُرك في الاتون وسدَّ بابهُ وترك شهرًا حتى برد وكُرر ذلك مرارًا فكانت الزجاجة الاولى اصلح من غيرها كما تقدَّم . وكان نقلها الى باريس من الصعاب فأُعدَّ لها قطار خاص سار بها ليلاً من غير ان يقف في الطريق وصُنعت لها آلة مخصوصة لنحتها وصقلها فقضوا على تركيبها وتحكيمها ثلاثة اشهر ونحتت بالماء والسنباذج (السنفرة) وكان الصانع يقف بعيدًا عنها لكي لا تؤثر حرارة جسمهِ بجانب منها دون آخر اذا دنا منها . وكان يوصل الماء والسنباذج اليها بمضخة وانبوب طويل متصل بها . ولم يكن يُعمل في نحتها الاَّ من الساعة ٢ الى ٥ بعد

الظهر اي حينما تكون حرارة الهواء قليلة التغيّر . ويقضي الصباح من كل يوم في تنظيف آلة النحت وتحكيمها وفيها اربع مساهل تدل على الخلل ولو كان جزءا من الف جزء من المليمتر. ودام النحت ثمانية اشهر وتبعهُ الصقل فاقتضى شهرين واستُعمل فيهِ انعم انواع التراب المعروف بالتريبولي وكانت حرارة الصقل تمدّد المرآة ودفعاً لذلك كانوا يديرون المصقلة دقيقةً ويوقفونها ربع ساعة

وامام المرآة انبوب النظارة وهو افقي كما ترى في هذا الشكل تحت الرقم ١ و٣ وقد صنع من صفائح الفولاذ (الصاب) وفيهِ ٢٤ قطعة متصلة بعضها ببعض وتحتها سند من الحديد



تلسكوب معرض باريس

قائم على دعائم متينة من الحجر. وقد صنع هذا الانبوب لكي يطول و يقصر حسب الاقتضاء ولهُ بلورتان الواحدة للرؤية والثانية للتصوير وتحتها عجل تسيران عليهِ كما ترى تحت الرقم ٣ وثقل كلٍ منهما مع اطارها ١٢٩٥ رطلاً . وعملها اصعب ما في هذا التلسكوب فقد سبك زجاجهما بعد عناء شديد وتجارب كثيرة لكي يكون على انقاه وترك في البوائق وسُدَّ الاتون عليها وترك ستة اسابيع حتى برد ثم فتح فاذا بالزجاج قد تكسر كسرًا في البوائق فاختاروا منها قطعاً وزن كل قطعة منها ١٣٠٠ رطل ونشروا صفائح رقيقة من جانبيها لكي تظهر مائيتها وهل هي خالية من الشوائب والفقاقيع فاذا وجدت فيها قطعة صالحة لعمل العدسية وضعت في قالب من

الطين الذي لا تذيبهُ النار ووضع القالب في الاتون لكي يلين الزجاج فيهِ ويصير شكلهُ عدسياً مثل فراغ القالب فاذا خرج على حسب المرام فبهِ والاَّ اختيرت قطعة زجاج أُخرى وعُمِل بها ما عمِل بالاولى ثم نحتت هذه العدسيات وصُقِلَت على ما تقدَّم في صقل المرآة

وقد وصف السر نورمن لكير محرر جريدة ناتشر هذه النظارة فقال . " زرت باريس ونيس منذ عدة سنوات ولقيت فيها كثيرين من علماء الفلك الفرنسويين وكنا نتذاكر في ما يكون من مستقبل التلسكوب والحد الذي يمكن ان يبلغ اليهِ وكنا نقول انهُ لا يمكن للزجاجين حتى الآن ان يصنعوا مرآة قطرها من ثماني اقدام الى عشر ثم اني خطبت خطبتين سنة ١٨٨٤ في جمعيَّة الفنون ابنت فيهما انهُ اذا صُنعت مرآة قطرها ثماني اقدام وجب ان تستعمل مع بلورة قطرها ثلاثون عقدة على اسلوب السيدروستات اي تكون المرآة لعكس النور على البلورة (مثل تلسكوب معرض باريس) اقتصاداً في النفقات

وقد بعثت اليَّ لجنة جمعية البصريات الفرنسوية منذ عهد قريب وصف النظارة التي صنعت لمعرض باريس على اسلوب السيدروستات (اي على الاسلوب الذي اشار بهِ سنة ١٨٨٤)ويقال فيهِ انهُ ينتظر ان يكبَّر جرم القمر بهذه النظارة حتى يظهر كانهُ على ٦٧ كيلومتراً منا فيظهر فيهِ كل جسم مساحتهُ متر على الاقل . غير ان بعض الذين قرأُوا هذه العبارة لم يفهموا معناها فظنوا ان القمر يرى بهذه النظارة كانهُ على متر من الناظر اليهِ بها "

والظاهر ان لمسيو دلنكل المعروف في هذا القطر يداً في عمل هذه النظارة فصُنعت المرآة على ما تقدَّم وبلغ ثقلها مع الاطار المحيط بها ٦٧٠٠ كيلوغرام وصنعت البلورتان . وستوضع النظارة في قصر البصريات بقرب برج ايفل وهناك غرفة تسع اربعة آلاف نفس فيوضع فيها ستار طولهُ عشرون متراً وعرضهُ كذلك وتلقى عليهِ صور الاجرام السموية من هذه النظارة كما ترى على يمين الشكل في اعلى الصورة فترتسم عليهِ صورة للقمر قطرها ١٦ متراً وصورة للمريخ قطرها نحو اربعة امتار . قال السر نورمن لكير ولا بدَّ من يكون لهذا التلسكوب شأْن كبير في علم الفلك ويجني الفلكيون الفرنسوية منهُ فوائد جمة بما يعهد فيهم من الذكاء والمهارة

ويظهر لنا انهُ قد أُزيل بهذا التلسكوب عائق كبير وهو تكبير البلورة حتى يصير قطرها مترين او اكثر فاستُغني عنها بمرآة السيدروستات اي بمرآة متحركة ينعكس النور عنها الى بلورة كبيرة . وعائق آخر وهو ثقل النظارة الكبيرة وطولها العظيم فان هذا الوضع الافقي لا يخشى معهُ من ثقل النظارة ولا من طولها . ولكن يبقى عائق كبير وهو تموُّج الهواء الذي يحول دون جلاء المرئيات

انقضاء المهدوية

يقول علماء الجيولوجيا ان الفواعل التي غيرت وجه الارض رفعت جبالها وخفضت وهادها اكثرها ضعيف الفعل بطيء السير وانما تعظم نتائجهُ باستمراره ادهاراً كثيرة . ولكن بعضها يثور ثوراناً تميد بهِ كرة الارض فيفعل في ساعة ما لا يفعل غيرهُ في عام . وحوادث الكون تجري هذا المجرى فإمَّا ان تكون خفيفة بطيئة تستمرُّ قروناً كثيرة واما ان تكون قوية سريعة تفاجئ الخلائق مفاجأَة و يشتد فعلها و يعظم شأْنها ثم تذهب سريعاً كما جاءَت و يعفى اثرها . ومن هذا القبيل قيام دولة المهدوية في اواخر القرن التاسع عشر واضمحلالها في السنة التاسعة عشرة من قيامها

فقد ابنّا في ما نقلناهُ عن كتاب سلاتين باشا (النار والسيف في السودان) ونشرناهُ في المجلد العشرين من المقتطف ان رجلاً من بلاد دنقلة اسمهُ محمد احمد قام سنة ١٨٨٠ وادَّعى انهُ المهدي المنتظر فذاعت دعوتهُ في بلاد السودان والتفَّ عليهِ كثيرون من اهلها إما تخلصاً من جور الحكام او كرهاً لما أُجبروا عليهِ من إبطال الرق والنخاسة او اعتقاداً بصدق دعوتهِ فكتب الى جميع الاقطار السودانية يدعو الناس الى الجهاد وسمى اتباعهُ انصاراً وكانوا من الصعاليك المستضعفين واكثرهم عراة الابدان فاستخفَّت بهم جنود الحكومة المصرية ولم ترَ ما يرغبها في محاربتهم اذ لا غنيمة من ورائهم اما هم فكانوا على الضد من ذلك جياعاً عراة فكل جندي يقتلونهُ يجدون معهُ ما يسدُّ الرمق و يستر العري . وقد فصّلنا في الجزء الخامس والسادس من المجلد العشرين كيفية انتصارهِ على رجال الحكومة المصرية في مواقع كثيرة الى ان خرجت بلاد السودان من يدها وخضعت لهُ

وقبل ان جاهر بدعوتهِ جاءهُ رجل اسمهُ عبد الله بن محمد التعايشي (من التعايشة قبيلة من قبائل البقارة) وانتظم في طريقتهِ وساعدهُ على نشر دعوتهِ . وكانت قبيلة عبد الله هذا من القبائل التي حاربت الزبير باشا حينما دخل دارفور فاخذهُ الزبير اسيراً وامر بقتلهِ ولكن تشفع اليهِ فيهِ بعض العلماء فاطلقهُ . و يقال انهُ جاء الزبير بعدإذٍ وقال لهُ حلمتُ انك المهدي المنتظر واني ساكون من اول انصارك فانكر عليهِ الزبير ذلك . ولا يبعد ان يكون هو الذي سوَّل الى محمد احمد الادعاء بالمهدوية . ومهما يكن من ذلك فان محمد احمد نجح في دعوتهِ وجعل عبد الله التعايشي خليفتهُ الاول وتوفي في اواسط سنة ١٨٨٥ وخلفهُ عبدالله هذا وكان داهية طاغية حريصاً على نفسهِ وملكهِ فاتم فتح السودان والتنكيل بالحاميات المصرية ففتح سنار وكسلا

ودنقلة وتمهّد لهُ ملك واسع لو عرف ان يسوسهُ بالعدل والحكمة لانشأ في السودان دولة قوية مثل اعظم الدول العربية ولكن جورهُ في سياستهِ الداخلية وجهلهُ في سياستهِ الخارجية اضعفاهُ واضعفا البلاد حتى كادا يخربانها ويقرضان اهلها فاقرّت الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية على استرجاع السودان منهُ وذلك سنة ١٨٩٦ ومن ثمَّ اخذ النصر يتبع النصر الى ان فتحت جنودهما ام درمان عاصمتهُ في الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٩٨ واجهزت عليهِ في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر الماضي

وكان حضرة وطسن بك باور اللورد كتشنر سردار الجيش المصري اول من شاهدهُ قتيلاً في ساحة الوغى وقد شهد المعركتين الاخيرتين اللتين انقضت بهما المهدوية ووصفهما وصفاً حسناً في كتاب كتبهُ الى والدهِ ظفرنا بصورة منهُ فاقتطفنا منهُ ما يلي قال

"وصلت مع ونجت باشا الى فشوية على ١٨٠ ميلاً من ام درمان جنوباً فوجدنا جنودنا مجتمعة هناك فسرنا بها في الحادي والعشرين من نوفمبر الساعة الرابعة بعد الظهر بعد ما حملنا الجمال ماء يكفينا ٣ ايام وزاداً يكفينا ٨ ايام وبعد مسيرة ساعة ونصف خرجنا من الادغال والحراج التي على ضفة النيل وحططنا الرحال وبتنا تلك الليلة حتى طلع القمر ثم سرنا وقوتنا مرتبة في شكل مربع وكنا نعلم ان احمد فضيل فرغ من غزواتهِ على النيل وانهُ عائد بالذرة التي نهبها من الاهالي قاصداً جديداً حيث الخليفة عبد الله التعايشي نازل برجالهِ. فجدّدنا في اثرهِ الى ان التقينا بهِ فوجدناهُ نازلاً في وسط اجمة ملتفة الاشجار متربصاً لقتالنا فرآنا رجالهُ واطلقوا علينا الرصاص فاصابوا ضابطاً من ضباط الهجانة برصاصة في راسهِ واصابوا عسكريًّا برصاصة في رجلهِ ولكن اكثر رصاصهم مرَّ فوق رؤُوسنا وكانت الاشجار تحجبهم عنا فجعلنا نطلق مدافعنا وبنادقنا على معسكرهم فخرج مئتان منهم من بين الاشجار وحملوا علينا حملة منكرة وهجموا على مدافعنا حتى صاروا على ٩٠ متراً منها فالتقيناهم بنار حامية اكلتهم اكلاً ثم حملنا على المعسكر كالسيل الجارف فلم نبقِ ولم نذر وغنمنا الذرة الكثيرة التي كان احمد فضيل قد نهبها من الاهالي لكي يقتات بها الخليفة ورجالهُ في مسيرهم لشن الغارة على ام درمان. وقتل من الدراويش في هذه المعركة نحو ٣٠٠ نفس وجرح كثيرون منهم وقتل منا ثلثة وجرح سبعة وانهزم احمد فضيل فلم نظفر بهِ. واسترحنا الى ما قبل نصف الليل ثم سرنا الى الصباح قاصدين محلة جديد فصرنا على سبعة اميال منها واشتدَّ بنا الظمأ وطلبت الجنود الماء فوقفنا عن السير الساعة السابعة من صباح الثالث والعشرين من الشهر حتى شربت الجنود واستراحت نصف ساعة ثم استأنفنا السير وبعد قليل عادت الفرسان واخبرتنا ان الخليفة اخلى جديداً.

وارسلت شمس الضحى اشعتها على ظهورنا وكان الجو ساكناً لا تهب فيهِ نسمة تبرّد غليلنا فانهك السير الرجال لكنهم صبروا صبر الابطال حتى وصلوا الى جديد نحو الساعة العاشرة صباحاً وقضوا بقية نهارهم في الراحة وتناول الطعام واستقاء الماء ثم باتوا مصطفين للقتال

وخرج اليوزباشي محمود افندي حسين في جماعة من فرسان العرب للاستطلاع ثم عاد الينا عصارى النهار قائلاً انهم وجدوا معسكر الخليفة في ام دبركي على ٧ اميال منا فاعتمد ونجت باشا على مهاجمتهِ سحر اليوم التالي

وبعد انتصاف الليل بنصف ساعة سرينا من مبيتنا وكانت الفرسان تسير امامنا والهجانة على جانبينا حسب العادة وبعد ما سرينا ميلاً دخلنا ارضاً كثيرة الاشجار ولكن لم يكن تحت اشجارها انجم فسرنا تحتها الهوينا وكان حاملو البلط يقطعونها كلما سدّت سبيلنا . وبعد سرى ساعتين ونصف قربنا من معسكر العدو ولم يبقَ بينهُ وبيننا غير ميل ونصف وكانت طلائعنا قد وصلت اليهِ تقريباً وكنا نسمع طبولهُ تقرع . ولما ازفت الساعة الرابعة وقفنا واضطجعنا ننتظر الفجر وراء ارض ترتفع شيئاً فشيئاً وتكسوها الاعشاب والانجم واستبدلنا طلائع الفرسان بخفراء من المشاة وقضينا ساعة كذلك . ولما لاح ذنب السرحان رأينا الخفراء راجعين ثم أُمرنا بتقلد السلاح لان العدو مقبل علينا فالتفتنا واذا اشباح تلوح وراء الانجم امامنا ففتحنا عليها افواه المكسيم ولما اصبح الصبح جعلت المشاة تطلق البنادق وكان اكثر العدو لا يزال متوارياً وراء الارض المرتفعة وهو يجاوب المشاة بنار حامية الاَّ ان رصاصهُ كان عالياً فعبر فوق رؤُوسنا من غير ان يضرنا . وكانت الاجمة قريبة من ميسرتنا فرأينا رجالهُ يخرجون منها ليدوروا حول ميسرتنا ولكن دار بلوكان من الاورطة التاسعة للقائهم ونزل بلوك من الهجانة عن هجنهم ووقف عن يسارها فكان جناحنا الايسر كالبنيان المرصوص وعلى زاوية المربع هناك مدفعا مكسيم . وظل العدو يقاوي ميسرتنا عشر دقائق ولكن نيراننا الآكلة افنتهُ . ثم خطونا خطوات قليلة الى الامام فاشرفنا عليهِ واذا رجالهُ موسدو الثرى صفوفاً وراء صفوف على بعد ١٥٠ ذراعاً منا حيث قُتل حرس الخليفة ولم يسلم احد منهُ ووراءهُ اربعون او خمسون قتيلاً او جريحاً بعضهم حول بعض والخليفة عبد الله مكب على وجههِ بينهم . وكان بين القتلى غلام حي عمرهُ نحو ١٤ سنة فركض اليَّ وامسك بيدي ودلني على الخليفة قائلاً هذا هو الخليفة . هذا ابي . فامرت بنقل جثتهِ الى جانب وأقمت الحراس عليها وارسلت ساعياً الى ونجت باشا اخبرهُ باني وجدت الخليفة مقتولاً . وكان المقتولون حولهُ من اكابر امرائهِ مثل احمد فضيل ويونس الدكين وكثيرين غيرهما ووراءهم خيلهم واكثرها مقتول ايضاً . وكان مشهدهم رهيباً اثر فيَّ تأثيراً شديداً لا انساهُ

طول عمري . فانهُ مهما كان الخليفة وامراؤهُ قد طغوا وبغوا وظلموا العباد في حياتهم لا يسع الانسان الاَّ الاعجاب بالشجاعة الفائقة التي لاقوا بها منيتهم

على اني لم استطع الوقوف طويلاً امام ذلك المشهد لانهُ كان لا بدَّ لنا من الاسراع الى معسكر الخليفة على بعد ميلين منا فجددنا اليهِ المسير فوجدناهُ مملوءًا "بالجهادية" الذين قاتلونا في الواقعة ثم رجعوا القهقرى لما تقدمنا اليهم فلما رأَونا سلموا الينا كلهم . وكان هناك الوف من النساء والاطفال فحمدنا الله على بعدهم عنا وعدم وصول نيراننا اليهم . ووجدنا ايضاً اسلحة كثيرة من بنادق وغيرها . ولم تأْزف الساعة السابعة من صباح ٢٤ نوفمبر حتى انتهى القتال ولم يفرَّ من امامنا احد لنطاردهُ الاَّ عثمان دقنه الذي ولَّى الادبار حالما ابتدأْنا باطلاق النار وامرنا رجال الخليفة ان يدفنوهُ فدفنوهُ بمرأًى منا في المكان الذي قتل فيهِ . ثم علمنا ان احمد فضيل لما نجا من معركة ابي عادل عاد الى معسكر الخليفة في الساعة السادسة مساءَ ٢٢ نوفمبر واخبرهُ بانكسارهِ وبفقدهِ كل ما كان معهُ من الذرة والزاد فضاقت الارض بهِ واسودَّ الضياءُ في عينيهِ لانهُ بات بلا زادٍ ووراءهُ بلاد خربة او مفاوز لا ماءَ فيها وامامهُ جنودنا زاحفة عليهِ فبات حائرًا في امرهِ ثم جاءهُ فرسانهُ عصر اليوم التالي يخبرونهُ بوصولنا الى جديد فقال اننا نقاتلهم حتى نقتلهم او يقتلونا فصبر وقاتلنا حتى ادركتهُ منيتهُ . وكانت خسارتنا طفيفة وهي ٦ قتلى ونحو ٣٠ جريحًا" انتهى باختصار

وجيءَ بالامراء من أسرى الدراويش وهم شيخ الدين ابنهُ ومحمد احمد ابن الخليفة علي ولد حلو ومحمود صاحب واقعة الاتبرة ومحمد الزين الذي أُخذ اسيرًا في ابي حمد وخاطر حميدان وفضل الحسنه وكلاهما من امراء احمد فضيل ويونس دكيم والي دنقلة وبربر . والختيم موسى امير الابيض جيءَ بهم مع نساء المهدي والخليفة واولادهما (وجملتهم ١٤٩ نفساً) الى القاهرة مساءَ السابع والعشرين من دسمبر وسير بهم الى رشيد ووضعوا في الثكنة العسكرية التي هناك وعينت لهم الحكومة ما يحتاجون اليهِ من طعام وشراب وكساءٍ مما اعتادوهُ في بلادهم

هذه خاتمة مُلْك نشأَ بالمكر وشيد بالبغي والاستبداد وليس الغرابة في زوالهِ على هذه الصورة بل في بقائهِ الى الآن مع فساد اساسهِ وضعف بنيانهِ لكنَّ الذل اذا تمادى امات النفوس والجور اذا توالى ازهق الارواح ولله در المتنبي حيث قال

مَن يهُن يسهل الهوان عليهِ ما لجرح بميت ايلامُ

ولو لم تبادر الحكومة المصرية الى انقاذ بلاد السودان من مخالب المهدوية لاضمحل مَن فيها او اضيفت الى مستعمرات الدول الاوربية

الاسكندر ذو القرنين

حصار صيداء وغزَّة

لما انتهى الاسكندر من واقعة اسوس وغنم ما في دمشق من الاموال والنفائس سار في سواحل الشام قاصدًا القطر المصري فمرَّ على جُبَيْل وصيداء فاستأمنتا اليهِ لاحبًّا بهِ بل كرهًا للفرس فاقرَّ ملكيهما عليها على جاري عادتهِ . وجاء صور سيدة مدائن المشرق ومالكة زمام بحر الروم فرضيت بالتسليم ثم علمت انهُ يريد ان يدخلها دخول الظافر ويعبد في هيكل معبودها ملكرت مدَّعيًا انهُ من سلالتهِ فانكرت عليهِ ذلك وقالت لهُ انها مستعدة ان تلبي كل طلب يطلبهُ منها غير هذا الطلب لان جنود الغرباء لم تدخلها قط

وكان الاشوريون قد حاصروها مرتين بين سنة ٧٠١ و٦٩٧ قبل المسيح وبين سنة ٦٧١ و٦٦٢ فعجزوا عن فتحها . وحاصرها نبوخذنصر ملك بابل ثلاث عشرة سنة من سنة ٥٨٥ الى سنة ٥٧٣ قبل المسيح ولم يستطع فتحها . وكانت مبنية على جزيرة صخرية محيطها نحو ميلين تبعد عن البر نحو نصف ميل وكان لاهلها السيادة على تجارة بحر الروم ومنهم تعلَّم اليونان الملاحة وبناء السفن وعنهم اخذوا حروف الهجاء ثم ناظروهم في بحر اجيا واضطروهم الى الابعاد بمتاجرهم فقصدوا صقلية واسبانيا وشمالي افريقية و بنوا فيهِ اوتيكا ولبتس وقرطاجنة . وبقيت صور عاصمة لهم كل مدة ازدهائهم بالقوة والغنى من سنة ١٢٠٠ الى سنة ٧٠٠ قبل المسيح كانها مدينة لندن في هذه الايام . وانحطَّ شأنها بعد ذلك قليلاً بما توالى عليها من الحروب وتفرق الكثيرين من ابنائها في سواحل اوربا وافريقية لكن بقي فيها من العظمة ما وصفهُ نبي اليهود حزقيال بقولهِ

" ايتها الساكنة عند مدخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب يا صور انتِ قلتِ انا كاملة الجمال تخومكِ في قلب البحر بنَّاؤوك تمَّموا جمالكِ عملوا كل الواحكِ من سرو سنير اخذوا ارزًا من لبنان ليصنعوهُ لكِ سواري صنعوا من بلوط باشان مجاذيفكِ . صنعوا مقاعدكِ من عاج مطعَّم في البقس من جزائر كتيم (قبرص). كتَّان مطرَّز من مصر شراعكِ ليكون لكِ راية . الاسمانجوني والارجوان من جزائر اليشة كانا غطاءكِ . اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيكِ حكماؤكِ الذين كانوا فيكِ هم ربابينك شيوخ جُبَيْل وحكماؤُها كانوا فيكِ قلافوكِ ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضَّة والحديد والقصدير والرصاص اقاموا اسواقكِ . ياوان وتوبال وماشكهم تجَّاركِ بنفوس الناس وبآنية النحاس اقاموا تجارتك .

ومن بيت توجرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك بنو ددان تجارك ادُّوا هديتكِ من العاج والابنوس . آرام تاجرتكِ بالبهرمان والارجوان والمطرّز والبوص والمرجان والياقوت"

و بعد ان عدَّد ممالك المشرق والمغرب التي كانت تتجّر مع صور وذكر انواع متاجرها وانبأ بما سيحلّ بصور من الخراب والدمار قال ان هؤلاء الامم يبكون عليكِ بحرارة نفس نحيباً مرًّا ويرثونكِ ويقولون اية مدينة كصور كالمسكتة في قلب البحر

وقد كتب حزقيال ذلك في عهد نبوخذنصّر ملك بابل لما كان محاصرًا لصور فتمّت نبوَّتهُ في عهد الاسكندر لانهُ فتحها عنوةً ثم تمّ خرابها بانشائهِ مدينة الاسكندرية وتحويل التجارة اليها . الاَّ ان نبوخذنصّر لم يرتد عنها حتى صالح اهلها على ان يعترفوا بسيادتهِ العامّة ثم لما خلفت مملكةُ فارس مملكةَ بابل انتقلت السيادة على صور للفرس وكانت سفنها تعاون الفرس في ابقاء سيادتهم على بحر الروم وقد استفادت صور من ذلك لانها صارت حلقة الاتصال بين المشرق والمغرب فصارت القوافل ترد من بابل واشور على سواحل الشام فتنقل سفن صور بضائعها الى ممالك اوربا وافريقية

ورأى الاسكندر ان امامهُ واحدًا من امرين اما ان يحاصر صور ويفتحها عنوةً وهذا امر عجز عنهُ الملوك قبلهُ وقد لا يفلح هو فيهِ او ان يتركها وراءهُ فيبقى لاساطيل الفرس مرفأٌ تقيم فيهِ وملجأٌ تلجأُ اليهِ . ولكنهُ اذا فتحها قضى على اساطيل الفرس وصارت قبرص في يدهِ وسهل عليهِ فتح مصر واصبح بحر الروم للمكدونيين وثبطت عزائم خصومهِ في بلاد اليونان ويستطيع حينئذٍ ان يضرب في قلب اسيا حتى مدينة بابل . فرأى من الحزم مواقعة صور مهما كلّفهُ فتحها من العناء

وكانت صور مبنية على جزيرة تبعد عن البر نحو نصف ميل كما تقدم والبحر بينها وبين البر عميق مما يليها يبلغ عمقهُ ثلاث قامات او اكثر ولم يكن عند الاسكندر سفن ليحاربها بها فرأى ان لا بدَّ لهُ من ان يصلها بالبر لكي يستطيع الوصول اليها . ويقال انهُ ملأ قفة بالتراب ورماها في البحر فاقتدى بهِ رجالهُ وجعلوا يقطعون الاشجار من لبنان ويغرسونها اوتادًا في البحر ويرمون بينها التراب والحجارة وهدموا المدينة التي على البر والقوا انقاضها في البحر وظلوا على ذلك يوماً بعد يوم الى ان اقتربوا من اسوار المدينة وصاروا بحيث تصل اليهم المقذوفات منها ومن السفن الراسية حولها فجعل الصوريون يرمونهم بالسهام والحجارة ويمنعونهم عن العمل . ورأى الاسكندر ان لا بدَّ لهُ من وقاية رجالهِ فبنى ابراجاً من الخشب جعلها طبقات وملأها بالمقاتلة وغطاها بجلود الثيران ووضع فيها المناجيق والجلاهق ودفعها الى طرف الرصيف لكي تشغل من في

السفن فجاء الصوريون بسفينة كبيرة ملأُوها قضباناً وعيداناً خلطوها بالزفت والكبريت ونصبوا عليها ساريتين طويلتين كقائمتي الميزان علقوا بهما مرجلين كبيرين ملأُوهما زيتاً وزفتاً ودفعوا السفينة الى قرب الرصيف ووضعوا الاثقال في موٴخرها فارتفع مقدمها واضرموا فيها النار وادارو الساريتين المعترضتين وصبوا ما في المرجلين على الابراج فاحرقوها وكل ما حولها واتلفوا في ساعة عمل اشهر وخرَّبوا الرصيف فعبثت بهِ الامواج وفرَّقت اخشابهُ وحجارتهُ

ولم يكن الاسكندر ليوهن الفشل همتهُ ولكنهُ كان اذا حبطت مساعيهِ في امر جاءهُ بعزم امضى وهمة اقوى فامر ان يوسَّع الرصيف لكي يسع جمهوراً كبيراً من العمال والمقاتلة وترك المهندسين يفعلون ذلك وركب هو الى صيداء لكي يأْتي منها بالسفن حاسباً انهُ لا يستطيع فتح صور ما لم ينازلها في البرّ والبحر معاً

وكان الربيع قد استهلَّ واخذت سفن الفينيقيين تعود الى مواطنها فاقبلت عليهِ سفن ارواد وجُبَيل وصيداء وهي المدن الثلاث التي حالفتهُ حال دخولهِ الشام وتبعتها عشر سفن من رودس وثلاث من صقلية وعشر من ليسيا وجاء على اثرها مئة وعشرون سفينة من قبرص وكان ملك قبرص قد بلغهُ ما نالهُ الاسكندر من الفوز العظيم فانحاز اليهِ والناس مع الغالب. فرأى الاسكندر حولهُ نحو مئتين وخمسين سفينة تنتظر كلمة منهُ فامرها ان تستعد لمحاصرة سيدة البحار ومناجزتها . واوغل هو في جبال لبنان فاطاعهُ اهلها ومالأُوهُ ولما عاد الى صيداء وجد ان كليندر احد قوَّادهِ قد عاد باربعة آلاف من المسترزقة وكان قد انفذهُ الى بلاد اليونان لهذهِ الغاية . فقام من صيداء باسطول كبير وبلغ صور بعد ساعات قليلة ورأى اهالي صور هذه السفن من روٴُوس ابراجهم فارتاعوا لانهُ لم يخطر لهم قط ان ملك قبرص يمالئ الاسكندر عليهم لكنهم اظهروا الجلد واخفوا الكمد وصفُّوا القوارب في مدخل المرفإِ الذي امام مدينتهم فصار دخولهُ ضرباً من المحال ولذلك اضطرت السفن القادمة مع الاسكندر ان تنقسم قسمين وتتفرق على جانبي المدينة شمالاً وجنوباً وترسو بقرب الرصيف

ودعا الاسكندر المهندسين من كل فينيقية وقبرص ليساعدوهُ في عمل آلات الحصار ووسَّع الرصيف وسهَّل على العمَّال الجري فيهِ لان السفن كانت تحميهم حتى كادوا يبلغون اسوار المدينة وكان ارتفاع هذه الاسوار خمسين متراً وفوقها ابراج نخيمة تناطح السحاب وكلها مبنية بحجارة منحوتة بنياناً وثيقاً جداً وعليها الوف المقاتلة وآلات الحرب تقذف الحجارة الكبيرة والكرات النارية والسهام المحدَّدة. ونصب رجالهُ الكباش الكبيرة على طرف الرصيف مما يلي الاسوار وجعلوا يضربونها بها ووضعوا الدبابات والدراجات في السفن وحاولوا دفعها الى اصل الاسوار

لينقبوها بها لكن الصوريين رموا حجارة كبيرة بجانبها منعت السفن من الدنو منها فصنع رجال الاسكندر مناشل كبيرة لينتشلوا الحجارة بها و يسهلوا على السفن الدنو من الاسوار فنزل الصوريون في سفن مغشاة بالجلود الصفيقة ودنوا من سفن الاسكندر وقطعوا حبالها فعبثت بها الرياح والامواج فاقتدى بهم المكدونيون وغشوا بعض السفن بالجلود ووضعوها امام المناشل وعادوا ينتشلون بها الحجارة فغاص الصوريون في البحر وقطعوا حبالها . فصنع المكدونيون لها سلاسل من الحديد ربطوها بها وظلوا ينتشلون الحجارة من قرب الاسوار حتى صاروا يستطيعون الدنو منها واعمال آلاتهم في نقبها . وكان اهل المدينة يبذلون الجهد في دفعهم عنها وهم ينتظرون المدد من قرطاجنة و يرقبون البحر يوماً بعد يوم واخيراً بان لهم شراع سفينة فيها



جزيرة صور والرصيف الذي صار براً

ثلاثون رجلاً من وفد القرطاجنيين جاؤوا لتقديم الضحايا في هيكل ملكرت على جاري عادتهم. فتقلّص ظل الرجاء من نفوس الصوريين وايقنوا ان لا نصير لهم الاَّ ذراعهم وما يمكن ان يستنبطوهُ من الحيل والتدابير

وكان لصور مرفآن كما ترى في هذه الصورة المرفأُ الصيدوني الى جهة الشمال والمرفأُ المصري الى جهة الجنوب وكانت سفنها مقسومة في المرفأين ولا تستطيع ان تغادرها وتجتمع معاً الاَّ تحت الخطر الشديد فانتظرت حتى نزل القبارصة من سفنهم ذات يوم وصعدوا الى البر في طلب الماء فخرجت ثلاث عشرة سفينة من المرفإ الشمالي وسارت الهوينا وهي مشحونة بالمقاتلة من نخبة الصوريين الى ان بلغت سفن القبارصة وكان اكثرها فارغاً من البحارة كما تقدَّم فجعلت تقطع

مراسيها وتغرقها او تدفعها في عرض البحر وكان بعض البحارة في السفن وعاد الذين نزلوا الى البرّ وانتشب القتال بينهم وبين الصوريين وبلغ الاسكندر ذلك فبادر الى السفن التي في الجهة الجنوبية وسار بها حول المدينة لكي يأخذ الصوريين من ورائهم والتفت الصوريون ورأوهُ مقبلاً عليهم فاسرعوا الى مرفإِهم فرارًا منهُ اما هو فادركهم قبل ان يدخلوا المرفأ ونشب القتال بينهُ وبينهم فكان الفوز لهُ فاسر سفينتين من سفنهم وغرَّق سفناً أُخرى وجرى ذلك كلهُ في ساعة من الزمان . وهذه هي المعركة البحرية الوحيدة التي حارب فيها

ولما رأى رجالهُ ان اسطول صور صار يخشى صولتهم زادوا جرأةً لكن اسوار المدينة كانت منيعة وثيقة البنيان من الجهة الشرقية فلم تفعل بها الكباش وكذلك من الجهة الشمالية الشرقية غير انهم وجدوا في الجهة الجنوبية بقرب المرفإِ المصري جانباً ضعيفاً من السور فجمعوا قوتهم عليهِ ورموهُ بالكباش نهارًا وليلاً الى ان ثغروهُ ودخلوا منهُ فدرى بهم الصوريون وقتلوا بعض الداخلين وردوا البعض الآخر على اعقابهم وسدُّوا الثغرة حالاً ولما علم الاسكندر ان تلك البقعة اوهن من غيرها انتظر الى ان سكن هياج البحر وامر بالهجوم على المدينة من كل جهاتها لكي يشغل اهاليها وركَّب الكباش على تلك البقعة التي ثغرها اولاً ووضع امامها سفينتين كبيرتين مشحونتين بالمقاتلة وكان هو بينهم فثغرت الكباش السور ثانيةً وللحال هجم الرجال الذين في السفينتين ودخلوا المدينة والسيوف في ايديهم ونزلوا على اهلها كالقضاء المبرم فقابلهم الصوريون بقلوب من جلمد وعزائم من حديد واشتبك القتال بين الفريقين وقتل اول قائد دخل المدينة من رجال الاسكندر فاستقتل رجالهُ للاخذ بثارهِ ولما رأوا الاسكندر بينهم قويت عزائمهم وخارت عزائم الصوريين لان هيبتهُ كانت قد تمكنت من قلوب الامم . وكانت سفن الاسكندر قد هاجمت المدينة من كل جهاتها فى ذلك الوقت عينهِ لكي تشغل المحاصرين وبادرتهم برشق السهام والحجارة والنفط واقتحمت المرفأين ودخلت الشمالي منهما ونزل الجنود منها الى المدينة والتقوا بالجنود الذين دخلوا ثغرة السور واعملوا السيف في السكان فهربوا من وجوههم ولجأُوا الى هيكل معبودهم اجنور

قال اريانوس المؤرخ يصف ما حدث حينئذٍ "لما رأى الصوريون عدوهم قد استولى على اسوار مدينتهم لجأُوا الى حرَم اجنور وصدوا المكدونيين فهجم عليهم الاسكندر بجنودهِ وقتل الذين وقفوا في طريقهِ وتبع الذين هربوا منهُ وفعل الذين دخلوا من المرفإِ فعلهُ ولم يعفُ المكدونيون عن احد لانهم كانوا مغتاظين من طول مدة الحصار ولانَّ الصوريين امسكوا رجالاً منهم وهم آتون من صيداء وصعدوا بهم الى اعلى اسوارهم وذبحوهم على مرأًى من اخوتهم ورموا

اشلاءهم في البحر. فقتل من الصوريين نحو ثمانية آلاف ولم يقتل من المكدونيين سوى عشرين رجلاً والقائد ادميتوس الذي قتل اولاً وقتل منهم في كل مدة الحصار نحو اربع مئة" وروى فلوطرطس ان الاسكندر لم يكن يحسب انهُ يفتح المدينة في اليوم الذي فتحها فيهِ ولا ان فتحها يكون سهلاً كما كان ولكن ارستندر الكاهن ضحَّى ضحيّة في ذلك اليوم ونظر في احشائها وقال ان المدينة تفتح في ذلك الشهر فضحك الجنود من قولهِ لانهم كانوا في اليوم الاخير من الشهر وكان الاسكندر قد امر بالهجوم على المدينة في ذلك اليوم فلما سمع قول الكاهن امر ان يزاد الشهر يوماً وان يكون الهجوم عامًّا على المدينة لكي يحقق نبوَّة الكاهن ففتحها على ما تقدَّم

والظاهر ان كثيرين من اهالي صور هجروها لما قنطوا من نجاتها فقد روى ديودورس المؤرخ ان اكثر من نصفهم هاجر الى قرطاجنة ومع ذلك اسر رجال الاسكندر من الشيوخ والنساء والاولاد ثلاثة عشر الفًا وقال اريانوس انهم اسروا ثلاثين الفًا وباعوهم عبيدًا وقتلوا الفين من الجنود . وكان السكان قبل الحصار نحو مئة الف نفس وكانت مدة الحصار سبعة اشهر

ولجأ ملك صور وقضاتها ووفد قرطاجنة الى هيكل ملكرت فعفا الاسكندر عنهم ودخل الهيكل وضحى فيهِ الضحايا وكرَّس لهُ الكبش الذي ثغر بهِ السور وقال ان هذا المعبود هو هرقل نفسهُ صديق اليونانيين والمكدونيين . وهذا كان شأنهُ كلما دخل بلادًا عبد معبوداتها مع اهلها لكي يتسلط عليهم دينًا ودنيا

ولما كان الاسكندر يحاصر صور بعث اليهِ داريوس ملك فارس يعرض عليهِ ان يتخلى لهُ عن كل البلاد غربي الفرات ويدفع اليهِ عشرة آلاف وزنة ويزوجهُ بابنتهِ ويكون حليفًا لهُ ولا يطلب منهُ بدل ذلك كلهِ الاَّ ان يرد اليهِ امهُ وزوجتهُ واولادهُ . وقرأ الاسكندر هذا الكتاب في مجلس من قوادهِ فقال لهُ بارمنيون كبير قوادهِ لو كنت انا الاسكندر لصالحت داريوس على ما طلب فقال لهُ الاسكندر وانا لو كنت بارمنيون لفعلت ذلك ولكن لكوني الاسكندر فجوابي الآن هو جوابي الاول . ولما وصل هذا الجواب الى داريوس رأى ان لا سبيل الى مصالحة الاسكندر فاخذ يتأهب لقتالهِ

وظلَّ الاسكندر سائرًا في طريق الساحل فسلمت لهُ المدن كلها ما عدا غزَّة وهي على مئة وخمسين ميلاً من صور وتبعد عن شاطئ البحر ميلين وكان فيها حامية من مسترزقة العرب وكثير من الزاد استعدادًا للحصار. وقد بنيت على عدوة من الارض يحيط بها سور ارتفاعهُ عشرون مترًا فيتعذر وصول آلات الحصار اليها ولذلك قال المهندسون والقواد للاسكندر ان فتحها عنوة ضرب من المحال . اما هو فلم يكن يحسب شيئًا مستحيلاً ولذلك اخذ من ساعتهِ في اقامة

تل كبير ازاء الجانب الجنوبي من المدينة حيث بانت اسوارها على اضعفها وجعل عرض التل من اسفله اربع مئة متر وعلوهُ اكثر من ثمانين مترًا لكي يضع عليهِ آلات الحصار ويهدم بها الاسوار. واصيب بسهم في حصار هذه المدينة خرق ترسهُ ودرعهُ وكتفهُ ولكن أجلهُ لم يكن قد حان فشفي منهُ حالاً. ودام الحصار شهرين وقتل المحاصرون كلهم في الدفاع عن مدينتهم وبيع نساؤُهم واولادهم عبدًا

وذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان الاسكندر صعد الى اورشليم بعد ما فتح غزة نخاف يدوس الحبر الاعظم لما بلغهُ ذلك لان الاسكندر كان قد كتب اليهِ يستنجدهُ وهو يحاصر صور فردَّ اليهِ الجواب انهُ في طاعة داريوس ولا يستطيع ان يخونهُ ما دامت البلاد لهُ. فامر الشعب ان يتضرعوا الى الله لينقذهم من المكدونيين فقال لهُ الله في حلم ان يتشجَّع ويزيّن المدينة ويفتح ابوابها ويأمر سكانها بلبس الثياب البيضاء ويخرج هو والكهنة بلباس الكهنوت فلا ينالهم شر. فلما استيقظ من نومهِ قصَّ على الشعب ما حلم بهِ وفعل حسبما امرهُ الله. ولما دنا الاسكندر من اورشليم خرج للقائهِ هو والكهنة وجمهور غفير من السكان حتى بلغوا المكان المسمى الصفا فلما رآهم الاسكندر عن بعد وهم بالثياب البيضاء والكهنة بلباس الكهنوت ورئيسهم بحلة من الارجوان والذهب وتاجهُ على راسهِ وعليهِ صفيحة من الذهب فيها اسم الله دنا منهُ بنفسهِ وحيَّا اسم الجلالة ورئيس الكهنة واجتمع اليهود حولهُ يحيونهُ. وصعد ملوك سورية مع الاسكندر فلما رأوا منهُ ذلك حسبوا انهُ أصيب بدخل في عقلهِ ودنا منهُ القائد بارمنيون وسألهُ قائلاً ما حدث حتى تسجد لرئيس كهنة اليهود مع ان الناس كلهم يسجدون لك فقال اني لم اسجد لهُ بل للاله الذي جعلهُ رئيسًا لكهنتهِ لانني رأيت هذا الرجل في حلم لابسًا هذه الاثواب عينها لما كنت في مكدونية وكنت افكر كيف استولي على اسيا فحضني على الاسراع اليها وقال انهُ يقود جنودي و يملكني ممالك الفرس ولم ارَ احدًا قبل الآن لابسًا مثل هذه الثياب والآن رأيت هذا الرجل لابسًا اياها فانا واثق بصدق الرؤيا التي رأيتها و بان جنودي تسير بالارشاد الالهي واني سأغلب داريوس واستأصل مملكتهُ ويتم كل شيء على حسب ما هو راسخ في ذهني. ولما قال ذلك اعطى يمينهُ لرئيس الكهنة ودخل معهُ المدينة وصعد الى الهيكل وقرَّب الذبائح لله حسب ارشاد رئيس الكهنة. واروهُ سفر دانيال حيث قيل ان واحدًا من اليونان يخرب مملكة الفرس فسرَّ بذلك حاسبًا انهُ الشخص المعنيّ. وصرف الجمع ذلك اليوم ثم دعاهم في اليوم التالي وسألهم عما يطلبون منهُ فطلب منهُ رئيس الكهنة ان يسمح لهم بالجري على سنن آبائهم وان يعفيهم من دفع الجزية كل سنة سابعة. فاجابهُ الى ما

طلب . وطلبوا منهُ ايضاً ان يسمح لليهود الذين في بابل ومادي ليسيروا حسب سننهم فوعدهم بذلك . ثم عرض عليهم ان يتجندوا في جيشهِ ويكونوا احراراً في السير على سننهم فانتظم كثيرون منهم في خدمتهِ

وذكر يوسيفوس ايضاً قدوم السامريين على الاسكندر وطلبهم منهُ ما طلبهُ اليهود ووعد الاسكندر لهم بالنظر في طلبهم بعد عودتهِ من غزوة بلاد فارس

ولم يذكر احد من كاتبي سيرة الاسكندر ومؤرخي اعمالهِ هذه القصة ولاذكروا اليهود بكلمة . ومن راي الاستاذ هويلر ان القصة موضوعة وضعها اليهود الاحناف (هلني) اي الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الاول بعد المسيح لكي يثبتوا ان علاقة اليهود باليونان قديمة من عهد الاسكندر

هذه خلاصة ما ذكرهُ المؤرخون الاقدمون ولم يذكر ابن الاثير كلمة عن ذلك كلهِ واورد ابن خلدون ذلك في بضعة اسطر قال "وزحف الاسكندر على بلاد الشام واستولى عليها وفتح بيت المقدس وقرَّب فيهِ القربان وامتعض اهل فارس لانتزاعهِ اياها من ملكهم فزحف اليهِ دارا في ستين الفاً من الفرس ولقيهُ الاسكندر في ستمائة الف من قومهِ فغلبهم وفتح كثيراً من مدن الشام ورجع الى طرسوس فزحف اليهِ دارا ولقيهُ عليها فهزمهُ الاسكندر وافتتح طرسوس ومضى وبنى الاسكندرية" وذكر في مكان آخر من تاريخهِ ان الاسكندر "فتح سواحل الشام وسار الى بيت المقدس لانها من طاعة دارا وخاف الكهنة من وصولهِ اليهم ورأى في بعض تمثال رجلاً وقال انا رجل أُرسلت لمعونتك ونهاهُ عن اذية اليهود واوصاهُ بامتثال اشارتهم فلما وصل الى البيت لقيهُ الكوهن فبالغ في تعظيمهِ ودخل معهُ الى الهيكل وبارك عليهِ ورغب اليهِ الاسكندر ان يضع هناك تمثالهُ من الذهب ليذكر بهِ فقال هذا حرام ولكن تصرف همتك في مصالح الكهنة والمصلين ويُجعل لك من الذكر دعاؤُهم لك وان يسمَّى كل مولود لبني اسرائيل في هذه السنة بالاسكندر فرضي الاسكندر وحمل لهم المال واجزل عطية الكوهن وسأَلهُ ان يستخير الله في حرب دارا فقال لهُ امضِ والله مظفرك وقصَّ عليهِ الاسكندر رؤيا رآها فاولها لهُ بانهُ يظفر بدارا ثم انصرف الاسكندر وسار في نواحي بيت المقدس ومرَّ بنابلس ولقيهُ سنبلاط السامري وكان اهل المقدس اخرجوهُ عنهم فاضافهُ واهدى لهُ اموالاً وامتعةً واستأذنهُ في بناء هيكل في طول بريد فاذن لهُ"

واطال صاحب الكتاب العربي المنسوب الى يوسف بن كريون في وصف الاسكندر

وصعوده الى بيت المقدس وقال انهُ لما صار في بعض الطريق رأى رجلاً لابساً ثياباً بيضاً وبيده سيف يلمع مثل البرق الخاطف نخاف الاسكندر وعلم انهُ ملاك مرسل من الله عزَّ وجلَّ فسقط على سريره وسجد وقال يا سيدي لماذا تقتل عبدك فقال لهُ لانك تريد ان تمضي الى المقدس لتهلك كهنة الله وامته . فقال لهُ الاسكندر يا سيدي اغفر لعبدك فقد اخطأت وان كنتَ لا تشاء ان اسير في طريقي هذه فانا اعود الى بلادي. فقال لهُ الملاك اذ قد اعترفتَ وتنصلت من جريمتك فقد صفحتُ عنك فامضِ في طريقك واذا وصلت الى بيت المقدس ورأيت رجلاً لابساً ثياباً بيضاً كمنظري وصورتي فانزل عن دابتك وخرَّ لهُ ساجداً وافعل جميع ما يأمرك بهِ ولا تخالفهُ فان انت خالفتهُ هلكت ". واتمَّ الكاتب القصة على نحو ما ذكرها ابن خلدون. والظاهر ان ابن خلدون نقل عن هذا المؤلف لا عن يوسيفوس نفسهِ. وبمثل هذا الخبط والايجاز كتب مؤرخو العرب تاريخ اعظم ملك من ملوك الارض

ادراك الحيوان الاعجم

كتب القس اغرتن ينغ مقالة في هذا الموضوع في مجلة العلم العام الاميركية ذكر فيها من نوادر الكلاب ما يقضي بالعجب العجاب ويدلُّ على ان بعضها يفوق البعض الآخر في قوة الادراك والاستدلال حتى يقارب الانسان . قال انهُ اقام في البلاد التي على خليج هدسن شمالي اميركا الشمالية حيث يشتدُّ البرد والزمهرير وتجلد المياه اكثر شهور السنة واضطرَّ ان يقتني كثيراً من الكلاب لان الناس يستخدمونها هناك لجر مركباتهم وحمل امتعتهم ولا دابة غيرها تقوم مقامها او تعيش في تلك الاصقاع الباردة . وكان اذا ادركهُ الليل وهو مسافر يحفر وجراً في الثلج وينام فيهِ ملتفاً بالفراء وتنام الكلاب معهُ فيهِ لان الثلج يكون ادفأ من الهواء كثيراً اذ تكون حرارة الهواء بين الدرجة الثلاثين والستين تحت الصفر واما الثلج فحرارتهُ عند الصفر . واذا ضلَّ دليلهُ فالكلاب لا تضلُّ بل تسير الى المكان المطلوب كأنها تعرف كل مداخل البلاد ومخارجها

والكلاب التي ذكر نوادرها ليست من الكلاب العادية بل هي منتقاة وموصلة فان بين الكلاب فرقاً شاسعاً كما بين طوائف الناس فمنها النبيه ومنها الخامل ومنها الذكي ومنها البليد وكان عندهُ كلب وكلبة من اذكاها وكان الكلب من كلاب سنت برنارد المشهورة وهو اسود اللون كبير الجسم يبلغ ثقلهُ مئتي ليبرة (نحو قنطارين) والكلبة من كلاب الارض الجديدة

وهي سوداء الشعر ايضاً جعدتهُ . واقتنى كلاباً اخرى من نوعها بدل الكلاب التي يستخدمها الاسكيمو وغيرهم من سكان تلك البلاد فلم يقلّ عددها كلها كباراً وصغاراً عن عشرين الى ثلاثين كلباً لانهُ كان مضطرًّا ان يكثر الجولان وكانت الكلاب تجرُّ المركبات التي يجول فيها . ولم يكن ينفق شيئاً على طعامها لان البحيرات والانهار مملوءَة بالسمك فتصيدهُ وتأكلهُ وهو طعامها الوحيد . وكان الكلبان اللذان اشرنا اليهما آنفاً مطلقين يدخلان غرف البيت كأنهما من سكانهِ . قال وكانت الابواب تقفل بمزلاج مما يفتح بضغط الابهام فارشدناهما الى كيفية فتحها فصارا يفتحانها كما نفتحها نحن لكنهما كانا يختلفان اذا كان الباب يفتح نحو الداخل فان الكلب كان يفتحهُ كيفما كانت جهة فتحتهِ واما الكلبة فلم تكن تستطيع فتحهُ اذا كان يفتح الى جهتها فاذا كانت في غرفة وارادت الخروج منها حاولت فتحهُ اولاً فاذا انفتح بسهولة خرجت منهُ واذا لم ينفتح بل كان مقفلاً بالمزلاج عادت الى الكلب وجرتهُ باذنهِ فيفهم مرادها ويقوم الى الباب يفتحهُ لها

وكان هذان الكلبان يحبان الاغتسال بالماء فاذا دخل الصيف وذاب الجليد عن الماء جعلا ينزلان الى بحيرة بجانب البيت ويغتسلان فيها وكان الكلب يغتسل ويصعد من الماء حالاً واما الكلبة فتقيم فيهِ مدة طويلة لانها من كلاب الارض الجديدة المعتادة الاقامة في الماء. وكان على جانب من البحيرة صخور مرتفعة وعلى جانب آخر رمال منبسطة فكان الكلب يصعد على الرمال اولاً وينتفض ثم يصعد على صخر يشرف على البحيرة ويأخذ ينبح رفيقتهُ فتدنو من الصخر وتحاول الصعود عليهِ ولكنها تعجز عن ذلك فيمدُّ رأسهُ ويمسكها بعنقها ويساعدها على الصعود واذا لم يستطع ذلك ذهب الى مكان فيهِ عيدان ومجاذيف قديمة واختار منها خشبة طويلة وامسكها بفيهِ واتى بها اليها ومدَّها لها حتى تمسك بها بفيها فيجرُّها جرًّا ويصعدها من الماء ولو كان الصخر قائماً كالجدار واذا دعوناهُ الينا قبل ان يصعدها مضت الى الشاطىء الرملي وصعدت منهُ

وكان هذا الكلب يكره الهنود سكان تلك البلاد ويمنعهم من ان يمسكوا شيئاً من امتعتنا ويفعل كل ما يغيظهم الى ان نأمرهُ بالكف عنهُ فيكف

واستخدمنا فتاة من هؤُلاء الهنود مرةً فحاول اغاظتها على جاري عادتهِ لكنها لم تكترث لهُ ولا كانت تخاف منهُ كما يخاف غيرها بل كانت تزجرهُ كما تزجر اصغر الكلاب فاغتاظ منها ولكنهُ لم يستطع ان يلحق بها ضررًا . وكانت حينما دخلت في خدمتنا لا تعبأ بنظافة المطبخ فوعدتها زوجتي بزيادة راتبها اذا هي اهتمت بنظافتهِ فجعلت تغسلهُ وتنظفهُ بكل جهدها ورأى

الكلب ذلك فقال هي فرصة للاخذ بالثار منها وجعل يدوس في الوحل ويأتي ويمشي في المطبخ بعد غسلهِ او يغتسل في البحيرة ويسرع الى المطبخ وينتفض فيهِ . واذا رآها تستعد لغسلهِ ربض فيهِ وتظاهر انهُ نائم ولم ينهض مهما بذلت من الجهد. وخطر لها مرةً ان تنهضهُ بالحيلة فخرجت من المطبخ وتظاهرت بانها تطرح الطعام لسائر الكلاب فنهض وخرج فدخلت هي حالاً واوصدت الباب وراءها بالقفل فحاول فتحهُ بالمزلاج ولما لم يستطع مضى الى مكان الحطب واتى منهُ بعود كبير وجعل يضرب بهِ الباب حتى خافت ان يكسرهُ ففتحتهُ لهُ فدخل والعود في فيهِ فوضعهُ في صندوق الوقود كأَنهُ اتى بهِ لهذه الغاية لا لفتح الباب ولم يعد يلتفت الى اغرائها لهُ بالخروج. ولما رأَت ذلك ضاقت بها الحيل فاتت اليَّ والدموع ملء عينيها واخبرتني بصنعهِ فقلت لابني الصغير وعمرهُ اربع سنوات اذهب واخبر هذا الكلب الخبيث ان مكانهُ ليس في المطبخ وانهُ يجب ان لا يدخلهُ بعد الآن . وكان قد سمع قصة الخادمة وكان الكلب اطوع لهُ من بنانهِ فمضى اليهِ مع الخادمة وسرنا وراءهما لنرى ماذا يفعل بالكلب فرأيناهُ دخل اليهِ وامسك باذنهِ وخاطبهُ كما يخاطب رجلاً عاقلاً وامرهُ ان يخرج من المطبخ ولا يدخلهُ بعد ذلك فاطاعهُ وخرج معهُ فقادهُ الى المكتبة واعاد توبيخهُ لهُ هناك ايضاً

ولم يكن هذا الكلب يأتي بالحطب الى المطبخ بل كان الخدم الهنود يأتون بهِ فجلبهُ لهُ اول مرة وقرعهُ الباب بهِ ثم وضعهُ في صندوق الوقود كانهُ اتى بهِ لهذه الغاية مع انهُ اتى بهِ ليقرع الباب كل ذلك يدل على ذكاء شديد ومهارة في الاحتيال .

وذكر الكاتب قصصاً اخرى من هذا القبيل وقال ان الكلاب كلها كانت اذا اشتدَّ البرد وتقرَّحت ارجلها من المشي على الجليد تدخل البيت وتنام على ظهورها وترفع اخفافها لمن يضع لها احذية الفراء التي كنا نحذوها بها وكانت اذا قمنا عند الفجر لنربطها بالمركبات يذهب الابيض منها و يربض بين كوم الثلج ويذهب الاسود الى ظلال الانجم و يربض فيها حتى لا نرى هذا ولا ذاك واذا تعبت وهي تجرُّ الاثقال صاعدةً في مكان مرتفع تظاهرت كأَن حملها ثقيل جدًّا ولو لم يكن ثقيلاً . وقال انهُ وجدها تختلف كثيرًا في قابليتها للتعلُّم فبعضها كان يتعلم من غير ضرب ولا زجر و بعضها لا يتعلم ما لم يزجر او يضرب وكلها يسهل قيادها اذا عوملت بالحسنى

وقد اورد الكاتب ما اورد ردًّا على عالم أميركي جرَّب بعض التجارب في العجماوات فرأَى انها لا تدرك شيئاً ولا تستعمل حيلة فكان رد الكاتب ان ليس كل العجماوات على حدٍّ سوى من هذا القبيل ولو كانت من نوع واحد واورد النوادر التي مرَّ ذكرها دليلاً على قولهِ

الفاضل فاضل ولو عبدًا اسود

رأى العلماء والفضلاء منذ قرون كثيرة ان الناس كلهم من نوع واحد ولو اختلفت ألوانهم وتنوَّعت اشكالهم . وحاول البعض نزع الوهم القديم الراسخ في النفوس وهو ان السود ليسوا من جبلة البيض وحرَّموا استعبادهم واهتموا بتعليمهم وتهذيبهم فتعلم بعضهم وتهذَّب وقد شاهدنا منهم الخطباء والوعَّاظ ورأينا البيض يصغون اليهم غير ملتفتين الى سواد بشرتهم. لكنَّ هذا الاهتمام لم يرقِّ السود جملةً كما رقَّى افرادًا منهم فلا يزال جمهورهم دون البيض بمراحل كثيرة حتى في البلاد التي اطلقت لهم الحرية التامة وساوت بينهم وبين البيض في الحقوق . ولن يرتقوا الاَّ اذا سعوا هم في سبيل الارتقاء فان السعي نفسهُ يقوّي الهمم ويشحذ الاذهان و يهذب الاخلاق واما الاعتماد على الغير فلا ينتج عنهُ غير ضعف العزيمة والرضى بخفض العيش.

والظاهر ان السود القاطنين في اميركا الشمالية ادرك بعضهم هذه الحقيقة وهم يسعون الآن في ما يرفع شأنهم وقد استتبَّ لواحد منهم اسمهُ بوكر وشنتون ان انشأ مدرسة كبيرة للعلوم والصنائع يتعلم فيها الآن الف تلميذ من السود وكل اساتذتها منهم وهو رئيس لها. ولد عبدًا قبلما نشبت حرب الحرية في اميركا وسئل عن تاريخ ميلادهِ فقال لا اعلم ولكنني اتذكر ان المرحومة والدتي كانت تنحني فوق الخرق التي كانت تلفني بها وتضرَع الى الله لكي ينصر الرئيس لنكان حتى نتحرَّر . وقال ايضًا انهُ كان مرَّة في الغيط مع سائر العبيد فقيل لهم ان يأتوا الى البيت فاتوا واجتمع خلق كثير منهم رجالاً ونساء واولادًا ووقف واحد في شرفة وقرأ ورقة ثم صرخوا جميعهم قائلين الحمد لله الحمد لله . قال وكنت صغيرًا جدًّا فلم افهم ما قرىء ولكن امي انحنت اليَّ وقالت في اذني قد حرَّرونا

ولما ترعرع مضى الى مناجم الفحم الحجري مع اخوتهِ وكان يعمل معهم ثم رأى واحدًا من رفاقهِ يقرأ في جريدة وقد اجتمع حولهُ جمهور من السود يصغون اليهِ فاعجب بهِ وتحسر على من يعلمهُ القراءة مثلهُ

ودخل في خدمة امرأة فاضلة ورأت رغبتهُ في تعلم القراءة فجعلت تعلمهُ في دقائق الفراغ من الخدمة . وسمع يومًا ان الجنرال ارمسترنغ انشأ مدرسة في مدينة اسمها همتون يتعلم فيها اولاد السود ويعملون فيكتسبون ما يقوم بنفقات تعليمهم . قال ولما سمعت ذلك عزمت على الذهاب الى هذه المدرسة ولم يكن معي شيء من النقود ولا كنت اعرف الطريق اليها

فقمت من ساعتي وجعلت استدل على الطريق واستعطي او اعمل لكي اكتسب ما اسدّ بهِ الرمق فاذا اكتسبت فوق ذلك دفعت اجرة سكة الحديد والاّ مضيت ماشياً وبلغت مدينة رتشمند ليلاً ولم يكن معي شيء من النقود ورأيت الواحاً مبسوطة في شارع وتحتها حفرة فانتظرت حتى انقطعت رجل السابلة من ذلك المكان ودخلتُ تحت الالواح ونمت تلك الليلة ولحسن بختي وجدت عملاً في اليوم التالي في تفريغ شحن سفينة ودام هذا العمل عدة ايام وكنت آتي كل ليلة وانام تحت تلك الالواح فوفّرت من اجرتي ما دفعت منهُ اجرة سفري الى همتن وبقي معي نصف ريال"

ولما وصل الى المدرسة ورأى اساتذتها حالتهُ الزرية اعطوهُ مكنسة وبعثوهُ الى غرفةٍ وامروهُ ان يكنسها فكنسها اربع مرات متوالية ولما رأوا منهُ ذلك قبلوهُ في مدرستهم . قال وهذا كان الامتحان العلمي الذي امتحنوني بهِ فدخلت المدرسة ورأيت فيها وفي مدينة همتن من اسباب التعليم والتهذيب ووسائل النجاح والفلاح ما ايقظ كل قوى نفسي وجعلني اشعر باني مولود لاكون انساناً لا لاكون من بعض المقتنيات وعزمتُ ان امضي الى الولايات الجنوبية التي يقيم فيها السود حالما اتمّ دروسي وابذل جهدي في انشاء شيء لقومي يستفيدون منهُ كما استفدتُ انا من مدرسة همتن . ولما اتيح لي ذلك مضيت الى بلد تسكجي في ولاية الاباما وجمعت ثلاثين ولداً كنت اعلمهم في كوخ صغير ولم يكن لهذه المدرسة ما قيمتهُ ريال واحد من العقار لكن الرغبة في السعي والسعي في الكسب خوّلاني انشاء مدرسة كبيرة للعلوم والصنائع فيها الآن ثمانٍ وثلاثون داراً والف تلميذ

وكثيراً ما يسألني البعض عن الغرض من جمع المال لهذه المدرسة فاجيب ان في الولايات الجنوبية الاميركية عشرة ملايين من السود ابناء جنسي وهم يحتاجون الى المأكل والمشرب والمأوى ويحتاجون ايضاً الى التعليم والتهذيب والى تربية الاخلاق التي تتخلّق بها الشعوب المرتقية ولا يسهل الوصول الى هؤُلاء الملايين الاّ بان نرسل اليهم اناساً من نخبة الرجال والنساء المتعلمين المتهذبين الذين تدرّبت عقولهم على الشغل وايديهم على العمل وقلوبهم على الشفقة فيسكنوا بينهم ويعلموهم ويهذبوهم . والغرض من المدرسة التي انشأتها انما هو اعداد هؤُلاء الرجال والنساء لهذا العمل العظيم

قال المستر ترشر الذي نقلنا عنهُ هذه الحقائق لما اتيت تسكجي اول مرة مررت في ولاية جيورجيا وكان معي في القطار رجل يستدلّ من كلامهِ على انهُ كان قائداً في جيش الولايات المتحدة وقت حرب الحريّة فسألني عن الجهة التي انا ذاهب اليها فقلت لهُ اني ذاهب الى تسكجي

لاحضر موءتمر السود فقال " اظنك تقابل بوكر وشنطون هناك . لقد اهتدى هذا الرجل الى السبيل الذي يفيد بهِ ابناء جلدتهِ فانهُ يعلّم السود العمل ويا حبذا لو كان في الولايات الجنوبية الف رجل مثلهُ " ثم علمت بعد ذلك ان الرجل الذي كان يكلمني من اكبر اصحاب الثروة في تلك البلاد

وفي اليوم التالي بعد الموءتمر قابلني رجل من السود وقال لي ألستَ انت فلانًا اوَ لم تكن في معرض شيكاغو فقلت نعم ومن انت فقال ألا تتذكر انك رأيتني في المعرض اعمل في المكان الفلاني فقلت نعم اني اتذكرك الآن وما اتى بك الى هنا فقال ذهبت في السنة التالية الى معرض اتلنتا وسمعت المستر وشنتون هناك يتكلم عن مدرستهِ التي يتعلّم فيها اولاد السود





المستر بوكر وشنطون وزوجتهُ

الصنائع وانا في صناعتي نجار ولكنني لا اعرف حرفة النجارة فاتيت الى هنا لكي اتعلمها وقد كدت اتقنها الآن ومتى اتقنتها سهل عليَّ الكسب

قال الكاتب ولما اردت العودة من تسكجي دخلت مركبة البريد لاضع كتابًا فيها وكان على غلافهِ اسم مدرسة تسكجي فلما رآهُ كاتب البريد قال لي " ان بوكر وشنطون رئيس هذه المدرسة رجل عجيب فاني لم ارهُ قط ولكني اعلم انهُ يُعلِّم الناس العمل " وكنت كيفما التفتُّ ارى الشهادات تتكرَّر على نفع العمل الذي قام بهِ هذا الرجل . واي عمل انفع من أن تعلّم الرجال والنساء مبادئ العلوم والفنون وتجعلهم يقرنون العلم بالعمل ولا تضطرهم الى دفع درهم بل تكسبهم من عملهم ما يقوم بنفقاتهم ونفقات تعليمهم

قلنا ان في مدرسة تسكجي ثمانياً وثلاثين داراً الثلاث الاولى منها وهي اصغرها بُنيت قبلما دخلها التلامذة والخمس والثلاثون الباقية بناها التلامذة انفسهم فهم كانوا يصنعون الاجرَّ (الطوب المشوي) ويشوونهُ بارشاد معلمين ماهرين في هذه الصناعة ولم يكتفوا بعمل الاجر اللازم لهذه المباني بل عملوا كثيراً منهُ وباعوهُ للغير . وقد وصف المستر وشنطون هذا كيفية اقدامهِ على قرن العلم بالعمل في محفل حافل قال

"بعد ان مضى عليَّ مدة في تسكجي رأيتُ كانَّ تعبي ضائع سدًى لانني كنتُ اقتصر على تعليم الطلبة ما في الكتب من غير ان اعلمهم كيف يعتنون بانفسهم وبمن لهم . ثم وقعت عيني على ارض قرب تسكجي فوددت ان اشتريها ولم يكن معي ثمنها فقرضني واحد مئة ريال اشتريتها بها ونقلت المدرسة اليها وكنت اعلّم التلامذة جانباً من النهار واخرج معهم في الجانب الآخر منهُ نقطع الاشجار من تلك الارض ونمهدها ولما عملنا الاجر لم اكن اعلم كيف يُشوَى ولم يكن معي ما ادفعهُ اجرة لصانع ماهر في شيّهِ فأخذت ساعتي ورهنتها على نقود استأجرت بها الصانع فعلّمنا كيفية شيّهِ ولم استفكَّ هذه الساعة حتى الآن مع اننا بنينا ثمانية وثلاثين بناء كبيراً بما تعلمناهُ منها"

والتلامذة في هذه المدرسة او المدارس يتعلمون عمل الاجر والبناء والنجارة على اختلاف فروعها . وفيها الآن معامل كبيرة مجهزة بكل ما يلزم لها من الآلات والادوات واكثر ما فيها من مكاتب وكراسي واسرَّة صنعهُ التلامذة انفسهم في هذه المعامل وصنعوا ايضاً مركبات النقل على انواعها . والبناء دائم هناك حتى يكون للتلامذة عمل يعملونهُ وقد بنوا كنيسة كبيرة في العام الماضي تسع الف نفس رسمها واحد من الاساتذة وهو مدرّس المباني الهندسية ورسم اطنافها واحد من التلامذة ومقاعدها تلميذ آخر . والتلامذة هم الذين وضعوا الحديد على سقفها ووضعوا فيها آلة بخارية لتدفئتها وآلة كهربائية لانارتها

ويتعلم التلامذة تصليح الآلات على انواعها ولا سيما الآلات الزراعية وفي المدرسة معمل كبير لذلك وهم يصلحون فيهِ آلات كثيرة لاهالي البلاد المجاورة . ويتعلمون ايضاً الحدادة والطباعة والخياطة والتصوير . ويتعلم البنات الاعمال الخاصَّة بالنساء كالطبخ والغسل والخياطة وعمل البرانيط ويتعلَّم بعضهنَّ تمريض المرضى . ومن اهم ما يتعلمهُ التلامذة ويمارسونهُ علم الفلاحة وكل الاساليب العلمية المتبعة الآن حيث صارت الزراعة على ارقاها . واساتذتهم من امهر الاساتذة في هذا الفن وعندهم كثير من البقر الحلوبة وهم يستخرجون الزبدة من لبنها ويصنعون منهُ الجبن ذكر المستر وشنطون حادثة جرت لاحد تلامذتهِ قال اعلن اصحاب معمل من معامل

الزبدة انهم يحتاجون الى مدير لمعملهم وكان في مدرستنا شاب اتقن استخراج الزبدة واتمَّ دروسهُ في المدرسة فمضى الى هذا المعمل وعرض نفسهُ على اصحابهِ فلما نظروا اليهِ قالوا لهُ لا يمكننا ان نستخدم رجلاً اسود فقال لهم انني لم آتِكم لتستخدموا لوني بل معارفي فجربوني واحكموا. فنظروا في الامر قليلاً ثم قالوا لهُ ابقَ عندنا اسبوعين ولكن يجب ان تعلم من الآن اننا لا نريد ان نستخدم رجلاً اسود. فاقام عندهم الاسبوع الاول ولما عُرضت زبدتهم في السوق دُفع في الرطل منها ثمن يزيد نصف غرش على ما كان يُدفَع عادة فاستغربوا ذلك وقالوا لنرَ ما يكون في الاسبوع الثاني فلما عرضوا زبدتهُ للمبيع دُفع في الرطل منها ربع غرش زيادة عمَّا دُفع في زبدة الاسبوع الاول فسروا بهذا الربح واقروا الرجل في منصبهِ ولو كان اسود فاحمًا

والمؤتمر المشار اليهِ آنفًا أُنشئَ في تسكجي منذ عشر سنوات انشأهُ المستر وشنطون للسود لكي يتذاكروا فيهِ بما يعود عليهم بالنفع وحضرهُ اوَّل سنة نحو عشرين رجلاً لكنهم رأَوا من فائدتهِ ما ضاعف رغبتهم فيهِ فصار عدد الحضور الآن الفين رجالاً ونساءً وهم ليسوا من العلماء ولا كلهم من الذين يعرفون القراءة والكتابة لأن اكثرهم كانوا عبيدًا وقت حرب الحرية حتى ان واحدًا منهم وقف مرةً وقال ان ذلك اليوم (يوم اجتماع المؤتمر) هو اليوم الوحيد الذي دخل فيهِ المدرسة

اما المواضيع التي يبحثون فيها فمَّا يتعلَّق بهم خاصَّة ويتوقف عليهِ نجاحهم او فشلهم مثل الاقتصار على زرع القطن ورهن الغلة قبل جنيها والاكتفاء باستئجار الاطيان وقلة الاهتمام بابتياعها وما في ذلك كلهِ من الخسارة عليهم ومثل الضرر الناتج عن الاسراف والزينة الباطلة وابتياع ما ليس بهم حاجة اليهِ ونحو ذلك من المواضيع. ويرئس المستر وشنطون اجتماعاتهم ويديرها بحكمة ومهارة حتى لا تضيع دقيقة من الوقت سدًى ولا يبقى هذا المؤتمر الا يومًا واحدًا

قال الكاتب وقد رأَيت في احد هذه الاجتماعات امرًا يستحق ان يكتب بالتبر في صفحات الايام رأَيت امرأَة خلاسيَّة وقفت في الجمع واستأْذنت في الكلام وقالت "اخبرَنا الاخ وشنطون في العام الماضي ان الانسان الواحد يستطيع ان يقوت عائلة من ثلاثة افدنة من الارض وشرح لنا كيفية ذلك وقال انهُ ميسور للمرأَة كما هو ميسور للرجل فعزمت ان امتحن قولهُ واستأْجرت ثلاثة افدنة واستأْجرت ايضًا من حرثها لي ووقفت على يدهِ حتى رأَيت الارض حُرثت حرثًا عميقًا جدًّا كما يجب ان تحرث وسمدتها وزرعتها". ثم وصفت طريقة الاعتناء بزرعها وذكرت النفقات التي انفقتها ومقدار الغلة التي استغلتها منها وقالت "ان الغلة كفتني وكفت عائلتي سنة كما قال فثبت قولهُ بالامتحان". فصفق لها الحضور طويلاً وهي واقفة لا تبدي

علامةً من علامات الشكر لهم ثم رفعت يدها واشارت يمنة و يسرة فصمتوا كلهم فقالت " اني لاعجب منكم كيف تضيعون دقيقة من هذا اليوم الوحيد في ما لا طائل تحتهُ وانتم تعلمون ان شعبًا كبيرًا على شفا جرف هار"

و بمثل ذلك تنقضي هذه المؤتمرات و يرجع الحضور وقد استفادوا منها فوائد جمَّة . و يرى القارئ لاول وهلة ان ليس غرضنا من كتابة هذه السطور مدح رجل من زنوج اميركا بل ذكر مثال من الامثلة العديدة التي يبين منها ما يستطيعهُ المرء اذا كان من رجال الهمَّة والاقدام ولو كان صفر اليدين . والاستدلال على ان رجلاً واحدًا قد يأخذ على نفسهِ ترقية امَّة كبيرة فيفلح في غرضهِ اذا كان من ابناء تلك الامَّة اكثر مما يفلح مئات مثلهُ اذا لم يكونوا منها. فان الوفا من الاميركيين البيض بذلوا اقصى الجهد في تعليم سكانها السود وتهذيبهم فلم يفلحوا عشر ما افلح هذا الرجل . وامثال ذلك كثيرة في الهند واليابان وكل البلدان التي سعى فضلاء الاوربيين والاميركيين في نشر العلوم والفنون فيها فانهم حيث استطاعوا ان ينهضوا همم الوطنيين ليصلحوا شؤُونهم بانفسهم كان فوزهم عظيمًا وحيث بقي الوطنيون يعتمدون عليهم لم ينتج عن سعيهم غير فوائد قليلة محصورة في بعض الذين تعلموا منهم . ولا يفيد الامم الأسعي ابنائها كما لا يفيد المرء الأسعيهُ لنفسهِ" ومن كان اسعى كان بالمجد اجدرا "

التلغراف الاثيري

يعلم القرَّاء الكرام ان ارسال الاشارات التلغرافية من مكان الى آخر ليس بينهما اسلاك معدنية صار الآن ممكنًا وكثر استعمالهُ اذا كانت المسافة بين المكانين ثلاثين ميلاً او اربعين بل قد صار ممكنًا ولو كانت المسافة مئة ميل . وقد ذكرنا تاريخ هذا الاستنباط البديع وتدرُّجهُ في مراقي الكمال من باب خبري ومرادنا الآن ان نشرحهُ شرحًا علميًا بسيطًا مبينين الحقائق التي بُني عليها

ومن الغريب اننا وقفنا ساعة زمانية نبحث عن كلمة عربيَّة او معرَّبة نجعلها عنوانًا لهذه المقالة فان المعاني التي نريد التعبير عنها مرسومة كلها امامنا ولكننا لم نجد اسماً متصرفًا نسمي بهِ هذا الاسلوب الجديد من التلغراف . وقد سمَّيناهُ في ما مضى تلغرافًا من غير سلك وتلغراف مركوني والتلغراف الاثيري حسبما سمَّاهُ الافرنج ولكن هذه الاسماء الثلاثة لا يسهل تصريفها

في العربيَّة كما يسهل في الانكليزية والفرنسوية واخيرًا اخترنا لهُ كلمة التلغراف الاثيري لانها ادلُّ على المعنى المراد اذ ان الامواج الكهربائية تنتقل فيهِ بالاثير من مكان الى آخر وهي اصلح من كلمة تلغراف مركوني لان مركوني ليس المستنبط الوحيد لهذا التلغراف بل هو لم يستنبط الاَّ جزءا صغيرًا منهُ . واصلح ايضًا من كلمة التلغراف من غير سلك لان في آلتهِ اسلاكاً كثيرة ولو لم تكن متصلة بين المكانين اللذين يكون التخاطب بينهما . ثم ان الاثير الذي يملأُ الفضاء هو الموصل للامواج الكهربائية فتكون دلالة اللفظ على المعنى حقيقيَّة

وقد علم القراءُ مما اوردناهُ في المقتطف مرارًا ان كثيرين من علماء الطبيعة حاولوا نقل الاشارات الكهربائية من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنيَّة منذ نيّف وعشر سنوات ولكن لم يفلح احد منهم في نقلها مسافة تزيد على عشرة اميال حتى قال السر وليم بريس الكهربائي الشهير انهُ يتعذَّر نقلها اكثر من ذلك او يستحيل. على ان الاستاذ مركوني الايطالي نقلها الآن مسافة مئة وعشرة اميال برًّا ومسافة ثمانين ميلاً بحرًا لا لانهُ اكتشف حقائق جديدة لم تكن معروفة قبلاً بل لانهُ استخدم الحقائق المعروفة على اسلوب جديد واضاف اليها حيلة ميكانيكيَّة بديعة كما سيجيءُ . فان كل احد من الذين يستعملون التلفون الكهربائي يعلم انهُ قد يخاطب زيدًا فيسمع مع كلامهِ كلام عمرو وهو يخاطب غيرهُ لا لان تلفونهُ يكون متصلاً بتلفون عمرو بل لان الكهربائية الجارية على السلك المتصل بتلفون عمرو تؤَثر بالسلك المتصل بتلفونهِ فيسمع كلام عمرو ايضًا مع كلام زيد الذي يخاطبهُ . اي انهُ اذا جرت الكهربائية على سلك معدني اثَّرت في ما يجاورهُ من الاسلاك المعدنية

وغنيٌّ عن البيان ان هذا التأثير قليل محدود ولولا ذلك لوجب ان نسمع بالتلفون الواحد كلام كل الناس الذين يتخاطبون بتلفونات اخرى وليس الحال كذلك لان الكهربائية تموُّجات في الاثير مثل كل القوى الطبيعية فيضعف فعلها بالبعد عن مصدرها كما يضعف فعل الحرارة بالبعد عن مصدرها وفعل النور بالبعد عن مصدرهِ فاذا كانت الكهربائية الجارية على السلك ب تؤَثر في السلك د تأثيرًا معلومًا لم تؤَثر الاَّ عشرهُ في السلك ج او لم تؤَثر فيهِ ابدًا لبعدهِ عن السلك ب.

ب د ج

واول من انتبه الى تأثير الاسلاك المكهربة في غيرها فراداي الكهربائي وذلك سنة ١٨٣٢

ثم ان القوة الكهربائية تتجمع وتتكاثف بواسطة لف الاسلاك المعدنية بعضها على بعض كما تتجمع اشعَّة النور والحرارة بواسطة المرايا المقعَّرة. غير ان الكهربائية تختلف عن النور والحرارة في ان فعلها لا يكون الاَّ حال الوصل والفصل فاذا كان المجرى الكهربائي مارًّا متصلاً

على سلك لم تؤثر كهربائيتهُ في سلك آخر. وعلى هذا المبدإ صُنعت لفائف الحدَّة التي تتكاثف فيها الكهربائية حتى يصير الشرر يتطاير منها كوميض البرق. فانها جامعة لتكاثف الكهربائية وتقطع مجراها

وقد بيَّن هرتس الكهربائي الشهير منذ عهد قريب انهُ اذا اتَّصلت اللفة الداخلية من لفائف الحدَّة بمفتاح مثل مفتاح التلغراف المعروف وكان في طرفي اللفة الخارجية كرتان من المعدن فكلما ضُرب على المفتاح حتى اتصل المجرى الكهربائي المار على اللفة الداخلية ظهر بين تينك الكرتين شرارة كهربائية قوية تموّج الاثير الذي حولها كانها الحجر يُرمى بهِ في راكد الماء فتصاغ فيهِ دوائر تنتشر الى كل جهاتهِ. وقد سُميت هذه التموُّجات تموجات هرتس نسبةً اليهِ لانهُ اكتشفها وقاسها واثبت انها سريعة جدًّا

بقي ان تُستنبط آلة تتأثر بهذه التموُّجات وهي منتشرة في الفضاء حتى يستدلَّ بها على حركات المفتاح الكهربائي المتقدم ذكرهُ. لانهُ اذا ضُرب على المفتاح كما يضرب عليهِ عادة في تلغراف مورس ضربات قصيرة وطويلة تدلُّ على حروف الهجاء فالآلة التي تتأثر بهذه التموجات تدلُّ على ضربات هذا المفتاح فتدل على حروف الهجاء ايضًا ويتم بها التخاطب بينها وبين من يضرب بالمفتاح على اسهل سبيل. وقد استنبط الاستاذ كلزكي اونستي الايطالي هذه الآلة وحسَّنها برانلي ولودج وغيرهما واتمَّها مركوني. واجزاؤُها الجوهرية انبوب صغير من الزجاج يسمَّى الجامع طولهُ نحو اربعة سنتمترات وفيهِ قطعتان من الفضة البعد بينهما نحو نصف مليمتر وهذه الفسحة مملوءَة ببرادة النكل والفضة وقليل من الزئبق والقطعتان متصلتان من طرفيهما الآخرين بسلكي بطرية محلية. وبرادة النكل والفضة تفصل المجرى الكهربائي الجاري من هذه البطرية ولكن اذا فعلت بها تموجات هرتس المشار اليها آنفًا اجتمعت دقائقها بعضها مع بعض وصارت موصلاً للكهربائية فتتمُّ دائرة البطرية المحلية وتبقى البرادة مجتمعة بعضها مع بعض الى ان تهزَّ فتنفصل وتعود الى مقاومتها الاولى للمجرى الكهربائي كما كانت وينقطع المجرى. فاذا كان في القاهرة مثلاً لفة كبيرة من لفائف الحدَّة وفي طنطا لفة اخرى وآلة من آلات مركوني وكان في اللفة التي في القاهرة مفتاح كهربائي كمفتاح التلغراف يتصل بهِ المجرى الكهربائي وينفصل وضربنا عليهِ حتى اتَّصل المجرى الكهربائي وظهرت الشرارة الكهربائية بين الكرتين تموَّج بها الاثير المنتشر في الفضاء وبلغ تموجهُ مدينة طنطا واثَّر ببرادة الفضة والنكل التي في جامع آلة مركوني فجمعها معًا وجعلها موصلاً للكهربائية وهناك بطرية محلية يمرُّ مجراها الكهربائي على هذا الجامع فيتصل ويؤثر بمغنطيس كهربائي لهُ حافظة كمفتاح التلغراف فيها راقم وتحتها ورقة فيضرب المفتاح على الورقة ويؤثر فيها اثرًا قصيرًا او طويلاً حسب ضرب المفتاح في القاهرة وفي الوقت نفسهِ

يمرُّ المجرى الكهربائي من هذه البطرية على مغنطيس آخر كهربائي فيحرّك مطرقة صغيرة تضرب الجامع فتفرق دقائق البرادة التي فيهِ فينقطع المجرى الكهربائي الذي كان مارًّا فيهِ ثم تأتيهِ تموجات هرتس ثانية فتجمع دقائق البرادة وتعيدها الى ايصال الكهربائية المحلية. و بجانب البطرية المحلية مدَد يمدُّها بقوة بطرية أُخرى لكي تقوى على تحريك المفتاح الراقم والمطرقة من استنباط مركوني ولولاها ما امكن استعمال هذه الآلة وهو الذي نصب السلك العمودي وحسب النسبة بين علوهِ والبعد الذي يراد ايصال تموجات هرتس اليهِ

ومزية هذا التلغراف انهُ يستعمل حيث يتعذَّر مد الاسلاك المعدنية كما بين السفن البحرية و بين مكانين يفصل بينهما عدو محارب

عاقبة البغي

بقلم كنن دويل الكاتب الانكليزي

[رأَينا من اقبال القراء الكرام على مطالعة القصَّة التي ترجمناها عن المستر رديرد كبلنغ الكاتب الشهير ما حملنا على ترجمة قصص مثلها عن مشاهير الكتَّاب. ولا ينتظر ان يكون في هذه القصص فوائد علمية كما في مقالات المقتطف ونبذهِ لانهُ قد يكون في المقالة او في النبذة الواحدة من الاخبار العلمية او الزراعية ما تزيد فائدتهُ على فائدة قصة تملأُ مئة صفحة ولوكانت مكتوبة بقلم امهر كتَّاب العصر. ولكن لهذه القصص فوائد أُخرى ادبية وفكاهية ولاسيما اذا شُرحت فيها اخلاق الناس واطوارهم فيستفيد منها المطالع خبرةً فوق ما يجدهُ فيها من الفكاهة والارتياح ولذلك يقبل عليها القراء في كل مكان ويكتسب كتَّابها اضعاف ما يكتسبهُ كتَّاب المقالات العلمية

وقد اخترنا لهذا الجزء رواية من موضوعات كُنَن دويل الكاتب الانكليزي المعدود في الطبقة الاولى بين الكتَّاب لحسن اسلوبهِ في الاختراع وهو من الذين يُدفَع لهم في المقالة الواحدة مئات من الجنيهات . قال راوياً عن لسان رجل اسمهُ مرشل كنغ]

من نكد الدنيا على الحرّ ان يكون من قوم ذوي وجاهة وهو صفر اليدين لا مال لهُ ولا هو يعرف صناعة يكتسب منها . فان ابي وهو من اهل التوكُّل كان يعتمد على اخيهِ الاكبر اللورد سذرتُن لانهُ كان عزبًا وافر الثروة فظن انهُ يعتني بي ولا يدعني احتاج الى الاكتساب بيدي لاسيما واني كنت وحيدًا . وكان واثقًا ان عمي هذا يولّيني منصبًا من مناصب الحكومة التي لم يزل الوجهاء مثلنا محتكرين لها. لكن ابي توفي كهلاً قبلما رأى فساد ظنهِ

فان عمي لم يكترث لي ورجال الدولة لم يلتفتوا اليَّ ولم يكن شيءٌ يذكرني باني وارث لبيت كبير واملاك واسعة الاَّ ما كان يصلني احياناً من هدايا الاحجال والارانب . ولم يكن لي عمل اعمل فيهِ سوى صيد القماري واللعب بالكرة والصولجان (بولو) . ومرَّت الايام وانا استدين من هذا ومن ذاك الى ان رأيت المرابين قد ملُّوا لاسيما وانهم رأَوا ان املاك عائلتنا غير موصى بها لي فأُسقط في يدي وضاقت الدنيا في وجهي . ومما كان يزيد كربي ان كل ذوي قرباي كانوا على ثروة طائلة واقربهم اليَّ ابن عمي وابوهُ اصغر من ابي فانهُ اقام في بلاد برازيل مدة جمع فيها غنًى وافرًا وعاد الآن الى بلادهِ من اهل اليسار ولا نعلم كيف جمع هذه الثروة وغاية ما علمناهُ انها طائلة لانهُ اشترى ابعدية كبيرة فيها قصر فاخر . ومضت السنة الاولى بعد رجوعهِ الى انكلترا وهو لا يلتفت اليَّ ثم جاءَني منهُ كتاب في الصيف الماضي يدعوني بهِ الى زيارتهِ في ابعديتهِ ففُرِّج عني لانني كنت انتظر ان يقوم المرابون عليَّ ويشهروا افلاسي فقلت في نفسي اذا استطعتُ ان استرضي ابن عمي هذا واستلف منهُ ما استعين بهِ على امري سهل عليَّ الانتظار الى ان يموت عمي او يقضي الله امرًا . وكنت احسب انهُ يفعل ذلك عن طيب نفس افتداءً لاسم العائلة فامرت خادمي ان يضع ثيابي في صندوق السفر ولما بلغت محطة سكة الحديد التي بقرب ابعديتهِ لم اجد فيها مركبةً في انتظاري كما كنت اتوقع فاستأجرت مركبة وجدتها هناك وقلتُ للسائق ان يمضي بي الى ابعدية افررد كنغ (وهو اسم ابن عمي) فسار بي واخذ يحدثني في الطريق عن فضائل هذا الرجل ومساعدتهِ للجمعيات الخيرية وسماحهِ للناس بالتنزه في حديقتهِ وايلامهِ الولائم لتلامذة المدرسة وعلّل ذلك بقولهِ انهُ يفعل ما يفعلهُ كل مَن يرشح نفسهُ لمجلس النواب

والتفتُّ الى عمود التلغراف وانا سائر فرأيت عليهِ طائرًا غريب المنظر بديع البرقشة لم ارَ مثلهُ قبلاً فقال لي السائق انهُ من طيور الرجل الذي انت ذاهب اليهِ فانهُ مغرم بتربية الحيوانات البرية يأتي بها من البلدان الشاسعة فتدجن عندهُ وقد جلب معهُ من برازيل كثيرًا من الطيور والوحوش واطلقها في حديقتهِ . ولما دخلنا الحديقة رأيت فيها ما يؤيد قول السائق رأيت غزلاناً مرقطة وخنازير برية وانواعاً من الصفارية والشقرَّاق . ولما دنونا من البيت رأيت ابن عمي واقفاً امام بابهِ كأَنهُ رآني مقبلاً فعرف من انا . وهو كهل بدين قصير القامة لوَّحتهُ الشمس وغضَّنت وجههُ وكان لابساً لباساً ابيض ساذجاً وعلى رأسهِ برنيطة كبيرة من الخوص كأَنهُ احد الفلاحين فكان منظرهُ غريبًا امام ذلك القصر الفخيم

ولما دنوتُ منهُ التفتَ الى زوجتهِ وقال لها هوذا ضيفنا يا عزيزتي ثم قال اهلاً وسهلاً بابن

عمي لقد اوليتنا الفخر بتشريفك . فرأيت من انسهِ ومجاملتهِ فوق ما كنت انتظر لكن زوجتهُ قابلتني بوجه عبوس وهي طويلة القامة نحيفة القد ولم تخرج لمقابلتي الا بعد ان دعاها زوجها . واظنها اسبانية الاصل لكنها تحسن الانكليزية فعذرتها لانني حسبتها تجهل عاداتنا. ولم تخفِ عليَّ حينئذٍ ولا بعد حين انها استاءت من مجيئي اليهم ولم يظهر ذلك من كلامها بل من منظر وجهها وعينيها لكنَّ ديوني كانت قد اثقلت عاتقي وكنت عازماً ان استعين بزوجها رضيت أولم ترضَ ولذلك اغضيتُ عمّا بدا لي من نفورها والتفتُّ الى ترحيب زوجها واكرامهِ فانهُ بذل كل ما في وسعهِ لارضائي فاعدَّ لي غرفةً من اجمل غرف القصر وطلب مني ان اخبرهُ عن كل ما يزيد في راحتي ومسرَّتي وكدتُ ابوح لهُ بما في ضميري لكنني لم ارَ من اللياقة ان افعل ذلك حينئذٍ فارجأتهُ الى فرصة أُخرى. ثم جلسنا على المائدة وكان الطعام من افخر ما اكلتُ في حياتي واتونا بالتبغ بعد الطعام وهو من تبغ هافانا المشهور ثم بالقهوة وبنّها من املاكهِ في برازيل فحقق لي الخبْر ما سمعتهُ عن كرمهِ بالخبر

وقمنا في الصباح وجلسنا على مائدة الفطور فقابلتني زوجتهُ بما قابلتني بهِ بالامس من الاشمئزاز ثم خرج زوجها من الغرفة لامرٍ ما فقالت لي ان القطار الذي يقوم من هنا الظهر هو احسن القطرات فقلت لها اني غير عازم على الذهاب اليوم. فقالت على خاطرك. ونظرت اليَّ نظر الغيظ .فقلت لها "لو اراد المستر كنغ ان امضي من هنا لما اخفى عليَّ ذلك". وكأنهُ سمع بعض ما دار بيننا من الكلام فقال ما هذا ودخل الغرفة مغضباً وقال لي هلمَّ معي فلما خرجت من الغرفة اغلق الباب ورائي وسمعتهُ يكلم زوجتهُ بصوت منخفض . وكنت اكرهُ التنصُّت فسرت في طريقي ثم سمعتُ وقع الخطى ورائي فالتفتُّ واذا زوجتهُ تبعتني والدموع ملء عينيها وهي شاحبة الوجه فقالت لي قد طلب مني زوجي ان اعتذر اليك واطرقت بنظرها الى الارض فقلت . هذا حسبي فلا تزيدي . فرفعت عينيها اليَّ وقالت ما اجنَّك ثم دارت ومضت . فوقفتُ مبهوتاً لاني لم اعتدْ مثل هذه الاهانة وهذا الجفاء ولكنَّ زوجها ادركني حالاً وبشَّ في وجهي وقال لي عسى ان تكون قد اعتذرت اليك عما فرط منها فقلت نعم فوضع يدهُ تحت ابطي وقال انك اذا قصرت زيارتك ساعة واحدة تسوءُني جدًّا . ولماذا اخفي عليك ولا خفيَ بين الاقارب انها لا تطيق ان ترى احدًا عندي وهو نوع من الجنون والجنون فنون فعدني بانك تطرح ذلك من بالك ولا تلتفت اليهِ فقلت اني افعل. فقال اذًا اشعل هذا السيكار وتعال معي لاريك اقفاص الحيوانات

وقضينا ذلك الصباح وهو يأخذني من مكان الى آخر ويريني ما عندهُ من الضواري والكواسر

والزحافات حتى الحشرات ثم مضى بي في سرداب طويل الى ان وصلنا الى باب من قضبان الحديد الغليظة . وقال لي سترى هنا جوهرتي واثمن ما عندي من الحيوانات وهو فهد اسود من برازيل لا مثيل لهُ في كل اوروبا . فنظرت واذا امامي غرفة واسعة لها كوَّة كبيرة في الناحية المقابلة وفي وسطها حيوان اسود كبير رابض على الارض وقد وقعت اشعة الشمس عليهِ من بين قضبان الحديد التي في سقف الغرفة فزادت منظرهُ جمالاً ومهابةً . فقال لي ما رأيك فيهِ فقلت انهُ من اجمل الحيوانات التي رأيتها فقال صدقت وقد كان منذ اربع سنوات جرواً صغيرًا اشتريتهُ من الذين قتلوا امهُ بعد ان قتلت عشرة منهم

فقلتُ اذًا هو من الضواري قال نعم ومن اشرسها واذا ذُكر اسمهُ امام هنود برازيل اقشعرَّت ابدانهم وهو يفضل لحم الناس على لحم المواشي لكن هذا لم يذق الدم الحيّ حتى الآن ولو ذاقهُ لصار وحشًا ضاريًا . ومع ذلك لا يدع احدًا يدنو منهُ غيري لاني ربيتهُ كأني ابوهُ وامهُ . ولما قال ذلك فتح الباب ودخل واغلقهُ وراءهُ حالاً وسمع الفهد وقع خطاهُ فنهض وتثاءب ودنا منهُ وجعل يتحكك بهِ وهو يربتهُ بيدهِ ثم قال لهُ القفص القفص فمضى الى الكوة التي في الطرف الآخر ودخل منها

وكان لهذه الكوة باب من قضبان الحديد داخل في الحائط ولهُ من الخارج دولاب يدار باليد فيخرجهُ من الحائط ويسد بهِ الكوة. فخرج ابن عمي من الغرفة واقفل بابها وراءهُ وجعل يدير هذا الدولاب فخرج الباب من الحائط وسدَّ الكوة فاصبح الفهد في قفص محكم وبينهُ وبين الغرفة الخارجية التي كان فيها باب مقفل من قضبان الحديد الغليظة. ثم فتح باب الغرفة ودعاني اليها فدخلت معهُ واذا هي مملوءة بالرائحة الخاصة بالضواري وقال لي انهُ يطلقهُ في تلك الغرفة نهارًا لكي يروض بدنهُ فيها ثم يدخلهُ القفص الداخلي ليلاً ليبيت فيهِ . ووضعت يدي بين قضبان الحديد لاربت الفهد فاجتذبها ابن عمي حالاً وقال ماذا تفعل يا ابني فلا تحسبنهُ سليماً اذا كان يتودَّد اليَّ . ثم سمعت وقع الخطى في السرداب ورائي فجعل الفهد يثب ويتردَّد في قفصهِ كأنهُ يحاول الخروج منهُ فالتفتُّ واذا خادم آتٍ ومعهُ قطعة كبيرة من اللحم فلم يكد يرميها اليهِ حتى قبض عليها وجعل يمزقها ويلتهمها وهو ينظر الينا شزرًا من وقت الى آخر

فقال لي ونحن خارجان لا اظنك تستغرب بعد الآن اعجابي بهِ لاني انا ربيتهُ وقد اتيتُ بهِ من قلب اميركا الجنوبية و بذل الناس جهدهم في بستان الحيوانات لابيعهم اياهُ فلم افعل . والآن قد اريتك ما يكفي من تعلقي بما لا طائل تحتهُ وخير ما نفعل ان نمضي الى الطعام اقتداء بهذا الحيوان

ومضت ستة ايام وانا في ضيافة ابن عمي ولا ارى لهُ عملاً غير الاهتمام بالحيوانات التي في حديقتهِ والنظر في التلغرافات التي ترد اليهِ في اكثر ساعات النهار وكان يفتحها بلهفة وينظر فيها فتبدو عليهِ امارات الاهتمام وانشغال البال واظنها تأتيهِ من السماسرة او العملاء لان اشغالهُ المالية كثيرة . وكنت اسهر معهُ كل ليلة نلعب بالبلياردو او يقصُّ عليَّ القصص الغريبة عمّا وقع لهُ في اميركا الجنوبية . وقصصت عليهِ انا ايضاً بعض النوادر التي مرَّت بي واطلعتهُ على ضيقتي المالية فاصغى اليَّ ثم قال ولكنك وريث لعمنا لورد سذرتن فقلت نعم غير انهُ لم يقطع لي شيئاً من المال حتى الآن

فقال كلاَّ لانهُ بخيل منتن على ما بلغني. ولكن هل بلغك انهُ مريض فقلت انهُ مريض من طفوليتهِ فقال اصبت والذي مثلهُ يعلُّ كثيرًا فما اتعس حالتك بهِ . فقلتُ اني قد اطلعتك على عجري وبجري وانا واثق بكرمك و بانك تساعدني بما في طاقتك. فقال اني افعل ذلك عن طيب نفس وسنتكلم الليلة في هذا الموضوع واعدك انني اساعدك بكل طاقتي

فسررت ولاسيما لانني كنت اود ان تنقضي زيارتي واخرج من ذلك البيت لما كنت اراهُ من زوجتهِ من الكراهة والاشمئزاز من وجودي فيهِ . نعم انها لم تعد تظهر لي ذلك بالكلام لانها صارت تخاف من زوجها ولكنها فعلت ما هو اشد ايلاماً في نفس الحر من ذلك وهو انها لم تعد تلتفت اليَّ مطلقاً كاني غير موجود وصارت تبذل جهدها لتجعلني اكرهُ الاقامة هناك وزاد نفورها مني ذلك اليوم حتى كدت اخرج صفر اليدين كرهاً لها. وكثر ورود التلغرافات عليهِ يومئذٍ فدخل غرفتهُ ولم يعد يخرج منها الى المساء وبعد العشاء اقفل الابواب على جاري عادتهِ ومضى بي الى غرفة البلياردو وجلس على كرسي كبير وشرب كاساً كبيرة من المسكر وقال اسمع ما هذه الليلة . وكانت الرياح تعصف عصفاً شديدًا فيسمع لها صفير من خروق الكوى . ثم قال ها نحن وحدنا الآن فتعال اخبرني عن احوالك بالتفصيل التام . فجعلت اشرحها لهُ وهو يقاطعني من وقت الى آخر مستفهماً او معترضاً فيأتي كلامهُ غير مرتبط بالموضوع وثبت لي من ذلك انهُ غير مصغٍ اليَّ او غير فاهم ما اقولهُ لهُ. واخيرًا نهض وطرح طرف السيكار من يدهِ وقال اكتب كل المبالغ التي عليك في ورقة وارني اياها لانني لا افهم من الكلام مثل ما افهم لو رأيت الارقام مكتوبة امامي

فاستحسنتُ هذا الراي ووعدتهُ ان اعمل بهِ ثم قال والآن قد حان وقت النوم والتفت الى الساعة فوجدها واحدةً بعد نصف الليل فصرخ وقال الساعة واحدة قم قم ولكن لا بدَّ لي من ان ارى فهدي اولاً لانَّ هذه العواصف قد اقلقتهُ فهل تاتي معي . فقلت نعم آتي .

فقال اذاً خفف وطأك لان كل احد نائم . فسرنا كلانا ومررنا في بهو الدار وهو مفروش بالبسط الفارسية الى ان بلغنا السرداب وهناك فانوس صغير فيهِ شمعة موقدة فاخذهُ وسار امامي الى ان بلغنا قفص الفهد

وكان الفهد في القفص الداخلي ففتح الباب الخارجي ودخل وقال تعال وانظر ثم رفع الفانوس بيدهِ فلما وقع نورهُ على الفهد نهض وازبأرَّ وظهر عليهِ الاضطراب الشديد فقال لي انظر ما ارهب هذا المنظر ثم لا بدَّ من ان آتيهُ بشيءٍ من الطعام لكي يسكن روعهُ فامسك لي هذا الفانوس. فمسكت الفانوس من يدهِ فخرج وهو يقول طعامهُ قريب ثم اقفل الباب وراءهُ فلما سمعت صوت القفل خفق فؤادي فناديتهُ قائلاً لماذا اقفلت الباب افتح ودعني اخرج. فقال لا لا تخف فان الفانوس معك. فقلت نعم ولكنني لا اريد ان يقفل عليَّ وحدي هنا. فقال حسن ولكنك لا تبقى وحدك طويلاً . فناديتهُ قائلاً ما هذا المزاح البارد افتح الباب حالاً. فضحك ثم سمعتهُ يدير الدولاب (او العجل) ليفتح الباب الذي بيني وبين الفهد فطار عقلي وشاهدت الباب يدخل في الحائط رويداً رويداً فوضعت الفانوس من يدي وامسكت قضبان الباب وحاولت منعهُ عن فتحتهِ ولكنهُ كان مربوطاً بسلاسل من الحديد ملفوفة على الدولاب والدولاب يدار بساعدة طويلة فلم تكن قوتي مهما كانت عظيمة لتوقفهُ لكنني بقيت متشبثاً بهِ بيديَّ وانا اصرخ واستغيث ولا سامع ولا مجيب والرياح تعصف وذلك الوحش الضاري اعني بهِ ابن عمي لا يشفق ولا يرحم وذكَّرتهُ بالقرابة والصداقة وباني ضيف عليهِ ولم اسئ اليهِ قط فكان جوابهُ لي زيادة اجتهادهِ في ادارة الدولاب الى ان قطر الدم من اصابعي ودخل الباب كلهُ في الحائط وسمعت خفق نعلهِ في السرداب فانقطع حبل رجائي وايقنت انني ذاهب فريسة

اما الفهد فبقي في مكانهِ وكأنهُ انذهل من رؤيتي ومن قبضي على حديد الباب وصراخي وكان شاخصاً اليَّ بعينين كأنهما سراجان متقدان فالتفت لامسك الفانوس بيدي حاسباً ان النور يخيفهُ فلم اكد التفت حتى زمجر واحتفز فوقفت في مكاني وقد ارتخت مفاصلي . وكان على نحو خمس خطوات مني وعيناهُ شاخصتان اليَّ فشخصت اليهِ انا ايضاً ولم اعد استطيع ان احوّل نظري عنهُ. ثم جعلت عيناهُ تطرفان فتضيقان تارةً حتى تصيرا كشرارتين كهربائيتين وتتسعان اخرى حتى تصيرا ككرتين من نور او تغمضان حتى لا اعود اراهما. ولم اعلم هل ذهل بنظري اليهِ كما تنذهل الحيوانات احياناً من نظر الانسان اليها في ما يقال او غلب عليهِ النعاس فنام لكنني وقفت ساكناً كالصنم مخافةً ان اتحرَّك فاوقظهُ . وجعلت افكر في امري وما آل

اليهِ وتذكرت قول ذلك الخبيث الذي اوقعني في هذا الشرك وهو ان هذا الحيوان من اشرس الضواري وقد سُدَّت في وجهي ابواب النجاة لاسيما والمكان بعيد عن البيت ولا يسمع احد صراخي منهُ لو ناديت واستغثتُ وزد على ذلك ان الرياح كانت تعصف شديدًا فلا يكون لصوتي اثر مع صوتها

والتفتُّ الى الفانوس فرأيت الشمعة التي فيهِ كادت تحترق كلها ولم يبقَ من عمرها الاَّ عشر دقائق او اقل وحينئذٍ أمسي في ظلام دامس مع وحش مفترس فاقشعر جسمي وارتخت مفاصلي وكاد يغمى عليَّ والتفتُّ يمنة ويسرة لعلي اجد بابًا للنجاة فرأيتُ قضبان الحديد التي في اعلى القفص بينها وبين السقف قدمان فقلت في نفسي اني اذا استطعت ان اصعد الى ما فوقها واقيم بينها وبين السقف لم يبقَ مني معرَّضًا للفهد الاَّ جانب واحد وكان بين القضبان شبكة من الحديد ضيقة الحروب وللحال امسكت بعتب الباب ووثبت وثبة منكرة اوصلتني الى ما فوق القضبان التي في السقف فاستلقيت على جنبي لان المكان لا يسعني لاقف ولا لاقعد. وكأنَّ الفهد استغرب فعلي اكثر مما اغتاظ منهُ فنهض وتمطَّى ووقف على قدميهِ واستند باحدى يديهِ الى الحائط وجعل يضرب الشبكة بكفهِ الاخرى فبلغ مخلب من مخالبهِ ساقي فشق ثيابي وغار في لحمي ولما صرخت من الالم تركني لكنهُ هاج وجعل يعدو في قفصهِ عدوًا سريعًا ويدور حولهُ ويمر تحتي كأنهُ خيال . وذابت الشمعة كلها حينئذٍ وانطفأت فامسيت في الظلام انا والفهد

اذا وقع الانسان في ورطة ورأى انهُ فعل كل ما في وسعهِ للنجاة منها هان عليهِ امرها وتعلق بحبال الرجاء ولو كانت اوهن من خيوط العنكبوت. وقد رأيت انا ان لا منجاة لي الاَّ بالبقاء حيث انا والسكون التام حتى ينسى الفهد اني في قفصهِ وحسبت انهُ لم يبقَ الى الفجر الاَّ ساعتان . وكانت العاصفة لم تزل تعصف واخذت الامطار تهطل ايضًا وكانت رائحة القفص مما لا يطاق فحاولت ان اصرف ذهني عن الحالة التي كنتُ فيها وافكر في امور اخرى فلم استطع فجعلت اتأمل في هذا الرجل وما انطوى عليهِ من الخبث واللؤْم والرياء مما لم أرَ لهُ مثيلاً ورأيت حينئذٍ انهُ يجد لنفسهِ عذرًا عند كل من يبلغهُ خبري بانهُ تركني في غرفة البلياردو وذهب ونام فمضيت انا من نفسي ودخلت مكان الفهد وانا لا اعلم ان باب القفص مفتوح فهجم عليَّ وافترسني . ومهما ارتاب الناس في صدقهِ فما منهم من يستطيع ان يثبت كذبهُ

ومرَّت تانك الساعتان وانا احسبهما سنتين والفهد ينظر اليَّ مرةً بعد اخرى فاري بريق عينيهِ الى ان بدت اول تباشير الصباح فوضح منظرهُ لي رويدًا رويدًا الى ان ظهر جليًا فاذا هو مضطرب جدًّا كأَنَّ البرد والجوع اقلقاهُ وكان يرفع ذنبهُ ويجلد بهِ الارض او يسير مسرعًا في

جوانب الغرفة والقفص وهو شائل بذنبهِ كالعقرب وكان كلما دار مرة يخرخر ويلتفت اليَّ مغضبًا ولم استطع مع كل ما بي من الخوف والجزع ان اغضي عن جمال منظرهِ وما يبدو على اعضائهِ من دلائل القوة والبأس

واشتدَّ البرد في الصباح فجعلت انتفض على قضبان الحديد التي كنت منطرحًا عليها . ثم عدت افكّر في طريق للنجاة فخطر لي انهُ لو امكنني ان اعيد باب القفص الى مكانهِ الاول



وامسكت باب الحديد وجذبتهُ

فافصل بينهُ وبين الغرفة الخارجية لوجدت سبيلاً الى النجاة فمددت يدي رويدًا رويدًا وامسكت بالقضيب البارز من الحائط وجذبتهُ فانجذب على غير ما كنت انتظر فجذبتهُ ايضًا فخرج من الحائط رويدًا رويدًا كأنهُ كان يسير على عجل صغير في اسفلهِ . فجذبتهُ اكثر مما جذبتهُ اولاً وللحال وثب الفهد عليَّ كأنهُ البرق الخاطف حتى لم أرَ الاَّ عينيهِ ولسانهُ وانيابهُ وضرب القضبان التي تحتي ضربةً منكرة فظننت انهُ نزعها من مكانها وطرحها على الارض ولكنهُ اخطأَ في تقدير وثبتهِ فلم تصل مخالبهُ اليَّ فوقع على الارض مغضبًا وجعل يهرُّ ثم ابعد

الى الغرفة واقعى وقزَّ ليثب عليَّ وثبة ثانية. وعلمت انهُ يسدّد وثبتهُ هذه المرَّة حتى لا يخطئني فخلعت سترتي باسرع من لمح البصر ووثبت الى الغرفة وطرحت السترة على راسهِ لكي اشغلهُ بها وامسكت باب الحديد وجذبتهُ ولم اكد اخرجهُ كلهُ من الحائط وادخل القفص لاجعل هذا الباب بيني وبين الفهد حتى رأيتهُ تخلص من السترة ووثب عليَّ وضربني بكفهِ على ساقي فنزع باطنتها (١) وبراها بري القلم لكن الباب أُغلق ورائي وانطرحتُ في القفص والدم ينزف من ساقي وبيني وبين الفهد قضبان من الحديد تقيني منهُ وهو يثب عليها ويلغ في دمي . ثم جعل يمد يدهُ بين القضبان فيبلغ ثيابي ويمزقها . وقد سمعت عن اناس وقعوا في قبضة الوحوش الضارية فلم يعودوا يشعرون بالالم فاصابني ما اصابهم وصرت انظر اليهِ كانهُ يحاول افتراس انسان آخر غيري وانا اراقب ما يتم لهُ من النجاح او الفشل . ثم تولاني الذهول فصرت اشعر كانني في حلم والفهد امامي بوجههِ الاسود ولسانهِ الاحمر ثم غبت عن الصواب ولم افق الاَّ وانا اسمع صوت القفل فالتفت واذا بذلك اللئيم ابن عمي قد فتح الباب الخارجي ولابدَّ من انهُ رأى الفهد رابضاً في الغرفة يلحس شفتيهِ بلسانهِ وانا مطروح في القفص مضرَّج بالدماء وثيابي ممزقة وحولي بركة من الدم فالتفتَ اليَّ اولاً وثانياً ليتبين ما اصابني ثم اغلق الباب وراءهُ ودنا من القفص ليرى هل متُّ او لم ازل في قيد الحياة. ولا اعلم ما جرى حينئذٍ ولكنني رأيتهُ ادار وجههُ عني ونظر الى الفهد وناداهُ باسمهِ "تمي تمي" مناداة التحبب ثم مناداة الزجر وقال لهُ أبعدْ أبعدْ الا تعرف معلمك . وكان ذلك اللعين قد قال لي قبلاً ان طعم الدم يحول الهر اسدًا فتذكرتُ قولهُ على ما كان بي حينئذٍ من ضعف الذاكرة . ثم سمعتهُ يصرخ ويقول لهُ ابعد عني ثم جعل ينادي خادمهُ بولدوين ثم وقع وقام واخذ يختبط مع الفهد وكأني كنتُ اسمع صوت تمزيق كمن يمزق عدلاً ثم رأيت شبحاً مضرَّجاً بالدماء يطوف في الغرفة واغمي عليَّ فلم اعد اسمع شيئاً

ومرَّت عليَّ بضعة اشهر وانا طريح الفراش وحتى الآن لم اشفَ ولن اشفى تماماً ما دمت حيًّا. وقد علمتُ بعد حين ان الخدام سمعوا صراخ سيدهم فاسرعوا اليهِ لكنهم وجدوا الفهد قد افترسهُ ولم يبقِ الاَّ على قليل منهُ فابعدوهُ عنهُ بقضبان محماة من الحديد واطلقوا عليهِ الرصاص فقتلوهُ لكي ينقذوني من مخالبهِ ثم حملوني الى البيت واستدعوا لي جرَّاحاً وممرِّضة فبقيت بضعة ايام بين حي وميت . ولا اتذكَّر مما مرَّ عليَّ في تلك الايام الاَّ ان امرأة طويلة القامة موشَّحة بثياب الحداد دخلت غرفتي مرة ودنت من سريري ففتحت عينيَّ ونظرت اليها

(١) الباطنة بطة الرجل ذكرها الجاحظ في كتاب الحيوان

واذا هي الامرأة الاسبانية زوجة ذلك اللئيم فنظرتْ اليَّ نظر الحب والشفقة وقالت لي هل انت صاحٍ فقلت نعم فقالت اتيتُ لاقول لك كلمة وهي انك انت الجاني على نفسك فانني بذلت جهدي لادعك تمضي من بيتنا بل كنت كأنني اطردك طردًا لكي انجيك من مخالب زوجي لاني كنت عالمة انهُ لم يستدعِك الى بيتهِ الاَّ لمكيدة كادها لك وما من احد ادرى بهِ مني ولم استطع ان اخبرك بذلك صريحًا لانني لو فعلت لقتلني اما الآن وقد نجوت من يدهِ فانت اكبر متفضّل عليَّ لانني نجوتُ منهُ على يدك وما كنت احسب انني انجو الاَّ بالموت . ويسوؤني ما اصابك ولكن اللوم ليس عليَّ وقد قلت لك انك مجنون ففعلتَ فعل المجانين لانك لم تفهم قولي. قالت ذلك وخرجت من الغرفة ولم اعد اراها فانها اخذت نصيبها من تركة زوجها وعادت الى بلادها ودخلت احد الديورة راهبة

وبعد ان نُقلت الى لندن وقال الاطباء انيصرت قادرًا على معاطاة اشغالي ساءني هذا الخبر لانني انتظرت من ورائهِ تقاطر المداينين عليَّ وكان اول من جاء لزيارتي المحامي الذي كنت اوكلهُ في اشغالي واول كلمة قالها " انني مسرور بتقدم سيادتكم نحو الصحة . وقد مضى عليَّ ايام وانا انتظر هذه الفرصة لاقدم فروض التهاني لسيادتكم "

فقلت لهُ ما معناك بهذا الكلام وانت تعلم انهُ ليس الوقت وقت مزاح

"فقال ان معناي ظاهر فانك قد صرت لورد سذرتن منذ ستة اسابيع ولكننا خفنا ان نخبرك قبلاً لئلاَّ تنزعج فيتأخر شفاؤك"

لورد سذرتن من اغنى امراء الانكليز فلم اكد اصدق الخبر ورأيت ان عمي توفي في الوقت الذي أُصبت بهِ فقلتُ للمحامي يظهر ان لورد سذرتن توفي وقتما اصابني ما اصابني فقال "نعم وفي اليوم نفسهِ" وصَمَتْ كانهُ عرف ما في ضميري ولم يشأ ان يكون البادئ في كشف المغطَّى . ثم قال نعم وذلك من غرائب الاتفاق ألا تعلم ان ابن عمك كان الوريث التالي بعدك للورد سذرتن فلو ان الفهد افترسك بدلاً منهُ لكان هو الآن لورد سذرتن . فقلت " بلا ريب " فقال وقد كان ابن عمك مهتمًّا بالامر جدًّا وقد رشا خادم لورد سذرتن حتى يخبرهُ بالتلغراف عن صحتهِ فكان يرسل اليهِ التلغراف بعد التلغراف . افلا تستغرب انهُ كان يهتم بصحتهِ وانت الوريث لا هو. فقلت نعم والآن اكتبْ لي قائمة بما عليَّ من الديون وائتني بدفتر جديد للسفاتج لكي نصلح الماضي ونرى ما نفعل في المستقبل . انتهى

[تنبيه . يرثُ عقار الرجل عند الانكليز ابنهُ الاكبر او اخوهُ الاكبر او اكبر ورثتهِ]

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي كامل

رأيت في جريدة المقتطف الصادرة في الشهر الماضي مقالة تحت عنوان (مثال في الانشاء) مترجمة عن منشآت رديرد كبلنغ الكاتب الشاعر الانكليزي فدعاني ما رأيت فيها ان اكتب هذه المقالة في بلاغة العرب والافرنج والموازنة بينهما بقدر ما تسع هذه العجالة

يتركَّب الكلام البليغ من ثلاثة اجزاء اللفظ والمعنى والموضوع فان كان اللفظ شريفاً غير متنافر ولا خارج عن القياس ولا مبتذل وكان المعنى عجيباً في بابهِ مخترعاً بديعاً وكان الموضوع حسن التصوُّر والتصوير فهناك الكلام البليغ والمنطق الحر الذي تتفاضل الادباء في صوغ آياتهِ وتتنازع الشعراء والكتَّاب في الوصول الى معالي رُقيَّاتهِ

ثم ان ارتباط المعنى باللفظ هو ارتباط الروح بالجسد يضعف بضعفهِ ويقوى بقوتهِ فان ضعف اللفظ عن المعنى الجيد كان كالاشلّ الذي يقعدهُ حالهُ عن النهوض بما تدعوهُ اليهِ روحهُ من العزائم . وان خلا اللفظ من المعنى بقي كالجسد الموات الذي نقص منهُ روحهُ اي نقص كلهُ . وايضاً فالمرجع في المعنى وانتاجهُ الى الفكر والمرجع في تصوير الموضوع الى المخيّلة فكلما كان الفكر عالياً والمخيلة واسعة الرحاب فثمَّ عالم الابداع واي التصوير والاختراع

وقد رأينا فيما وصل الينا من كلام المتقدمين والمتأخرين من فصحاء العرب كلاماً كثيراً استوفى شروط البلاغة هذه في النظم والنثر وكذلك رأينا فيما ترجم الينا من كلام الفرس بلاغات عالية وناهيك بالسعدي والفردوسي وجلال الدين الرومي صاحب المثنوي والخيام المدعو خلّاق المعاني وغيرهم

اما الافرنج فلم يصل الينا شيءٌ من كلامهم يصح ان يوصف بالبلاغة البالغة والفصاحة الفائقة ولو قيس ما وصل الينا من ذلك على ما عند العرب والفرس لوُجد بينهما فرق عظيم وبون جسيم فاما ان يكون للقوم حظ من البلاغة العالية او لا فان كان الاول فاخلق بادبائنا العالمين بلغاتهم ان يترجموا لنا الكثير من اشعارهم ومنشآتهم الفصيحة ومعانيهم المخترعة وتشبيهاتهم فيخدمون هذا اللسان بنقل علومهم الادبية كما خدموهُ بنقل علومهم الطبيعية والرياضية . وان كان الثاني فيجب ان تعلم هذه الحقيقة وهي ان الافرنج مع علو كعبهم في العلوم والصنائع لم يبلغوا مبلغ العرب والفرس في البلاغة

وقد اردت ان ابين هنا بعض الامثلة ايضاحاً لما قدمتهُ من ان ما وصلنا من كلامهم

ومختار اشعارهم ليس من البلاغة في شيءٍ واقارنها بما في معناها من كلام فصحاء العرب حتى يتبين الفرق بالموازنة بينهما

١ — نشرت جريدة المقتطف في شهر مايو سنة ١٨٩٩ قصيدة مختارة لشاعر اسمهُ (رديرد كبلنغ) وصفتهُ بانهُ (رب المنظوم والمنثور عند الامة الانكليزية) وقد ترجمت هذه القصيدة ترجمة حسنة مع حفظ جميع معانيها وها هي بنصها

احملوا حمل الحضاره واضرموا حرب السلام
اشبعوا جوف المجاعه وامنعوا داء السقام
واغمدوا سيف القناعه وانتضوا سيف الخصام
كل جهل وتأنٍ ليس فيهِ من قوام
احملوا حمل الحضاره وانبذوا ما دونهُ
لا تملُّوا فتقولوا عنقهم تبغونهُ
كل قول عندهم بل كل ما تأتونهُ
هو محسوب عليكم ولمن ترجونهُ

ولست ادري اي شيءٍ في هذا الشعر مما يستحسن او يستملح واي معنى فيهِ يدل على فكر سامٍ واي تصور يبدي عن خيالٍ فسيح فيرفع صاحبهُ الى مرتبة البلغاء المجيدين . وقد نشرت الجريدة ايضاً ردًّا عليهِ من شاعر آخر اسمهُ جورج لنتش يذم بهِ تغرير الانسان بقتل الانسان واحداث المفاسد والشرور منها قولهُ

احملوا حمل الحضاره واملكوا املاكنا
وانشرونا في الفيافي واخضدوا اشواكنا
جئتمونا بسموم وخمور تنهكُ
وجحيم يحشر الله بهِ ويهلكُ

ولعمري ان الشعر الاول لا ينبغي ان يرد عليهِ باحسن من الشعر الثاني وها كما قيل

وكلا النوعين لا يصلح الاَّ للحريق

ولو رد عليهِ عربي على لسان ابي الطيب المتنبي لقال

صحبَ الناسُ قبلنا ذا الزمانا . وعناهم في شأنهِ ما عنانا
وتولوا بغصة كلهمْ منهُ وا ن سرَّ بعضهم احيانا
ربما تحسن الصنيعَ لياليهِ ولكن تكدِّرُ الإحسانا

وكأنَّا لم يَرْضَ فينا بريب الدهر حتى اعانهُ من أعانا
كلما انبت الزمانُ قناة ركّب المرء في القناة سنانا
ومُراد النفوس اصغر من أن نتعادَى فيهِ وان نتفانَى
غير ان الفتى يُلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا
ولو أنَّ الحياة تبقى لحي لعددنا اضلّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تكون جبانا
كل ما لم يكن من الصعب في الأنفس سهلٌ فيها اذا هو كانا(١)

٢ — وقد نشرت جريدة المقتطف ايضاً في الشهر الماضي رسالة لكبلنغ يصف بها اخلاق الانجليز والامريكان وقد قرأتها اكثر من مرة فلم اجد فيها الا حديث جماعة نُقل كما لفظهُ كل واحد بعبارتهِ واسلوبهِ . وليس في هذا الشيء من البلاغة التي بينا اركانها ولو وضعت آلة الفونوغراف في مكان فيهِ جماعة يتذاكرون لفاقت على ذلك الكاتب واربت عليهِ في نقل تعبيراتهم كما هي. وما اشبه هذا بما كان يفعلهُ ابو الرقعمق في بغداد اذ كان يخرج اصيل كل يوم الى الجسر فينظر ما يدور بين العامة في مشاجراتهم ومبايعاتهم ومحادثاتهم فينقلهُ في الصحف كما هو ويتلوهُ على الامراء للسمر . وهكذا نرى الافرنج يرمون باغراضهم في الادب الى هذا الاسلوب القصصي ويجعلون عظم عنايتهم في اجادة قص الواقعات لا الى مرامي البلاغة من حيث هي وقد كان هذا الاسلوب القصصي معروفاً عند العرب ولهم فيهِ المؤلفات المعتبرة عند الافرنج انفسهم ككتاب الف ليلة وليلة ومسامرات ابن بنان وغيرها ولكنهم لم يصفوا مؤلفي هذه الكتب بالبلاغة ولا عدوهم في مصاف الفصحاء

٣ — ومن هذا الباب ايضاً ما نشرتهُ جريدة لسان العرب من تعريب قصيدة لفكتور هيجو اشعر شعراء الفرنسيس يرثي بها فتاة ماتت عقيب حفلة رقص وهي بنصها

"كم قد رأينا فتاة حسناء تموت في شرخ صباها وكم قد رأيت قدم الاقدار تدوس زهرات تلك المحاسن والجمال كما يدوس الراقص على ما يتناثر حولهُ من الرياحين والورود تلك سنة الله في خلقه ينضب الماء بكثرة جريهِ ويختفي البرق بعد وميضهِ وتسقط الزهرة بعد ذبولها ويقبل الليل بعد نهارهِ والدنيا وليمة حافلة يجلس حولها الناس افواجاً واكثرهم يقوم وينصرف قبل انتهاء طعامهِ

واني اذكر منهنَّ واحدة كأنها ملاك كريم بجمال محياها وطهارة قلبها وسواد عينيها وبهجة

(١) يقول الامر الشديد انما يصعب على النفس قبل وقوعهِ فاذا وقع سهل

محاسنها ولطف قوامها تظللها وردة الشباب الزاهرة ولا تتجاوز سنو عمرها ايام البدر عند اكتماله قصفتها ايدي المنية في ذلك الشباب الناضر فلم يكن موتها من الحب لانها لم تكن تعرف بعد ما شقاء الغرام بل لم تكن تسمع الا قول الناس ما اجملها ولكنها كانت تحب الرقص كثيراً وهو الذي قتلها و به انطفأ مصباح ذاك الجمال بل كانت تحب الرقص حتى لو مرت اليوم سحابة على قبرها وهي ترقص حول القمر (ما اسخف هذه الخيالات) لرقصت لها عظامها في ذلك القبر

حتى اذا جاءت ليلة الرقص اقبلت تلك الشهيدة الحسناء بين اترابها كانها البدر بين نجومه ودخلت في غمار الراقصين يلاعب الهواء ثيابها كما يلعب النسيم بجناح الفراشة وقد هاجت عواطفها رائحة الزهر وحركت فؤادها نغمات العازفين فلم تعد تبصر مما لديها شيئاً ولم تعد تعلم هل ترقص على الارض ام هي طائرة في السماء

ولما انشق جفن الليل عن مقلة الفجر وسكن عزف الموسيقى وخرجت تلك الصبية الحسناء يلتهب خدها التهاباً و يندى جبينها عرقاً كانه لؤلؤ مرصوف على صفحة هلال قابلتها نسمة الصباح الباردة ومسح صدرها النادي كف الهواء الرطب فامسك خيط تلك الحياة الزاهية واخذ يسلّه من ذلك الجسم النضير فلم تصل الفتاة الى منزلها حتى تناوبها السعال الشديد ثم تلته الحمى القتالة المحرقة تذيب ذلك الجسد كما يذوب الثلج على النار ثم اخذ الموت وديعته الثمينة وقطفت يد المنية تلك الوردة الحمراء فراحت في عنفوان شبابها شهيدة الرقص المضر"

هذه هي تلك القصيدة التي انتجتها فكرة ذلك الشاعر الكبير ولعمري لو تحادث اثنان من وسط الناس بموت تلك الفتاة لما قالا اقل مما في هذه القصيدة . اذ ليس ثمّ معنى غريب ولا اسلوب عجيب مما تمتاز بابداعه الفكر الخارقة والخواطر الشريفة

واين هذا الشعر من قصيدة علي بن العباس بن الرومي وقد قالها في فتاة اسمها (بستان) ماتت كهذه الفتاة عقيب حفلة غناء وهي قصيدة مطوّلة نأتي منها بقوله

يا غضة السن يا صغيرتها امسيت احدى المصائب الكبر
أنّى اختصرت الطريق يا سكني الى لقاء الاكفان والحفر
أبعد ما كنت باب مبتهج للنفس اصبحت باب معتبر
كل ذنوب الزمان مغتفر وذنبهُ فيك غير مغتفر
يا بشراً صاغهُ المصور من نور على سنة من الفطر
بل من شعاع العقول حين ترى الـ غيب بعين الذكاء والعبر

ابكيك بالدمع والدماء بل بالـ ـسهاد بل بالمشيب في الشعرِ
بل بنحول العظام محتقر ذاك وان كان غير محتقرِ
تبتّل العود عند فقدكم وازدجر اللهو اي مزدجر
فان سمعنا لِمزْهر وترًا حنّ فهاتيك عَوْلَة الوتَرِ
لله ما ضُمّنت حفيرتُها من حُسن مرأًى وطيبِ مُختبرِ
اضحت من الساكني حفائرهم سكنى الغوالي مداهنَ الشُّرَرِ
لو علم القبر من أُتيح لهُ لانخفر القبرُ غير مختفرِ

٤ — ومن هذا الباب ايضاً ما عرَّبهُ بعض الادباء من قصيدة لفكتور هوجو المتقدم ذكرهُ اسمها (واترلو) يصف بها موقعة واترلو الشهيرة التي وقعت بين نابوليون الاول وملوك اوربا و يصف فيها نابوليون واقدامهُ وهي

لقد وقع في هذا السهل موقعة كبرى خلط الموت فيها الجيوش فماجت بهِ كما يموج الماء في حوض مفعم وكانت فرنسا في ناحية واوربا تقاتلها في ناحية نخاب ثمة امل الشجعان وحقت عليهِ الواقعة . ابكي على هذه الموقعة وحق لي البكاء اذ هؤُلاء الشجعان كانوا خيرة الرجال وقد فتحوا الارض ودوخوها وطردوا عشرين ملكًا وجازوا جبال الالب ونهر الرين . وقد كانو الى المساء هاجمين ومنتصرين ومضايقين لولنجتون القائد الانجليزي اذ حازوهُ الى الغابة وكان نابوليون والنظارة في يدهِ يقلب نظرهُ تارة في وسط الجيش اذ يراهُ كانهُ حصيد وتارة يتأمل الافق كانهُ البحر في ظلامهِ وبينا كان يؤَمل مقدم الجنرال جروش لنجدتهِ اذ رأى قدوم الجنرال بلوخر عدوهِ فانقطع الرجاء وتغير الامر في الحرب واخذت المدافع الانجليزية تحصد مربعات الفرنسيس واصبح السهل بما فيهِ من الدماء والقتل المستحر كفوهة متقدة تسقط فيها الفيالق كأنها قطع من حائط فلما رأى ذلك نابوليون وادرك الخطر بحذقهِ العجيب وحسن نظرهِ امر جيش الحرس وهو اعظم فيالق الجيش الفرنسوي وعلى رؤُوسهم الخوذ اللامعة بالتقدم فحيوا مليكهم وتقدموا للموت باسمين على انغام الموسيقى فلم يلبث نابوليون حتى نظر الى هؤُلاء الابطال وقد التحموا في الموقعة وصاروا يتساقطون في تلك الفوهة المحرقة صابرين فريقًا بعد فريق حتى لم يبقَ منهم احد وعندها انقطع الرجاء وامر جنودهُ بالتقهقر فانهزم هذا الجند الذي طالما هزم العالم باسرهِ قبلُ (انتهى)

ولعمري ليس في هذه القصيدة من وصف هذه الحرب اكثر مما نراهُ في الجرائد كل يوم من وصف المواقع والمعارك والقواد

ولقد وقفت على رسالة كتبها اثناء رحلتهِ امام الادب وشاعر العرب صاحب السماحة والسيادة السيد محمد توفيق البكري وفيها شيء من الغرض الذي تكلم عنهُ فكتور هوجو في قصيدتهِ المتقدم ذكرها فاردت ذكر ذلك هنا تبياناً لآيات الفصاحة العربية والموازنة بين الشاعرين وقد اتفقا في غرض واحد تقريباً وها هو الذي اقتطفتهُ من تلك الرسالة

"وقد وقفت اليوم سويعات على جدث نبوليون انظر الى الاستكانة بعد الصولة. وقبر في جوفهِ دولة. وصولجان كانت كرتهُ الارض امسى مخراق لاعب. ومقاصير زُينت للسرور دهراً فأمست ملتقى ناعٍ وناعب

أَضحت قبورهمُ من بعد عزهمِ تسفي عليها الصبا والحرْجف الشمَلُ

لا يدفعون هواماً عن وجوههم كانهم خشبٌ بالقاع منجدلُ

سبحانك اللهمَّ وسعدانك . ما أعز شأنك . هذا غلاَّب القياصرة وقهار الجبابرة . يدفع عنهُ سلطانهُ الاقيال والابطال . ولا يدفع عنهُ الارض(٢) والنمال . ذاكم هو الموت الذي لولاهُ لما كان للشجاعة . فضل على الجبن والضراعة . اذ لو أَمن المفؤود الحمام . امسى كفارس خصاف او كبسطام(٣)

وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ

فلا قضى حاجتهُ طالب فؤادهُ يخفق من رعبهِ

نابوليون وما نابليون اسم ترك دوياً في كل قطرٍ . كانما تداول سمع المرء انملهُ العشر .(٤) وجسم شخت نحيف . سرعرع قضيف وفتى من الجند أحدث ملكاً اين منهُ ملك قيصر وكسرى هو كرة الارض قامر بها الرجل فكسبها في ساعة وخسرها في اخرى. ملك جحجاح . قلمس طرماح . شهاد اندية . عقاد الوية . فتاح اسداد . طلاع انجاد . تعلق بهِ اشناق الديات . ولا ينام على ترات . اخو عنجهية يمحو الشر بالشر . كما يتداوى شارب الخمر بالخمر . اسد بترج وخفان . لا يقعقع لهُ بالشنان . كريم الظفر . وكذاك ذو المنة اذا قدر . انما الضعيف الذي ان راى ازمة وهل وان اصاب فرصة قتل . آفق همام . كانهُ من نفسهِ في جيش لهام . فكم حصن ثغر . يحوم منهُ نسر السماء على وكر . تدلى عليهِ مع الظلام كما تدلت عقاب من شماريخ

(٢) الارض هوام صغيرة والنمال جمع نملة

(٣) المفؤود الجبان يعني لو امن الجبان الموت "اصبح شجاعاً مقداماً ولم يبق للشجاعة فضل على الجبن . وفارس خصاف وبسطام بن قيس من شجعان العرب

(٤) يعني ان الدوي الذي تركهُ كالدوي الذي يسمعهُ الانسان اذا سد اذنيهِ باصابعهِ

الاعلام . وكم دولة قلبها . وراية نصبها . وعقبة اقتحمها . وكتيبة التحمها . وصعبة راضها . ولجة خاضها . وكم لهُ في الوقائع من ايام . لا تمحو ذكراها الليالي والايام . أجدّك ما يوم يانا وما رنج باحقر من يوم رَحرَحان . ويوم جبلة بين عبس وذبيان . وكأني انظر اليهِ يوم الزحف وهو على فرس اشق نهد امق . كأنهُ قبة رفعت على رماح . او ان قوائمهُ الاربع اربع الرياح وتحت ابطهِ سيفهُ الذي تقلدتهُ الرقاب مكان الاطواق وحال حتى بين القلوب والاشواق . تخالهُ الحارس على النعامة . وعمرًا في يدهِ الصمصامة وقد انبسط امامهُ السهل والصحصحان . وارتفعت القنن الخضراء والرعان . وقد تراءى الصفان . وتلاقى الكتيبتان . وهو في صف . والامم جمعاء امامهُ في صف . وقد ماج بهم كل نجد وقاع . كما يموج الغيل بالسباع . يبرق على اكتافهم الوشيج والمران . والاسل والخرصان كأنهم ليوث وهي انياب . او انهم عقارب شائلات الاذناب . وعلى صدورهم دروع كما تجعد الماء . وتقلبت الحية العرماء . وثم المجانيق جثى كالابل برَكت على ثفناتها . والقدور تلظى على اثفياتها . ثم حمَّ القتال . فزلزلت الاقدام . وطارت فراش الهام . ووقعت الاسنة على المغافر . وبلغت القلوب الحناجر . فلا ترى الاَّ المنجنيق يحكي زئير الاسد في البيداء . ويرسم اقواس قزح في السماء وعجاجًا خلا لهُ القواضب والخرصان . كالنجوم في الليل والشرر في الدخان . وجنودًا تبدو وتخفى في الدماء . كأنها صور الفوارس في كؤُوس الصهباء . وطعنًا وحيًّا يُعْدِم . قبل ان يؤلِم . كل طعنة نجلاء . كما تنهز في جمة الطوي الدلاء . وسيوفًا تهاوى كأنها ورق الشجر هزه سقوط المطر . تنثر الرؤُوس نثر الجمان كأنما تنفر طيرًا كن وقوعًا على الابدان . ولا شيء الاَّ اشلاء ممزقة . وجاجيء مخرَّقة . وجماجم على الرماح كأنها همزات على الفات . ودماء احمرَّ بها كل سهل وجبل . كان في خد الارض منها خجل . هذا وهو يخطر بين الصفين . ويهرول بين العدوتين . ويصول كالليث عاديًا . والقوم دونهُ كالكروان ابصرن بازيًا . يرعف حولهُ الحديد الاخضر . بالنجيع الاحمر . ويلتقي في الوقدة الرمح بالرمح . كما يلتقي في الرقدة الهدب . بالهدب . ويدنو ويبعد حولهُ الصفان . وهو ثبت كانهُ خنذيذة من كتفي ثهلان . حتى يتجلى لهُ النصر من وراء ذاك القتام . كما تتجلى الشمس من خلل الغمام . وما برح هكذا في فتوح يتبعها فتوح . وغبوق من الظفر يتلوهُ صبوح . وسير . لا يزال معقودًا بناصيتهِ الخير . حتى اراد الله خذلانهُ فسار لقتال الروس . في يوم قمطرير عبوس . فقهرهم وفقد جندهُ فأمسى هو المقهور . كآنية الزجاج تقابلت والكل كاسر مكسور . ويا سرعان ما تألبت عليهِ الاعداء . حتى ازالت دولتهُ الشماء . فغابت مغيب الشمس في كفن من الدماء . ثم استرجعها حفيدهُ بعد الذهاب . وحفظ

من نور ذلك المجد بقدر ما يحفظ القمر نور الشمس بعد الغياب . على انهُ قلما يقبل الأمر بعد ادباره . فانها ما نشبت أن ذهبت على آثاره

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم أحلام

اما نابليون فأضحى بعد الهزيمة ولا جنود ولا أعلام . كصنم الجاهلية في زمن الاسلام . كان بالامس ربًّا . فاصبح حجرًا صالبا . واعتقل في جزيرة قاصية . وصخرة في جوف البحر نائية . قضى فيها آخر عمره . ولا رفيق لهُ غير نحره . وكأني بهِ وقد وقف بقامتهِ القصيرة . على قنة من قنن الجزيرة . ينزه الفكر . في امواج البحر . فرأى خيالهُ وقد طال على لججهِ وامتد بعيدًا على ثبجهِ . فشبهَ قامتهُ وهذا الخيال . بحالتهِ اليوم وما كان فيهِ من الدولة والاقبال . ثم انهُ قضى هناك . فدفن في حفرة بين الغضا والاراك

ومن ضاقت الارض عن نفسهِ حرًى ان يضيق بها جسمهُ

وبقي ثمة الى ان نقلهُ القوم . الى ضريحهِ الذي رأيتهُ مذ اليوم . فسبحان الذي بيدهِ ملكوت كل شيءٍ واليهِ ترجعون

٥ — وقد نشر نجيب افندي الحداد تعريب قصيدة اخرى لفكتور هوكو الشاعر الشهير (نظمها بعنوان نابوليون الثاني ووصف بها ميلاد هذا الطفل) وما كان يرجى لهُ من سعد الطالع ثم ما صار اليهِ حالهُ وهي " في العام الحادي عشر من بداية هذا القرن كانت شعوب لا تحصى وامم لا عدد لها تحدق بقصر اللوفر الكبير احداق الغمام وهي تنظر اليهِ بعين التأمل وتتطلع نحوهُ بقلب المؤمل والقصر في وسطها كأنهُ طور التجلي تلمع من خلالهِ بروق الاقبال وتظلل اعالي شرفاتهِ سحائب الآمال والناس تموج من حولهِ افواجًا ويقول بعضهم لبعض سيولد لنا اليوم مولود عظيم واليوم تنتظر الدولة العظمى ميلاد وارثها فماذا عسى يرزق الله نابوليون الكبير ومن سيكون ولي عهد لهذا الرجل العظيم الذي هو اكبر من قيصر واعظم من روما وقد جمع في يديهِ مستقبل الشعوب وازمة الممالك وعنان الدنيا يصرفهُ كما يشاء ويقلب كرة الارض على بنانهِ كما يريد . وبينما هم يتساءلون عن ذلك النبإ العظيم انفتحت شرفة القصر كما ينفرج الغمام وظهر على الشعب ذلك الرجل العظيم كأنهُ يطل على الدنيا باسرها ويشارف العالم بافكارهِ من رفعتهِ وجلال قدرهِ فخفقت عند ذلك الاصوات وعنت الوجوه وسكتت الالسنة ثم ارتفعت الابصار لتنظر ما يحمل لها ذلك الجبار بين يديهِ من بشرى ولاية عهدهِ واذا بها قد اطرقت هيبة واجلالاً لطفل صغير كان يحملهُ الامبراطور على ذراعيهِ كأنهُ يبشر بهِ الارض باسرها ولم يكد ذلك الطفل يظهر للوجود حتى خفقت

لانفاسهِ الضعيفة رايات البلاد كانها تخفق تحت ريح عاصفة وحتى دوت لاهلالهِ وصوت بكائهِ افواه المدافع الهائلة وهو بين يدي ابيهِ كانهُ كوكب دري تحملهُ شمس منيرة من المجد والفخر. ولما اظهر الوالد مولودهُ لكل تلك الشعوب ورآهُ تعنو لهُ عوالي الرؤوس والتيجان اخذتهُ عزة الملك وتولاهُ زهو الرئاسة والمجد ونظر الى الدنيا وهو في ابهة نصرهِ وجلالهِ كما ينظر النسر الى ما تحت معقلهِ من الهضاب وصاح بصوت المنتصر الظافر. المستقبل لي

فاجابهُ صوت الشاعر من وحي الغيب لا يا مولاي ليس المستقبل لاحد ان المستقبل لله فلا يغرنك ما ترى من عظمة الدنيا ومجد الملك وعزة الانتصار و بهاء التيجان ونيل المطامع والآمال فان كل ذلك وهم باطل وظل زائل لا يخيم على فؤاد صاحبهِ الاَّ كما تخيم السحابة السارية في كبد السماء وانت ايها المستقبل الذي ندعوك بالغد وتسير وايانا جنباً الى جنب مهما كان الانسان عظيماً ومهما كان التماسهُ منك شديداً لا يقدر ان يعرف منك شيئاً قبل حينهِ ولا يمكن ان تنفرج شفتاك عن الخبر اليقين الا متى آن اوانه والعلم لله انما الغد شيءٌ عظيم لان الغد شيءٌ خفي مستتر لا يعرف كنهه احد ولا نقدر ان تدركه مقلة انسان بل هو الارض الواسعة يلقي فيها المرء بذار آمالهِ والله ادرى متى يكون نباتها ومتى تجنى منها الثمار. انت تقدر يا مولاي ان تفتح المدائن وتدوسها بحوافر جوادك ولكنك لا تقدر ان تأخذ الغد من الله

ان في تصاريف الدهر لعبرة لقد ولد ذلك الطفل فكان اول تيجانهِ وهو في المهد تاج رومة واول القابهِ ملك الرومانيين ولقد جمع لهُ ابوهُ آثار المفاخر ومجد المعارك وصنع لهُ وجه الدنيا على ما يريد كما يصنع الصانع قوام التمثال ووضع امامهُ فرنسا كأساً ملؤها الرجاء والآمال ولكنهُ قبل ان يمس تلك الكأس اقبل فارس الدهر بجوادهِ فخطفهُ من مهد جلالهِ واردفهُ في مؤخر سرجهِ"

هذه هي قصيدة الشاعر الفرنساوي وقد رايت في كتاب صهاريج اللؤلؤ وهو مشتمل على رسائل سماحة السيد البكري رسالة في هذا المعنى نصها

"كتابي الى المولى الهمام من قاهرة المعز وانا في شوق اليهِ كشوق عكرمة (٥) غاب عنها الفها فاستقبلت سهيل. وقطعت بالانين جواشن الليل. بكاء ولا دمع. كدجن ولا همع. واصوات لا نعرف معناها. ولا نجهل شجاها. وجوى كالقبس يتقد مع كل ظلام. فيهتاج لهُ ساكن الحمام. وبعد فقد جاءني كتاب السيد فبرقت الاسرَّة بشراً بالمولود. الذي سلهُ الله من الغيب سل المهند المغمود. فيا لهُ من قسور غاب في شبل. وباقعة نقاب (٦) في طفل.

(٥) العكرمة الحمامة (٦) أي ذو معرفة مجرب

كالنخلة العيدانة [٧] في النواة . والكتاب المؤلف في الدواة . قد كمن فيهِ العرف والنكر كمين الرحيق في العنقود . والحريق في العود . درة من الشرف . تفلق عنها الصدف . وكوكب من دراري معدّ تفتق عنهُ الغمام . وزهرة من دوحة لؤي تفتح عنها الكمام . عالم كبير . في شخص صغير . كالشمس في الماويّه [٨] والارض في مصوَّر الجغرافيّه . ومعنى حصير . في لفظ قصير . كعنوان الكتاب وفذلكة الحساب . تنقل في الاصلاب من آبائهِ الاوائل . كأنهُ القمر تنقل في المنازل . الى ان خرج للوجود خروج المزن . من الدجن . خير عام . للأنام . فياله من أمير . سريره سرير . كالنجم صغير كبير . ان قلنا لهُ يا ابن خير ام واب . فقد سميناه للعجم والعرب . صغير وهو الأول قدرا . كما يُبتدى في العد بالاصبع الصغرى . وكأني بهِ وقد شدا ان شاء الله تعالى يلعب بالكرة . كما يلعب الصبي بالكرة . ان نطق فامرؤ القيس او اقدم فبسطام ابن قيس . وكأني انظر لهُ وقد شهد الاندية . وعقد الالوية وحمي العشير . وجبر الكسير

وافتنَّ فيهِ الناظرون فإصبع يومى اليهِ بها وعين تنظرُ

وكيف لا يكون كذلك وهو سليل بيت مجيد . ابدع فيهِ معنى العلى حتى حسبناهُ بيت قصيد . شجرة خضراء . اصلها ثابت وفرعها في السماء وكذا كم ان طاب الشجر . طاب الثمر . وقد نجلهُ والد جليل . في رتبة بين الغفر والاكليل . عذيق مرجّب . لو رآهُ النابغة ما قال اي الرجال المهذّب . طبن لو ناظرهُ العربي صار اعجميًا . ولو ناظرهُ الاعجمي صار عربيًا . اهدي الى طرقات الفضل . من دُعَيْميص الرملِ [٩] .سميذع شراب بانقاع . جليسه جليس قعقاع [١٠]

وادعٌ يلعب بالدهر اذا جدَّ في اكرومة قلت هزلْ

هذا وقد اشار عليَّ السيد حفظهُ الله في كتابهِ بترك العمل برهة . والفراغ للنقلة والنزهة . ترويحًا للنفس من كلف القراطيس والمحابر . الى بلهنية الرياض والازاهر . ولعمري قديمًا قلت لهذا الفكر الى كم تحيي الظلام . وتحرق نفسك ليل التمام . اما آن للنضو الطليح . ان يستريح . فقال اليك عني انما انا نبراس . أحترق لكي يستضيء الناس " انتهى

اللهم ان هذه هي الموهبة العظمى التي يهبها الله لمن شاء من عباده والبلاغة العالية التي تزل دونها الاقدام وتتقاصر عندها الاقلام ومن تأمل في جميع ما اوردنا هنا من فصاحات العرب وقاسهُ على ما ذكرناهُ لبلغاء الافرنج وجد الفرق واضحًا والتناسب بعيدًا وهذا ما اردنا بيانهُ والله اعلم

---

(٧) العيدانة العظيمة (٨) المرآة

(٩) دعيميص الرمل دليل مشهور بمعرفة الطرق عند العرب

(١٠) قعقاع هو قعقاع بن شور ويضرب بجليسهِ المثل وفي الشعر (ولا يشقى لقعقاع جليس)

مستقبل النيل

بينما ارباب الزراعة في هذا القطر يضربون اخماساً لاسداس لا يعلمون ما يكون من امر النيل هذا العام ومقدار ما يتركونهُ من الارض للزراعة الصيفية ومهندسو الري اشد حيرةً منهم لا هم يجسرون ان يحددوا مقدار ما يمكن ان يزرع زراعة صيفية ولا هم يستحلون ترك الفلاحين وشأنهم يزرعون زرعاً لا يمكن ريهُ كلهُ فييبس بعضهُ عطشاً بعد ان يكون قد ضاع فيهِ جانب من ماء الري ويتلف البعض الآخر لقلة الماء . وهؤُلاء وأُولئك يودون لو شرعت الحكومة في انشاء الخزان منذ بضعة اعوام واتمتهُ الآن حتى تخزن فيهِ من ماء الفيضان ما يفي بحاجة الزراعة ايام التحاريق والمضاربون يخوفون التجار والحاكة من قلة الموسم المقبل ويرفعون ثمن القطن حتى اوصلوهُ الى ثلاثة عشر ريالاً نهض المهندس ولكوكس وقال ان جانباً كبيراً من الماء الذي يصبُّ في النيل مُنع الآن عن الجري اليهِ بواسطة سدود من الاتيّ والاعشاب تجمعت في مجاري النيل البعيدة بين الدرجة السابعة والتاسعة من العرض الشمالي فجعلت مياههُ تفيض على ما حولها من البطائح وان هذه السدود حادثة لم تكن قبل سنة ١٨٦٣ فاذا ازيلت الآن غزر الماء زمن التحاريق المقبل وبكَّر الفيضان عن ميعادهِ

وقد رأينا ان نترجم اكثر ما قالهُ في هذا الصدد لان الحكومة المصرية احلَّتهُ محل الاعتبار وسمحت بعشرة آلاف جنيه لامتحانهِ وارسل اللورد كتشنر حاكم السودان اربع بوارج حربية وسفناً نيلية عليها نحو الفي رجل ومعهم ما يلزم من الادوات لفتح المجرى الذي اقرَّت الحكومة على فتحهِ في السد تسهيلاً لمرور المياه الى البحر الابيض

وقد بدأَ المستر ولكوكس رسالتهُ بالكلام على وطوء الفيضان هذا العام فقال " لقد كان فيضان النيل هذا العام واطئاً جدًّا وجرى على اسلوب غير عاديّ . ومن المحتمل ان يكون ذلك ناتجاً عن تعاظم السدود (في اعالي النيل) وقد قيس ارتفاع النيل في الخرطوم في الفيضانين الواطئين فيضان سنة ١٨٧٧ وفيضان سنة ١٨٩٩ ففي سنة ١٨٧٨ لمَّا لم يكن السد موجودًا كانت فائدة البحر الابيض في تعديل الفيضان واضحة جدًّا اما في سنة ١٨٩٩ فكان الفيضان في الخرطوم سريعاً قصير المدَّة . وقد اصاب السر وليم غارستن في ما قالهُ من ان السد لا يؤَثر في الارتفاع الذي يبلغ اليهِ الفيضان في مصر لان هذا الارتفاع موقوف على البحر الازرق ونهر الاتبرة . ولكن السد قد يؤَثر في طول الزمن الذي يبقاهُ الفيضان الواطئ ويكون تأثيرهُ اعظم اذا فعل بماء النيل الصيفي لان نيل فكتوريا (الذي يمدُّ البحر الابيض)

يمرُّ في مستنقعات مسافة ٢٥٠ كيلومترًا وعمقهُ نحو خمسة امتار ويبقى ضمن ضفتيه وقتما يكون الماء على اقلهِ ولكن اذا كان في مجراهُ سدٌّ سمكهُ متر ونصف متر فاض على ما حولهُ وخسرهُ النيل واذا كانت الحال كذلك في بحر الجبل فوق بحيرة نو حيث عمق الماء خمسة امتار فما تكون الحال تحت تلك البحيرة حيث عمق النهر متران فقط وحيث ينبسط الماء فيكثر التبخر منهُ

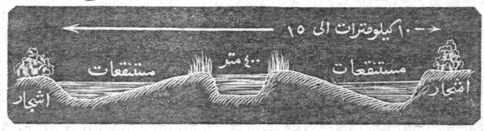
وتكون ضفاف فروع النيل في البطائح والمستنقعات التي هناك مغطاةً بنبات البردي وغيرهِ من النباتات المائية التي تعلق بها الاعشاب الجارية مع الماء . ففي زمن الفيضان العالي تكون الاعشاب الآتية مع الماء من اوغندا وجهات بحيرة البرت كثيرة جدًّا فاذا فاضت مياه النهر على ضفتيهِ ضعف مجراهُ عن السير بها فتعلق هذه الاعشاب بالبردي وغيرهِ من النباتات النابتة فتتراكم وتتلبَّد ويصير منها السد . وكل نبات يتأَلف منهُ السد يساعد غيرهُ على تصفية الماء وهو لا يعيش الاَّ في الماء الصافي فاذا استعملت واسطة لجلب الماء العكر الى هناك ماتت النباتات الطافية واذا زرع شجر الصفاف تغلَّب على تلك النباتات ايضًا . ولم يذكر قطُّ ان السدَّ كان موجودًا في البحر الابيض قبل سنة ١٨٦٣ ولم يذكر ايضًا ان الفيضان كان واطئًا في سنة من السنين كما كان واطئًا سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٩٩ "

وفي كلام المستر ولكوكس الاخير نظر لان مقاييس النيل قديمة من عهد المصريين القدماء وقد ذكر مؤرخو العرب ارتفاع الفيضان في اكثر من الف سنة منذ نزولهم هذا القطر ويُرَى في ما ذكروهُ ان الفيضان قصر مرارًا كثيرة كما قصر هذه السنة وسنة ١٨٧٧ ففي سنة ١٨٣٣ بلغ الفيضان ١٨ ذراعًا و ٢٣ قيراطًا وتأَخر في الزيادة واسرع في التنازل وروى ربع اراضي الاقاليم الوسطى والخُمْس من اراضي اسيوط وجرجا وروى النباري فقط بمديريتي قنا واسنا . وسنة ١٧٨٣ بلغ الفيضان ١٨ ذراعًا وقيراطين وهبط سريعًا وشرقت الاراضي القبلية والبحرية وغلا سعر القمح حتى بلغ ثمن الاردب عشرة ريالات . وبلغ في السنة التالية ١٨ ذراعًا و ١٢ قيراطًا فقط واشتدَّ الغلاء . وسنة ١٧١٥ و١٧١٦ بلغ الفيضان ١٦ ذراعًا فقط نقل ذلك علي باشا مبارك عمَّا ذكرهُ قولنه في سياحتهِ . وسنة ١٦٥٠ بلغ الفيضان ١٦ ذراعًا ايضًا فشرق ثلثا ارض الصعيد وسنة ١٦٤١ بلغ ١٥ ذراعًا فقط وفتح السد بدون وفاء ووقع القحط والغلاء وكذلك سنة ١٤٤٩ وقف الفيضان على ١٥ ذراعًا و ٧ قراريط فوقع الغلاء وعمَّ البلاء وبيع اردب القمح بسبعة دنانير . وسنة ١٢٩٦ وقف على ١٥ ذراعًا و١٨ قيراطًا وعمَّ القحط واكل الناس الخيل والقطط والكلاب . وسنة ١٢٠١ بلغ الفيضان ١٥ ذراعًا و١٦ قيراطًا فوقع الغلاء والوباء واكل الناس بعضهم بعضًا ومات ثلاثة ارباع اهالي الاقاليم الخ

ولعلَّ المقاييس الاخيرة من سنة ١٧١٥ فما قبلها لم يكن حسابها مثل الحساب الجاري الآن

فان كان الاسلوب الذي جرى فيهِ فيضان هذا العام ناتجاً عن وجود السدود في اعالي النيل فلا يبعد ان تكون السدود قديمة جدًّا لان النيل جرى على هذا الاسلوب مرارًا كثيرة في السنين الغابرة

ثم قال المستر واكوكس " ان اول من وصف النيل بين فشودا وكندكرو هو ورن الذي رافق حملة دارنو التي ارسلها محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ وقد وجدت هذه الحملة ان الملاحة ممكنة في البحر الابيض وبحر الجبل بين دسمبر ومارس (انظر الشكل الثاني) وكان عرض بحر الجبل بين الدرجة السابعة والتاسعة اربع مئة متر وعمقهُ خمسة امتار وسرعتهُ نحو نصف متر في الثانية من الزمان . ومن اغرب ما في هذا الوصف انهُ لم يذكر فيهِ بحر الزراف مع انهُ ذُكر فيهِ نهر السُّبَت وبحر الغزال وانهر اخرى صغيرة لان المياه كانت محصورة في مجرى واحد وكان قطع النهر بين الدرجة السابعة والتاسعة كما نرى في هذه الصورة (فترى قطع النهر في وسطها



الشكل الاول

والمستنقعات على جانبيهِ) . وفي الشتاء ينحط منسوب الماء ٦٠ سنتمترًا عن متوسط ارتفاعهِ ويعلو وقت الفيضان ٦٠ سنتمترًا . ويكون في المستنقعات مياه آسنة تمتزج بمياه الفيضان في اولهِ . وكان بين مجرى النهر والمستنقعات مخارج كثيرة بعضها طبيعي وبعضها صناعي حفرها السكان لاجل الصيد فاذا جرى الماء من النهر الى هذه المستنقعات على جانبيهِ رسب ما فيهِ من الطمي . وقد جاء في الصفحة ١٠٠ من المجلد الثاني من تقرير تلك الحملة ان لا صحة لما قيل من ان الاهالي سدُّوا النهر (بين الدرجة ٦ و ٩) ليمنعوها من الرجوع " . ويظهر من ذلك ان الاهالي كانوا سنة ١٨٤٠ قادرين على سد النهر كما كانوا يتحكمون بالمجاري الجانبية بواسطة اوتاد كبيرة يغرسونها في الارض لكي يحجزوا بها الماء ويصيدوا السمك منهُ

ثم زادت الحملات في النيل بين سنة ١٨٤١ و١٨٦٣ وجار النخاسون على الاهالي فلا يبعد ان يكون الاهالي انتبهوا حينئذٍ الى توسيع المجاري الجانبية وتعميقها لكي يزيد جريان الماء فيها ويقل ماءُ النهر فينجوا من الصاعدين فيهِ . ثم لما ارسلت الحكومة المصرية سفنها لمنع

النخاسة جعل النخاسون يسيرون في هذه المجاري الجانبية وصارت تصل كلها ببحر الزراف وصارت الملاحة في هذا البحر ممكنة وقد سار بشنك في القسم الاسفل منهُ بين سنة ١٨٥٣ و١٨٦٣ وكان يوصف بوجود السدود فيهِ خلاف بحر الجبل الذي لم يكن فيهِ سد وبقي الماء يتبدَّد منهُ الى سنة ١٨٦٣ وحينئذٍ كان الفيضان عظيماً وكانت المواد التي حملها الماء من الانحاء الجنوبية كثيرة جدًّا فساحت المياه من كل ناحية وعلقت المواد التي كانت تحملها بما على جانبي النهر من النبات فسدَّتهُ تحت بحيرة نو (انظر الشكل الثاني في آخر هذه المقالة)

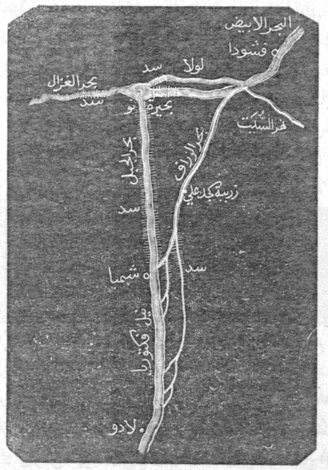
ولما صعد السر صموئيل باكر في البحر الابيض وبحر الجبل في شهر يناير سنة ١٨٦٣ وجد الطريق مفتوحاً الى الجنوب لا سدَّ فيهِ ولما عاد في شهر ابريل سنة ١٨٦٥ وجد السد الذي نتج عن فيضان سنة ١٨٦٣ لم يزل في البحر الابيض تحت بحيرة نو وكان طولهُ الف متر وفيهِ ثغرة على طولهِ عرضها ٣ امتار يجري فيها الماء

وفي شهر فبراير من شهور سنة ١٨٦٩ سار الدكتور شوينفورث ورفاقهُ الى بحر الغزال فلزم لهم ستة ايام حتى قطعوا هذا السد مع ان القسم المنيع منهُ لم يكن طولهُ سوى ٢٠٠ متر وفي الثاني من شهر يوليو كان الدكتور شوينفورث راجعاً فوجد السد تحت بحيرة نو ووصف الثغرة التي فيهِ وقال "ان الماء يجري فيها جرياً سريعاً وعرضها من مترين الى ثلاثة وهي عميقة لم تبلغ السفينة قاعها"

وسنة ١٨٧٠ وجد السر صموئيل باكر ان سفينتهُ لا تستطيع ان تقطع السد في البحر الابيض ووجد بحر الزراف مسدوداً ايضاً مسافة مئة كيلومتر من اولهِ ولم يستطع السير فيهِ مع ان النخاسين كانوا يسيرون. وعاد السر صموئيل باكر في يناير سنة ١٨٧١ الى زريبة حك علي على بحر الزراف فوجد امامهُ مئة كيلومتر من السد ففتح فيهِ طريقاً بمعونة ١٢٠٠ رجل واتمهُ في الثالث عشر من شهر مارس. وكان الانحدار من بحر الجبل الى بحر الزراف عظيماً فاضطرَّ ان يقيم سدًّا طولهُ ١٢٠ متراً قطع بهِ بحر الزراف حتى تيسر لسفنهِ السير الى نيل فكتوريا. ولما عاد وجد ان الماء قد وسع الخرق الذي فتحهُ فسهل السير فيهِ. وسنة ١٨٧٤ كان الماء واطئاً فازال اسمعيل باشا ايوب السد من بحر الجبل. ومن سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٧٨ كان بحر الجبل خالياً من السد ولكن المجرى الذي كان واسعاً سنة ١٨٤٠ صار ضيقاً جدًّا لا يزيد عرضهُ على ستة امتار لان المياه كانت تجري منهُ الى بحر الزراف فلم يعد الماء الجاري فيهِ (في بحر الجبل) كافياً لحفظ مجراهُ ثم لما جاء الفيضان العظيم سنة ١٨٧٨ انسدَّ ثانية وسنة ١٨٨٠ كان بحر الغزال مسدوداً فقطع مرنو السد منهُ ومن بحر الجبل وقال ان

قطعةُ سهل . وقال امين باشا ان بحر الجبل والبحر الابيض كانا خاليين من السد ولكن السفن لم تصعد من الخرطوم الى لادو سنة ١٨٨٤ بسببِ الثورة

وسنة ١٨٩٨ وجد اللورد كتشنر بحر الجبل مسدودًا وفي شهر مارس سنة ١٨٩٩ سار سبار كس بك في بحر الزراف فوجد طول السد ثلاثين كيلو مترًا فقط . ووجد السر وليم



الشكل الثاني

غارستن ان المجرى اقوى في بحر الزراف منهُ في بحر الجبل وبحر الغزال. ونزل الكولونل مارتر الى نيل فكتوريا من اوغندا فوجد بحر الجبل مسدودًا مسافة ٤٠ كيلو مترًا شمالي شمبا. ولذلك يبلغ طول السد في بحر الجبل الآن ٢٥٠ كيلو مترًا وفي بحر الزراف ٣٠ كيلو مترًا

ووصف سبراكس بك بحر الزراف في شهر مارس الماضي بان عرضهُ ٤٠٠ مترٍ وعمقهُ من مترين ونصف الى ٣ وسرعتهُ نحو متر في الثانية في بعض انحائهِ

وخلاصة ما تقدَّم ان بحر الجبل الذي كانت مياه نيل فكتوريا تجري فيهِ كلها الى البحر

الابيض سنة ١٨٤٠ وكان عرضهُ ٤٠٠ متر وعمقهُ خمسة امتار قد ضاق جداً الآن مسافة ٢٥٠ كيلومترًا وصار جانب كبير من مياه نيل فكتوريا يجري في بحر الزراف الى البحر الابيض فقام مقام بحر الجبل ونتج عن ذلك ان ضاقت بحيرة نو بعد ان كانت واسعة جداً سنة ١٨٤٠ واضحت مستنقعاً . والفرع الذي يصل بحيرة نو بالبحر الابيض كاد يزول . وصار بحر الغزال يجري بحر لولا الى البحر الابيض

وقد ارتأى المستر ولكوكس ان يزال السد من بحر الزراف في هذا الشهر (يناير) والذي يليهِ وازالتهُ في هذا العام اسهل منها في غيرهِ لا سيما وان طولهُ ثلاثون كيلومترًا فقط فيفتح الطريق لماء نيل فكتوريا حتى يجري الى البحر الابيض . ثم يسهل سد بحر الجبل بسد قوي وسد المخارج الجانبية بين لادو وشمبا وحينئذٍ يصير الماء يجري توًّا من نيل فكتوريا الى البحر الابيض ببحر الزراف فيزيد بهِ الماء الصيفي ويبكّر الفيضان. قال وقد تمكّن السر صموئيل باكر بمساعدة ١٢٠٠ رجل ان يفتح السد من بحر الزراف مسافة ١٠٠ كيلومتر حينما كان قليل الماء فاحرِ بالحكومة المصرية الآن ان تزيل منهُ سدًّا طولهُ ٣٠ كيلومترًا فقط وهو كثير الماء يساعدها بجريان مائهِ على ازالة هذا السد

ثم قدّر نفقات ١٢٠٠ جندي يعملون ثلاثة اشهر في ازالة السد ٦٠٠٠ جنيه ونفقات ٢٠ سفينة صغيرة ٦٠٠ جنيه ونفقات ثلاث بواخر ٩٠٠ جنيه ومواد العمل ٢٠٠٠ جنيه وجملة ذلك ٩٥٠٠ جنيه وقدّر نفقات اقامة السد في بحر الجبل خمسة آلاف جنيه اخرى والنفقات التي قد تمسّ الحاجة اليها ٥٠٠٠ جنيه والجملة ٢٠٠٠٠ جنيه . والظاهر ان الحكومة المصرية اقرّت الآن على ازالة السد من بحر الزراف وسمحت بعشرة آلاف جنيه لذلك . واشار المستر ولكوكس باعمال عظيمة لمنع السد في المستقبل ورفع ضفتي نيل فكتوريا وبحر الزراف الى مصب نهر السُّبَت فيزيد الماء الوارد الى اصوان ٢٠٠ متر مكعب في الثانية مدة الصيف اي قدر ثلاثة اخماس المياه التي ترد من خزان اصوان وتصير الملاحة ممكنة في النيل حتى الدرجة الخامسة من العرض الشمالي ويتنقّى النيل من الماء الاخضر في شهر مايو ويونيو واذا لزم الامر امكن انشاء سدود في مخارج البحيرات الاستوائية يتضاعف بها الماء الصيفي او يصير ثلاثة اضعاف الى ان قال . وخليق بالحكومة المصرية ان تعمل ذلك ولو بلغت نفقات عملهِ ستة ملايين من الجنيهات واذا لم تستفد مصر من مياه نيل فكتوريا فلا فائدة مما انفقتهُ على فتح السودان من المال والرجال . ولا فائدة للسودان بغير مياه نيل فكتوريا ولكنهُ يكون بها كنزًا لا يثمَّن



تعليم الزراعة

من الاقوال المأثورة ان الفلاح اجهل الناس وهو كذلك في اكثر البلدان. وقد رسخ في الاذهان ان الفلاحة لا تقتضي علماً ولا معرفة وغاية ما تقتضيهِ ان يكون الرجل قادراً على شد الثيران الى المحراث وسوقها وقت حرث الارض وبذر البذار فيها وريها ونحو ذلك من الاعمال التي يعملها الفلاحون عادةً ويتعلمها الواحد منهم من ابيهِ. وكانوا يكتفون بهذه الاعمال وهذه المعرفة لمَّا كان الفلاَّح لا يقصد من الفلاحة الاَّ استغلال ما يقوم بطعامهِ وكسائهِ وقد رأينا الفلاحين في اماكن كثيرة لا همَّ لهم الاَّ ان يستغلوا من القمح والذرة ما يمونهم ومن القطن والصوف ما ينسجون منهُ ثيابهم فان انتجت الارض اكثر من حاجتهم ومما يلزم لدفع الضرائب تركوهُ للفقير والبائس وان انتجت اقل مما يحتاجون اليهِ قترّوا في ما عندهم الى العام المقبل. لكن التجارة وطلب الكماليات وتقاضي الحكومة اموالها نقوداً كل ذلك دعا الفلاح الى زيادة الاعتناء ليستغلَّ من الارض اكثر مما يلزم لمعيشتهِ وقد نتج من ذلك ان بُذلت العناية من قديم الزمان في جمع المعارف الزراعيّة في كتب ارشاداً للذين يتعاطونها . لكنها لم تكن منسّقة تنسيقاً علمياً ودام الحال على هذا المنوال نحو الفي سنة اي من عهد النبط واليونان والرومان الى اوائل هذا القرن . فرأى اهالي فرنسا والمانيا وسويسرا منذ خمسين عاماً انهُ لابدَّ من قرن علم الزراعة باحدث العلوم الطبيعيّة ودرسها كلها معاً في المدارس فانشأُوا المدارس الزراعية واستخدموا اكبر العلماء لالقاء الدروس والخطب في المواضيع الزراعية وجعلوا بعض العلوم الزراعية الزامياً على الطلبة وارسلوا علماء الزراعة في طول البلاد وعرضها ليلقوا الخطب ويرشدوا الزارعين في كل ما يسألونهم عنهُ . وشاع التعليم الزراعي في اوربا كلها حتى في روسيا . وقد رسخ في اذهان الاوربيين الآن ان الانسان لا يفلح في الاعمال الزراعية ما لم تكن مؤسسة على المبادىء العلمية حتى روسيا التي يقال انها دون غيرها من الممالك الاوربية في العلوم والفنون فيها الآن ٦٨ مدرسة زراعية يبلغ عدد الطلبة فيها ٣١٥٧ وتبلغ نفقاتها السنوية نحو ٨١ الف جنيه تدفع الحكومة ثلثيها ومؤسسو المدارس ثلثها الباقي

وقد اطلعنا الآن على مقالة في هذا الموضوع للعالم ده ريمر قال فيها ان اوّل من اشار

بانشاء مدرسة زراعية في فرنسا العلاَّمة لافوازيه في اواخر القرن الماضي ولكن لم يعمل بقوله الاَّ سنة ١٨٢٢ حينما انشئت اوَّل مدرسة زراعية حقيقية بقرب نانسي ثم انشئت مدرسة غرينيون سنة ١٨٢٩ ومدرسة غران جوان سنة ١٨٣٠ · وقد صار التعليم الزراعي في فرنسا الآن اتم مما هو في سائر البلدان فان نظارة الزراعة فيها ونظارة المعارف العمومية تبذلان الجهد في نشر المعارف الزراعية من اصغر المدارس الى اعلاها

قال المسيو تسران المدير العام للزراعة " ان غرض فرنسا لا يقتصر على تعليم الشبان مبادئ الزراعة بل يتناول استخدام الوسائل لجعل الكبار من اهل الزراعة يهتمون بالمعارف الزراعية. وفي هذا العصر عصر المناظرة لا يفلح زارع ما لم يستعمل الاساليب العلمية في زراعته والاساليب القديمة لم تعد كافية في الزراعة كما انها لم تعد كافية في الصناعة"

وقد كان في فرنسا سنة ١٨٩٣ ثلاثة آلاف وستمئة معلم يتعلمون العلوم الزراعية ليعلموها لغيرهم وكان فيها ثلاثون معملاً زراعيًّا لتحليل التراب والسماد وارشاد ارباب الزراعة في كل ما يطلبون ان يُرشَدوا فيهِ و ٣٣٦٢ حقلاً من حقول الامتحان الزراعي و ١٦ مدرسة للزراعة في الحقول و ٣٩ مدرسة زراعية عملية و ٦ مدارس للزراعة العمومية وزراعة الجنائن و ٣ مدارس لطب المواشي ومدرسة لعلم الرعاية وتربية المواشي ومدرسة لعلم عمل الجبن ومدرسة لعلم تربية دود الحرير . وكان في مدارسها الجامعة ١٦٠ استاذًا يعلمون العلوم الزراعية ويبحثون في ادق غوامضها والحكومة الفرنسوية تنفق على ذلك ٤٥٠٤٠٥٠ فرنكًا كل سنة

ثم قال ان اهتمام بروسيا بتعليم الزراعة لا يقل عن اهتمام فرنسا وهي تدخل التعليم الزراعي في كل مدارسها حتى الكتاتيب التي يتعلم فيها الاطفال ونتدرَّج فيهِ حسب درجات المدارس الى ان تبلغ اعلاها . وتقسم مدارسها الزراعية الآن الى ثلاثة اقسام عليا ووسطى وصغرى تنفق الحكومة عليها نحو مئتي الف ريال سنويًّا ويشمل التعليم الزراعي كل اعمال الزراعة كزرع الحراج والاشجار المثمرة والكروم والازهار وعمل الخمر والبيرة واصلاح الآلات الزراعية وتربية الطيور والنحل ودود الحرير ومساحة الارض . وعندها اساتذة في علم الزراعة يطوفون في البلاد ويرشدون الزارعين في الاعمال الزراعية ويخبرونهم بنتائج المكتشفات العلمية المتعلقة بالزراعة لكي تنتج لهم اعظم النتائج باقل ما يكون من التعب والنفقة

وفي بلاد النمسا مدارس زراعية على ثلاث درجات عليا ووسطى وسفلى واقدم مدارسها الزراعية العليا انشئت سنة ١٧٩٩ . واقدم مدرسة زراعية في بلاد سويسرا انشئت سنة ١٨٠٦ فتعلم فيها ثلاثة آلاف تلميذ على الاقل العلوم الزراعية. ومدرستها الشهيرة في زورك التي

يحق لها ان تفاخر بها مدارس اوربا فيها الف تلميذ وستة فروع واحد منها لزرع الحراج وواحد للزراعة بنوع عام وفيها عدا هذه المدرسة خمس مدارس جامعة اخرى وكلها تساعد في تعليم العلوم الزراعية

ومملكة هولندا الصغيرة تنفق حكومتها اكثر من سبعين الف جنيه في السنة على العلوم الزراعية

وقد حذت ايطاليا حذو فرنسا والمانيا في انشاء المدارس الزراعية والانفاق على التعليم الزراعي وفيها الآن ٣٥ مدرسة لتعليم الزراعة وفي اسبانيا سبع مدارس كلية لتعليم الزراعة وقد انفقت عليها سنة ١٨٩٦ نحو ستين الف جنيه . وفي بلاد البرتغال سبع مدارس زراعية

وبلغ التعليم الزراعي أوجه في اسوج ونروج وبلاد الدنمارك وفنلاندا . وقد انفقت بلاد نروج الصغيرة على التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية فقط اكثر من ٣١ الف جنيه سنة ١٨٩٥ وانفقت فنلاندا اكثر من مضاعف ذلك

والتعليم الزراعي يكاد يكون الزاميًّا في ارلندا فلا تخلو مدرسة فيها من تعليم مبادئ الزراعة ومن العمل بها . واسكتلندا سبقت ممالك اوروبا كلها الى تعليم الزراعة فانشأت فرعًا في مدرسة ادنبرج سنة ١٧٩٠ وكان فيها جمعية زراعية سنة ١٧٤٣ وبلغت النفقات على تعليم الزراعة فيها سنة ١٨٩٥ نحو ٤٣ الف جنيه . وبلغت اعانة الحكومة للمدارس الزراعية في انكلترا وويلس سنة ١٨٩٦ نحو ١٤٠ الف جنيه

وقد اهتمَّ الانكليز بانشاء المدارس الزراعية في كل مستعمراتهم في الهند واستراليا وراس الرجاء الصالح وكندا ومن قبيل ذلك اهتمامهم بانشاء المدرسة الزراعية في هذا القطر لكنَّ مدرسة واحدةً لا تقوم بكل حاجته ولا بدَّ من توسيع نطاقها كثيرًا وانشاء مدارس اخرى فيهِ من نوعها حتى تصير الزراعة كلها علمية ولا يضيع شيءٌ من خيرات البلاد التي يمكن الانتفاع بها

الطعام في الحاضر والمستقبل

للمستر وود دافس

(وعدنا في الجزء الماضي في كلام على مسألة القمح والكتاب الذي وضعهُ السر وليم كروكس فيها ان نلخص الفصلين اللذين ختم بهما ذلك الكتاب . ونحن نلخص الآن الفصل الاول منهما)

ان الامم التي تأكل الخبز وهي سكان اوربا وغربي اسيا وشمالي افريقية وسكان كندا والولايات المتحدة الاميركية واستراليا وارجنتينا وشيلي واوروغواي وبرازيل وجنوبي افريقية

كان عددها ٣٧١ مليون نفس سنة ١٨٧٠ فبلغ عددها الآن ٥٢٠ مليون نفس . ونمو هذه الامم يتزايد عاماً بعد عام فقد كانت زيادتها السنوية ٤ ملايين نفس سنة ١٨٧٠ وهي الآن اكثر من ٦ ملايين نفس ولذلك يجب ان تزاد الارض التي تزرع حنطة ونحوها من الحبوب التي يصنع منها الخبز ويجب ان تكون الزيادة السنوية الآن في مساحتها اكثر مما كانت سنة ١٨٧٠ باكثر من خمسين في المئة لكن الارض التي تزرع من هذه الحبوب لم تزد الآن عما كانت عليهِ منذ خمس عشرة سنة سوى مليونين و٤٠٠ الف فدان فزاد الآكلون عشرين في المئة ولم تزد الارض التي تزرع لهم واحداً في المئة

ومن سنة ١٨٧١ الى ١٨٨٤ زادت مساحة الارض التي تزرع حنطة ونحوها في الولايات المتحدة الاميركية نحو ٢١ مليون فدان وزادت في سائر البلدان اقل من تسعة ملايين فدان . ثم لم تعد الولايات المتحدة تزيد الاراضي التي تزرع حبوباً الاَّ قليلاً فقد بلغت مساحة هذه الاراضي ٣٩ مليوناً و ٥٠٠ الف فدان سنة ١٨٨٤ ولم تبلغ سوى ٤٤ مليوناً ومئتي الف فدان سنة ١٨٩٨ فبلغت الزيادة في اربع عشرة سنة اربعة ملايين وسبع مئة الف فدان

وتزرع الحنطة في نحو ٤٠ مليون فدان في البلدان التي لا يعتمد اهلها على اكل الحنطة كما في جنوبي اسيا وشمالي افريقية ويبلغ الصادر منها سنوياً نحو عشرين مليون بشل

ويظهر بالاحصاء ان آكلي الخبز زادوا من سنة ١٨٧٠ الى الآن نحو اربعين في المئة واما مساحة الاراضي التي تزرع فيها حبوب الخبز فلم تزد في هذه السنوات كلها سوى عشرة في المئة فبلغت زيادتها ٢٧ مليون فدان وكان يجب ان تبلغ ٩٧ مليون فدان . ولكن اذا اضفنا الى هذه الحبوب الذرة على انواعها والبطاطس والشعير رأينا ان الزيادة في الارض التي تزرع فيها هذه المزروعات كلها قد بلغت ٢٥ في المئة فكانت مساحتها ٤٦٣ مليون فدان سنة ١٨٧٠ فبلغت الآن ٥٧٩ مليون فدان لكن هذه الزيادة على عظمها تبقى دون زيادة الآكلين لان الآكلين زادوا نحو اربعين في المئة . وزد على ذلك ان زيادة هذه الزراعة كان اكثرها في الذرة والبطاطس. اما الذرة فيستعمل جانب كبير منها علفاً للمواشي او يستعمل لاستخراج السكر والنشا والسبيرتو . والبطاطس ليس من مواد الطعام التي تبقى من سنة الى سنة فاذا زاد في احدى السنين عن المقطوعية فليس من زيادتهِ فائدة لانهُ لا يمكن حفظهُ الى السنة التالية

ومع ان الاراضي التي تزرع حبوباً لم تزد الزيادة المطلوبة منذ خمس عشرة سنة الى الآن الاَّ ان الغلال لم تنقص عن احتياج الناس ولم ترتفع الاسعار ارتفاعاً فاحشاً وذلك لأَن المواسم جادت في احدى عشرة سنة من هذه السنوات جودة غير عادية فاذا اتت بضع سنون

لم تجد فيها المواسم ظهرت حاجة الناس الى الطعام واشتدَّت كثيرًا

والمظنون انهُ اذا قلَّت الحنطة من الدنيا اعتاض الناس عنها بحبوب اخرى وهذا الظن فاسد لان الحبوب الاخرى تقتضي ارضًا لزرعها فيها فالارض التي تزرع من هذه الحبوب يمكن ان تزرع حنطةً لانهُ يسهل زرع الحنطة في اكثر الاراضي كما يسهل زرع غيرها من الحبوب. ولا يصلح ان يبطل زرع الذرة والشعير مثلاً ويزرع القمح بدلاً منها لانها لازمان للناس وللمواشي ولا بدَّ من ان تزاد زراعتها بازدياد السكان لان غلتها الآن لا تزيد عن الحاجة وعليهِ فاذا جرى الحال على هذا المنوال بضع سنوات فلا بدَّ من ان تقل غلة الحنطة وغيرها من الحبوب عن حاجة السكان

وقد اتسع نطاق الزراعة في اميركا الشمالية منذ ثلاثين سنة الى الآن اتساعاً عظيماً جدًّا فزرعت سهولها وحقولها الخصبة بعد ان كانت قفارًا وحراجًا ونتج منها طعام كفى لزيادة السكان في اوربا واميركا اي لمئة وتسعة واربعين مليونًا من النفوس. ولم يبقَ الآن في المنطقة المعتدلة اراضٍ غير مزروعة تقابل بالاراضي التي كانت في اميركا في خصبها واتساعها ولكن لا بدَّ من مثل هذه الاراضي لزرع الحبوب ما دام الناس آخذين في الازدياد. فان الزيادة في اراضي الحنطة منذ سنة ١٨٧١ الى الآن بلغت ١١٦ مليون فدان ونحو ٨٩ مليون فدان منها في اميركا وما بقي وهو ٢٨ مليون فدان في سائر ممالك الارض فلولا اميركا بل لولا وادي المسسبي لان اكثر هذه الزيادة فيهِ لكانت المجاعة قد عمَّت كل آكلي الخبز الآن ولكن ليس في الدنيا وادٍ آخر مثل ذلك الوادي لان فيهِ نحو ٣٠٠ الف فدان من الاراضي التي تصلح للزراعة

فاذا زاد عدد السكان في الثلاثين سنة التالية على معدَّل ثلاثة ارباع الزيادة التي زادها في الثلاثين سنة الماضية بلغت الزيادة ١٦٠ مليونًا من النفوس ويلزم لهم سبعون مليون فدان من اراضي الحنطة فاين توجد وما هو السبيل لاشباع الناس من الآن الى ثلاثين سنة اذا بقي متوسط غلة الفدان كما كان منذ ٢٨ سنة الى الآن

ولم يجب الكاتب عن هذا السؤَال ولكنهُ اراد ان الحل الوحيد لهذا المشكل يكون بعمل نترات الصودا بواسطة الكهربائية وتسميد الارض بهِ فتتضاعف غلتها .

التحاريق والفيضان

عرَّبنا في هذا الجزء الرسالة التي وضعها المستر ولكوكس وابان فيها ان مياه البحيرات الاستوائية التي تجري الى البحر الابيض احد فرعي النيل يضيع جانب كبير منها الآن بما

يعترضها من السدود في بحر الجبل و بانصبابها في المستنقعات التي في تلك البلاد وانهُ اذا ازيل السد من بحر الزراف المتصل بنيل فكتوريا صارت المياه تجري منهُ الى البحر الابيض مباشرة فزادت في زمن التحاريق المقبل وبكَّر الفيضان عن ميعادهِ . وان ازالة هذا السد لا تقتضي الأ نحو عشرة آلاف جنيه فسمحت الحكومة بهذا المال وارسلت اناساً لازالة السد . فاذا ازيل في شهر يناير المقبل ظهرت نتيجة ازالتهِ في شهر مارس عند الشروع في زرع القطن فيعلم حينئذٍ ما اذا كانت حالة النيل تؤذن بتوسيع نطاق الزراعة كما كان في العام الماضي او توجب تضييقهُ حتى لا يزيد على ثلث الاطيان الصالحة لزراعة القطن . ومهما يكن من ذلك فالتقتير في استعمال ماء النيل واجب هذا العام لئلا يضيع جانب منهُ في ري مزروعات لا يمكن اتمام ريها

طعم اللبن والزبدة

مما لا ريب فيهِ ان طعم العلف يؤثر احياناً كثيرة في طعم اللبن والزبدة فاذا اكلت البقر لفتاً او حلبة او ما اشبه مما لهُ طعم قوي ظهر طعمهُ في لبنها وزبدتها فافسدهما كما ان البقر التي ترعى الشيح ونحوهُ من النباتات العطرية يصير طعم لبنها عطرياً . وقد اشار ارباب الزراعة بامور مختلفة لازالة طعم العلف الكريه الطعم من اللبن والزبدة فلم يفِ شيء مما ذكروهُ بالغرض. وآخر ما قرأناهُ من هذا القبيل رأي لبعضهم في الغازت الزراعية الانكليزية قال اذا اكلت البقر الحلوب لفتاً او نحوهُ فاطعمها بعدهُ علفاً يابساً كالتبن والدريس وما اشبه فيختلط العلف اليابس بالعلف الكريه الطعم حتى يسهل فعل العصارة المعدية بهِ فتفعل بهِ فعلاً كيماويًا وتغير تركيبهُ قبلما تمتصهُ الاوعية التي في جدران المعدة و يسير منها الى الدم واللبن . وسواء كان هذا التعليل صحيحاً او لم يكن فاذا كانت النتيجة كما قال هذا الكاتب حقَّ لهُ الشكر على نشرهِ هذه الفائدة لان طعم العلف كثيراً ما يفسد طعم اللبن والجبن والزبدة حتى تعافها النفس ولاسيما في هذا القطر

فائدة الكسب والدريس

يراد بالكسب ما يبقى من بزر القطن بعد استخراج الزيت منهُ وبالدريس البرسيم اليابس . وقد حُلّل الاثنان تحليلاً كيماويًا فوجدت عناصرهما متقاربة كما ترى في هذا الجدول

	الكسب	الدريس
ماء	٥و١١ في المئة	٥و١٦ في المئة
رماد	٣و٠٦ " "	٠و٠٧ " "
شبيهة بالزلال	٦و٢٤ " "	٣و١٥ " "
الياف	٨و٢٠ " "	٢و٢٢ " "
مواد ذوابة غير نيتروجينية	٦و٣٠ " "	٨و٣٥ " "
دهن	٢و٠٦ " "	٢و٠٣ " "

وقدَّر بعضهم ان الغذاء في الطن من الكسب يساوي في البلاد الانكليزية خمسة جنيهات وتسعة شلنات وفي الطن من الدريس يساوي اربعة جنيهات وستة شلنات وذلك ينطبق على تحليلهما الكيماوي فاذا كان ثمن القنطار من الدريس عشرين غرشاً وجب ان يكون ثمن القنطار من الكسب ٢٥ غرشاً

طعام الامم

بحث بعضهم عما يأكلهُ النفس الواحد من الانكليز والفرنسويين والالمانيين كل سنة وذلك من القمح والراي واللحم والبطاطس وما يشربهُ من اللبن فكان كما في هذا الجدول والمواد كلها ارطال

	قمح	راي	لحم	بطاطس	لبن
الانكليزي	٣٥٤	٠٠٦	١٢٧	٢٩١	٥٢٠
الفرنسوي	٤٦٣	٠٦٦	٠٨	٥٦٨	٣٢٨
الالماني	١٧٤	٢٧٦	٠٩٩	١٠١٨	٤٧٢

ويظهر من ذلك ان الانكليز اكثرهم اكلاً للحم وشرباً للبن والفرنسويين اقلهم في ذلك والالمانيين بين بين

زرع الكرنب (الملفوف)

الارض الصالحة لهُ — هي الجيدة الكثيرة الخصب القليلة الرمل والقليلة الطفال. ولابد من حرثها وتنعيمها جيدًا في فصل الخريف . واذا لم تكن شديدة الخصب تُسمد بالسباخ البلدي او بدقيق العظام. ثم تحرث ثانية في الربيع وتسمد ايضاً بنحو مئة وعشرين حملاً من السباخ البلدي

للفدان الواحد او بطن من دقيق العظام او نصف طن من الجوانو وقد يكتفى بنصف ذلك ويترك النصف الآخر ليسمد بهِ النبات بعد زرعهِ. ثم تخطط الارض خطوطاً بين الخط والآخر ٧٥ سنتيمتراً و يزرع الكرنب فيها ويكون بين النبات الواحد والذي يليهِ اربعون سنتيمتراً فيزرع في الفدان ثلاثة عشر الف كرنبة هذا اذا اريد ان يكون الكرنب قريباً بعضهُ من بعضهِ ورؤوسهُ صغيرة واما اذا اردت ان يكون بعيداً ورؤوسهُ كبيرة فاجعل البعد بين الخط والآخر ثلاث اقدام وخطط الارض طولاً وعرضاً وامزج ملتقى الخطوط بالسماد فيزرع في الفدان الواحد خمسة آلاف كرنبة ولا بد من حرث الارض وتمهيدها جيداً قبل تخطيطها كيفما كان زرعها

زرع البزر — بزر الكرنب ينبت بسهولة وهو يزرع في المنابت في اوائل الربيع و يغطَّى بقليل من التراب و يسقى ليلاً ماء فاتراً و ينبت من الاوقية نحو ثلاثة آلاف نبتة ولا بد من سقي الارض قبل قلع النبات منها لكي يبقى التراب لاصقاً بالجذور ثم يقلع ويزرع حيث يراد زرعهُ كما تقدم

الزرع — تقدم انهُ يجعل البعد بين النبات الواحد والآخر اربعين سنتيمتراً او تسعين و يحسن ان تكون الابعاد بين هذين الحدَّين ولكن لا بدَّ من ان تكون متساوية . ولا بدَّ ايضاً من خدمة الارض بعد ذلك بالركس ولكن يجب الحذر من اتلاف جذور الكرنب فيركس بين الخطوط ويحذر من مس الجذور

القطاف — يقطف الكرنب في الصباح باكراً قبلما تشرق عليهِ الشمس وتترك الاوراق الخارجية في ما يقطف منهُ باكراً فيزيد جرمهُ بها

وقد اطلعنا على فصل في زرع الكرنب في كتاب الفلاحة الرومية المترجم الى العربية منذ عهد طويل وهذا نصهُ "الكرنب من يقول الشتوة لان فيهِ حرارة ولوان زراعتهُ في ايلول (سبتمبر) بعد تصرُّم شدة الحر واوفق المواضع وافضلها لزرعهِ ما كان منها يضارع السباخ فاذا طلع واشتدَّ عمد الى تراب ارض سبخة وخلط بمثل خمسهِ من البورق ودقاً دقاً ناعماً ونخلا ثم يعود الى الكرنب بان ينثر على ورقهِ من ذلك البورق والتراب خمس مرات بين المرة والمرَّة عشرة ايام فان ذلك مما يغلظهُ و يطيب طعمهُ ويجعلهُ سريع النضج اذا طبخ . ورب من يجعل بدل البورق في ذلك رماداً منخولاً فان الرماد يذهب عن الكرنب كثيراً من الآفات العارضة له" ويلي ذلك كلام طويل اكثرهُ من قبيل الاوهام



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن برالا منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

سؤالان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

الاول يقدر بعضهم عدد المسلمين في الدنيا بما يقارب ثلثمائة مليون نقسمها كما يأتي في السلطنة العثمانية ٢٢ مليوناً وجزيرة العرب ١٢ مليوناً وايران ٨ ملايين والروسية ٧ ملايين وبخارى وخيوه وبقية تركستان الروسية ٧ ملايين وتركستان الصينية ٤ ملايين والصين ٢٢ مليوناً والافغان ٦ ملايين والبلوج مليونان والهند ٥٨ مليوناً ومصر مع سودانها ١٨ مليوناً وتونس مليونان والجزائر ٤ ملايين ومراكش ٨ ملايين والصحراء واواسط السودان ١٢ مليوناً والكونغو ٢٠ مليوناً والصومالي والحبشة وزنجبار وسائر قطع افريقية ٣٣ مليوناً وجزائر البحر المحيط ٣٥ مليوناً الى ٤٠ مليوناً فاذا قدَّرنا في احصاء بعض هذه الاقسام شيئاً من المبالغة لعدم وقوفنا على شيء وثيق لم ننكر ان احصاء الاكثر مطابق تماماً للواقع . كقولنا ان عدد مسلمي الهند ٥٨ مليوناً والعجم ٨ ملايين وجزيرة العرب ١٢ مليوناً وافغانستان ستة مما يدل على ان المسلمين ان لم يكونوا هذا العدد فانهم يناهزونهُ وعليهِ فلماذا لا تزال بعض كتب الجغرافية والاحصائيات حتى من احدث المطبوعات تجعل المسلمين ١٧٦ مليوناً فقط فان قلنا ان اصحابها يطرحون الاعداد بدون تحقيق ولا اعتماد على شيء صعب علينا تأييد ذلك ونحن نعتقد انهم لا يكتبون الاَّ بعد البحث والاستقصاء وانهم يستمدون معارفهم من الجمعيات الجغرافية التي تجوب عمالها مناكب الارض وتحفيها فحصاً وان صوَّبنا رأيهم هذا وجدناهُ مخالفاً للمحسوس وادَّى ذلك الى الحكم بخلو بلاد كثيرة من الاسلام كالصين مثلاً حال كونهُ من المؤكد انهُ فيها ذو تبع كثير فما راي قراء المقتطف في هذه القضية

الثاني قرأت في الجزء الاخير من مقتطفكم انتقاداً لطيفاً بامضاء " صيرفي " لرواية " الاميرة المصرية " بلغ فيه صاحبهُ حدَّ الاجادة ودلَّ فيهِ على فضل وافر وادبٍ غض وكان من جملة ما انتقدهُ بعض الفاظ وتراكيب قال ان الكاتب لم يتثبت في وجهِ استعمالها فجاءت في غير محلها عدَّ منها قولهُ " توثب على مملكة " قال والصواب في مملكة وقولهُ " امتقع لونها " والصواب امتقعت بدون ذكر اللون والوجه وقولهُ " اشكرك على هذه الثقة " والصواب اشكر لك هذه الثقة وغير ذلك فلم افهم لماذا لا يجوز استعمال الجمل المذكورة واين وجه الغلط فيها وجئت اسأل هذا الجهبذ من طريقكم علهُ يتفضل علينا ببيان ذلك

شكيب ارسلان

مدرسة ليلند استنفرد

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف

قرأت جوابكم على سؤال حضرة الاديب رزق الله افندي جاب الله في مقتطف شهر نوفمبر الماضي وبما اني كاتب المقالة المدرجة في مقتطف شهر اغسطس سنة ٩٣ عن مدرسة ليلند استنفرد الجامعة كما ذكرتم جئت مؤيداً ما قلتهُ من ان التعليم فيها مجاني بدليل انهُ وارد في الصحيفة ٤٠ من الكتاب الذي اصدرتهُ المدرسة المذكورة في عام ١٨٩٤ (وهو يحتوي على قوانينها واسماء عمدتها ومعلميها وغير ذلك و يطبع في كل عام) ما نصهُ بالحرف الواحد "Tuition in all departments is free" اي " ان التعليم في كل الفروع مجاني " . على انهُ وان كان التعليم مجانياً الاَّ انهُ يطلب من كل تلميذ دفع رسم قدرهُ عشرة ريالات اميركانية عن كل ستة اشهر (Registration fee) اذا كان من تلامذة القسم الادبي واما اذا كان من تلامذة قسم علمي فيطلب منهُ ١٥ ريالاً عن كل ستة اشهر . ويزاد على ذلك ان يطالب التلميذ بدفع كل ما استعملهُ من المواد الكيماوية وغيرها اثناء تعلُّم العلوم التي تحتاج الى شرح عملي وهي من ريالين الى عشرين ريالاً كل ستة اشهر . أما نفقة التلميذ في تلك البلاد من حيث المعيشة فلا تقل عن ٣٠٠ ريال في السنة حسب تقدير المدرسة نفسها في الكتاب المشار اليهِ ما عدا ما يلزم للبس والتدفئة ايام البرد والكتب واجور السكك الحديدية والترامواي لان المدرسة بعيدة عن المدن واقربها اليها بالو الطو (Palo Alto) ومايفيلد (Mayfield) ولا يتسنَّى للتلميذ التوجه منها الى المدرسة ماشياً . فما تقدم يظهر جليًّا ان نفقة التلميذ لا يمكن ان تقل عن ٥٠٠ ريال في العام وهو مطابق لتقديركم اذا كان

التلميذ مقتصداً كل الاقتصاد . أما نفقات السفر الى كاليفورنيا فلا تقل عن الخمسين جنيهاً انكليزياً في الدرجة الثانية على ما اعلم

وقد فهمت من الكتاب المذكور ان المخابرة في امر الدخول الى المدرسة تكون مع

The Registrar
Room No. 412
Leland Stanford Junior University
Palo Alto
Clifornia
U. S. A.

واقبلوا مزيد احتراماتي سقراط

الاسكندرية ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٩ اسبيرو

انتقاد الاميرة المصرية

حضرة منشئي المقتطف الكريمين

لقد أُتيح لي ان طالعت كل اجزاء المقتطف منذ انشائهِ الى الآن فرأيتكم تجرون على خطة الاوربيين والاميركيين في انتقاد الكتب فتوجزون احياناً كثيرة اذا كانت الكتب مما لا يستحق الانتقاد او مما لا ترغبون في انتقادهِ اما لانكم لم تطالعوهُ او لانكم تعدون اصحابهُ ممن يسوُّهم الانتقاد فيناظرونكم ويجادلونكم لمجرَّد المماحكة وتسهبون احياناً اخرى اذا رأيتم من الانتقاد فائدة للجمهور او للمؤلف ولكنكم في هذه الحال قلما تشيرون الى لغة الكتب التي تنتقدونها بل تكتفون بذكر حسناتها وعيوبها العلمية والادبية

وقد رأيت كاتباً فاضلاً انتقد رواية الاميرة المصرية في الجزء الماضي وذكر لها بعض العيوب فاحسن في مؤاخذة كاتبها لانهُ استعمل بعض الكلمات العويصة التي يتعذر فهمها على عامة القراء الاَّ بعد شدَّة التروي واطالة الامعان . وكل ما كتبهُ في هذا المعنى حقائق راهنة وقواعد اصلية في فن الانشاء يشكر عليها جزيل الشكر لكنهُ ما عتم ان آخذ المترجم باستعمالهِ الفاظاً قال انهُ لم يتثبت في معناها ووجه استعمالها فجاءت في غير موضعها . ثم ذكر ست عشرة كلمة قال انها استعملت في غير ما وضعت لهُ وهي

(١) "وسادة" قال انها استعملت للمتكإ وهي ليست كذلك . اقول ان الوسادة في اللغة المخدَّة وفي لسان العرب الوساد والوسادة المخدَّة وقال ابن سيده وغيرهُ الوساد المتكأ وظاهر من ذلك ان الوساد والوسادة يراد بهما المخدة والمتكأ . ومن شاهد السفن النيلية الصغيرة

رأى فيها وسائد يتكئ المرء عليها او يضعها تحت راسهِ اذا نام فلا غبار على استعمال المترجم لها بمعنى المتكإِ

(٢) آلهة مكان الاهة . ولا ادري ما هو وجه الخطإِ في قول فانيس "اني احمد الآلهة" لان اليونان كانوا يعبدون آلهة كثيرة فيحمدونها كما يحمد الموحدون الاله الواحد . وهب انها وردت مكان الالهة فالخطأُ مطبعي

(٣) "يزرعون مكان يغرسون" . وفي تاج العروس "الزرع نبات كل شيء يحرث وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد انهُ يقال زرعت الشجر كما يقال زرعت البر والشعير" وهو نص صريح على استعمال زرع للشجر مثل غرس . وهب اننا لم نجد نصًّا صريحًا مثل هذا فان الافعال الكثيرة الاستعمال لا تقيد بما وضعت لهُ بل يخرجها المجاز الى غيره الا ترى ان كلمة زرع تستعمل للنسل فيقال زرع الرجل لولدهِ فاحرِ بها ان تستعمل بمعنى غرس واسس وعمل الخير وما اشبه

(٤) "وقام على تربيتها مكان قام بتربيتها" ولم يذكر اين وردت هذه اللفظة ولكنني لا ارى عليها غبارًا فان قام تعدَّى بعلى قال في الاساس "وقام الامير على الرعية وليها قال الشماخ

يظل بصحراء البسيطة قائمًا عليها قيام الفارسي المتوّج

(٥) "توثب على مملكة والصواب في مملكة" وفي لسان العرب في حديث هذيل "أيتوثب ابو بكر على وصي رسول الله" . وفي الاساس "ومن توثب على منزلتهِ وتوثب على اخيهِ في ارضهِ استولى عليها ظلمًا" فكأَن معنى توثب اعتدى وكأَنها تاخذ مفعولين تعدَّى الى الاول منهما بعلى والى الثاني بفي فمعنى توثب على اخيهِ في ارضهِ اعتدى على اخيهِ وأَخذ ارضهُ . والمعنى الوارد في القصة يقتضي التعدية بعلى لا بفي لانهُ يقال ان اماسس توثب على مملكة مصر واستنجد بالجيش فلو كان المعنى انهُ توثب على ملكها فيها اي امتلكها ما بقيت بهِ حاجة الى الاستنجاد بالجيش

(٦) "امتقع لونها والصواب امتقعت بدون ذكر اللون او الوجه" اقول قال في لسان العرب "ويقال امتقع لونهُ اذا تغير من حزن او فزع" وهو نص صريح بان اللون يكون نائب فاعل . ومثل ذلك انتقع لونهُ تغير من همّ او فزع . ولا يخفى انهُ يجوز ان يقال امتقع وجههُ على تقدير لون وجههِ باقامة المضاف اليهِ مقام المضاف

(٧) "الحوائج بمعنى الامتعة" واراهُ صحيحًا فقد جاء في الاساس خرج فلان يتحوَّج اي يطلب ما يحتاج اليهِ وهذه حاجتي اي ما احتاج اليهِ وجاء في التاج "ان الحاجة تطلق

على نفس الافتقار وعلى الشيء الذي يفتقر اليهِ. وتجمع الحاجة على حاجات وحوج وحوائج وهو راي الاكثر" فاذا اريد بالحوائج مايحتاج اليهِ فاحرِ بها ان تستعمل لما يحتاج اليهِ من متاع الدنيا

(٨) "واشكرك على هذه الثقة والصواب واشكر لك هذه الثقة" اقول قال في التاج في تفسير قولهِ

شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل ما اوليتهُ نعمة يقضي

ليس كل من اوليتهُ نعمة يشكرك عليها" فعدّى الشكر الى المنعم مباشرة والى النعمة بعلى

(٩) "تعيساً صوابهُ سيئاً" ولا ادري ما هو وجه الخطإِ في تعيس فانهُ يقال رجل تاعس وتعيس على ما في الاساس والقاموس. ومعنى التعس الشر والنحس والعثار والسقوط فعلامَ لا يكون الحظ تعيساً كما يكون الرجل تعيساً

(١٠) "الغبار والصواب التراب". مع ان الغبار اصح هنا في اللسان والقاموس والتاج الغبر التراب والغبرة الغبار والغبرة والغبار الرهج وقيل الغبرة تردد الرهج فاذا ثار سمي غباراً. والرهج الغبار او ما اثير منهُ. واكثر ما بقي من هذا القبيل او هو من قبيل السهو. فان كان هذا كل الخطإِ الذي في الاميرة المصرية فهي اصح رواية عرَّبها المعربون وقد رغَّبني انتقادها في مطالعتها ثانيةً احد القراء

اقتراح

حضرتي صاحبي المقتطف الاغر

اقترح على حضرتكم واخال ان تحلوا اقتراحي احسن محل أَن تنشروا في المقتطف رواية تاريخية او ادبية من منشآتكم او مترجمة عن لغة من اللغات وافضل أَن يطبع في كل جزء ملزمة منها لتجمع بعد انتهائها كتاباً مستقلاً ليصبح المقتطف ملائماً لكل الاذواق ويصبح جلهُ ممزوجاً بما يروح النفس ويريح الفكر. ولا اقول انهُ سيتخللهُ شيء من الهزل فما هو الاَّ الجد غير انهُ مستعذبٌ والعلم غير ان مطالعهُ ملجأٌ الى تعلمهِ. وأَرجو ان لا يصدر اول جزء من سنة المقتطف الجديدة الاَّ وفيهِ اول الرواية فكثير من القراء يرجون ذلك وما انا الاَّ لسان حالهم واقبلوا فائق احترامي مصطفى لطفي

منفلوط في ٢١ دسمبر المنفلوطي

[المقتطف] سنفعل ذلك او ما يماثلهُ مبتدئين من الجزء التالي ونزيد المقتطف ملزمتين بدل الملزمة الواحدة التي طبعتموها

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر يناير ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم الصباح الشهر كلهُ وسيرهُ شرقاً من برج العقرب في الرامي و يمر بعقدتهِ النازلة في التاسع من الشهر الساعة ٩ صباحاً ويقترن بزحل في الثامن من الشهر الساعة ٣ صباحاً فيكون على ٥١ َ من زحل ولكنهما يكونان قريبين جداً من الشمس فلا يريان

الزهرة

تكون الزهرة نجم المساء وهي اشد الكواكب اشراقاً الآن حينما يكسفها نور القمر و يزيد اشراقها مدة الشهور الخمسة التالية بازدياد قربها من والارض وتباينها عن الشمس . وسيرها الى الشرق في برج الحمل والدلو ويبلغ عرضها الشمسي الاعظم جنوباً في الثاني من الشهر الساعة ٦ مساء

المريخ

يكون المريخ نجم المساء حتى السادس عشر من الشهر الساعة ٧ صباحاً و يمر حينئذٍ باقترانهِ ثم يصير غربي الشمس و يكون نجم الصباح ولكنهُ يكون قريباً جداً منها فلا يرى وسيرهُ شرقاً من برج الرامي الى الجدي

المشتري

المشتري نجم الصباح و يظهر باشراقهِ قبل طلوع الشمس وهو في برج العقرب الى الشمال الغربي من صاحب المعز وسيرهُ الى الشرق

زُحل

يكون زحل نجم الصباح ولكنهُ لا يرى لقربهِ من الشمس وسيرهُ الى الشرق وهو في برج الرامي

واورانوس في العقرب ونبتون في الثور

اقترانات القمر والسيارات

يوم	ساعة	
١	١١	صباحاً يقترن بالمريخ فيقع ٣°٥َ جنوباً
٣	٦	مساءً " بالزهرة فتقع ٦°٠َ جنوباً
٢٦	٣	" " بالمشتري فيقع ٢°٣َ شمالاً
٢٨	١٠	صباحاً " بزحل " ٠ ٢َ جنوباً
٣٠	٥	مساءً " بعطارد " ٥°٤٤َ جنوباً
٣٠ — ٣١		نصف الليل " بالمريخ " ٥°٦َ "

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٠١	٠٣	٥٧	مساءً	الهلال
٠٨	٠٧	٤٥	صباحاً	الربع الاول
١٥	٠٩	١٣	مساءً	البدر
٢٤	٠١	٥٨	مساءً	الربع الاخير
٣١	٠٣	٢٨	صباحاً	الهلال
٠٣	٠٧		مساءً	في الاوج
١٩	٠٧		"	" الحضيض



المرسلون الاميركيون في القطر المصري

اهدى الينا حضرات المرسلين الاميركيين في هذا القطر تقريراً عن اعمالهم التبشيرية والتعليميَّة سنة ١٨٩٨ فوجدنا فيهِ ان عدد مدارسهم بلغ في العام الماضي ١٨٠ وكان في العام الذي قبلهُ ١٦٥ وعدد التلامذة في هذه المدارس بلغ ١٢٨٧٢ وكان في العام الذي قبلهُ ١١٥٥٢ فالزيادة في عام واحد ١٣٢٠ وجانب كبير من هؤلاء التلامذة بنات فان عدد

الذكور منهم ٩١٣٢ وعدد الاناث ٣٧٤٠ . واكثر نفقات هذه المدارس من آباء التلامذة فانهم دفعوا في العام الماضي ٥٣٥٠ جنيهاً اجرة تعليم اولادهم فهم يتعلمون مبادىء العلوم والفنون ويتعلم آباؤُهم ان الانفاق عليهم خير لهم من توريثهم الاموال. وما احسن ما قالهُ سسل رودس الغني الشهير في هذا المعنى وهو اني على غناي الوافر لا اريد ان اورث اولادي شيئاً منهُ وانما انفق على تعليمهم وتهذيبهم واطلقهم في العالم ليسعوا لانفسهم . فلحضرات المرسلين الاميركيين الشكر الجزيل على اعتنائهم بتعليم ابناء هذا القطر وتهذيبهم

تذكار الصبا

هو ديوان الشاعر المطبوع المرحوم نجيب الحداد جمع بعض قصائدهِ وشرع في طبعهِ ثم عاجلتهُ المنية فاتمت جمعهُ وطبعهُ حضرة الفاضلة السيدة الكسندرة ملتيادي صاحبة مجلة انيس الجليس وكان الناظم قد اهدى الديوان اليها والحقت بهِ ترجمة حياتهِ بقلم اثنين من اخصائهِ. والقصائد والمنظومات التي في هذا الديوان تدل على قريحة متوقدة وذوق سليم ومقدرة على التعبير عن المعاني الجديدة باعذب الالفاظ العربية مثال ذلك قولهُ في وصف الشرق

يا بني الشرق اين ذاك الضياءُ ... اين تلك النفوس والآلاءُ
اين ذاك المقام تحسدهُ الشمس بهاءً واين ذاك العلاءُ
اين من طاولوا النجوم فودَّت ... شرفاً انها لهم حصباءُ
اين ارض قد خصها الله بالوحي وجاءَت من قومها الانبياءُ
قد عهدنا في الشرق مطلع انوار فما بالهُ عراهُ المساءُ
اي شيءٍ جرى على الكون حتى ... انقلبت عن نظامها الاشياءُ
فرأينا غرب البلاد منيراً ... وغدونا وشرقنا الظلماءُ
لست اعني بالنور شمس سماءٍ ... بل شموساً ما اطلعتها سماءُ
ابرزتها ايدي الرجال با ... فاق ذكاءٍ تغار منهُ ذُكاءُ
هي شمس العلى تمثلها الشمس كما مثَّل النجوم الماءُ
كتبت احرف المساواة فيها ... فتلتها حرية واخاءُ
كلمٌ كلها محبة اوطان ... وراس الايمان ذاك الولاءُ
عظمتهُ ممالك الغرب حتى ... بلغت منهُ في العلى ما تشاءُ

فاراقت دماءها وبنته بجسوم لها ونعم البناء
واطّرحناه نحن في الشرق حتى صد عنا وطال منه الجفاء
لا لعمري بل طال منا جفاء عنه واستحكمت بنا الاهواء
من تخلى عن حبه لم يكن للحب ذنب فالحب منه براء
ليس حب الاوطان في لبس خز واختيال تغار منه النساء
واقتداء باهله كيف جاءوا في الذي لا يفيد فيه اقتداء
وانصراف عن كل علم وتفريق قلوب بها يقوم النماء
وانشغال عن البلاد باهواء نفوس قد صد عنها الحياء
واطراح الملا أُولي الفضل ميلاً لغوانٍ تميلها الصهباء
واتخاذ المناصب الغر اسباب عداء يرمى بها الابرياء
ان حب الاوطان عدل وحلم وثبات وعزة ووفاء
واصطبار على الزمان وتأليف قلوب وغيرة واباء
وجهاد في كل فضل وحرية قول وانفس شماء
وقلوب لا تنثني في الذي تبغي ولو حال فيه نار وماء
واكف تعاقدت تكتب المجد لو ان الحروف فيه دماء
ذاك حب الاوطان يا ايها الناس وهذي صفاته الغراء
كم نادي يا قومنا ثم لا نسمع غير الصدى وكم ذا النداء
او لسنا القوم الاولى ملكوا المدن ودانت لديهم الغبراء
والاولى سطروا المعارف واستجلوا خفايا الورى فزال الخفاء
ليس نيل العلي بصعب اذا ثارت اليه حمية قعساء
نحن ابناؤها ومن نصر الاباء تنصرْ بفضله الابناء
كلنا واحد لنا وطن فرد وان عددت بنا الاسماء
انما نحن هيكل واختلاف الاسم وهم فكلنا اعضاء
وسبيل العلى قريب هو الالفة فيها المنى وفيها الرجاء
وعلى الله نجحنا في ختام ان ثبتنا وصح منا ابتداء .

لكن الناظم رحمهُ الله جرى في خطة كثيرين من ارباب الادب فاغفل قوام الإفادة ومحور السعي فقد قال احد مترجميهِ " انه كان قليل الرفق بنفسهِ خشن الجانب على حواسهِ وجوارحهِ

لا يراعي لجسمهِ صحَّة ولا يطلب لنفسهِ راحة ... فكان جسمهُ هو الصاحب الوحيد الذي يشكو صحبتهُ و يئن من عشرتهِ ولذلك لم تطُل بينهما مدة هذا الاصطحاب وكان كثير الزهد في المال لا يهتم للغد ولا ينقل قدماً لدرهم". فلو رفق بنفسهِ وراعى صحة جسمهِ وسعى جهده الى الدرهم من الطرق المحمودة ولو كانت قليلة لتضاعفت فائدتهُ بنفسهِ وبقدوتهِ. واذا بحثت عن الذين رقُّوا الغرب فصار كما وصفهُ الناظم رأيت اكثرهم من اهل السعي والكد الذين يراعون صحة اجسامهم و يطرقون كل طرق الكسب الحلال

والديوان مطبوع طبعاً متقناً جدًّا في مطبعة جريدة البصير في الاسكندرية

كتاب المعين

الانشاء ملكة في النفس كالشعر والغناء والتصوير لا يبرع فيهِ من لم يولد متهيئًا لهُ . والناس على درجات شتى من هذا القبيل من العيّ الذي لا يستطيع ان يفصح عن معنى يريدهُ الى الذكي الفؤاد الذي ينظم الشعر البليغ طفلاً . ولا مشاحة في ان التعليم والتدريب والتمرين تشحذ ذهن الخامل وتذكي فؤاد الذكي ولذلك وضعت الكتب لتعليم طرق الانشاء واساليب البلاغة . ومن خيرة الكتب التي رأيناها في هذا المطلب كتاب المعين الذي وضعهُ حضرة العالم العامل والمنشىء البليغ سعيد افندي الشرتوني صاحب كتاب اقرب الموارد. قال في مقدمتهِ " طالما سألني جماعة من اخواننا معلمي المدارس الكرام المشهورين بسلامة الذوق بين الانام ان اضع لهم كتاباً اودعهُ فنوناً من المواضيع وضروباً من المباحث وشعاباً من المطالب مقتصرًا من بيان ذلك على قدر ما يكفي التلميذ ليحسن تصوُّر ما يكلف بسطهُ ويفتح لهُ الطرق للاتيان على اطرافهِ ويغني المعلم ان يشغل ذهنهُ في تخير الموضوع المناسب والمطلب الملائم مما قد لا يتسع لهُ الوقت للظفر بهِ او تحول كثرة اشغالهِ بينهُ وبين المستجاد منهُ . فارتاحت نفسي الى اسعافهم بما رغبوا فيهِ سدًّا لهذه الثلمة في تخريج طلبة العربية في الكتابة " فوضع هذا الكتاب معيناً للطلبة على مزاولة الانشاء وتعلم قواعدهِ بالعمل واردفهُ بكتاب آخر للمعلم جمع فيهِ ما اقترحهُ على الطلبة في الكتاب الاول. و يسرُّنا ان ارباب المدارس اقبلوا على الكتابين اقبالاً عظيماً ولا بدَّ من ان يجنوا منهما فوائدجمة. وحبذا لو اقتصر المؤلف على المواضيع الادبية واغضى عن المواضيع التاريخية السياسية التي قلما يؤمن فيها العثار ولا سيما في مدينة مثل بيروت قلما تجسر جرائدها على ذكر الحقائق وان ذكرتها اعتمدت على روايات الجرائد الفرنسوية المشهورة بالميل مع الاهواء. فاذا قرأ التلميذ تلخيص خبر الحرب بين اسبانيا

والولايات المتحدة المذكور في هذا الكتاب رسخ في ذهنهِ ان اهالي الولايات المتحدة شر الناس اجمع فقد قال "انهم سوّلوا للكوبيين التخلُّص من السلطة الاسبانيولية وزينوا لهم الانتقاض عليها وامدوهم بالمال والعدد" ثم وصف السفن الاسبانية التي خرجت من خليج سنتياغو بانها " قديمة الطرز قليلة العدد " والتهمة الاولى فظيعة لا يستطيع احد اثباتها على امة عظيمة شريفة مثل الامة الاميركية . والوصف الذي وصف بهِ سفن الاسبانيين تحقيراً لغلبة الاميركيين عليهم غير صحيح فان البوارج الاسبانية مصنوعة على احدث طرز وهي من اقوى ما صنع الناس من نوعها ولما ابتدأت الحرب انشأت جريدة المهندس الانكليزية الفصول الطوال في تفضيلها على البوارج الاميركية وحتمت ان النصر يكون للاسبانيين فردّت عليها جريدة السينتفك اميركان وبذلت اقصى جهدها لتثبت لقومها الاميركيين ان بوارجهم ليست دون البوارج الاسبانية وانها ان لم تقهر البوارج الاسبانية لم تدع هذه تقهرها. وصوّرت كل بارجة وذكرت عدد من فيها وعددهم وانفقت على ذلك اموالاً طائلة فلما تمّ النصر للاميركيين قالت هي وغيرها من الجرائد العلمية التي لا تذهب مع الاهواء ان الفوز كان للاميركيين برجالهم وحسن استعدادهم وان سوس الفساد الذين نخر ادارة الاسبانيين هو الذي اعجزهم عن مقاومة الاميركيين فان ملتزمي تقديم الخرطوش مثلاً كانوا يضعون فيهِ كرات من الخشب بدل كرات الرصاص و يقاسمون رجال الحكومة المكاسب .فعسى ان لا يتعرض حضرة المؤلف الفاضل في الاجزاء الباقية من هذا الكتاب الى ما تعسر معرفة حقيقتهِ في الاقطار الشامية

والكتاب الاوّل مطبوع في المطبعة العثمانية بلبنان والثاني في المطبعة الادبية ببيروت وحبذا لو اعتمدت المدارس عليهما في القطر المصري كما اعتمدت عليهما في القطر الشامي

السمر في قضاء اوقات السهر

في جبل لبنان رجل مشهور بنظم الشعر العامي المعروف بالمعنى ينظم القصيدة الطويلة ارتجالاً على نغم الدف او الدبكة فيأتي بابدع المعاني و يصوغها بلغة لا ينقصها الاَّ الاعراب وهو الخواجه الياس الفران المشهور في سواحل الشام · وقد اطلعنا على ديوان صغير لهُ جمع فيهِ بعض منظوماتهِ . من ذلك قولهُ في رثاء صديقنا المرحوم الياس صالح

كنتْ مستنظرْ فرَحْ ظبي الحمى وبلاهْ من عرسٍ تحوّلْ مأتما .

يا ايها الناعي رويدكْ رعتني سحّت مآقي مقلتيّ عنـدما

والديوان كلهُ على هذا النمط لا ينقصهُ الاَّ الاعراب ليكون من الشعر الحسن

باب المسائل

(١) منديل ثمين

مصر . حسن افندي حسني يوسف مهندس رسام . " قرات في مجلة التوفيق ان ملكة ايطاليا تمتلك انفس اللآلئ وقد ضاع منها حديثاً منديل تبلغ قيمته ستة آلاف جنيه اشتغله الصناع في عشرين سنة وهو خفيف حتى ان الانسان لا يشعر بهِ اذا وضع في يدهِ وصغير حتى يوضع في علبة من ذهب مثل حجم الفولة" فاستغربت هذا الخبر وبعثت اسأل حضرتكم عن تركيب هذا المنديل وعن صحة ما قيل من ان ثمنهُ ستة الاف جنيه

ج نعلم عن ثقة ان ملكة ايطاليا مغرمة بجمع تحف المحبوكات Lace وعندها منها ما ليس عند غيرها وهذه المحبوكات تكون غالية الثمن جدًّا لكثرة ما يقتضي عملها واتقانها من الوقت والمهارة ولكننا لم نقرأ في ما يصلنا من الكتب والصحف الادبيَّة ان ملكة ايطاليا اضاعت منديلاً هذه قيمته او ان عندها او عند غيرها منديلاً يثمن بالوف الجنيهات غير اننا لا نستطيع نفي ذلك بل نكاد نصدقهُ قياساً على ما نعلمهُ من مغالاة الاوربيين ببدائع الصناعة فاذا كانوا يبتاعون الصورة بستين الف جنيه فلا عجب اذا ابتاعوا منديلاً عمل الصناع فيهِ عشرين سنة بستة آلاف جنيه . وخيوط هذه المحبوكات من الكتان الدقيق غالباً

(٢) عناصر الشعر

نجع حمادي . منسى افندي تكلا . زعم بعض الاقدمين ان الحجر الكريم هو ابو الذهب واليواقيت وقال بعضهم ان هذا الحجر هو شعر الانسان البالغ فاذا تدبر كان منهُ الغنى العظيم . ولا ندري لهذا القول معنىً ولعلهم رأوا ما فيهِ من الكبريت بواسطة التحاليل فظنوهُ شيئاً كبيراً فبالغوا في المقال . ونودُّ الوقوف على معرفة المواد التي يتركب منها الشعر ونسبة بعضها الى بعض وهل يمكن ان يذاب حتى يصير كالماء بواسطة بعض المحاليل من غير ان يحصل تغير في موادهِ

ج ان العناصر المتركب منها الشعر هي الكربون والهيدروجين والنيتروجين والاكسجين والكبريت وهو من هذا القبيل مثل البشرة والقرون تقريباً كما ترون في هذا الجدول

	الشعر	البشرة	القرن
كربون	٥٠٦٥	٥٠٢٨	٥١٥٣
هيدروجين	٠٦٣٦	٠٦٧٦	٠٦٨٠
نيتروجين	١٧١٤	١٧٢١	١٦٢٤
اكسجين	٢٠٨٥	٢٥٠١	٢٢٥١
كبريت	٠٥٠٠	٠٥٧٤	٠٣٤٢

فالكربون خمسون في المئة منهُ والهيدوجين نحو ستة في المئة والنيتروجين نحو ١٧ في المئة والكبريت خمسة في المئة · ويذوب الشعر في المواد القلوية الكاوية وقلّما يتغير تركيبهُ · وكل ما قيل عن الحجر الكريم اوهام وخرافات لا طائل تحتها

(٣) تناسل البغال

طنطا. الخواجه عزرا لقي لماذا لا تتناسل البغال بعضها من بعض

ج يرث كلُّ مولود صفات والديهِ المقومة لنوعهما وفي جملتها اعضاء التناسل ومعلوم ان هذه الاعضاء مختلفة في الحمير عمّا هي في الخيل فالمولود منهما لا يرث الصفات المقومة لنوع ابيهِ ولا الصفات المقومة لنوع امهِ بل صفات ممتزجة منهما كما ترون في شكل البغل وخلقتهِ وتكون اعضاء التناسل فيهِ كذلك وهذا شأن البغلة ايضاً فلا تكون فيها قوة التناسل كما تكون في ابائها ولهذا لا تتلقح بيوض البغلة من البغل ولكنها قد تتلقح من فرس او حمار فتلد · وقد شاهدنا بغلة ولدت حيواناً شبيهاً بها منذ بضع سنوات وكانت عند المرحوم عمر باشا لطفي · وذكر كثيرون انهم رأوا بغالاً ولدت ومن ذلك ما ذكرهُ الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء في حوادث سنة ٣٠٠ للهجرة · وعقم البغال هذا دعا الى ما يرى من الفواصل بين انواع الحيوان والنبات والاَّ لامتزجت بعضها ببعض

(٤) سم الافاعي

هاي باستراليا · وديع افندي ابو رزق · هل يوجد السم في الحيّة منذ ولادتها او يتكوَّن فيها بعد ذلك ولمَ يوجد السم فيها

ج الظاهر انهُ يكون فيها منذ ولادتها ولو كان ضعيفاً لان دمها سامٌ ايضاً اذا حُقن بهِ حيوان تحت جلدهِ فعل بهِ فعل السم ولكنهُ لا يتجمع في جراب السم الاَّ بعد نموها · وقد تكوَّن السم في الحية السامة اولاً عرضاً ثم قوي فيها لانهُ وُجد سلاحاً نافعاً لها كما وجد الشوك في النبات

(٥) انتشار العدل

ومنهُ اذا كانت المحاكم وُجدت لتقيم العدل وتنصف المظلوم فلماذا تحجم كل دولة عن منع غيرها من الاخلال بالعدل كما احجمت دول اوربا الواثقة ببراءة در يفوس عن نصرتهِ وهل يصل العالم الى درجة يقوم فيها العدل ويجد لهُ في كل الممالك انصاراً

ج ان ارتباط الدول بقانون يمنع كل دولة من التعرُّض لشؤُون غيرها لا يخلو من المضار ولكنَّ منافعهُ اكثر من مضارهِ كثيراً في الاحوال الحاضرة والاَّ جار القوي على الضعيف · ومن المحتمل ان تتغير الحال فتصير الامم كلها مملكة واحدة او تقيم مجلس تحكيم تتقاضى اليهِ فيحكم في كل الامور العمومية لكن زمن ذلك بعيد جدًّا لا نراهُ نحن ولا اولادنا



البصر للعمي

شاع منذ ثلاثة اشهر او اربعة ان بعضهم اكتشف طريقة كهربائية يستطيع بها الاعمى ان يبصر او ان يشعر بالمرئيات شعور من يراها بعينيهِ وذلك بآلة كهربائية صنعها المستر ستينس تفعل افعال العين وتقوم مقامها. وقد اثبتت جريدة ناتشر حديثًا ان لا صحة لهذا الخبر وان المستر ستينس نفسهُ ينكر صحتهُ. لكننا رأينا في مكان آخر ان بعضهم صنع آلة كهربائية يضعها الاعمى على صدغهِ فيصير يشعر بالنور والظلمة والابيض والاسود وهذا غاية ما يشعر بهِ . ولا نرى شيئًا مستحيلاً في ذلك لأن المراكز البصرية قد تتأثر على غير طريق العين فلا يبعد ان توجد آلة تكيّف امواج النور حتى تجعلها توُثر في الصدغين تأثيرًا ينتقل الى المراكز العصبية ويؤثر فيها مثل النور

التلغراف الاثيري

بسطنا الكلام في هذا الجزء على التلغراف الاثيري ثم عثرنا على تقرير عنهُ من ديوان الادارة البحرية في الولايات المتحدة فاذا فيهِ ان هذا التلغراف سهل الاستعمال بين السفن في الصحو والمطر والنهار والليل على حدّ سوى . والريح والمطر والضباب لا توُثر فيهِ ولكن الرطوبة تقصر المسافة التي تبلغها الامواج الاثيرية . والمباني المعترضة بين المكانين اللذين يكون التخاطب بينهما اذا كانت اطرافها من الحديد اعترضت هذه الامواج ايضًا ولا تزيد سرعتهُ على اثنتي عشرة كلمة في الدقيقة

هبات علمية

ذكرت جريدة العلم الاميركية ان مسز جان ستنفرد باعت ٢٨٥ الف سهم من اسهم بعض الشركات باحد عشر مليونًا واربع مئة الف ريال اي بنحو مليونين وثلثمئة الف جنيه وقد وهبت ذلك كلهُ لمدرسة ستنفرد الجامعة. وان المستر جمس مكب وهب مدرسة كلاركسڤل الجامعة سبعين الف ريال فصار مجموع هباتهِ لها مئة الف ريال . وان بعضهم وهب مدرسة فسار التي يتعلم فيها البنات العلوم العالية مئتين وخمسين الف ريال. وان مس اليصابات ميد وهبت المدرسة الوسلية الجامعة ٣٨ الف ريال . وبمثل هذا الكرم تنشأُ المدارس وتنتشر العلوم

تمثال لافوزية

قال المسيو برتلو في اكادمية العلوم بباريس ان المال المجموع بالاكتتاب لاقامة

تمثال للافوازية بلغ ٩٨ الف فرنك وسينصب هذا التمثال وراء كنيسة المجدلية ويكشف الستار عنهُ في شهر يوليو المقبل

لورد لبُك

بشَّرتنا الانباء البرقية والمقتطف تحت الطبع ان جلالة ملكة الانكليز انعمت على العلاَّمة المفضال السر جون لبُك برتبة الاعيان ولقب لورد فصار من علماء الطبيعة الآن لورد كلفن ولورد ريلي ولورد لستر ولورد لبك . ولو لم تكن قوانين الانكليز تمنع اعطاء هذه الرتب لغير اهل الثروة الطائلة لرأينا مئات من علمائهم في مصاف الاعيان

الترام الكهربائي في باكين

سيدخل الترام الكهربائي مدينة باكين عاصمة الصين فتفتح ابواب تلك المدينة للاوربيين وللآلات الاوربية

الباخرة سسل رودس

صنع الانكليز باخرة مدرَّعة سموها سسل رودس باسم المستر سسل رودس الشهير لكي تمخر في بحيرة طنجنيكا في افريقية وتمد سلك التلغراف الذي يراد ايصالهُ من راس الرجاء الى القاهرة . وستفكك هذه الباخرة وترسل الى جنوبي افريقية ثم تنقل الى بحيرة طنجنيكا وتركب ثانية وتنزل الى البحيرة

قوة شلال نياغرا

تقدَّر قوة شلال نياغرا بسبعة ملايين ونصف مليون حصان وقد استُخدم منها حتى الآن قوة خمسة وثلاثين الف حصان حُولت الى كهربائية واستعمل اكثرها في المعامل المقامة بجانب الشلال ولكن ارسل بعضها الى مكان بعدهُ عنها ٨٣ ميلاً . والمرجح الآن ان جانباً كبيرًا من قوة هذا الشلال يحوَّل الى كهربائية و يوزع في البلاد المجاورة الى ما بعدهُ عنهُ مئة ميل لا الى ما هو ابعد من ذلك

ترياق سم الافعى

ثبت الآن ان الترياق الذي اكتشفهُ الدكتور كلمت لسم الافعى يشفي منهُ سواء استعمل حالاً او استعمل بعد مدة وجيزة . وتبقى فيهِ قوة الشفاء ولو مضت عليهِ سنون كثيرة

الشهب الاسدية

اتفقت الانباء من كل الاقطار على ان شهب نوفمبر المعروفة بالشهب الاسدية لم تكثر هذه النوبة حسب المنتظر نعم ان البعض شاهدوا منها خمسين شهاباً او ستين في الساعة ولكن هذا قليل جدًّا في جنب ما شوهد منها سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٣٣ . وقد ادعى البعض انهم شاهدوا شهباً كثيرة تسقط بعيد الظهر في الخامس عشر من نوفمبر وقال الذين شاهدوها انهم كانوا يرون كأَن كرات من الفضة تتساقط من السماء وتذهب فيها كل

مذهب لكن ذلك كلهُ من قبيل الاوهام لان برج الاسد كان حينئذٍ تحت الافق فيستحيل ان ترى الشهب منهُ

الحرير الصناعي

أُنشئ معمل في بلاد الانكليز لعمل الحرير الصناعي . ويقال انهُ يمكن ان يصنع فيهِ سبعة آلاف رطل من هذا الحرير كل اسبوع وذلك بان يذاب القطن في الحامض النيتريك فيتكون منهُ البيروكسلين ويضاف اليهِ الكحول وايثير ويوضع في اسطوانة تدار على محورها اثنتي عشرة ساعة فيذوب البيروكسلين ويصير منهُ الكلوديون فيصفى ويضغط ثم يدفع من انابيب دقيقة من الزجاج فيخرج منها خيوطاً دقيقة ويجمد حالما يقابل الهواء ويصير حريراً . والغالب انهُ يلف اثنا عشر خيطاً او اكثر معاً لدقتها فيكون منها الخيط المطلوب لكنهُ يكون سريع الاشتعال كما هو معلوم في الكلوديون فيعالج بطريقة تحولهُ الى سلولوس فيصير مثل الحرير تماماً . ويقال ان معامل بزانسون في فرنسا تصنع ٧٠٠ رطل من هذا الحرير في الاسبوع ولكن كثرة الطلب على حريرها جعل اصحابها يوسعونها حتى تصنع الفي رطل كل يوم

سمع النمل

اجمع علماء الطبيعة على ان النمل لا يسمع الاصوات التي يسمعها الانسان لانهم لم يروها تؤثر فيهِ مهما كانت شديدة غير ان العالم وب الاميركي بحث في هذا الموضوع الآن بحثاً مدققاً فوجد ان النمل الاميركي يشعر بالاصوات شعوراً واضحاً فكان يضعهُ في انابيب من الزجاج ويدنيها من آلة ذات صوت فيظهر عليهِ الاضطراب كلما صاتت الآلة فاستنتج من ذلك انهُ يشعر بتموجات الاصوات ولو لم يكن شعورهُ هذا على سبيل السمع كأن تموجات الهواء تؤثر في انبوب الزجاج الذي يكون فيهِ فتحرك دقائقهُ تحريكاً يشعر النمل بهِ باللمس

المسلَّة المصريَّة في اميركا

عادت المسلَّة المصرية التي نقلت الى اميركا تتفتَّت بعد ان دهنت بدهان ظُنَّ انهُ يقيها من التفتت . وقد اسفت جريدة السينتفك اميركان لان هذه المسلَّة نصبت معرَّضة للحر والبرد والرياح ولم تنصب في دار المتحف الداخلية فعسى ان يعود الاميركيون وينقلوها الى حيث توقى من التلف حتى لا يقال انهم اخذوا كنزاً من كنوز مصر فاتلفوهُ

الحساب الغربي في روسيا

كانت الحكومة الروسية قد عزمت على ابدال الحساب الشرقي بالحساب الغربي لكنها وجدت انهُ يستحيل عليها تقديم الاعياد على ما يقتضيهِ الحساب الغربي فتركت الامر وسيبقى الحساب الشرقي فيها الى ما شاء الله

الاوتوموبيل

جاء في السينتفك اميركان ان الاتوموبيل سيستعمل في جنوبي افريقية لحرث الارض، وان طبيباً انكليزياً ركب الاوتوموبيل مسافة خمسة آلاف ميل فكانت النفقات ٢٦ جنيهاً فقط. وان المستر مكنلي رئيس الولايات المتحدة يركب اوتوموبيلاً يسوقهُ البخار

سور الصين

عزمت حكومة الصين على هدم سورها المشهور الذي بني قبل المسيح بمئتي سنة وقد تقاطرت الشركات الاوربية والاميركية عليها تغريها بذلك وتسهلهُ عليها بانها لا تطلب منها مالاً بدل عملها بل امتيازات في بلادها

قصر ولي العهد في يابان

كلما التفتنا الى سراي عابدين ورأينا الصنّاع ينزعون الطين عن جدرانها و يشيدونها بطين غيرهِ اسفنا لان خديوي مصر الاسبق لم يبنها بالرخام والمرمر لكي ترسخ رسوخ مباني المصريين الاقدمين وقد كان ذلك قليلاً عليهِ معما انفقهُ من الاموال الطائلة وابقاهُ على عاتق القطر حملاً ثقيلاً. قابل ذلك بما تفعلهُ مملكة أُخرى شرقية نهضت بالامس من دياجير الدجى وهي بلاد يابان فقد عزم ولي عهدها ان يبني لنفسهِ قصراً فخيماً من الرخام والمرمر وتكون عمدهُ كلها من الفولاذ (الصلب) وسيكون طولهُ ٤٠٠ قدم وعرضهُ ٢٧٠ قدماً وعلوهُ ٦٠ قدماً و يبنى على النسق الفرنسوي المعروف بالرنسنس وتوضع فيهِ آلة تدفئهُ شتاء وآلة أُخرى تبردهُ صيفاً. ويكون فيهِ اربعمئة عمودمن الفولاذ ونار بالكهربائية

ملاط الاقدمين

نزع الملاط من قنوات الماء في افسس وازمير وهي قديمة انشئت منذ نحو الفي سنة وحُلل تحليلاً كيماوياً فوجد فيهِ جير (كلس) ومادة زيتية والارجح انها زيت الزيتون فقد ظهر بالامتحان انهُ اذا صنع ملاط ثلثاهُ من الجير وثلثهُ من زيت الزيتون كان مثل ملاط الاقدمين

الضمان من الزلازل

طلب الدكتور براتا من مجلس النواب الايطالي ان يجبر الايطاليين علي الاشتراك في الشركات التي تضمن للانسان ما يخسرهُ بسبب الزلازل فتتخلص الحكومة من النفقات التي تنفقها لمساعدة المنكوبين بها وتتوزع الخسائر على البلاد كلها

تعمير افريقية

اكثر مشاهير الكتّاب من البحث في هذا الموضوع واتفق اكثرهم على ان اكبر عائق يعيق الاوربيين من السكن في الاقاليم الحارّة وتعميرها ليس حرارتها بل الامراض الميكروبية التي تميتهم فيها. ولكن العلم قد مهّد السبيل الآن لمقاومة هذه الميكروبات ودفع غائلتها

ولذلك لم يبقَ ما يمنع الاوربيين من سكن افريقية وتعميرها . وقد كان معدّل الوفيات من الجنود الاوربية في الاقاليم الاستوائية من ١٠ الى ١٢ في المئة في السنة فصار الآن نحو واحد وربع في المئة فقط

انتحار العقرب

ادّعى كثيرون انهُ اذا احيطت العقرب بدائرة من النار شالت بذنبها ولسعت نفسها حتى تموت انتحارًا وقد امتحنا ذلك غير مرة فلم نرهُ صحيحاً وثبت الآن بالتجارب ان العقرب لا تحتمل الحرارة الشديدة فتموت اذا بلغت الحرارة الدرجة ٥٠ بميزان سنتغراد وان سمها لا يفعل بها فلا تموت ولو لسعت نفسها بحمتها ولكن اذا أُلقي عليها نور الشمس ببلورة محدَّبة حتى اجتمع على ظهرها ولذعها بحرارتهِ شالت بذنبها وحاولت نزعهُ بحمتها فيظهر كانها تحاول الانتحار

انف صناعي

ذكرت جريدة السينتفك اميركان ان ولدًا اصيب بحادثة نزع بها انفهُ فعالجهُ الجراحون في مستشفى نيو يورك حتى شفي ثم وضعوا لهُ انفاً من الكاوتشوك ومطوا جلد وجههِ على جانبيهِ وغطوهُ بهِ فكان من ذلك انف مثل الانف الطبيعي

امراض الارض

يعلم ارباب الزراعة انهُ اذا تكرَّر زرع نوع واحد من النبات في ارض واحدة لم يعد يجود فيها مهما بذل في حرثها وخدمتها من العناية . وقد بحث علماء الزراعة في اميركا عن سبب ذلك فوجدوا انهُ يتولد في الارض انواع من الفطر السام تميت ذلك النبات ولم يجدوا لهُ علاجاً حتى الآن لكنهم يظنون انهُ اذا تعاقبت انواع مختلفة من المزروعات على الارض لم تتكون فيها هذه المواد الفطرية

الاعدام بالكهربائية

تنظر الحكومة الفرنسوية في ابدال طريقة الاعدام المعروفة فيها بالاعدام بالكهربائية وذلك بان تلبس المحكوم عليهِ خوذة من المعدن مثل الخوذة التي يلبسها الغواصون فاذا اتصل المجرى الكهربائي برزت ابرتان من الخوذة ودخلتا صدغي المحكوم عليهِ فتصل الكهربائية الى دماغهِ وتميتهُ في الحال

الاجانب في يابان

لما اهتمَّ اليابانيون بانشاء المدارس في بلادهم اهتموا ايضاً باستخدام الاساتذة من الاوربيين والاميركيين وكان غرضهم الاول ان يتعلموا منهم و يستغنوا عنهم وهم الآن يبدلون كل الاساتذة الاجانب باساتذة من اليابانيين لان ابناء يابان جاروا الاوربيين في الهمة والاجتهاد والبراعة في العلوم والفنون

فهرس الجزء الاول من المجلد الرابع والعشرين

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٠ — الموافق ١ شوال سنة ١٣١٧

اندرو كارنجي



يعرف قراء المقتطف اسم كارنجي لا لانهُ من رجال العلم ولا لانهُ من رجال السياسة بل لانهُ غنيٌّ كبير يستخدم غناهُ للنفع العام ويحث غيرهُ من الاغنياء على الاقتداء بهِ ولهُ في ذلك المقالات البليغة التي لخصنا بعضها في بعض الاجزاء الماضية. وقد قرأْنا الآن كلاماً عنهُ للمستر

ستد منشيء مجلة المجلات الانكليزية حريًّا بان ينشر في كل لغة من لغات الارض فلخصناه في السطور التالية قال

تقدَّر ثروة المستر كارنجي الآن بنحو اربعين مليونًا من الجنيهات ويبلغ دخلهُ السنوي منها مليونين اي يبلغ دخلهُ اليومي نحو ٥٤٨٠ جنيهًا. وهذا الغنى الوافر نادر المثال حتى في آخر القرن التاسع عشر ولكن الرجل نفسهُ اندر مثالًا من غناهُ فانهُ هو الذي جمع هذه الثروة كلها وقد جمعها بجدهِ واجتهادهِ لا بالمضاربة ولا بطرق الغش والخداع . وهذا امر نادر جدًّا قلما يماثلهُ فيهِ احد . ويليهِ امرٌ آخر اندر منهُ بل ليس لهُ مثيل في تواريخ البشر وهو ان المستر كارنجي عازم على ان يتصدَّق باموالهِ كلها . وهو الآن في الثانية والستين فقضى السنوات الماضية من عمرهِ في جمع الثروة وسيقضي السنوات الباقية منهُ في تفريق هذه الثروة. وهو صاحب القول المأثور "من يمت غنيًا يمت حقيرًا"

وانفاق المال في سبل النفع كما هو شأْن كارنجي ليس بالامر السهل بل قد يكون اصعب من كسبهِ . وقد تقدَّم ان دخلهُ السنوي لا يقلُّ عن مليونين من الجنيهات فاذا قضى السنة كلها في انفاق هذين المليونين على الاعمال النافعة كانشاء المدارس واقامة المستشفيات وجمع المكاتب وبناء البيوت الصحيَّة للفقراء مات "حقيرًا" كما قال لانهُ يموت ومالهُ على حالهِ نحو اربعين مليونًا من الجنيهات ولذلك يكون عليهِ ان ينفق دخلهُ وينفق ايضًا جانبًا من مالهِ كل سنة . فلو عاش حتى بلغ السنة التسعين من العمر للزمهُ ان ينفق في ما بقي من عمرهِ ثمانين او تسعين مليونًا من الجنيهات ينفقها كلها في ما يعود بالنفع على نوع الانسان عمومًا وابناء وطنهِ خصوصًا . وقد عاد الآن بهذه الاموال الى اسكتلندا مسقط راسهِ لهذه الغاية

ولد في الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٧ من عائلة اسكتلندية قديمة وكان ابوهُ حائكًا عندهُ اربعة انوال ولذلك كان يُعَدُّ من اهل اليسار بالنسبة الى غيرهِ من الحاكة . وتعلم القراءة من امهِ وخالهِ وبقيت امهُ خمسين سنة اكبر مرشد لهُ في سبل الحياة. وهي من النساء الاسكتلنديات المشهورات بالذكاء والحزم وشدَّة الاعتناء ببيوتهنَّ وتربية اولادهن وقد ورث طباعهُ منها وتخلَّق باخلاقها وهو عازم الآن ان ينفق ثروتهُ على الاسلوب الذي خطتهُ لهُ في طفوليتهِ

قلنا ان اباهُ كان حائكًا فلما شاعت معامل الحياكة ورخصت المنسوجات كسد عملهُ وعضهُ الفقر فباع انوالهُ وهاجر بزوجتهِ وابنيهِ الى اميركا ذهبوا اليها في سفينة شراعية فقضوا سبعة اسابيع حتى بلغوها وكان ذلك سنة ١٨٤٨ . قال كارنجي ان اباهُ دخل البيت ذات

يوم قبل ان هاجر من اسكتلندا وقال لزوجته قد كسدت الاعمال ولم يبقَ لنا سبيل للمعيشة في هذه البلاد ثم اخذا يتذاكران في هذا الامر . ولما قرَّ قرارهما على بيع الانوال والمهاجرة شعرت اننا افقر خلق الله. والظاهر انهما هاجرا لاجل ولديهما لانهما كانا يستطيعان المعيشة في بلادهما ولو بالتقتير ولكن مصلحة ولديهما حملتهما على ترك وطنهما والمهاجرة بهما الى اميركا

ولما بلغ صاحب الترجمة السنة الثانية عشرة من عمرهِ دخل معملاً لغزل القطن كان ابوهُ قد وجد عملاً فيهِ . وجعل يلف الخيوط على الوشائع وبلغت اجرتهُ ثلاثين غرشاً في الاسبوع وكان يشرع في العمل قبلما تشرق الشمس و يظل عاملاً الى ما بعد غيابها . ثم انتقل الى معمل آخر وكان يلف الخيوط فيهِ ويوقد في آلة بخارية صغيرة وهو في الثالثة عشرة من عمرهِ . ولما رأى، نفسهُ مؤتمنًا على آلة بخارية شعر انهُ صار رجلاً . وكان العمل شاقًّا جدًّا ولكنهُ قام بهِ مسروراً لانهُ كان يجد ما يسرهُ في بيت ابيهِ . والراحة البيتية تقوي العزيمة وتذكي الفؤاد. وفي السنة التالية انتقل الى بيت التلغراف فشعر كمن انتقل من الظلمة الى النور ومن القفر الى الفردوس وقال انهُ حسب نفسهُ اسعد خلق الله لما رأى حولهُ الكتب والجرائد والاقلام والدفاتر . وكان اولاً يرسل التلغرافات الى اصحابها ثم صار يعمل على آلة التلغراف وتمرَّنت يدهُ واذنهُ حالاً فصار يفهم الكلام من سماعهِ صوت مفتاح الآلة فجُعل راتبهُ خمسة جنيهات في الشهر وهو بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة

وكانت تلوح على وجههِ امارات الذكاء وتبدو من حركاتهِ الهمَّة والنشاط ورآهُ مدير سكة بنسلفانيا الحديدية مراراً فعجب من اجتهادهِ وذكائهِ ودعاهُ الى خدمتهِ وجعلهُ كاتباً عندهُ ومديراً للتلغراف فارتقى من منصب الى آخر مدة ثلاث عشرة سنة حتى صار مديراً لقسم من تلك السكة . وتعرَّف بمخترع مركبات النوم فشاركهُ وربح من ذلك ربحاً اعانهُ على الشروع في اعمالهِ الاخرى التي كانت سبب ثروتهِ . واشترك مع بعض الاصدقاء وابتاعوا ارضاً بثمانية آلاف جنيه وحفروا فيها آباراً لزيت البترول فربحوا بذلك مئتي الف جنيه . ولكنهُ بلغ الثلاثين من عمرهِ قبلما عثر على الصناعة التي جمع منها ثروتهُ الوافرة

ذلك انهُ لما عُيّن مديراً لسكة الحديد وجد ان شركة تلك السكة كانت تجرب عمل كبري (جسر) من الحديد وكانت الكباري كلها الى ذلك الحين من الخشب فقال في نفسهِ لا بدَّ من ان تبدل بكباري الحديد ويصير الاعتماد على الحديد وحدهُ في المستقبل لانشاء الكباري فانشأ معملاً صغيراً لعمل كباري الحديد واتسع عملهُ هذا اتساعاً عظيماً وزادت مكاسبهُ بازدياد السكك الحديدية . ثم رأى ان الصلب (الفولاذ) افضل من

الحديد لخطوط السكك وانهُ لابدَّ من الاعتماد عليهِ فانشأَ المعامل لسبكهِ وعمل هذه الخطوط منهُ وابتاع كل مناجم الحديد والفحم في البلاد المجاورة لهُ ثم في البلاد المجاورة لبحيرات اميركا وانشأَ سكةً طولها ١٨٦ ميلاً لجلب تجارة الحديد من المناجم الى المعامل. وكان يختار اغنى المناجم ويستخدم اقل الطرق نفقات في استخراج الحديد منها فزادت ثروتهُ سريعًا الى ان بلغت ما بلغتهُ من الملايين الكثيرة

وهو على غناهُ المفرط وكبر سنهِ طلق المحيَّا انيس المحضر كأنهُ شاب في السادسة عشرة ليس في جيبهِ درهم . لم يورثهُ والداهُ شيئًا من المال ولكنهما اورثاهُ صحةً جيدة واخلاقًا رضية وآدابًا رائعة فتراهُ ممتلئًا صحة ونشاطًا لا يدخن ولا يسكر ولا يعمل عملاً يلام عليهِ وهو فوق ذلك من الكتَّاب المعدودين حسن الانشاء منسجم العبارة واضح الحجة لا تملُّ كتابتهُ ولو كانت في الاحصاء. وسنذكر الاساليب التي عزم على انفاق ثروتهِ فيها في بعض الاجزاء التالية

العلم في العام الماضي

الفلك

من بعد ظهور الكلف على وجه الشمس في شهري سبتمبر واكتوبر سنة ٩٨ سكن اضطرابها وصفا وجهها الى شهر يونيو سنة ٩٩ فظهرت حينئذٍ كلفة كبيرة على الطرف الشرقي واتحدت بكلف أُخرى حتى صار منها مجموع امتد في ٢٩ يونيو على مسافة ٠٠٠,٠٠٠,٧٠٠ ميل مربع. وظهور هذه الكلف الكبيرة نادر في سنة يجب ان تكون الكلف فيها على اقلها . وخلا وجه الشمس من كل اضطراب في يوليو واغسطس وسبتمبر

ووجد الاستاذ نيوكوم ان النظام الشمسي يسير في الفضاء ٠٠٠,٠٠٠,٣٣٤ ميل في السنة وانهُ سائر الى نقطة صعودها المستقيم ١٨ ساعة و٣٠ دقيقة وميلها الشمالي ٣٥ درجة

ووجد الاستاذ فرنن بويز ان متوسط كثافة الارض (اي ثقلها النوعي) ٥,٥٢٧٠ اي ان ثقل الارض ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٦٤,٨٨٢,٥ طنًا . ومن الغريب ان الآب برون العالم البوهيمي بحث عن كثافة الارض ايضًا بطريقة اخرى فوصل الى نتيجة قريبة جدًّا من نتيجة الاستاذ فرنن بويز لانهُ وجد كثافتها ٥,٥٢٧٣ وهذه الموافقة تثبت صحة ما وجداهُ

وقد سمي السيار الصغير الذي اكتشف في شهر اغسطس سنة ٩٨ "ايروس". وتمكن

الدكتور شندلر من معرفة فلكه بتحديد مواقع النجوم المحيطة به وتغيراتها منذ سنة ٩٣

وقيست مدة دوران القمر الخامس من اقمار المشتري فاذا هي ١١ ساعة و ٥٧ دقيقة و ٢٢ ثانية و ٦٥ في المئة من الثانية

واكتشف الاستاذ بكرنج قمراً جديداً لزحل ولكن ذلك لم يثبت لانهُ قد يكون سيّاراً وراء نبتون

وشوهدت ثلاثة من ذوات الاذناب الدورية التي كان رجوعها منتظراً هذه السنة

وقد انتظرنا تساقط الشهب الاسدية في اواسط نوفمبر الماضي وهي تتساقط بكثرة مرة كل نحو ٣٣ سنة فكان سقوطها قليلاً جدًّا هذه النوبة لم يُرَ منها إلاَّ نحو ستين شهاباً في الساعة

الكيمياء

من اهم ما اكتشف في الكيمياء طريقة تجديد الهيدروجين اكتشفها الاستاذ دوَر اتفاقاً بينما كان يجرب تجارب اخرى وقد اعلن اكتشافهُ هذا في مجمع العلوم البريطاني بمدينة دوفر

واكتشف السر وليم كروكس عنصراً جديداً سماه "فكتوريوم" اكراماً للملكة فكتوريا فوجد انهُ اذا وضعت بعض الحجارة مثل الياقوت والفيروز والالومينا والاتريوم في اناء زجاجي خالٍ من الهواء وتعرض لمجرى كهربائي آتٍ من القطب السلبي من لفائف الحدَّة ظهر من هذه الحجارة نور فصفوري وقد بحث منذ سنة ٧٩ في هذا النور فوجد انهُ ناتج عن عنصر جديد ثقلهُ الجوهري ١١٧

ونشر ايضاً كتاباً في تاييد رأْيهِ الذي ابداهُ في خطبتهِ لما كان رئيساً للمجمع العلمي وهو ان الاراضي التي تصلح لزرع الحنطة لا تكفي غلتها الناس الذين يأكلون الحنطة ولا بدَّ من تسميدها بنيترات الصودا وعمل هذه النيترات بالطريقة الكهربائية التي اشار بها

وقرأ السر نورمن لكير (الفلكي الشهير ومحرر جريدة نانشر) رسالة امام دار العلم الملكية موضوعها "تقسيم الكواكب الكيماوي" ابان فيها كيفية تكوُّن الكواكب ونشوءها وارتقاءها

البيولوجيا

خطب المستر ادم سدجوك احد علماء البيولوجيا في المجمع البريطاني في "التغير وبعض الظواهر المتعلقة بالتناسل والجنس" ذكر فيها اموراً كثيرة توضح حقيقة الارتقاء الطبيعي وقال ان التغير كان عظيماً جدًّا في الاجسام الحيَّة عند بدء ظهورها ولذلك كانت الوراثة اقل فعلاً حينئذٍ منها الآن

وتكلم الاستاذ بوينتنج في القسم الرياضي والفلسفي على طلب البيولوجيين معاضدة الطبيعيين لهم في تفسير مسائل الحياة والحركة فقال ان تفسير الظواهر الحيوية والتغيرات الارادية وغير الارادية بتفاسير طبيعية محضة أمر مردود لا يقبلهُ العقل وان لكل حيّ من الاحياء شيئًا يميزهُ عن غيرهِ ولذلك لا يمكن تقدير ما سيحصل لهُ بما قد حصل قبلاً لغيرهِ من نوعهِ فيجب على البيولوجي ان يقتصر على الاساليب السيكولوجية

ولم يزل الاستاذ كارل بيرسُن يوالي الاحصاء في علم البيولوجيا وهو الدائرة التي تلي الانتخاب الطبيعي وفيها حقائقهُ الرياضية . وقد بحث في آخر مقالة نشرها عن طول عمر الرجل وتأثير الارث فيهِ وهو الآن يشتغل بالبحث عن طول عمر المرأة

ونشر الاستاذ كوسار ايورت مقالة في تجنُّس الحيوانات وتأهيلها وهذه مسألة تهمُّ مَن يدرس علم الوراثة بل كل مَن يشتغل في تربية الحيوانات وتجنيسها وتأهيلها

ودُرِسَت اسماك النيل درسًا مدققًا بمساعدة كثيرين من علماء الحيوان وكرم الحكومة المصرية . وقد أخذ المستر بولنجر العالم الطبيعي في تأليف كتاب كبير في هذا الموضوع فيهِ اكثر من مئة صورة وعزمت نظارة المعارف المصرية ان تطبعهُ على نفقتها. وذهبت رسالة يرأسها المستر مور لفحص اسماك بحيرة تانجانيكا في اواسط افريقية ورسالة اخرى الى جزيرة سقطرى لدرس حيواناتها ونباتاتها وجمع الامثلة منها فجمعت شيئًا كثيرًا من ذلك عادت بهِ الى البلاد الانكليزية

الكهربائية

كان تقدُّم الكهربائية عظيمًا في السنة الماضية وخصوصًا في التلغراف الاثيري وقد تكلمنا عن هذا الاختراع ووصفناهُ وصفًا مسهبًا مدققًا في الجزء الماضي . وحسبنا ان نقول الآن ان الآت هذا التلغراف تزيد اتقانًا يومًا فيومًا و يزيد الناس لها استعمالاً والآن يستعملونها في الحرب الحاضرة

ومن المكتشفات الحديثة الطريقة الجديدة للاسراع في ارسال التلغرافات العادية فقد ارسل في ساعة واحدة من ٧٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ كلمة بين فينا وبودابست وأُرسل حديثًا ١٢٢٠٠٠ كلمة في الساعة بين شيكاغو و بفلو في الولايات المتحدة الاميركية

وادخلت اشعة رنتجن في الطب والجراحة واستعملت في الحرب السودانية وحرب الترنسفال

واخترع الدكتور وهنلت آلة تمكن بواسطتها ان يقطع ويوصل المجرى الكهربائي الف مرة في الثانية

عيوب الاسنان

الدكتور نسيم عربيلي

من اصدق ما يظهر فيهِ قول الكتاب " الآباء اكلوا الحصرم واسنان البنين ضرست " ظهور الادواء في اولاد المصابين بالمرض القبيح المفسد للبنية بعد فساد الاخلاق اعني بهِ السفلس او الداء الزهري فانهم قلما يعيشون واذا عاشوا فقلما ينجون من آثار ذلك الداء الخبيث في بنيتهم وهيئتهم ولاسيما في شكل اسنانهم . ولو علم الشبان الذين يلقون بانفسهم في التهلكة وهم يسعون وراء لذة وقتية ما يحلُّ بهم من فساد البنية وتشوُّه الاعضاء اذا اصابهم ذلك الداء الخبيث لفضَّلوا كل حرمان على تلك اللذة . ولو ادرك آباء البنات ما يحلُّ ببناتهنَّ ونسلهنَّ اذا زوَّجوهنَّ رجالاً اصيبوا بهذا الداء لامتنعوا عن تزويجهنَّ بهم ولو بقين ايام العمر كلهُ. ولا ندري كيف تخفى نتائج هذا الداء على احد من الناس وهم يرونها جلياً في كل من اصيب بهِ وفي نسلهِ من بعدهِ اذا عاش لهُ نسل



الشكل الاول

الشكل الثاني

واول من انتبه الى عيوب اسنان المولودين من آباء مصابين بهذا الداء الدكتور هتشنصن فانهُ بحث في هذا الموضوع وبيَّن انهُ يكون الاسنان حينئذٍ شكل خاص بها كما ترى في الاشكال التالية ولاسيما الثنايا العليا فان هذه الاسنان تظهر في اللثة اولاً دقيقة محدَّدة ثم ينكسر راسها وتبقى في اللثة كقرمة مقعرة ثم تزول تماماً بين السنة العشرين والثلاثين من العمر . وقد تنفصل الثنيتان فتكون احداها بعيدة عن الاخرى وقد لا يظهر فيهما التقعير المشار اليهِ ولكن يكون لهما لون خاص بهما تمتازان بهِ

وأيَّد الدكتور وليمس قول هتشنصن وقال ان الثنيتين العليين تظهران في التسنين الثاني وفي كلٍّ منهما حفرة عند اسفلها والاسنان التي حولها على الجانبين تكون صغيرة وعليها نتوات . ترى في الشكل الاول والثاني صورة اسنان ولد عمرهُ ١٢ سنة وابنتين عمر الواحدة

منهما ١٤ سنة وعمر الثانية ١٧ سنة وقد وصفها المستر طمس بانها رمادية اللون صغيرة بالنسبة الى الفك لينة القوام تتكسر بسهولة ولا تقاوم العوارض

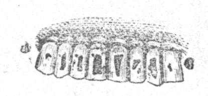
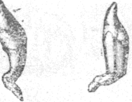




الشكل الثالث

وقد يتغير شكل الاسنان الطبيعي فينحرف تاجها الى اليمين او الى اليسار كما ترى في الشكل الثالث وهو صورة اثنتين من الثنايا وسن من ذوات الحدبتين وقد يصعد جذرها الى اعلى تاجها ويتجوَّف كالكاس

وقد ينحرف جذر السن الى اليمين او الى اليسار لغير سبب ظاهر ولا يكتفي بالانحراف بل ينعطف على نفسهِ كما ترى في الشكل الرابع


الشكل الخامس الشكل الرابع

ومن عيوب الاسنان ايضاً الحفر او تآكُل ظاهرها كما ترى في الشكل الخامس وهو يصيب الثنايا اولاً ثم يمتدُّ الى الرباعيات والانياب والاضراس التي وراءها والغالب ان يكون في خط واحد فتظهر الاسنان كأنها مبرودة بمبرد حزَّ فيها خطاً افقياً على عرضها ولكن قد ينخر المينا في نقط صغيرة ثم تتسع هذه النقط رويداً رويداً حتى تصير كالحروق الكبيرة كما ترى في الشكل . وقد يكون هذا الفعل سريعاً فيتم في سنتين او ثلاث وقد يكون بطيئاً فلا يتم الاَّ في ست سنوات او اكثر واول مَن وصف هذا الداء الدكتور هنتر وقال انهُ وراثي في الاسنان لانهُ يصيب بعضها ولا يصيب البعض الآخر ولا علاقة لهُ بالصحة العامَّة . ونسبهُ البعض الى استعمال الفرشاة ولكن الارجح ان سببهُ ضعف طبيعي في مينا السن حدث حين تكونها فصارت تنفعل بالفواعل الخارجية ولولا ذلك لكانت تقاومها بسهولة . وعلاجهُ تسوية الحفر وملؤُها بالذهب

روبرتس وكتشنر

بطل قندهار وبطل الخرطوم

لهذه الحرب المتأججة نيرانها الآن في جنوبي افريقية بين امة يخضع لها اربع مئة مليون من النفوس وتعدُّ الاولى بين امم الارض غنى وعزة وبين جمهوريتين صغيرتين لا يزيد سكانهما الذين يحق لهم حمل السلاح على سبعين الف نفس اوزارٌ لا تحصى ومضار لا تستقصى يودُّ الذين اوقدوا نارها وازكوا اوارها لو قطعت ايديهم والسنتهم ولم يخطُّوا حرفًا يثير الاحقاد ولا فاهوا بكلمة تدمي الكلوم

ومن غرائب الاتفاق ان الامة الهولندية التي اختيرت عاصمتها لعقد مؤتمر السلم ابناؤها نادوا بهذه الحرب وعليهم وقعت اوزارها فان البوير سكان الترنسفال وولاية اورنج الحرَّة من الهولنديين الذين هاجروا الى افريقية الجنوبية واستوطنوها . والامة التي يُنتظر منها توطيد اركان السلم في الدنيا اكثر مما ينتظر من غيرها وقد اشتهرت بحذرها واتقائها اسباب الحروب اشتبكت في هذه الحرب على غير اهبة لها واستخفت بخصمها فلقيت منهُ الامرَّين

ولم تزل الحرب سجالاً بين الفريقين حتى كتابة هذه السطور وهي على شدتها لا تعدُّ شيئًا في عدد قتلاها وجرحاها بالنسبة الى غيرها من الحروب فلم يزد عدد القتلى والجرحى حتى الآن من الفريقين على عشرة آلاف نفس مع ان المعركة الواحدة من الحروب الحديثة يقتل فيها اكثر من عشرة آلاف وكان يقتل في المعركة من الحروب القديمة مئة الف نفس او اكثر كما ترى في وصف واقعة اسوس في الجزء الثاني عشر من المجلد السابق فانهُ قتل فيها من جنود داريوس وحدهُ مئة الف على الاقل

وقد ادركت الامة الانكليزية سوء العقبى عليها اذا عادت من هذه الحرب بالفشل فبعثت اليها اشهر قوادها بطل قندهار وبطل الخرطوم اولهما شيخ عرك الدهر وخبر الرجال ودانت لهُ عصاة الهند والافغان والثاني شاب خبر هذا القطر مقدرتهُ في الادارة والقيادة فوجد منهُ التدبير والدهاء والهمَّة والعزيمة

ويمتاز لورد روبرتس على غيرهِ من القوَّاد بحبهِ لجنودهِ وحب جنودهِ لهُ وقد اشتهر بذلك من اول ما تولَّى قيادة الجنود . قال في وصف حصار دهلي المشهور " واني غير قادر ان اختم وصف هذا الحصار من غير ان اقوم بالشكر الواجب للجنود الذين ساروا من اول الحصار الى آخرهِ سيرًا يفوق كل مدح فانهم لم يملوا قط ولا بدا منهم اقل ضعف في بسالتهم

وقد نازلوا العدو في اثنتين وثلاثين معركة وكان لهم الفوز فيها كلها رغماً عن كل المصاعب. وكثيرًا ما كان عدد العدو عشرة اضعاف عددهم ومواقعهُ احسن من مواقعهم ومدافعهُ اجود من مدافعهم ولكن كل واحد منهم كان يحارب كأَنَّ نتيجة الحرب كلها متوقفة عليهِ وتجشموا المشاق كلها عن رضى وطيب نفس وهي مما لم يعرّض لهُ جيش آخر منذ سنين كثيرة. وظلوا مرةً ثلاثة ايام نهارًا وليلاً وهم باسلحتهم يحاربون العدو وشمس الهند تكويهم وهي اشد بلاءً من نارهِ. ورأَوا الكوليرا والرعن والدوسنطاريا تحصد رفاقهم حصدًا وهي افتك بهم من رصاص الاعداءِ وشاهدوا النجدات ترد على عدوهم وهم يقلون عددًا يوماً بعد يوم. ولكن شجاعتهم لم تخنهم قط واخيرًا لما قطعوا الرجاءَ من قدوم المدد ورأَوا انهُ اذا كان لا بدَّ من اخذ دهلي وجب عليهم ان ياخذوها حالاً هجموا عليها ببسالة وثقة كأَنهم لم يزالوا في بداءة الحرب لا كأَنهم حملوا اوزاها ثلاثة اشهر متوالية وخانهم فيها الرجاءُ وقنطوا من النجدة. هجموا عليها وهم حفنة صغيرة من الرجال وهي حصن منيع فيهِ ثلاثون الفًا من الابطال المستبسلين وعندهم كل ما يلزم من وسائل الدفاع ففتحوها عنوةً وبهم يحق لانكلترا ان تفتخر مدى الادهار"

وقد وقفنا مرارًا كثيرة ونحن نترجم هذه السطور كأَن صوتًا يرنُّ في آذاننا ويقول على مَ لا تفعل الجنود البريطانية هذا الفعل الآن في جنوبي افريقية فتنقذ المدن المحصورة وتعيد الراية الانكليزية الى مجدها الاول هل البوير الذين يحاربهم الانكليز ابسل من الهنود وامهر منهم في الضرب والرماية او هي تصاريف الزمن ترفع اقواماً وتخفض آخرين

واصيب روبرتس برصاصة في ذلك الحصار اصابتهُ في ظهرهِ ولكنها لم تمتهُ لانها اصابت جراب الكبسول اولاً فبقي طريح الفراش شهرًا من الزمان

وعند الانكليز وسام رفيع الشان تهبهُ الملكة لمن يستقتل لكي ينجي غيرهُ من القتل وهو صليب فكتوريا وقد وُهب اللورد روبرتس وساماً منهُ وهو في بلاد الهند فانهُ هاجم العصاة مرةً وفلَّ جموعهم وجدَّ في اثر الهاربين منهم ثم صدر الامر بالرجوع عنهم وبينما هو راجع برجالهِ لقيتهم شرذمة من العصاة فوقفت امامهم واطلقت عليهم الرصاص واصابت واحدًا من رفاقهِ فالتفت واذا واحدًا من العصاة هجم على رجل آخر وكاد يطعنهُ بسنكتهِ فهجم عليهِ وضربهُ ضربة اودت بهِ قبل ان تمكن من طعن رفيقهِ ثم التفت واذا اثنان من العصاة خطفا علماً وفرَّا بهِ فجدَّ وراءهما وضرب احدهما فقتلهُ ومدَّ يدهُ لياخذ العلم منهُ فهجم عليهِ رفيقهُ واطلق عليهِ الرصاص فاخطأَهُ فعاد بالعلم ظافرًا وجوزي بصليب فكتوريا لانهُ استقتل لكي ينجي واحدًا من رفاقهِ ويسترد علم انكلترا وهو غير مندوب

وربّ قائل يقول كيف يجازى الناس بوسامات الشرف على قتل غيرهم فيجيبهُ رجال الحرب انّ الناس في المجتمع الانساني كالاعضاء في جسم الانسان فاذا فسد عضو وخيف ان يفسد غيره ُ و يضرّ الجسم كلهُ بادر الجرّاح الماهر الى بتره ِ وجوزي على ذلك احسن جزاء

وعاد من تبديد شمل العصاة واخماد الثورة وقد ذاع اسمهُ وتحدث بهِ الناس ورأى فتاة بيت ابيها في جوار بيت ابيهِ فاحبها واقترن بها سنة ١٨٥٩ فشاركتهُ في السرّاء والضرّاء واحلها المحل الثالث لما ألَّف كتابهُ المشهور الذي وصف فيهِ اعماله ُ بالاسهاب مدة احدى واربعين سنة اقامها في بلاد الهند واهداه ُ الى الذين يحبهم ويكرمهم فقال في صورة اهدائهِ

انى اهدي هذا الكتاب

الى البلاد التي افتخر بالانتماء اليها

والى الجيش الذي انا مديون لهُ ديناً عظيماً

والى زوجتي

التي لولا مساعدتها ما كان للاحدى والاربعين سنة ذكرى سعيدة كما لها الآن

واشهر اعمال لورد روبرتس اشتراكه ُ في اخماد ثورة الهند وفوزه ُ في شراسيا ودخوله ُ كابول وذهابهُ الى قندهار . والمعارك التي شهدها وكانت لهُ القيادة فيها تشهد لهُ كلها بعلو الهمة ومضاء العزيمة واصالة الراي والاستبسال في حب وطنهِ . فلما هاجم افغانستان كان الافغان على مرتفع من الارض يتعذّر البلوغ اليهِ وهم بالعدد الكبير والعدَّة الكاملة يفوقونهُ عدداً وعُدداً فلما رأى انهم امنع من عقاب الجوابق فريقاً من جيشهِ امامهم لاغرائهم وذهب بالفريق الآخر ودار من ورائهم في شعب اكتشفهُ بين الجبال وبيّتهم فاثخن فيهم وتمهد لهُ سبيل النصر . ورأى امير افغانستان من ذلك الحين ان عدوه ُ قرم عنيد لا يصطلى لهُ بنار ففرَّ من وجههِ الى بلاد الروس في تركستان واقام فيها الى ان ادركتهُ الوفاة

ولما انتقض الافغان وذبحوا حامية كابول انتُدب اللورد روبرتس للاقتصاص منهم فجمع من تيسر لهُ جمعهُ من الجنود وشنّ الغارة بهم ولقي الافغان امام كابول ففرّق شملهم ودخل المدينة ظافراً

ثم ثارت عليهِ القبائل بقيادة محمد جان وكادت تفتك بهِ فالتفت ورأى مئة الف من الابطال وكلٌّ منهم ظمآن الى شرب دمهِ لكنهُ فرَّق شملهم وبدَّد جموعهم وسار لانقاذ قندهار بثمانية عشر الفاً فانقذها من ايوب خان ولم يقتل من رجالهِ الانكليز والهنود سوى ٢٥٠ نفساً وغنم كل ما كان مع ايوب خان وبذلك انتهت حروب الافغان

واللورد كتشنر كهل ولد سنة ١٨٥٠ ودرس الفنون الحربية ولحق بالمهندسين الملكيين وجاء قبرص وفلسطين لمساحة الاراضي وتطوَّع في الجيش المصري سنة ١٨٨٢ وسار في حملة النيل سنة ١٨٨٤ ونازل عثمان دقنه في واقعة هندوب سنة ١٨٨٨ فابلى بلاء حسنًا وجُعل ياورًا لجلالة الملكة واجوتانت جنرال في الجيش المصري ثم نقل الى نظارة الداخلية فاقام فيها مدة وخلف الجنرال غرانفل باشا سردارًا للجيش المصري . واعماله الاخيرة لا تخفى على احد من القراء فانهُ فتح السودان ومحق جيوش الدراويش بالحزم والتدبير ولم يُقتَل من رجالهِ الاَّ ما يقتل عادةً في معركة صغيرة وهذا هو الفوز المبين

وهذان البطلان بطل قندهار وبطل الخرطوم يديران الآن رحى الحرب في جنوبي افريقية الاول قائد عام والثاني رئيس اركان حربهِ وتحتهما قوَّاد كثيرون من الذين اشتهروا في معارك القتال مثل بلر وهويت وهنتر ومكدونالد ولكنهم لم يفعلوا في هذه الحرب حتى الآن فعلاً يذكر لهم بالثناء الجميل فهل ضاعت بسالتهم او وقعوا مع عدو ابسل من الهنود والدراويش

وبينما نحن نفكر في حل هذا المشكل لقينا استاذًا كبيرًا من اساتذة مدرسة كمبردج الجامعة زار القطر المصري وتكرَّم بزيارتنا فدار الحديث على حرب الترنسفال وبسالة البوير فعلمنا منهُ ان القوم فوق ما يصفهم الواصفون قال "انهُ منذ اربع عشرة سنة الى الآن تعلَّم منهم في مدارسنا الجامعة اكثر من مئة شاب وهم اذكياء العقول شديدو الغيرة والحميَّة كانوا يقفون في النوادي والولائم ويعربون عن حبهم لوطنهم ويجاهرون بان جنوبي افريقية للبوير لا لغيرهم وان النزلاء فيهِ يجب ان ينضموا اليهم ويمتزجوا بهم ليكون البوير بمثابة الشجرة الاصلية وهؤلاء الدخلاء اغصانًا مطعمة فيها . وقد عاد هؤلاء الشبان الى بلادهم وصدورهم مملوءة بالعلوم الاوربيَّة والمعارف العصرية وهم يديرون شؤُونها الآن ووزير الداخلية منهم . هذا عدا من جاءهم من القوَّاد الاوربيين . والحرب قيادة وتدبير . ولقد ضاق الاميركيون ذرعًا بحفنة من الرجال في فيلبين والهولنديون بقبيلة صغيرة في جاوي فلا عجب اذا ضقنا ذرعا بالبوير وهم على اتم الاستعداد لهذه الحرب وفي بلادهم من الحصون الطبيعيَّة ما لا مثيل لهُ في بلاد اخرى . ولقد كانوا يحسبون انهم يفتحون لادي سميث حالاً ويصلون الى مدن الساحل فتخضع بلاد الراس لهم في شهر من الزمان قبل ان يصل المدد الى حاميتها فاحبطنا مسعاهم وارسلنا من المدد مالا يستطيع غيرنا ارسالهُ في هذه المدة الوجيزة من الزمن وسنضمُّ كل بلاد البوير الى بلادنا ولكننا نتركها تحكم نفسها بنفسها مثل استراليا وكندا فلا يندم البوير اخيرًا بل يرون ان الغاية التي يقصدونها نالوها ولو على اسلوب آخر" ولا يبعد ان تتحقق هذه الاماني في المستقبل القريب

الهليوغراف

سألنا كثيرون ان نشرح لهم الهليوغراف الذي يتخاطب بهِ الانكليز الآن في جنوبي افريقية . فنقول انهُ واسطة لتخاطب بين مكانين بعيدين بواسطة اشعة الشمس كما هو مدلول اسمهِ لانهُ مركب من كلمتين معناهما تصوير الشمس او كتابة الشمس وهو مرآة ينعكس عنها نور الشمس من مكان الى آخر فيدلُّ وميضهُ على حروف الهجاء كما تدلُّ الخطوط والنقط على حروف الهجاء في التلغراف الكهربائي. ولهُ مزية على كل وسائط التخاطب اذا كانت الشمس مشرقة لخفة آلتهِ وسهولة نقلها واستعمالها وبعد المسافة التي يمكن رؤية النور منها . وامتناع رؤيتهِ على من ليس في الخط الذي يُعكَس النور فيهِ فلهُ مزية على الاعلام التي يتخاطب بها احيانًا ويماثل التلغراف الاثيري المكتشف حديثًا في صحة دلالتهِ وسهولة قراءتهِ

ولا بدَّ من وضع المرآة بحيث يقع النور المنعكس عنها على المكان الذي يراد ارسال الاشارات اليهِ وحينئذٍ إما ان يغطَّى وجهها ثم يكشف ويترك مكشوفًا مدة وجيزة او طويلة وإما ان لا يغطى بل يترك مكشوفًا ثم يغطى مدة قصيرة او طويلة والمدة القصيرة في الحالين تدلُّ على النقطة في التلغراف الكهربائي والطويلة على الخط وتتركب حروف الهجاء من الخطوط والنقط كما لا يخفى . والطريقة الاولى اسهل تعلمًا من الثانية والثانية لا تتعب العين كالاولى و يسهل على مستعملها ان يغيّر وضع المرآة مع سير الشمس . والمرايا المستعملة في الهليوغراف مستوية ولذلك تعكس بها الاشعة الى مسافة طويلة ولاسيما اذا كانت المرآة كبيرة واشعة الشمس غير كثيرة الانحراف على سطحها والهواء نقيًا قليل البخار. فقد قرئت اشعتها في جبال حمالايا معكوسة عن مرآة قطرها اثنا عشر سنتمترًا فقط على مسافة ستين ميلاً او اكثر . وقرئت في كليفورنيا باميركا على مسافة ١٩٠ ميلاً واستعملها المهندسون الفرنسويون في الجزائر على مسافة ١٧٠ ميلاً

وارسال الاشارات بالنور المنعكس عن المرايا قديم جدًّا فقد قيل ان العرب كانوا يستعملونهُ في بلاد الجزائر منذ ثمانية قرون او تسعة . والغالب ان يتفق المتخاطبان على ساعة يتخاطبان فيها وتكون آلة الهيلوغراف متصلة بالآلات ساعة تدور معها حتى اذا جاء الوقت المعين وصل النور المنعكس عنها الى المكان الذي يراد ارسال الاشارات اليهِ . واذا لم تكن اشعة الشمس قريبة من الخط العمودي عكست بمرآة اخرى على مرآة الهيلوغراف حتى تصير قريبة من العمودية

وتستعمل المصابيح للتخاطب ليلاً كما تستعمل اشعة الشمس للتخاطب نهارًا ولكن التلغراف الاثيري سيقوم مقام الهيلوغراف على انواعهِ

اليهود في فرنسا

كتب الينا شاب سوري من نزلاء استراليا يسأَلنا عن سبب ما يلقاهُ اليهود احيانًا في بلاد فرنسا من الكراهة واتفق اننا قرأْنا مقالة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية بقلم رجل يدل اسمهُ على انهُ من كتَّاب اليهود فلخصنا منها السطور التالية . قال الكاتب ان من يزر فرنسا الآن يرَ فيها لاول وهلة امرين يصعب التوفيق بينهما الاول الكراهة لليهود التي يجاهَر بها على المنابر وفي نحو نصف الجرائد والثاني قلة عدد اليهود الذين يلتقي بهم حتى لا يكاد يجد احدًا منهم في غير باريس و بعض المدن الصناعية الكبيرة . وعدد اليهود الذين في فرنسا قليل جدًّا بالنسبة الى عدد اخوانهم في انكلترا واميركا فلا يزيد في كل بلاد فرنسا على ثمانين الفًا مع انها اول مملكة ساوت اليهود ببقية شعبها في الحقوق المدنية فيصعب على المرء ان يعرف اسباب هذه الكراهة ومقدار انتشارها وقد حاولت ايضاح ذلك في السطور التالية

ثم بيَّن الكاتب ان نبوليون الاول كان يهتم بامر اليهود شديد الاهتمام ويحاول مزجهم ببقية الشعب الفرنسوي وجعلت الحكومة الفرنسوية تدفع الرواتب الى حاخاميهم كما تدفع الى قسوس المسيحيين واباحت لهم الانتظام في سلك الجندية والارتقاء في مناصبها . ولما قام ماكولي في انكلترا يطلب من الحكومة الانكليزية ان تبيح لليهود ما تحظره عليهم كان اليهود في فرنسا ضباطًا في الجيش الفرنسوي وقضاةً في محاكم فرنسا ونوابًا في مجلس النواب . وكانوا قد امتزجوا بالفرنسويين حتى نسي كثيرون منهم انهم من اليهود وصاروا يحسبون انفسهم فرنسويين مثل غيرهم من سكان فرنسا ولم يخطر على بال احد ان الحال تنقلب كما انقلبت الآن

وسنة ١٨٨٦ الَّف المسيو ادوار دريمون كتابًا سماهُ فرنسا اليهودية (لا فرانس جويف) طعن فيهِ على كثيرين من اصحاب المقامات فاقبل الجمهور على مطالعتهِ وتبعتهُ كتب اخرى على شاكلتهِ . وسنة ١٨٩١ انشئت جريدة القول الحر (ليبر بارول) بقصد الوقيعة في اليهود وكان المسيو دريمون في رئاسة تحريرها ومن ثمَّ جعل النواب المعادون لهم يدخلون مجلس النواب ويجاهرون بعدائهم واسباب ذلك دينية وسياسية واجتماعية

اما الاسباب الدينية فنشأَت من قيام اناس مثل غمنا وجول فري و بول بر ومقاومتهم لخدمة الدين الكاثوليكي ومن مقاومة الحكومة لبعض الطغمات الدينية ولا سيما طغمة الجزويت

التي نفيت من فرنسا بمساعي بعض الجرائد الجمهورية التي يحررها اليهود . فلا يستغرب اجتهاد الجزويت للاخذ بالثار منهم وسعي غيرهم من خدمة الدين في تحويل كراهة الشعب عنهم الى غيرهم

واما الاسباب السياسية فمدارها على انضمام اكثر اليهود الى حزب الابورتنسب فلما ضعف شأن هذا الحزب ضعف شأنهم معهُ وزد على ذلك ان كثيرين منهم كانوا من انصار الجنرال بولانجه ثم صاروا اول من خذلهُ فاشتدَّ حنق الجمهور عليهم ولاسيما حنق رشفور الذي كان صديقًا حميماً لبولانجه

والاسباب الاجتماعية اقوى من الدينية والسياسية وهي انفراد اليهود بلغتهم واساليب معيشتهم وهي غير ضائرة ما دام الناس في رخاء واما اذا وقعت بهم الشدَّة ورأوا ان من يخالفهم في طرق المعيشة لم يشاركهم في الضرَّاء عادوا عليهِ باللائمة وحوَّلوا سهام انتقامهم اليهِ ولذلك نسوا كل ما فعلهُ الشركاء المسيحيون في مسألة بناما وصبوا جامات غضبهم على ريناخ وهرتز وارتون لا سيما وان الجرائد الاكليريكية والبولنجية كانت تساعدهم على ذلك

ثم قال وبديهي ان امَّة مثل الامة الفرنسوية أُعدَّت لان تصدّق كل ما يقال ضدَّ اليهود لا تكذّب مَن يقول لها مثلاً ان دريفوس خائن ولاسيما لان الفرنسويين يكومون جيشهم اكراماً عظيمًا لانهُ حامي حمى الوطن والوطنية ديانة فرنسا الحقيقية ولا جريمة عندهم اقبح من جريمة من يخون وطنهُ . ولا يستطيع فرنسوي مخلص ان يرتاب في قول قواد الجيش الذي يرقي شان الوطن. فالجريمة التي نسبت الى دريفوس تكفي لان تحمل الفرنسويين كلهم على الارتياب في اخلاص اليهود . ثم لما جاءت المرافعة في دعوى دريفوس اغتنمها الحزب المضاد لهم فرصة يشتدُّ بها وتقوى عزيمتهُ

هذا اصل الحزب الفرنسوي المضاد لليهود . ومن رأْي الكاتب ان جمهور الفرنسويين الذين من الطبقة الوسطى والعليا صار الآن يرتاب فيهم او يكرههم واما المتعلمون المتهذبون فلا يزالون يكرمونهم ويجلونهم . والحزب المضاد لهم لا يعرَف في المدارس الجامعة وليس لهُ شأن يذكر في الجيش ولا بين عامة الشعب الذين هم الجمهور الاكبر ولا شيءَ يمنعهم الآن من الدخول في مناصب الحكومة ولو كان ارتقاؤُهم فيها ليس بالامر السهل كما كان اولاً . ولما كانت هذه المضادَّة لهم غير مبنية على اسس راسخة فستزول رويدًا رويدًا لا سيما وان الامة الفرنسوية امة عظيمة حكيمة عُرِف من امرها انها لا تصرُّ على خطاء اذا عرفتهُ

الحجارة الطافية

قد تطفو الحجارة البركانية على وجه الماء اذا كانت خفيفة كثيرة المسام يتجمع الهواء في مسامها فيزيدها خفة حتى يصير ثقلها النوعي مثل ثقل الماء او اخف . وتطفو ايضاً اذا دقت دقيقاً ناعماً ولم يكن بينها وبين الماء جاذبية التصاق فيندفع الماء عنها قليلاً ولا يعود ثقلها كافياً لمقاومة جاذبية الالتصاق التي بين دقائقهِ فلا تستطيع الغرق فيهِ ولكن لم يُسمع قبل الآن ان الحجارة التي يبلغ ثقل الحجر منها اكثر من نصف غرام وثقلهُ النوعي اثنان وسبعة اعشار تطفو على وجه الماء . غير ان الرحالة الدكتور ارلند نوردنسكيولد كتب الآن الى جريدة ناتشر يقول انهُ شاهد قطعاً من الحجر الاسود الذي يكتب عليهِ التلامذة في المدارس طافية علي وجه ماء البحر ومتجمعة بعضها مع بعض تجاميع كبيرة او صغيرة وهي كثيرة جداً القى الشبكة مرةً فانتشل منها سبع مئة حجر . وقد جرفها البحر من الشاطئ لان الشاطئ حيث وجدها مؤلف منها . واذا كانت على سطح الماء بان وجهها الاعلى جافاً فاذا بُلل او حركت حتى ابتلَّ غرقت حالاً

وثقل هذه الحجارة النوعي ٢,٧١ وثقل الماء هناك ١,٠٠٤٩ قال وكان حجر من الحجارة التي استخرجناها بالشبكة ثقلهُ ثمانية اعشار الغرام وليس فيها تجاويف ونخاريب مما يرى بالعين فهي ليست مثل الحجارة البركانية التي ترى طافية على وجه الماء

اما سبب طفوها على وجه الماء فيظهر من انهُ يكون عند سطحها الاسفل المباشر للماء فقاقيع صغيرة من الغاز لاصقة بها وتظهر هذه الحجارة على الشاطئ وقد وصلها الماء واخذت الفقاقيع تتكون تحتها وتحملها لتطفو على وجه الماء وكنت مشغولاً بالبحث عن امور اخرى فلم اتمكن من زيادة البحث والتنقيب عن كيفية تكوُّن هذا الغاز ولا كان معي اناء لا جمعهُ فيهِ وابحث عن حقيقتهِ . ومن المرجح عندي انهُ يحيط بها ايضاً طبقة رقيقة من الغاز وقشرة رقيقة من مادة غروية اما الغاز فلا يرى بالعين واما المادة الغروية فترى آثارها عليها بعد ان تجف . ثم ان الحجارة نفسها ملمسها صابوني او دهني يمنع الماء من الالتصاق بها ولذلك يندفع عنها و يظهر كانها قائمة في سطح مقعَّر من الماء ولعل هذا السبب الاخير هو السبب الاكبر لطفوها على الماء

ومن رأي الكاتب ان حجارة كثيرة مثل هذه تطفو على وجه الماء للاسباب المتقدم ذكرها فتنتقل من مكان الى آخر ويكون لها شأن كبير في بعض التغيرات الجيولوجية لانها تغرق في مكان بعيد عن مصدرها وتمتزج بحجارة ليست من نوعها ثم تتحجر معها

الطباعة والصحافة

يقاس ارتقاءُ الامم ونسبتها بعضها الى بعض في سلم العمران الحاضر بامور شتى بعضها من مقوّمات هذا العمران وبعضها من لوازمهِ التي لا يستغني عنها كاستعمال الحديد والبخار والكهربائية وكثرة المعامل والمتاجر والمدارس. ومن ذلك المطابع والصحائف او الطباعة والصحافة فانهما من اول الادلة على درجة الارتقاء التي بلغتها البلدان في سلم العمران لان ارتقاءهما كان علة للتقدم في العلوم والفنون الى حدّ لا مثيل لهُ في تاريخ الامم الغابرة ولا نظير لهُ في فرع آخر من اعمال الانسان. وهو معلول لهذا التقدم كما انهُ علة لهُ

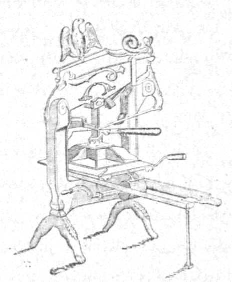
منذ مئة سنة كانت الصحافة في اوربا واسطة للتسلية كما كانت عندنا منذ عشر سنوات او كما لا تزال الآن على الغالب ولم تكن حرفة قائمة بنفسها بل كان المرء يتعاطاها مع غيرها. اما الآن فقد اضحت صحف الاخبار تاريخًا للعالم تكتب فيها حوادثهُ يومًا فيومًا وصارت من اكبر الوسائل لتنوير العامة وتهذيبهم وميدانًا يتبارى فيهِ الكتبة البلغاء واكابر العلماء

وقد صدرت الصحيفة الاولى من صحف الاخبار الاوربية في المانيا منذ اربعة قرون وكانت في اول صدورها اعلانات تنشر في الاماكن العمومية كابواب الكنائس والمحافل. واقتدت حكومة البندقية بالمانيا سنة ١٥٦٦ فكانت تعلق الاخبار في بعض الاماكن وتتقاضى رسمًا على قراءتها وكان الرسم قطعةً من النقود تسمى غازتة فاطلق هذا الاسم على الصحيفة نفسها وهو اسم صحف الاخبار حتى الآن في اكثر اللغات الاوربية

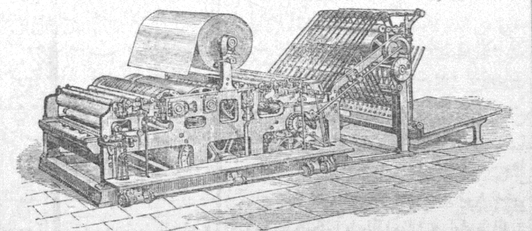
وجرت مدن اوربا هذا المجرى فصارت تنشر اخبارها في اوراق تعلقها في الاماكن العمومية. ثم لما اتقنت الطباعة وسهل طبع نسخ كثيرة في وقت قصير صارت هذه المنشورات تطبع طبعًا. وحينئذٍ قام البعض وجعلوا يجمعون الاخبار و يطبعونها و يرسلون نسخًا مما يطبعونهُ الى اصدقائهم بدل تعليقها في الاماكن العمومية فاقبل الناس عليها اقبالاً عظيمًا

وكانت الطباعة تسير في سلم الاتقان سيرها بطيئًا لما لقيتهُ من مقاومة الذين حسبوها واسطة لامتداد الفساد ونشر الشرور واماتة النساخ جوعًا لكن المقاومة لا تمنع انتشار شيء تدعو الحاجة الي انتشارهِ فانتشرت الطباعة في المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وذلك في اواسط القرن السادس عشر وكانت تجد اعداءها في المرصاد حيثما انتشرت فلم يقوَ الصناع على اتقانها كما اتقنوا غيرها من المخترعات في ذلك الوقت وبقيت آلة الطباعة على شكل واحد حتى اواسط القرن

السابع عشر اي بقيت آلةً بسيطة توضع فيها الحروف وتحبَّر باليد و يوضع الورق عليها و يضغط عليه ضغطاً كما ترى في مطبعة كولمبيا المرسومة في الشكل الاول وكان استنباطها سنة ١٨١٧ وهي اول المخترعات الاميركية في فن الطباعة. ولو بقيت على هذه الحال لعجزت عن الوفاء بحاجة الناس في هذه الايام

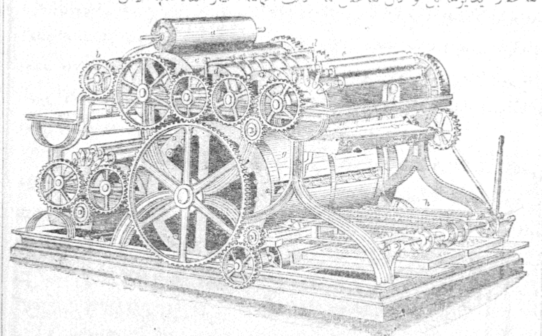


ولكن الاختراع ابن الحاجة فحالما ذاعت العلوم وكثر طلب الناس للكتب والصحف وجد المخترعون الى تكثيرها سبيلاً باتقانهم آلة الطباعة فبعد ان كانت تطبع مئة نسخة صغيرة في الساعة صارت تطبع الوفاً من النسخ طبعاً متقناً جداً ثم زادت سرعتها كثيراً حينما استُخدم البخار لادارتها ذلك الجبَّار الذي دانت لهُ صعاب الامور وذلت عندهُ قوى الطبيعة



واول ما استخدم البخار في الطباعة كان في طبع جريدة التيمس سنة ١٨١٤ ومن ثمَّ وجَّه الناس عنايتهم الى اصلاح آلات الطباعة فوصلوا الى حدٍ لا يصدقهُ شرقي لانهُ لم يرَ مثلهُ في

السرعة ولا يرى شيئاً يدانيه فان مطابعنا الشائعة في القطر المصري واقطار الشام تطبع الآلة منها في الساعة الف نسخة او الفين او ثلاثة آلاف او اربعة على الاكثر لكن الاوربيين والاميركيين صنعوا آلات يطبع بها ستة وتسعون الف نسخة في الساعة من جريدة فيها ثماني صفحات . او يطبع بها ثمانية واربعون الف نسخة من جريدة فيها اربع وعشرون صفحة تطبعها بثلاثة الوان من الحبر وتخرج كل نسخة منها مطوية وملفوفة ومنمّرة . وهي اشبه شيء بجبار عظيم مركب من اعضاء عديدة تتحرك وتدور بسرعة تفوق الوصف واحكام يدهش العقول كأن لها عقلاً يديرها بل لو كان لها عقل ما كانت اعمالها اكثر اتقاناً منها الآن



ويوضع الورق في هذه الآلات لفات اسطوانية كبيرة كما ترى في الشكل الثاني والثالث في كل لفة ورقة طولها لو بسطت ميلان الى اربعة اميال وكلما نفد الورق من لفة وُضعت مكانها لفة أُخرى وأُلصق طرف ورقها بطرف الورق من اللفة السابقة كأنها وشيعة الحائك التي يلف عليها خيوط اللحمة . وليس الغرابة في ذلك بل في ان هذا الورق يسير من نفسهِ تحت حروف الطباعة ويطبع بها بسرعة تفوق الوصف يطبع منهُ الف وستمئة نسخة في الدقيقة الواحدة او نحو ٢٧ نسخة كل ثانية من الزمان فتنهال نسخ الجريدة منها كانها الماء من الشلال . وهذه غاية ما بلغتهُ الطباعة من السرعة والاتقان

وقد ارتقت الصحافة بارتقاء الطباعة وصار لها شأن عظيم في كل البلدان الدستورية وكلمة نافذة في سياستها . وهذا القول يصدق بنوع خاص على البلاد الانكليزية والاميركية

لان للجرائد الكبيرة فيها مذاهب حرّة وهي تعتمد على ما اصبح حاكماً مطلقاً في بلاد الحرية والدستور وهو الرأي العام المستنير الذي يعرف ما ينفع البلاد وما يضرُّها فاذا اتجه الى جهة جرت الحكومة معهُ كأَنها آلة في يدهِ لقضاء مآربهِ

ولقد بعثتُ الى المقطم برسالة عن الصحافة في البلاد الانكليزية وصفت فيها ما رأَيتهُ في تلك البلاد من المطابع والجرائد ولاسيما مطبعة الدايلي ميل اكثر الجرائد الانكليزية انتشاراً وادارتها من اشهر ادارات الجرائد وفيها احدث الآلات والمخترعات واكثرها اتقاناً واسرعها حركة . وطبع الدايلي مايل لا يبتدئ قبل الساعة العاشرة مساء فتطبع كلها ليلاً ويصدر منها في الصباح اكثر من مليون نسخة . ومعلوم ان آلة الطبع الواحدة لا تطبع هذا العدد العديد في بضع ساعات ولذلك ترتب الحروف بآلات خاصة بذلك ويصب عليها مادة تجمد حالاً وتصير كالقالب ثم يصب معدن الحروف على هذه المادة فتكون منهُ صور مثل الصور الاصلية المؤلفة من الحروف فتوضع كل صورة منها في مطبعة خاصة وتدار هذه المطابع معاً في وقت واحد حتى تستطيع كلها ان تطبع العدد المطلوب في بضع ساعات

وكان يباع من جريدة الدايلي مايل لما كنتُ في البلاد الانكليزية في الصيف الماضي ستمئة الف نسخة كل يوم ثم زاد عدد ما يباع منها زيادة بالغة بسبب مسألة دريفوس وحرب الترنسفال وهو الآن اكثر من مليون نسخة . ولا يبعد ان تكون زيادة المبيع بسبب هذه الحرب مئتين واربعين الف نسخة في اليوم تباع بخمس مئة جنيه فاذا فرضنا ثمن ورقها وطبعها مئتي جنيه ونفقات مكاتبي الحرب وتلغرافاتها مئة جنيه في اليوم بقي لصاحب الجريدة مئتا جنيه كل يوم من زيادة المبيع وقت الحرب

وللجرائد الانكليزية مكاتبون منتشرون في اقطار المسكونة يذهبون الى ميادين القتال ويضربون في الصحارى والقفار لكي يجمعوا الاخبار والنوادر ويبعثوا بها اليها وكثيراً ما يكون لها اسلاك خاصة من التلغراف تأتيها بالاخبار من اقاصي البلدان وخطوط خاصة من التلفون تنقل اليها كلام مجالس النواب

ولمحرري الجرائد ومكاتبيها مقام رفيع في البلدان الاوربية لا يعلو عليهِ مقام فترى الامراء والكبراء ينتظمون في سلك المكاتبين ولا يحسبون في ذلك حطة لهم بل رفعة شان كما حدث بالامس في مجيء السرجون سكوت الذي كان مستشاراً قضائياً في القطر مكاتباً لجريدة التيمس وقت الاحتفال بتمثال ده لسبس . ومقابلة الوزير في البلدان الاوربية قد تكون اسهل من مقابلة محرر الجريدة . ولكل جريدة من الجرائد الكبيرة لجنة من المحررين هذا للاخبار

الداخلية وذلك للخارجية وذلك للحربية و بعضهم لانتقاد التمثيل او لانتقاد الكتب . وفي اداراتها ادارات شتى بعضها الاعلانات و بعضها للطبع و بعضها للتوزيع وهلمَّ جرًّا . وسرُّ نجاحها وعماد قوتها كثرة القراء وهي آتية من كثرة المتعلمين في مدينة لندن وحدها نحو ستة ملايين من النفوس وكل بالغ منهم يعرف القراءة والكتابة وكلهم يقرأُون الجرائد رجالاً ونساء . وقد لا يقلُّ عددهم عن ثلاثة ملايين من النفوس . ففيها من قراء الجرائد اكثر مما في قارتي اسيا وافريقية واضعاف قرَّاء الجرائد باللغة العربية في كل اقطار المسكونة . وقس ذلك مدينة باريس ونيويورك وشيكاغو فلا عجب اذا صارت الجرائد من اقوى القوى السياسية والاجتماعية . وقد حدث ذلك كلهُ في الربع الاخير من القرن التاسع عشر نجيب معروف

التعليم المفيد

لما كنا نكتب المقالة التي موضوعها « الفاضل فاضل ولو عبدًا اسود » المدرجة في الجزء الماضي من المقتطف عن المستر بوكر وشنطون الذي ولد عبدًا وطلب العلم وهو لا يملك شروى نقير ثم انشأ مدرسة جامعة للعلوم والفنون يتعلم فيها الف طالب من اولاد الزنوج فيخرجون منها قادرين على الاكتساب ومجاراة البيض في وسط بلاد الجد والاجتهاد والعلم والعرفان في الولايات المتحدة الاميركية — لما كنا نخط سطور تلك المقالة كان بوكر وشنطون هذا يخطُّ مقالة اخرى في موضوعها تمامًا . فقد ورد علينا جزء يناير من مجلة السنتشري الاميركية الشهيرة التي يكتب فيها مشاهير الكتاب الاميركيين فرأينا فيه مقالة مسهبة من قلمهِ موضوعها « دلائل النجاح بين السود » فاستغربنا هذا الاتفاق وزدنا اكرامًا للرجل واعترافًا بفضلهِ واحمدنا الخاطر الذي خطر لنا لما عنونا مقالتنا عنهُ « الفاضل فاضل ولو عبدًا اسود » . وها نحن نلخص بعض ما اوردهُ في مقالتهِ عسى ان يكون مثالاً للذين يتوخون منا السعي في نفع غيرهم ولا يعلمون السبيل المؤدي الى ذلك . قال في التمهيد الذي مهدهُ لمقالتهِ

« ان من المسائل الكبيرة عندنا مسألة تعليم ثمانية ملايين من السود سكان الولايات الجنوبية من اميركا وتهذيبهم وجعلهم مثل غيرهم من السكان . وقد اتسع نطاق هذه المسألة الآن لانهُ صار علينا ان نعلّم نحو ثمانمئة الف نفس من السود سكان كوبا وبورتو ريكو فضلاً عما يجب من تعليم البيض سكان تينك الجزيرتين لان كثيرين منهم في حالة يرثى لها مثل

السود الساكنين معهم . فاذا ابنت للقراء ما نتج من السعي في تعليم السود في هذه البلاد مدة الثلاثين سنة الاخيرة مع ما لقيناهُ في ذلك من المصاعب الجمة اكون كأني انبأتهم بما سينتج من السعي في نشر التعليم والتهذيب في كوبا وبورتو ريكو وايضاحاً لذلك اقص عليهم القصة التالية

كان في البلاد المعروفة ببلاد السود اي التي يزيد فيها السود على البيض رجل من البيض لهُ املاك وسيعة وعندهُ مئتا عبد يحرثون ارضهُ ويزرعونها فيكتسب بتعبهم مكاسب وافرة . فلما انتهت الحرب الاهلية بتحرير العبيد اضطرَّ ان يحررهم كلهم لكن الفريق الاكبر منهم بقي في خدمتهِ او صاروا يستأجرون الارض منهُ يزرعونها . وحدث بعد ذلك انهُ كان مارًّا في ارضهِ ذات يوم فرأَى ولداً صغيراً من اولاد هؤُلاء السود في حالة يرثى لها من الجوع والعري فرمى اليهِ قطعة من النقود وراَهُ بعد ذلك مراراً فكان يرقُّ لهُ ويرمي اليهِ غرشاً او نصف غرش . واتفق ان هذا الولد واسمهُ وليم سمع ان في تسكجي مدرسة يتعلم فيها اولاد السود مبادئ العلوم والفنون بتعبهم اي انهم يعملون ويتعلمون فتوسل الى رفاقهِ ان يساعدوهُ على الذهاب اليها فجمعوا لهُ قليلاً من الثياب والنقود بعد العناء الشديد لكن النقود لم تكن كافية لدفع اجرة السفر الى المدرسة فعزم ان يمضي اليها ماشياً وهي على مئة وخمسين ميلاً من المكان الذي كان فيهِ فحمل ثيابهُ وسار اليها وبلغت نفقاتهُ في الطريق اربعة غروش لا غير لانهُ كان يقصُّ قصتهُ على الذين يمرُّ بهم فيطعمونهُ مجاناً . وبلغ تسكجي مقرَّح القدمين واتى اليَّ فارسلتهُ الى حيث اغتسل ونظف بدنهُ ثم وضعتهُ مع الذين يحرثون الارض ويزرعونها لانهُ كان قد صار لمدرستنا الف واربع مئة فدان اصلحنا نصفها وكان التلامذة يزرعونهُ وحدهم ويستغلونهُ ويستخدمون في زرعهِ وخدمتهِ احدث الطرق العلمية المعروفة . فصار يعمل في النهار معهم ويتعلم ساعتين في الليل . وكان في اول الامر يتعب من الدرس وينام وهو امام المدرّس ولكنهُ تنبه رويداً رويداً وصار يفهم ما يسمع ويزيد رغبةً واخذ يسأَل معلميهِ مسائل تدلُّ على تعطشهِ الى المعرفة مثل سؤَالهِ عن سبب اعتمادنا على البقر المعروفة ببقر جرزي وبقر هلستين بدل البقر العادية وعن سبب كثرة لبنها وسمنها

ولم تمضِ السنة الاولى عليهِ حتى تعلم مبادىء القراءة وجمع بعض النقود من اجرتهِ فدخل الفرق القانونية في السنة الثانية وبقي يعمل جانباً من الوقت في الحقل فلما انتهت السنة وجد نفسهُ في حاجة الى النقود فكتب الى الرجل الذي ولد بين عبيدهِ يخبرهُ عن دخولهِ في مدرسة تسكجي وطلب منهُ ان يقرضهُ خمسة عشر ريالاً ووعدهُ بايفائها حالما يتم دروسهُ . فطرح الرجل الكتاب ولم يلتفت اليهِ فكتب اليهِ ثانية فلم يجبهُ فكتب اليهِ ثالثة وحينئذٍ

شعر الرجل بدافع في نفسهِ يدفعهُ الى مساعدتهِ فكتب اليَّ يخبرني بذلك وبعث اليهِ بالخمسة عشر الريال التي طلبها

وبعد ثلاث سنوات وقف هذا الولد وكان قد صار شاباً امام سيدهِ الذي بعث اليهِ بالخمسة عشر ريالاً وقال لهُ انا الولد وليم الذي كنت ترمي اليهِ بقطع النقود ثم تكرَّمت عليهِ بخمسة عشر ريالاً وقد اتيت لاشكر فضلك واوفيك دينك ثم دفع اليهِ المال مع رباهُ لانهُ كان قد اتمَّ دروسهُ وعلَّم سنة في احدى المدارس واخذ اجرتها . فنظر الرجل اليهِ نظر الدهشة والاعتبار ثم التفت الى السود الذين يعملون في ارضهِ وهم مئات لانهُ كان على ثروة طائلة واملاك واسعة فرأى انهُ غير قائم بما يجب عليهِ لهم فقال لوليم تعالَ وافتح مدرسة عندي لاخوانك وكان ذلك منذ ست سنوات . وقد اتسعت هذه المدرسة الآن وصار فيها مئتا تلميذ وخمسة معلمين من الذين تخرَّجوا في مدرسة تسكجي وثلاثة مباني ولها اربعون فداناً يمارس فيها التلامذة اعمال الزراعة على انواعها ويتعلمون ايضاً التجارة بفروعها وفيها قسم لتعليم البنات بادئ العلوم والخياطة وتدبير المنزل . وهي آخذة في انشاء معمل للحدادة وعمل المركبات . والرجل المشار اليهِ هو الذي بنى المدرسة ووقف عليها الاربعين فداناً وهو يدفع رواتب معلميها ايضاً

ولا يقتصر هؤُلاء المعلمون على التعليم في المدرسة بل تراهم يجمعون الفلاحين من البلاد المجاورة ويتذاكرون معهم في المواضيع الزراعية ويعلمونهم الاساليب الجديدة لحرث الارض وزرعها وخدمتها وطرق الاقتصاد المختلفة ويحضر معهم الرجل الكريم المشار اليهِ آنفاً وهو مسرور بما يراهُ فيهم من دلائل الاجتهاد والارتقاء

ولما غادر وليم قومهُ واتى الينا كانوا على غاية الفقر والذل لا يملكون شيئاً ولا ينظرون الى البيض الاَّ نظر الخصم الى خصمهِ وهم مثقلون بالديون فاوفوا ديونهم الآن ولم يعودوا يرهنون غلة الارض التي يزرعونها كما كانوا يفعلون قبلاً وابتنوا بيوتاً رحبة يسكنون فيها وصلحت احوالهم بعد فسادها . وبمثل هذه المدرسة تُحَلُّ مسألة السود في هذه البلاد وفي بلاد كوبا وبورتو ريكو »

ومما ذكرهُ الكاتب في هذا الصدد ولا نكاد نصدقهُ لغرابتهِ انهُ كان في ولاية الاباما احدى ولايات اميركا قانون يمنع البيض من تعليم السود مبادئ القراءة « وكل من يحاول تعليم اسود مبادئ القراءة او الكتابة يعاقب بغرامة لا تقلُّ عن مئتين وخمسين ريالاً ولا تزيد على خمس مئة ريال » فأُبطل هذا القانون الآن وجاهر احد فضلاء الاميركيين ان على الحكومة الاميركية ان تعلم اولاد السود كما عليها ان تعلم اولاد البيض

والظاهر ان الذين تعلموا من السود تساووا بالبيض في كل الامور وصار البيض يعاشرونهم

ويمازجونهم و يعاملونهم كما يعامل بعضهم بعضاً . وقد اثرى كثيرون منهم وامتلكوا الاراضي الواسعة وبنوا المعامل الكبيرة واشتركوا مع البيض في انتخاب روسائهم . قال « وما من شيء ازال كراهة البيض لهم واشمئزازهم منهم مثل اصلاح معيشتهم مثال ذلك ان فتاة من الفتيات اللواتي تعلمن في مدرسة تسكجي مضت الى جنوبي البلاد وعزمت ان تفتح فيها مدرسة لتعليم اولاد السود فنظر اليها البيض الذين هناك شزرًا ولم يرضَ نساؤهم ان يلتفتنَ اليها فصبرت على الضيم حاسبة انهنَّ انما يفعلنَ ذلك لما رسخ في نفوسهنَّ من احتقار السود . وانشأت المدرسة واهتمت بها ثم تزوجت بشاب من السود وبنيا بيتاً صغيرًا على اسلوب حسن جدًّا وانشأا امامه حديقة غناء زرعت فيها ابدع انواع الازهار والرياحين . ومرّت بها امرأة من عظماء البيض ذات يوم ورأتها في الحديقة تسقي رياحينها فنظرت اليها متعجبة ثم دخلت الحديقة وطارحتها السلام فاخذت السوداء تتكلم معها عما في حديقتها من انواع النبات كلام امرأة متعلمة متهذبة فعجبت البيضاء منها ودخلت بيتها ولما رأت غرفه واثاثه ورياشه وما فيه من الكتب والجرائد وحسن الترتيب والتنظيم ارتفع مقام السود في عينيها واخبرت صديقاتها بما رأت فصار لتلك المرأة السوداء المقام الاول في ذلك البلد . ولو بقي الكتّاب والخطباء اعوامًا يحثون البيض على اعتبار السود اخوانًا لهم ما افلحوا في ذلك قدر ما افلحت فيه هذه المرأة السوداء بتنظيم بيتها وزرع حديقتها واقناعها نساء البيض بهذا الدليل الحسي انها ليست دونهنَّ عقلاً وذوقًا

ومنذ بضعة اشهر اقيم معرض زراعي في بلد اسمه كلهون في ولاية الاباما وفي هذا البلد مدرسة كبيرة للسود وعرض تلامذتها والذين تعلموا فيها معروضاتهم الزراعية من القطن والاثمار فلما رآها البيض بالغة حد النمو اعجبوا بها والتفتوا منها الى اصحابها فارتفعت منزلة السود في عيونهم ورأوا فضل التعليم والتهذيب . فالمدارس التي تعلم اولاد السود وتهذبهم الفضل الاول في ترقية شأنهم وربط البيض بهم برباط الالفة والصداقة »

ثم افاض الكاتب في وصف مدرسة تسكجي وذكر تاريخ انشائها واتساعها على نحو ما ذكرناه في الجزء الماضي من المقتطف ووصف كيفية انشاء مبانيها المختلفة فقال

حينما نصمم على بناء دار جديدة يخبر استاذ فن الرسم تلامذته عن اوصاف الدار التي نريد بناءها و يطلب منهم ان يرسموا رسمًا صالحًا لها و يعدهم بجائزة تعطى لصاحب الرسم الذي يختار منها فيتبارى التلامذة في الرسم و يختار رسم من رسومهم ويقام البناء بمساعدتهم ومساعدة غيرهم من التلامذة حسب الفروع التي يتعلمونها فيعمل بعضهم في تهيئة الاجر و بعضهم في نشر

وانواع البعوض لا تتولد كلها في اماكن واحدة بل يختار كلٌّ منها اماكن خصوصية ليبيض فيها وتتولد صغاره منها فالبعوض المخطط العادي يتولد في آنية الماء الصغيرة. والبعوض الرمادي يتولد في الآبار والصهاريج والترع والمصارف. والبعوض المرقط وهو اندر انواع البعوض يتولد من البرك المتجمعة من ماء المطر التي ماؤها اكثر من ان يجف في اسبوع واقل او افسد من ان يعيش فيه السمك الصغير

ولذلك فعوم النوعين الاولين تكثر بقرب مساكن الناس في بلاد الهند ويتعذر استئصالها لكثرة الاماكن التي تتولد فيها ولا ضرر منها على ما ظهر حتى الآن ولكن النوع الثالث وهو البعوض المرقط الجناحين قليل جداً بالنسبة الى النوعين الاولين وهو لا يتولد في الصهاريج والآبار وآنية الماء ولذلك لا يكون مقره بقرب مساكن الناس ويصعب الحصول على عومه. والبرك التي يتولد فيها تندر في بلاد الهند الا في فصل الشتاء. ويكثر فيها السمك الصغير حينئذٍ فيأكل عوم البعوض. فيسهل استئصال بعوض الملاريا لقلة الاماكن التي يتولد فيها وصغرها

وقد وُجدتْ جراثيم الملاريا حتى الآن في نوعين من البعوض المرقط في بلاد الهند ونوع واحد منه في ايطاليا اما البعوض المخطط والبعوض الرمادي فلم توجد فيهما جراثيم الملاريا حتى الآن. ولا يخفى اننا لم نستوفِ البحث في هذا الموضوع ولكن البحث الذي بحثناه انتج هذه النتيجة وهي ان جراثيم الملاريا تكون في البعوض المرقط دون سواه وان هذا البعوض يتولد في البرك التي ماؤها اكثر من ان يجف في اسبوع من الزمان واقل او اقذر من ان يعيش فيه السمك

فاذا كانت هذه البرك قليلة وكان في البلاد ادارة صحية تهتم بصحة الاهلين فلا يتعذَّر عليها نزح الماء من البرك واستئصال جراثيم الملاريا مثال ذلك ان الحمى الملارية كثيرة في اكثر مدن الهند والبعوض يتولد في جوار اكثر بيوتها فيتعذَّر استئصاله منها ولكن البرك الصالحة لتولد البعوض المرقط قليلة جداً لا توجد الا في الاماكن المقفرة او البساتين المهملة وبركة صغيرة مثل هذه قد يتولد فيها من بعوض الملاريا ما يكفي سكان مدينة قبلما يعرف مكانها وهي لو عرف مكانها امكن نزح الماء منها بدراهم قليلة واستئصال الملاريا من تلك المدينة. وقس على ذلك ثكنات الجنود فانه قد يكون على مقربة منها بركة صغيرة يتولد فيها بعوض الملاريا فيصاب بها مئات من الجنود دواماً كما في اسكندر اباد المشهورة بتسلط الحميات على الجنود المقيمين فيها فانني وجدت بعد البحث الدقيق والتفتيش الطويل بركة صغيرة فيها عوم البعوض المرقط وهي لو طرح فيها ملء بضع عربات من التراب لامتلأت ونجت تلك البلاد من شرها

غير اننا لا نعرف حتى الآن كل انواع البعوض الضارَّة ولا عرفنا كل الاماكن التي يمكن ان يتولد فيها ولا درسنا كل طبائعهِ فلا اريد ان يبني الناس على اقوالي آمالاً يثبت المستقبل فسادها . وغاية ما اقولهُ ان ما رأيتهُ حتى الآن يدلُّ على ان الملاريا من الآفات التي يمكن استئصالها بسهولة وانهُ لا صحة لما قيل قبلاً من انها تتولد من الارض وزد على ذلك ان امتياز بعوض الملاريا بالرقط على جناحيهِ يكفي للدلالة عليهِ فاذا اضطرَّ احد ان يسكن في بلاد ملارية او ان يسافر فيها ورأى هذا البعوض فيها سهل عليهِ ان يقي نفسهُ منهُ"

هذه خلاصة ما كتبهُ الدكتور روص في هذا الشان وقد أُرسل بعد كتابة ما تقدَّم الى غربي افريقية حيث انتشرت الحمى الملارية فوجد فيها البعوض المرقط المشار اليهِ آنفاً

ونشر السجل الطبي الاميركي في الثالث والعشرين من دسمبر الماضي مقالة للدكتور بركلي وصف فيها كيفية دخول جراثيم الملاريا في البعوض المرقط اذا امتصَّ دم انسان مصاب بها وقال انهُ تتولد من هذه الجراثيم اجسام دقيقة تنتشر في دم البعوض وتجتمع في الغدد التي يكون فيها السم عند اسفل الحمة التي يلسع بها فاذا لسع انساناً آخر ليمتص دمهُ افرز السائل السام ليمتزج الدم بهِ فتخرج هذه الاجسام مع السائل وتمتزج بدم الانسان فيعدى بجراثيم الملاريا . وان البعوض المرقط يمتاز بانهُ اذا وقف على حائط انتصب عليهِ حتى يكاد جسمهُ يكون قائماً على الحائط . وعوم البعوض العادي تتنفس في الماء من انبوب في ذنبها وهي تسبح عمودية في الماء واما عوم هذا البعوض فتتنفس من بطنها وهي تسبح افقية . وعلى كل جناح من جناحي الانثى منهُ خمس رقط مستديرة كما ترى في هذا الشكل وهو مكبَّر كثيراً كما لا يخفى . وخير الوسائط لاستئصالهِ ردم البرك والمستنقعات التي يتولد فيها او تربية السمك فيها ولا بدَّ من منع البعوض المرقط من لسع المحمومين لانهُ اذا لسع الاصحاء بعد ذلك نقل اليهم عدوى الحمى

الاسكندر ذو القرنين

فتح مصر وبناء الاسكندرية

لما فرغ الاسكندر من امر اسيا الصغرى وبلاد الشام على ما في الاجزاء الماضية سار في طريق الساحل قاصداً القطر المصري وكان ذلك في شهر نوفمبر من سنة ٣٣٢ قبل المسيح لكي يقطع كل اتصال للفرس بالبحر المتوسط ويجعلهُ بحرًا يونانيًّا و يستولي على طرق التجارة فيه . فقضى في الاستيلاء على اسيا الصغرى وبلاد الشام سنتين ونصف سنة اي قضى ثلث ايام ملكهِ ولم يستولِ الاَّ على عشر البلاد التي شملها ملكهُ بعدئذٍ ولكنهُ استولى على ثلاثة اقاليم وثلاث طوائف من الناس الاقليم الاول الطرف الغربي من اسيا الصغرى حيث السكان اكثرهم من اليونان ولغتهم اليونانية وقد استولى عليهِ من شهر مايو الى شهر نوفمبر سنة ٣٣٤ قبل المسيح . والثاني القسم المتوسط والجنوبي من اسيا الصغرى حيث مختلف الامم والشعوب وقد استولى عليهِ من نوفمبر سنة ٣٣٤ الى نوفمبر سنة ٣٣٣ قبل المسيح . والثالث بلاد الشام كلها او سورية وفلسطين حيث كانت العزَّة والصولة للفينيقيين وللسان الفينيقي وقد استولى عليه من نوفمبر سنة ٣٣٣ الى نوفمبر سنة ٣٣٢ قبل المسيح

فاستولى على بحر الروم باستيلائهِ على هذه الاقاليم وظفر اعظم ظفر بحري في معارك برية ولم يبقَ عليهِ الاَّ ان يختم هذا الظفر بانشاء مدينة بحرية تكون واسطة عقد التجار بين المشرق والمغرب ولا يكون للفرس سبيل اليها وتصير مقرًّا لما بلغتهُ الحضارة ووصل اليهِ العمران في ذلك العهد

ولقد كان الاسكندر عالمًا ان مصر مهد العمران وان فيها نشأَت العلوم والفنون وانها على صغرها تجمع خلقًا كثيرًا يعيشون فيها بالرخاء وسط الصحاري القاحلة وان اهلها ناقمون على الفرس ومن عاداتهم ان يستشفوا من داءٍ بداءٍ فلا يبعد ان يرحبوا بهِ لكي ينجوا من متسلط اشد منهُ وطأَةً . فقام من غزة وسار في طريق القوافل التي سار فيها غيرهُ من الفاتحين قبلهُ و بعدهُ فبلغ الطينة (بلوز يوم) في سبعة ايام وكانت مدينة حصينة بقرب مصب الفرع الشرقي من فروع النيل (شرقي بورت سعيد) ففتحت لهُ ابوابها ومن ثم رحَّب بهِ سكان مصر كلهم لانهم كانوا قد ملُّوا من الخضوع للفرس بعد ان حملوا نيرهم نحو مئتي سنة ولم يجد واليها الفارسي سبيلاً للمقاومة لانهُ لم يكن عندهُ جيش ولا اساطيل فبادر الى التسليم فتضاعف ملك الاسكندر

في يوم واحد من غير ان يرمي سهماً او يحرك يداً. وهنا خُتم تاريخ مصر القديم وابتدأ لها تاريخ جديد تقلّبت فيه على اطوار شتّى

وسار من الطينة على الضفة الشرقية من فرع النيل الشرقي الى ان بلغ مدينة الشمس (المطرية) مقر المدارس التي امست بعد حين آثاراً دوارس والمسلاَّت الشاهقة التي تبعت الشمس في سيرها غرباً فبلغت مدينة لندن في بلاد الانكليز ومدينة نيويورك في اميركا. وسار منها فمرَّ بسفح المقطم ورأى الاهرام واقفةً امامهُ الواحد بعد الآخر كانها حراس تحرس النيل من رمال الصحراء ورقباء ترقب الدهر لترى تصاريفهُ بابناء هذا القطر. وعبر النيل وبلغ مدينة منف عاصمة الديار المصرية واكبر مدائن الاحياء فيها وهي متربعة بين الصحراء والنيل وفي وسطها هيكل المعبود فتاح الذي كان يعبد في صورة ثور يختارهُ الكهنة رمزاً لهُ ويقومون على حراسته وخدمته الى ان ينقضي اجلهُ فيضعونهُ في ناووس من المرمر ويدفنونهُ بالتبجيل والتكريم في مدينة الاموات التي عاشت بعد مدينة الاحياء. ولم تزل آثار هاتين المدينتين الى يومنا هذا. آثار مدينة الاموات من اهرام ومصاطب ومدافن عظيمة فخيمة من اعظم ما بناهُ الناس وصنعهُ اهل الصناعة وفاخر بهِ الملوك والعظماء وآثار مدينة الاحياء قليلة على عظمتها لم يبقَ منها الى الآن سوى تمثالين عظيمين وحجارة متفرقة لكنها كانت كثيرة جداً منذ بضع مئات من السنين وقد وصفها عبد اللطيف البغدادي وصفاً بديعاً حيث قال

«ومن ذلك الآثار التي بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فويق الفسطاط وهي منفُ التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقرَّ مملكة ملوك مصر فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستئصال الامم اياها من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها وافساد ابنيتها وتشويه صورها مضافاً الى ما فعلتهُ فيها اربعة آلاف سنة فصاعداً تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم الفطن المتأمل ويحصر دون وصفهِ البليغ اللسن وكلما زدتهُ تأملاً زادك عجباً وكلما زدتهُ نظراً زادك طرباً ومهما استنبطت منهُ معنى انباك بما هو اغرب ومهما استنرت منهُ علماً دلّك على ان وراءهُ ما هو اعظم

فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسع اذرع ارتفاعاً في ثمانٍ طولاً في سبع عرضاً قد حُفر في وسطهِ بيت قد جعل سمك حيطانهِ وسقفهِ وارضهِ ذراعين ذراعين والباقي فضاء البيت وجميعهُ ظاهراً وباطناً منقوش ومصوَّر ومكتوب بالقلم القديم وعلى ظاهرهِ صورة الشمس مما يلي مطلعها وصوَر كثير من الكواكب والافلاك وصوَر الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات بين قائم وماشٍ ومادٍّ رجليهِ وصافهما ومشمر للخدمة وحامل

الآلات والمشير بها . ينبئ ظاهر الامر انهُ قصد بذلك محاكاة امور جليلة واعمال شريفة وهيئات فاضلة واشارات الى اسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثاً ولم يستفرغ في صنعتها الوسع لمجرَّد الزينة والحسن . وقد كان هذا البيت ممكناً على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمقى طمعاً في المطالب فتغير وضعهُ وفسد هندامهُ واختلف مركز ثقلهِ وثقل بعض على بعض فتصدع صدوعاً لطيفة يسيرة . وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية جافية على اتقن هندام واحكم صنعة وفيها قواعد على عمُد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة في جميع اقطار هذا الخراب . وقد بقي في بعضها حيطان ماثلة بتلك الحجارة الجافية . وفي بعضها اساس وفي بعضها اطلال ورأيت عقد باب شاهقاً ركناهُ حجران فقط وأزجهُ حجر واحد قد سقط بين يديهِ . وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيهِ صدأ النحاس وزنجرتهُ فعلمت ان ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها ورباطات بينها بأن تجعل بين الحجرين ثم يصب عليهِ الرصاص وقد تتبعها الانذال والمحدودون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لاجلها كثيراً من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وابانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في الخساسة

واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامرٌ يفوت الوصف ويتجاوز التقدير . واما اتقان اشكالها واحكام هيئاتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة . فمن ذلك صنم ذرعناهُ سوى قاعدتهِ فكان نيفاً وثلثين ذراعاً وكان مداهُ من جهة اليمين الى اليسار نحو عشر اذرع . ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليهِ من الدهان الاحمر كأنهُ لم يزدهُ تقادم الايام الاَّ جدَّةً . والعجب كل العجب كيف حفظ فيه مع عظمهِ النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي وانت تعلم ان كل واحد من الاعضاء الآلية المتشابهة لهُ في نفسهِ مقدار ما ولهُ الى سائر الاعضاء نسبة ما وبذلك المقدار وبتلك النسبة يحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة فان اختل شيءٌ من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل . وقد أُحكم في هذه الاصنام هذا النظام احكاماً اي احكام فمن ذلك مقادير الاعضاء في نفسها ثم نسب بعضها الى بعض » انتهى

هذا بعض ما ذكرهُ عبد اللطيف البغدادي الذي كان في الديار المصرية وشاهد آثارها منذ نحو سبع مئة سنة اي بعد ان استولى عليها الخراب نحو الف سنة فماذا كان شأنها وكيف كانت حالها لما دخلها الاسكندر وهي في اوج مجدها . وكم كان وقعها في نفسهِ عظيماً ولذلك لا يستغرب اعجابهُ بالمصريين واقرارهم على حالهم ويقال انهُ لما دخل عاصمتهم ذهب توًّا الى هيكل

ابيس الثور المقدس ليقرّب لهُ القرابين . وحريٌّ بمن ولد للسياسة والرئاسة ان يخاطب الناس على قدر افهامهم ولكنهُ لا يعذر اذا عبد العجل ولو عبدهُ الناس قاطبةً غير اننا لا نعدل في الحكم الاَّ اذا وضعنا انفسنا في موضعهِ ونظرنا الى الامور كما كان ينظر اليها فان كان قد رسخ في ذهنهِ ان الاله الواحد يُعبَد بتقريب القرابين الى ما يتفق القوم على اتخاذهِ رمزاً لهُ فالعبادة صحيحة حسب اعتقادهِ ولو كانت لثور . وبديهي ان المصريين ابتهجوا بفعل الاسكندر لانهم قابلوهُ بما فعلهُ قمبيس الفارسي حينما دخل مصر وطعن الثور المقدس بيدهِ وداريوس اوخس الذي امر ان يذبح ثور من الثيران المقدسة فزادوا اكراماً للاسكندر وترحيباً بهِ . وقد اثبت ذلك ديودورس في تاريخهِ

ومن رأي الاستاذ هويلر ان الاسكندر فعل ما فعل في هيكل الثور ابيس عن تديُّن وورع لانهُ ورث التديُّن من امهِ وانهُ كان يقف في حضرة القوة الالهية المتسلطة على الكون كلهِ كما يقف الوالي الصغير امام الملك الكبير وكانت عواطفهُ حيَّة شديدة تمنعهُ من الوقوف موقف البحث والتشكيك ومطامعهُ كبيرة واسعة تردعهُ عن التعصُّب لقومهِ والتحيُّز لاهل مذهب دون آخر . وبلاد مصر بلاد كهنة وهيا كل واصنام وتماثيل وعبادة وورع فتسلَّطت عليهِ بعبادتها كما تسلَّط عليها بسيادتهِ واقام فيها اربعة اشهر كانهُ في هيكل عظيم تعبد فيهِ صنوف الالهة

وكان معهُ نحو عشرين الفاً من الجنود فتركهم ليشتوا في منف واخذ نحو اربعة آلاف من الفرسان والرماة وحملة التروس وسار في النيل الى طرف فرعهِ القنوبي عند ابي قير وقطع الى بحيرة مريوط وكانت حينئذٍ وسيعة عميقة الماء تصب فيها ترع كثيرة والارض حولها مزروعة كروماً واشجاراً مختلفة فبلغ مكاناً يبعد عن ابي قير نحو ١٣ ميلاً في حَيْد يفصل بحيرة مريوط عن بحر الروم فاعجبهُ ذلك الموقع وعزم ان يبني فيهِ مدينة حاسباً انها تكون صلةً بين بحر النيل وبحر الروم او بين بلاد مصر وافريقية كلها من ورائها وبين البلدان المتاخمة لبحر الروم والمتصلة بهِ فان السفن النيلية كانت تصل الى بحيرة مريوط من الجهة الواحدة من هذا الحيد والسفن البحرية تصل اليهِ من الجهة الاخرى وتستطيع الاقامة في مرفأين طبيعيين فيهِ ولا مرفأ غيرهما مسافة ستمئة ميل من ساحل بحر الروم

ولا دليل على ان الاسكندر كان يبحث حينئذٍ عن مكان يبني فيهِ مدينة ولكن ما يرجَّح من قرائن الاحوال ومما رسخ في نفسهِ بعد خراب صور واستيلائهِ على مصر انهُ كان مهتمًّا ببناء مدينة تقوم مقام المدينة التي خربها فلما وصل الى هذا الموقع رأى فيهِ مما يفي بحاجتهِ .

وسواء كان ضالة منشودة او لقطة عثر عليها عثوراً فان المدينة التي بناها فيهِ صارت اعظم المدن التجارية

هذه هي الاسكندرية التي كانت ولا تزال واسطة الاتصال بين افريقية واسيا واوربا وسوقاً لتجارة المسكونة وعاصمة للعمران اليوناني الذي ساد المعمورة ثلاثة قرون ولم تزل آثاره حتى الآن . وقد نمت نموًّا سريعاً فصارت الثالثة في الممالك الغربية بعد موت الاسكندر بسبعين سنة فقط وكانت الاولى قرطاجنة والثانية انطاكية . وبلغ عدد سكانها في السنة الستين قبل المسيح ثلثمئة الف من الاحرار وزاد على ذلك في القرن الاول المسيحي فبلغ نحو اربع مئة الف حرٍّ ولم يفقها في عدد السكان حينئذٍ الاَّ مدينة رومية

وقد ذكر الكتَّاب الذين نشأُوا في القرن الاول قبل التاريخ المسيحي ما يؤْخذ منهُ ان تجارتها كانت شاملة لانخر ما يُتجر بهِ في المسكونة فكانت القوافل والسفن تاتيها ببضائع افريقية وبلاد العرب وبلاد الهند بالطيوب من بلاد العرب والتبر والحجارة الكريمة من بلاد الهند واللآلئ من بحر فارس والحرير من بلاد الصين والذهب والذبل (ظهر السلاحف) من شواطئ البحر الاحمر والعاج من افريقية والحبوب من مصر . وكان يسافر منها كل سنة ١٢٠ سفينة قاصدةً الهند فتصعد في النيل وتسير فيهِ الى البحر الاحمر ومن ثمَّ الى بلاد الهند . وكان صنَّاعها يتسابقون في المصنوعات التي يبدل بها ما ياتيها من البضائع والتحف كما تتسابق معامل اوربا الآن في المصنوعات فكانت منسوجاتها تبلغ اقاصي المسكونة حتى البلاد الانكليزية ولاسيما البوص المشهور بدقة نسجهِ وهو من الكتان الذي كان يزرع في القطر المصري . والبسط المصنوعة من انخر انواع الصوف مصبوغة بابدع الالوان والورق المصنوع من البردي والزجاج الذي كانت اكوابهُ تباع كاكواب الذهب والزيوت والعطور التي كان الناس يباهون بها حينئذٍ كما يباهون الآن بالطيوب الفارسية . قال هدريانوس الذي كتب سنة ١٣٤ للمسيح انهُ لم يكن احد في الاسكندرية من غير صناعة حتى العميان والمقعدين وكان الدينار معبود الناس يعبدهُ اليهود والنصارى على حدٍّ سوى

ولا تُذكر الاسكندرية القديمة الاَّ ويقرنها الذهن باسباب عظمتها وشهرتها وهي مكاتبها ومدارسها وهياكلها ومنارتها فان بطليموس الاول الذي تولاها بعد الاسكندر انشأَ فيها مكتبة كبيرة (كتب خانة) جمع فيها خمسين الف مجلد ودرج وزاد اعتناء البطالسة بهذه المكتبة حتى بلغ عدد كتبها ٤٩٠ الف مجلد في رواية و ٧٠٠ الف مجلد في رواية اخرى . وكانت مقسومة قسمين احدها في الميوزيوم وهو مدرسة كبيرة لتعليم فنون الادب والآخر

في السرابيوم وهو هيكل زفس سرابيس . اما القسم الاول فاحترق لما حاصر يوليوس قيصر الاسكندرية . واما الثاني فبقي في السرابيوم الى ايام الملك ثيودوسيوس الكبير ثم احترق اكثره لما امر هذا الملك بتخريب جميع الهياكل الوثنية وذلك سنة ٣٩١ للمسيح . ولما احترق القسم الاول من هذه المكتبة عوّض منهُ بمكتبة برغامس التي اهداها مرقس انطونيوس الي الملكة كليوبترة فدخلت في السرابيوم

ويقال ان ارسطوطاليس معلّم الاسكندر هو اول من جمع مكتبة وان مكتبتهُ هي اصل مكتبة الاسكندرية هذه وان كتبهُ كلها كانت فيها وان البطالسة اكثروا من جمع الكتب اقتداءً بهِ واكراماً لهُ لانهُ هو الذي هذّب الاسكندر قائدهم الاعظم . وبلغ من غرامهم في جمع الكتب انهم كانوا يستعيرون المؤلفات من اصحابها و ينسخونها و يحفظون الاصل عندهم و يردون النسخة الى صاحب المؤلف . ويفتشون عن الكتب في امتعة السياح والتجار الذين يدخلون الاسكندرية ويأخذون ما يجدونهُ منها

وقد اتصلت بنا اسماءُ كثيرين من مديري تلك المكتبة مثل كليماكس الذي الّف كتاباً كبيراً في تاريخ العلوم اليونانية وايراتستنس الذي انشأ مرصداً في الاسكندرية لرصد الافلاك واكتشف ميل دائرة البروج وقاس محيط الارض وكان بطليموس سوتر منشئُ هذه المكتبة محبًّا للعلم مقرّباً للعلماء والّف تاريخاً للاسكندر فُقد مع ما فقد من الكتب . ومن العلماء الذين قرّبهم اقليدس صاحب كتاب الاصول الهندسية . وكان يمشي معهُ ذات يوم في الطريق السلطانية المؤدية الى القصر ولم يكن يمشي فيها غير الملوك والذين من بيت الملك واما الشعب فكان يصل الى القصر من طريق اخرى ذات درج صعبة المرتقى فسألهُ بطليموس أما من سبيل اسهل لمعرفة التعاليم فقال «كلاَّ اذ ليس لها سكة سلطانية» مشيراً الى السكة التي كان يمشي فيها

ومنهم هيروفيلس الذي شرّح جسد الانسان وسمّى اجزاءهُ المختلفة باسمائها التشريحية المعروفة بها الى الآن ويقال انهُ شرّح سبعمئة جثة وشرّح بعض الاسرى وهم في قيد الحياة وهي قساوة بربرية نودّ ان يكون بريئاً منها

اما مدارسها فأشهرها الميوزيوم المشار اليهِ انفاً ولم يكن داراً للتحف كما يفهم من مدلول هذه الكلمة الآن بل داراً للعلم والتعليم وكان مبنيًّا حيث بورصة الاسكندرية الآن . اي ان الاقدمين من سكان الاسكندرية كانوا يطلبون الغنى العقلي حيث يطلب المحدثون الغنى المالي . ولهذه المدرسة الفضل الاول في حفظ علوم اليونان وبثها في المشرق والمغرب وبقيت علومها يانعة الى المئة السابعة للميلاد

وتعاقب على مصر عشرة من البطالسة اعتنوا كلهم بهذه المدرسة ووسعوا نطاق التعليم والبحث فيها وكان لاساتذتها الباع الطولى في التعاليم والهندسة والفلك والجغرافية والتاريخ الطبيعي والتشريح والطب . وكان يتصل بها بستان للنبات تزرع فيهِ النباتات المختلفة الاقاليم وتتخذ العقاقير الطبية منها و بستان للحيوان تربى فيهِ الحيوانات الكثيرة البرية والاهلية وتدرس طبائعها

وخُططت الاسكندرية فجعل فيها شارعان كبيران يقطع احدهما الآخر على زاوية قائمة وعرض كلٍّ منهما مئة قدم وعلى جانبيهِ رواقان وصفان من الاعمدة ثم خططت بقية الشوارع لتكون موازية لهذين الشارعين فصارت المدينة بها قطعاً مربعة الشكل كرقعة الشطرنج وهي مستطيلة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميل . وقد اجلى النقب الذي شرع فيهِ محمود باشا الفلكي وتمَّ سنة ١٨٦٧ عن اكتشاف الشارعين الكبيرين وآثار الاعمدة التي كانت على جانبيهما وصفاح المرمر التي كانت ارضهما مرصوفة بها وظهر ان محيط المدينة القديمة كان اقل من عشرة اميال .

وقد ذكر فلوطرخس انهُ لما خططت المدينة ذروا على رسم شوارعها دقيق الحنطة بدل دقيق الطباشير فلم يكادوا يتمّون رسمها حتى وقعت الطيور على الدقيق والتهمتهُ فتشاءم الاسكندر من ذلك لكن اهل الفأل فسَّروا لهُ وقوع الطيور بانهُ يدل على غنى المدينة وعلى انها ستكون مغذية للامم

وكان في مكدونية مهندس شهير اسمهُ دينوكراتس وهو الذي بنى هيكل ارطاميس في افسس بعد ان حرقهُ هروستراتس الاحمق لكي يشتهر اسمهُ . فلما طبقت شهرة الاسكندر الاقطار رأى ان يصنع لهُ تمثالاً لم يُصنع مثلهُ لملك من ملوك الزمان فلما مثل بين يديهِ قال لهُ انني عزمت ان انحت جبل اثوس واصنعهُ لك تمثالاً وابني في يسارهِ مدينة تسع عشرة آلاف من السكان واحوّل جميع الانهار التي تنبع منهُ الى يمينهِ فتجري منها الى البحر سيلاً متدفقاً . فسرَّ الاسكندر بهِ وصرفهُ ولعلهُ قال في نفسهِ ان هذا الرجل قد فاقني في حب الشهرة فطلبها من حيث تتعذر . ولكنهُ تذكرهُ لما اراد بناء الاسكندرية فاستدعاهُ لهذه الغاية ووكل اليهِ بناءها . ثم اتجه غرباً سائراً على شاطىء بحر الروم الى ان بلغ حدود قيرين او القيروان فقابلهُ وفد من اهلها يحمل اليهِ الهدايا و يطلب محالفتهُ فاجاب الوفد الى ما طلب وحوّل ركابهُ الى الجنوب وسار في الصحراء قاصداً هيكل امون في واحة سيوى والطريق اليهِ في مفازة قاحلة لا معالم فيها ولا شيء يهتدى بهِ وقد استعظم المتقدمون والمتأخرون ما فعلهُ ونسبوا اهتداءهُ الى خوارق لم يألفها الناس فقال بعضهم ان حيتين انسابتا في طريقهِ تهديانهِ في تلك المفاوز

وقال آخر ان غرابين طارا امامهُ في حلهِ وارتحالهِ واذا ضلَّ احد من رجالهِ طلباه وظلا ينعقان الى ان يهتدي اليهما

وواحة سيوى درة في قفر فيها النخيل والزيتون وماءٌ معين حول هيكل امون فلما بلغها الاسكندر بادر الى الهيكل و يقال انهُ سأَل اولاً عمّا اذا كان احد من قتلة ابيهِ قد نجا من العقاب فوبخهُ كاهن الهيكل قائلاً ان اباك ليس من الاموات حتى يقتل فسأَل الاسكندر عن قتلة فيلبس فقيل لهُ انهم عوقبوا كلهم

لكن فلوطرخس انكر هذه الرواية وقال ان الاسكندر كتب الى امهِ يخبرها بذهابهِ الى هيكل امون وان هذا المعبود اطلعهُ على امور سرية سيقصّها عليها بنفسهِ متى عاد اليها. وقال فلوطرخس ايضاً ان البعض يقولون ان كاهن امون خاطب الاسكندر باليونانية وهو لا يحسنها واراد ان يقول لهُ يا ابني (باپيذيوس) فقال يا ابن زفس (بابي ذيوس) واضعاً النبرة على واو ذيوس ففرح الاسكندر بهذا الخطاء ولم يصلحهُ وشاع على الالسنة انهُ دعي ابن زفس اب الآلهة. وانكر بعض المؤرخين هذه الرواية او لم يشيروا اليها وقال غيرهم ان الكاهن لقبهُ ابن رع (الشمس) او ابن امن وهو اسلوب المصريين في تلقيب ملوكهم لا اشارة فيهِ الى انهم مولودون من الالهة او من غيرهم . و يظهر من بعض القرائن والادلة ان الاسكندر مال الى الاعتقاد بانهُ من جبلة فوق جبلة الناس وان الالهة تعتني بهِ بنوع خاص . ولا يستغرب ممن كان مولعاً باشعار هوميروس منذ نعومة اظفارهِ ومعجباً بالابطال الاقدمين الذين يقال انهم من نسل الآلهة ان يتوخى الاقتداء بهم وجعل نفسهِ في مصافهم ولو سياسةً ليسهل عليهِ التسلط على الشعوب الكثيرة التي خضعت لهُ ولاسيما شعوب المشرق التي كانت تؤله ملوكها ولكن لا دليل على انهُ فعل ذلك او انتدب اليونان الى عبادتهِ كما زعم البعض غير ان اليونان اكرموهُ بعد موتهِ او عبدوهُ ورسموهُ على نقودهم في شكل الالهة وشاعت عبادتهُ في الاسكندرية في عهد بطليموس الثاني بعد موتهِ بخمسين سنة وبقيت الى عهد الرومان . واكثر الذين أُلهوا وعُبدوا لم يدَّعوا التأَلُّه ولم يطلبوا العبادة وانما فعل ذلك خلفاؤهم لكي يستعزوا بهم ويتسلطوا على عقول البسطاء

وعاد الاسكندر من واحة سيوى بعد ان اهدى الى هيكلها الهدايا النفيسة فوجد الوفود في انتظارهِ من مدن اليونان وجزائرها وكل وفد يطلب امراً فارضى الجميع وصرفهم واقام في القطر المصري شهراً من الزمان ينظم امورهُ ففصل الادارة عن الحربية والمالية وجعل للغرباء حكومة مستقلة عن حكومة الوطنيين ووضع الحامية في منف والطينة وقام في اوائل الربيع

سنة ٣٣١ قبل المسيح وعاد الى فينيقية وجاء صور ونظم امورها ثم ودَّع سواحل بحر الروم وغاص في قلب اسيا كما سيجيء

هذه خلاصة ما ذكرهُ المؤرخون الاقدمون من اليونان والرومان ونقلهُ عنهم كتَّاب الافرنج اما مؤرخو العرب فابن الاثير اجتزى عن ذلك كلهِ بقولهِ ان الاسكندر بنى الاسكندرية بمصر. واكتفى ابن خلدون بقولهِ وفتح (الاسكندر) كثيرًا من مدن الشام ورجع الى طرسوس فزحف اليهِ دارا ولقيهُ عليها فهزمهُ الاسكندر وافتتح طرسوس وبنى الاسكندرية ثم تزاحف مع دارا وهزمهُ وقتلهُ. ولم نرَ لغيرهما كلامًا سهبًا عن مجيء الاسكندر الى القطر المصري

شهيد التجارة

للتجارة شهداء كما للديانة والذين يستشهدون في سبيل المال يفوقون الاحصاء وما الفرسان طلاَّب المعالي الذين تسيل على حد الظباة نفوسهم بابسل من طلاَّب المكاسب الذين يخوضون البحار و يجوبون القفار لاجل مال يكتسبونهُ و بضاعة يبتاعونها. وقد اطلعنا بالامس على رسالة لرجل من سكان بطرس برج وصف فيها ما لقيهُ من الشدَّة في قلب افريقية وهو يطلب فيها ريش النعام فترجمناها تفكهة للقراء وذكرى للذين يتقاعدون عن السعي منا و يحسبون اننا نستطيع ان نجاري الاوربيين من غير ان نأخذ اخذهم. قال الكاتب :

انتظمت سنة ١٨٨٨ في خدمة بيت تجاري من اكبر البيوت التجارية في بطرس برج لهُ معاملات واسعة في البلدان الشرقية ولم اكد انتظم في خدمتهِ حتى دعاني احد الشركاء فيهِ الى مكتبهِ وقال لي استعدَّ للذهاب الى مدينة بيروت وقابل فلانًا وامضِ معهُ الامر الفلاني. فسافرت حالاً وبلغت بيروت في عشرة ايام وقضيت العمل الذي اتيت لاجلهِ وقبل ان اسافر منها جاءتني رسالة برقية لارجع الى ازمير وانتظر الاوامر فيها فعدت الى ازمير ورأيت مع البريد كتابًا أُمرت بهِ ان ابتاع كل ما اجدهُ من ريش النعام في تلك المدينة فصدعت بالامر ولم يكن الاَّ قليل حتى جاءني احد المديرين في ذلك البيت واسمهُ ليلنغوف وقال لي ان استعد للسفر معهُ الى مصر وهناك نبتاع كل ما تصل يدنا اليهِ من ريش النعام قبلما يسبقنا احد

ولم اكن قد استرحت من وعثاء السفر فكدت ارفض طلبهُ وليتني رفضتهُ ولكن مطالب الاعمال قضت عليَّ بالقبول فاتينا الاسكندرية ولم نجد فيها ريشًا فصعدنا الى القاهرة ولم نقم

فيها الاَّ يومين ثم سرنا جنوبًا حتى بلغنا اطراف بلاد النوبة فاشترينا كل ما وجدناهُ فيها من الريش وعدنا الى القاهرة و بعثنا بهِ الى روسيا واقمنا ننتظر الاوامر فوصل الريش وبيع بثمن غالٍ جدًّا وكنا ننتظر ان نُشكر على ما فعلنا و يباح لنا ان نعود الى بيوتنا واذا نحن برسالة يقال لنا فيها ان نصعد الى قلب افريقية الى ولاية الكنغو حيث يكثر النعام وان ننتظر بضاعة أُرسلت الينا لناخذها معنا ونقايض بها وجاءتنا هذه البضائع وهي من الاساور والدمالج والخواتم والخرز وما اشبه مما يُتَّجر بهِ في قلب افريقية

فاسقط في يدي لانني كنت قد تعبت كثيرًا في سفري برًّا و بحرًا واشتقت الى اهلي وكانت الثورة ضاربة اطنابها في بلاد السودان والدراويش لا يبقون على تاجر وقد اسروا نوفلد ونكَّلوا بهِ وهب اننا نجونا من يدهم فالبلاد التي أُمرنا بالذهاب اليها وبيئة كثيرة الحميات لا نسلم منها اذا سلمنا من اهلها. وظن ليلنغوف ان في الرسالة البرقية خطأً واشار عليَّ بالرجوع معهُ فلم اعمل بمشورتهِ بل قلت لهُ قد لا يكون في الامر شيء من الخطر لان التجار يمضون الى قلب افريقية دوامًا . و بعد اللتيا والتي قرَّ راينا على الصعود الى قلب افريقية فاستاجرنا ستة من السودانيين ليمضوا بنا الى لادو عند حدود ولاية الكنغو وحملنا بضائعنا على الجمال وقمنا في الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٨٨ وسرنا جنوبًا حتى بلغنا الدامر في بلاد النوبة وكنا في خطر دائم من الدراويش لكننا نجونا منهم واقمنا في الدامر يومين وغادرناها وجعلنا نطوي صدور الارض على الاعجاز الى ان بلغنا لادو بطريق البحر الابيض بعد سير ثلاثين يومًا وهناك تركنا السودانيون الذين رافقونا من القاهرة فبقينا وحدنا انا وليلنغوف في بلاد لم تطأْها قدامنا قبلًا ولا نعرف شيئًا عنها ومع ذلك عزمنا ان نبذل جهدنا في مصلحة البيت الذي نحن في خدمتهِ شأْن مكاتبي الجرائد الذين يخوضون معارك القتال ليجمعوا الاخبار لجرائدهم . وكنا نتوسل الى اولئك الزنوج ليبقوا معنا و يرافقونا في سفرنا فلم نرَ منهم غير الاعراض فقلنا ان كان هؤلاء لا يأْمنون على انفسهم في بلادهم فكيف نسافر فيها نحن وحدنا ومَن يقينا من اهلها البرابرة . ولذلك قال رفيقي لا بدَّ لنا من العودة ولو بخفي حنين. ولو صمم على رايهِ لاضطررت ان اعود معهُ ولنجونا مما لقيناهُ من المخاطر لكنهُ كان مترددًا فقلت لهُ انني عازم على قطع بلاد الكنغو الى مدينة اكواتورفيل في طرفها الغربي حيث كنت واثقًا اني اجد كثيرًا من ريش النعام فلم يرضَ ان يتركني وحدي بل قال انهُ يرافقني اليها وكان معنا دليل اسمهُ ابو كمال فقال انهُ يمضي معنا فسررنا بذلك ووعدناهُ بعطية سنية حال رجوعنا وللحال مضى واستأْجر لنا نفرًا من الحمالين فاتونا بحرابهم وتروسهم وهم من الزنوج

الفاحمي الالوان ومن اشدهم شراسة وكان من رأي ابي كمال ان نذهب الى ملك البلاد ونسترضيه بالهدايا فاستحسنا ذلك في اول الامر ثم خطر لنا انهُ قد يكون من اكلة لحوم الناس فيستسمننا ويوقع بنا فعدلنا عن الذهاب اليه واخترنا عشرة من الحمالين وسرنا بهم في طريق الكنغو ولم نكن نعرف كلمة من لغتهم لكن ابا كمال ادَّعى انهُ يفهم كل اللغات الافريقية وكان يتوخى كل ما يرضينا ولو بالكذب فكلمهم كلاماً لم نفهمهُ فاخذوا يفحجون برطانتهم واخذنا معنا حميراً من لادو ركبناها وسرنا ووجهتنا مدينة اكواتورفيل فمررنا في حراج غبياء وآجام وبيئة وعبرنا انهاراً كبيرة وتجشمنا من المشاق ما يعجز عن وصفهِ القلم الى ان قربنا من تلك المدينة وذلك في التاسع عشر من نوفمبر سنة ١٨٨٨ واذا نحن باكمة في سفحها قرية كبيرة فلم نشأ ان ندخلها قبل ان نعرف شيئاً من احوال اهلها فصعدنا على الاكمة ودعوت الحمالين وقلت لهم ان يمضوا الى القرية و يسألوا عن ريش النعام فيها واعطيتهم كثيراً من الخرز والاساور والدمالج ونحو ذلك من البضائع التي تستعمل بدل النقود ولم نكن قد فتحنا صناديقنا امامهم قبلاً فدهشوا مما فيها واخذوا يصيحون ويقولون ما معناهُ انهم يرجعون محملين بريش النعام وطلب ابو كمال ان يمضي معهم الى القرية فاذنَّا لهُ في ذلك فساروا الساعة الثالثة بعد الظهر وجلست انا وليلنغوف تحت شجرة في انتظارهم وكان معنا بنادق ومسدسات. ومرَّت اربع ساعات ولم يرجع احد منهم فداخلتنا الظنون وخفنا ان يعود علينا اولئك الرجال مع نفر من اهل القرية ويفتكوا بنا ويغنموا كل ما معنا. واطللنا على القرية فرأينا الناس فيها كالنمل يجيئون ويذهبون وغابت الشمس وخيم الظلام وانتصف الليل ولم يرجع احد فيئسنا من عودتهم وعزمنا ان نرجع ادراجنا

وكان البعوض قد اهتدى الينا وهجم بجيوشهِ الجرارة علينا فتضرَّجت وجوهنا وايدينا بالدماء وقمنا لنعود من حيث اتينا واذا نحن بصيحة عظيمة في القرية فالتفتنا اليها واذا مئات من الزنوج والمشاعل في ايديهم و بعضهم يرقصون و بعضهم يضربون الطبول فقلت في نفسي انهم قبضوا على رجالنا وذبحوهم واكلوهم وهم يظهرون بهجتهم بذلك. وبينا انا افكر في هذا الامر ونفسي تجيش من التفكر فيهِ اذ سمعت اصواتاً خفية فالتفت واذا انا باشباح سوداء تدنو منا فصمتُّ حاسباً ان الساعة قد جاءت ثم امعنت نظري ووثبت قائماً وقلت لليلنغوف هؤلاء رجالنا وابو كمال معهم وكان كما قلت فان الرجال عادوا ومعهم احمال من ريش النعام فسألناهم عن سبب عاقتهم وعن الضجة في القرية فقالوا ان الزنوج كانوا يزجرون الغيم عن القمر بطبولهم وهذه عادة لهم

وبعد يومين اشار علينا الرجال ان نمضي الى مكان اسمهُ بسنجي في وسط بلاد الكنغو

فانهُ بلغهم ان فيهِ كثيراً من ريش النعام لكن سكانهُ من اكلة لحوم الناس ومن اشرسهم.
ولم يكن ليلنغوف قد نسي هول تلك الليلة فاشار ان نكتفي بما معنا ونعود بهِ اما انا فكنت اطمع بالكثير وعزمت ان امضي وحدي فاضطرَّ ان يمضي معي فبلغنا نهراً اسمهُ شوبا واستأجرنا قوارب مصنوعة من اشجار مجوفة وسرنا فيها الى ان بلغنا مصبهُ فقال الحمالون ان الناس الساكنين حول مصبهِ عندهم كثير من الريش فسرنا حولهُ فرأيناهُ مكتنفاً بالآجام ولم يكن الاَّ قليل حتى سمعنا صراخاً يصمُّ الآذان فقال لنا رجالنا ان هذه اصوات البجاة في وليمة من لحوم الناس فلم نعبأ بقولهم بل بقينا سائرين في قواربنا الى ان دنونا من قريتهم فلما رأونا نهضوا واجتمعوا على اكمة واخذوا يصرخون صراخ الحرب فوقفنا لا ندري ما نفعل فزاد صراخهم واخذوا يرقصون ويهزون الرماح فجعل رجالنا يغنون غناء يفهم منهُ انهم ليسوا اعداء بل اصدقاء لكن غناءهم لم يجدِ نفعاً لان خصومنا ظلوا يصرخون ويضجون والتفتُّ الى ليلنغوف فرأيتهُ كئيباً كأنهُ يئس من النجاة فامرت الرجال ان يجدّفوا لكي نبعد عن تلك القرية فلم يفعلوا وافهمونا ان كل الناس الذين نمر بهم مثل هؤُلاء او اشرس منهم فقلت لهم اذن انزلوا الى البر وكلموهم ليكفوا عنا فنزلوا وكلموهم وحاجوهم فادَّى الحجاج الى الشجاج وللحال اشتبك القتال بين الفريقين ولما رأيت ذلك اعطيت ابا كامل مسدساً من مسدساتي واخذنا نطلق عليهم الرصاص فهجموا علينا وخاضوا الماء واتوا القارب الذي كنا فيهِ وبذلنا جهدنا في دفعهم عنا وكنا ندفع واحداً فيأتي عشرة بدلاً منهُ واخيراً قلبوا القارب فغرقت كل امتعتنا وبضائعنا وسبحت انا الى الشاطئِ ولم اكد اصل اليهِ حتى وجدت الزنوج حولي فقبضوا عليَّ وربطوني وحملوني الى كوخ من اكواخهم ووضعوا يديَّ ورجليَّ في مقطرة محكمة وجعلوا يرقصون حولي

ويا لها من ساعة بل من ساعات ذقت فيها الموت صنوفاً وفضلتهُ على الحياة وقلت في نفسي ترى ما اصاب ليلنغوف وابا كامل ووددتُ ان يكونا قُتلا لينجوَا من هذا العذاب. ثم جرَّني اولئك البرابرة الى ساحة قريتهم ولمحت هناك ليلنغوف وكان يبكي ويستغيث ولا مغيث فاغمضت عينيَّ لكي لا اراهُ ووددتُ ان اسدَّ اذني لكي لا اسمع صوتهُ ثم فتحت عيني واذا انا بمنظر تقشعرُّ منهُ الابدان وترتجف الفرائص شجرة كبيرة علِّقت عليها جماجم الناس وبذرت تحتها حتى غطَّت ارضها فاوصلوني اليها واوقفوني بجانب جذعها وربطوني اليهِ بحبال مفتولة من النبات ربطاً وثيقاً جداً ولما اتموا ربطي سمعت صرخة شديدة ورأَيت صرخة رجل ضُرب ضربة قضت عليهِ فعلمت انهم قتلوا رفيقي ليلنغوف. وعلا صياحهم حينئذ واخذوا يرقصون ويطبلون واضرموا ناراً واظنهم شووهُ عليها واكلوهُ لانني كنت اشمُّ رائحة الشواء. ويقال ان حبل الرجاء

لا ينقطع ما دام الانسان في قيد الحياة اما انا فانقطع حبل رجائي حينئذٍ واقمت انتظر دوري لحظة بعد لحظة لكن البرابرة ابعدوا عني وظلوا يصيحون ويطبّلون ويرقصون الى ان غابت الشمس وخيم الظلام وكان رباطي شديداً فخدرت اطرافي كلها ولم اعد اشعر بها بعد ان المتني الماً مبرحاً. وحينئذٍ خطر ببالي ان احاول تقطيع الحبال باسناني فاخذت اقرضها قرضاً وبعد عناء شديد تمكنت من قطع الحبال القريبة من عنقي ثم قرضت ما على عن يديَّ منها وقضيت في ذلك الليل كلهُ وكانت الحبال على رجلي متينة وكاد الفجر يبزغ وكنت لابساً جزمةً طويلة وهي عليها فحاولت نزع رجليَّ من الجزمة وبعد عناء شديد انخلعت بهِ قدماي تمكنت من نزع رجليَّ واخذت ادب على يديَّ وركبتيَّ الى ان وصلت الى مصب النهر فرأيت بجانبهِ خشبة كبيرة فجررتها الى الماء وركبت عليها وسلمت نفسي للتيار ولما مسَّ الماء جراحي اعاد آلامي الى شدتها لكنني صبرت عليها . وحملني التيار واوصلني الى مدينة اكواتورفيل وهناك وجدت من اعتنى بي وعالج جراحي وسافرت منها الى البلاد التي لالمانيا في شرقي افريقية ومنها الى زنجبار . وحتى الآن اسأل نفسي قائلاً ما منع البرابرة من اكلي قبل رفيقي

الشركات الماليّة

كانت مدينة لندن تستقي ماءها في عهد الملك جمس الاول (١٦٠٣ — ١٦٢٥) من ثلاث قنوات تمرُّ في شوارعها اما بجر الماء من هذه القنوات الى المنازل بانابيب من الرصاص او بحملهِ في القرب اليها مثل اكثر المدن في هذا القطر . وكانت هذه القنوات متفرعة من نهر التمس على قذارتهِ فخطر لجوهري اسمهُ مدلتن ان يجرَّ الماء النقي الى المدينة من مكان بعيد وانفق كل امواله في هذا السبيل ولما رأى انهُ يعوزهُ المال ايضاً لاتمام عملهِ الف شركة رأس مالها ٧٢٠٠ جنيه قسمهُ ٧٢ سهماً كل سهم منها بمئة جنيه ولجأ الى الملك جمس الاول فابتاع منهُ نصف هذه السهام وفرغ من جر الماء الى المدينة سنة ١٦١٣

ومضت عشرون سنة واهالي لندن لا يعبأُون بهذا الماء واسهم الشركة لا يربح السهم منها سوى ستين غرشاً في السنة او نحو نصف في المئة . ثم اقلع الناس عن جهلهم وجعلوا يستقون من هذا الماء ويجرونهُ الى منازلهم فزاد ربح الشركة وبلغت قيمة السهم من سهامها ١١٥ جنيهاً و ١٠ شلنات سنة ١٧٣٦ اي بعد انشائها بمئة وعشرين سنة . ثم زاد استعمال الناس لهذا الماء وزاد ربح الشركة فبلغ ثمن السهم منها ٤٣١ جنيهاً سنة ١٨٠٠ و ١١٥٠٠ جنيه سنة

١٨٢٠ و ٩١٠٠٠ جنيه سنة ١٨٧٨ و ١٢٢٨٠٠ جنيه سنة ١٨٨٩ وهذه المغالاة في الثمن ناتجة عن الزيادة في الربح فان ربح السهم كان ستين غرشاً سنة ١٦٣٣ فبلغ ٢٦١٠ جنيهات سنة ١٨٨٨ اي زاد اكثر من اربعة آلاف ضعف

هذا مثال واحد من امثلة كثيرة على نجاح الشركات المالية اذا انفقت اموالها في اعمال قابلة للاتساع كجلب المياه الى المدن ومد سكك الحديد وانشاء الاسواق وفتح الترع ونحو ذلك مما يزيد استعمال الناس لهُ بزيادة عددهم واتساع نطاق الحضارة . ولم نرَ حتى الآن شركة من الشركات تضاعفت قيمة اسهمها الوفاً من المرات كالشركة المشار اليها آنفاً ولكن الشركات التي تضاعفت قيمة اسهمها كثيرة ولا سيما في البلاد الاميركية حيث اثرى كثيرون في وقت قصير بهذه الاسهم

وقد قيل ان الاتحاد قوة . واوضح ما يظهر ذلك فيه الشركات المالية الصناعية والتجارية التي تعمل الاعمال العظيمة لاشتراك جماعات فيها ولولا اشتراكهم لبقيت تلك الاعمال في حيز الخفاء . واذا نظرنا الى ما تمتاز به البلدان الاوربية من الاعمال العمومية العظيمة كالمعامل الكبيرة وسكك الحديد وخطوط البواخر رأيناها قائمة كلها بشركات تجمع الاموال من افراد الامة وتعمل بها العمل الذي لا يستطيعهُ احد منهم لو توخاهُ وحده ثمَّ توزّع عليهم المكاسب . وقد تكون هذه المكاسب كثيرة تزيد على ما يكتسبهُ المرء بماله لو ابتاع به عقاراً وقد تكون قليلة لا تبلغ ربحهُ منهُ لو وضعهُ في تجارة . لكنَّ تدبير العقار والقيام على التجارة يقتضيان اهتمام المرء بهما وهذا الاهتمام قوة ذات قيمة فاذا طرحنا ما يساويه من المال المكتسب لم يبقَ منهُ ما يبلغ الربح الذي توزعهُ الشركات الصناعية والتجارية . و يصدق ذلك بنوع خاص على اصحاب الحرف التي لا يستخدم فيها المال كالطبيب والمصور والمؤلف فان الاموال التي تزيد من دخلهم على نفقاتهم قوة لا يحسن بهم ان يقفلوا عليها في خزائنهم و يحرموا انفسهم وغيرهم الانتفاع بها ولا هم قادرون ان يهملوا اعمالهم ويهتموا بها فخير ما يفعلونهُ ان يبتاعوا بها اسهماً من شركة رابحة اي ان يعطوا هذه الاموال لمن يعمل بها عملاً نافعاً يعطيهم جانباً من ربحه

والشركات انواع مختلفة بعضها يدار بالحكمة والامانة ويكون موضوعهُ مما يقبل النمو طبعاً كالشركات المرتبطة بزيادة السكان وارتقائهم مثل الشركة المشار اليها في صدر هذه المقالة فتزيد مكاسبها عاماً بعد عام بزيادة السكان حتى تتضاعف قيمة اسهمها اضعافاً كثيرة . وبعضها يدار بالطيش والاختلاس فيفلس عاجلاً او آجلاً كشركة بناما التي ضاع فيها من مال

المساهمين نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات. وبعضها يدار بالحكمة والامانة ولكن لا يكون موضوعهُ مما يقبل النموَّ فلا تفلح ابدًا او تفلح قليلاً

والشركات كثيرة في البلدان التي كثرت ثروة اهلها كالبلاد الانكليزية وهي تزيد فيها عامًا بعد عام زيادة بالغة فقد كان فيها سنة ١٨٩٦ نحو ٢٤ الف شركة رأْس مالها نحو ١٢٨٥ مليون جنيه وثروة البلاد الانكليزية ١٢ الف مليون جنيه فاكثر من عشر ثروتها في اسهم الشركات الصناعية والتجارية. وشركاتها تزيد بالالوف الآن فقد كان عددها سنة ١٨٨٧ احد عشر الفًا ورأْس مالها نحو ٦١١ مليون جنيه فبلغ عددها في السنة التالية ١١٩٦٨ شركة رأْس مالها نحو ٦٧٢ مليون جنيه اي زاد عددها ٩٦٨ شركة وزاد رأْس مالها ٦١ مليون جنيه . وبلغت زيادة عددها سنة ١٨٩٦ نحو ٤٦٦٠ شركة رأْس مالها نحو ٣١٠ ملايين من الجنيهات اي زاد عدد الشركات الجديدة في السنة خمسة اضعاف وزاد رأْس مالها سبعة اضعاف

وتكثر الشركات في البلاد الانكليزية بنوع خاص لان اصحاب المتاجر والاعمال الكبيرة يشتغلون في شبيبتهم وكهولتهم بهمةٍ لا تعرف الملل حتى يتسع نطاق عملهم وتتوفر مكاسبهُ وحينئذٍ يطلبون الراحة او الانتظام في سلك رجال السياسة فيأتيهم مؤَسسو الشركات ويؤَلفون لهم شركة تبتاع منهم متجرهم او عملهم بمال طائل ينفقون منهُ ومن ريعهِ بقية عمرهم من غير تعب . مثال ذلك رجل انشأ معملاً لاستخراج الزبدة ووسعهُ واتقنهُ رويدًا رويدًا حتى صار صافي ربحهِ منهُ ستة آلاف جنيه في السنة حينما بلغ الستين من عمرهِ وودَّ حينئذ ان يترك العمل ويستريح او ينتظم في سلك رجال السياسة فاذا لقي من يبتاع منهُ هذا المعمل بار بعين الف جنيه باعهُ اياهُ عن طيب نفس لانهُ نشأَ من لا شيءَ تقريبًا . وظاهر الامر ان ربحهُ يعادل خمسة عشر في المئة من هذا الثمن وهو ربح وافر جدًّا لا يرضى احد ان يتنازل عنهُ ولكنهُ لم ينتج من نفسه بل من ادارة ذلك الرجل للعمل فهو ريع مالهِ واجرة عملهِ فاذا تنحَّى عن العمل قلَّ ربحهُ فيأْتيهِ مؤَلف الشركات ويقول لهُ بعني معملك بخمسين الف جنيه على شرط ان تبقى في ادارتهِ سنتين اخريين ثم يقول لاصحاب الاموال ان المعمل الفلاني يربح في السنة ستة الاف جنيه فاذا اشتراهُ المساهمون بستين الف جنيه بلغ ربحهم منهُ عشرة في المئة من غير تعب ولا نصب . فيصدر اسهماً قيمتها ستون الف جنيه يبيعها للمساهمين ويدفع منها خمسين الف جنيه الى صاحب المعمل ويأخذ عشرة آلاف جنيه لنفسهِ صفقةً واحدة . وعلى هذا الاسلوب تؤَلف اكثر الشركات الانكليزية فينجح بعضها لان اسباب النجاح ميسورة لهُ ولو كان نصيب المؤَسسين كبيرًا ولا ينجح البعض الآخر لان اسباب نجاحهِ غير ميسورة

ونصيب المؤسسين كبير يقلُّ به ربح المساهمين .

والاكثار من هذه الشركات ليس مما تحمد عقباه فان الخير وسط بين شرين الافراط والتفريط فترك الشركات ومباشرة الاعمال بيد واحدة مثبّط للهمم مقلل للمنافع لان الاعمال الكبيرة لا تُعمل الاَّ بالتعاون والتناصر ولكنَّ الاكثار منها حتى تصير الاعمال كلها مرتبطة بشركات يحصر جانباً كبيراً من المكاسب في مؤسسي تلك الشركات لان الشركة لا تؤلف الاَّ ويأخذ المؤسسون لها جانباً كبيراً من مكاسبها فاذا كان رأس مالها مئة الف جنيه اصدروا اسهماً بمئة وثلاثين او اكثر واخذوا الزيادة مقابل التعب القليل الذي تعبوهُ في تأليفها وهذا هو الغبن الكبير

هذا ومن يلتفت الى المقطم او غيره من الجرائد اليومية يجد حقلاً طويلاً للاسهم المحلية اي لاسهم الشركات التي انشئت في هذا القطر او انشئت في غيره لاعمال جارية فيه كالبنك المصري والبنك العقاري المصري والبنك الاهلي المصري والبنك الانجليزي المصري . وشركة الدائرة السنية الجديدة وشركة ري البحيرة وشركة الاراضي والرهنيات وشركة اللوكندات وسكة حديد الشرقية وسكة حديد الدلتا وسكة حديد الفيوم وشركة الملح والصودا وهلمَّ جرًّا

وقد كانت سوق هذه الشركات رائجة جدًّا في الشتاء الماضي واسهمها غالية الثمن لرخص النقود في انكلترا حتى اذا نشبت حرب الترنسفال وغلت النقود رخصت الاسهم . فلما كان بنك انكلترا يحسب ربا (فائدة) المئة ثلاثة في السنة كان السهم الذي ثمنهُ الاساسي مئة غرش وربحهُ ستة او سبعة في السنة يباع بمئة وخمسين غرشاً او اكثر فلما صار بنك انكلترا يحسب ربا المئة خمسة او ستة في السنة وجب ان يهبط ثمن ذلك السهم الى مئة غرش او اقل ولكنهُ لم يهبط الى هذا الحد لثقة الناس بان الضيقة المالية الحاضرة لا تدوم وبان بنك انكلترا لا بدَّ من ان يخفض الربا (اومعدل القطع) حتى يعود ثلاثة او اربعة في المئة . هذا هو السبب الاكبر لما يُرى الآن من الهبوط في ثمن الاسهم المحلية . وقد رأينا اتماماً للفائدة ان نبين تاريخ بعض هذه الاسهم التي تذكر في المقطم وثمنهُ الاصلي ومتوسط ربحهِ

(١) شركة مياه الاسكندرية انشئت سنة ١٨٧٩ تدفع ربحاً من ٧ الى ٨ في المئة والسهم التي ثمنهُ الاصلي ٢٠ جنيهاً يبلغ ثمنهُ الآن نحو ٣٨ جنيهاً

(٢) شركة مياه طنطا انشئت سنة ١٨٩٧ وجعلت ٣٠٠٠ سهم السهم منها بعشرين جنيهاً دفع منها ١٥ جنيهاً وقد ابتدأت في عملها في اوائل العام الماضي فلم توزع ربحاً حتى الآن ولذلك يباع السهم منها بنحوا جنيهاً ونصف جنيه

(٣) سكة حديد حلوان . انشئت سنة ١٨٩١ وجعلت ٦٠٠٠ سهم السهم منها

بعشرين جنيهاً وثمن السهم منها الآن ٢١ جنيهاً وهي تدفع ربحاً خمسة في المئة او اكثر قليلاً

(٤) سكة الحديد الشرقية انشئت سنة ١٨٩٧ وجعلت ٥٠٠٠٠ سهم السهم منها باربعة جنيهات و يساوي السهم منها الان اربعة جنيهات وثلاثة ارباع الجنيه ولم توزع ربحاً حتى الآن

(٥) سكة حديد الدلتا الضيقة . انشئت سنة ١٨٩٧ وفيها اسهم مقدمة تأخذ ربحاً ٢/١ ٥ في المئة ومتى زاد الربح على ذلك يقسم بينها وبين اسهم اخرى مؤخرة مناصفة وثمن السهم من الاسهم المقدمة عشرة جنيهات وهو يساوي الآن اربعة عشر جنيهاً وثلاثة ارباع الجنيه

(٦) سكة حديد الفيوم انشئت سنة ١٨٩٨ في ٤٥٠٠ سهم ثمن السهم منها ٢٠ جنيهاً وثمن السهم منها الآن نحو ٢٤ جنيهاً

(٧) البنك المصري . انشئ سنة ١٨٨٧ اسهمهُ ٢٠٠٠٠ سهم دفع من ثمن السهم منها ١٢ جنيهاً ونصف وقد دفع ربحاً ١١ في المئة ولذلك يبلغ ثمن سهمه الآن ٢٤ جنيهاً و٢/١ جنيه

(٨) البنك الاهلي المصري انشئ سنة ١٨٩٨ واصدر اولاً مئة الف سهم ثمن السهم منها ١٠ جنيهات ثم اصدر خمسين الف سهم ثمن السهم منها ١٤ جنيهاً وثمن السهم من اسهمهِ الان نحو ١٥ جنيهاً وكان في الربيع الماضي نحو ١٨ جنيهاً

(٩) بنك الانجلو اجبسيان انشئ سنة ١٨٦٤ في ٨٠٠٠٠ سهم دفع عن كل سهم منها ٥ جنيهات وقد بلغ الربح الذي وزعهُ سنة ١٨٩٨ ثمانية في المئة و يساوي السهم منه الآن ٧ جنيهات و٤/١

(١٠) شركة مياه القاهرة انشئت سنة ١٨٦٥ براس مال ٢٢٧٨٨٧ جنيهاً في ٦٨٠٠٠ سهم قيمة كل سهم منها ١٢٥ فرنكاً وقد وزعت في العام الماضي ربحاً قدرهُ ٢٥ فرنكاً للسهم الواحد و يبلغ ثمن السهم منها الآن نحو ٧٣٠ فرنكاً اي انهُ تضاعف خمسة اضعاف

وقس على ذلك سائر الشركات المحلية فان بعضها نجح نجاحاً تاماً و بعضها نجح قليلاً او لم ينجح حتى الآن . ومن اوضح ما فيها كلها قلة العنصر الوطني بالنسبة الى العنصر الاجنبي فان ليس فيها كلها شركة وطنية بحتة الاَّ شركة سكة حديد الفيوم الضيقة وهذه اضطرت ان تعتمد على مهندس انكليزي حتى الآن . وقد لا يلام الوطنيون على تقصيرهم الماضي ولكنهم يلامون حتماً على تقصيرهم في الحاضر والمستقبل

ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

آيات الفصاحة العربية

لحضرة صاحب السماحة السيد توفيق البكري شيخ مشايخ الطرق

(استحسن جمهور العالمين باسرار العربية وضروب الفصاحة ما نشرناهُ في المقتطف الماضي من رسائل صاحب السماحة السيد البكري فرغبنا الى سماحته ان يتحفنا بنبذ أُخرى منها ننشرها تباعاً فبعث الينا بالنبذة التالية وهي كتاب ارسلهُ من الاستانة الى بعض الفضلاء في مصر : قال)

كتابي الى السيد الاجل وانا احمد الله اليهِ . وادعوهُ ان يديم النعمة والسلامة عليهِ . وبعدُ فلما اعتزمت على الرحلة هذا العام . الى قبة السلام . ودار خلافة الاسلام . وفارقت مصر وساكنها . وارباضها ومواطنها . ركبتُ سفينة عَدَوْليَّة[1] . الى الثغور الفرنجية . فسرت في خضم عجاج . ملتطم الامواج . لهُ دَويّ . من جرجرة الآذيّ[2] . أخضر الجلد . كانهُ إفرند . تصطخب فيهِ النينان[3] وتجري في جوفهِ الدعاميص والحيتان . اذا مازجهُ الاصيل بالعشي . خلته كُسيَتْ عليهِ الحُلي . او مُزج بالرحيق القطربلي . وان لاحت بهِ نجوم السماء . خلتهُ صفائح من فضة بضياء . سمرت بمسامير صغار . من نضار . واخذت السفينة تشق عُبابه . وتفلق حَبَابه . بين ريح رُخاء . او زعزع هوجاء . فهي تارة في طريق مُعبَّد . ومَيْث مُسرَّد . وطوراً فوق حزْن وقرْدد . او على صَرْح ممرَّد[4] . وكان معنا في الفلك . رهط من العرب والترك . فكنا نتوارد معهم في جوائب[5] الاخبار . وطرف الاحاديث والاسمار . ما يزري بالمنهل العذب . واللؤلوء الرطْب . الى ان يميل ميزان النهار . وتغرق ذكاء[6] في البحار . ويمسي الكون من السواد . في لبوس[7] حديد او لباس حداد . وتبرق نجوم السماء . في اكناف الظلماء . كانها سكاك دلاص . او فِلق رصاص . او عيون جراد . او جمر في خلال رماد . او درّ في بحر او ثُقوب في قبة الديجور . يلوح منها النور . ويبدو الهلال كانهُ خنجر من ضياء . يشق طيالس الظلماء . او قِلاده . او دُملج غاده . او سِنان لواهُ الضراب . او الليل فيلُ وهو ناب . فنأخذ مجلساً نسيمهُ الكافور . وارضهُ عنبر مذرور . رقمت فيهِ زَرابيُّ مبثوثات . ومنابذ وحُسْبانات[8] . وأنماط مفروشة . وبُسط منقوشة

بسطٌ أَجاد الرسمَ صانعها وزها عليها النقش والشكلُ

---

(١) نسبة الى قرية عدولى بالبحرين وقد وردت في شعر طرفة

(٢) الموج (٣) جمع نون الحوت (٤) مرَّد البناء ملسهُ (٥) الاخبار الطارئة (٦) علم للشمس

(٧) اللبوس الدرع (٨) السهام الصغار

فيكاد يُقطف من أزاهرها ويكاد يسقط فوقها النحلُ

وحوله شموع تزهر . وأضواء تبهر . وقد دارت عليه سقاة كجُمّاع الثريا . بأقداح الحُميّا وأكواب الفانيذ المُروّق . وقوارير الجُلّاب المُصفّق . ثم تجيء قينة في يدها ناي كأنه صور اسرافيل يحيي الرُّفات . وينشر الاموات . حتى اذا بدا الضياء . كابتسام الشفة اللمياء . دخلنا المضجع . لنهجع . وهلمّ جرًّا . في أيامنا الأخرى . الى أن وطئنا ارض القوم . بعد ثلاثة أيام وبعض يوم . فلما أصبحت مرأى عين . كبرنا تكبير ابن الحسين

كثرتْ حولَ ديارهم لما بدَت منها الشموس وليس فيها المشرقُ

وراقنا ما رأينا من عمران وحضارة . ورفهنية وشارة . وزراعة وصناعة وتجارة . وضخامة سلطان . وعظم بنيان . وجوادّ . كالأودية بين الأطواد . وكأنما الناس في المدينة . احتفلوا ليوم الزينة . أو هم لكثرة الحركة . منهزمو معركة . فهم غادون . ورائحون . زرافات ووحدانا اناثا وذكرانا . وقد لبثنا في تيك البلدان . هنيهة من الزمان . نتقلب في جنباتها . ونتنقل في انحائها وجهاتها . الى ان قدمنا القسطنطينية . ايوان الخلافة الاسلامية . وعش الدعوة المحمدية . فاذا النعيم والملك الكبير . والجنة والحرير . واذا بقعة . أطيب الارضين رقعة . وامرعها نجعة . وقد اعتلت منائرها في الفضاء . وحلقت قصورها بالسماء . فلبست اردية الغيوم . وتقلدت عقود النجوم . ولاحت مقاصيرها البيضاء . في اكنافها الخضراء . وجرى بينها خليج الماء . فكأنها النجوم والمجرة والسماء . واكتظّت نواحيها بالآثار . وحشدت بالجوامع الكبار . وناهيك بأيا صوفيه . وما ادراك ما ايا صوفيه . هو بنيّة . تعلوها شرفات عليّة . وقبة ضخمة جوفاء . كأنها قبة السماء . وأرض تلك البنية كالملوية . من مرمر الآق . ذي بصيص براق . وفيها دعائم كل دعامة . كالحق استقامة . وبها محاريب وحنايا . واقبية وزوايا . ومنبر كأنه أريكة سلطان . في الخورنق أو غمدان . هذا وقد نزلت من كنف امير المؤمنين . وخليفة رب العالمين . في دار السعادة . ومشرع الفضل والمجادة . ومطلع الجود . وفلك السعود . وحظيرة النعم . ومشعر الهمم . واقمت ضيفاً عند السيد السند . الهبرزي النقد . تاج آل محمد السيد فلان . في عصابة . من الصوّابة لا عيب فيهم غير انهم يُنسون الغريب وطنه . وحامته وسكنه . لهم اعراق عربية . واخلاق هاشمية . وحماس وسماح . كالماء والراح . ولم اكد ألقي العصا وتستقر بي النوى . حتى جاءني سلام من امير المؤمنين . خلته السلام الذي ذكره الله في قوله ادخلوها بسلام آمنين . وقد لقيت ثمة خلاناً فرأيت حكمة يونان . ودهاء هامان . في جبة وقباء . وعمامة عجراء . وما زلت انقلب في تلك الميطان . بين قصر وبستان . ومسجد

وميدان . وأتأمل المُشرِق من غرائب المشرق والمُغرِب من عجائب المغرب . الى ان عنَّ لي الخروج . الى مرج من المروج . يقال له (البَندِلَر) قد أينع بالزهر . والظل والشجر . فقدم لي جواد اشقر . كانه قطعة ذهب . أو جُذْوة لهب . وكانما يَجْنِي من عطفه الوَرْس . او كُسفت في أديمه الشمس . أو ضُرِّج بالمَلاب . أو دُهِن بالزَّرْياب . يطير بلا جناح . كأن قوائمَهُ أربع الرياح . اذا أُطلِق في الليل وظُلمته . فقد اشتعلت الجمرة في فحمته . صريحي صميم . أَجَشّ هزيم . سليم الشَّظَى . عَبْل الشَّوَى . مُحدَّد الآذان . مُستَضلِع الزَّفيان . كأنه سيف الميدان . قازفة الشؤبوب ذي الهَطَلان . فسرت عليه الى ذياك المكان . فاذا فردوس العالم . و بستان بني آدم . والروضة المُخضلَّة الرُّبا . المعتلَّة الصَّبا . المشرقة الارجاء والرُّبى . وقد كُسيت سَرَق الفرند وَقزَّهُ . وخزّه و بزه . وزهت بالورد والاقحوان . والعبهر والريحان . وجرى الماء . بين تلك الاوداء . كانه في صفو الدمعة . لسان الشمعة . أَو هو بلور مذاب . أو نصل قرضاب . او سلاسل فضة بيضاء . أو حية عرماء . في وسواس خفي . كجرس الحلي . وهو يتحدَّر من أنجاد . الى قيعان ووهاد . بين خمائل وغياض . وجداول وحياض . ويتكسر . فوق حصباء كالجوهر . و يلتوي كالسوار . بمعاصم الاشجار . وقد سجعت غريدة البان . بين الاماليد والخيطان . باشجى من اسجاع البلغاء . وقوافي الشعراء

والطير في أرجائها عصائب وزُمَرْ قد عَلِقت غصونها كانهنَّ ثمرْ

وهمى الدَّجن بالرذاذ . من سماء كالملاذ . وتلاه مطر . كحبات الدرر

ورقَّ الجوُّ حتى قيل هذا عتاب بين جحظة والزمان
ونسيم يُبَشِّر الارض بالقطر كذيل الغلالة المبلولِ
ووجوه الرياض تنتظر الغيثَ انتظار المحب رجع الرسولِ

وكأن بين الخضراء والزرقاء . معركة شعواء . فالوبل نبل . والقنا اسل . والبروق ظُبًا وأسنة . وفي كل غدير جُنة . وقد خطرت في تلك البطاح . تحت الشجر الدوَّاح . بين الشقيق والاقاح . اسراب الغزلان . والرعابيب الحسان . من كل غرَّاء فلجاء . خدلجة دعجاء . فينانة لفاء . بضة جيداء . في وجه كالوَذيلة . وخدّ كالجليلة . وقوس حاجب . كأنه قوس حاجب . وشعر كالليل . او اذناب الخيل . وثغر اشنب . كانما ذرَّ عليه الزرنب . وثنايا غرّ . ذات اشر . ومبتسم برْد . وشفاه كأنها ورق الورد . وعينين . كسيفين في جفنين . أو سهمين في قوسين . وأنامل صغار . كانها صنف مدار . وقد كالرمح . وفرق كالصبح

حسن نراه ولم يكن من قبل الآ في مخيلة شاعر أو كاتب

فقضينا هناك يوماً من الأيام . خيراً من الف عام . ثم عدنا . الى حيث كنا . وبعد ذلك بأويقات . حظيت بمعرفة سيد السادات . وسميذع آل عبد مناة . السيد الامجد التقي النقي العربي الابي السيد فلان . فاذا سيد همام . وهزبر ضرغام . وجحجاح قمقام . رفيع العماد . كثير الرماد . رحب الصدر رحب الفؤاد . كريم الضريبة والخليقة . طيب النحيزة والسليقة . كأنَّ بني آدم عتبوا فاعتبهم به الدهر . أو أنهم ذنب وهو لهم عذر . قد صرفت اليه وجوه الامل . وضربت عليه قبة أطنابها السبل . عريق المنبت والبيت . ليس فيه لو ولا ليت . معطاء شريف . يرى ان شقاً في باطن البرة قسم بينه وبين الضعيف . ربط الاجماع على فضله وعقد . ولو طلب درهم لم يخرج منه في عطاء ما وجد . أيادٍ قتلن دفراً والدهم بالفواضل . فأمَّ دفر وأم الدهم ثاكل . فصيح اللسان . كأن مقوله عضب يمان . بليغ الكلام . بليغ النظام . قريض كاللآل . كل بيت شعرٍ له خير من بيت مال . وكل مصراعي بيت في البيان . مصراعا باب قصر في الجنان . كلم ما نطقته قراضية نجد في اكلائها . ولا شعراء هذيل في أودائها . ولامقاول حمير وقحطان ولا أقيال ثقيف وغسان . عليم بأسرار السياسات . خبير بتصريف الدول والامارات . يسير الى الغرض الاقصى . بسير لا يرى . كما جازت ذكاء من المشرقين الى المغربين . بسير لاتدركه العين . سيد لايشبه بالكاف وكأن . اذ لم يشبهه احد في الزمن . فمن أويس . ومن الأحنف ابن قيس . ومن سحبان . ومن خالد بن صفوان . ومن الاصمعي . ومن الاكثم بن صيفي . ومن كعب في الكرم وابن عادياء في الذمم . ومن ابن ماء السماء . ماء ولا كصداء

محاسن من مجد متى تقرنوا بها   محاسن اقوام تكن كالمعايب

سليل نسب ضخم . وحسب فخم . وعرق هاشمي . ومنصب عاري . وآباء جحاجيح . زهر مصابيح . هم سراة البيت والحرم . حماة الإلّ والذمم . أباة الضيم والحيف . قراة النزيل والضيف . هذا وقد كان فاتحة الالطاف بعد هذا المطاف . رؤية امير المؤمنين سلطان سلاطين الاسلام . وبرهان الاساطين العظام . والمثول في حضرته . بين تخته وسدته . فشملني من احسان الوفادة . واجزل الرفادة . والأيادي البيضاء . والمراتب القعساء . ما لا يفي به ثناء ودعاء . فأي درّ انثر واي شكر اذكر . ولو أعطيت لسن الأخطل في بني مروان . وزهير في هرم بن سنان والنابغة في النعمان . وحسان في آل جفنة وغسان . لما وفيت حق التمداح والشكران

فهذه ايدك الله لقطة عجلان . ونموذج لما قد كان . حتى اذا يسر الله بالاوبة . من الغربة . قصصت على السيد الرئيس من مغربة الاخبار ما لم يروه جوابة الاقطار . ومن عجائب هذه الاسفار ما ينسيه عجائب الاسفار . والسلام عليه ورحمة الله

رواية تنكرد

تمهيد للمترجم

اقترح علينا غير واحد من قرّاء المقتطف ان ننشر فيه رواية فكاهية تهذيبية يستفيد منها الخاصة والعامة و يرتاحون الى مطالعتها . فرأينا ان نجيب هذا الطلب من غير اختصار في المقالات والنبذ الفلسفية والعلمية ونحوها مما ينشر في المقتطف وذلك بان نزيده ست عشرة صفحة كل شهر لهذه الغاية . وغنيٌّ عن البيان ان تآليف الروايات كنظم الشعر ورسم الصور متوخوهُ كثار جدًّا ولكن النابغين فيهِ قلال . واذا كان المرءُ مختارًا فخليق بهِ ان يختار الافضل من كل شيءٍ . ونحن اذا ترجمنا المقالات العلمية والفلسفية عن الاوربيين والاميركيين اخترنا مقالات اشهر علمائهم واكبر فلاسفتهم واقتصرنا منها على ما لهُ الوقع الاعظم عند اهلهِ . وهذا يجب ان يكون شأننا في الروايات ولذلك اخترنا لهذا الجزء والاجزاء التالية رواية من ابلغ ما كتبهُ نابغة الكتّاب دزرائلي لورد بيكنسفيلد الذي فتن العقول ببلاغة انشائه كما اختلب الالباب بسياستهِ ودهائه . وهي رواية تنكرد Tancred المشهورة في اوربا واميركا . وسيرى القراء عند مطالعة فصولها انهم في حضرة وزير خطير بل حكيم كبير يتلو عليهم آيات الحكمة ويرشدهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب. وسنبذل الجهد في التعبير عن معاني المؤلف بالفاظ معروفة وتراكيب مألوفة لكي لا تضيع الفائدة على احد ولو كان من عامة القراء . ولا نهمل منها الاَّ بعض فصول هزلية او انتقادية ادمجها المؤلف في روايتهِ لتفكيه القراء وانتقاد بعض خصومهِ في السياسة ويتعذر فهمها لو نقلت الى العربية لارتباطها باحوال غير مألوفة عندنا واناس قلَّما يعلم شيءٌ من امرهم . وسننشر من فصول الرواية في كل جزءٍ ما تتم به الفائدة ويحسن السكوت عليهِ الى ان يصدر الجزء التالي ونعلق عليها من الحواشي ما تمسُّ الحاجة اليهِ . وقد فضلنا الترجمة على التأليف الى ان يتيسَّر لنا وضع رواية تفي بما نتوخاهُ

الفصل الاول

كان دوق بلامُنت في الطبقة الاولى بين امراء الانكليز من حيث مقامهُ وثروتهُ ونسبهُ ولم يكن جدُّهُ من الامراء ولكن ورثة بيت منتكيوت دوق بلامُنت احبتهُ واقترنت بهِ فاقتبس

اسمها ولقبها[١] وكان مقداماً عالي الهمة ولما آلت اليهِ اموال زوجتهِ وثروتها الوافرة زاد همةً واقداماً فعزم ان ينال القاب آل زوجته كما نال ما لهم من الاموال والاملاك. وكان الزمان مساعداً له لانه تزوَّج وقت الحرب الاميركية وكان نائباً عن بلده في مجلس النواب وله فيهِ خمسة اصوات تحت امره عدا صوتهِ فعضد بها الملك ووزراءه ولولاه ولولا هذه الاصوات لانقضت الحرب بين انكلترا ومستعمراتها حالاً. فانعم عليهِ الملك بلقب ارل بلامنت وفسكونت منتكيوت (وهما من الالقاب التي كانت لآل زوجتهِ)

والغالب ان الارتقاء في رتب المعالي لا يتيسر كلهُ للرجل الواحد بل يبلغ منهُ زيد نصيباً ويأتي ابنهُ فيزيد عليهِ لكن ارل بلامونت هذا ولد ونجمهُ في سعد السعود فلم يكن الاَّ قليل حتى نشبت الثورة الفرنسوية على اثر الحرب الاميركيَّة وكانت نتيجة عنها فمهّدت لهُ السُّبل لزيادة الارتقاء لان الوزير بت[٢] اضطرَّ الى معونتهِ فجاد لهُ بها مشترطاً ان يمنح كل ما كان لآل زوجتهِ من الرتب والالقاب. وشقَّ على الملك ان يجود عليهِ بها حاسباً انها حقٌّ شرعي لآل البيت انفسهم فيعطيها لابنهِ لا لهُ بحق الارث من امهِ ثم اضطرَّ ان ينقاد الى رأي وزيرهِ ومنحهُ كل تلك الالقاب فصار دوق بلامنت ومركيز منتكيوت وارل بلامنت وداكر وفلوري الاَّ انهُ منع عنهُ وسام ربطة الساق[٣]

وكان هذا الدوق وزوجتهُ من اجمل الناس خلقاً واكثر الازواج تحاباً وولد لهما ولد واحد فتزوجاه حالما بلغ سن الرشد لكي يولد لهُ اولاد يرثون تلك الرتب والالقاب. والمرجح انهما لو لم يتسرَّعا في تزويجهِ لكان ذلك ادنى الى نيل ما تمنياه. فولد لهُ ولد واحد وهو دوق بلامونت الحالي وقد ورث الذكاء عن جدهِ والدعة عن امهِ ولكن كانت تعوزهُ الهمة واصالة الراي وكان ابوهُ يكرههُ ويغار منهُ فيشدد النكير عليهِ لاقلّ سبب او لغير سبب وهو يقف امامهُ متلجلجاً لا يحير جواباً ولا يبدي عذراً ولو لم يكن ملوماً في شيءٍ. ثم اذا خرج من حضرتهِ لعن الساعة التي ولد فيها ضعيف الحجة قليل الكلام يُهضَم حقهُ وحق امه فلا يجادلهُ الدفاع ولو لا ذلك لدافع عنها وعن نفسهِ. والغالب ان من كانت هذه حالهُ تشكس

(١) الشائع عند الانكليز ان المراة تترك اسم عائلة ابيها وتسمى باسم عائلة زوجها فاذا كان اسم عائلة ابيها سمث واسم عائلة زوجها هوَرد سميت مسز هورد او لادي هورد او كونتة هورد او دوقة هورد حسب مقام زوجها ولكن اذا كانت هي الوريثة الوحيدة لبيت ابيها فلا يندر ان يترك زوجها اسم عائلتهِ ويسمى باسم عائلتها اذا اشترطت عليهِ ذلك

(٢) هو الوزير وليم بت من اعظم وزراء الانكليز ولي الوزارة في اواخر القرن الماضي

(٣) هو من اسمى وسامات الشرف في البلاد الانكليزية

اخلاقهُ وتفسد آدابهُ اما هو فبقي على دعتهِ وعفتهِ. وتوفيت امهُ قبلما بلغ اشدَّهُ فوقع موتها عليهِ اعظم وقع ولم يشاركهُ ابوهُ في حزنهِ ولا حاول تعزيتهُ بل اخذ يبذل جهدهُ في اهانتهِ وتحقيرهِ ومنعهُ من الظهور بين الناس ومنع عنهُ المال اللازم لنفقاتهِ وكان قصدهُ ان يتزوج امرأَة اخرى وينقل الارث الى نسلها . ولو فعل ابنهُ مثل غيرهِ من اولاد الامراء لاستدان من المرابين واحالهم عليهِ فابتزَّ منهُ الاموال غصباً ولاهانهُ باتخاذ الحظايا وخدعهُ في سباق الخيل وختلهُ في الانتخابات العمومية لمجلس النواب . هذا ما يفعلهُ كل عقوق من اولاد الامراء لكن هذا الشاب لم يكن منهم ولا اراد الجري في خطتهم لدعتهِ وانفتهِ فانهُ كان يحسب ان ابن منتكيوت يجب ان يترفع عن الدنايا وقد نسي ان جدهُ لم يكن من هؤلاء القوم بل هو دخيل فيهم لكن الناس نسوا ذلك على ما يظهر فنسيهُ هو ايضاً وباهى بالشرف الذي نالهُ جدهُ كأَنهُ من بيت منتكيوت الذين ورثوا المعالي كابراً عن كابر مدة سبعة قرون . وصبر على الضيم صبر الكرام ولسان حالهِ يقول

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنا ركوب الجنازه

نعم الموت خير من الوقوع في ايدي المرابين وشراك الغواني والختل والمخادعة . ولما رأَى ان لا منجاة لهُ من كره ابيهِ ولا معزي عن حزنهِ على امهِ لجأَ الى تعزية الحب فاحبَّ ابنة خالهِ وهو من امراء الانكليز ايضاً دارهُ في شمالي ارلندا حيث لا سبيل الى الملاهي لكن طبيعة البلاد تفرج الكروب. وكانت هذه الفتاة واسمها كاترين على جانب عظيم من الجمال فاحبتهُ واحبها وعطف عليهِ خالهُ وزوجتهُ لما رأيا اقصاء ابيهِ لهُ

وطلب من ابيهِ ان يأْذن لهُ في تزوج ابنة خالهِ فانكر عليهِ ذلك لانهُ كان يكره عائلة زوجتهِ ويود ان يبقى ابنهُ عزباً لكي يتزوج هو وينتقل اسمهُ والقابهُ الى نسل زوجتهِ الثانية. الاَّ ان الحب يقوي الهمم الضعيفة ويذكي الفؤاد الخامل فعزم هذا الولد ان يقترن بابنة خالهِ رغماً عن ابيهِ وبينما هو يدبر التدابير لذلك جاءهُ نعيُ ابيهِ وكان يحسب انهُ يعمَّر عمر نوح لصحة جسمهِ وجودة بنيتهِ فصار دوق بلامنت ومركيز منتكيوت الى غير ذلك من الالقاب في ساعة واحدة وكان غض الشباب كما تقدم قليل الخبرة الاَّ انهُ كان كبير النفس دقيق النظر حسن الخيال وكان يحسب امهُ مثالاً للطهارة والكمال ويحب ابنة خالهِ لانها تشبهها فقال في نفسهِ ان رزقني الله مولوداً كفَّرت عن سيئات ابي اليَّ بعطفي على ولدي

واقتنع مما رآهُ في احوال اهل زمانهِ ان معيشة اهل السيادة والجاه مشحونة بالطيش والختل والشر والجهل فعزم ان يجتنبها بكل جهدهِ وساعدهُ على ذلك ما رُبي عليهِ من الزهد

والابتعاد عن الناس . وكان شديد الشعور بما يجب عليهِ لملكهِ وبلادهِ لكن الزمان كان زمان سلم وسكينة فلم تدعهُ الحال الى اظهار ما يكنهُ فؤادهُ من الشعائر الوطنية ولذلك قصر همهُ على الاهتمام باملاكهِ الواسعة ووجد في ذلك راحة وسلوى فتدمثت اخلاقهُ وجلي صدأُ الهموم عن نفسه فصار بشوشاً انيس المحضر كأنهُ كان يقتدي بالطبيعة في بهجتها. واحبهُ رجال ايالتهِ(٤) واقاموا على ولائهِ . وكانت هذه الايالة كبيرة غنية مثل مملكة من الممالك الاوربية الصغيرة فيها القصور الباذخة والقلاع الحصينة والناس فيها قيام على خدمتهِ لا يطلب شيئاً الاَّ جاؤوهُ بهِ . لكنهُ لم يكن من اهل العُجْب والطيش فلم يستخفهُ منصب ابيهِ ولا ابطرتهُ هذه النعمة بعد ان كاد يُحرَم منها كأنهُ لم يذق الفاقة ولا خبر الاقصاء . وجرت زوجتهُ مجراهُ في ذلك بعد ان رضيت بهِ زوجاً لها وهي تحسب ان اباهُ سيحرمهُ من ميراثهِ . وكانت من اجمل نساء عصرها نحيفة القد بشوشة الوجه تلوح على محياها امارات الذكاء المفرط وعلى فمها دلائل الحزم وسداد الرأي . وكانت من قوم لا تأخذهم الاهواء خبروا الامور واقرُّوا على رأي فيها لا يحولون عنهُ ووضعوا لاعمالهم واحكامهم قواعد لا يتعدونها. فجعلت همها مطالعة الكتب التي تؤلف في نصرة مذهبها تتزيد بهِ تمسكاً عن اخلاص لا عن تعصُّب وعن عقل لا عن هوى وهذا كان شأنها في كلّ الامور تصلُّب في الرأي وعدل في الحكم اعتزاز بالمناصب وتحمُّل للمتاعب وبغيتها كل ما ياول الى مجد الله وخير القريب

وواضح مما تقدَّم ان دوق بلامنت وجد في زوجتهِ كل ما كان يتمناهُ من الزواج . وكانت هي فوق ذلك تشمئز من اهل القصوف الذين كانوا يتوددون اليها لتنتظم في سلكهم فكانت تقيم هي وزوجها في قصر منتكيوت اكثر السنة يهتمان بشؤون ايالتهما هو في تنظيم الاحكام وادارة الاملاك والصيد والقنص وهي في انشاء المدارس وتوزيع الصدقات ومقابلة الزوار ومطالعة الكتب وزرع الازهار والرياحين ثم اذا اجتمع مجلس الاعيان اضطرَّا ان ينزلا الى مدينة لندن ولهما فيها قصر بلامنت وهو من افخر القصور واوسعها داراً فيفتحانهِ للولائم الفاخرة يدعوان اليها امراء الانكليز من ذوي قرباهم واعيان البلاد الذين لهم منازل في المدينة . ويولمان وليمة فاخرة كل سنة لبعض امراء الاسرة المالكة ويُدعوان للطعام في قصر الملك ولا يخرجان ليلاً الاَّ لدعوة فيهِ واذا دعيا الى مكان آخر اعتذرا عن الذهاب اليهِ ولذلك لم يكن اهل لندن واعني بهم جمهور الامراء والكبراء واهل الرفاهة والترف يعرفون من امر دوق بلامنت وزوجتهِ سوى انهما ينزلان الى قصرهما في المدينة وقت اجتماع

(٤) الايالة (كونتي) بلاد مستقلة في احكامها الداخلية يحكمها الدوق او الكونت

البارلمنت ويقيمان فيهِ نحو ثلاثة اشهر وان لهما قصرًا في ايالتهما من اعظم القصور التي تباهي بها البلاد الانكليزية ولكنهم لم يجتمعوا بهما في وليمة. ولا رأَوها في مرقص

وولد لهذا الدوق ولد واحد كما ولد لابيهِ وجدهِ كأَنَّ في ذلك البيت ناموسًا طبيعيًا يقضي عليهِ بان يكون اولادهُ فرادى . ومن حين وُلد هذا الولد انصرف همُّ والديهِ اليهِ كأَنهُ غرضهما الوحيد من الدنيا . فلم يُعتنَ بمخلوق كما أُعتني بهِ من حين ولادتهِ الى ان بلغ سن الرشد . وارسلهُ والداهُ الى مدرسة إِتُن في حداثتهِ وأَرسلا معهُ معلمًا خاصا ليعتني بهِ لكن فشت الحمى القرمزية في تلك المدرسة فأَخرجاهُ منها حالاً . ولما بلغ الثامنة عشرة أَرسلاهُ الى مدرسة كسفرد وكانت امهُ تكاتبهُ كل يوم ثم رأَت ان ذلك لا يكفي فمضت الى اكسفرد هي وابوه واستاجروا دارًا اقاما فيها

الفصل الثاني

قال المستر كسل رأَيت اسكدايل ذاهبًا الى قصر دوق بلامُنت لان الاستعداد عظيم هناك احتفالاً ببلوغ ولدهِ سن الرشد . فهل يعلم احد شيئًا من امر هذا الولد

وقال المستر ارمسبي كم دخل[٥] ابيهِ في السنة

فقال اللورد فتزهرن يقال انهُ غير مديون

وقال اللورد ملفورد لا شبهة في ذلك وعندهُ كثير من النقود ايضًا لانهُ لا يفعل شيئًا

فقال لورد فالنتين انهُ يفعل كثيرًا في ايالتهِ

فقال لهُ لورد ملفورد اني لا احسب ذلك شيئًا وانما غرضي انهُ لا يلعب فلا يراهن ولا يقامر ولم يعمل شيئًا يذكرهُ الناس

فقال لورد فالنتين هو ذو قرابة لي ونحن ذاهبون لنحضر الاحتفال ببلوغ ابنهِ سن الرشد لاننا من جملة المدعوين

فقال لهُ احد الحضور اذًا اخبرنا شيئًا عن هذا الولد . فاجابهُ اني لم ارَهُ قط ولكن امهُ اخبرت امي انها لم ترَ منهُ في عمرهِ كلهِ ما اغاظها . فضحك الحضور كلهم لما قال ذلك وقال المستر ارمسبي انهُ سيعوّض عمَّا فات . وقال لورد ملفورد لا احد يتورَّط في الورطات الكبيرة مثل الولد المدلَّل . تعال بهِ الى هنا يا فالنتين لكي يتعلم ما ينقصهُ علمهُ

(٥) الدخل ما دخل عليك من ضيعتك وهذا هو المعنى المراد هنا

فقال ان مضيت الى هناك عرضت عليهِ طلبكم

فقال كسل لماذا تقول "ان مضيت" فان ما يشاهد هناك في مثل هذه الحال يستحق الذهاب لانهم يشوون الثيران وهي حية ويلبسون الاسلحة القديمة ويخرج بنات القرى ويتسابقن كأنهنَّ في ملعب

فقال لورد فتزهرن أَحدث مثل ذلك وقت بلوغك

فقال نعم وقد احتفلت بهِ في بريطن وكان الملك حاضرًا وكان لم يزل نائبًا فشرب نخبي وخطب خطبة لها اول وليس لها آخر وكان ابوك هناك فاسأَلهُ عما جرى ولكن النكتة ان ابي كتب اليَّ بعد ايام يقول انهم احتفلوا ببلوغي في البيت ويلومني لانني لم احضر ثم وجدت انني انا احتفلت ببلوغي سن الرشد في غير يوم ميلادي

فهل اخبرتهم بذلك

كلاَّ خوفًا من ان يحتفلوا بهِ مرة ثالثةً

فقال لورد ملفورد اظن دوق بلامنت صارمًا وهذا شان كل اب لم يعوزهُ المال

فقال لورد فالنتين كلاَّ بل هو رجل ظريف على ما يقول اهلي اما انا فلا اعرف شيئًا من امرهِ لانهُ لا يخرج من قصرهِ

وقال لورد ملفورد وانا ايضًا لم ارَهُ ولا رأَيت اهلهُ فهل عندهم بنات

فاجابهُ واحد كلا

فقال هذه مصيبة فانهُ لو كان عندهم ابنة لاعطوها شيئًا من الميراث كما هي العادة غالبًا

فقال لورد فتزهرن نعم مثل لادي بلانشي بكرستان فان اباها اعطاها مئة الف جنيه

فقال لورد فالنتين أَهذا المقدار وهي من الجميلات ايضًا

وقال لورد ملفورد اخطأْت في تقدير المبلغ لانني بحثت عن ذلك بالتدقيق فوجدت انهُ لم يعطها سوى خمسين الف جنيه

وقال ارمسبي يجب ان تنصّفوا المبلغ دائمًا في مثل هذه الحال

فقال لهُ لورد ملفورد اذًا دخلك عشرون الف جنيه في السنة يا ارمسبي لان الناس يقدرونك باربعون الف جنيه

فقال ارمسبي لا بدَّ لنا من ان نكثر مكاسبنا في هذا الزمان لانهُ ما دام مثل دوق بلامنت امامنا فنحن الصغار لا نبين الاَّ بدراهمنا

فقال لهُ لورد ملفورد تعال اخبرنا كم تدفع للحكومة كل سنة على دخلك فانهُ يقال ان

السر روبرت (٦) خجل لما اطلع على ما تدفعهُ وقال انه نهب

فقال ارمسبي اراكم ايها الشبان لا تتكلمون الاَّ عن المال . يجب ان تهتموا بامور اسمي من ذلك

فقال لورد فتزهرن ترى بمن يهتم لورد منتكيوت (٧) في مثل هذا الوقت

فقال كسل لا يهتم باحد لان كثيرات يهتممن بهِ فيجب عليكم ان تتيقظوا والاَّ غلبكم

فقال لورد ملفورد انا افتش عن واحدة غنيَّة فلا خوف من ان يناظرني لانكم تقولون انهُ لا يهتم بالمال

وقال لورد فالنتين وانا لا اتزوج الاَّ بواحدة تحبني واحبها فلا اخاف من مناظرته

فقال ارمسبي اذا كان هذا الشاب لا يطلب ابنةً غنية فالابنة الغنية تطلبهُ ولا تزال تجدُّ وراءهُ حتى تجدهُ وهي مثل البرطيل يرفضهُ الانسان اول مرة بانفة ولا يمضي الاَّ القليل حتى يقبلهُ و يصير يطلبهُ

فقال لورد فالنتين ليس اقبح من ان يتزوج الانسان لاجل دراهم زوجته وهو في غنيً عنها

الفصل الثالث

حراج منتكيوت اسم يطلق على بلاد واسعة الارجاء سابغة النعماء كانت حراجًا فقُطعت اشجارها وردمت اغوارها . وزرعت بقولاً وحبوبًا . ومرعًى خصيبًا . فترى فيها الرياض الاريضة . والزروع الغضيضة . بينها القرى والدساكر كانها اللآلئ نثرت على بساط من الديباج . ووراءها آكام تنطاح السحاب تغطيها الاشجار الغبياء من بقايا الحراج . وقد صافحت يدُ الصناعة يد الطبيعة فيها فمهدت شجونها وسهّلت حزونها . وابقت على معاهد الظبي ومسارح الغزلان . وجعلتها منتجعا لابن آدم ومنتزها لطالب السلوان . تراكَ جآزرها فترمقك بقلة كحلاء وتشرف عليك ايائلها كانها ملوك رابها امر الدخلاء

وفي وسط هذه الرياض بلد يموج بالسكان وهم دئبون على العمل فمن رجل يسوق مركبتهُ ومن امرأة تحمل سلتها والبيوت كبيرة من الحجر النحيت والشوارع رحبة مرصوفة بالبلاط الصقيل وبينها كنيستان فخيمتان احسن البناؤن رسمهما واعلوا منارها احداها قديمة العهد والاخرى بناها

---

(٦) هو السر روبرت بيل الوزير الانكليزي الذي فرض على كل انسان ان يدفع الحكومة مبلغًا معينا من دخلهِ السنوي

(٧) هو ابن دوق منتكيوت لان بكر الدوق يلقب لوردًا الى ان يرث اباهُ

الدوق الحالي وبنى ايضًا منتدى لاجتماع السكان وانشأت زوجتهُ دارًا للخطب العلمية والادبية وساحة كبيرة جرت اليها ينبوعًا غزير الماء . وترتفع الارض رويدًا رويدًا عند طرف هذا البلد الى ان تصل الى اكمة عالية عليها قصر منتكيوت بابراجهِ الشاهقة ودورهِ الفسيحة وهو مبانٍ فخيمة بنيت في قرون كثيرة من ايام الملوك القدماء تكتنفها الحراج والرياض وتطوف بها الغزلان والاراوي الى ان تجيء الى الحدود الفاصلة بين هذه الايالة وغيرها من ايالات بريطانيا

وحدث ذات يوم والشمس في الحمل ان الدوق كان جالسًا في غرفتهِ والقلم في يدهِ وزوجتهُ واقفة امامهُ وهو ينظر اليها بوجه ملؤهُ بهجة وحبور وهي تضع يمينها تارةً على كتفتهِ وطورًا على ظهر كرسيهِ وفي يسارها منديل تمسح بهِ دموع الفرح من عينيها

ثم قالت "هذا اكثر مما كنت انتظر"

فقال الدوق "نعم وقد فعل ذلك على احسن اسلوب"

فقالت "الاجدر بنا ان لا نخبر ولدنا الآن لئلاَّ يغلب عليه الفرح"

فقال "احسنتِ يا عزيزتي بل نبقيه الى ما بعد الاحتفال"

فقالت "ارى يا حبيبي اننا اوتينا من السعادة اكثر مما نستحق"

فنظر اليها وقال وهو يتبسم اما من حيث الاستحقاق فانت تستحقين اضعاف هذه السعادة . ثم عاد الى كتابة الكتاب الذي كان يكتبهُ جوابًا لخطاب ورد عليهِ من المستر هنجرفرد وقد قال فيهِ "ان لورد منتكيوت قد بلغ سن الرشد الآن فصار يمكنهُ دخول البارلمت ولذلك فانا اترك لهُ منصبي فيهِ عن طيب نفس وقد قبلت هذا المنصب قبلاً اكرامًا لسموكم اما وقد بلغ نجلكم سن الرشد وصار يمكنهُ ان ينوب عن ايالتهِ في مجلس النواب فانا وكل اهل الايالة نعتقد انهُ الرجل الجدير بان ينوب عنا . هذا فضلاً عن اننا نود دخول الشبان ليقوى بهم مجلس النواب"

ثم قال الدوق ما احسن اسلوب هذا الرجل في عرضهِ هذا المنصب على ابننا

فقالت زوجتهُ نعم وهذا صدى ما فعلتهُ انت معهُ فانك عاملتهُ احسن معاملة كما يعترف من فمهِ شأنك في كل معاملاتك مع الناس

فقال نعم وما كنت اريد ان يتنحى عن منصبهِ الاَّ عن طيب نفس لانهُ هو وعائلتهُ من افاضل الناس . ويسوءني جدًا ان اراهم يسلمون هذا المنصب لابني وهم غير راضين بذلك تمام الرضى

فقالت يظهر انهم كلهم راضون بذلك الا ترى ما يقولهُ لك في كتابهِ . وانا اوافق

هذا الرجل على قولهِ ان ابن منتكيوت هو الرجل الجدير بان ينوب عن هذه الايالة في مجلس النواب ولو لم يتنحَّ لهُ عن هذه النيابة لرأى من نفسهِ انهُ بخس ابننا حقهُ

فقال الدوق ان من كان مثل هنجرفرد ومن كانت عائلتهُ مثل عائلتهِ قديمة في البلاد لا يرضى من الغنيمة بالاياب ولذلك فقد فعل ما فعل عن كرم اخلاق وطيب اعراق

فقالت زوجتهُ وسنريهِ اننا نقدره قدرهُ فمتى اتى هو وعائلتهُ يوم الخميس القادم نعاملهم مثل اعز اصدقائنا

ثم التفت اليها وقال هاكِ كتاباً آخر من اخيكِ وهو يقول فيهِ انهم آتون كلهم غداً

فقالت زه زه هذا الذي اودُّه فانني اريد ان يرى ابنا كاترين قبلما يكثر علينا الزوار وانا واثقة انهُ يحبها من اول نظرة وكونها ابنة خالهِ لا يمنع اقترانهما كما لم يمنع اقتراننا

فنظر اليها الدوق وقال هذا اذا كانت تشبهكِ كما تشبهين انتِ خالتكِ امي. فقالت هي مثلي تماماً في الوجه والطبع والقامة

فقال اذاً قد تحققت السعادة لابننا

قالت نعم يبلغ سن الرشد ويدخل البارلمنت ويقترن بابنة خالهِ وذلك كلهُ في سنة واحدة. ما اسعد هذه السنة

فقال ولكن لم يتم شيء من ذلك حتى الآن

فقالت الله كريم وسيتم كلهُ ان شاء الله

فقال لا احب ان نتعجل في تزويجهِ

فقالت وانا لا اريد ان يتزوج قبل فصل الخريف في الوقت الذي تزوجنا فيهِ نحن

الفصل الرابع

بزغت اشعة الشمس على اقواس النصر وهي موتورة فوق كل طريق واكاليل الظفر وهي معقودة على كل بيت واعلام المجد وهي تخفق فوق كل برج ومنار. وتواصل قرع الاجراس حتى لم يعد المرء يسمع كلامهُ ثم أُطلقت المدافع وعزفت آلات الطرب وتقاطر الناس افواجاً افواجاً فرساناً ومشاة وفي طليعة كل فوج امير على صهوة جوادهِ ووراءهُ كوكبة من الفرسان يموج ريش النعام فوق خوذهم وتتألق سيوفهم على جوانبهم

وكان بعض المدعوين قد وفدوا الى قصر منتكيوت قبل ذلك بايام وفي مقدمتهم اخو الدوقة وزوجتهُ وابنتها لادي كاترين التي خطبتها خالتها لابنها على غير علم منها ومن والديها لتكون

الدوقة الثالثة في قصر بلامنت من بيت ابيهـا . وهي حريَّة بذلك فان طلعتها كانت تدل على انها مولودة لتتبوأ اعلى مناصب الشرف والسيادة. ثم جاء لورد اسكديل من ايالتهِ المجاورة لايالة منتكيوت وهو ابن خالة دوق منتكيوت وكان الدوق وزوجته يستشيرانهِ في كل امورها ولا يقطعان خيطًا بغير رأيهِ وهو الذي اشار عليهما بارسال ابنهما الى مدرسة اتن ثم الى مدرسة اكسفرد. وكان الدوق يثق بهِ ثقة تامة ويُعجب بعلمهِ وخبرتهِ وكذلك الدوقة زوجته كانت تثق بهِ لكنها كانت تخالفه في بعض الآراء فلا يلجأ الى الجدال معها بل يجاريها على آرائها او يغضي عن اثبات حجتهِ حاسبًا ذلك اقرب الى المسالمة في معاشرة النساء لانه كان من ابرع الناس في معاشرتهنَّ مهما كانت طبقتهنَّ. ولم يكن يمضي اسبوع الاَّ ويأتيهِ كتاب من دوق بلامنت يستشيره فيهِ ويطلب رأيهُ في امور اشكلت عليهِ وكان هو يكره كتابة المكاتيب فيجيب الكتاب بنفسهِ اي يأتي الى قصر منتكيوت ويشير على الدوق والدوقة بما يرى فيهِ مصلحتهما . فتراه واقفًا امامهما ويداه في جيبي بنطلونهِ وهو يصغي الى ما يسرده عليهِ الدوق من وصف الامر المشكل وما تقوله الدوقة في تأكيد الوصف او تقوية ما رأت ضعفًا فيهِ الى ان يفرغا فيحكم لهما حكمًا باتًّا بكلمتين او ثلاث يحل بها المشكل ويزيل الريب. وكان يعترف للدوق والدوقة بسلامة الطبع وحسن الطوية والتضلع من المعارف النظرية ولكنهُ كان يحسبهما ولدين في تدبير الامور ويعاملهما مثل ولدين عن حب راسخ في نفسهِ لهما لا عن هوًى وتأثُّر

وجاء ايضًا لورد فالنتين ووالداه واختهُ لادي فلورنتينا وكانت من الماهرات في ركوب الخيل . وكانت امهُ من الجميلات في عصرها اما وقد اذهبت الايام نضارتها فصارت تكتفي بان يقال لها انها سيدة الملاح وربة الازياء ولذلك كانت تتبسم لكل احد ثم اذا انفردت مع زوجها تهكمت على الجميع وشكرت الله لان اللورد اسكديل هناك والاَّ ما وجدت احدًا تستطيع ان تتكلم معهُ كلمة. ثم جعلت تشكو من لورد منتجوى وزوجتهِ لانهما على غناها المفرط لا يعرفان مقامهما فيدعوان الى قصرهما كل احد ولو كان من عامة الناس وزد على ذلك ان لورد منتجوى غير مهذَّب واذا ضحك سمعتَ قهقهتهُ من اقصى الغرفة وامرأتهُ تقول "يا حبيبي" لكل من تتكلم معهُ وتظهر اسنانها وهي تتكلم

ثم انتقلت الى دوق كلانرونلد وزوجتهِ فقالت انهما لا يتكلمان الاَّ اللغة الاسكتلندية فلا تستطيع ان تحادثهما وتبادل الافكار معهما. وانتقدت على المطران انهُ ادرد ومسالم لكل الطوائف فلا يهمهُ مذهب احد. وكان هناك مطران ثان مشهور بعلمهِ وتقواهُ وقد دُعي ليضع يديهِ على لورد منتكيوت ويعلن بلوغهُ سن الرشد وهذا ايضًا انفت منهُ وقالت ان محلَّهُ ليس هناك

وكذلك مركيز همشير لم يعجبها لانهُ يقضي عمرهُ في رئاسة المجامع العلمية والادبية وزوجتهُ مريضة وقد جرَّبت كل انواع الادوية وكلما ظهر دواءٌ جديد جربتهُ واطنبت في مدحهِ الى ان يكتشف غيرهُ فتتركهُ وتستعمل هذا واخيرًا اقرَّت على فائدة العلاج بالماء

وقالت ان لورد هَلّ لم يزل عزبًا مع انهُ اشيب ويبلغ دخلهُ عشرين الف جنيه في السنة وهو من ابناء الجبال ولو تعلَّم الكياسة واللباقة لكان يصلح زوجًا لابنتها فلورنتينا . وما هي خمس واربعون سنة او ثمان واربعون اذا كان الرجل لا ينام باكرًا ولا يقوم باكرًا وكان يلبس اللباس الفاخر ويعرف كيف يعاشر السيدات ويسرّهنَّ ولكن لورد هَلّ جبلي الطبع شائب الشعر يلبس مثل السيَّاس ويجلس على المائدة من غير ان يكلم السيدة التي بجانبهِ فلو نزل الى لندن ستة شهور في السنة وقضى ايام المرافع في باريس وزار حمامات المانيا لتدمثت اخلاقهُ اما الشيب فدواؤهُ سهل ولا يبقى مانع من اقترانه بفلورنتينا

ثم التفتت الى بقية الجمع وقالت لزوجها انظر لا يوجد شاب فيهم من الامراء غير ابننا كأَن دوق بلامنت لا يعرف احدًا من الشبان ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يدخل ناديًا في حياتهِ وزوجتهُ لا تعرف احدًا منهم لانها لا تحيي الليالي الحافلة في قصرها ولا تذهب الى ليلة حافلة اذا دعيت اليها . اما بقية الشبان الذين هنا فرفاق الحاشية لا يزيد دخل الواحد منهم على ثمانية آلاف في السنة وهذا ليس مما نراهُ لفلورنتينا . وكانت تراقب الضيوف وهم جلوس على المائدة وامامهم الصفاح والاكواب وكلها من الذهب الابريز فلا ترى احدًا إلَّا عينيها

الفصل الخامس

سرادق نخيم في حديقة القصر فيهِ اكثر من الفي نفس من اهالي منتكيوت وقد مُدَّت لهم مائدة فاخرة وعلى جوانبهِ سرادقات اصغر منهُ مختلفة الالوان كل سرادق منها لقسم من اقسام تلك الايالة وقد ازدحم فيها خلق كثير رجالاً ونساءً واولادًا والحجَّاب على الابواب يدعون كل احد ليدخل ويأكل ويشرب من غير حساب ثم يعينون لهُ موضعًا في الوليمة العمومية التالية . وكان اهالي كل قرية يدخلون الحديقة وحدهم وامامهم علَم خاص بهم . وانتظمت الالعاب عند الظهر واشتدَّ طرب الطبول والعزف بآلات الطرب

قال واحد من الخدَم لابيهِ وامهِ واخوتهِ واخواتهِ وكانوا قد اتوا من مكان بعيد لمشاهدة هذا الاحتفال ووقفوا امامهُ مدهشين من القصب على ثيابهِ ومسرورين بعلو مقامهِ عند سيدهِ "ان الذي ترونهُ الآن ليس شيئًا بالنسبة الى ما يرى في المساء فانكم سترون تاجًا وثلاثة انجم

واربعة بيارق واكليلين وكلها من المصابيح الملونة وترون كتابة على القصر كل حرف منها ست اقدام وهي بالمصابيح ايضاً. وتضرم مئة نار مسافة خمسين ميلاً في لحظة واحدة . اما السهام والالعاب النارية فمما لم تروا مثلهُ . وقد سمعت انهم . . . ولكن الاحسن ان لا اقول " ثم صمت. فقال لهُ ابوهُ لا احد منا يفتح فاهُ . وقالت امهُ الاحسن ان لا تقول لانني اخاف ان لا نكتم سرًّا . فوبختها بناتها على ذلك وطلبن من اخيهنَّ ان يخبرهنَّ . فقال بصوت منخفض لقد سمعتُ انهُ لم يصر للملكة نفسها احتفال مثل هذا الاحتفال فانهم عازمون ان يشعلوا من الانوار ما تظهر بهِ الارض كالسماء و يظهرون ابن مولانا على سحابة ويدهُ على قلبهِ

فقالت امهُ انا اعرف ابن مولاك قبلما فُطم فان امهُ ارضعتهُ من لبنها وهذا يدل على طيب قلبها لان التي لا ترضع ابنها ليس ابنها لها . وقال ابوهُ لبن الام يربي الرجال. وقالت احدى اخواتهِ بالله عليك دعنا نرى ابن مولاك . وقالت اختها اظنهُ اجمل الناس ولا سيما بحلتهِ الجديدة . فقالت لها امها لا تضحكوا عليَّ فانا لا اظن انهُ يوجد اجمل من ابني وهو بهذهِ الثياب المقصبة ولم يعد يهمني ان ارى غيرهُ. فقالت لها بناتها لا تقولي ذلك ولا بدَّ لنا من ان نقف في مكان نرى الزينة منهُ . فقال اخوهنَّ قد اعددت لكم كل شيء فاننا عينا مكاناً يقف فيهِ اقاربنا . فقالت امهُ ومتى يأْتون بهِ ويمر من امام الجمع فقال هم الآن في نادي البلد و بعد قليل يطلق مدفع فيخرج بهِ ابوهُ وامهُ ومحافظ المدينة ووجوهها من النادي ويمرون من هنا والآن لا بدَّ لي من ان امضي

ثم أُطلق المدفع فخرج الموكب من نادي المدينة وسار الهوينا الى ان بلغ ابواب القصر والجموع تموج على جانبيهِ كامواج البحر فتقدَّم الى البهو الكبير وهو اقدم مباني القصر ومر منهُ الى غرفة كبيرة تليها غرف اخرى تسمى حسب الوان ما فيها من ستائر المخمل هذهِ الغرفة الخضراء وتلك الغرفة الحمراء وفيها كلها الصور الثمينة التي صوَّرها كبار المصورين ثم سار في الغرفة التي تجلس فيها دوقة بلامنت وهي من افخر غرف القصر باثاثها ورياشها وفيها صور الدوقات اللواتي كنَّ قبلها ومن الآنية والتحف ما يقصر القلم عن وصفهِ. ومنها الى غرفة منتكيوت وفيها من ابدع الصور التي صورها لورنس الشهير صورة الدوق نفسهِ بُعَيد زواجهِ وهو طويل القامة صبوح الوجه عالي الجبين تلوح عليهِ لوائح الدعة والمهابة. ثم الى غرفة الرقص وهي واسعة جدًّا جدرانها بيضاء محلاَّت بالذهب وعليها المرايا الكبيرة وفي سقفها ثريَّا من ثريات البندقية متألقة الانوار . وبعدها غرفة في وسطها تمثال من تماثيل كنوفا وفيها الغلمان بالحلل المقصبة ولها باب واسع فتح للموكب واذا امامهُ رواق طولهُ مئة قدم وجدرانهُ مغطاة

بصور تمثل الحروب الصليبية لان دوق منتكيوت كان من اشهر الابطال في تلك الحروب وهو الذي انقذ ريكاردس قلب الاسد ملك انكلترا في حصار عسقلان ولذلك يسمى رواق الصليبيين

وكان في آخر هذا الرواق قبة عالية وقف تحتها الدوق وزوجته وابنهما ووقف حولهم ذوو قرباهم ونخبة الاعيان والاشراف فتقدم محافظ البلد واعيانها ورفعوا لهم خطب التهانىء بالنيابة عن المدينة التي بناها اسلافهم وحموا حماها ودافعوا عنها وهم يملكون كل بيت من بيوتها ولهم الفضل على كل نفس من اهلها

وكان الدوق واقفاً في الوسط وزوجته عن يساره وابنهُ عن يمينهِ وهو ربعة معتدل القوام غزير الشعر اصفر الوجه عالي الجبين يدلُّ منظرهُ على الحزم وعلو الهمة . ولم يبدُ عليهِ شيءٌ من علامات الاضطراب ولا من الاستخفاف والاعجاب كأَنهُ عارف بخطارة الموقف الذي هو فيهِ ولكنهُ ليس من الذين يستخفهم الطرب وتأخذهم الخيلاء ستأتي البقية

باب الزراعة

زرع القطن وتسميدهُ

نشر المستر فودن سكرتير الشركة الزراعية المصرية مقالة مسهبة في مجلة تلك الشركة عن زرع القطن وتسميدهِ وهي مثل كل ما يكتبهُ في المواضيع الزراعية طافحة بالفوائد العملية ولذلك رأينا ان نلخصها هنا افادةً لقرَّاء المقتطف

بدأ الكلام بالاشارة الى اهتمام الاميركيين بالبحث عن تسميد القطن وقال ان من يعلم ذلك و يرى التقارير المطوَّلة فيهِ يعجب من قلة الاهتمام بالبحث عن تسميد القطن في القطر المصري . ولكن الاسلوب المتبع في هذا القطر وهو زرع القطن بعد البرسيم في الارض هو احسن ما تعدُّ بهِ لزرع القطن على شرط ان لا يكرَّر زرعهُ فيها مراراً وان تجاد خدمتها . فانها تكون حينئذٍ ممزوجة بمواد نباتية تنحلُّ فيها سريعاً وتصير غذاء لنبات القطن . فلذلك ولكون الارض التي يزرع فيها القطن شديدة الخصب طبعاً كما هي غالباً لا يبقى داعٍ لتسميدها الاَّ ان الاحوال قد تغيرت حديثاً فقد كان ماء النيل يغمر الاطيان كلها في الوجه البحري وقت فيضانهِ فيرسب عليها منهُ طبقة من الطمي يزيد بها خصبها ولا يبقى بها حاجة

للتسميد . لكن قد تغيرت هذه الحال الآن بتغير نظام الري وزاد زرع المزروعات الصيفية وكثرت الغلات التي تستغل من الارض فوجب ان يردّ اليها بدل ما يؤخذ منها ولاسيما بعد ان قلّ السماد الطبيعي اي طمي النيل والاّ قلّ خصبها رويدًا رويدًا كما حدث في اماكن كثيرة من الوجه البحري

ثم التفت الى اسلوب الحراثة المتبع في هذا القطر فقال ان المحراث المصري لا يغور في الارض الاّ قليلاً جدًّا ولذلك اذا كشفت الطبقة التي تحرث بانت تحتها طبقة صلبة جدًّا لا تمتدّ فيها جذور النبات وكذلك اذا حرثت الارض بعد البرسيم لا تطمر جذوره لكي تنحلّ في الارض فتزيد خصبها بل يعرّض اكثرها للهواء فتجف والماء الذي يصل اليها بعد ذلك وقت الري لا يحلها كما تحلها مائيتها التي كانت فيها وطارت منها بالجفاف . والبحث في الحرث هو من قبيل البحث في السماد لان الحرث سماد للارض . ولا خوف من استعمال المحاريث المتقنة التي تغور في الارض كثيرًا اذا كان الري فيها وافيًا وفائدة هذه المحاريث كبيرة جدًّا في بعض المزروعات كالقطن ولو كانت غير كبيرة في غيره كالشعير . و يشترط في المحراث ان يشق الارض ويقلبها لكي تتعرّض للشمس اما المحراث المصري فيشقها فقط ولا يقلبها

و يعترض على المحراث الاوربي اولاً انهُ غالي الثمن بالنسبة الى المحراث المصري فان المحراث المصري يساوي اربعين او خمسين غرشًا فقط ولا يمكن ان يباع محراث اوربي بمثل هذا الثمن البخس . والمحراث الاوربي اثقل من المحراث المصري كثيرًا فلا تجرهُ الثيران والجواميس البلدية وهو كثير التراكيب فاذا اختلّ تركيبهُ لم يسهل على الفلاَّح اصلاحهُ

ثم ان المحراث المصري اصلح من غيره حيث يستعمل ري الحياض كما في الوجه القبلي لانهُ يشق الارض ولا يعرّضها للجفاف مثل المحراث الاوربي اما اذا كان ماء الري كافيًا كما في الوجه البحري وصنع محراث جيد رخيص الثمن سهل الجر يغور في الارض اكثر من المحراث المصري ويقلبها قلبًا فلا شبهة في انهُ يفيدها اكثر من المحراث المصري

هذا من حيث الحرث اما من حيث السماد فقال ان في القطر المصري السباخ البلدي (زبل المواشي)ولكن مقدارهُ قليل جدًّا لسببين كبيرين الاول قلة المواشي بالنسبة الى مساحة الارض والثاني عمل الجلة من الزبل وحرقها وقودًا ولذلك لا ينتظر ان يكثر السباخ البلدي في هذا القطر بعد زمن قصير . وفي البلاد ايضًا السباخ الكفري وكان مقدارهُ كثيرًا جدًّا اما الآن فقد قلّ كثيرًا ولا يزال آخذًا في القلة وصار الفلاح مضطرًّا ان يذهب الى اماكن بعيدة لجلبهِ منها ولذلك لا يمكن الاعتماد على هذا السباخ في المستقبل

ثم انهُ يسهل تسبيخ بعض المزروعات اكثر مما يسهل تسبيخ غيرها . وبعضها يفيدهُ السباخ الكفري كثيرًا كالذرة وبعضها يضرهُ كالقطن ولاسيما اذا كان هذا السباخ كثيرًا . والقطن يمتاز على غيرهِ بانهُ يفتقر الى اعتناء خصوصي لكي يجود

والآن لنفرض ان عندنا ارضًا واسعة نريد ان نزرعها قطنًا وهي محتاجة الى السماد فاي نوع من السماد يصلح لها . ولا يخفى ان نوع السماد المطلوب يختلف كثيرًا باختلاف الارض فما يكون نافعًا جدًّا في بعض الاراضي قد يكون قليل النفع في غيرها ولا يعلم ما هو انفع سماد للارض الاَّ بعد التجارب الدقيقة

والظاهر ان السباخ البلدي صالح لتسبيخ القطن ولكن لا يصلح ان يستعمل وهو جديد بل يجب ان يترك مكوَّمًا بعضهُ على بعضهُ مدة سنة من الزمان على الاقل لان السباخ الجديد يدفع نبات القطن الى النمو بسرعة فتقل فروعهُ السفلى وتزيد مادتهُ الخشبية وتصرف قوة النبات في النمو لا في عمل الجوز فتكون النتيجة كثرة الورق وكبر السوق والاغصان حتى لا يعود النبات قادرًا ان يحمل نفسهُ فينحني بعضهُ على بعضهُ و يتأخر انضاج جوزهِ لكثرة الرطوبة والظل

وقد جُرب ذلك في العام الماضي في اراضي الشركة الزراعية في الجيزة فزرعت اربعة افدنة قطنًا من تقاوي ينوفتش سمد اثنان منها باربعين حملاً من السباخ البلدي الجديد وترك الفدانان الآخران من غير سباخ فكانت غلة الفدانين المسبخين ١٥ قنطارًا وغلة الفدانين اللذين لم يسبخا ١٤ قنطارًا اي زادت غلة الفدان بالسباخ نصف قنطار فقط وهذه الزيادة لا تكاد تفوق ثمن السباخ واجرة وضعهِ في الارض وزد على ذلك ان النبات المسبخ كان غليظًا كثير الخشب وتأخر انضاجهُ كما يتضح من هذا الجدول

	المسبخ	غير المسبخ
الجنية الاولى	٤٣ في المئة	٥٦ في المئة
الجنية الثانية	٤٠ في المئة	٣٤ في المئة
الجنية الثالثة	١٧ في المئة	١٠ في المئة

فالقطن غير المسبخ كان ابكر من القطن المسبخ ولا نعلم حتى الآن كم كان صافي القنطار من القطن المسبخ وغير المسبخ . ولذلك فالاطيان الجيدة لا يناسبها السباخ البلدي الجديد. والسباخ الشديد الفعل لا يناسب القطن بل يناسبهُ السباخ البطيء الفعل من حين ظهورهِ فوق الارض الى آخر مدة نموهِ فالسباخ البلدي الجديد لا يفي بذلك . والواقع ان الفلاحين

لا يستعملونهُ لتسبيخ القطن لقلتهِ ولانهم يحتاجونهُ للذرة وللخضر

ويستعمل السباخ الكفري كثيرًا في زراعة القطن وتتوقف فائدتهُ على ما فيهِ من النيتروجين وهو نحو ثلاثة اعشار في المئة . واكثرهُ في حالة تقبل الذوبان لكن هذا السباخ قليل النفع ولم يعد استعمالهُ ميسورًا الى مدة طويلة لانهُ آخذ في القلة عامًا بعد عام كما تقدم ولا يبقى في القطر سباخ آخر الاَّ ما يصنع من المواد البرازية و يضاف اليهِ الدم وغيرهُ من فضلات المسالخ فقد صنع حديثًا دقيق من هذه المواد البرازية بعد ان جففت وبعضهُ ناعم جدًّا وهو جيد كثير الغذاء وبعضهُ خشن وهو غير جيد

وقد جرب هذا الدقيق في ثلاث قطع من اراضي الشركة كلٌّ منها فدانان مزروعان بتقاوي القطن الميت عفيفي واضيف الى واحدة طن ونصف طن منهُ والى الثانية ثلاثة اطنان والى الثالثة ستة اطنان فكانت الغلة كما ترى في هذا الجدول

غلة الفدان من الارض التي لم تسبخ	٠٨٨٠	رطلاً
" " " " سبخت بطن ونصف	١٠١٠	ارطال
" " " " بثلاثة اطنان	٠٩٥٠	رطلاً
" " " " بستة اطنان	٠٩٦٠	رطلاً

ويظهر من ذلك ان تسبيخ الفدان بطن ونصف من دقيق هذا السباخ زاد غلتهُ قنطارًا وثلاثين رطلاً . وتسبيخهُ بثلاثة اطنان من الدقيق زاد الغلة سبعين رطلاً فقط وتسبيخهُ بستة اطنان زاد الغلة ثمانين رطلاً. اي ان المقدار القليل من السماد افاد اكثر من المقدار الكبير وعليهِ فالمقدار الكبير يضرُّ فضلاً عن خسارة ثمنهِ وزد على ذلك ان زيادة السماد تضرُّ بنوع القطن لانها تجفف شعرتهُ وتجعلها مثل الصوف ولكنها تسرع الانضاج ولا تؤَخرهُ كالسباخ البلدي الجديد كما ترى من الجدول التالي

	الجنية الاولى	الثانية	الثالثة
القطن الذي لم يسبخ	٤١ في المئة	٤١ في المئة	١٨ في المئة
المسبخ بطن ونصف	٤٧ " "	٤١ " "	١٢ " "
" بثلاثة اطنان	٤٢ " "	٤٢ " "	١٦ " "
" بستة اطنان	٤٣ " "	٤٣ " "	١٤ " "

و يظهر من ذلك ان هذا السباخ يفيد في تبكير القطن فيزيد الجنية الاولى ولذلك يجب ان يدرس فعلهُ جيدًا ليعلم كيف يمكن ان يستعمل والاحوال التي يحسن استعمالهُ فيها

وثمن الطن من المسحوق الذي استعملناهُ ثمانون غرشاً ولذلك فمن استعمال طن ونصف للفدان ربح اكيد . وهذا شأن غيره من السماد في تسميد القطن اي ان المقدار القليل انفع من المقدار الكبير . وتباع انواع اخرى من السماد في مصر وهي اقل نفعاً من هذا ويمكن ان تصلح باضافتهِ اليها وباضافة الدم الجاف او مواد اخرى سمادية كثيرة الغذاء

وسننشر تفصيل ما وُجد من فائدة هذا السماد بعد حلج القطن ونبين حينئذٍ نفقات السماد بالنسبة الى الفائدة الحاصلة منهُ بالتدقيق

وقد جربت التجارب بسماد الجوانو وهو زرق طيور البحر المتراكم في بعض الجزائر التي لا يهطل عليها مطر في بلاد بيرو وهو سماد قوي اقوى من زبل الحمام وفي الجيد منهُ من ٨ الى ١١ في المئة من النيتروجين وليس في زبل الحمام سوى ٥ في المئة وفيهِ ايضاً ٣٠ الى ٥٠ في المئة من الفصفاتات ومن مزاياهُ انهُ ينحل سريعاً في الارض فيعدّ لتغذية الزرع

وثمن القنطار من هذا السماد خمسون غرشاً وقد سمد فدان مزروع قطناً عباسياً بقنطار ونصف منهُ بعد تخفيف القطن فكانت النتيجة كما يلي

غلة فدان غير مسمد	٨٣٠ رطلاً
" الفدان المسمد	٩٠٠ رطل

فزادت غلة الفدان سبعين رطلاً من تسميدهِ بقنطار ونصف من الجوانو . وفائدة الجوانو مثل فائدة المسحوق المتقدم الذكر في تبكير الانضاج كما ترى من هذا الجدول

	الجنية الاولى	الثانية	الثالثة
القطن الذي لم يسمد	٤٢ في المئة	٤٢ في المئة	١٦ في المئة
القطن المسمد	٤٨ " "	٣٧ " "	١٥ " "

و ينتج من ذلك كلهِ النتائج التالية وهي

اولاً — القطن يستفيد من السماد

ثانياً — السباخ البلدي الجديد لا يصلح للقطن

ثالثاً — المسحوق (البودرت) الجيد جداً يفيد القطن اذا اضيف منهُ طن ونصف الى الفدان

رابعاً — اذا كان السماد كثيراً جداً لم تكن فائدتهُ بنسبة مقدارهِ اي انهُ يوجد حد للسماد اذا تعداهُ لم تعد منهُ فائدة

خامساً — نتج من الجوانو فائدة كبيرة فهو سماد جيد للقطن

سادساً — اذا استعملت الحكمة في التسميد نضج القطن باكراً فزادت الجنية الاولى وهي اثمن من غيرها

ولا بد من اعداد الارض جيداً قبل زرع القطن وتنقية الاعشاب منها مدة نموه فيها وريها بالحكمة

هذه خلاصة ما نشرهُ المستر فودن وعسى ان يجرب مثل هذه التجارب في كل المزروعات التي تزرع في القطر المصري لان الزراعة علم مبنيٌّ على العمل ولا يكون من العمل نتيجة علمية يعتمد عليها الاَّ اذا تكرَّرت تجاربهُ واعتُمِد فيها على الوزن والقياس والمراقبة الدقيقة سنة بعد سنة وجاءت نتائجهُ موافقة للحقائق العلمية المقرَّرة . بمثل ذلك ارتقت الزراعة في كل الاقطار وزادت خيرات الارض من غير زيادة في التعب والنفقات

حالة النيل

لجناب السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية

يخال من انحطاط مياه النيل في هذه الايام انحطاطاً شاذاً غير اعتيادي ان ايرادها الصيفي سوف يقصر عن حاجات الري . ولعل في تبيين حال النيل الراهنة والحالة هذه تبييناً موجزاً فائدة للمستفيدين يستخلصون منها لانفسهم خلاصة لمستقبلهم الآتي . ومن اجل ذلك يقتضي مقارنة مناسيب النيل في هذا العام بمثلها في الاعوام السالفة التي جاء ايراد المياه فيها ضعيفاً ايضاً . ولكننا نأسف لتعذر اقامة هذه المقارنة راجعين فيها الى السنين القصية الغابرة وذلك لان مرصودات مناسيبها مفقودة فاننا لا نرى للسنين التي سبقت عام ١٨٧١ سجلات مضبوطة تعلم منها مناسيب النيل عند اصوان . نعم ان المناسيب في الروضة كانت تدوَّن وترقم ولكننا لا نجد اليوم منها الاَّ اعلاها وادناها فقط ومن السنين التي كرَّت بين عام ١٨٧١ وعام ١٩٠٠ كانت سنتا ١٨٧٨ و ١٨٨٩ اشدها تحرقاً وفي عامي ١٨٧٤ و١٨٩٢ كانت مناسيب المياه ايضاً منحطة جداً غير ان الشحايح في ايهما لم تستدم اياماً طوالاً كما استدامت في ذينك العامين . وزد على ذلك ان ايراد الشتاء فيهما قد بلغ حد الدرجة المتوسطة ولذلك لا نستند عليهما في اثبات المقارنة المتقدم ذكرها كاستنادنا على عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٩ . وهاك جدولاً تتضح منهُ مناسيب المياه بمقياس اصوان في النصف الاول من شهر يناير في سني ١٨٧٨ و ١٨٨٩ و ١٩٠٠

سنة ١٩٠٠			سنة ١٨٨٩			سنة ١٨٧٨			التاريخ
التصرف	المقياس		التصرف	المقياس		التصرف	المقياس		
امتار مكعبة في الثانية	قيراط	ذراع	امتار مكعبة في الثانية	قيراط	ذراع	امتار مكعبة في الثانية	قيراط	ذراع	يناير
٧٧٥	٥	٣	١١٣٤	١٢	٤	١٣٦٩	٥	٥	١
٧٥٠	٣	٣	١١١٦	١١	٤	١٣٤١	٣	٥	٢
٧٣٠	١	٣	١١٠٤	١٠	٤	١٣٢٠	٢	٥	٣
٧١٠	٢٣	٢	١٠٩٢	٩	٤	١٣٢٠	٢	٥	٤
٧٠٢	٢٢	٢	١٠٦٥	٧	٤	١٣٠٨	١	٥	٥
٧٠٢	٢٢	٢	١٠٥٥	٦	٤	١٢٨٤	٢٣	٤	٦
٦٨٦	٢٠	٢	١٠٥٥	٦	٤	١٢٥٤	٢١	٤	٧
٦٦٦	١٨	٢	١٠٤٥	٥	٤	١٢٤٢	٢٠	٤	٨
٦٥٨	١٧	٢	١٠٣٥	٤	٤	١٢٤٢	٢٠	٤	٩
٦٥٠	١٦	٢	١٠٢٠	٣	٤	١٢٣٠	١٩	٤	١٠
٦٥٠	١٦	٢	١٠١٠	٢	٤	١٢٣٠	١٩	٤	١١
٦٣٨	١٥	٢	٩٩٠	٠٠	٤	١٢٣٠	١٩	٤	١٢
٦٠٢	١١	٢	٩٧٥	٢٣	٣	١٢٠٠	١٧	٤	١٣
٥٨٦	١٠	٢	٩٦٥	٢٢	٣	١١٥٨	١٤	٤	١٤
٥٧٨	٩	٢	٩٥٥	٢١	٣	١١٤٦	١٣	٤	١٥

فيتبين من هذا الجدول ان مناسيب النيل باصوان في النصف الاول من شهر يناير سنة ١٩٠٠ كانت احط جدًّا مما في اي العامين الآخرين المقارن بهما ففي الخامس عشر من الشهر الجاري صار المنسوب في تلك الجهة احط منهُ في مثل هذا اليوم من عام ١٨٧٨ بقدر ذراعين واربعة قراريط اعني مترًا واحدًا وسبعة عشر سنتمترًا وبقدر ذراع واحد واثني عشر قيراطًا (اي ٨١ سنتمترًا) عنهُ في عام ١٨٨٩

اما مقدار ما انصرف من المياه امتارًا مكعبة في الثانية الواحدة في اليوم من عام ١٩٠٠

فيكاد يقرب من نصف ما انصرف في مثلهِ من عام ١٨٧٨ ويقل عن ثلثي ما انصرف في اليوم عينهِ من عام ١٨٨٩

المياه الصيفية في هذا العام

اذا تصفحنا كتب المقاييس باصوان في التسع والعشرين سنة الخالية اي منذ عام ١٨٧١ نرى ان مياه النيل تصير عادة الى ذراعين وتسعة قراريط في مارس او ابريل (و يغلب ذلك في شهر ابريل) فان استدامت مياه النيل هبوطاً على هذا المعدل فذلك دليل واضح على ان مقدار المياه الصيفية سيكون في هذا العام اقل جداً مما كان في عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٩ وهما اسوأ الاعوام المعروفة شحتها. واحط ما وصلت اليهِ المياه باصوان في عام ١٨٧٨ ثمانية قراريط اي منسوب ٨٤,٢٩ المتر وقد دون ذلك في السابع والثامن من يونيو وهو عبارة عن تصرف قدره ٢٠٨ امتار مكعبة في الثانية الواحدة. واحط ما بلغتهُ المياه هناك في عام ١٨٨٩ احد عشر قيراطاً اي منسوب ٨٤,٧٠ وذلك في الرابع من يونيو وهو يعادل تصرفاً قدره ٢٣٠ متراً مكعباً بالثانية الواحدة. هذا و بما ان مياه النيل هي الآن احطُّ مما كانت عليهِ في عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٩ فاذا استدامت هبوطاً على المعدل المشاهد اليوم فعند بلوغ النيل اقصى التحاريق يكون التصرف اقل جداً من مائتي متر مكعب في الثانية الواحدة غير انهُ قد يحتمل ان تخف سرعة الهبوط وتأتي الامطار عاجلة في الاصقاع القبلية من اقاليم السودان فتفيض مياه البحر الابيض و ينشأ عن ذلك اما زيادة في مياه النيل واما وقوف الهبوط في ايام الشدة والضيق اعني في شهري يونيو ويوليو

الامور المضعفة للامل

على ان ما يجب تقريرهُ في الذهن ان الانباء الاخيرة التي جاءت من اصقاع البحيرات والبحر الابيض لا تجعلنا ان نعلق كبير امل على تناقص الهبوط فقد كتب جناب مندوب الاوغندا في ١٦ اكتوبر سنة ١٨٩٩ يقول ان منسوب المياه في بحيرة فيكتوريا نيانزا كان في ذلك الحين احط من المعتاد بقدمين ومياه النيل الاعلى عند وادلاي احط من متوسط السنين السالفة بقدر اربعة اقدام ونصف قدم. ثم قال ان جميع تلك الانحاء في القارة الافريقية وخصوصاً انحاء بحيرة البرت نيانزا لم تمطرها السماء الاَّ ما دون الطفيف حتى يخشى عليها من القحط والمجاعة. ويؤخذ من التلغرافات الاخيرة التي وردت علينا من انحاء البحر الابيض ان شحة المياه في ذلك البحر لم يسبق قط لها نظير. ثم ان المياه عند النقطة المعروفة بمخاضة ابي زيد على مسافة مائة وتسعين ميلاً من الخرطوم جنوباً كانت في نهاية شهر ديسمبر قليلة الغور جداً حتى

لا تسير المراكب فيها الا بصعوبة كلية . وفي اوائل يناير جاءت الانباء بامتناع الملاحة ايضاً عند الجبلين على مسافة اربعين ميلاً فوق ذلك شمالاً . وعلى ذلك فلا يبعد ان الحملة التي خرجت من الخرطوم في اوائل ديسمبر لقطع السدود في البحر الايض تلتزم ان تعدل عن هذا المشروع في هذا العام وذلك لتعذر ايصال المؤونة في النيل الى العمال . هذا ومما يجب ذكره ان معلوماتنا في الحالة الراهنة بالعلاقة التي بين مناسيب المياه في اصقاع البحيرات الاستوائية والبحر الايض هي معلومات غير كافية لا تمكننا من ان نقرر بالضبط ما يكون لمنسوب ما من مناسيب المياه في تلك الجهات من التأثير في مياه النيل عند اصوان

ومن المعلوم الذي لا شبهة فيهِ ان مياه النيل باصوان هي اليوم احط من اشد انحطاط عرف لها من قبل في شهر يناير وان الانباء الواردة للآن من الانحاء القبلية تضعف الآمال . وايضاً فان الجفاف المستمر في بلاد الهند دليل على ان الجو في هذا العام في حالة شاذة غير اعتيادية في كثير من البلاد الواسعة الاطراف

فاذا امعنّا النظر والحالة هذه في جميع ما تقدم ايراده من الشواهد والبيانات واخذناه بعين الاعتبار ربما كان المزارعون مصيبين في قلقهم فيما يختص بمستقبل مزروعاتهم . ومن الواضح البين انهُ يجب اتخاذ تحوطات خصوصية محضة اذا كان في الامكان انقاذ تلك المزروعات بأية وسيلة من الوسائل . فاذا جاءت مياه الفيضان عاجلة خفت جداً وطأة هذه الحال الخطيرة واذا كان الامر على خلاف ذلك وجاءت المياه آجلة فتزيد هذه الحال خطارة

زراعة الارز

نورد هنا الخطة التي في نية مصلحة الري اتباعها في ايام الشحائح وهي ان المصلحة المذكورة ستوجه جل اهتمامها بادئ بدء الى وقاية زراعة القطن التي هي اهم الزراعات المصرية واثمنها لكن من المؤكد ان مياه النيل في مصر ستكون ولا ريب شحيحة فوق المعتاد في ابريل ومايو ويونيو ويوليو ولو هطلت الامطار في بلاد الحبش والسودان قبل الاوان في هذا العام وجاءت مياه الفيضان عاجلة . ففي خلال الاشهر المذكورة تكاد تلك المياه في كل حال لا تكفي لوقاية زراعة القطن ولا تفي قطعاً بحاجات زراعة الارز ايضاً . فان بلاد الارز اكثرها في الانحاء البحرية من اقاليم الدلتا على نهايات ترع طويلة ولذلك لا يتيسر ايصال المياه الينا لاروائها . وزد على ذلك فان الارز يستدعي ريّاً مستديماً فهو بخلاف القطن لا يحتمل زرعهُ اثقال المناوبات الصارمة التي لا بد منها في هذا العام ويخشى على مزارعي تلك البلاد بوار زراعتهم

باجمعها ولا يستثنى من هؤلاء الاَّ من كانت اراضيه بجوار النيل ويروي زراعة الارز فيها بآلات رافعة مقامة على جسوره

الآلات الرافعة على البحر الاعظم

ولتسهيل تشغيل تلك الآلات سيقام في كل من فرعي النيل سد من تراب يمتنع بهِ دخول المياه الملحة من البحر المتوسط وتبقى مياه النيل عذبة يستقى بها و يروى ومن المحتمل ان يكون مقدار مياه الرشح في مجرى النيل كافياً لهذه الآلات فاذا كان غير كافٍ او ان مياه النيل خالطتها ملوحة فليعلم المزارعون انهُ لا يرخص لهم قط بنقل آلاتهم او طلمباتهم من جسور النيل وتركيبها على الترع لان تلك الترع لا يكون في وسعها قطعاً ان تقوم باكفاءِ تلك الآلات فوق المطلوب منها

المناوبة وتراتيبها

ولكي توزع المياه بالقسط والمساواة في اقاليم الوجه البحري ستوازن المياه في افمام الترع الرئيسية الآخذة من النيل فوق القناطر الخيرية فلا ياخذ الاقليم الاَّ بقدر ما يلزمهُ منها على نسبة مساحة اراضيهِ المزروعة . وتوضع المناوبة بحسب مقتضيات الحال الغير الاعتيادية في هذا الفصل وجداول تلك المناوبات يباشر الآن تجهيزها وعما قليل تنشر للعموم في ترتيبين او ثلاثة اذا اقتضت الحال ويكون الترتيب الثاني مشروع مناوبة اشد من الاول ويكون الثالث اذا دعت الضرورة اليهِ اشد من الثاني ويقرر العمل باي من هذه التراتيب بحسب ما تقتضيهِ درجة هبوط المياه في النيل بمعنى انهُ لو تبين من مقياس اصوان وما يقابلهُ من المنسوب امام القناطر الخيرية ضرورة تشديد المناوبة عما في الترتيب الاول فيتخذ الترتيب الثاني وهكذا فيما يختص بالترتيب الثالث وفي كل من هذه الاحوال يبلغ التاريخ الذي يراد ابدال ترتيب المناوبة فيهِ الى جميع ارباب الشان على يد المديريات . وبما ان هذه التراتيب ستنشر معاً في آن واحد عاجلاً فيكون المزارعون بذلك على بينة من الامر في الوقت المناسب ويقفون على ما تكنهُ لهم الاقدار فلا يكون لهم وجه للشكوى فيما بعد من ان ترتيب المناوبات المنشورة قد بدّل على غير علم منهم . وفضلاً عن كل التحوطات المتقدم ذكرها فان في حيز الاحتمال ايضاً ان تدعو الحال بعد ذلك الى وضع مناوبة خصوصيَّة محضة غير المناوبات الواردة في التراتيب المذكورة مما لا يمكن تقريرهُ وتدبر امرهِ الآن . فاذا حصل ذلك فسنبذل الجهد المستطاع في المبادرة الى تنبيه العموم الى هذا الامر باعجل ما يمكن

منع اطفاء ري الشرقي لزراعة الذرة

ثم ان اهم الوسائل (بعد المناوبة) لسلامة زراعة القطن او جزء منها انما هو منع ري الشراقي لزراعة الذرة الى ان ياتي الفيضان بالمياه الكافية لري تلك الاراضي بلا ضرر على مزروعات القطن . ولا ريب في ان هذا المنع واجب حتماً في عام قلت مياههُ مثل هذا العام فتاجيل زراعة الذرة ليس من المصائب على البلاد وجل ما فيهِ ان يعود المزارعون الى الطريقة التي كانت متبعة قبل كمال الاصلاح في القناطر الخيرية والتحسين الذي تأتى عنهُ في توزيع المياه . ففي السنين السالفة لم تزرع الذرة قط قبل مجيء مياه الفيضان وذلك في شهر اغسطس في الغالب لان درجة المياه من الشحة قبل هذا الشهر لم تكن لتسمح بتعميم الري ولكن لما زاد الايراد اعتاد المزارعون بالتدريج على تقديم فصل زراعتها فصارت الاراضي المخصصة لها تروى الآن في شهر يونيو على الغالب وفي بعض الانحاء في شهر مايو . نعم ان الذرة اذا كان زرعها بدرياً يكون محصولها اوفر واثمانهُ اكثر مما لو كان معوقاً وخرياً لكن الضرر الذي يتأتى للبلاد بوجه عام من نقص محصولها نقصاً طفيفاً هو ضرر لا يذكر في جنب الطامة الكبرى التي تتأتى عن خيبة زراعة القطن وبوارها . ولا ريب في ان مياه النيل في شهر يونيو الآتي سوف لا تكفي للزراعتين معاً وبما ان الغرض الذي نتوخاهُ بأية وسيلة كانت هو ان تنجو زراعة القطن من الشرق اذا امكن فالواجب اذاً تأجيل ري اراضي الذرة الى ان يأتي الفيضان وتأذن درجة مياههِ بارووائها . وها نحن اليوم نجهز مشروع لائحة تقضي بمنع ري الشراقي البدري وتفرض عقوبة صارمة على من يخالف احكامها وعما قليل ستعرض تلك اللائحة على الحكومة للمصادقة عليها

التعجيل بزرع القطن

هذا ويستصوب ان يعجل المزارعون في عام مثل عامنا هذا بزراعة القطن بقدر امكانهم بحسب هواء الاقليم ومن المهم ان تبلغ زراعة القطن درجة وافية من النماء قبل دخول ايام الشحايح لانهُ كلما كانت شجيراتهُ قوية نامية كانت اقدر على احتمال الجفاف في ايام الشح الذي لا بدَّ منهُ في هذا العام وفضلاً عن ذلك فمن الموافق ان يزرع القطن في الزمن الذي يكون ايراد المياه فيهِ متوفراً . ولا باس لو تكلف المزارع تجديد زرعهِ (ترقيعه) لكي يستوثق من ان الشجيرات ستكون عند اقبال ايام الشدَّة نامية نماء حسناً . ونحن في هذا الصدد ننبه المزارعين الى ان ما من امر اسوأ وقعاً بشجيرات القطن التي تمضي عليها الايام الطوال وهي في جفاف مستمر من ان تغمر بالماء حالما ترد مياه الفيضان اليها فان ذلك اشبه برجل مضت عليهِ

مدة مستطيلة وهو يقاسي الم الظمأ فسقيناهُ ماء كثيرًا دفعة واحدة فعلى ذلك يقتضي الاحتراس الكلي في السقية الاولى عند ازدياد الايراد في النيل

تقدير محصول القطن الجديد

ولقد طلب الناس مرارًا الى مصلحة الري ان تبدي لهم رايها فيما عسى ان يكون مقدار الحاصلات القطنيَّة في هذا العام ولا مشاحة في ان مثل هذا الراي غير ميسور لتلك المصلحة وقد لا يكون منهُ الاَّ الارتباك والتضليل لانهُ لا يعلم اليوم ما قد تصل اليهِ مياه النيل من الهبوط في الغد. ولكي يطلع الذين يريدون ان يقدروا تلك الحاصلات هم لانفسهم يليق بنا ان نورد لهم مقدار الحاصلات القطنية في عامين كانا اسوأ الاعوام المعروفة في شحة مياههما وهما عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨٩ فقد بلغت الحاصلات المذكورة في اولها ١٦٨٠٥٩٥ قنطارًا وفي الثاني ثلاثة ملايين ومائتي الف قنطار ولكن لم تكن القناطر الخيرية حينئذٍ قد ظهر فعلها التام فان اعمال الاصلاح فيها لم تكمل الاَّ في عام ١٨٩٠

لا نيأس من الفرج

وفي الختام نقول انهُ وان يكن من البين الواضح ان مزروعات القطر المصري سيصيبها ضنك شديد في خلال الاشهر الآتية لا يمكن مع ذلك ان نجزم الآن بان الحال داعية الى اليأس والقنوط لانهُ اذا انكفت مياه النيل عن الهبوط السريع وجاء الفيضان معجلاً فذلك يؤدي الى تخفيف مشاق الري وصعوباتهِ تخفيفًا عظيمًا واحد هذين الامرين او كلاهما جائز محتمل الحدوث . هذا وان يكن من الضروري الاستعداد لاتقاء جميع العوارض المحتملة الوقوع فلا موجب الى توقع الشر وتقدير السوء وتصوير المستقبل بلون اشد سوادًا مما تدل عليهِ الظواهر. وليعلم جميع من يهمهم امر الري من موظفي المديريات والمشايخ والعمد وخصوصًا كبار المزارعين ان افضل امر يتخذ لانقاذ زراعتهم هو ان يعاضدوا مصلحة الري باخلاص في جميع التحوطات التي هي تتخذها مما يكفل توزيع المياه توزيعًا نصيفًا عادلاً انتهى

المعرض الزراعي

لا ابهج للعين من رؤية مباني المعرض الزراعي المصري التي تقام في رحاب الجزيرة بين النيل وفرعهِ الصغير امام العاصمة فقد تمَّ بناؤُهُ وشيد بالشيد واخذ العمال يمهدون الاراضي التي امامهُ واصحاب الآلات الزراعية يأتون بها لتعرض فيهِ . وستجني البلاد من هذا المعرض فوائد كبيرة وتزيد زراعتها اتقانًا عامًا بعد عام بما ينتج عنهُ من المناظرة والاقتداء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

السكر

"الصحة تاج على رأس الاصحاء لا يراهُ الاَّ المرضى" وهي اصل والمرض عرَض طارئ غير ان الناس يطرحون هذا التاج عن جهل او عن هوًى و يتحملون المرض . فقد قيل ان تسعة اعشار المصابين بامراض الكليتين سبب مرضهم المسكرات ومع ذلك ترى الناس يعتادون شرب المسكر و يدمنونهُ وهم يعلمون انهُ لا ينالهم منهُ نفع على الاطلاق وما منهم مَن يجهل انهُ يذهب المال و يضر الجسم ولو لم يعلم مقدار ضرره بهِ ولا يقتصر ضرر السكر على ذلك بل يسبب امراض الدماغ والقلب والحبل الشوكي والرئتين والكبد والعضلات والاوعية الدموية و يضعف الدورة الدموية و يسرع الهرم والانحلال ولا عبرة باناس ادمنوا المسكر ولم يظهر ضرره فيهم فانهم نادرون جدًّا والنادر لا يبنى عليهِ حكم . وما قلناهُ عن ضرر المسكرات هو الغالب الذي يتعرَّض لهُ كل من يشرب مسكرًا ولا يردع نفسهُ عن هواها

ومن الغريب الذي يذكر مع الاسف الشديد اننا نحن الشرقيين نحرّم السكر ونستعيبهُ وليس في هيئتنا الاجتماعية ما يرغب فيهِ لا من حيث الاخلاق ولا من حيث العادات ومع ذلك كلهِ فشت عادة السكر الخبيثة في بلادنا وانتشرت بين ظهرانينا وصار شباننا يباهون بمقدرتهم على شرب الكثير من اقوى انواع المسكرات . وكثيرًا ما نرى شيوخًا يدل لبسهم على انهم من العلماء جلوسًا في الحانات من غير خجل كانهُ لم يبقَ للشرع سلطان عليهم ولا رأوا في العادات ما يردعهم عن خلَّة ذميمة تودي بالصحة والمال

وقد حاول الاوربيون منع الناس عن المسكرات باساليب مختلفة قلما افادت شيئًا لانهم يبيحون الشرب القليل في بيوتهم فيألفهُ اولادهم و يعتادونهُ صغارًا ولولا ذلك لوفت هذه الاساليب بالغرض المقصود . فاذا اردنا نحن الشرقيين ان نبقى بعيدين عن آفة السكر وجب ان لا نبيح استعمال المسكرات على الطعام في بيوتنا ولو اشار بها الاطباء لان نفعها يستغنى عنهُ واما ضررها فلا دافع لهُ . وعلى ربة البيت ان لا تبيح دخول المسكرات الى بيتها الاَّ اذا امر بها الطبيب دواء في احوال خاصة

التدخين

تدخين التبغ ياتي بعد شرب المسكرات وهو اقل ضررًا من السكر ولكنهُ اكثر شيوعاً منهُ ويزيد ضررهُ بان شرائعنا وعاداتنا لاتمنعهُ فيفرط الناس فيهِ ما شاوُوا ويحسبهُ الشبان مزية لهم فاذا بلغ الشاب اشدَّهُ فاول شيءٍ يفعلهُ ان يضع السيكارة في فيهِ ويشعلها من سيكارة ابيهِ

وقد شهد غير واحد من كبار العلماء ان التبغ والسعوط يضعفان الذاكرة قال واحد منهم وكان من البارعين في معرفة لغات كثيرة انهُ زاد مقدار السعوط الذي كان يستعملهُ رويدًا رويدًا فضعفت ذاكرتهُ بزيادتهِ ولما لم يرَ سبباً لذلك لانهُ لم يغير شيئاً من احوال معيشتهِ ظن ان زيادة السعوط هي السبب فقللهُ رويدًا رويدًا الى ان قطعهُ فعادت ذاكرتهُ الى قوتها وعاد يذكر كلمات اللغات التي نسيها . وقال بعد ذلك ان ابطالهُ للسعوط كان منعشاً لهُ جسدًا وعقلاً فعادت ذاكرتهُ الى قوتها وذهنهُ الى مضائهِ ولا شبهة عندي ان التبغ ولا سيما السعوط عدو الدّ للذاكرة يضعفها رويدًا رويدًا وقد يضعفها سريعاً . هذا وغنيٌّ عن البيان ان المرأة تقدر ان تمنع الرجال عن التدخين والتسعيط او تضعف ميلهم اليهما ورغبتهم فيهما ولو باظهارها الكراهة والاشمئزاز منها

الهواء الفاسد

من يرى السكان في الاقاليم الباردة ولاسيما الاصقاع القطبية يشتون في بيوت مسدودة من كل ناحية يدخل اليها من باب صغير في سقفها يحسب ان الهواء النقي غير ضروري للحياة ولكن بيوت اولئك السكان وكل اكواخ الفقراء في سائر البلدان لا احكام في بنائها ولا في ابوابها وكواها فيدخلها الهواء دواماً من الخارج ويجدد هواءها الداخل . ومع ذلك لا تكون صحة سكانها على اجودها . واذا اريد السكن في بيوت محكمة فلابدَّ من تجديد هوائها وتنقيتهِ دواماً

حسب بعضهم انهُ يدخل الرئتين ٢٧٤ قدماً مكعبة من الهواء كل اربع وعشرين ساعة ويخرج منها نحو ١١ قدماً مكعبة من غاز الحامض الكربونيك الذي لايصلح للتنفس ولذلك يفسد هواء الغرف التي يكثر سكانها او يزدحم فيها الناس ويعتريهم صداع شديد وقد يموت بعضهم من فساد الهواء كما ترى

ففي الهواء الذي نتنفسهُ نحو عشرين في المئة من الاكسجين واما الهواء الذي ننفثهُ اي

نخرجهُ من الرئتين ففيهِ ١٦ في المئة فقط من الاكسجين فيبقى منهُ خمس اكسجينهِ في الجسم ولذلك يقلُّ الاكسجين من هواء الغرف المقفلة رويدًا رويدًا اذا كان فيها جمهور كبير يتنفسونهُ حتى لا يعود صالحًا للتنفس فانهُ اذا كان هذا الغاز واحدًا في المئة من الهواء فتنفس الهواء كثير الضرر على اكثر الحيوانات واذا كان عشرة في المئة من الهواء صار تنفسهُ كثير الخطر . ومن قبيل ذلك ما اصاب ١٤٦ نفسًا أُغلق عليهم ببلاد الهند في مكان ضيق لا يتجدَّد هواؤُهُ فلم يمضِ عليهم ست ساعات حتى مات منهم ٩٦ نفسًا وبعد اربع ساعات أُخرى مات منهم ٢٧ نفسًا . وأُغلق على ٣٠٠ نفس في قبو بعد واقعة استرالِيز فمات منهم ٢٦٠ نفسًا في بضع ساعات من كثرة الحامض الكربونيك المتولد بالتنفس

ويتنفس الانسان البالغ نحو ٢٢ لترًا من هذا الغاز كل ساعة فاذا اقام اربعًا وعشرين ساعةً في غرفة طولها ثلاثة امتار وعرضها متران وعلوها متران صار هواؤُها بتنفسهِ مثل الهواء الخارج من رئتيهِ فلم يعد صالحًا للحياة. وكل قنديل من قناديل الغاز يولّد في الساعة ٢٨ لترًا من غاز الحامض الكربونيك . وكل عشرة غرامات من الشمع الابيض تولد باحتراقها ١٤ لترًا من هذا الغاز فلا عجب اذا فسد الهواء حيث يزدحم الناس وتكثر انوار الشمع والغاز

ولا بدَّ من ان ترى ربة البيت بعد هذه الحقائق المقررة ان لا بد من فتح كوى البيت وتجديد هوائهِ ولو في فصل الشتاء والبرد والاَّ ساءت صحة سكانهِ وضاقت اخلاقهم ولا سيما اذا كانوا يكثرون الاقامة فيهِ

الماء النقي

الماء النقي ضروري للصحة كالهواء النقي.ومن اغرب ما رأيناهُ في هذا القطر ان كثيرين من سكانهِ يفضلون ماء النيل العكر على الماء المصفى . فهم اذا بقيت معدهم على قوتها وصحتها وكانت ميكروبات الامراض التي تستطرق الى الماء قليلة او ضعيفة لم تؤَثر فيهم ولكن اذا ضعفت معدهم او انحرفت صحتها واذا كثرت جراثيم الامراض في الماء لم يستطيعوا ان ينجوا من شرها ولذلك مات منهم الالوف بالكوليرا لما انتشرت في هذا القطر . ومعلوم ان ميكروب الكوليرا يدخل الماء من مبرزات المصابين بها التي تتصل بهِ حتى اذا شرب احد ذلك الماء وكانت معدتهُ غير قادرة على اماتة ميكروبات الكوليرا تكاثرت في امعائهِ وقتلتهُ . ولو رشح ذلك الماء او أُغلي حتى زالت الميكروبات او ماتت منهُ لما بقي فيهِ شيءٌ من الضرر . وخيرٌ من ذلك ان لا يشرب المرء ماء اتصلت بهِ ميكروبات الكوليرا ولكنهُ اذا كان لا يعلم حالة الماء

الذي يشربهُ واوجس خيفةً من اتصال ميكروبات مرضية بهِ وجب عليهِ ان لايشربهُ الاَّ بعد ان يرشحهُ او يغليهُ ولاسيما اذا كان الماءُ راكدًا او قليل الجري . اما الماءُ الغزير الجاري فقلما يكون منهُ ضرر



باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر فبراير ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم الصباح الى التاسع من الشهر الساعة الحادية عشرة مساءً حين يمر باقترانهِ الاعلى و بعد ذلك يصير الى شرقي الشمس فيصير نجم المساء ولا يرى بالعين المجرَّدة الاَّ يومين او ثلاثة في آخر الشهر و يقطع عرضهُ الشمسي الاعظم في التاسع من الشهر عند نصف الليل وعقدتهُ الصاعدة في السابع والعشرين الساعة الحادية عشرة مساءً . ويقترن بالمريخ في الثالث من الشهر الساعة الرابعة مساءً فيكون على درجة و٤٤ دقائق منهُ جنوبًا . وسيرهُ شرقًا في برج الجدي والدلو الى الحوت

الزهرة

الزهرة نجم المساء وتزيد اشراقًا وسيرها شرقًا في برج الحوت وتقطع عقدتها الصاعدة في السابع والعشرين من الشهر الساعة ١ صباحًا

المريخ

المريخ نجم الصباح ولكنهُ لايرى لقربهِ من الشمس وسيرهُ شرقًا في برج الجدي والدلو ويقطع عرضهُ الشمسي الاعظم في الثاني والعشرين من الشهر الساعة ١١ صباحًا ويقترن بالمريخ في الثالث من الشهر الساعة ٤ مساءً

المشتري

المشتري نجم الصباح يشرق عند نصف الليل في آخر الشهر ويمرُّ بالتربيع في الثامن والعشرين منهُ الساعة ٨ مساءً وسيرهُ في برج العقرب

زحل

يسير زحل الى الشرق سيرًا بطيئًا في برج الرامي و يزيد اقترابًا من الرؤية بازدياد عرضهِ

اقترانات القمر والسيارات

يوم	ساعة	دقيقة	
٢	٤	٠	مساءً يقترن بالزهرة فيقع ٦°٥٢َ جنوبًا
٢٣	٦	٠	صباحًا " بالمشتري فيقع ١°٣١َ شمالاً
٢٤و٢٥			نصف الليل " بزحل " ٠°٢٦َ جنوبًا

اوجه القمر

٦	٦	٢٨	مساءً	الربع الاول
١٤	٣	٥٥	"	البدر
٢٢	٦	٤٩	"	الربع الاخير
١	٢	١٧	صباحًا	في الاوج
١٦	٣		"	" الحضيض



العلاج بالماء البارد

سُئلنا مرَّة عن القس سبستيان كنيب مشيع طريقة العلاج بالماء البارد فاجبنا اننا لا نعرف شيئًا من امرهِ ولم يكد الجزءِ الذي نشرنا الجواب فيهِ ينتشر حتى وردت علينا جريدة اميركية موضوعها الصحَّة فيها كلام كثير عن الاب كنيب وعلاجه ثم جاءتنا كتب واوراق كثيرة عنهُ فلم نستغرب جهلنا امرهُ لان الكتب والجرائد التي بين ايدينا ليس فيها شيءٌ من مزاعيم اهل الاوهام والخرافات . ولكن الظاهر ان بعض اخواننا السوريين لا يذهبون مذهبنا فقد عرَّب حضرة الفاضل الخوري يوحنا الحائك كتابًا كبيرًا للخوري سبستيان كنيب في "علاجهِ بالماء البارد لشفاء الامراض وحفظ الصحة" وقال في مقدمة وضعها لهُ ان هذا

الكتاب نشر اولاً سنة ١٨٨٧ وتعدَّد طبعهُ في اثناء اسابيع قليلة فبلغ ما بيع منهُ في عشر سنوات مئة الف نسخة . وكل ما اودعهُ فيهِ قد امتحنهُ واختبرهُ ومارسهُ مئة والف مرة مدة ثلاثين او اربعين سنة . واذ ادهش الاطباء ازدحام الناس وتوارد القوم الى القرية التي يعالج فيها امُّوها ليتفحصوا هذا الطب ويقفوا على كنه حقيقتهِ فاسفرت نتيجة مطالعتهم عن انشاء مستوصفات للتداوي لهذا الطب الناجع في المانيا والنمسا على الطريقة المذكورة "

وكأَنَّ المترجم رأَى الاوهام قليلة في بلادنا الشرقية وبضاعة الاطباء القانونيين رائجة رواجاً لا تستحقهُ فلم يشأْ ان يبقى هذا الكتاب النفيس محجوباً عنها طيَّ العجمة فعرَّبهُ بعبارة سهلة المأْخذ قريبة التناول لكي لا يفوت نفعهُ ابناء الوطن

واتفق قبلما قرانا مقدمة هذا الكتاب اننا سمعنا قصة لا يندر امثالها وهي ان رجلاً أُتي بهِ الى امام القاضي في مدينة باريس بدعوى انهُ دجَّال يطبب الناس بالعزائم والطلاسم والادوية الوهمية. ولا يجوز لاحد ان يطبب ما لم يكن معهُ شهادة طبية قانونية . فقال ان الشهادة التي تطلبونها موجودة معي واسمي في سجل مدرستكم الطبية ثم احضر شهادتهُ واثبت انهُ هو الرجل المذكور فيها . فقيل لهُ ولماذا تستعمل التدجيل وانت طبيب قانوني فقال اني لما خرجت من المدرسة استأْجرت بيتاً في احسن احياء المدينة وبقيت فيهِ سنتين وانا ابذل كل الوسائل لكي ادعى لمعالجة احد فلم يفتح الله عليَّ واخيراً بلغني ان الدجالين يكسبون الاموال الطائلة فاضطرَّتني الفاقة الى اقتفاء آثارهم ومن يوم انتقلت الى الحي الحقير الذي انا فيهِ الآن واعلنت انني اطبّب بالطلاسم والمغنطيس اقبلَ المرضى عليَّ ايَّ اقبال ولن اعود الى التطبيب القانوني ما دامت شهادتي تحميني من المحاكم وارباحي وافرة من التدجيل

ومغزى هذه القصَّة واضح جدًّا وهو ان جمهور الناس لم يزل يصدّق الاوهام والخرافات في كل البلدان فاقبالهم على علاج كنيب ليس دليلاً على صحتهِ . والشهادة المعوَّل عليها في هذا الموضوع هي شهادة كبار الاطباء الذين قرنوا العلم بالعمل ولم نرَ لاحد منهم كلاماً تثبت منهُ صحة هذا العلاج

وطرق العلاج المذكورة في هذا الكتاب بعضها نافع وبعضها لا ضرر منهُ اذا لم يكن نافعاً ولكن بعضها ضارٌّ جدًّا وذلك في الادواء الحادَّة السريعة الفتك كالدفتيريا وضررهُ ليس بنفسهِ لان غسل الظهر والصدر بالماء البارد قد لا يكون منهُ اقل ضرر ولكن الاعتماد عليهِ يؤخر ذوي المريض عن استدعاء الطبيب والمداواة بالمصل الشافي من الدفتيريا واذا تأَخر هذا العلاج يوماً واحداً فقد لا يبقى باب للشفاء

وحبذا لو اطَّلع على هذا الكتاب طبيب قبل ترجمتهِ وطبعهِ لحذف منهُ ما يجب حذفهُ واثبت ما يجوز اثباتهُ لكي يكون خاليًا من الضرر

الرئيس

الرئيس مجلَّة جراحيَّة علميَّة تاريخيَّة اصاحب امتيازها ومحرر مقالاتها الطبية الدكتور لويس الخازن وقد انتدب لرئاسة تحبير علمياتها وتحرير ادبياتها وتقويم عباراتها وانتقاء كلماتها حضرة العالم العامل والشاعر المجيد الاستاذ ابرهيم افندي الحوراني . وهي تصدر الآن مرة في الشهر من مطبعة الارز بجونية من اعمال لبنان . وفي الجزء الاول الذي صدر منها ديباجة يبين فيها غرض المجلة ويليها ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا ملخصة من كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء ثم كلام وجيز عن تقدُّم الطب وعن تاريخهِ قبل ابقراط وعن التسمم بالكحول وعن الضحك ومدلولهِ في الصحة والمرض وعلم الفلك والعرض والجوهر وحياة الاطفال ونحو ذلك من المواضيع العلمية . وعبارة المجلة مكينة سهلة المأخذ مألوفة الالفاظ فنثني على حضرة صاحبها ومحررها الثناء العاطر ونتمنى لها النجاح التام

قصب السكر

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي جراد من متخرجي مدرسة الزراعة الخديوية رسالة ألفها في قصب السكر ذكر فيها تاريخهُ وانواعهُ وطرق زراعتهِ والاعتناء بهِ ونفقات الزراعة والسماد الذي يستعمل لهُ والامراض التي تصيبهُ ويلي ذلك كلام علمي مسهب عن كيمياء القصب وانواع السكر . وقد قال في تاريخهِ انهُ كان قديمًا في القطر المصري ولكن لم يعتنَ بزراعتهِ الاَّ سنة ١٨٧٧ . وظاهر عبارتهِ ان العرب نقلوهُ الى اسبانيا والى البرازيل والمكسيك ايضاً وغيرهما من البلدان الاميركية التي كشفت حديثًا . اما كون العرب نقلوهُ الى اسبانيا فصحيح ولكنهم لم ينقلوهُ الى البلدان الاميركية كما هو ظاهر عبارتهِ

وقال في الكلام على القصب المصري انهُ "يوجد منهُ نوعان البلدي والرومي فالبلدي نقلتهُ العرب من جزائر باتافيا اكثر زراعةً في الوجه البحري حيث دلت التجارب على انهُ لا يحسن بهِ غيرهُ ويستعمل غالبًا للمص وهو اقل غلظًا وطولاً وحلاوة من الرومي . والرومي نقلتهُ العرب من هولاندة والمكسيك والبرازيل وهو اكبر من الاول وقد يمتد طولهُ الى خمسة امتار" . وحبذا لو قال مَن من العرب نقل هذا القصب من هولانده والمكسيك والبرازيل ومتى كان ذلك . والكلام على الزراعة والتسميد مسهب كثير الفوائد فنثني على حضرة المؤلف ثناء جميلاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تفاوت العقول

مصر. حسين افندي فهمي. ما هو سبب تفاوت الناس في قواهم العقلية مع ان العقل جوهر مجرَّد وهو واحد في الجميع

ج ان ما نراهُ من القوى العقلية ونصفهُ بالتفاوت او بالقوة والضعف انما هو افعال الدماغ وهذه الافعال تختلف باختلاف الادمغة وباختلاف الدماغ الواحد في احوال مختلفة وهي مثل قوة اليد فيد زيد قد تكون اقوى من يد عمرو بالفطرة او بالتمرين وتكون قوية ايضاً اذا كانت مستريحة وضعيفة اذا تعبت حتى اذا اشتدَّ التعب عليها لم تعد تستطيع مسك قلم الكتابة. وتظهر قوية اذا كان الجسم في صحتهِ وتضعف اذا اعتراهُ المرض واضعفهُ. وكذلك الادمغة متفاوتة في الناس طبعاً ودماغ الانسان الواحد يقوى بالتمرين ويضعف بالاهمال ويقوى بالصحة ويضعف بالمرض ويقوى بالراحة ويضعف بالتعب ويقوى بورود الدم الكثير اليهِ ويضعف بورود الدم القليل ويختلف في مضائهِ حسب الراحة والتعب وكثرة الطعام في المعدة وقلتهِ

(٢) سبب تفاوتها

ومنهُ. اذا قلتم ان اسباب هذا التفاوت في القوى العقلية هو مثل اسباب التفاوت في القوى البدنية كما اخبرتمونا شفاهاً لم تحلوا لنا المشكل بل نقلتمونا الى نظرية أُخرى اشبه بالنظرية الاولى فما هو السبب الجوهري لهذا الاختلاف في القوى كلها بدنية كانت او عقلية

ج ان جسم الانسان كلهُ عضلاً كان او دماغاً مركب من دقائق صغيرة جداً تسمى خلايا او حويصلات لها افعال خاصة بها وهي تتكون من غيرها بالانقسام وتغتذي وتعيش وتموت ولا بدَّ لها من الغذاء لتكونها ومعيشتها وعملها وهذا الغذاء تأخذهُ من الدم ونسبتهُ اليها نسبة الوقود الى الآلة البخارية اي ان قوتها منهُ فاذا كثر ورودهُ عليها ذخرت فيها قوة الى حين العمل. وتأتي القوة الى الدم مع دقائق الغذاء التي تدخل في تركيبهِ وهي حركة في دقائق الغذاء وفي دقائق كل المواد مصدرها الاصلي الشمس على ما يظهر او القوة الاصلية المودعة في النظام الشمسي. فكما تسير مركبات الترام الكهربائي

بالقوة الكهربائية الحاصلة من دوران الحديد والمغنطيس بواسطة قوة الآلة البخارية وتحصل قوة الآلة البخارية من حركة دقائق الماء بواسطة الحرارة الناتجة من الفحم وهي آتية الى الفحم اصلاً من حرارة الشمس التي تجمعت بواسطتها دقائق الكربون في اشجار العصور الغابرة كذلك في دقائق الغذاء قوة او حركة تنتقل الى الدم ومنهُ الى خلايا الدماغ والاعضاء وتظهر بمظاهر مختلفة عملاً وادراكاً ويكون ظهورها كثيراً او قليلاً حسب كثرتها وقلتها والخلايا نفسها تأخذ كثيراً او قليلاً من هذه القوة حسبما تُعدُّ الاخذ منها بالتمرُّن والوراثة

(٣) اصل كلمة جرامر

مصر . محمد افندي عمر . بلغني ان كلمة جرامر grammar الافرنجية ماخوذة من كلمة اجرومية العربية فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ بل هي يونانية الاصل من غراما اي حرف وغرافيون يكتف اي علم كتابة الحروف فان اليونانيين هم اول من وضع كتب الصرف والنحو وكان ذلك في الاسكندرية قبل الاسلام بنحو تسعمئة سنة

(٤) فائدة الخلد

بيروت . احد المشتركين . شكا اليَّ احد الاصدقاء ما تقاسيهِ غرَّاس جنينتهِ من فتك الخلد بها وانهُ افرغ الجهد لاتلافهِ ولم يفلح ومن جملة ما اتخذهُ الصديق من الوسائط انهُ وضع في الثوم جانباً من سم الستركنين ومع رغبة هذه الآفة في الثوم لم تقع في ما نصب لها ولا قربتهُ فارجو ان تفيدوني في اول عدد من مجلتكم الجليلة عن الواسطة الفعالة المجربة في اتلاف الخلد مع البيان الكافي في استعمالها

ج الخلد صديق للزارع لا عدوٌّ لهُ فلا تفتشوا عن واسطة لقتلهِ وهو لا يأكل جذور النبات كما يتوهم الجمهور بل طعامهُ الوحيد الديدان والحشرات اي انهُ يحارب مع الزارع ويأكل اعداء الزراعة وقد ينشأ عنهُ ضرر قليل من حفر اسرابهِ تحت جذور المزروعات ولكن هذا الضرر لا يقاس بنفعهِ الكثير . اما انهُ لم يأْكل السم الذي دُسَّ لهُ في الثوم فسببهُ انهُ لا يأكل الثوم ولا غيرهُ من المواد النباتية لانهُ من آكلات اللحوم وطعامهُ الوحيد الديدان والحشرات كما تقدَّم وهو نهم جداً يأْكل منها الالوف والملايين فليحرص صديقكم عليهِ وليدافع عنهُ كما يدافع عن صديق

(٥) الهليوغراف

المنصورة . رمضان افندي احمد . ثبت انهم يتخاطبون في اماكن القتال بالاشعة الشمسية فما كيفية ذلك وهل يمكن التخاطب ولو كانت اشعة الشمس محجوبة بالسحب

ج لا يخفى انهُ اذا وقعت اشعة الشمس على مرآةٍ مستوية انكسست عنها حتى اذا كانت الاشعة مائلة على سطح المرآة انعكست

عنها الى جهة اخرى غير الجهة التي وقعت فيها الاشعة عليها . وانه يسهل إمالة المرآة حتى تُعكَس اشعة الشمس بها وترسل الى المكان الذي يراد ارسالها اليهِ ؛ ويكون وقوع النور على ذلك المكان طويل المدة او قصيرها حسب ابقاء المرآة مدة طويلة او قصيرة في عكسها النور اليهِ . ويُتفق على قانون لحروف الهجاء مثل قانون تلغراف مورس الذي يُدلّ فيهِ على كل حرف بخط او نقطة او خطوط ونقط مختلفة. فاذا قصرت مدة عكس النور فذلك بمثابة النقطة واذا طالت فذلك بمثابة الخط . وقد اوضحنا ذلك كلهُ في مقالة خاصة في هذا الجزء

وواضح مما تقدم انهُ اذا كانت اشعة الشمس محجوبة بالسحب فلا يمكن التخاطب بهذه الآلة حينئذٍ

(٦) التلغراف الاثيري

ومنهُ قلتم ان انتقال الكلام في التلغراف الاثيري يحصل بتموُّجات في الاثير المنتشر في الفضاء كانتقال الصوت بتموجات الهواء . ولكن اذا كان بين المرسل والقابل (الآلة المسماة بالجامع) آلة اُخرى في وسط المسافة خاصتها قبول الكهربائية ايضًا فهل مع انتقال الكلام الى الآلة المتوسطة ينتقل ايضا الى الآلة التي يراد انتقالهُ اليها وهل من طريقة لمنع ذلك

ج اذا كان امام العمود الذي ترسل منهُ الامواج الكهربائية في الفضاء عمودان او اكثر على بعد واحد او ابعاد مختلفة وكل منها متصل بآلة مركوني التي تتأثر بهذه الكهربائية تأثرت كلها معًا . ويجتهد مركوني ان يمنع ذلك بجعل آلاتهِ على درجة معلومة من قابلية التأثر كالوتر الذي يدوزن لصوت دو او ري او مي فلا يتولد منهُ الا الصوت الذي دوزن لهُ ولا يجاوب غيرهُ فاذا كان عند زيد في مصر آلة من هذه الآلات وعند عمرو في حلوان آلة اخرى وارادا ان لا يسرق احد كلامهما الذي يتخاطبان بهِ دوزنا آلتيهما على درجة معلومة فتصير امواجهما الاثيرية تؤثر فيهما فقط او في ما دوزن مثلهما

---

(٧) الترنسفال وسكانها

مصر . محمد افندي امين . كم مساحة بلاد الترنسفال بالتحقيق وكم هو عدد سكانها وما هي اجناسهم

ج تقدر مساحتها الآن ١١٩١٣٩ ميلًا مربعًا وعدد سكانها ١٠٩٤١٥٦ نفسًا البيض منهم نحو ٣٤٥٠٠٠ والباقون من السود سكان البلاد الاصليين وذلك حسب احصاء حكومة الترنسفال الذي اصدرتهُ سنة ١٨٩٨

(٨) ولاية اورنج الحرة

ومنهُ . وكم مساحة ولاية اورنج الحرة وكم عدد سكانها

ج مساحتها ٤٨٣٢٦ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٢٠٧٥٠٣ حسب احصاء حكومتها سنة ١٨٩٠ البيض منهم ٧٧٧١٦ والباقون من السود واكثر البيض من الجنس الهولندي

(٩) القطار المدرع

ومنهُ مَن اول من استعمل القطارات المدرَّعة التي يستعملها الانكليز الآن في حرب الترنسفال

ج يقال ان الفرنسويين اول من استعمل القطارات المدرعة وذلك انهُ لما حاصر الالمانيون مدينة باريس كانت الجنود الفرنسوية تخرج منها وتهجم على الالمانيين وتخرج معها مركبات من مركبات سكك الحديد فيها مدافع صغيرة لتحميها في سيرها. ولما حاصر الكومون في باريس وهاجمتهم الجنود من فرساليا وضع الكمون مدافع في قطار اسكتوا بها مدافع الجنود. ثم لما جاءت الجنود الانكليزية الى القطر المصري لاخماد الثورة العرابية بنى القبطان فشر قطاراً مدرَّعاً في الاسكندرية وهو آلة بخارية ومركبات من مركبات النقل حماها بصفائح الحديد واكياس الرمل وجعل الآلة البخارية في وسط القطار ووضع على المركبة المقدمة منهُ مدفعاً متعدد الطلقات ومدفعاً آخر في المركبة التي وراءها وسيّر مركبتين امام هذا القطر لنسف ما ربما يكون في طريقهِ من الالغام ووضع فرقة من الجند في المركبات التي وراء الآلة البخارية. ومن ثم جعلت فرنسا والمانيا تبنيان القطارات المدرعة. وعند الانكليز الآن كثير من هذه القطارات وقد وقيت مركباتها من مدافع العدو بصفائح من الحديد ووضعت فيها المدافع القوية. واذا اريد اطلاق مدفع منها مُكّنت عجلاتها بالقضبان التي تحتها بلوالب متينة لكي لاتنقلب برد الفعل ولاسيما اذا أُطلق المدفع عمودياً على خط السكة. وقد افسد البوير عمل الانكليز واتلفوا كثيراً من قطاراتهم المدرعة بنسفهم سكك الحديد بالديناميت من امامها. ومهما كانت الدروع متينة فهي لا تقي القطارات من قنابل المدافع فاذا اطلقت المدافع على قطار مدرَّع اتلفتهُ

(١٠) القرن التاسع عشر

ومنهُ. ومن كثيرين غيره هل انتهى القرن التاسع عشر وابتدأ القرن العشرين بابتداء هذا العام او لم نزل في السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر

ج قد طُرح سؤالكم هذا علينا مراراً في بداءة هذا العام كما طُرح على غيرنا ايضاً وكنا نجيب عليهِ ان السنة الحالية هي السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر ولكن كثيرين اخطأوا فحسبوها بداءة القرن العشرين او انهم خافوا ان لا يعيشوا الى بداءة القرن العشرين فتسرَّعوا في حسبان هذا العام منهُ. والظاهر ان هذا الخطأ قديم فانهُ لما استعمل الملك شارلمان الحساب المسيحي الذي يبتدىء

بميلاد المسيح عدَّ سنة ١٨٠٠ بداءة قرن جديد وكذلك لما ادخل بطرس الاكبر امبراطور الروس الحساب المسيحي الى بلاده عدَّ سنة ١٧٠٠ بداءة قرن جديد وجرى امبراطور الالمان الآن في خطتهِ لانهُ حسب سنة ١٩٠٠ بداءة القرن العشرين وجدُّهُ ابو امهِ وهو زوج ملكة الانكليز كان يعتقد كذلك. وهؤلاء الملوك يعذرون اذا اخطاوا في مسألة حسابية ولكن من الغريب ان لورد كلفن وهو اكبر علماء الرياضيات في الدنيا يعتقد ان السنة الحاضرة هي بداءة القرن العشرين. ولو حسبنا هذه السنة بداءة القرن العشرين لوجب ان يكون عدد السنة الاولى من التاريخ المسيحي صفرًا وعدد السنة الثانية واحدًا وعدد الثالثة اثنين وهذا ليس الواقع لانهُ لم توجد سنة عددها صفر. والحقيقة اننا الآن في الشهر الاول من السنة الاخيرة من المئة التاسعة عشرة من مئات التاريخ المسيحي

(١١) نفقات فرنسا ودينها

الاسكندرية. احد المشتركين بلغني ان نفقات الحكومة الفرنسوية اكثر من نفقات اية دولة اخرى غيرها ودينها اعظم من دين اية دولة اخرى فهل ذلك صحيح وكم هي نفقاتها السنوية وكم يبلغ دينها الآن

ج قدرت نفقاتها في ميزانيتها لهذا العام ١٤١٤٨٠٠٠٠ جنيه اي اكثر مما كانت عليهِ سنة ١٨٧٠ بنحو اربعين مليونًا من الجنيهات لانها لم تكن حينئذٍ سوى ١٠١٧٦٠٠٠٠ جنيه. ودينها الوطني يبلغ الآن ١٢٠٠ مليون من الجنيهات اي انهُ مضاعف دين انكلترا. اما من حيث النفقات فنفقات روسيا اكثر قليلاً من نفقات فرنسا حسب الظاهر لانها نحو ١٦٠ مليونًا من الجنيهات غير ان قيمة هذا المبلغ في اوروبا اقل من قيمتهِ في روسيا. ولكن دين فرنسا يكاد يكون مضاعف دين روسيا وستدفع ربى دينها هذا العام اكثر من ٤٦ مليون جنيه

(١٢) التنويم المغنطيسي

ومنهُ قيل ان الذي يمارس التنويم المغنطيسي يستطيع ان يؤَثر في عقل من ينومهُ ويجعلهُ يعمل في حال اليقظة اعمالاً لا يعملها لولا هذا التأثير فهل ذلك صحيح

ج نعم وقد ذكر الثقات حوادث كثيرة من هذا القبيل وآخر شيء قرأناهُ عنهُ ان طبيبًا يمارس التنويم المغنطيسي كان ينوّم رجلاً ويقنعهُ ليساعد بعض الاعمال المتعلقة بالتنويم ثم توفي هذا الرجل بغتة وفتحت وصيتهُ فاذا هو قد اوصى لذلك الطبيب بخمسة آلاف جنيه ولم يوص بمثل ذلك لاحد من ذوي قرباه وثبت من البحث ان الطبيب اثَّر في ذهنهِ واقنعهُ وهو نائم ليوصي لهُ بهذا المال فاوصى لهُ بهِ وهو مستيقظ عملاً بالتاثير الذي في ذهنهِ



السر جمس باجت
Sir James Paget, Bart.

مات المداوي والمداوَى والذي
صنع الدواء وباعه ومن اشترى

نعي الى الاطباء وجمهور الباحثين في العلوم الطبيعيَّة الطبيب الجرَّاح السر وليم باجت توفي شيخًا شبعانًا من الايام في السادسة والثمانين من عمره . فقد ولد في الحادي عشر من يناير سنة ١٨١٤ ودرس الطب واشتهر بالجراحة علمًا وعملاً حتى فاق الاقران وعُدَّ اول جرَّاح في البلاد الانكليزية ودرَّس علم الجراحة سنين كثيرة ووسَّع نطاقهُ وهو الذي اكتشف التريخينا ووصف مرض حلمات الثدي المنسوب اليهِ وكان يتعلَّم من كل شيء و يعلّم من كل شيء ويلبس كل المواضيع لباس العلم والفلسفة و يستخدم كل المكتشفات العلمية الحديثة لفائدة علم الجراحة والباثولوجيا الجراحيَّة . وشهرتهُ في التعليم اعظم من شهرتهِ في البحث والتأليف وقد قاد تلامذتهُ الى رياض العلم وارشدهم في سبلها فساروا فيها وجنوا خير الثمار . ولهُ من الكتب كتاب في فوائد الميكرسكوب نشر سنة ١٨٤٢ وخطب في الباثولوجيا الجراحيَّة نشر سنة ١٨٥٣ و ١٨٦٣ و ١٨٦٨ ومقالات كثيرة في اعمال الجمعيَّة الملكيَّة . عين جراحًا لبرنس اوف ويلس منذ سنة ١٨٦٣ وللملكة فكتوريا منذ سنة ١٨٧٨ ورئيسًا لمدرسة الجراحين الملكية سنة ١٨٧٥ وهو عضوٌ في كثير من المجامع العلمية

الدكتور مارتنو
Dr. J. Martineau.

ومن العلماء الذين فارقوا الحياة الدنيا في هذا الشهر الدكتور جمس مارتنو الفيلسوف اللاهوتي الشهير الذي قال فيهِ غلادستون "انهُ اعظم الفلاسفة الاحياء من غير جدال" ولد في اوائل سنة ١٨٠٥ فتوفي ولهُ من العمر خمس وتسعون سنة وكان قسًّا في كنيسة الموحدين بدبلن ولفربول وعين استاذًا للفلسفة الادبية في مدرسة منشستر الكلية سنة ١٨٤١ وانتقل الى مدينة لندن لما انتقلت تلك المدرسة اليها وجُعل رئيسًا لها وبقي في رئاستها الى سنة ١٨٨٥ وظلَّ خمسين سنة متبوّئًا المقام الاعلى في الفلسفة والانشاء بين رجال عصرهِ ولهُ كتب كثيرة جدًّا دينية وفلسفية ومقالات شتى في الجرائد العلمية والادبية ولا سيما في المجلة الوطنية (ناشينال رفيو) التي كان من منشئيها . وعلى مخالفتهِ في المعتقد لكثيرين

من المسيحيين يعترف لهُ الجميع بصدق النية واخلاص الطوية والتقوى الصحيحة ولا يذكر الاَّ بالمدح والتبجيل

مصدر التيفويد

تكثر الحمَّى التيفويدية في جنوبي افريقية ولا سيما حينما تنتشب الحروب فيها كما فشت وقت حرب الزولو وكما هي فاشية الآن في لادي سمث . والمشهور ان عدواها تصل من مبرزات المصاب بها الى ماء الشرب ومنهُ الى الذين يشربونهُ فيعدون بها . الاَّ ان الدكتور جمس الن من اطباء بترمارتزبرج في جنوبي افريقية استدلَّ من امور كثيرة على ان التيفويد تصيب اولاً العجول وتخرج جراثيمها مع البراز فاذا اتصل باللبن او بالماء انتقلت العدوى بهِ الى من يشربهما

الكينا في الهند

شجر الكينا اميركي الاصل لكنَّ الانكليز زرعوهُ في بلاد الهند لما خافوا ان يستاصل من اميركا فنجحت زراعتهُ وفيها الآن اكثر من مليوني شجرة استخرج منها في العام الماضي ١٠٣٣٥ رطلاً من سلفات الكينا و٣٩٢١ من السنكونا . ويستعمل ذلك كلهُ في بلاد الهند فلا يصدر منهُ شيءٌ الى الخارج

السرطان واكل اللحم

لا شبهة ان الانسان من آكلات اللحوم لكنهُ لم يكن يستطيع الاكثار من اكل اللحم لما في الحصول عليهِ من المشقة فصار اكثر طعامهِ من المواد النباتية غير ان البعض تتوفر لديهم اسباب الكسب ويسهل عليهم الاكثار من اكل اللحم فيصير اكثر طعامهم منهُ ويقال ان داء السرطان الخبيث يكثر ظهورهُ في هؤلاء الناس ويقلُّ في غيرهم من الذين يعتمدون في طعامهم على المواد النباتية ولا ياكلون اللحوم الاَّ قليلاً . وقال بعضهم انهُ بحث في احوال المسجونين في اماكن كثيرة فلم يرَ لداء السرطان اثرًا فيهم ونسب ذلك الى منعهم من اكل اللحم . ونحن نعرف اثنين اصيبا بسرطان المعدة وهما من الذين يصدق عليهم الحكم المتقدم اي انهم ولدوا ونشأوا في بيوت يقل اكل اللحم فيها ثم تغيرت عاداتهم فصاروا يكثرون منهُ ولا اثر لداء السرطان في آبائهم واسلافهم

ولم تزل حقيقة السرطان مخفية الاَّ ان احدى السيدات الاميركيات وهبت مدرسة هارفرد الجامعة مئة الف ريال لكي تنفقها في البحث عن حقيقتهِ وكانت في حياتها تنفق النفقات الطائلة على المصابين بهِ

قصاص التدجيل

كان الدكتور شنك استاذًا لعلم الهستولوجيا ومديرًا لقسم الاجنَّة في مدرسة فينَّا الجامعة منذ ٢٦ سنة فنشر منذ مدة وجيزة ما نشرهُ في الجرائد السيارة عن كيفية

تولُّد الذكر والانثى فعدَّ اخوانهُ الاطباء ذلك ضربًا من التدجيل شبيهًا بهِ وطلبوا اعفاءهُ من منصبهِ فأُعفي منهُ اجابة لطلبهم

رعَّاد النيل

الرعاد سمك كهربائي يكثر في نيل مصر عرفهُ المصريون القدماء وصوَّروهُ في قبورهم منذ سبعة آلاف سنة كما ترى في قبر تي في سقارة واشار اليهِ الكتَّاب الاقدمون من اليونان والعرب . وقد بحث المستر غوتش في تركيبهِ وتكلم عنهُ في خطبة تلاها في دار العلم الملكية ببلاد الانكليز فقال ان اعضاءهُ التي تتولد منها الكهربائية موجودة في جلدهِ وهي تحيط ببدنهِ كلهِ ومنظرها جميل جدًّا اذا نُظر اليها بالميكرسكوب وكل عضو منها مؤلف من صفوف من الخلايا وفي كل خلية منها صفيحة كالورقة لها زنيدة مثل زنيدة الورقة ويدخلها فرع عصبي وينتهي في زنيدة الصفيحة فاذا لُمست السمكة تأثرت اطراف هذه الاعصاب فحدث فعل في الخلايا تولدت منهُ الكهربائية كانها حلقات بطرية كهربائية ويجري المجرى الكهربائي في السمكة كلها من راسها الى ذنبها و يسير في ما حولها فيصرع السمك الصغير و يشعر بهِ الانسان

السل من طوابع البوسطة

جاء في النشرة الطبية الفرنسوية بتاريخ ١٦ دسمبر الماضي ان جنديًّا اصيب بالسل وكان من المغرمين بجمع طوابع البوسطة والصاقها في كتاب خاصّ بها وكان معتادًا ان يبلها بلسانهِ حينما يريد الصاقها فامتحن الاطباء الغراء اللاصق بها فوجدوا فيهِ ميكروب السل كأنهُ لصق بهِ من افواه اناس مسلولين كانوا يبلونها بلعابهم حينما يلصقونها فاتضح لهم من ذلك ان هذا الجندي أُصيب بالسل من هذه الطوابع

رسكن
J. Ruskin.

هو شيخ آخر من مشاهير كتَّاب الانكليز ولد سنة ١٨١٩ ودرس في مدرسة اكسفرد والَّف كتبًا كثيرة تعدُّ من الطبقة الاولى في بلاغة انشائها وحسن بيانها مثل كتابهِ عن مصابيح البناء السبعة وحجارة البندقية والسمسم والزنبق وآداب الغبار وتاج الزيتون وملكة الهواء ونحو ذلك من الكتب المشهورة عند قومهِ . وكانت وفاتهُ في العشرين من يناير

دود الحرير والنور

قال المسيو فلامريون انهُ ثبت لهُ بالامتحان ان النور يؤَثر في دود الحرير تأثيرًا شديدًا و يظهر تأثيرهُ في حريرهِ وبزرهِ ومقدار الذكور والاناث في ما يولد منهُ

الذهب في الدنيا

اوقفت حرب الترنسفال اخراج الذهب من مناجمها ومع ذلك بلغ المستخرج من الذهب في الدنيا كلها اكثر مما بلغ في كل عام من

الاعوام السالفة كما ترى في هذا الجدول

سنة	١٨٩٠	٢٣٨٠٠٠٠٠ جنيه
"	١٨٩١	٢٦١٠٠٠٠٠ "
"	١٨٩٢	٢٩٢٠٠٠٠٠ "
"	١٨٩٣	٣١٥٠٠٠٠٠ "
"	١٨٩٤	٣٦٢٠٠٠٠٠ "
"	١٨٩٥	٣٩٩٠٠٠٠٠ "
"	١٨٩٦	٤٠٦٠٠٠٠٠ "
"	١٨٩٧	٤٧٧٠٠٠٠٠ "
"	١٨٩٨	٥٧٥٠٠٠٠٠ "
"	١٨٩٩	٦٢٧٠٠٠٠٠ "

فزاد ما استخرج منهُ سنة ١٨٩٩ عما استخرج سنة ١٨٩٨ اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات ومن هذه الزيادة مليون ونصف من الولايات المتحدة الاميركية و ٨٧٠ الفاً من كندا وثلاثة ملايين وربع من استراليا ولكن قلَّ المستخرج من جنوبي افريقية بسبب الحرب نحو مليون ونصف

وقد احصت جريدة الايكونومست مقدار الذهب في بنوك الدنيا في العام الماضي والعام الذي قبلهُ فوجدت انهُ في بنك انكلترا على حاله تقريباً اي نحو ٢٩ مليون جنيه وقد زاد مليونين في بنك فرنسا فكان نحو ٧٣ مليوناً فبلغ ٧٥ مليوناً ونقص في بنك روسيا ١٤ مليوناً فكان ٩٩ مليوناً فاصبح ٨٥ مليوناً ونقص في بنك المانيا مليونين ونصف كان ٣٧ مليوناً ونصف مليون فاضحى ٣٥ مليوناً وزاد في بنك النمسا نحو ثلاثة ملايين كان نحو ثلاثين مليوناً فاضحى نحو ٣٣ مليوناً وزاد في بنك اسبانيا نحو مليونين ونصف كان ١١ مليوناً فاضحى ١٣ مليوناً ونصف مليون وزاد في خزينة الولايات المتحدة الاميركية ٢٣ مليوناً كان ٥٦ مليوناً فاضحى ٦٩ مليوناً ولكنهُ نقص في بنوكها نحو خمسة ملايين

موقع اوفير

جاء في التوراة ان الملك سليمان عمل سفناً في عصيون جابر بجانب ايلة على شاطئ بحر سوف (البحر الاحمر) في ارض ادوم فارسل حيرام (ملك صور) في السفن عبيدهُ النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فاتوا الى اوفير واخذوا من هناك ذهباً اربع مئة وعشرين وزنة واتوا بها الى الملك سليمان . وقيل بعد ذلك ان سفن حيرام التي حملت ذهباً من اوفير اتت من اوفير بخشب الصندل كثيراً جداً و بحجارة كريمة . وقيل قُبيل ذلك ان سفن ترشيش كانت تأْتي مرةً كل ثلاث سنوات حاملة ذهباً وفضةً وعاجاً وقروداً وطواويس

وقد اختلف الباحثون في موقع اوفير هذه فذهب البعض الى انها في بلاد الهند لذكر خشب الصندل مع الذهب وهو لا يوجد الآن هناك وذهب آخرون الى انها في شرقي افريقية الجنوبية . وقد اثبت الدكتور

كارل بيترس الرحالة الالماني ان موقع اوفير على نهر زمبيسي ذاهبًا في ذلك مذهب المستر بنت كما اوضحناهُ غير مرة . ولا شبهة في ان الذهب كان يستخرج من هناك بكثرة ولم تزل آثار مناجمهِ ومسابكهِ حتى الآن وهذه الآثار قديمة جدًّا. ولكن لا دليل على انها سامية الاصل . قالت جريدة ناتشر في هذا الصدد "ولم يذكر الدكتور بيترس حتى الآن كل الادلة التي وجدها على ان اوفير في افريقية اما الادلة على ان اوفير في الهند فوجود خشب الصندل مع الذهب الذي كانت تأتي بهِ سفن حيرام وهو خاص ببلاد الهند ولكن القرود والطواويس التي كانت السفن تاتي بها من قرب اوفير تدلُّ على ان ذلك المكان كان اقرب من الهند الى فلسطين لان الطواويس لا تحتمل سفر البحر اشهرًا في سفن مكشوفة"

هبة فلكيَّة

وهب المسيو روفائيل بشوفشيم مدرسة باريس الجامعة مرصدهُ في مدينة نيس وهو يساوي مليونين وسبع مئة الف فرنك ووهبها ايضًا مليونين وخمس مئة الف فرنك لكي تنفق عليهِ من ريعها ومجموع هذه الهبة اكثر من مئتي الف جنيه

التلغراف الاثيري في افريقية

استعمل الانكليز التلغراف الاثيري في جنوبي افريقية فبعثوا بهِ الرسائل البرقية مسافة سبعين ميلاً من غير اسلاك . واستحضر البوير ست آلات من آلات مركوني فعلم بها الانكليز قبل وصولها وقبضوا عليها في مدينة الراس

النيل والسد

نشرنا في هذا الجزء تقرير السر وليم جارستن عن النيل وشحهِ هذا العام وما ينتظر من زيادة الشح الى ان يرد ماء الفيضان وقد ذكرنا قبلاً ان حكومة السودان بعثت اناسًا يزيلون السد من بحر الزراف حتى يصل ماء نيل فكتوريا الى البحر الابيض بهِ ولا يجري في بحر الجبل و يضيع اكثرهُ في المستنقعات التي على جانبيهِ (انظر الرسم التالي) وقد ارسل القائمقام بيك بك تلغرافًا من نقطة الجبلين على النيل الابيض في اواخر يناير قال فيهِ "شرعت في ٣١ الماضي في ازالة السد على عرض ٩ درجات و ٢٩ دقيقة عن المكان الذي ابتدأ منهُ الحاجز في العام الماضي فازلت ١١٠٠ يرد من السد الى ٤ يناير الحالي . ثم ازلت الحاجز الثاني واتممت عملي فيهِ يوم ١٨ الجاري وكان ممتدًّا مسافة ١٢٥٠ يردًا ولم اقس الحاجز الثالث بعدُ ولكنني ازلت منهُ ١٠٠٠ يرد ثم . و يسير بحر الجبل بين جسرين جافين وعمقهُ يختلف بين ١٨ قدمًا و ٢٨ وعرضهُ بين ٦٠ قدمًا و ١٠٠ قدم

والماء الذي ينصرف منهُ يبلغ ٤٠٠ قدم مكعبة في الثانية الواحدة من الزمان"

هذا ما اخبرت بهِ الحكومة الجرائد اليومية وظاهرهُ ان الذين ذهبوا لازالة السد اخذوا يزيلونهُ من بحر الجبل لا من بحر الزراف معاً ان المستر ولكوكس اقترح ان يزال من طرف بحر الزراف عند التقائهِ ببحر فكتوريا كما ترى في هذا الرسم. ثم قال بيك بك في آخر تلغرافهِ الى الكبتن كاج قال لهُ انهُ يمكنهُ ان يفتح بحر الجبل من الآن الى آخر

اشرنا الى السد بالريش الذي على جانبي الخطوط البيضاء فكل بحر ترى خطوطاً دقيقة على جانبيهِ كالريش ففيهِ سد في ذلك المكان

ابريل الآتي

وقد كان لهذا التلغراف شأن كبير في هبوط ثمن القطن بعد ان غلا غلوًّا فاحشاً لان القلوب اطمأنت بقرب ازالة السد وغزارة المياه ولكن الذين فهموا ذلك من التلغراف بادئ بدء وجدوا بعد امعان النظر ان الامر ليس على حسب ما فهموا وان اربع مئة قدم مكعبة في الثانية ليست شيئاً يذكر لانها اقل من ١٢ متراً مكعباً فهي مثل ما يصرف من ترعة غير كبيرة فعاد الناس الى قلقهم لقلة الماء وعادت الاسعار الى الارتفاع

الاستاذ مكاستر

انسنا بلقاء العلاَّمة المفضال الاستاذ مكلستر استاذ التشريح في مدرسة كمبردج الجامعة وصاحب التصانيف الكثيرة في علم التشريح وعلم الحيوان والفسيولوجيا. جاء القطر المصري مع عائلتهِ الكريمة لترويح النفس ومشاهدة الآثار المصرية وهو من العالمين بها

حرق الموتى

لا يزال العلماء يشيرون بحرق اجسام الموتى حاسبين حرقها خير الاساليب للتخلص منها . قال السر هنري طمسن " ان جسد الميت ينحلُّ الى حامض كربونيك وماءٍ وامونيا وبعض المواد الترابية فما هو الاسلوب لحلهِ بسرعة وسلامة ومن غير كراهة " وبديهي ان حلهُ موضوعاً في لحد او مدفوناً تحت التراب لا يفي بالمراد لانهُ لا ينحل سريعاً ولا انحلالهُ كذلك خالٍ من الضرر والروائح الكريهة . لكن المرء يكره حرق عزيزهِ ولو علم ان جسدهُ يفسد سريعاً اذا لم يحرق ويصير جيفة لا تطاق . وقد تمضي سنون كثيرة قبلما تزول هذه الكراهة من النفس ويألف الناس حرق موتاهم كما الفهُ الهنود

تاريخ الامير حيدر

يعلم ابناء الشام بنوع عام وابناء لبنان بنوع خاص ان الامير حيدر الشهابي الّف تاريخاً مسهباً منذ ستين او سبعين عاماً جمع فيهِ اخبار الامويين والعباسيين والفاطميين والترك والمغول والشراكسة والصليبيين والتنوخيين والمعنيين والشهابيين الى حكم الامير بشير الشهابي الكبير . وساعدهُ في جمعهِ وتنقيحهِ العلامة اللغوي احمد فارس الشدياق . وقد اعتمد فيهِ على اشهر التواريخ المتداولة وغير المتداولة كتاريخ الطبري وابي الفرج والمسعودي وتاريخ الروم وتاريخ صاحب صور وتاريخ ابن شباط النقيه العاليهي وتاريخ البيعة وجعلهُ ثلاثة اجزاء كبيرة. وهذا التاريخ نادر جداً فقضى حضرة صديقنا الاستاذ نعوم مغبغب عشر سنوات في التفتيش عنهُ وبذل النفس والنفيس حتى ظفر بنسخة كاملة منهُ وقد اطلعنا عليها فاذا هي كتاب كبير اذا طُبع جاء قدر مجلد من مجلدات المقتطف وقد عزم على طبعهِ بحرف مثل حرف المقتطف وقطع مثل قطعهِ وفتح باباً للاشتراك فيهِ وجعل ثمنهُ للمشتركين اربعين غرشاً اميرياً او ١١ فرنكاً تدفع سلفاً ويقفل باب الاشتراك في اواخر ابريل. فعسى ان يقبل ابناء العربية على اقتناء هذا الكتاب النفيس

مستوصفات باستور

صار في فرنسا الآن ثمانية من مستوصفات باستور لمعالجة الكَلَب الاول في باريس والثاني في الجزائر والثالث في تونس والرابع في منبليه والخامس في مرسيليا والسادس في

بوردو والسابع في ليل والثامن في ليون وقد فتح الاخير في غرة يناير . ويوجد الآن ست مستوصفات في روسيا في بطرسبرج وموسكو وسمارا وخاركوف وورسو واودسا . وخمسة في ايطاليا في بولونا وميلان ونابلي وبالرمو وتورين واثنان في النمسا والمجر في فينا وبودابست . ويوجد مستوصفات اخرى في سرقوسة ومالطة وبخارست والقسطنطينية وحلب وتفليس والقاهرة . وثلاثة في اميركا الشمالية في نيويورك وشيكاغو وهافانا واثنان في اميركا الجنوبية في ريو جنارو وبونس ايرس

بدء القرن العشرين

تكلمنا في باب المسائل في هذا الجزء على بداءة القرن العشرين وابنا هناك ان العلماء متفقون الآن على ان هذه السنة هي السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر لا السنة الاولى من القرن العشرين كما حكم امبراطور المانيا . والظاهر انهُ كثر الخلاف في هذه المسألة سنة ١٨٠٠ فحكم لالند الفلكي الشهير وكان استاذ الفلك في مدرسة باريس الجامعة ان القرن التاسع عشر يبتدئ في غرة يناير سنة ١٨٠١ وعليهِ فالقرن العشرون يبتدئ في غرة يناير المقبل سنة ١٩٠١

الكسوف المقبل

تكسف الشمس في الثامن والعشرين من شهر مايو المقبل ويرى هذا الكسوف كليًّا في بلاد الجزائر واواسط اسبانيا والبرتغال وشمالي اميركا وقد اخذ علماء الفلك في كل الاقطار يستعدون للرحلة الى الاماكن التي يرى فيها ليراقبوهُ منها

الجوائز العلمية الفرنسوية

تعطى الجوائز كل سنة في فرنسا للعلماء الذين يؤلفون كتبًا مفيدة او يكتشفون اكتشافات نافعة ومن الجوائز التي تعطى هذا العام جائزة مئة الف فرنك لمن يكتشف ترياقًا للكوليرا الاسيوية او يكتشف لها اسبابًا يمكن ازالتها فتزول هي معها . ومنها جائزة قدرها ٩٧٥ فرنكًا لمن يبحث احسن بحث في الحيوانات غير الفقرية الموجودة في مصر وسورية . اي ان الفرنسويين يجيزون من يبحث عن علل امراضنا وطبائع حيواناتنا ونحن متقاعدون عن ذلك ونلوم الحكومة اذا انفقت غرشًا في هذا السبيل

موتمر مصوري الشمس

يهتم مصورو الشمس بعقد موتمر عام في معرض باريس هذا العام وقد تألفت لجنة للبحث في ذلك برئاسة المسيو جانسن الفلكي وسيكون بحث المؤتمر في خمسة مواضيع مهمة وهي (١) المسائل الطبيعيَّة المتعلقة بالفوتوغرافيا (٢) المواد المستعملة فيها (٣) الكيميا الفوتوغرافية (٤) الكتب الموضوعة في هذا الفن (٥) المسائل الشرعية والصناعية المتعلقة بهِ .

والدخول في هذا المؤتمر مباح لكل المصورين ورسم الدخول عشرة فرنكات لاغير

علاج الكلب

عولج في العام الماضي ١٤٦٥ نفساً في مستوصف باستور في باريس من داء الكلب فتوفي منهم ثلاثة لا غير وشفي الباقون وقد عولج في العام الذي قبله ١٥٢١ فمات منهم ٦ وفي الذي قبله ١٣٠٨ فمات منهم ٤

اتوموبيل جديد

صنع اتوموبيل جديد في فرنسا فيهِ آلة بخارية صغيرة يوقد فيها البترول وفيهِ آلة كهربائية تخزن فيها القوَّة فاذا زادت قوة الآلة البخارية على حاجة الاتوموبيل تحوَّلت القوَّة الزائدة الى كهربائية وذخرت في الآلة الكهربائية لتستعمل حين الحاجة اليها

مركز ذاكرة الاسماء

استدلَّ احد العلماء النمسويين ان في الدماغ مركزاً خاصًّا بحفظ الاسماء فيحفظها ويتذكرها وقد ثبت ذلك حديثاً فان رجلاً اصيب برصاصة في رأسهِ فنسي اسماء الاشياء وبقي يعرف اوصافها ثم ان الجرَّاح بحث عن الرصاصة فوجدها مستقرة على المركز الذي قال عنهُ العالم النمسوي فلما استخرجها وزال ضغطها عن ذلك المركز عاد الرجل الى تذكُّر الاسماء

الخزف الصيني المصري

بحث العلماء طويلاً في هل كان المصريون يعرفون كيفية عمل الخزف الصيني فقال المسيو برونيار في كتابهِ المشهور في عمل الخزف ان كل قطع الخزف الصيني التي وجدت في القطر المصري هي من اصل صيني . وقد بحث المسيو شاتليه في هذا الموضوع الآن بانيًا بحثهُ على تماثيل صغيرة وجدت في سقارة فقال ان خزفها صيني وهي مصنوعة في القطر المصري من غير ريب وتختلف في تركيب خزفها عن الخزف الصيني الذي يصنع في الصين . ثم صنع خزفاً مثلهُ من ٥٥ جزءا من الرمل و٥ من الطين الابيض واربعين من الزجاج الازرق وشواهُ على درجة ١٢٠٠ من الحرارة

شركات السكورته

كان في بلاد يابان سنة ١٨٩٠ اربع شركات فقط من شركات السكورته (الضمان) راس مالها مليون و٦٠٠ الف ريال فصار فيها سنة ١٨٩٨ ثلاث وسبعون شركة راس مالها نحو خمسة وثلاثين مليوناً من الريالات وهذه الشركات كلها يابانية

ما يشرب من البيرة

يشرب الالمانيون في سنتهم نحو ١٤٠٠ مليون جالون من البيرة والانكليز ١٢٠٠ مليون والفرنسويون ٢٠٠ مليون والروسيون ١٠٠ مليون . ويشرب البلجي ٣٦ جالوناً في

السنة والانكليزي ٣٠ جالوناً والالماني ٢٥ والدنمركي ٢١ والسويسري ١٢ والاميركي ١٠ والهولندي ٩ والفرنسوي ٥ والاسوجي ٢ والروسي ١

تجارة القطن في العام الماضي

قالت جريدة الايكونومست الشهيرة ان عام ١٨٩٩ كان من اكثر الاعوام ربحاً للمشتغلين بالقطن منذ عشرين سنة الى الآن فربح الغزالون الذين يغزلون القطن الاميركي والذين يغزلون القطن المصري ربحاً لم يعتادوهُ وكذلك ربح النساجون سواء كانوا ينسجون مما يغزلونهُ او يبتاعون الغزل وينسجونهُ مع ان ثمن القطن كان غالياً. وقد قدَّر المستر هنري نيل موسم اميركا احد عشر مليون بالة ولكن بريس ومكرماك وشركاؤُهم قدَّروهُ بتسعة ملايين بالة . (وقد ترجح التقدير الاخير او ما يقاربهُ) فارتفعت الاسعار رويداً رويداً وفي ظن الغزالين ان الموسم لا يزيد على عشرة ملايين بالة . وقد ارتفع سعر القطن المصري في آخر السنة لكثرة ما ابتاعهُ الغزالون منهُ ولانهُ يظن ان الموسم المقبل يكون قليلاً

وقد اشترى تجار الهند كثيراً من المنسوجات حتى بلغ ما اخذوهُ ٤٣ في المئة مما صدر من انكلترا فنسجت الانوال كل ما غزلتهُ المغازل. وقد بلغ ما اخذتهُ الهند نحو ٢٣٢٠ مليون يرد وكان ما اخذتهُ في العام الماضي نحو ٢٢٤٦ مليون يرد

القطبة الجنوبيَّة

من ابدع ما نشر في غرة هذا العام مقالة بقلم الدكتور فردرك كوك الاميركي وصف فيها سفر البعثة البلجية الى انحاء القطبة الجنوبية ونشرها في جريدة السنتشري الاميركية واودعها من اخبار النوادر التي وقعت لهم والمخاطر التي وقعوا فيها ما يقرب من رحلة الدكتور نتسن الى القطبة الشمالية وقد اكتشفوا كثيراً من الجزائر والجبال التي لم تعرف من قبل ورأَوا جبال الثلج سائرة في البحر وكادت تغرق سفينهم مراراً ورأَوا طيور البحر المعروفة بالبنغوين وهي قصيرة الجناح تقف على اقدامها منتصبة كانها الانسان في انتصاب قامتها او قناني الشراب في شكلها . وقد سموا الاماكن التي اكتشفوها باسماء بعض المشاهير مثل جزيرة نتسن وجزيرة فانوك وجزيرة اندره وخليج نومير ورأَوا الشفق القطبي مراراً واستطاع الكاتب مرة ان يصور تلك الاصقاع صورة فوتوغرافية في وسط الليل وكانت الشمس تحت الافق ولكن نورها كان يصبغ وجه السماء بلون ذهبي بديع

وسيكون لما اكتشفتهُ هذه البعثة وجمعتهُ من الحجارة والمعادن ونحوها شأْن كبير في ما يختص بتلك البلاد جغرافياً وجيولوجياً

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢٩ شوال سنة ١٣١٧

البعوض وطبائعهُ

لا يستخفنَّ الفتى بعداوة ابداً وان كان العدوُّ ضئيلا
ان القذى يؤذي العيونَ قليلُهُ ولربما جرحَ البعوضُ الفيلا

ولو بُعِث ابو الفتح البستي ناظم هذين البيتين ورأَى علماءَ الطب والميكروبات يضربون في ايطاليا والهند وغربي افريقية يبحثون عن البعوض وكيفية تولدهِ ونشرهِ الحميات الاجمية التي تفتك بالالوف بعد ان تصيب الملايين لوجد الى التمثيل سبيلاً اوسع ولزاد على ما قالهُ بعضهم

لا تحقرنَّ صغيراً في عداوتهِ ان البعوضة تدمي مقلةَ الاسدِ

ان البعوضة تنغص كأْس الحياة وتورد الناس موارد الهلاك ولكن ليس كل البعوض في ذلك شرعاً ولو كان كلهُ مؤْلماً مؤْذياً

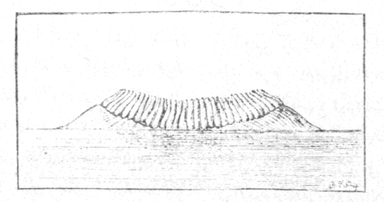
والذين تكلموا عن البعوض من علماء العرب وصفوهُ وصفاً حسناً. قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى انهُ على خلقة الفيل الاَّ انهُ اكثر اعضاءً من الفيل فان للفيل اربع ارجل وخرطوماً وذنباً وللبعوض مع هذه الاعضاء رجلان زائدتان واربعة اجنحة . وخرطوم الفيل مصمت وخرطومهُ مجوَّف ولذلك اشتدَّ عضهُ وقوي على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز

مثل السفاة دائماً طنينُها رُكب في خرطومِها سكينُها

ومما الهمهُ الله تعالى انهُ اذا جلس على عضو من اعضاء الانسان لا يزال يتوخَّى بخرطومهِ المسام التي يخرج منها العرق لانها ارق بشرةً من جُلد الانسان فاذا وجدها وضع خرطومهُ فيها وفيهِ من الشره ان يمصَّ الدم الى ان ينشقَّ ويموت او الى ان يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكهِ

ومن عجيب امرهِ انهُ ربما قتل البعير وغيرهُ من ذوات الاربع فيبقى طريحاً في الصحراء فتجتمع السباع حولهُ والطير التي تأكل الجيف فمن اكل منها شيئاً مات لوقتهِ . وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذب بالبعوض فيأخذ من يريد قتلهُ فيخرجهُ مجرَّداً الى بعض الآجام التي بالبطائح ويتركهُ فيها مكتوفاً فيقتل في اسرع وقت واقرب زمان " انتهى قول الدميري

وزعم الجاحظ في كتاب الحيوان ان الذباب يأكل البعوض ونقل عن محمد بن الجهم ان الذبابة تأكل البعوض تصيدهُ وتلقطهُ وتفنيهِ . وذكر ابن الجهم كيف اكتشف ذلك قال "اني كنت اريد القايلة فامرت باخراج الذبان وطرح الستر باغلاق الباب قبل ذلك بساعة فاذا أُخرجن حصل في البيت البعوض وقوي سلطانهُ وقوتهُ فكنت ادخل الى القايلة فيأكلني

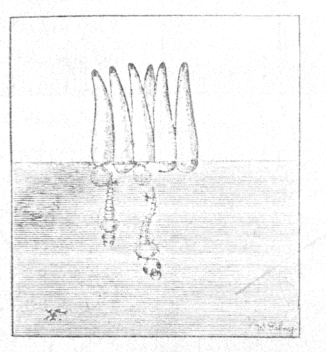


(١) بيوض البعوض

البعوض اكلاً شديداً فاتيت ذات يوم المنزل في وقت القايلة فاذا ذلك البيت مفتوح والستر مرفوع وقد كان الغلمان اغفلوا ذلك في يومهم فلما اضطجعتُ للقايلة لم اجد من البعوض شيئاً فنمت في عافية فلما كان من الغد عادوا الى اغلاق الباب واخراج الذبان فدخلت التمس القايلة فاذا البعوض كثير . ثم اغفلوا اغلاق الباب يوماً آخر فلما رأيتهُ مفتوحاً شتمتهم فلما صرت الى القايلة لم اجد بعوضةً فقلت في نفسي قد اراني نمت في يومَي التضييع وامتنع مني النوم في ايام التحفظ والاحتراس فلمَ لا اجرب ترك اغلاق الباب في يومي هذا فان نمت ثلاثة ايام لا القى من البعوض اذًى مع فتح الباب علمت ان الصواب في الجمع بين الذبان والبعوض فان الذبان تفنيهِ وان صلاح امرنا في تقريب ما كنا نباعدهُ ففعلت ذلك فاذا الامر قد تمَّ فصرنا اذا اردنا اخراج الذبان اخرجناها بايسر حيلة واذا اردنا افناء البعوض افنيناهُ بايسر حيلة " . انتهى ما نقلهُ الجاحظ عن ابن الجهم وفيهِ استدلال حسن لو كان كاملاً

والمعروف الآن ان البعوض انواع كثيرة منتشرة في كل البلدان والاقاليم من سيبيريا والاسكا شمالاً الى خط الاستواء والى اقصى البلدان الجنوبية . وقد عرف العلماء مئة وخمسين نوعاً منها على الاقل وهي من الحشرات التي تعيش في الماء والهواء فتولد في الماء وتقيم فيهِ ما طابت لها الاقامة ثم تغير شكلها وتركب اجنحة الرياح

فاذا شعرت البعوضة انها حامل وقد حان الوقت لتبيض وتخلف نسلاً ذهبت تفتش عن الآجام والمستنقعات التي فيها ماء كثير لا يجف وقليل لا يعيش فيهِ السمك حتى اذا وجدت ما تطلبهُ باضت بيوضها واحدة بعد الاخرى والصقتها بعضها ببعض بمادة صمغية حتى تصير



(٢) العوم خارجة من البيض

كالقارب . والبيوض صغيرة دقيقة مثل علامة التعجة في هذا النوع من الحرف او اقصر منها اذا نظرت اليها عن جنب بانت مثل الجسم المرتفع في الشكل الاول وهي مكبَّرة اضعافاً كثيرة والماء مرتفع معها من جانبيهِ . ويبلغ عدد البيوض التي تبيضها البعوضة الواحدة مئتي بيضة الى ثلثمئة ويكون مجموعها اصغر من فلقة العدسة

وبعد يومين او ثلاثة تنفتح افواهُ هذه البيوض وتخرج العوَم او الدعاميص منها كما ترى في الشكل الثاني . والبيوض والعوَم التي فيهِ مكبَّرة اربعين قطراً . وما من احد الاَّ ورأى هذه العوَم في الماء الراكد وان لم يكن قد رآها قبلاً فيحسن بهِ ان يضع كاساً من الماء في غرفتهِ ويتركها اربعة ايام او خمسة فانهُ يرى فيها حينئذٍ كثيراً من العوَم الصغيرة وهي تسبح وتتلوَّى

وتكبر يوماً بعد يوم . واذا اراد ان يقبض عليها فرَّت من بين اصابعهِ كالزيبق الفرار . لكنها تستحق ان يبذل الجهد في القبض عليها والنظر اليها بالميكرسكوب فاذا قبض على واحدة منها ووضعها في نقطة ماء صغيرة تحت الميكرسكوب رأى لها رأساً مستديراً وعينين سوداوين وصدراً ضخماً وبدناً كثير المفاصل تنتأ منهُ اهلاب كالشعر

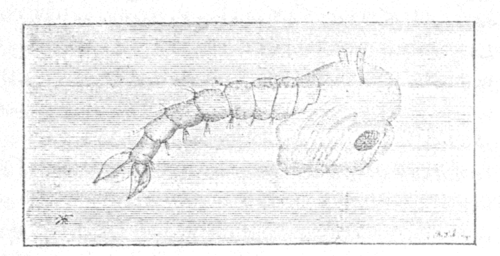
ترى في الشكل الثالث صورة عومة من هذه العوم وقد بلغت اشدها وطولها حينئذٍ نحو سنتيمتر ولذلك فالعومة المرسومة هنا مكبرة كثيراً. ولها في طرف رأسها مما يلي فاها اشناب تتحرك دواماً فتحرك الماء وتجعلهُ يرد اليها بما فيهِ من الغذاء من الحشرات والديدان الصغيرة لان عوم البعوض شرهة مثلهُ تأكل كثيراً ولولا ذلك ما كانت تكبر سريعاً وهذه الاشناب بمثابة الايدي لها

وفي ذنب هذه العومة عضوان غريبان الواحد ظاهر فوق الماء كأنهُ زهرة الاقحوان وبهِ تتنفس لانها لا تعيش ما لم تتنفس الاكسجين من الهواء وانفها في ذنبها لا في رأسها لان رأسها مشغول بالاكل الدائم حتى تبلغ اشدها باسرع ما يمكن من الوقت مخافة ان يجف الماء

(٣) عومة مكبرة كثيراً

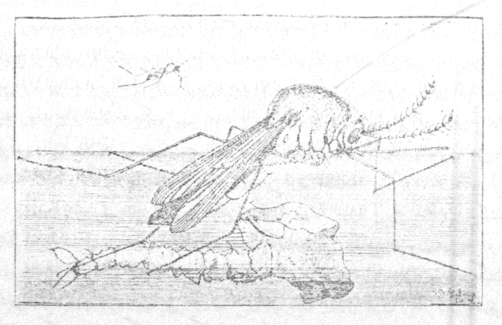
قبل ذلك. وليس لها رئتان مثل الانسان وغيرهِ من الحيوانات الكبيرة فيجري الهواء الذي تتنفسهُ في بدنها كلهِ ليطهر دمها . والفرق بينها وبيننا ان دمنا يجري من بدننا الى الرئتين ليتطهر فيهما بالهواء واما هي فيجري الهواء في بدنها الى دمها ليطهرهُ . وفي اعلى ذنبها اوراق او مصاريع تفتح لدخول الهواء ثم تقفل لتمنع دخول الماء . فاذا صعد ذنبها فوق الماء فتحتهُ اولاً واخرجت الهواء الفاسد منهُ وجمعت فيهِ هواء نقياً واغلقت مصاريعهُ وعادت الى قلب الماء وتحت هذا الذنب او الانف عضوٌ آخر بارز في الماء لهُ اربع شعب تتحرك في الماء وهي

بمثابة المجاذيف والدفة تسيرها في الماء وتنتقل من جهة الى أخرى وهي اشبه باللولب في السفن ذات اللولب منها بالمجاذيف . ويظهر حسن احكامها من السرعة التي تسير فيها هذه العوم في الماء



(٤) العومة قبل ان تصير بعوضة

ويمضي على العومة عشرة ايام الى عشرين يوما وهي في هذه الحالة ثم تنتقل الى حالة أُخرى ولذة العيش بالتنقل فيختلط رأسها بصدرها وتصير كما ترى في الشكل الرابع وهو مكبر كثيرًا



(٥) البعوضة حال خروجها من الماء

وتتصور حينئذٍ بصورة أُخرى وهي صورة البعوضة التي تخرج منها ولكنها تبقى مدة قبل ان تصير بعوضة تامة ويكون شكلها حينئذٍ على غاية القبح وينسد فمها وتصوم عن الطعام ولا تعود

تتنفّس من ذنبها كما كانت تتنفس وهي عومة بل ينبت لها قرنان في اعلى رأْسها تتنفس منهما كما ترى في الشكل الرابع. ولا يطول عليها المطال في هذه الحالة او في هذا التقمص بل ينشق غلاف ظهرها بعد يوم او يومين وتخرج منهُ بعوضة كاملة كما ترى في الشكل الخامس. وترى صورتها فيهِ مكبرة وقد خرجت من الغلاف الذي كانت فيهِ وصورتها فوق ذلك صغيرة حسب قدها الطبيعي. ويكون جسمها رطباً حال خروجها ولكنهُ يجف حالاً فتبسط جناحيها وتنتقل من عنصر الماء الى عنصر الهواء

والبعوض ذكور واناث مثل سائر الاحياء ومن الغريب ان الضار منهُ اناثهُ لا ذكورهُ فان الذكور زاهدة تكتفي بأَرْي الازهار وعصار الاثمار ولذلك لا نراها في البيوت الاَّ نادراً وتمتاز عن الاناث بالشعر الغزير في قرونها. اما الاناث فتكثر في البيوت وتمتص الدم من الانسان والحيوان وسنبين كيفية ذلك في الجزء التالي ونبين فيهِ ايضاً كيف تدخل جراثيم الحميات بدنها وتنتقل بها من المريض الى السليم

التلغراف الاثيري

خطب السنيور مركوني خطبة انيقة في هذا الموضوع في الثاني من شهر فبراير جاء فيها على تاريخ التلغراف الاثيري من اول ما عُرفت مبادئهُ الى الآن فقال ان اول مبدإٍ من مبادئهِ هو ما اشار اليهِ امبَر العالم الكهربائي من وجود الاثير في الكون وان الظواهر الكهربائية حركات فيهِ. وقد جاء العلاَّمة مكسوَل بعدهُ فاثبت هذا الرأي بالدليل الرياضي وتبعهُ العلاَّمة هرتس واثبتهُ بالامتحان. ثم تدرَّج التلغراف الاثيري في سلَّم الارتقاء النظري حتى صار حقيقة عملية واستولينا بواسطتهِ على قوة عظيمة من قوى الطبيعة

ومهما اطنبنا في مدح العلاَّمة هرتس واعجبنا بقواهُ العقلية لم نوفهِ حقهُ فانهُ اكتشف اعظم اكتشاف في علم الكهربائية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر

والعالِم الكهربائي الذي ضُمَّ الى آبائهِ في الاسبوع الماضي وهو الاستاذ هيوز كاد يكتشف التلغراف الاثيري ولو واظب على التجارب العلمية في ذلك السبيل لقُرن اسمهُ الآن بالتلغراف الاثيري كما هو مقرون بكثير من المكتشفات الكهربائية

ولما اثبت هرتس بالامتحان منذ ثلاث عشرة سنة ان النور والكهربائية شيءٌ واحد وابان كيف نكتشف الامواج الاثيرية وكيف نحدثها صار التلغراف الاثيري شيئاً ممكناً. ولكن

بقي اكتشاف هرتس غامضا عن كثيرين بضع سنوات ولذلك تأخر انتاج التلغراف الاثيري منهُ

ونجاح هذا التلغراف الآن اعظم مما كنا ننتظر منذ خمس سنوات وهو دليل كاف على ان ما ينتظر منهُ هو في حيز الامكان ولو كنا لم نزل في البداية ولا نعلم مقدار ما نصل اليهِ في المستقبل . وكلكم يعلم ان الناس حاولوا من قديم الزمان ارسال الاخبار من مكان الى آخر من غير واسطة ظاهرة ولكن ارسالها بواسطة امواج الكهربائية المعروفة بكهربائية هرتس حديث جدا . ولا يسعني الوقت لاذكر تاريخ هذا الاكتشاف ودرجات ارتقائهِ . واذا تركت هذا التاريخ وما يتعلق بهِ من ذكر الاولية في الاكتشاف فلا يكون ذلك لان مجال البحث ضيق ولا كلام لي لاقولهُ فيهِ بل لانني افضل ان اجتزي عنهُ بذكر الدرجات الاخيرة من ارتقائهِ التي تخطاها في الشهور الاخيرة

ثم اسهب في وصف الآلة التي سميناها بالجامع وهي التي اصلحها حتى صارت تفي بالغرض ولولا ذلك لبقي التلغراف الاثيري في حيز النظر. وقال بعد ذلك اني ابنت في العام الماضي ان المسافة التي ترسل فيها الانباء البرقية من غير اسلاك تختلف كمربع ارتفاع السلك العمودي وان هذه القاعدة تقريبية فقط ثم ثبت ذلك بالامتحان فقد كنا نرسل هذه الانباء البرقية مسافة ١٨ ميلاً على ارتفاع ٧٥ قدماً ثم ارسلناها مسافة ٨٥ ميلاً على ارتفاع ١٥٠ قدماً . فلو كانت القاعدة المتقدمة صحيحة تماماً لوجب ان تكون المسافة ٧٢ ميلاً فقط لا ٨٥ ميلاً ولكنها تقريبية كما قلت وخللها في جهة الكسب لا في جهة الخسارة اي ان المسافة تزيد بازدياد الارتفاع اكثر مما تدلُّ عليهِ القاعدة المذكورة . والمكانان اللذان بينهما مسافة ٨٥ ميلاً الفاصل بينهما بحر وهو مرتفع في وسطهِ اكثر من الف قدم بتحدُّب سطح الارض فلو كانت الامواج الكهربائية تسير في خط مستقيم فقط لما امكننا ان نرسلها من مكان الى آخر يبعد عنهُ ٨٥ ميلاً ما لم يكن ارتفاع المكانين الف قدم عن سطح البحر

ثم ذكر الخطيب ان لفائف الحدَّة العادية لا تصلح للتلغراف الاثيري ولذلك اضطرَّ ان يغيرها حتى وفت بالغرض وان اللفافة التي استنبطها تزيد المسافة عشرة اضعاف عما تكون بدونها . وافاض في وصف الفوائد التي نتجت من استعمال هذا التلغراف في السفن المشرفة على الغرق وقال ان باخرة فرنسوية كانت تغرق بالامس فنجا من فيها بواسطة رسالة تلغرافية بالتلغراف الاثيري ونجا ما فيها من الشحن وثمنهُ ٥٢٥٨٨ جنيهاً كما ثبت في مجلس القضاء وهذا وحدهُ يكفي لوضع آلات التلغراف الاثيري في كل المنائر البحرية. واشار الى اهتمام الحكومة الفرنسوية بامتحان التلغراف الاثيري في بوارجها والى امتحانهِ وقت استعراض البوارج الانكليزية وقال انهُ

أُرسلت الرسائل البرقية بين تلك البوارج مسافة ستين ميلاً بين البارجة المسماة اوربا والبارجة المسماة جونو . وهذه ليست اطول مسافة يمكن التخاطب فيها لانهُ امكن التخاطب بين البوارج على مسافة ٧٤ ميلاً بحريًّا اي ٨٥ ميلاً اعتياديًّا . وتحدُّب الارض لا يمنع ارسال الاشارات البرقية فيسهل على سفينتين ان تتخاطبا بالتلغراف الاثيري ولو لم ترَ احداهما الاخرى لبعد المسافة بينهما وكون كل واحدة منهما تحت افق الاخرى

ولما التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في دوڤر في شهر سبتمبر الماضي ومجمع ترقية العلوم الفرنسوي في بولون تخاطبا بالتلغراف الاثيري والمسافة بينهما ثلاثون ميلاً وفيها صخور شاهقة فلم تمنع انتقال الامواج الكهربائية

ووصف استعمال التلغراف الاثيري في اميركا وقت السباق البحري الذي جرى بين اليخوت على الكاس الاميركية وقال انهُ نجح فيها ولكن نجاحهُ لم يكن تامًّا لانهُ لم يستطع ان يستعمل في اميركا كل الاصلاحات الحديثة التي اتصل اليها في اوربا قبل ان يأخذ امتيازًا بها من الحكومة الاميركية

ثم وصف استعمال التلغراف الاثيري في حرب الترنسفال وقال ان العمال صنعوا طيارات اطاروها وجعلوا يرسلون الامواج الكهربائية بها فخبط عملهم اولاً لان الطيارات لم تفِ بالغرض ولاسيما لانها كانت غير متقنة واذا طارت واحدة منها في هذا المكان فقد لا تطير الاخرى في المكان الاخر الذي يراد التخاطب معهُ ولكنهم واظبوا في اصلاح الطيارات حتى استطاعوا ان يرسلوا الاخبار بها مسافة سبعين ميلاً من ده آر الى نهر اورنج ثم تمكنوا من نصب الاعمدة فصار ارسال الاخبار اسهل من ذي قبل . وانكر ما يقال من ان عند البوير آلات للتلغراف الاثيري وقال ان الآلات التي قبضت عليها الحكومة الانكليزية في الطريق صنعت في المانيا وقد امتحنت فلم تفِ بالغرض وهو لم يبع البوير شيئًا من آلاتهِ ولا يظن ان احدًا باعهم شيئًا منها

وبعد ان وصف نجاح التلغراف الاثيري في كل التجارب التي جربت في الشهور الماضية في اوربا واميركا قال لقد تكلمت عما تمَّ حتى الآن ولا اريد ان اقول شيئًا عما يمكن ان يتم في المستقبل القريب او البعيد. ولكنَّ هناك امرًا انا واثق بهِ وهو ان النجاح الذي سيتمُّ لنا هذا العام يفوق النجاح الذي تمَّ لنا في العام الماضي. وانا واثق ايضًا ان ارسال التلغرافات الاثيرية سيشيع في البحر شيوع التلغراف البر

رواية تنكرد

القسم الثاني

الفصل الاول

مضى اسبوع الاحتفال وانفرط عقد المدعوين ولم يبقَ منهم الاَّ الاقارب الادنون الوافدون من اماكن بعيدة . وكان قلب الدوقة طافحاً سروراً وهي تترقَّب الفرص لكي تتكلم مع ابنها وتخبره عمَّن اختارتها زوجةً لهُ . فارسلت تدعوهُ اليها فقيل لها انهُ في مكتبة ابيهِ فتبسَّمت وهي تحسب ان اباهُ كان يخبرهُ حينئذٍ بما دار بينهما من الحديث

وكان الدوق في مكتبتهِ واكثر ما فيها تقارير سياسيَّة وكتب شرعية وادبيَّة وخرائط وتماثيل وهو جالس على كرسيهِ وقد ابعدهُ عن مكتبهِ بغتةً وبدت على وجههِ دلائل الحيرة وابنهُ واقف امامهُ متكئ بيدهِ اليسرى على طنف الموقد وهو ممتقع الوجه يظهر عليهِ الاهتمام بامرٍ ذي بال

قال الدوق لابنهِ "لقد ادهشتني فاني كنتُ احسب انك تسرُّ بذلك غاية السرور"[1] فحنى رأسهُ قليلاً ولم يفه بكلمة وبقي ابوهُ يتكلَّم فقال

"لماذا لا تحب ان تدخل مجلس النواب الآن . ولا يخفى عليك ان الامر ليس في يدنا فاذا لم تدخلهُ اليوم فما ادرانا انك تستطيع دخولهُ غداً . ولو كان دخولهُ سهلاً مثل استئجار قطار مخصوص لابقيناهُ الى الوقت الذي تختارهُ . وكنت احسب انك تبغض الكسل وتحبُّ العمل ولا سيما الاعمال العموميَّة التي تخدم بها بلادك . فاذا لم تدخلهُ الآن اضطررتَ ان تبقى ثلاث سنوات الى ان ينفضَّ ويعاد انتخاب النواب — ثلاث سنوات تقضيها في الكسل والعطلة عن العمل . ليس هذا شأن من يحبُّ بلادهُ ويتوخَّى خدمتها كما اتوسَّم فيك . واذا كان لك مطامع أُخرى فهذه هي الفرصة المناسبة فان الدوق[2] يفضّل اعطاء المناصب للاعيان حاسباً اياهم سياج الدولة وعماد البلاد كما قال لي. ولا انكر انهُ يمكننا ان نفيد دولتنا ولو لم نكن من وزرائها ولكن الدوق مطلق اليدين يفعل ما يشاء فاذا دخلتَ مجلس النواب الآن واعربتَ عن رغبتك في المناصب العالية فكُنْ واثقاً انهُ يقلدك منصباً منها سريعاً . وعندنا اللورد

(١) مشيرًا الى عرضهِ عليهِ الانتظام في مجلس النواب على ما قيل في الفصل السابق

(٢) اي دوق ولنتون الذي كان الوزير الاوَّل

اسكدايل وهو يدبّر لنا الامر على ما نحب . وانا اكره ان اطلب شيئًا من وزير ولكنني لا استنكف ان اطلب ذلك بنفسي من الدوق في الاحوال الحاضرة". ثم خفض صوتهُ وقال "واظن انهُ اذا طلب دوق بلامنت امرًا مثل هذا لا يُرَدُّ طلبهُ" . وصمتَ قليلاً وهو يحسب ان صمتَ ابنهِ دليل على اقتناعهِ ثم قال "هب ان هنْغرْفُرْد لا يرضى ان يتخلّى عن العضوية بعد ثلاث سنوات وذلك محتمل ولو لم يكن مرجَّحًا فماذا تفعل لانهُ ما من احد يرضى منك بالازدراء وهو يضرُّ نفسهُ لينفعك وما عهدنا هذا الرجل يرضى ان يكون صورة في منصبهِ وهبْ انهُ كان كذلك فقيامهُ في مجلس النواب هذا الزمن الطويل قد رفَع نفسهُ حتى لا يرضى بالذل . ولا يسهل عليَّ ان اخذلهُ بعد ثلاث سنوات واحمل المنتخبين على الاقتراع لك"

فقال لورد منتكيوت "لاداعي لذلك يا ابتاه" — قال هذا بصوت منخفض خارج من رأسهِ وفؤَادهِ يدلُّ على ان كلامهُ صادر عن عقل راجح وعواطف حيَّة . ولا ادلَّ على المرء من صوتهِ . فمن الاصوات السريع الرنّان الذي يدلُّ على سرعة الخاطر وتنبُّه العواطف ومنها العميق البطيء الذي يدل على عقل ثاقب ورأي صائب . واندر الاصوات واحسنها وقعاً صوت يجمع بين السكينة والصراحة فتفعل نغمتهُ بالنفوس اكثر ممَّا يفعل بها سحر العيون "لاداعي لذلك يا ابتاهُ ولا اخفي عليك اني لا اكون بعد ثلاث سنوات ارغب مني الآن في دخول مجلس النوَّاب"

فنظر اليهِ ابوهُ نظر الدهشة وقال "ان المستر فوكس[٣] دخل المجلس قبلما بلغ سن الرشد وتربع في دست الوزارة وهو في ريعان الشباب وكذلك السر روبرت بيل انتظم بين رجال الدولة وهو حدَث . وكثيرًا ما سمعتُ الثقات مثل لورد اسكدايل يقولون ان الانسان قد يتكلَّم في مجلس النوَّاب قبلما يحق لهُ الكلام فيهِ ولكنهُ لا يبكّر في دخولهِ مهما كان صغير السن"

فقال ابنهُ "نعم اذا شاء ان يفلح في مجلس النواب . والتبكير في كل شيء مدعاة للنجاح فيهِ اما انا فلا رغبة لي في ذلك"

فقال الدوق "ولكنني لا استحسن دخولك مجلس الاعيان من غير ان تدخل مجلس النواب اولاً لان من دخل مجلس الاعيان وهو لم يدخل مجلس النواب يكون كالطائر بلا ريش"

فقال ابنهُ "عسى ان لا ادخل مجلس الاعيان يا ابتاهُ الاَّ بعد زمن طويل جدًّا[٤] ان دخلتهُ"

(٣) وزير انكليزي مشهور دخل مجلس النواب وعمرهُ ١٩ سنة وصار وزيرًا وعمرهُ ٢٢ سنة

(٤) كناية عن طلب طول العمر لابيهِ لانهُ لا يدخلهُ الا بعد موت ابيهِ خلفًا عنهُ

فقال الدوق " ان دخولك مجلس الاعيان يوماً ما امرٌ محتوم لا مردَّ له "

فقال ابنهُ " ولكن هب ان الدوق (اي دوق ولنتون) لم يفلح في حفظ السيادة للاعيان فماذا يكون شاننا "

فهزَّ الدوق كتفيهِ وقال " ليس من شاننا ان نفرض هذه الفروض وعسى ان لا يحاول احد تغيير النظام الحاضر لان عظمة هذه البلاد باعيانها "

فقال ابنهُ " اذاً ملوكنا لم يفعلوا شيئاً لعظمتنا "

الدوق — " بلى فعلوا ما يُطلب منهم "

ابنهُ — " وقد زالت سطوتهم الآن ولا يبعد ان تزول سطوتنا نحن ايضاً بعد ان نفعل ما يُطلب منا "

الدوق — " اراك تتكلم بلسان الاحرار فلماذا ذلك "(٥)

ابنهُ — " ليس هذا يا ابي فاني لم ابدِ رأياً حتى الآن "

الدوق — " اودُّ ان اعرف ما هو رأيك ياولدي او ما تتمناه "

ابنهُ — " أن افعل ما يجب عليَّ فعلهُ "

الدوق — " احسنتَ وانت عمود في هذه الدولة فاسندها جهدك "

ابنهُ — " يا حبذا لو انبأني احد ما هي الدولة فان الاعمدة التي تشير اليها لا تسند شيئاً وهي متداعية الى السقوط وجوهر فلسفتها ان تُترك الامور على حالها "

الدوق — " ولكننا نجو باعتمادنا على حكمة الامة "

ابنهُ — " مم نجو "

الدوق — " من الاضمحلال الذي يقع باعيان البلاد وهي تنتقل من حالة الى اخرى "

ابنهُ — " وما هي الحالة التي تحسب البلاد منتقلة اليها "

الدوق — " هذه مسألة يعجز احكمنا عن الاجابة عنها "

ابنهُ — " ولكن يحق لمن كان جاهلاً مثلي ان يبحث فيها "

الدوق — " نعم ولا شيء يعينك في هذا البحث مثل اتصالك برجال السياسة "

ابنهُ — " لكي اشاركهم في الخطاء والاعتساف اما انا فلم أُغوَ حتى الآن واودُّ ان ابقى بعيداً عن الغواية "

(٥) يظهر من كلام دوق بلامنت انهُ كان من حزب المحافظين مثل اكثر اعيان الانكليز ولهذا استغرب كلام ابنهِ

الدوق — "وتبقى عطلاً عاجزاً عن العمل"

ابنهُ — "أيكون المرء عاجزاً عن العمل اذا ابى ان يخبط خبط عشواء في ظلام دامس"

الدوق — "فماذا تريد ان تفعل اذاً وهل لك خطةٌ تودُّ السير فيها"

ابنهُ — "نعم"

الدوق — "احسنتَ ومهما كانت هذه الخطَّة فثق اني ابذل جهدي في انالتك ما ترغب فيهِ لاني واثق انك لا تطلب الاَّ اشرف المطالب وانبلها"

ابنهُ — "يا حبذا ولكن اين الشرف واين النُبْل"

الدوق — "ولكنك طالبٌ امراً ما فقل لي ما هي مطالبك اخبرني بها من غير كتمان كما يخبر الصديق صديقهُ"

فادنى لورد منتكيوت كرسياً من ابيهِ وجلس اليهِ وهو يقول "كيف اكتم عنك امراً يا ابتاه وانت عين الحب والإخلاص وكان الواجب عليَّ ان لا ارتاب في وجود الشرف والنبل وانت امامي"

فقال الدوق "ان الاولاد الذين مثلك يشرّفون آباءهم"

ابنهُ — "ليس ذلك مضطرداً واما انت يا ابي فقد كنت لي اكثر من اب واني لأحبُّك واحب امي حبّاً اظنهُ اندر في هذا العصر منهُ في العصور الغابرة ويزيد شعوري بهذا الحب الآن لاني عازم ان اطلب الابتعاد عنكما الى حين"

فاصفرَّ وجه الدوق واتكأَ على كرسيهِ ولم يفه بكلمة وحمَّت ابنهُ قليلاً ثم قال "لقد اشرت عليَّ اليوم ان انتظم في سلك رجال السياسة وما انا لأنوء تحت الحمل الثقيل ومقامي وطبعي يدفعانني الى حمل الاحمال الثقيلة والقيام باعبائها . وهذا الامر ليس جديداً عندي بل قد فكَّرتُ فيهِ طويلاً فلم اجد اني استطيع ان احافظ على السياسة الحاضرة ولا رأي لي ببقائها على حالها ولا اظنها تبقى طويلاً لانها ليست قائمة على قواعد وطيدة بل لا قاعدة لها. فما هو الحق السياسي وما هي آداب الاجتماع هل هي امور حقيقية او مصطلحات وهمية . وان كانت اموراً حقيقية فاين مقرُّها ولمن الحقُّ في الولاية ولماذا حرمنا ملوكنا من حقوق كانت لهم . ونحن الاعيان موجودون في مناصبنا لان الامة راضية بوجودنا فيها . والامة تعدُّ نفسها كلا شيء والحقوق التي تعطاها وقت انتخاب الاعضاء لمجلس النواب تنازَع فيها دواماً وتُغيَّر على اساليب شتى فما هو هذا الحق السياسي المتغير. وكذلك آداب الاجتماع تختلف باختلاف البلدان والمدن والشوارع فما نعدُّهُ فضيلة هنا يُعدُّ رذيلة في مكان آخر"

الدوق — " يجب ان ننظر الى الامور بوجه عام فان حالة انكلترا العامة اصلح من حالة اية مملكة كانت وما من احد ينكر ان الحرية السياسية عندنا اكثر مما هي عند غيرنا والآداب الاجتماعية ارقى والنجاح المادي اعظم "

ابنهُ — " قد يمكنني ان انازع في ذلك كلهِ ولكنهُ لو ثبت ما نقض شيئاً مما قلتهُ لانهُ اذا كانت البلدان الاخرى افسد من بلادنا لم تصطلح حالنا بل قد تزيد فساداً لاننا لا نرى امامنا بلاداً صالحة نقتدي بها "

الدوق — " لا شبهة في ان انكلترا مفلحة الآن اكثر من كل البلدان انظر سكك الحديد وانظر كم فعلنا لاصلاح شأن المساكين وقد كثرت الاعمال وزادت الاجور "

ابنهُ — " من المحتمل ان سكك الحديد افادت جمهور الفقراء كما افادت اعضاء مجلس النواب . ولكني لا ارى في زيادة الاجور ضامناً لراحة الجمهور وما ادرانا ان زيادة السعة ترقي الآداب وتزيد الفضائل فان المال قد افسد الكبراء واليهِ تنسب شرور الخاصة فكيف يكون فعلهُ في العامة على الضد من فعلهِ بالخاصة ولماذا لا نقول ان زيادة السعة تفسد العامة كما افسدت الخاصة وكيف يحق لنا ان نخلط بين سعادة الامة وثروتها "

الدوق — " لا تنس اننا عائشون عيشة صناعية لا طبيعية "

ابنهُ — " طالما سمعتُ ذلك يا مولاي ولكنني لا ارى شيئاً من مزايا الصناعة في احوالنا فان الصناعة تستلزم النظام والترتيب وانطباق النتائج الحميدة على المبادىء الفاضلة اما نحن فقد فقدنا كل انتظام ولم نعُد امة محكمة العرى ولكن صرنا شعباً تجمعهُ آثار التقاليد القديمة التي نحاول نزعها يوماً فيوماً "

الدوق — " ولكن ماذا يمكنك ان تفعل يا ولدي ايمكنك ان تغير الاحوال التي وُجدنا فيها "

ابنهُ — " كلاَّ يا ابي ولا انا طامع في ذلك وغاية ما اطلبهُ منك ان لا تضطرَّني الى مشاركة غيري في تكثير الفساد المحيط بنا "

الدوق — " انت وليُّ امرك وانا اشور عليك شوراً ولا آمرك امراً والله الهادي الى سواء السبيل "

ابنهُ — " اواه لو ان ملاكاً ينزل من السماء ويزور بيتنا "

الدوق — " ما بنا حاجة اليهِ وعندنا ارشاد من هو اسمى من الملائكة "

ابنهُ — " لو كان ارشادهُ كافياً ما وعد تلامذتهُ بمرشد آخر يأتي بعدهُ . فلا بدَّ من

مرشد . نعم يا ابتاه هذا الذي اطلبهُ واسعى اليهِ ولا بدَّ من الفراق · لا بد من ان اتركك واترك والدتي العزيزة اترك هذين الوالدين الحنونين اللذين بهما تتعلق كل عواطفي وآمالي . ولكني ارى نفسي مضطرًّا ان البّي نداء صوتٍ سمويّ · فلا تغضب عليَّ ايها الوالد الحنون بل سامحني وساعدني". قال ذلك وطرح نفسهُ بين ذراعي ابيه

فضمهُ ابوهُ الى صدرهِ ولم يستطع الكلام لشدة انفعالهِ لكنهُ كان يقول في نفسهِ انهُ سيفارقنا وقد سئم الاقامة في البيت سئم الوحدة بعد ان قرأ كثيرًا وافتكر كثيرًا · ولقد اصاب اسكدايل لما اشار عليّ منذ سنتين ان ارسلهُ الى باريس لكنَّ امهُ لم ترضَ وحقها ان لا ترضى لان ارسالهُ الى باريس يعرضهُ لمخاطر كثيرة · ولا شيء اصلح لهُ من مجلس النواب فانهُ يجد فيهِ عملاً وسلوى . ولا بدَّ من ان نتلافى الامر الآن بالتي هي احسن · يريد السفر ولا بأْس بالسفر ولكن ماذا يحلُّ بنا وهو ولدنا الوحيد · كيف تصبر كاترين على فراقهِ انها تموت كمدًا اما انا فلا بدَّ لي من الصبر وسأُرسل معهُ اناسًا يعتنون بهِ ويدرأُون عنهُ المخاطر ارسل معهُ براس فانهُ عارف بممالك اوربا وكان في حرب اسبانيا وارسل معهُ طبيبًا ماهرًا ولا بدَّ من اخبار امهِ ولكن لا بد من استعمال الحكمة في ذلك لئلا يفاجئها الخبر مفاجأَةً

هذه الخواطر خطرت كلها على بال الدوق في اللحظات القليلة التي كان فيها ضامًّا ابنهُ الى صدرهِ ثم لما عاد ابنهُ الى كرسيهِ قال له "اذًا انت تريد السفر ياولدي" فاشار بالايجاب

الدوق — "ذلك يثقل على امك كثيرًا حتى لا اقول شيئًا عن نفسي فانك تعلم عواطفنا ولكن لا حق لنا ان نجعل ما نشعر بهِ عقبة في سبيلك وان فعلنا فنكون قد فضلنا نفسنا عليك اما من حيث مجلس النواب فساقابل هنغرفرد هذا الصباح واقنعهُ ليؤَجل استعفاءهُ الى الخريف حتى تعود من سفرك وذلك خير لك لانك تكون قد شاهدت العالم فتدخل المجلس في العام المقبل"

ولما اتمَّ الدوق كلامهُ بدت على وجه ابنهِ علامات الحيرة فاحنى رأْسهُ وبقي صامتًا. وقام الدوق ونظر الى ساعتهِ وقال انهُ يود ان يأْتي براس ويتعشى معهم لانهُ عارف بالبلدان الاوربية ويعرف لغات كثيرة حتى الاسبانية ثم قال "اما اسبانيا فليس فيها ما يشوق السياح اليها ولكن لا بدَّ من الذهاب الى فرنسا وفرنسا هي باريس ولا بدَّ من ان تذهب الى هناك اولاً وان كان ابن عمك هري هورَد هناك فهو يريك كل شيء فاذا ذهبت الى السفارة وكان براس معك هانت عليك باريس . ثم تذهب الى ايطاليا واظنك قاصدًا اليها دون سواها لكن امك لا تسرُّ بذهابك الى رومية. ويقال ان لا بدَّ للمرء من ان يرى رومية

قبل موته اما انا فلم ارهُ ولم اعبر البحر الا الى ارلندا لان جدك منعني من السفر غير ان منعهُ لي لم يكن للاسباب التي لاجلها ابقيناك في البيت حتى الآن . وهب انك شتوت برومية فيمكنك ان تعود الينا في الربيع التالي ولكن لا بدَّ من اقناع امك اولاً لترضى ببقائك في رومية ولا بدَّ ايضًا من ارسال برنارد معك فيذهب معك براس وبرنارد وطبيب وحينئذٍ يسهل علينا اقناعها فاذا ارسلنا معك براس وبرنارد وطبيبًا ماهرًا وكان هري هوَرَد في باريس وزوَّدناك باحسن مكاتيب التوصية زالت اكثر مخاطر السفر"

فقال لورد منتكيوت(٦) "لا رغبة لي في زيارة باريس يا ابي"

الدوق — "الحمد لله الحمد لله لقد افرجتَ بعض كربتي"

ابنهُ — "ولا رومية"

الدوق — "احسنت احسنت يا ولدي وازلت حملاً ثقيلاً عني ولم اخبرك بذلك قبلاً لانني لم اشأ ان انغص عيشك ولكن لو علمت امك انك ذاهب الى رومية لتنغص عيشها لا لبعد المسافة ولا لفساد الهواء هناك بل لان آراءها كما تعلم" ولم يتم كلامهُ فقال لهُ ابنهُ "ولا انا عازم على السفر حسب مفهوم الكلمة وانما قصدي السياحة فصدي الذهاب الى الارض المقدسة الى بيت المقدس"

فاضطرب الدوق وجعل يقول "الى الارض المقدسة الى بيت المقدس" وهو محدق بنظرهِ اليهِ

ثم عاد لورد منتكيوت الى الكلام وجعل يتكلم بتأنيهِ المعتاد فقال "نعم يا مولاي الى الارض المقدسة الى بيت المقدس فان الخالق عزَّ جلالهُ اعلن نفسهُ لمخلوقاتهِ في تلك البلاد فهي مقدَّسة وفيها مزايا ليست في غيرها وهي التي جعلت ممالك اوربا تحاول الاستيلاء عليها مرارًا كثيرة في العصور الوسطى . وقصر منتكيوت هذا ارسل اميرًا من امرائهِ اليها فوصل الى القبر المقدَّس وجثا على ركبتيهِ امامهُ ثلاثة ايام بلياليها . وقد مرَّ على ذلك ستة قرون فلا عجب اذا مضى واحد آخر منا الآن لزيارة ذلك القبر فاني اودُّ ان اجثو على ركبتيَّ هناك وارى التلال المقدسة وارفع صوتي الى السماء وأسأل الله عمَّا يجب ان افعلهُ وعمَّا يجب ان اومن بهِ"

فنهض دوق بلامنت وجعل يمشي في الغرفة ذهابًا وايابًا وهو غائص في بحار الافكار ثم وقف واستند الى خزانة الكتب وقال "ان هذا الطلب الذي تطلبهُ مني غريب جدًّا لم اتوقعهُ منك قط فسافكر فيهِ مليًّا واحاول ادراك ما تطلبهُ وابذل جهدي لافعل ما هو خير

(٦) هو لقب الابن كما تقدم في الجزء السابق

لك وابقى مفضلاً مسرَّتك على مسرَّتنا . اما الآن فلا يمكنني ان اجيبك لا سلباً ولا ايجاباً بل لا بدَّ لي من امعان النظر . ثم ان امك تريد ان تكلمك في امور اخرى فلا تطلعها على هذا الامر حتى اطلعها عليهِ انا . والآن لا بدَّ لي من ان اركب وامضي الى بلامنت وسافكر في هذا الامر وانا سائر في الطريق واذا جاء براس فادعهُ ليتعشَّى معنا وليكن الله معك "

وخرج الدوق من المكتبة وبقي ابنهُ فيها غائصاً في بحار الافكار وكان قد املى على ابيهِ في دقائق قليلة خلاصة ما شغل بالهُ ثلاث سنوات متوالية .ثم التفت واذا امهُ واقفة بجانبهِ فانهُ بلغها ان زوجها خرج من القصر وهذه اول مرة خرج فيها من غير ان يراها قبل خروجهِ فقامت تفتش عن ابنها لكي تهنئهُ بدخولهِ مجلس النواب وتخبرهُ انها اختارت لهُ ابنة خالهِ زوجةً وكان قلبها طافحاً سروراً وكيف لا تسرُّ المرأة بوحيدها وهي تراهُ محفوفاً بالسعادة والهناء وقد عزم على الانتظام في سلك رجال السياسة الذين يخدمون بلادهم ويرفعون شانها والاقتران بفتاة تثق انها تملأ بيتهُ بهجةً وسروراً . ففتحت باب المكتبة وقد صبغت حمرة الطرب وجنتيها وقالت أأنتَ هنا فقد كنت افتش عنك يا تنكرد

الفصل الثاني

عاد الدوق مساء من قصر بلامنت ودخل غرفة لبسهِ لكي يلبس فيها ثياب المساء ثم جاءت زوجتهُ وقرعت الباب ودخلت وعاتبتهُ على خروجهِ من البيت من غير ان يخبرها وقالت ان هذه اول مرة فعل ذلك . وكان قد حسب انها اتت لتكلمهُ في امر ابنهِ فلما رآها اتت لتعاتبهُ فُرِّج عنهُ وابرقت اسرَّتهُ وقال لها بلغني ان براس آتٍ ليتعشَّى معنا وانا مسرور بذلك لانني اريد ان اراهُ في امر ما

فلم تجبهُ على كلامهِ بل بقيت واقفة كأن بالها مشغول بامر آخر ولما رأت انهُ بقي يتكلم عن براس قالت لهُ ما لنا ولبراس الآن هات اخبرني ما منع تنكرد من دخول البارلمنت (مجلس النواب)

فاضطرب في امرهِ لانهُ لم يكن يعلم كم عرفت مما دار بينهُ وبين ابنهِ غير انها جلت لهُ الامر بقولها " انني كنت امشي مع تنكرد واشرتُ من طرفٍ خفي الى كل ما دبرناهُ لهُ وسألتهُ عما يراهُ في ابنة خالهِ فقال انهُ يوافقنا على انها احسن البنات اللواتي عرفهنَّ واكثرهنَّ تهذيباً فحاولت ان اقنعهُ بمناسبتها لهُ ولكنني لم احثهُ على التسرُّع في ذلك لانني لا اريد ان يقترنا قبل الخريف واشرت عليهِ ان يعاشرها كثيراً مدة اقامتهِ في لندن وقت اجتماع مجلس النواب

ثم يزورها حينما تعود الى ارلندا كما كنت تزورني. وبينما انا اشرح له كيف يجب ان يتحفظ من البرد وقت خروجه من المجلس نصف الليل وماذا يجب ان يأكل حينئذٍ قال لي انهُ غير عازم على دخول المجلس الآن وانهُ غير آسفٍ على ذلك لانهُ يريد ان يسافر قليلاً . فما معنى ذلك كلهِ . قُلْ لي لان تنكرد لم يخبرني شيئاً ولما لججت عليهِ ليخبرني قال اننا سنبحث كلنا معاً في هذا الموضوع "

فقال الدوق "نعم سنفعل ذلك ولكن ليس الآن لانهُ قد حان وقت العشاء ولكنني اقول لكِ بالاختصار انهُ بدت امور قد تمنع هنغرفرد من الاستعفاء الآن . وبما ان تنكرد يميل الى السفر فنحن عازمون ان نتبصر في الامر لعلَّ السفر يكون اصلح لهُ من الاقامة هنا الى ان يتيسر دخولهُ مجلس النواب "

" اصلح لهُ " — لا يمكنني ان افهم اي صلاح في الذهاب الى باريس ورومية حيث يذهب الشبان الذين يسافرون من هذه البلاد . فان الذهاب اليهما هو نفس الشيء الذي بذلت جهدي من حين ولادتهِ الى الآن لامنعهُ عنهُ لانهُ اذا ذهب اليهما تعرَّض للهلاك جسداً ونفساً فان باريس تتلف صحتهُ ورومية تغير معتقدهُ "

فتبسم الدوق وقال لها اني اشدُّ منكِ ثقةً بتنكرد ولكن كوني مطمئنة البال فانهُ قد قال لي هذا الصباح انهُ لا ينوي الذهاب الى رومية ولا الى باريس

فتنفست الصعداء وقالت " اذاً اذا اراد ان يسيح سياحة قصيرة في هولندا فلا بأس عليهِ لان البلاد بروتسطنتية وليس فيها من المفاسد ما في غيرها "

فقال " سننظر في هذا الامر ملياً الليلة " ثم مدَّ لها ذراعهُ ونزلا الى غرفة الضيوف

وكان الكولونل براس هناك وهو من القوَّاد الذين كانوا في حروب اسبانيا فابلى بلاءً حسناً ودخل باريس ظافراً وهو بدين طويل القامة مجدول العضل وجههُ مشرَّب حمرةً وشعرهُ غزير وخطهُ الشيب . وهو من رجال منتكيوت ولد هناك وورث بيتاً كبيراً في المدينة واملاكاً في جوارها ولما اتمَّ خدمتهُ في الجيش باع معاشهُ وعاد الى مسقط رأسهِ فجعلهُ الدوق قائداً لفرسانهِ فاصلح شأنهم حتى صاروا من افضل فرسان البلاد الانكليزية . وكان من امهر الناس في الرماية والفراسة ومن اكثرهم ظرفاً والينهم عريكةً واقواهم بداهةً وكان يعجب بالدوق والدوقة الى حد العبادة ويحسبهما افضل خلق الله عن اعتقاد واخلاص لا عن هوًى وطمع في النفع. وكأنهُ كان ذراع الدوق اليمنى فكان الدوق يستشيرهُ في كل امور الايالة وقد سلَّم اليهِ قيادة الفرسانِ وجعلهُ رئيساً لاركان حرب الجيش المستحفظ (الмليشيا) ولم يكن يرقي ضابطاً

الاَّ برأيهِ . وكان لهُ شأن رفيع في الايالة كلها وقد اختير تلك السنة محافظاً لمدينة منتكيوت ورئيساً للجنة الاحتفال ببلوغ لورد منتكيوت سن الرشد وهو الذي اهتمَّ بالالعاب النارية ويقال انهُ هو الذي رسم اشكالها

وكان هناك ايضاً المستر برنارد معلم تنكرد وهو قسٌّ عالم كبير في المسائل الدينية يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر وكان ساكناً في قصر منتكيوت يقوم بالخدمة الدينية فيهِ ويعتني بالمكتبة ويستخدمهُ الدوق احياناً في كتابة مكاتيبهِ

وكانت فيهِ عائلة منتجوَى ودُعي ابن هنغرفرد فجلسوا كلهم على المائدة جلسوا سكوتاً على خلاف المعتاد فان الدوقة كانت تفكر في ما رأَتهُ من ابنها والدوق في ما اطلعهُ عليهِ وبنات منتجوَى كن قليلات الكلام طبعاً وامهنَّ كانت جالسة بجانب الدوق فلم تستحسن ان تكلّم احداً غيرهُ وزوجها نهم ينسى غيرهُ وهو يأْكل . وتكلم لورد منتكيوت مع ابن هنغرفرد وكان جالساً امامهُ على المائدة لكن هذا كان يتكلم مع ابنة منتجوَى فاجاب لورد منتكيوت على كلامهِ اجوبةً مختصرة ولم يزد فانقطع الكلام بينهما

ولما قُدّم اللون الثاني من الطعام ورأَى الدوق ضيوفهُ صامتين كأَنهم في مأْتم اراد ان يصرفهم عن تلك الحال فالتفت الى الكولونل براس وكلّمهُ في موضوع يلذُّ لهُ وينبه فيهِ قوة الجدَل وكان جالساً عن يسار الدوقة فتلقى الموضوع بسرور وجاول الدوق في الحديث بمهارة فارسٍ مجرب فعلت اصوات الجماعة وكثر لغطهم واخذوا يتنادمون ويتعاطون كؤُوس الراح ولما رأَى لورد منتكيوت ان اباهُ يريد ان يحدّث ضيوفهُ ويسرُّوا قاد ابنة منتجوَى الى حديث يسرُّها فجعلت تحدثهُ عمَّا جرى لها في الصباح وهي خارجة الى النزهة راكبة وهو يظهر الاستغراب مرة والارتياب اخرى وهي تحاول اقناعهُ واثبات قولها الى ان اشتغل الكل بالحديث وطابت نفوسهم . ودار الحديث بين الدوق والكولونل على السر رسل ملباس وانكسار رجلهِ واستدعائهِ الدكتور روبي . قال الكولونل " وقد استدعاهُ السر رسل دون غيرهِ من مشاهير الجراحين لانهُ يعرف مزاجهُ ولا يحسن باحد ان يسلم نفسهُ الاَّ الى طبيب يعرف مزاجهُ فانني انا كنت فقدت رجلي مرةً في حرب اسبانيا لولا شدَّة حذري فقد جُرحت جرحاً طفيفاً في واقعة الميدا وانا اطارد العدو ولكن لا يحسن بنا ان نتكلم عن هذه الامور امام السيدات "

فقال لهُ لورد منتكيوت " ان الامر على ضد ذلك فانهُ لا شيءَ احب الى السيدات من وصف الحروب وقد قالت لي مس منتجوَى امس انهُ لا شيءَ اصعب عليها من ان تتصوَّر كيفية القتال "

فقال الكولونل "ذلك لان اكثر الذين وصفوا المعارك ليسوا من قوّاد الحرب . ولكن المعارك التي وصفها نبيير جلية كلها و يمكنني ان اصور كل معركة منها على هذه المائدة وهي تاريخ عظيم غير ان هذا التاريخ لا يخلو من النقص مثال ذلك ان واقعة الميدا التي اشرت اليها وكدت اخسر رجلي فيها لم تذكر فيهِ" —

الدوق — "ولكن رجلك لم تصب بمكروه"

الكولونل — "نعم بقيت سليمة ودخلت بها باريس وتلك حادثة تستحق الذكر واؤكد لسموكم انني خلصتُ رجلي من القطع لاني اعرف مزاجي . ولذلك ارجوان تسلم رجل السر رسل ملباس لان الدكتور روبي يعرف مزاجهُ وانا لو كنت في جبل طارق ومرضت هناك لكنت ارسل استدعي هذا الدكتور لانهُ يعرف مزاجي ومعرفة المزاج نصف العلاج"

ولما كان الكولونل يتكلم عن الدكتور روبي كان الدوق يفكر في امرهِ ويقول هذا طبيب يعالجنا كلنا و يعرف مزاج ابني فلا بدَّ من ارسالهِ معهُ مهما كلفني ذلك من النفقات . وجعل يحسب دخل الدكتور روبي في بالهِ فقال ان دخلهُ لا يزيد على خمس مئة جنيه في السنة فادفع لهُ الف جنيه ونفقات السفر كلها ولا اظن انهُ يغيب اكثر من سنة فلا يتركهُ زبائنهُ في هذه المدة القصيرة لان اكثر اعتمادهِ على قصرنا واذا تركوهُ عوَّضناهُ من الخسارة ولا بدَّ من ان يكون طبيب تنكرد عارفاً بمزاجهِ لان معرفة المزاج نصف العلاج

الفصل الثالث

الدوقة وهي تفرك يديها اسىً — "واتعساه واحرَّ قلباه"

الدوق — "خففي عنكِ يا عزيزتي"

الدوقة — "كان يجب عليك ان تمنع ذلك ولا تدعهُ يصل الى هذا الحد"

الدوق — "ولكنهُ فاجأني مفاجأةً وكنت خالي الذهن منهُ كما كنتِ انت خالية الذهن منهُ وكيف كنتُ استطيع ان اعرف ما يدور في بالهِ"

الدوقة — "فما النفع اذاً من سلطتك عليهِ التي تقول لي دائماً انك تعتمد عليها فلو كنت انا اباهُ لكنتُ عرفتُ مخبآت نفسهِ"

الدوق — "قد تكونين مُصيبةً ولكن انت امهُ وهو يحبك كما يحبني وانتِ دائماً معهُ ويجب ان تعرفي امياله من حيث هذا الموضوع اكثر مما اعرفها انا ومع ذلك بقي مقصدهُ مخفياً عنكِ"

الدوقة — "ظننت مرةً انهُ يميل الى بدعة البيوزيين فكلمتهُ في هذا الامر فوجدت انني غلطانة . وانا واثقة انني لم آلُ جهداً ولا اذَّخرتُ وسعاً في غرس المبادىء الدينية في نفسهِ . وفي العام الماضي اعطيتهُ مجموعاً كبيراً من الكتب الدينية والتفاسير فكانت النتيجة انهُ يريد ان يتركنا ويمضي الى الارض المقدسة الى بلاد هواؤُها يقتل سكانها بلاد حلَّت عليها لعنة الله منذ اكثر من ثمانية عشر قرناً وهي تزيد محلاً وخراباً سنة بعد سنة . كيف يمضي ابننا اليها قد خسرناهُ قد خسرناه واحسرتاهُ واحسرتاهُ"

الدوق — "هلمَّ نتبصَّر في الامر قليلاً يا عزيزتي"

الدوقة — "كيف نتبصر وانت قد سلَّمت لهُ بالسفر وقضيت الامر ولم تأتِ الآن لتستشيرني بل لتخبرني بما قرَّ عليهِ القرار لتخبر هذه الام المسكينة بما يصدع فؤادها ويمزق احشاءها . ما اتعس الامهات وما اشقاهنَّ"

الدوق — "لا تتكلمي كذلك يا كاترين"

الدوقة — "كيف اتكلم اذاً وماذا اقول"

الدوق — "قولي كل شيءٍ غير هذا فانهُ لا يُقطَع خيط في هذا القصر بغير رضاكِ"

الدوقة — "كن واثقاً اذاً انني لا اسمح لتنكرد بهذه السياحة"

الدوق — "اذاً لا يمضي ابداً لا يمضي برضايَ فساعديني يا عزيزتي فيتم كل شيءٍ حسب مبتغاكِ ولكنني اكره ان نعامل ابننا بالجفاء والقسوة ولا اريد ان نستعمل سلطتنا الوالدية الاَّ بعد ان تنفد كل الحيل فنلجأ اولاً الى عقلهِ وقلبهِ ثم الى ادلتكِ وجبهِ لنا عسى ذلك ان يكفي لاقناعهِ"

الدوقة — "لقد قلتَ لي انك جادلتهُ فلم يقنع"

الدوق — "نعم ولكنكِ اعرف مني بهذه المواضيع بل اعرف مني بكل المواضيع وانا واثق بمهارتكِ ولذلك لم اقطع الرجاء من اقناعهِ بالعدول عن عزمهِ"

الدوقة — "اذاً ساقول لهُ اننا لا نسلم لهُ بهذه السياحة مطلقاً"

ولما قالت ذلك نظر اليها الدوق نظر الحيرة وقال بعد ان فكر في الامر "ان كان هذا هو رأيك فهلمَّ ننظر فيهِ قبل ان نعمل بموجبهِ لانهُ قاطع لكل جدال . وزد على ذلك اني ارى تنكرد مدفوعاً بدافع قوي جداً يتعذَّر التغلُّب عليهِ وقواهُ النفسيَّة متنبهة كلها تنبهاً شديداً جداً لا تعرفين مقدارهُ ولا تعرفين مما رأيتِ منهُ مقدار انفعالهِ . وقد كنت احسبهُ رقيق القلب لين العريكة فوجدتهُ في هذه المسألة صعب المراس جداً فاذا جزمنا الآن بمنعهِ عن السفر فلا

عجب اذا سافر بغير اذننا "

الدوقة " هذا ضرب من المحال فانهُ لم يعص امرنا مرةً في عمرهِ " قالت ذلك وهي تنتفض في كرسيها وعلى وجهها امارات الحزم والثقة

الدوق — " وهذا سبب آخر يمنعنا من اخذ الامور بالشدة ولماذا لا نغضي عن محاولتهِ تفضيل ارادتهِ على ارادتنا هذه المرَّة الوحيدة في العمر "

الدوقة — " انهُ لم يعاشرنا كثيرًا في هذه السنوات الثلاث الاخيرة وفيها تتكيَّف اخلاق الانسان . ولكن كان يجب على المستر برنارد ان يرى فيهِ هذا الميل وينزعهُ منهُ او ينبهنا اليهِ فلنذاكرهُ في هذا . دق الجرس وقل للخام ليدعوهُ الينا "

وكان المستر برنارد في المكتبة فحضر حالاً ولما وقعت عينهُ عليها رأى في وجهيهما ما يدل على امرٍ ذي بال فاخبرهُ الدوق بخلاصة ما جرى وكانت الدوقة تذكر الامور التي يفوتهُ ذكرُها على اسلوب اوقعَ الخبر في نفسهِ اعظم وقع

فدهش مما سمع وجلس امامها جاحظ العينين مفتوح الفم وجعل يردد قولها " الارض المقدسة الارض المقدسة " واكدَّ لها انهُ لم يسمع من لورد منتكيوت لا صريحًا ولا تلميحًا ما يشير الى رغبتهِ في الذهاب الى تلك البلاد ولا انهُ يرى الآراء الذي ذكرها ابوهُ

الدوقة — " ولكنك كنت رفيقهُ ومعلمهُ عدة سنوات ولا سيما في السنوات الثلاث الاخيرة السنوات التي تتكيف فيها اخلاق الانسان وتتخذ صورة واضحة وكنت تراهُ اكثر مما نراهُ نحن ولا بدَّ من انك كنت تعلم ما يدور في عقلهِ ويختلج فؤَادهُ وكان يجب ان تعلم ذلك وتحذرنا منهُ "

ولما قالت ذلك رأى ان لا بدَّ لهُ من الدفاع عن نفسهِ فقال لها " يا مولاتي ان ابنك الكريم قد نال اسمى الجوائز المدرسية وانا اعلمهُ وكانت آدابهُ خالية من كل عيب ومعتقداتهُ الدينية كذلك وهذه الفكرة التي بدت منهُ الآن تدلُّ على شدَّة تدينهِ "

فصرخت الدوقة والدموع ملءُ عينيها " كيف نصبر على فراق ولد مثل هذا ". فامسك الدوق بيدها وقال للمستر برنادر " نحن شاكرون لك كثيرًا انا والدوقة ولا نأسف الاَّ لاننا لم نعرف من طباع ابننا اكثر مما عرفنا "

المستر برنارد — " مولاي الدوق المحترم لو طلبتم سموكم او سمو الدوقة قبل الآن ان اخبركما ما اعرفهُ عن ابنكما لقلت لكما ما اقولهُ الآن وهو ان لورد منتكيوت عميق جدًّا لا يسبرغورهُ ولا يستطيع احد ان يكتشف بواطنهُ سواءٌ كان من الذين دونهُ او من المساوين لهُ ولم يكن

لهُ عشير قط اما انا ففي كل السنوات العشر التي تشرَّفت فيها بتعليمهِ لا اذكر انهُ قال كلمة واحدة تغض من كرامتي وهو كولد خجِل سكوت وكرجل — لاني كنت اعتبرهُ رجلاً في العقل مدة السنوات الخمس الاخيرة ولو كان ولداً في السن — كان يستعملني كآلة لتحصيل العلم والمعرفة . والاقرار بذلك لا يعود عليَّ بالفخر ولكنهُ اتصل بكثيرين من كبار العلماء في اكسفرد وقد عرفت منهم انهُ كان يعاملهم كما كان يعاملني فيجلهم و يستفيد منهم كأنهم آلات في يدهِ . وهو كثير الدرس شديد الاجتهاد لا يكلُّ ولا يملُّ لكنهُ لا يسأل احداً عن رأيهِ ولا يعرض رأيهُ على احد . والمذاكرة مع سموكم امس هي اول مذاكرة سمعتُ بها عنهُ وهي تريكم شيئاً من طبعهِ "

فكُسف بال الدوق وغاصت الدوقة في بحار الافكار وصمت الثلاثة بضع دقائق ثم رفعت الدوقة نظرها وقالت بتأنٍ " يظهر لي الآن اننا لم نكن نعرف طبع ابننا واننا نشكرك يا مستر برنارد لانك بادرت الينا حالاً في ساعة ضيقتنا وانت مفضل علينا ". ففهم مرادها ونهض وحنى لهما رأسهُ وخرج . وحينئذ نظر الدوق والدوقة كلٌّ منهما الى الآخر وهما صامتان وودَّت الدوقة ان يبدأ زوجها بالكلام اما هو فبقي صامتاً فقالت بعينين مغرورقتين بالدموع " والآن ماذا نفعل يا جورج "

وكان الدوق قد صمم الرأي على ان يرسل تنكرد الى القدس الشريف ويرسل معهُ الكولونل براس والمستر برنارد والدكتور روبي ليعتنوا بهِ ولكنهُ لم يستنسب اطلاعها على ذلك حينئذٍ فاشار عليها ان تتكلم مع تنكرد في هذا الموضوع

فقالت " كلاَّ وخير لي ان ابقى ساكتة الآن ولكن لا بدَّ من بذل ما في الوسع والمبادرة الى تخليصهِ من هذه الورطة باسرع ما يمكن . ومن رأيي ان نخبر صديقنا المطران بذلك وهو يتكلم مع تنكرد ولا شبهة عندي في انهُ يقنعهُ حالاً بالعدول عن هذا السفر لان المسألة سياسية ودينية معاً ومَن اقدر منهُ على حل المشاكل السياسية والدينية لانهُ من كبار رجال السياسة ومن اعلم علماء اللاهوت . هذا هو السبيل الرشيد وسينحلُّ هذا المشكل طبق المرام ان شاء الله . نعم اننا نثقل على المطران بهذا الطلب لكثرة اشغالهِ ولكن الخطب جلل ويجب ان لا نستخفَّ بهِ ونحمل مثل هذه الثقلة عن رجل كريم مثلهُ لاسيما وهو الذي ثبَّت تنكرد وصداقتنا معهُ قديمة . وساكتب لهُ الآن واخبرهُ بخلاصة الامر ثم نقابلهُ غداً ونبسطهُ لهُ بسطاً تاماً فما رأيك في ذلك "

فقال لها " احسنتِ ولا احسن من هذا الرأي " قال ذلك وهو مسرور بانها وجدت شيئاً تتسلى بهِ ولو اياماً قليلة

الفصل الرابع

كان المطران الذي استعانت بهِ دوقة بلامنت على ابنها كبير الهمة كثير التقلب شديد الطمع ينظر الى جزئيات الامور ويحب التعرض للمشاكل السياسية لا يترك مسألة الاَّ وضع اصبعهُ فيها. وكان قليل العلم ضعيف الاستدلال تختلط عليهِ المسائل فيرتبك فيها ويزيد خطاؤهُ على صوابهِ . وكان مقامهُ رفيعاً بين قومهِ ولكنهُ لم يفدهم بعلمهِ ولا باختبارهِ بل زاد مشاكلهم اشكالاً . اذا عثر على رأي وجد فيهِ لمحة من الصواب تمسك بهِ وادَّعاهُ كانهُ هو ابتكرهُ ثم اذا وجد ان العمل بهِ يثير عليهِ خصومهُ انكرهُ وابعد عنهُ . فكان امرءًا من غير رأي يلبس لكل حالة لبوسها يظهر لك في مظهر اصحاب المبادىء السامية ثم لا يلبث ان يجاري احوال الزمان والمكان

قابل هذا المطران تنكرد مقابلة طويلة وحادثهُ بالاسهاب وكان تنكرد يصغي اليهِ بالوقار التام لكنهُ كان يعترض عليهِ من وقت الى آخر ويحاجهُ ويجادلهُ غير محاذر حتى وصل الى مسألة الولاية وبين هي قائمة فصار المطران يسرد العبارات الفخيمة من غير ارتباط ولا انسجام بل من غير معنى واخيراً قال تنكرد

"لا شبهة في ان نظام الاجتماع الانساني وضعهُ الله وكان يدار بحسب شريعتهِ وهو يدار الآن بحسب الشرائع المدنية التي وضعها الانسان اما انا فافضل الشرائع الالهية على القوانين البشرية واودُّ ان اعرف كيف نعود الى استعمال الشرائع الالهية"

المطران — "ذلك سهل لان الكنيسة تنوب عن الله على الارض"

تنكرد — "ولكن لم يبق سلطة للكنيسة على احد"

المطران — "اصبتَ غير ان دوام الحال من المحال وقد اخذت السلطة تعود الى الكنيسة رويداً رويداً وحالها الآن على غير ما كانت عليهِ منذ مئة سنة ولا يبعد ان ننجح قريباً في اقامة مطران لمدينة منشستر"

تنكرد — "وما الفائدة من اقامة المطران ونحن في حاجة الى ملاك سموي يرشدنا الى الحق"

المطران — "عندنا مرشد اعظم من الملائكة ولذلك لم يعد الملائكة يظهرون للناس"

وطال الحديث على هذا النمط ولم يدرك المطران مقصد تنكرد فقال انهُ من اهل الوهم والخيال . ولما رأت الدوقة ان مقابلة المطران لم تجدِ نفعاً أُسقط في يدها وضعفت عزائمها ولكنها لم تستسلم للفشل وقالت في نفسها ان المطران لم يدرك غرض ابني ولذلك لم يستطع اقناعهُ . واخبرت زوجها بما قالهُ وهو ان ابنهما من اهل الوهم والخيال وقالت "اننا ارسلناهُ اليهِ لهذه

الغاية لكي يزيل الاوهام من رأسهِ فما معنى تركهِ على هذا الصورة ومهما كانت اوهامهُ فهي ليست اشد من اوهام البيوزيين [٧] فلماذا نرى غبطتهُ يقاومهم ويجادلهم . وهذا من انكى ما أُصبنا بهِ. واذ قد فشلنا مع المطران فبماذا تشير الآن يا جورج اذ لا بدَّ من اقناع تنكرد بالعدول عن السفر"

فقال لها "يسوءُني ان المطران لم يفلح في اقناعهِ " ثم قال بعد ان صمت قليلاً وهو ينظر من كوَّة الغرفة الى ميدان القصر حيث كان جوادهُ مسرجًا في انتظارهِ " ويظهر لي ان هذه الاوهام لا يزيلها من رأسهِ الاَّ رجل خبير بالعالم"

الدوقة — " رجل خبير بالعالم ماذا يعرف من هذه المسائل الدينية "

الدوق — " يعرف قليلاً منها ولذلك لا يلجأُ الى الجدال والجدال لا يقنع احدًا بل يزيد المرءَ تمسكًا برأيهِ . والذي نجادلهُ قد نفحمهُ ولكننا لا نقنعهُ . اما الرجل الخبير بالعالم فيعرف كيف يقنع غيرهُ من غير جدال . وكثيرًا ما شاهدت اسكدايل يفعل ذلك فاننا قد نتجادل في امرٍ اشهرًا ولا نرى دليلاً يقنعنا فيأتي اسكدايل ويقنعنا بكلمتين لا لان الخبرة تحل المشاكل بل لان المشاكل تزول من امامها كما يزول الضباب من حر الشمس "

الدوقة — " اتستطيع ان تراهُ اليوم"

الدوق — "لا بد من ان يكون اليوم في مجلس الاعيان وسيذهب تنكرد الى مجلس النواب يسمع الجدال في مسأَلة مينوث فنطلب من اسكدايل ان يأتي ويتعشى معنا وهو خير من نستشيرهُ في حل هذا المشكل"

الدوقة — "اصبت اصبت ادعهُ للعشاء وقل لهُ ان الخطب جلل ولا بدَّ من حضوره حالاً واظنهُ يلبي دعوتنا ولو كان مدعوًّا الى مكان آخر"

وعاد دوق بلامنت ولورد اسكدايل تلك الليلة متأخرين لانهُ حدث في مجلس الاعيان امر نادر المثال وهو ان الاعيان انقسموا وذلك نادر جدًّا وقد سرُّوا بهذا الانقسام لانهُ دليل الحياة واكثروا اللغط فيهِ كما تنقّ الدجاجة اذا باضت . ولم يكن انقسامهم على مسأَلة خطيرة من المسائل التي لها مساس بسياسة البلاد ولكنهُ كان انقسامًا مهمًّا لان الاقلية كانت مع حزب الوزارة والاكثرية ضدها . وقد حدث ذلك عن خطاء فان رئيس المجلس كان نائمًا والظاهر ان التخمة اشتدَّت عليهِ فاستيقظ بغتة واخذ يخطب ذاهبًا مذهب الحزب المضاد واجتهد الذين بجانبهِ لكي ينبهوهُ الى خطائهِ بجذب طرف سترتهِ فاغتاظ واصرَّ على خطائهِ ولما

(٧) نسبة الى الدكتور بيوزي الذي قام في مدرسة اكسفرد الجامعة وحاول ادخال بعض العقائد الكاثوليكية الى الكنيسة الانكليزية

طلب رأي الاعضاء انقسم حزبهُ فوافقهُ بعضهم على الخطاء واقترعوا مع الحزب المضاد وخالفهُ البعض الآخر وخرج الموظفون لكي لا يقترعوا ضد الوزارة

وجلس الدوق والدوقة ولورد اسكدايل لتناول العشاء في غرفة المكتبة ودار الحديث على ما جرى في مجلس الاعيان وجعل الدوق ينتقد فعل العضو الذي شدَّ بطرف سترة الرئيس فاكّد لهُ لورد اسكدايل ان ذلك كثير الحدوث في مجلس النواب وانهُ قد يشدُّ اثنان بسترة المتكلم حتى يضطراهُ الى الصمت والجلوس . وانقضى وقت الطعام ولم يذكر احد اسم تنكرد ولا سأل احد عنهُ . ثم لما فرغوا وخرج الخدم دفع الدوق المائدة من امامهِ وادار كرسيهُ الى نحو الموقد وفعلت الدوقة مثلهُ وقام لورد اسكدايل وحرَّك النار وادار ظهرهُ الى الموقد ووقف ويداهُ في جيبي بنطلونهِ وقال مخاطبًا الدوقة "اذًا تنكرد عازم على السفر الى اورشليم"

الدوقة — "هل اخبرك جورج بالقصة كلها"

اسكدايل — "قال لي هاتين الكلمتين وترك تفصيل الخبر لكِ"

فجعلت الدوقة تسرد عليهِ واقعة الحال بالتفصيل والاسهاب وهي تشرح ما حدث وتنتقد آراء ابنها الدينية وذكرت ما دار بينهُ وبين المطران . واخيرًا قالت "ويظهر لي ان تنكرد زاد تصميماً على السياحة وانهُ لا شيء يثنيهِ عن هذا العزم"

فقال لورد اسكدايل "ذلك خير من ذهابهِ الى اليهود واستغراقهِ في الدّين كما يفعل غيرهُ"

الدوقة — "انا اخالفك في ذلك لان الاستغراق في الدين خير من الموت فانهُ ما ذهب احد الى الارض المقدسة ورجع سالمًا لتسلط الحميات عليها"

لورد اسكدايل — "ليأخذ معهُ صندوقًا من الكينا"

الدوقة "اراك تمزح مع انك تراني اكاد اموت كمدًا"

فنظر الى السقف وقال لها "لست امزح ولكنني افكر في حيلة نصرف بها تنكرد عن عزمهِ من غير ان نظهر مضادين لهُ"

فنظر الدوق الى زوجتهِ وقال لها "اسمعي هذا الذي نطلبهُ ان نصرف تنكرد عن عزمهِ من غير ان نظهر مضادين لهُ" ثم قال لورد اسكدايل "انهُ لا يسهل على المرء الذهاب الى اورشليم كما يسهل عليهِ الذهاب الى برمنغام . ولا بدَّ لابنكما من ان يذهب اليها بحاشيتهِ وفي يختهِ ووجود اليخت ليس بالامر السهل ولا سيما اليخت الذي يصلح للسفر من هنا الى هناك لان بحر الروم لا يستخف بهِ وبامواجهِ ولذلك يحق لكما ان تطلبا منهُ ان لا يسافر الاَّ في يخت كبير لا يخشى عليهِ في ذلك البحر فلا يجد يختًا كبيرًا يبتاعهُ واذا اراد ان يبني يختًا فاما ان يجد في بنائهِ

من المشقة ما يثنيهِ عنهُ او ان يغوى ببنائهِ فيستمرّ عليهِ سنة من الزمان و ينسى السفر الى اورشليم و يمضي الى كوس(٨) بدلاً من المضي اليها"

فقال الدوق هذا هو رأيي ايضاً

وقالت الدوقة لم يخطر هذا الرأي ببالي قبلاً

وجلس لورد اسكدايل وشرب كاساً من الشراب وقال الدوق هذا رأي حسن فما قولكِ يا كاترين . فالتفتت الى لورد اسكدايل وقالت لهُ " ماذا تشير علينا ان نفعل اولاً . فقال دعوهُ يدخل الهيئة الاجتماعية انزلوا بهِ الى لندن . فقالت ولكن كيف افعل ذلك وانا نفسي لا اذهب الى مكان ولا احد يعرفهُ وهو لا يريد ان يعرف احداً . فقال اذا سمحتما لي فانا افعل ذلك فانني غداً ادع الدعوات تنهال عليهِ ولا يبقى عليكما الاَّ ان تحثَّاهُ على قبولها . فقالت وهذا ليس بالامر السهل عليَّ . فقال اجعلي ذهابهُ الى حفلات الانس مدة بنائهِ اليخت شرطًا لقبولك بسفرهِ الى الارض المقدسة . وما من شابّ الاَّ و يشعر بشيءٍ من الحياء في اول الامر ولكنهُ متى عاشر الناس ودخل حفلاتهم يصير يصعب صرفهُ عنها . وقال الدوق اني لا امانع في ذلك الاَّ اذا رأيتهُ مائلاً الى اللعب (القمار) . فنظرت الدوقة الى زوجها وقالت كيف تقول ذلك ونحن كنا عازمين ان نزوجهُ اولاً حتى نأمن عليهِ من الاشراك . يا ولدي اني اتصورهُ الآن والفخاخ منصوبة حولهُ

الفصل الخامس

قرّ القرار اخيرًا على ان تنكرد يمضي الى بلاد الشام و يزور الارض المقدسة في يخت خاص يُصنَع لهذهِ الغاية تعطى ادارتهُ لربّان من ربّاني الاساطيل الانكليزية و يمضي معهُ الكولونل براس والمستر برنارد والدكتور روبي ورجل آخر عارف ببلاد المشرق يكون الخدم كلهم تحت امرهِ و يختارهُ اللورد اسكدايل لهذه الغاية . وقبل تنكرد بما فرضهُ عليهِ ابواهُ وهو ان يمتزج بالهيئة الاجتماعية الى ان يُعدَّ اليخت لهُ وحسبت امهُ انهُ لا بدَّ من ان يشغف بحب ابنة خالهِ في غضون هذه المدة فيعدل عن السفر و يصير يستعمل اليخت لزيارتها في ارلندا

ودخل تنكرد الهيئة الاجتماعيَّة اي مجتمعات الامراء والوجهاء في عاصمة البلاد الانكليزية فرحَّب بهِ الجميع وصاروا يتسابقون الى دعوتهِ لانهُ من اكثر الناس ثروةً واعرضهم جاهاً .

---

(٨) فرضة للنزهة في شمالي جزيرة ويط ببلاد الانكليز

فشغل بالدعوات الكثيرة . واشراف الانكليز يعلنون انهم مدعوون في اليوم الفلاني الى هذا المكان وفي اليوم التالي الى آخر فيحسب العامة ذلك تنازلاً منهم ولا تتم هذه الغاية الاَّ في بلاد جرائدها حرة وعامتها متعبدة لخاصتها . والذين تشوقهم الدعوات الى بيوت الكبراء لا يعبأُون بالدعوة من حيث ما يجدونهُ من المسرَّة في البيوت التي يُدعَون اليها بل يعبأُون بها ليكتب اسمهم في لائحة المدعوين حتى يقال انهم من الذين يدعون الى بيت هذا الوزير وذلك العظيم

واتفق ان لورد منتكيوت فتح جريدة ذات يوم فرأى اسمهُ فيها رأى انهُ "دعي الى وليمة ارل سنت جوليان والقونتة زوجتهِ وكانت الوليمة فاخرة ثم شوهد بعد ذلك في الاوبرة". فلما قرأ ذلك احتدم غيظاً ولكنهُ وجد ان دخولهُ الهيئة الاجتماعية صار امراً مقضياً ولو المَّهُ كثيراً لانهُ كان يكره شهرة نالها بولادتهِ من دوق كبير لا باعمال نبيلة عملها ولذلك كان يمضي في كل ساعات الفراغ الى المرافئ يفتش فيها عن يخت ليسرع في سفرهِ على قدر الامكان واعلن عن ذلك في كل الجرائد وخافت امهُ ان يجد يختاً يرضيهِ فيسافر فيهِ حالاً واطلعت لورد اسكدايل على ذلك فطمَّن بالها وقال لها انهُ لا يجد ما يرضيهِ

وحدث ذات يوم ان دعي الى ليلة راقصة في بيت احد الوجهاء فلما ذكر الخدام اسمهُ احدقت كل عين بهِ ونظرت اليهِ احدى السيدات بنظارتها وقالت هذا لورد منتكيوت . واسرَّ المستر ارمسبي في اذن لورد فالنتين قائلاً كونوا على حذر ايها الشبان فانهُ ليس لكم خبز مع لورد منتكيوت. فقال لورد فالنتين ولكنهُ ذاهب الى القدس. فالتفت اليهِ لورد ملفورد وقال "كان اخي هناك بعد ضرب عكاء سنة ٣٩ وقال انهُ لا يوجد فيها شيء للصيد" فقال ارمسبي "كان فيها جمال في ايام ارميا النبي على ما قيل لنا يوم الاحد الماضي" وقال لورد فالنتين ان منتكيوت لا يهمهُ الصيد فسألهُ لورد ملفرد وماذا يهمهُ اذاً . فقال بلغني انهُ يفتش عن يخت يشتريهِ ليذهب بهِ الى الارض المقدسة . فدنا لورد بترك من لورد منتكيوت وقال لهُ متى تذهب الى اريحا فنظر اليهِ لورد منتكيوت وقال لهُ مَن هذه قال ذلك مشيراً الى غادة غيداء تبدو على وجهها ملامح الذكاء ويظهر في قدها الجمال والدلال. فاجابهُ هذه لادي كونستانس رولي تعال اعرّفها بك وهي من بنات عمي

وكان الازدحام كثيراً في مدخل الرواق بين الداخلين الى غرفة الرقص والخارجين منها وهم يتطارحون موجز الحديث مثل قولهم . بلغني انكِ مضيتِ الى باريس . نعم وقد رجعت امس . ما اجمل هذه الرقصة . جميلة جداً . اتعلمين متى يعود بيت مدلثرب الى المدينة .

لا اعلم لان ابنتهم مريضة جدًّا . كذا بلغني مساكين ولمن تبقى اموالهم كلها . هل اتى مستر كنسباي معك — كلاَّ بل هو في المجلس — بلغني انهُ شديد المواظبة على حضور الجلسات . نعم لانهُ يحبها . مبروك مبروك لا انسب منهُ لها ولا انسب منها لهُ . كذا يقال

وتحدَّث لورد منتكيوت مع لادي كونستانس ثم رقص معها وكان يراقب حركاتها وسكناتها على ما رأتهُ الامهات الخبيرات . وكانت هذه السيدة من الشهيرات بجمالهنَّ ويقال انها رفضت كثيرين من العظماء الذين اتوها خاطبين ولكن بعضهم لم يقطع الرجاء من رضاها ولذلك قيل انها لم تظهر لهم انها رفضتهم رفضاً باتًّا . ويقال ايضاً انها تعرف كيف ترضي وكيف تُغضِب وكيف تحسن وكيف تسيء . ورافقها تنكرد الى غرفة الاردية حيث لبست الرداء الذي تخرج بهِ وتعود الى بيتها وعرَّفت امها بهِ هناك ولما ارادت وداعهُ قال لها يسوءني هذا الفراق . فتبسمت وقالت وانا كذلك ولكن لا اسهل من لقاء الاصدقاء كل يوم . فقال لها لا اعلم اين التقي بكِ غداً الاَّ اذا كنت عازمة ان تتعشي عند رئيس اساقفة يورك فقالت لهُ انني ذاهبة الى بيت مسز فلونسي وسيذهب كل احد الى هناك فعلى مَ لا تذهب انت ايضاً . فقال لانني لم أُدعَ اليهِ وزد على ذلك فاني مضطر ان افتش عن يخت . فقالت فتش عنهُ يوم الاثنين وتعال معنا غداً الى بيت مسز فلونسي وهناك ترى اخي وتسألهُ عن يخت وهو ادرى الناس بذلك. فقال سأفعل ثم مدَّ لها يدهُ وساعدها على ركوب مركبتها

ستأتي البقية

تقدم الجراحة هذا القرن

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

يهمُّ القراء عموماً والاطباء خصوصاً بعد ان رأوا تقدُّم الجراحة وتمتعوا بفوائد الاكتشافات الحديثة فيها ان يعرفوا الحالة التي كانت عليها في بداءة هذا القرن . فالجراحة من اهم فروع الطب وتقدُّمها ونتائجها حسيَّة اكثر من التقدم في علاج الامراض الباطنة وبها تخفيف الآلام ولاسيما في زمن الحروب حيث يقع الجرحى بالالوف ويتألمون آلاماً يرقُّ لها الجماد ولا تخففها الاَّ الوسائل الجراحيَّة . نعم ان العقل يقف حائراً عندما يراجع حالة هذا العلم في بداءة القرن التاسع عشر ويقابلها بحالتهِ في آخر سنةٍ منهُ فيشعر بفضل المكتشفين الذين خدموا نوع الانسان خير خدمة فاستحقوا الشكر الجزيل وقد اتيح لبعضهم مثل اللورد لستر ان يبقى في قيد

الحياة الى الآن ويرى العالم اجمع يتمتع بفوائد مكتشفاته والملايين تقرُّ بفضلهِ وتخفف آلامها بعلمهِ وينال اكبر مكافأة من امتهِ وحكومتهِ مع اشرف الالقاب ولو كان ذلك قليلاً تجاه فضلهِ الجزيل ونفعهِ العميم. وقد ذكر الدكتور هيث (Heath) طرفًا من تاريخ الجراحة في القرن الماضي مفعماً بالفوائد فرأيت الاَّ يحرم قراء العربية من الاطلاع عليهِ فلخصتهُ في السطور التالية

كانت اوروبا في بداية القرن التاسع عشر مشتغلة بحروب دائمة حتى انتصرت على نبوليون الاول سنة ١٨١٥ ولذلك كانت افكار الاطباء متجهة بنوع خاص الى الجراحة العسكرية والاصابات التي تنتج عن المقذوفات النارية وكانت الجراحة في ذلك الحين في طفوليتها تحتاج الى ما يخفف الالم ويساعد على سرعة اتمام العمليات الجراحية ويؤكد نجاحها من الوسائط العلاجية والواقية وكان هم الجراحين الاول ايقاف النزف حينما يبترون العضو المصاب لتخليص الجريح إما في ساحة القتال او في احد البيوت المجاورة ولم يكن لديهم من المغيبات ما يساعدهم على التأني في عملهم وتخفيف الم المصاب ولا من المضادات للفساد ما يؤكد لهم حسن النتيجة فكان متوسط الوفيات اكثر مما هو الآن كثيرًا وكانت الحروب خير مدرسة للجراحة امتاز فيها الجراحون واشتهرت اسماؤُهم بعدها. ومن الذين امتازوا على غيرهم الجراح لاري Larry الذي كان وجودهُ في الجيش بمثابة جيش آخر مساعد لهُ لان وجودهُ كان يبث الشجاعة في قلوب العساكر المحاربة لثقتهم بانهم اذا جرحوا وجدوا من يخفف آلامهم ويعتني بهم الاعتناء اللازم لتخليص حياتهم فكانوا يحاربون مستقتلين ومعتمدين على جراحهم هذا . ومن هذه المدرسة التمرينية انتُخب اساتذة الجراحة للتعليم في المدارس الكلية . ومن اهم المواضيع التي اشتغلوا بها حينئذٍ عملية البتر اي قطع احد الاطراف . وكانوا يعتمدون على البتر المستدير او الحلقي حتى ظهر الجراح لستن Liston واوجد بعض التحسين بايجادهِ عملية البتر ذات الشرائح التي يتوفر بها الغطاء اللازم لتغطية الجرح مع السرعة في العمل فانتدب سنة ١٨٣٦ ليكون جراح احدى المستشفيات الشهيرة في لندن وادخل اليها عمليتهُ هذه وكان كبير الجسم قوي البنية طويل القامة لا يقلُّ طولهُ عن ست اقدام فكان يقبض على الفخذ ويقطع الشريحة العليا ثم السفلى ويرجعها الى الوراء بيدهِ اليمنى وينشر العظم بسرعة فائقة ويفتخر بانهُ يتم العملية في اقل من دقيقة واتمامها في هذا الوقت القصير كان يعد مهارة فائقة لانهُ لا يعرض المصاب لالم طويل وعذاب أليم ولم تكن المغيبات معروفة حتى ذلك الوقت بل كانوا اذا ارادوا عمل عملية جراحية اعطوا المصاب كاساً كبيرة من الكونياك (برندي) والماء ثم يؤخذ في العملية من قطع ونشر وخياطة إلخ والمصاب يتحمل اشد عذاب الالم

اما الآن وقد اكتشفت المغيبات ولم يبقَ ما يدعو الطبيب الى الاسراع في العمل فقد ابطلت هاتان العمليتان تقريباً واوجدت طرق اخرى اسهل منهما وافضل فاذا اراد الجراح بتر عضو وضع المصاب تحت الكلوروفورم وعقم يديهِ والآلات الجراحية ومحل العملية ثم يضغط على الاوعية الدموية برباط اسمرك ويبتر العضو بتمهل وتأنٍ مختاراً الطريقة التي تناسب الحالة . والمصاب لا يشعر بشيءٍ ولا يفقد من دمهِ ما يضعف قوتهُ وبوجود مضادات الفساد صارت الارجحية في جانب الشفاء

واهم ما يذكر من المكتشفات الجراحية في القرن التاسع عشر

اولاً المغيبات . وهي اعظم نعمة يذكرها الانسان لانها تخفف آلامهُ واكبر مزية للقرن التاسع عشر يذكرها المرضى على مر الايام فلا عجب اذا جُعل يوم ٧ اكتوبر عيداً عظيماً تذكاراً لذلك اليوم من سنة ١٨٤٦ يوم جُربت المغيبات اول مرة فوفت بالمراد وتحسنت بعد ذلك طريقة استعمالها وتعددت انواعها وشاع استعمالها حتى عمَّت الدنيا

والفضل الاول في اكتشافها لمورتن Morton طبيب الاسنان من بوستن في اميركا الذي عمل بعض تجارب بالغاز الضحَّاك المعروف من ايام همفري دافي بانهُ ينبه مستنشقهُ فزاد مورتن كميتهُ فنتج عنهُ التخدير الوقتي الامر الذي لم يعرف عن هذا الغاز قبلاً واستعملهُ في قلع الاسنان واستأنف البحث عساهُ ان يجد ما يكون اوفى منهُ بالغرض واسهل في الاستعمال فوصل الى الايثر الكبريتيك فنجح مراراً في استعمالهِ لقلع الاسنان فاخبر الطبيب وارين Warren وكان مقيماً معهُ في بوستن وطلب منهُ ان يجربهُ في العمليات الجراحية الكبرى وهو يباشر اعطاءهُ بنفسهِ

وعليهِ صار الاتفاق بينهما على ان يجتمعا يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٨٤٦ لمباشرة اول عملية تحت فعل المغيبات ويكون عامل العملية وارن والمعطي للايثر مورتن وفي اليوم المعين عملت العملية والمريض لم يشعر بالم البتة ولم يتحرك اثناء العملية ولما افاق لم يصدق ان العملية عملت فقال ورن اذ ذاك "لا خداع في الامر" ولم تمضِ مدة طويلة حتى بلغ هذا الاكتشاف انكلترا واستعملهُ الجراح لستن في عمليتين في مستشفاهُ ثم شاع استعمالهُ حتى عم اوربا. ووجدوا ان في استعمال الايثر بعض الصعوبة فواصل احد المولدين المشهورين البحث حتى اتصل الى معرفة الكلوروفورم المستعمل الآن ومن مزاياهُ اولاً اطلاق الحرية للجراح ليتأنَّى في العمل ويستوفي طرق العملية القانونية في عملهِ وثانياً اراحة المريض من الالم حتى لا يحجم احد عن عمل اكبر عملية خوفاً من الالم

ثانياً . مضادات الفساد . وهي تفوق ما سواها باهميتها العلمية لانها اساس نجاح الجراحة فان كانت المغيبات تشجع المصاب على تسليم نفسهِ للجراح غير خائف من الالم فمضادات الفساد تجعله على يقين من نجاح العملية لان عمليةً بلا الم عاقبتها الموت تضيع فضل الجراح ودقة العمل. وقبل اكتشاف هذه الطريقة اي قبل سنة ١٨٧٣ لم يكن يجسر طبيب على فتح تجويف البطن وطالما كانت ابسط الجروح والعمليات سبباً لضياع الحياة بالحمى العفنة . والفضل في اكتشاف مضادات الفساد للعلامة اللورد لستر Lister الجرَّاح الشهير . اكتشفها صدفة بلا تعب ولا اجهاد فكرة فانهُ جرب استعمال الحامض الكربوليك وكان البعض يستعملهُ في المجاري لمنع تصاعد الروائح الكريهة فجرَّبهُ اولاً في حادثة كسر مضاعف واول ما كشف عن الجرح بعد غيارهِ بهذا الحامض وقف متعجباً من النجاح الذي صادفهُ لانهُ عوضاً عن ان يرى جرحاً متقيحاً كما اعتاد ان يرى قبلاً وجد جرحاً فيهِ جلطة دم عوضاً عن الصديد بلا اعراض التهابية حولهُ وهذه بداية اكتشاف مضادات الفساد التي تحسنت من وقت الى آخر واضيف اليها مواد اخرى مثل السليماني والكريوليد. واللورد لستر هو واضع الاساس وهو صاحب الطريقة المشهورة المعروفة بالغيار على الجرح ولو كانت قد تحسنت كثيراً وأُبدل جزءٌ منها باحسن منهُ .وقد اصبح الجرَّاح قادراً على حفظ الجرح عقيماً بانتباههِ الى نظافة يديهِ والمريض والممرضة وما يحيط بهِ من الاثاث وهو امرٌ لم يحلم بهِ الاطباء قديماً وصار قادراً ان يعمل اية عملية كانت غير راهب ذلك العدو القديم الذي كان يفسد اكثر العمليات الجراحية وهو الامتصاص العفن والحمى الصديدية

الحصوات المثانية — لم يعرف الاطباء قديماً لاستخراج الحصاة المثانية غير عملية الشق العجاني (الجانبي) مع كونها لا تفي بالمقصود وينتج منها اضرار عديدة حتى انها أُبطلت الآن ثم ان ويس Weiss صاحب معمل الآلات الجراحية المشهور وسيفيال Civiale الباريسي اشتغلا بجدٍ لإيجاد طريقة افضل حتى توفقا الى اكتشاف آلة لتكسير الحصاة في المثانة في جلسات متعددة وتترك قطعها الناعمة لتخرج مع البول من نفسها واضاف كلوفر Clover الانكليزي اليها الطلمبة المفرغة . وبالتحسين والاضافة وباهتمام بجلو Bigelow الاميركاني صار يمكن للجراح ان يكسر الحصاة ويستخرجها بالطلمبة المذكورة بلا شق ولا خطر يذكر وذلك في جلسة واحدة . ثم ان عملية الشق العاني أُرجعت حديثاً ورغب فيها الاطباء بعد ان تبين انهُ يمكن رفع غشاء البريتون بواسطة تمديد المثانة بالماء والمستقيم بكيس من الصمغ المرن حتى يضغط على المثانة فيرتفع غشاء البريتون في البطن الى علوٍ لا يخشى عليهِ بعدهُ من ان يمس اثناء

العملية · وتعد هذه العملية الآن احسن عمليات الشق وتفضل في الاولاد لاسباب تشريحية لا تخفى على الطبيب

فتح البطن — اعتقد الاطباء قديمًا ان عمل العمليات الجراحية في احشاء البطن فوق مقدرة الجراح وان العلم قاصر عن اتمامها ولكن بفضل مضادات الفساد ونقدم الجراحة زالت كل العقبات واصبح فتح البطن كغيرهِ من العمليات الجراحية فحصاة المرارة والكلية تستخرج في كل يوم والكلية تستأصل برمتها واورام الامعاء تفصل وتستخرج ونقطع اجزاء من الامعاء عند اللزوم. واكتشف حديثًا زر مورفي لهذه الغاية. ولا يبرح عن البال انه من مدة وجيزة استؤصلت المعدة برمتها · وكذلك الاورام المبيضية نزعت اول مرة في سنة ١٨٠٩ لكن عملية نزعها لم تكن سوى مخاطرة شفاؤها من قبيل الصدف فاصبحت بعد سنة ١٨٧٣ كباقي العمليات حتى ان سبنسر ولس Spencer Wells الذي توفي سنة ١٨٩٦ استخرج الفي كيس مبيضي مدة تعاطيهِ الجراحة بعد سنة ١٨٧٣

وتجويف الراس يفتح الآن وتستأصل منهُ الاورام وتفتح خراجاتهُ

ومن اهم الآلات التي اكتشفت في هذا القرن فكانت اكبر مساعد على نقدم فن الجراحة والتشخيص اولاً الميكروسكوب الذي بواسطتهِ تعرف انواع الاورام والانسجة المختلفة ويستعمل في امراض مجرى البول لمعرفة مصدر العلة ولاكتشاف الجراثيم المختلفة. ثانيًا الاوفثلمسكوب الذي اكتشف في اواسط القرن التاسع عشر فكان اكبر دليل لتشخيص امراض العين ومداواتها وللمساعدة على تشخيص بعض الامراض الباطنية مثل مرض بريط. ثالثًا اللارنجسكوب للبحث عن امراض الحلق والانف . والاندوسكوب الكهربائي الذي بواسطتهِ يرى داخل المثانة والتجاويف الداخلية . واخيرًا اشعة رنتجن الحديثة الاكتشاف وقد صار امرها مشهورًا

هذه بعض الفوائد ذكرتها باختصار . ومما ذكر يرى ان اساس نقدم الجراحة المغيبات ومضادات الفساد والفضل في نجاح العمليات الجراحية وانتفاء الخطر منها لمضادات الفساد كما لا يخفى · ولو بُعث الجرّاحون الاقدمون ورأوا كيف تعمل العمليات الجراحية الكبيرة فتقطع الاطراف ويبقر البطن وتفتح الجمجمة ونقطع الامعاء وتوصل ويتم ذلك كلهُ بالسهولة التامة وتلتئم الجروح كلها بالمقصد الاول لما صدقوا عيونهم ولحسبوا اننا اكتشفنا اكسير الحياة ومنعنا عوادي الادواء . لاحرمت الانسانية رجالاً يوقفون انفسهم لخدمتها وترقية العلوم والفنون وتقليل الآفات والآلام . وعسى ان يكون القرن المقبل قرن اكتشاف ونقدم

١

تولّد الاقمار

من رسالة للعالم الفلكي جورج دارون

اول مَن برهن على ان المد والجزر حادثان من جذب القمر والشمس هو الفيلسوف اسحق نيوتن . فان جذب القمر للجانب القريب منهُ من الارض اشد من جذبهِ للجانب البعيد حسب ناموس الجاذبية العام ولذلك فجذبهُ لماء البحر اشد من جذبهِ للارض التي تحتهُ فيميل الماء الى الارتفاع و يتحدَّب سطحهُ بحسب سير القمر فوقهُ. هذا في الجهة المواجهة للقمر اما الجهة الاخرى من الارض المقابلة لهذه الجهة فالقمر يجذب قاع بحرها اكثر مما يجذب الماء الذي فوقهُ لان قاع البحر هناك اقرب اليهِ من مائهِ . فيجذب الماء عن الارض في الجانب المواجه لهُ ويجذب الارض عن الماء في الجانب المقابل وتكون النتيجة ان سطح الماء يعلو ويتحدَّب على الجانبين معاً الجانب المواجه للقمر والجانب المقابل لهُ. هذا اذا كان الماء خاليًا من المقاومة الاَّ انهُ يقاوم جذب القمر لهُ بثقلهِ واحتكاكهِ فلا يكون المدُّ مواجهًا للقمر تماماً بل متأخرًا عنهُ . وفعل الشمس اقل من فعل القمر في المد والجزر لبعدها الشاسع ولو كان جرمها اكبر من جرم القمر كثيرًا

ثم ان الارض والقمر والسيارات شكلها كلها كروي وهذا يدلُّ على انها كانت مصهورة في سالف عهدها فاستدارت بفعل الجاذبيَّة (كما تستدير نقط الماء الصغيرة) . وحينما يبلغ سيَّار من السيَّارات حالة متوسطة بين السيولة والجمودة بفعل الحرارة فاقمار ذلك السيَّار او الشمس نفسها تفعل بهِ كما يفعل القمر ببحار الارض وتحدث مدًّا وجزرًا في مادتهِ نفسها

واذا كانت الصخور والمعادن مصهورة فتكون لزجة القوام ولذلك فكل قوة تحركها تعرضها للاحتكاك الشديد ولا بدَّ من الاحتكاك ولو كانت المادة ماء . والاجسام المتحركة التي يعارض الاحتكاك حركتها تعود الى السكون رويدًا رويدًا فاذا قطعتَ البخار عن قطار سائر بقي سائرًا مدةً ثم قلَّت سرعتهُ رويدًا رويدًا الى ان تزول ويقف وكذلك اذا اوقفت القوَّة المحركة عن دولاب دائر بقي دائرًا مدةً ثم قلت سرعتهُ الى ان يقف . وبموجب هذه القاعدة العامة تقل حركة السيَّارات في دورانها على محورها بواسطة الاحتكاك الناجم عن المد في مياهها او اجزائها المصهورة

اما الدولاب الدائر فيوقفهُ احتكاكهُ بمحورهِ واما الارض فليس لها محور تحتك بهِ في دورانها فقد لا يظهر جليًّا كيف يقل دورانها بالاحتكاك لكنهُ امر واقعي . ولا يحدث فعل

ما لم يحدث انفعال مقابل لهُ ولذلك فما يقل في سرعة دوران الارض يجب ان يزيد في بعد القمر واتساع دائرتهِ

ومعلوم ان اليوم هو مدة دوران الارض على محورها والشهر القمري مدة دوران القمر حول الارض فاذا كان احتكاك المد يبطئ دوران الارض ويزيد دائرة القمر زاد بهِ طول اليوم وطول الشهر القمري وزاد ايضاً بعد القمر عن الارض وهذه النتائج الثلاث اي ازدياد طول اليوم وطول الشهر القمري وبعد القمر من الارض امور حقيقيَّة واقعيَّة . الاَّ ان مقدار هذا الازدياد قليل جدًّا الآن حتى يتعذَّر تقديرهُ بالتدقيق لقلتهِ . و يعلم من حساب الكسوفات والخسوفات من ايام الاشوريين واليونانيين الى الآن انهُ لم يحدث اختلاف كبير في طول اليوم والشهر من ذلك العهد الى الآن اي مدة ثلاثة آلاف سنة والاختلاف الذي حدث طفيف جداً . الاَّ انهُ لا يستنتج من ذلك ان هذا الاختلاف كان قليلاً جدًّا في الصعور المتوغلة في القدم لانهُ يعلم بالحساب ان الاحتكاك كان عظيماً جدًّا لما كان القمر قريباً من الارض لأن احتكاك المد يختلف كمكفوء القوَّة السادسة من البعد فاذا كان بعد القمر عن الارض نصف بعدهِ الحالي ففعلهُ في تقليل حركة الارض يساوي اربع وستين مرة من فعلهُ الآن اي اذا قلل دوران الارض على محورها الآن دقيقةً واحدة كل يوم وجب ان يقللهُ حينئذ ٦٤ دقيقة في اليوم

والآن يطول اليوم و يطول الشهر القمري دواماً ولو شيئاً يسيرًا جدًّا في القرن الاَّ ان زيادة طول اليوم اسرع من زيادة طول الشهر وسيبقى ذلك كذلك في المستقبل فيزيد طول الايام ولكن لا يزيد عددها في كل شهر على نسبة زيادة طولها فحينما يصير اليوم قدر يومين من ايامنا لا يكون طول الشهر قدر ٥٨ يوماً من ايامنا بل قدر ٣٧ يوماً اي يصير الشهر القمري نحو ١٨ يوماً من تلك الايام الطويلة

وهذا الازدياد البطيء في طول اليوم والشهر يستمرُّ عاماً بعد عام ودهراً بعد دهر الى ان يصير طول اليوم مثل طول ٥٥ يوماً من ايامنا الحاضرة و يصير طول الشهر القمري حينئذٍ مثل طول ٥٥ يوماً من ايامنا ايضاً . فيصير طول الشهر القمري مثل طول اليوم ويبقى القمر مواجهاً لنقطة واحدة من الارض و يصير يدور مع الارض كانهُ جزء منها متصل بها ولذلك فنتيجة الاحتكاك الحادث من المد المسبب عن جذب القمر ان يبعد القمر عن الارض ويؤخر دورانها فتطول الايام والاشهر حتى اذا صار طول اليوم ٥٥ يوماً من ايامنا صار الشهر القمري ٥٥ يوماً من ايامنا ايضاً

واذا عدنا الى العصور الغابرة وجدنا ان الايام كانت اقصر مما هي الآن وكذلك الشهور. وكان في الشهر القمري ٢٩ يوماً من تلك الايام القصيرة على الاكثر وقبل ذلك كان عدد الايام اقل فاقل الى ان تصل الى زمن كان فيهِ الشهر القمري يوماً واحداً فتدور الارض والقمر في وقت واحد كأنهما مرتبطان معاً بقيود من حديد

والبداية الاولى تشبه النهاية الاخيرة في دوران الارض والقمر في وقت واحد لكن هذا الوقت يكون في النهاية قدر ٥٥ يوماً من ايامنا وقد كان في البداية نحو اربع ساعات من ساعاتنا او بين ثلاث ساعات وخمس ساعات . وقد كان القمر حينئذٍ قريباً من الارض جداً حتى يكاد يمسُّها . ويستحيل ان تكون حركتهُ اسرع من حركة الارض لانها لو كانت اسرع للزم ان تجذبهُ الارض اليها وتلصقهُ بها فيصير جزءا منها . ولو كان ذلك كذلك ما وجدناهُ بعيداً عن الارض وعليهِ فقد كانت حركتهُ حينئذٍ ابطأ من حركة الارض ولو قليلاً جداً فحدث الاحتكاك من المد وبهِ قلَّت سرعة دوران الارض وزاد بعد القمر عنها بردّ الفعل وابطأَت حركتهُ حولها وصار اليوم يطول والشهر يطول ايضاً لكن الشهر كان يطول اكثر مما يطول اليوم فزاد عدد الايام في الشهر القمري حتى بلغ اعظمهُ وهو ٢٩ يوماً وسيعود عدد الايام في الشهر الى القلة الى ان تتساوى مدة دوران الارض على محورها بمدَّة دوران القمر حولها وتصير في الحالين مثل ٥٥ يوماً من ايامنا ويكون القمر قد بعُد عن الارض بعداً شاسعاً

وهاتان الحالتان غير متشابهتين ايضاً فان الاولى غير ثابتة واما الثانية فثابتة لان اقل تغير في القمر كان يجب ان يميلهُ اما الى الوقوع على الارض او الى الابتعاد عنها كما اذا اوقفتَ بيضة على رأسها فان ذرة الهباء تميل بها الى هذه الجهة او تلك فلا تبقى واقفةً واما الحالة الاخيرة فحالة ثابتة اذا تغير القمر عنها بفاعل ما عاد اليها من نفسهِ كالبيضة المستقرَّة على جنبها فانها اذا اميلت عنهُ قليلاً عادت اليهِ من نفسها

وقد وصل العلماء الى معرفة حالة القمر الاولى بالبرهان الحسابي ثم وقفوا عند ذلك الحد ولا يمكنهم ان يعرفوا بالحساب كيف كانت حالتهُ قبل ذلك ولكن يمكنهم ان يصلوا الى معرفتها بشيء من الاستدلال العلمي لانهُ اذا كانت كرة الارض تدور دورة كاملة كل ثلاث ساعات او اربع فسرعتها هذه كافية لجعل اجزائها الاستوائية تنفصل عنها وتتطاير كما تنفصل اجزاء دولاب من الحديد وتطاير اذا ادير بسرعة فائقة. والفرق بين الارض والدولاب ان الارض تبقى ماسكة لاجزائها بقوة الجذب واما الدولاب فلا

وينتج من ذلك ان القمر مكوَّن من قطع كانت من الارض وافترقت عنها بقوة التباعد

عن المركز لما اسرعت الارض في دورانها ثم اجتمعت تلك الاجزاء والتحمت وجمدت وصارت كرة القمر . ولا نستطيع ان نثبت ذلك بالحساب الرياضي ونبين الدرجات التي مرَّ عليها ولكن قلما يشك احد في انهُ مرَّت على القمر ادوار كان فيها على غاية الاضطراب قبلما عاد اليهِ الانتظام

قلت ان سرعة دوران الارض على محورها هي السبب لانفصال القمر عنها ولكنني لا احتم بذلك بل ارجحهُ لان هذه السرعة قد لا تكفي لانفصال القمر عن الارض ولذلك يحتمل انهُ وجد سبب آخر ساعد دوران الارض على فصل القمر عنها وما دمنا في معرض الظن فلا بأس بذكر هذا السبب

ذلك انهُ لما كانت الارض تدور على محورها دورة تامة كل نحو ثلاث ساعات قبل ان تولد القمر منها كان المدُّ والجزر شديدين فيها بجذب الشمس لها كما يعلم بالحساب لسرعة دورانها على محورها ولو لم يكن بعد الشمس عنها حينئذٍ اكثر من بعدها عنها الآن فلا يبعد ان تكون قد انفصلت منها اجزاء كبيرة بقوَّة التباعد عن المركز الحادثة من سرعة دورانها على محورها وبقوة جذب الشمس لها ثم اجتمعت هذه الاجزاء وتكوَّن منها القمر . وهو رأي غريب جدًّا ولا يمكن اثباتهُ بالدليل الرياضي وسواء صحَّ او لم يصح يبقى امر الاحتكاك وازدياد طول النهار والشهر على حالهِ لانهما مبنيان على قواعد حسابية مقرَّرة

ولم اشر في ما تقدَّم الى مقدار الزمن الذي حدث فيهِ ذلك اي الزمن الكافي لانفصال القمر عن الارض وصيرورتهِ كرةً تدور حولها مع ان معرفة هذا الزمن كبيرة الفائدة العلمية وهي مما يتوق العلماء اليهِ . فاذا وجب ان يكون هذا الزمن ملايين الملايين من السنين فالتعليل باطل لانهُ يعلم من امور اخرى ان تاريخ الارض محدود لا يصل الى ملايين الملايين من السنين وكذلك تاريخ النظام الشمسي كلهِ محدود مهما كان متوغلاً في القدم . غير انهُ يعلم بالحساب انهُ اذا كان الاحتكاك المتقدم ذكرهُ قد فعل في العصور الغابرة كما يفعل الآن وكانت الاحوال كلها صالحة لفعلهِ فكل ما حدث يمكن ان يحدث في نحو خمسين او ستين مليون سنة على الاقل . ولا بدَّ من ان تكون اكثر من ذلك لاننا استعملنا اقل مدة يمكن ان يحدث فيها ما حدث من انفصال القمر عن الارض ودورانهِ حولها . وقد يكتشف العلماء عللاً اخرى لتكوُّن القمر ودورانهِ ولكن لا يحتمل انهم يجدون علة اقوى من علة المدّ الشمسي المشار اليهِ آنفًا

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

عثرت في مقتطف يناير على رسالة لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي كامل قابل فيها بين بلاغة الافرنج وبلاغة العرب مستندًا الى امثلة وشواهد منها في الافرنجية معرب قصائد ومنثورات لكبلنغ وهيكو وفي العربية مقتطفات من منثور سماحة السيد البكري وابيات لبعض شعراء العرب

وقد آنست من حضرة الكاتب تحاملاً على الافرنج رددتهُ الى غيرة حضرتهِ على آداب اللغة العربية غيرة تحمد منهُ والى قلة علم باللغات الافرنجية وآدابها فهل يأذن لي حضرة الاديب ان انقد كلامهُ مع اعترافي بالعجز والقصور

اللغة العربية في عرف علماء الفيلولوجيا احدى اللغات السامية ولغات اهل اوروبا فروع اللغة الآرية . وان من لهُ الماماً باصول الفيلولوجيا يعلم ما بين هذين الاصلين اعني السامي والآري من التباين والبعد بحيث يصعب ردهما الى اصل واحد الامر الذي يسعى اليهِ المشتغلون بتوحيد اصول اللغات

وزد على ذلك ان طرق التعبير عند الفرنجة غيرها عند العرب وابسط ما يستشهد بهِ في هذا المقام اننا نحن المشارقة نقيس الابعاد بالساعات والايام ويقيسها الغربيون بالاميال والامتار وان كاتباً اميركيًا بعيد الشهرة والصيت (مارك تواين) جاء بلاد الشرق منذ عهد ليس ببعيد فلما وقف على كيفية قياس الابعاد هذا اغرب في الضحك وسأل مستغربًا ما اذا كان المشارقة يقيسون طول قاماتهم وثيابهم بالوقت كأنْ يقولوا طول فلان اربع ثوانٍ وثخنهُ ثانية ونصف ثانية او ان طول ثوبهِ كذا ثوانٍ وعرضهُ كذا اجزاء من الثانية

وهذا شاهد بسيط على ان هنالك من التعابير في اللغات السامية والآرية ما لا يستطاع نقلهُ من الواحدة الى الاخرى لما تقدم من تباين اوضاع هذه اللغات واختلاف تصاريف الافعال فيها فللعرب صيغة واحدة للماضي مثلاً وللفرنسيين خمس صيغ وللانكليز اربع صيغ وقس عليهِ

وقد الف العرب عادات ومناظر ووُجدوا في احوال تختلف عن احوال الفرنجة فكانت النتيجة اختلافًا في الاذواق والآراء احدث هذا الفرق في اشعار الفريقين وكتاباتهم فما يعدُّ بليغًا عند العرب قد لا يحسب كذلك عند الافرنج ولو نقلنا الى الانكليزية هذا البيت

خطرات النسيم تجرح خديهِ ولمس الحرير يدمي بنانهُ

لوضع الانكليز اصابعهم في آذانهم حذر سماعهم اياهُ ثانية مع ان في البيت من المحاسن ما يطرب لهُ كل عربي . ولو نقلنا الى اللغات الافرنجية

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لضحك الاوربيون منهُ ولم يستطيعوا تفهم معزاهُ مع ان البيت مطلع اشهر قصيدة لاشهر شاعرٍ عربي وقد استغرق وصف محاسنهِ صفحات كثيرة من كتب الشراح واهل الادب

ولا يستطاع تبديل هذ الذوق الأبتريتهِ وتهذيبهِ فترى المستشرقين من كتبة الاوربيين وشعرائهم يلذون لما يجدونهُ في اشعارنا وكتاباتنا من البلاغة والفصاحة وكذلك يطرب متأدبونا والمتخرجون منا في مدارس الفرنجة لدى مطالعتهم كتب القوم ووقوفهم على استعاراتهم وتشابيههم وما ذاك الاَّ لان كلاًّ من الفريقين نال ما نالهُ بالدرس وطول المزاولة حتى الف ما عند الفريق الآخر من الخيالات وطرق التعبير

ومما يزيدني ثقة بصحة هذا القول اعتبار الانكليز التوراة كابلغ ما خطهُ البشر مع ان لغة التوراة الاصلية العبرانية وهي من اللغات السامية وانما هم الفوا قراءتها وتمثلوا الجبال والوهاد وحاسيات الحزن والفرح المدرجة فيها والوصف الذي وصفهُ كتبتها الى آخر ما يلقاهُ المرء في اسفار التوراة من شعر ونثر

ولما كان اللفظ ثوب المعنى يحسنهُ بحسنهِ ويقبحهُ بقبحهِ نقصت بهجة الاشعار الافرنجية لدى تعريبها وذبلت نضرة الاشعار العربية لدى نقلها الى لغات الافرنج . هذا ديوان البهاء زهير وهو آية في الرقة واللطف نقل الى الانكليزية والناقل شاعر انكليزي يعرف العربية وقد اسعفهُ شاعر عربي بليغ يعرف الانكليزية فجاءت الترجمة باردة ثقيلة مع التزام الناقلين ضبط المعنى وكون الترجمة الانكليزية شعراً

ويتمشى عين القول على شكسبير وهو امام الشعراء فقد بلغ من ميل الفرنجة الى كتابات هذا الشاعر ان الفرنسي او الالماني قد يجهد نفسهُ ويتعلم الانكليزية على ما في ذلك من وعورة المسلك لكي يقف على اشعار شكسبير في لغتها الاصلية مع ان اشعار الرجل مترجمة الى سائر لغات اوربا لكن العارفين يعلمون ان الترجمة تفسد كثيراً من جمال الشعر ورونقهِ هذا اذا ترجم الى لغة نسيبة الاخرى فما قولك لو نقلت اشعار شكسبير الى العربية وهي تبعدُ عن لغات اوربا بعداً شاسعاً

وقد ابى مترجم رواية التعساء (لفكتور هيكو) الى الانكليزية ان ينقل فصلين منها

الى تلك اللغة معترفاً بعجزهِ فمن لنا بمن ينقل هذين الفصلين الى العربية وهو يعلم ان طرق التعبير في الافرنسية تماثل طرقهِ في الانكليزية مماثلة كبيرة

ولا يراد بقولي هذا ان تعريب المقتطف لاشعار كبلنغ وتعريب لسان العرب لاشعار هيكو ناقصان وانما جلّ ما اقولهُ في هذا الشأن انني قرأت الاصلين في لغتيهما وقرأت التعريب واراني ألذُّ بالاصل اضعاف لذتي بمعربهِ واللوم في ذلك غير عائد الى المعربين وانما ما تقدم من الاسباب هو مرجع الفرق بين الاصل ومعربهِ

وقد الف الافرنج من المناظر والخيالات والتشابيه ما لم نألفهُ نحن والعكس بالعكس فلو وقفت في ساحات لندن وباريس ورفعت عقيرتك وتغنيت بالرقمتين ووخد الابل وريح الصبا والمسك والعنبر وعقرب الصدغ وانشدتهم

وما اخضرَّ ذاك الخال نبتاً وانما لكثرة ما شقت عليهِ المرائرُ

لاصاب السامعين ما اصاب حضرة الاديب من انكارهِ على الشاعر الفرنسي رقص السحابة حول القمر . لكن الشرقي يرتاح الى جميع هذه فهو الذوق لا جدال فيهِ والعادة ليس من ينكر تأثيرها

ويستحيل على العربي معرفة الاسباب التي تحبب اشعار كبلنغ ومن شاكلهُ الى قومهم ما لم يكن عارفاً بلغة القوم وتاريخهم وتقاليدهم فقد نظم الرجل قصيدة اكراماً للجنرال السر اقلن وود بعد حربهِ مع السودانيين عنوانها (فزي وزي) (Fuzzy Wuzzy) وصف فيها شجاعة السودانيين وما فعلوهُ بالجيش البريطاني ونظر بين افعالهم وافعال غيرهم من اهل الهند والترنسفال ممن حارب البريطانيين كل ذلك بالكلام العادي الذي يتداولهُ عامة الناس والطبقة الدنيا منهم فجاءت قصيدة مطربة بليغة في بابها وصنع لها احد الموسيقيين صوتاً فتغنى بها الانكليز والاميركان في نواديهم واعجبوا بمحاسنها شديداً ورددوا صداها في محافلهم ولو عربت القصيدة (مع استحالة الامر) بنغمتها لنفر منها الشرقيون وحكموا بان واضعها ذو جنة ولو كلف شاعر عربي لوضع مثلها في الباب نفسهِ لاتى الموطن عن سبيل آخر وانما كلا الشاعرين يضرب الى غاية واحدة هي وصف شجاعة القوم بما يحدث تأثيراً في نفوس السامعين بتشابيه جديدة او مأنوسة كأن يذكر العربي منهما مواقع عبس وذي قار ويعدد الانكليزي حروب قومهِ مع الهنود والافريقيين كما فعل كبلنغ وتكون النتيجة ان العرب يستقبحون ما نظمهُ الانكليزي ويستخف الافرنج بما نظمهُ العربي اللهمَّ الاَّ الراسخين من الفريقين في اللغتين

ثم ان هنالك عيباً في انشاء المحدثين من الكتاب لا اراهم يحبون التملص منهُ وهو ذلك

السجع يلتزمونهُ في كتاباتهم وهو من مضعفات التركيب بما يلتزمهُ الكاتب من تقييد نفسهِ بلفظٍ قد يفيد المعنى المطلوب وقد لا يفيدهُ. ثم ان الرسالة اذا جاءت كلها مسجعة باتت على وتيرة واحدة مما يدفع القارىء الى الملل. ويستحب من السجع ما يأتي عفو القريحة متين الرصف او ان يكون هنالك نكتة كقول سماحة السيد "انظر الى الاستكانة بعد الصولة وقبر في جوفهِ دولة" وقوله "نابوليون وما نابوليون اسم ترك دويًا في كل قطر. كلما تداول سمع المرء انملهُ العشر" والاَّ جاء باردًا ثقيلاً كما هو الواقع في كثير من السجع حتى في مقامات الحريري ومن اشبههُ من فحول الكتاب

وفي رسالة حضرة الاديب شاهدان هما معرَّب وصف ميلاد نابوليون الثاني ورسالة سماحة السيد البكري في وصف مولود . ولسماحة السيد المقدرة في صناعة الانشاء ولهُ آيات في البلاغة احلتهُ محلاً رفيعًا بين كتاب العصر حتى بات وهو المشهود لهُ بانهُ راعي تلعات الفضل وانما يفضل معرَّب وصف ميلاد نابوليون الثاني رسالتهُ لا من حيث رصف الكلام فهو لا ينازعهُ في ذلك منازع ولكنها التخيلات افضلها في الاولى عليها في الثانية اذ يتمثل لي صورة في الواحدة منهما واعدم تلك الصورة في الاخرى فلا يخرج وصف سماحة السيد عن تشبيه المولود بالقمر والاسد والزهرة والدرة الى آخر ما ورد في الرسالة مما لا يؤلف صورة يرتاح اليها الخيال

ولا اخال العارف باللغتين الفرنسية والعربية يفضل رسالة السيد من حيث رصف الفاظها وتنميقها على قصيدة فكتور هيكو في الاصل الفرنسي اذ لا تخلو رسالة السيد من الفاظٍ ينفر منها السمع كالعكرمة والقعقاع والعذيق مما لا اثر لهُ في قصيدة هيكو

وفي قصيدة هيكو من سمو التخيل ما لم يبقِ بعدهُ مجالاً لشاعر فهي تصف تمامًا عظمة نابوليون ومكانهُ من اوروبا ومن الامة الفرنسية لدن خضعت لهيبتهِ ام الارض ثم يستطرد الى وصف حاسياتهِ بعد الذي اوتيهِ من رفعة الشان وضخامة الملك ويتلو ذلك مقابلة ووصف لما تصير اليهِ حالة المرء مهما ارتفع شأنهُ وعظم امرهُ وفيها من دقة التعبير وسمو المدارك ما هو ظاهر بحيث لا يستطاع ردهُ. كل ذلك بالعبارات التي تحدث في النفس الاثر المراد فان من يقرأ القصيدة يتمثل لعينيهِ مجمع الامم الحافل وذلك السلطان محفوفًا بالعظمة والمجد . وما ابدع انتقال الشاعر الى قولهِ ثم كلمهُ صوت الشاعر من وحي الغيب . فقد يستطيع الكاتب الاتيان بمثلهِ لا يزيد عليهِ حسنًا وكم من كاتب تزل قدماه دون بلوغهِ هذه الدرجة من البلاغة

واما قول حضرة الاديب ان رسالة السيد في معنى قصيدة هيكو فدليل على انهُ لم يحسن

تفهم كلام هذا الاخير اذ لا مماثلة بين الرسالتين فالاولى منهما موضوعها نابليون وساعتان احداها في معظم السؤدد والاخرى في مقام الهوان والثانية منهما تقتصر على ما يسرّ والداً ولد لهُ مولود فكتب اليهِ كاتب بليغ يعظم قدرهُ وقدر المولود ويتمنى للاخير منهما عيشاً هنيئاً ورفعة لما يعهدهُ في آبائهِ واجدادهِ من طيب الخلال والنزوع الى تطلاب المجد الخ

ولنعد الى ما خرجنا عنهُ من البحث. خذ مثلاً بيت المتنبي المشهور في الجزء الذي اختارهُ حضرة الاديب مثالاً والبيت

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموت جباناً

وانثر هذا البيت او انقلهُ الى احدى اللغات الاوربية فانك تستطيع الافصاح عن معناهُ تماماً وانما ينقصك شيءٌ تشعر بهِ في الحالين وذلك النقص مرجعهُ انتقاء الالفاظ العربية في البيت ورصنها معاً على نمط يستشعر معهُ المرء بالموسيقى الشعرية (اذا صحّت هذه التسمية) الامر الذي لا يستطاع في النثر او في احدى اللغات الافرنجية في هذا الشاهد وفي كثير من نحوهِ. وقد فطن كتاب الانكليز لهذا الامر بعينهِ فافردوا لهُ فصولاً في كتب البيان وسموهُ (harmony) اي المناسبة بين اللفظ والمعنى سواءٌ كان ذلك في اللفظ الواحد او في ما تركب من غير لفظ واحدٍ. ولم يفسح لهُ العرب مجالاً في كتبهم الاَّ في ما نصَّ عليهِ متأدبوهم من شروط الفصاحة في اللفظ الواحد او الالفاظ الكثيرة مما تراهُ في الفصل الاول من كل كتاب بيان

وشبيه بالفرق بين بلاغة العرب والفرنجة ما بين موسيقاهما من التباين فلا يطرب الافرنجي سوى موسيقى الافرنج ولا يرتاح المصري الاَّ الى سماع صوت عربي ومن العبث البحث عن ايهما افضل هذا الغناء او ذاك ما زالت الافضلية مرجعها في ذوق السامع لا في الموسيقى نفسها والاَّ فاذا حكَّمنا العارفين من الشرقيين بالموسيقى العربية والافرنجية وبلاغة العرب والافرنج فضلوا موسيقى الافرنج وبلاغتهم بالاجماع الاَّ في مواطن يشارك فيها العرب الافرنج او يفوقونهم بلاغة وطيب موسيقى

ولنا نحن العرب من كنوز البلاغة ما يعترف بفضلهِ الافرنج انفسهم وانما ابى بعض شباننا والمتأدبين منا الآن ان يرذلوا هذه اللغة وينقطعوا الى اللغات الاجنبية زعماً منهم ان اللغة العربية خلوٌ من المحاسن الشعرية وليس فيها من المعاني ما يصح الوقوف عليهِ وهو تفريخ فيهِ كثير من الافراط وخير الامور ان يجمع المرء بين ما لذَّ وطاب من مقول الفريقين لا ينقطع لواحد منهما

واني استميح حضرة الاديب عذراً وعفواً فقد نظرت في المسألة كمن هو عارف ميل مناظرهِ الى حرية القول والبحث ويشهد الله انني لا اقصد الغضَّ من شأن هذه اللغة التي اخاف ان

يكون قد قضي عليها بالفناء فانا اعلق الناس بها حبًّا على ضعفٍ في القريحة وانما تنشط اللغة من عقال الضعف والسقم بهمة ادباء نظيرهِ وتنشيط بلغاءِهم القدح المعلى كسماحة السيد البكري وابحاث يتبين معها ما تحتويهِ هذه اللغة من المحاسن وما يجب على ادبائها من العمل لحفظها سالمة من الفساد ولنموها وتقدمها

ولعل هذا البحث يدفع بعض ادبائنا الى تعريب شيءٍ من بليغ ما كتب الافرنج كاسياً حلة عربية فيتضح لنا ما عند اخواننا الفرنجة من معجزات البلاغة والانشاء

ذات الاجراس وملك الحيات

للاستاذ داود ستار جوردان رئيس مدرسة لالند ستانفرد الجامعة

من ضعةٍ وجرأة وخُيلا وكرَب من غير احصاء ولا
ولعنة من سالف الدهر على كل الافاعي تركتْها مثلا
تسعى على الارض وتأ كل التراب

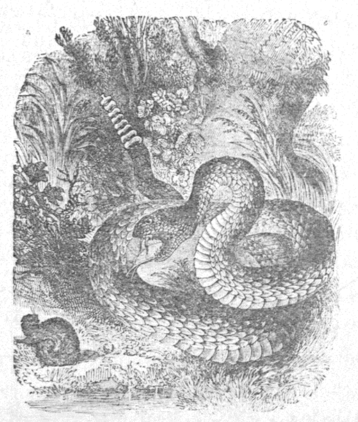
ومن لسان يحرق العشب ومن تمجُّ يخشى لظاهُ المستسنّ
صفاتكَ اللائي بها انت قمِن يا افعوان الشرّ من منكَ أمِن
فقد نجا من ميتة فيها العذاب

«ترجمة من ابيات لبرت هرت»

ذات الاجراس حيَّة رقشاء نضناضة حرشاء . وطنها كليفورنيا جبالها ووهادها وسهولها ونجادها . اوت الى جحر تحت صخر صلد ادهم فنامت فيهِ فصل الشتاء كأنهُ ليلة ليلاء . حتى اذا نزلت الشمس برج الحمل . وحلَّت عقد الصقيع عن السهل والجبل . خرجت من خباها وقد اضناها البرد والجوع تطلب الدفء في عين الشمس وتترصَّد فريسة تسدُّ بها الرمق. وكان الماء يترقرق عن يمينها وشلالاتهُ تنصبّ في الوهاد والرياح تعبث بابر الصنوبر فتنقلقل كازلام ياسر . والطيور تسجع بنغم الحب غير خائفة سطوة كاسر . كل ذلك وذات الاجراس عنهُ غافلة لا تهتم الاَّ بها من البرد والعناء ولا تحسب ان احداً ينظر اليها نظر الحب والولاء . لا سيما وانها كانت من اخبث الافاعي واقبحهنَّ منظراً براس مصفح كتابوت الميت وذنب معقَّد كذنب الضب . حتى اذا فغرت فاها وابرزت نابيها واغمضت عينيها لتعلم ما بقي فيها القوة على الشر والمقدرة على الفتك زادت قبحًا على قبح وهولاً على هول

ولما خرجت من حجرها كان جسمها مشبّكاً لا يكاد يستطيع حراكاً لكن اشعّة الشمس فكّت قيودها ولينت عضلاتها وللحال طابت نفسها وشعرت بالجوع

وكان في اشجار الصنوبر القائمة امامها وحواليها سنجاب مخطّط يثب من شجرة الى اخرى ومن غصن الى آخر ثم نزل الى الارض وجعل يزم شفتيهِ ويزبئر ويعجب بنفسهِ كأنهُ محور الكون ونقطة دوران العالم وكانت ذات الاجراس تنظر اليهِ شزراً وترمقهُ من طرف خفي كانها تتحين الفرص للقبض عليهِ ثم حركت ذنبها وهو ابرد اعضاء جسمها لتعلم ما اذا كانت



حرارة الحياة قد دبت فيهِ نخشخش شديداً ثماني عقد او ثمانية اجراس وزر في طرفها خشخشت كلها معاً كخشخشة السلاح فسُرّت بصوتها واعادت الخشخشة تيهاً وعُجباً وللحال ماجت الارض حولها بما فيها من الدواب والهوام بل من كبار الحيوان لانها سمعت صوت اجراسها فاركنت الى الفرار . ومَن لا يفرُّ من وجه ثعبان اذا لسع الجمل القاهُ صريعاً . فرّت كلها الاَّ ملك الحيات فانهُ رفع رأسهُ وفتح عينيهِ وتأهب للنزال تأهُّب مَن يثق بالفوز القريب

ملك الحيات حيّة دقيقة تماثل ذات الاجراس طولاً وتقلُّ عنها ثخناً جلدها املس برّاق ليس خشناً مغضناً مثل جلد ذات الاجراس ورأسها صغير جميل ولو في حيّة . وهي اجمل

الافاعي منظرًا راسها اسود كالزفت وعنقها ابيض كالثلج وجسمها كلهُ الى طرف ذنبها مغطًّى بلحقات بيضاء وسوداء وحمراء وهي ملساء براقة كانها خرجت من يد الصيقل

لما سمع ملك الحيات خشخشة ذات الاجراس انساب من بين اعشاب كانت تحجبهُ عن الانظار ودنا منها ففتحت عينيها ورفعت رأسها وحرَّكت اجراسها لكن ملك الحيّات لم يخش بأسها . ولكل حيّة مقتل ولولا ذلك لعاشت الى ما شاء الله وقتلت كل ما حولها من انواع الحيوان ثم ماتت جوعاً وانقرض نسلها

لما رفع ملك الحيَّات رأسهُ وتهيأ للوثوب انحلَّت عزائم ذات الاجراس واطرقت اطراق الشجاع واطبقت فاها وانسابت نحو جحرها فقال ملك الحيات في نفسهِ قد حانت الفرصة فقزَّ ووثب عليها باسرع من البرق وقبض على عنقها وهو عزل من السلاح لاناب ولا حمة ولا مخلب وما كذاك يكون الشجاع لكنهُ شديد البأس رابط الجاش قوي العضل ولهُ اسنان صغيرة دقيقة يقبض بها على فريستهِ فلا يدعها تفلت منهُ . ولما لم ترَ ذات الاجراس سبيلاً لها اليهِ اطبقت فاها وادخلت مخالبها في اغمادها والتفَّ ملك الحيات على عنقها التفافاً وادخل بعضهُ في بعض كالانشوطة وجذب نفسهُ فوقص عنقها وتركها جثة لا يتحرك منها الاَّ ذنبها وذنب الافاعي يتحرَّك طويلاً . ثم انفك عنها وجعل يلحسها بشفتيهِ من رأسها الى ذنبها حتى غطَّى بدنها بلعاب لزج يسهّل عليهِ ابتلاعها وفغر فاهُ وشرع في ذلك فابتدأ برأسها وهو كبير يصعب عليهِ ازدرادهُ لكنهُ ظلَّ يضغطهُ حتى تمكن من ابتلاعهِ وكان السم يقطر في حلقهِ وهو يحسبهُ ماء الحياة حتى ابتلع عنقها وبدنها كلهُ الى ان وصل الى اجراسها وكانت لا تزال تخشخش فاتبعها الراس واستلقى على الصعيد تلك الليلة وجسمهُ ضعفا ما كان بالامس

ونهض السنجاب في الصباح ونظر الى مكان ذات الاجراس فرآهُ خاليًا فزم شفتيهِ ونفش شعر رأسهِ وتمايل عجبًا ولسان حالهِ يقول

انا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى اضع العمامة تعرفوني

هذا ما كتبهُ العلاَّمة الاستاذ جوردان وافرغهُ في قالب قصة فكاهيّة وهو مثل كتابات كثيرة لهُ تلبس الحقيقة ثوب المجاز وتوضح غرائب الطبيعة في صور كسيت من البلاغة حلة الاعجاز . وسنحلي جيد المقتطف بمقالات اخرى من هذا القبيل

الاسكندر ذو القرنين

اعظم معارك الاسكندر

ختمنا الكلام في الجزء الماضي برجوع الاسكندر من مصر الى الشام وتدبيرهِ امور صور وايغالهِ في قلب اسيا . وها نحن موردون بقية تاريخهِ في هذا الجزء والذي يليهِ معتمدين على ما كتبهُ الاستاذ هويلر الاميركي في هذا الموضوع

لم يذكر كاتبو اخبار الاسكندر تاريخ قيامهِ من صور وايغالهِ في اسيا ولكن يظهر من بعض القرائن انهُ قام منها في شهر يونيو (حزيران) سنة ٣٣١ قبل المسيح فبلغ الفرات في اواخر يوليو وبعث امامهُ بالمهندسين لكي يقيموا لهُ الجسور على الفرات فلما بلغهُ وجد انهم اقاموا لهُ جسرين ولكنهم لم يوصلوهما الى الضفة المقابلة لانهُ كان فيها خمسة آلاف من جنود الفرس تمنع ايصال الجسور اليها. فلما علموا بوصولهِ خافوا منهُ واركنوا الى الفرار لان هيبتهُ كانت تتقدمهُ حيثما سار. فاتمَّ المهندسون الجسرين وعبر الاسكندر وجنودهُ . واسم المكان الذي عبروا منهُ تبساكوس وهو قرب المكان المعروف الآن بالرقة . والقوافل الذاهبة الى حلب الآن لا تقطعهُ من هناك بل من مكان الى غربيهِ يبعد عنهُ نحو مئة ميل

وكان الفصل صيفاً والحرُّ شديداً ورأى الاسكندر انهُ اذا نزل بجنودهِ في سهول الجزيرة اهلكتهم الحميات فعرَّج بهم نحو الشمال حتى بلغ جبال ارمينية وعلم من الفرس الذين اسرهم هناك ان داريوس ترك بابل وعسكر بجنودهِ على الجانب الشرقي من دجلة . وهناك مخاضة ظن ان الاسكندر يصل اليها ليقطع دجلة منها فعسكر امامها لكي يمنعهُ من عبورها وكان هناك طريق القوافل السائرة بين المشرق والمغرب ومخازن البضائع ومستودع الاموال . وقد تغيرت طرق التجارة من ذلك العهد الى الآن وحيثما انتقلت انتقلت معها الثروة والعزَّة الى ان ركبت اجنحة البخار برًّا وبحرًا فلم تعد البلدان التي تمرُّ فيها تكتسب منها شيئاً يذكر

لما علم الاسكندر ان داريوس قائم في انتظارهِ اسرع اليهِ وقطع دجلة من مخاضة غفل داريوس عن حراستها . ولما اتمَّ جنودهُ عبورها خُسف القمر فاوجسوا من ذلك شرًّا لكن ارستندر الكاهن عبَّر الخسوف بشرّ يصيب الفرس زاعماً ان الضحايا التي ضحاها حينئذٍ تشير الى بلادهم . ويظهر بالحساب الفلكي ان هذا الخسوفَ حدث في العشرين من سبتمبر (ايلول) سنة ٣٣١ قبل المسيح ولذلك فقد قضى الاسكندر نحو شهرين في بلاد الجزيرة مع ان المسافة التي قطعها لا تزيد على ٢٥٠ ميلاً

وكان داريوس قد جمع جيشاً ضخماً من كل اطراف مملكته من السكيثيين والبلخيين والصغديانيين والاراخوسيين والعرب والارمن وقام قواده سنة كاملة يدربونهم في فنون الحرب واساليب الكر والفر حتى حسب انهم فاقوا الجنود الذين كانوا معه في واقعة اسوس. وقد ذكر اريانوس انهم كانوا مليوناً من المشاة واربعين الفاً من الفرسان وهو من اكثر المؤرخين تدقيقاً واقلهم مبالغة . وكان في هذا الجيش مئتا مركبة يتصل بمحاور عجلها سيوف ماضية تحصد ما امامها حصداً وهي مما لم يستعمله الفرس في واقعة اسوس . واختار داريوس سهلاً فسيحاً لجنوده لكي لا يصيبهم ما اصابهم في اسوس حيث كان المجال ضيقاً عليهم ومهد الارض حيث رأى فيها اغواراً وانجاداً لكي يسهل على مركباته الجري فيها

ونقدَّم الاسكندر وهو على اشد الحذر لانه كان في قلب بلاد العدو ووراءه نهر كبير وجبال شاهقة وامامه جيش جرار كبير العدد كثير العدد مدرَّب على اساليب القتال. وقام في اليوم الحادي والعشرين من سبتمبر وسار الهوينا ودجلة عن يمينه والجبال عن يساره حتى اذا سار اربعة ايام عادت طلائعه اليه تقول انها رأت طلائع الفرس امامها فجدَّ فرسانه في اثرها فوجدوها الف فارس لا غير فناوشوها واسروا بعض رجالها ونزل الاسكندر هناك اربعة ايام لكي يستريح جنوده ويستعدوا لمنازلة الفرس وقام بهم ليل التاسع والعشرين من الشهر وسرى بقية الليل الى ان وقعت عينه على معسكر الفرس فجمع قواده واستشارهم في الهجوم فاشار كثيرون منهم به لكن بارمنيون وغيره من القوَّاد المحنكين فضلوا ان ينزلوا هناك ويرسلوا فرساناً تستطلع احوال السهل لئلاَّ يكون فيه خنادق وترع واشراك اخرى يصادون بها. فغلب رأيهم ووقف الجيش في مكانه واختار الاسكندر كوكبة من نخبة فرسانه وسار بها ليستطلع ساحة القتال بنفسه ثم عاد وجمع قواده واخبرهم بما رأى ونظم طريقة الزحف ثم امرهم ان يأكلوا ويناموا ويستعدوا للهجوم في الصباح التالي . وقد وصف فلوطرخس تلك الليلة وصفاً بديعاً قال ما ترجمته

"في الليلة الحادية عشرة بعد الخسوف الذي حدث في شهر بويدروميون اقام الجيشان بحيث يرى احدهما الآخر داريوس وجنوده قيام باسلحتهم وهو يمرُّ بين صفوفهم يستعرضهم على نور المشاعل . والاسكندر وجنوده نيام وهو واقف امام خيمته يضحي الضحايا لاله الخوف مع ارستندر الكاهن. ولما رأى بارمنيون وغيره من القواد السهل يموج بالمشاعل والنيران وسمعوا لغط اصوات العدو تحمله الرياح اليهم كأنه صوت امواج بحر خضم اعترتهم الدهشة وقالوا في نفوسهم ان مناجزة جيش عظيم مثل هذا في نور النهار هي الهلاك بعينه فدنوا من الاسكندر وطلبوا منه ان يأمرهم بتبييت العدو لكي يحجب الليل عنهم المخاطر . فاجابهم جوابه المشهور

"اني لا اسرق الظفر سرقة"

ولما اتمَّ تقريب الضحايا نام بقية ليلتهِ ولم يستيقظ باكرًا على جاري عادتهِ حتى اضطرَّ قوادهُ ان يأمروا الجنود بالافطار ودخل بارمنيون خيمتهُ وناداهُ ثلاثًا حتى استيقظ وقال لهُ اراك نمت نوم ظافر لا نوم مَن يرى امامهُ اعظم الجيوش واشد المعارك . فضحك الاسكندر وقال لهُ ألا ترى اننا ظفرنا بداريوس حينما خلصنا من مشقة التفتيش عنهُ في بلاد قاحلة"

(١) امتعة جيوش الاسكندر

(٢) حامية ميمنة الاسكندر

(٣) فرسان الميمنة

(٤) فيالق المشاة

(٥) فرسان الميسرة

(٦) حامية الميسرة

(٧) الرماة

(٨) مركبات الفرس

(٩) افيال الفرس

(١٠) فرسان السكيثيين والبخيين

(١١) فرسان الارمن والكبدوكيين

(١٢) الحرس الملكي

(١٣) داريوس

(١٤) مسترزقة اليونان

ونام جنود الاسكندر تلك الليلة واستراحوا ونهضوا في الصباح منتعشي القوى واما جنود داريوس فباتوا مستيقظين مستعدين للقتال خائفين من ان تبيتهم جنود الاسكندر فلم تشرق الشمس عليهم الاَّ وقد خارت قواهم من السهر وانتظار الردى

وفي غرة اكتوبر (ت ١) سنة ٣٣١ قبل المسيح وقف الجيشان للقتال جيش الاسكندر وفيهِ اربعون الفاً من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان وجيش داريوس وفيهِ اكثر من الف الف محارب فوقف جيش الاسكندر امام قلب جيش داريوس كما ترى في الرسم السابق ولم يستطع ان يمتد الى جناحيهِ وخاف الاسكندر ان يطبق عليهِ جناحا الفرس فيحيطا برجالهِ من كل ناحية فابقى فرقتين منهم وراء جناحيهِ حتى تنجداهما اذا دعت الحال الى ذلك ووقف هنيهة يرقب حركات العدو بعين القائد الخبير الى ان لاحت الفرصة فامر رجالهُ ان يتقدموا من جهة الميمنة لكي يقعوا على ميسرة الفرس فماجت صفوف الفرس لكي تقابلهم من تلك الجهة ورأى داريوس ان ذلك يبعد المركبات عن الارض الممهَّدة لها فارسل فرسان السكيثيين والبخيين لتناوش ميمنة المكدونيين فقابلتها كوكبة من فرسان المكدونيين وناوشتها قليلاً ثم اضطرت ان تعود القهقرى ونجدتها كوكبة اخرى ولم تكد تصد فرسان الفرس حتى كانت المركبات قد اقبلت على فيالق المكدونيين بمناجلها فخاف الاسكندر ان يرتاعوا منها ويختل نظامهم لكنها لم تفِ بالغرض لان المكدونيين قابلوها بسيوفهم وخناجرهم فبقروا بطون خيلها وقتلوا الرجال الذين فيها بحد السيف

ولما مالت صفوف الفرس الى جهة الميسرة لتقابل ميمنة المكدونيين انفرج قلبها ورأى ذلك الاسكندر فقال قد حانت الفرصة ودار بفريق من فرسانهِ اصحاب الرماح الطويلة نحو الشمال وقصد الى قلب جنود الفرس حيث كان داريوس فانقضَّ عليهِ بغتة كصاعقة من السماء وما زال هو وفرسانهُ يطعنون يمنةً ويسرة يوردون الابطال ويخطفون مهج الاقيال الى ان وصل فارس الى مركبة داريوس وطعن سائقها برمحهِ فالقاهُ صريعاً ورأى داريوس ذلك فاركن الى الفرار وارتدَّت الصفوف الامامية فاختلطت بالتي وراءها واستولى عليها الاضطراب والجزع

وكان البرثيون والهنود قد خرجوا من ميمنة صفوف الفرس وهجموا على صفوف المكدونيين في المكان الذي خرج منهُ الاسكندر وهجمت فرسان الارمن والكبدوكيين بقيادة مازيوس على ميسرة المكدونيين وكادت تفنيها فبعث بارمنيون الى الاسكندر يستنجدهُ ودار الفرسان الذين كانوا يحمون ميمنة المكدونيين وقابلوا البخيين والهنود وردوهم على اعقابهم والتقى بهم الاسكندر وهو عائد لنجدة بارمنيون فصدَّهم عن الرجوع واثخن فيهم فلم ينجُ منهم الاَّ كل طويل العمر . وثبتت فرسان تساليا في ميسرة جيش الاسكندر امام فرسان مازيوس ثم ردَّتهم على اعقابهم قبل ما وصل الاسكندر لنجدتها فاركنوا الى الفرار مع بقية تلك الجحافل . وجدَّ الاسكندر ورجالهُ في اثرهم حتى كلَّت اذرعهم من الطعن والضرب وتعثرت خيلهم بالقتلى

والجرحى وسدَّ القسطل عنان السماء وخيم الليل على الغبراء

وكانَ الاسكندر قد عبر نهر ليكوس فأمر رجالهُ ان يناموا و يستريحوا الى منتصف الليل هم وخيولهم ثم قام واقتفى خطوات الفارين الى اربل[١] لكي يقبض على داريوس لكن داريوس وصل السير بالسرى ولم يقرَّ لهُ قرار حتى ابعد عن الاسكندر وامن وصولهُ اليهِ ووقعت مركبتهُ وقوسهُ ورمحهُ في يد الاسكندر كما وقعت في واقعة اسوس وبقي معهُ كوكبة من الفرسان البخاريين فقطع بها بلاد مادي واما سائر جنودهِ فتفرقوا ايدي سبا واسر المكدونيون منهم الوفاً كثيرة ولم يحصِ احد عدد القتلى

هذه اعظم معركة من معارك القدم واكبر حادثة حوَّلت مجاري الامور وغيرت مصير الامم

ورأى الاسكندر ان اقتفاء خطوات داريوس يتعذَّر عليهِ حينئذٍ فعاد عنهُ وقطع دجلة ثانية وسار جنوباً الى بابل فرحَّب بهِ اهاليها عن طيب نفس كما رحَّب بهِ اهالي مصر لانهُ رفع عنهم نير الفرس . واكرمهم هو وامر ان يجدَّد بناء هيكل بعل وعبد فيهِ واصغى الى حكم كهنتهم ومشوراتهم . وكانت صور ومصر قد نبَّهتا في نفسهِ شعوراً جديداً ورغبة في توحيد ممالك العالم فلما رأى بابل سيدة المدائن قوي فيهِ هذا الشعور وزادت فيهِ تلك الرغبة وكأَنَّ تصاريف الزمن وضعتهُ في ذلك المنصب فاقام فيهِ مضطراً غير مختار

وسار من بابل الى السوس[٢] عاصمة بلاد الفرس فوجد فيها خمسين الف وزنة وهي تساوي ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات واوغل في بلاد الفرس وحارب المرزبان اريوبارزانس وقهرهُ واحتلَّ برسيبولس[٣] وبسارغادي[٤] وغيرهما من العواصم . واذا صدق كرتيوس روفس وديودورس المؤَرخان فقد وجد الاسكندر في المدينة الاولى مئة وعشرين الف وزنة وفي الثانية ستين الف وزنة ومجموع ذلك ١٨٠ الف وزنة وهي تساوي ٤٧ مليوناً من الجنيهات ووجد فيها ايضاً من الجواهر والحلى والرياش والآنية الذهبية والفضية حمل عشرين الف بغل وخمسة آلاف جمل على ما قالهُ فلوطرخس وجد ذلك كلهُ في قصر الملك

(١) مدينة صغيرة شرقي الموصل اشتهرت اولاً بانها مكان هذه المعركة والصحيح ان المعركة حدثت بقرب المكان المعروف الآن ببيت الجمول

(٢) السوس او شوشن عاصمة بلاد خوزستان المعروفة في التوراة باسم عيلام وهي من اعظم عواصم الفرس القديمة واكثرها خرائب

(٣) اي مدينة الفرس وهي عاصمة بلاد الفرس القديمة الى الشمال الشرقي من شيراز على ٣٥ ميلاً منها في الطريق الى اصبهان وقد سميت في كتب العرب اصطخر

(٤) مدينة من اقدم مدن الفرس تعرف خرائبها الآن باسم مرغب وهي الى الشمال الشرقي من اصطخر وعلى ٧٠ ميلاً من شيراز

واقام في برسيبولس فصل الشتاء واحرق قصرها قبلما خرج منها . وقد ذكر المؤرخون فلوطرخس وديودورس وكرتيوس روفس خبر حرقهِ قال فلوطرخس " انهُ لما عزم الاسكندر على الخروج من المدينة واقتفاء آثار داريوس شارك ندماءهُ في الشراب وكان جواريهم معهم وبينهن قينة من اثاكيا اسمها تايس وهي جارية القائد بطليموس الذي صار ملكاً على مصر بعد اذٍ فلما اكثروا في الشراب وطابت نفوسهم قالت انها نالت جزاء مالقتهُ من المشاق بتعاطيها كؤوس الراح في قصر ملوك الفرس ولكن تزيد بهجتها اذا ابيح لها ان تحرق قصر زركسيس الذي حرق اثينا وتركها رماداً ولا سيما اذا كانت تضرم فيهِ النار بيديها امام الاسكندر حتى يقال في طول البلاد وعرضها ان جارية من الجواري اللواتي كنَّ مع الاسكندر انتقمت من الفرس واخذت منهم بثار اليونان اكثر مما انتقم منهم القواد العظام برًّا وبحرًا . فصفق لها الحضور طربًا وشاركوها في ما طلبت وكانت الخمرة قد لعبت برأس الاسكندر فنهض وعلى رأسهِ اكليل من الزهر وفي يدهِ مشعال مضطرم وسار في اروقة القصر وتبعهُ ندماؤُهُ وهم طافحون سكرًا وذاع الامر بين المكدونيين فتبعوهُ بمشاعلهم وهم يكادون يطيرون فرحًا لانهم حسبوا ان حرقهُ للقصر دليل على انهُ عزم على العودة بهم الى بلادهم "

ولم يذكر اريانوس هذه القصة ولكنهُ ذكر ان الاسكندر اراد ان يحرق قصر ملوك الفرس انتقاماً منهم واعلاناً بانقراض دولتهم واستشار بارمنيون في ذلك فلم يشر عليهِ بهِ لكنهُ حرقهُ ثم ندم على فرط منهُ

وكان داريوس قد لجأَ الى اكباتانا[٥] وهي شمالي برسيبولس على خمس مئة ميل منها واقام فيها منتظرًا تصاريف الزمن حتى اذا عاد الاسكندر من بلادهِ او حلَّت بهِ نائبة من نوائب الدهر عاد ولمَّ شعثهُ والاَّ سار شرقًا الى هركانيا[٦] وبرثيا[٧] في الشمال الشرقي من بلاد الفرس . وبعث بنسائهِ وجواهرهِ ومركباتهِ التي يسافر فيها الى شعب في الجبال يسمى ابواب قزبين وهو في حدود مملكتهِ ولم يكن ينوي ان يعبرهُ الاَّ اذا فرغت جعبة حيلهِ وايقن انهُ اضاع بلادهُ كلها لان البلاد التي عبر ذلك الشعب لم تكن من مملكة الفرس ولو كانت تعترف بسيادتها

ولما دخل فصل الربيع قام الاسكندر وسار نحو اكباتانا لانهُ ما دام داريوس حيًّا فلهُ منازع في الملك وهو يطمع ان يكون الملك الوحيد في مشارق الارض ومغاربها . وبلغهُ اولاً ان

(٥) مدينة قديمة كانت عاصمة بلاد مادي وعلى خرائبها قامت مدينة همذان في عصر الاسلام

(٦) عمالة على بحر الخزر تسمى الآن مزندران واستراباد

(٧) عمالة اخرى بين مادي وبلخ تفصل هركانيا بينها وبين بحر الخزر

داريوس جمع جيشاً آخر وفي نيته ان ينازله فسار على حذرٍ ثم علم انهُ لم يتهيأ لداريوس جمع ذلك الجيش ففرَّ من وجههِ ومعهُ تسعة آلاف مقاتل وسبعة آلاف وزنة وذلك لاختلاف قوادهِ رأياً فان نبار زانس قائد الفرسان وبسوس مرزبان بلخ ارتأيا ان تعطى القيادة العامة لبسوس ويلجأ داريوس الى بلخ فاضطرَّ ان ينقاد اليهما وصار كأنهُ اسير في ايدي مرازبتهِ. وبلغ الاسكندر ذلك فصار همهُ كيف يخلصهُ من ايديهم. ولما رأى انهُ قد اتمَّ العمل الذي جاء اسيا لاجلهِ وهو الاخذ بثار اليونان والاستيلاء على مملكة الفرس عزم ان يصرف من شاء الانصراف من جنودهِ فصرف فرسان تساليا وغيرهم من الحلفاء اليونان ودفع اليهم اجورهم كاملة الى حين وصولهم الى بيوتهم وفرَّق عليهم الفي وزنة فوقها ورضي ان يبقى معهُ من اراد البقاء منهم فيقاسمهُ السراء والضراء. والظاهر انهُ كان قليل الثقة باليونان فسهَّل لهم سبيل الرجوع الى وطنهم. وكان قد مرَّ عليهِ اربع سنوات من حين خرج من اوربا فضعف ارتباطهُ بها ولاسيما بعد ان اوغل في اسيا وزالت تلك الصورة الوهمية من نفسهِ التي صوَّرتها لهُ حدَّة الشباب وقام بدلاً منها صورة اخرى اكبر واعظم فلم يعد قصدهُ ان يتغلب الغربُ على الشرق كما كان اولاً بل ان تنضمَّ ممالك المشرق والمغرب تحت راية واحدة

وابقى ستة آلاف من رجالهِ في اكباتانا لحراسة ما فيها من الاموال واخذ بقية جنودهِ المجربين وضرب بهم شرقاً فوصل الري بعد سير احد عشر يوماً وبلغهُ هناك ان داريوس عبر ابواب قزبين فامر جنودهُ ان يستريحوا خمسة ايام ثم قام بهم وجدَّ في اثرهِ فالتقى في طريقهِ برجل من امراء الفرس اسمهُ بجستانس اخبرهُ ان داريوس وقع اسيراً لان رجالهُ تركوهُ الواحد بعد الآخر ولم يبقَ معهُ الاَّ البلخيون والفان من مسترزقة اليونان ثم ابعد بسوس اليونان عنهُ واحاط بمركبتهِ هو ورجالهُ البلخيون فاوجس اليونان من ذلك وتقدَّم قائدهم الى المركبة وكلمهُ باليونانية وكان داريوس يفهمها واخبرهُ بما ظهر لهُ من مقاصد بسوس ففهم بسوس مراد القائد ولو لم يفهم كلامهُ فجاء داريوس في دجى الليل وكبلهُ بالقيود وحملهُ الى بلخ ولجأت مسترزقة اليونان الى الجبال المجاورة خوفاً من البلخيين وذهب معهم ارتابا زوس واولادهُ وكانوا قد اقاموا على ولاء داريوس

وكان من قصد بسوس ان يفتدي نفسهُ ورجالهُ بداريوس اذا ادركهم الاسكندر واذا لم يدركهم قتل داريوس واستولى على البلاد. فلما بلغ الاسكندر ان داريوس اسير في قبضتهِ اخذ نخبة فرسانهِ وجدَّ في اثرهِ نهاراً وليلاً الى ان ادركهُ بعد عناء شديد وسير حثيث هلك فيهِ كثير من الخيل والفرسان. ورأى بسوس فرسان الاسكندر جادَّة في اثرهِ

طلب من داريوس ان يركب جواداً ويفر معهُ فابى فطعنهُ بخنجر اوردهُ حتفهُ

وجدَّ فرسان الاسكندر في اثر الفارين فرأوا سبائك الذهب والفضة تغطي الطريق ومركبات النساء ذاهبة فيها كل مذهب لا مَن يسوقها ولا من يقودها فلم يلتفتوا الى شيء لان غرضهم داريوس وداريوس في مقدمة الفارين على ما قيل لهم واخيراً ضلَّ واحد منهم الطريق فرأى مركبة بعيدة عنهُ اعتسفت بها البغال التي كانت تجرها فمضى اليها فرأى فيها داريوس في حالة النزع رآهُ وقد طلب كاس ماء من احد خواصهِ بولستراتس الامين فلما جاءهُ بها وشرب قال له "لقد زدت كربة نفسي بانك مننتَ عليَّ بمنة لا استطيع ان اوفيك اياها ولكن الاسكندر يوفيكها جازتهُ الآلهة عما عامل بهِ امي وزوجتي واولادي من المعروف واني اصافحهُ بواسطتك مصافحة الولاء" قال ذلك ومدَّ يدهُ وقبض بها على يد بولستراتس واسلم الروح . ولما وصل الاسكندر اليهِ وقف كئيباً كاسف البال ونزع رداءهُ عن كتفيهِ وغطاهُ بهِ

هكذا انقضت حياة هذا الملك العظيم وهو في الخمسين من عمرهِ وكان كريماً جواداً براً برعيتهِ لو لم يُولد الاسكندر في عهدهِ لبقي اسمهُ في التاريخ مثل اعظم الملوك ولو لم يكن من اشدهم بأساً واكثرهم اقداماً لكن الاسكندر قام حينئذٍ وسار في حروبهِ سيراً يعجز داريوس وغير داريوس عن مجاراتهِ فيهِ

وقف الاسكندر امام مَن كان منذ اربع سنوات مالكاً على اسيا كلها من بوغاز القسطنطينية الى نهر الهند ولهُ الكلمة النافذة في كل ممالكها والسلطة المطلقة على كل ملوكها وقدمات وحيداً شريداً اغتالتهُ يد خائن من خواصهِ بعد ان ضاع منهُ ملكهُ . وكأن الاسكندر اتعظ بذلك ونظر الى خصمهِ نظر الكرام فامر ان يدفن في مدفن ابائهِ بما يليق بهِ من الابهة والاكرام

وتفاخرت مكدونيا باميرها　　ملكٍ بجاهِ الملك يدفن خصمهُ

على ما قالهُ اوفيد الشاعر الروماني

هذه خلاصة ما ذكرهُ مؤرخو اليونان والرومان في هذا الباب اما مؤرخو العرب فقال ابن خلدون منهم ان "الاسكندر بنى الاسكندرية ثم تزاحف مع دارا وهزمهُ وقتلهُ وتخطى الى فارس فملك بلادها وهدم مدينة الملك بها وسبى اهلها"

وقال ابن الاثير "ان الاسكندر خاف من حرب دارا فطلب الصلح فاستشار دارا اصحابهُ فاشاروا عليهِ بالحرب لفساد قلوبهم عليهِ فعند ذلك ناجزهُ دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبي دارا وحكمها على الفتك بدارا فاحتكما شيئاً ولم يشترطا انفسهما فلما التقيا للحرب طعن

دارا حاجباه في الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم اصحاب دارا ولحقهُ الاسكندر وهو بآخر رمق وقيل بل فتك بهِ رجلان من حرسهِ من اهل همذان حبًّا للراحة من ظلمهِ وكان فتكهما بهِ لما رأَيا عسكرهُ قد انهزم عنهُ ولم يكن ذلك بامر الاسكندر وكان الاسكندر قد امر مناديًا ينادي عند هزيمة عسكر دارا ان يؤسر دارا ولا يقتل فأُخبر بقتلهِ فنزل اليهِ ومسح التراب عن وجههِ وجعل رأْسهُ في حجرهِ وقال لهُ انما قتلك اصحابك واني لم اهمم بقتلك قط ولقد كنتُ ارغب بك يا شريف الاشراف ويا ملك الملوك ويا حر الاحرار من هذا المصرع فاوصي بما احببتَ فاوصاهُ دارا ان يتزوَّج ابنتهُ روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقي احرار فارس ويأْخذ لهُ بثارهِ ممن قتلهُ ففعل الاسكندر ذلك اجمع وقتل صاحبي دارا وقال لهما انكما لم تشترطا نفوسكما فقتلهما بعد ان وفى لهما بما ضمن لهما وقال ليس ينبغي ان يستبقى قاتل الملوك الاَّ بذمة لا تخفر. وكان التقاؤُهما بناحية خراسان مما يلي الخزر وقيل ببلاد الجزيرة عند دارا"

ولقد سررنا برواية ابن الاثير ولو كانت قليلة الصحة لانها تدلُّ انهُ اهتمَّ بالنقل عن احد المؤرخين اما ابن خلدون الذي جاء بعدهُ فلا ندري ما اقعدهُ عن البحث والتنقيب وذكر شيء من تاريخ الاسكندر وهو يملأُ الصفحات الكثيرة من تاريخهِ بالخرافات والاوهام

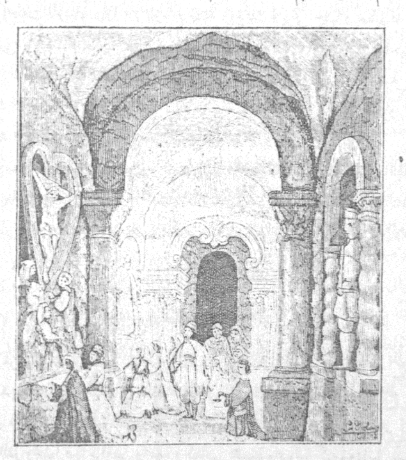
مدينة الملح

يظن من يقرأُ عنوان هذه المقالة ان المدينة المشار اليها فيهِ مشهورة بتجارة الملح ولا يخطر بالهِ انها مدينة غريبة وحيدة في بابها منحوتة في قلب الارض في صخور من الملح الصلد وقد بذل العمال ما في وسعهم مدة الف سنة حتى حوَّلوا الظلمات الدامسة الى قصور زاهية يعجز عن وصفها القلم ونحتوا فيها مراقص واسعة وكنائس فخيمة وعروشًا كبيرة وتماثيل بديعة وثُريَّات تحاكي الثريا في تألق نجومها وكلها منحوت في صخور عظيمة من الملح الابيض البرَّاق كما ترى في الصورة التالية. وهذه المدينة الغريبة في ادارة بلدية ويليكزا على ستة اميال من كراكو في بلاد النمسا وهي اعظم مناجم الملح في اوربا كلها

ابتدأَ النحت في هذه المناجم سنة ١٠٤٤ وتزيد مساحتها الآن على ميلين وثلاثة ارباع الميل طولاً وفوقها بناية كبيرة فيها ادارة المركز وتحف كثيرة من آثار الرجال العظام الذين زاروا ذلك المكان. وكان الناس ينزلون الى المدينة برافعة تجرها الخيل فصاروا ينزلون

الآن برافعة مائية تصعد وتنزل بالضغط المائي على ان بعضاً يفضلون النزول على سُلَّم عريضة منحوتة في صخور الملح

ويكاد الزائر ولا يرى شيئاً عند نزولهِ الى المنجم حيث يكتنفهُ الظلام الدامس ويرعبهُ السكوت التام حتى يسمع وقع اقدامهِ فيظنهُ رعداً قاصفاً . فيدخل اولاً غرفة رحبة منحوتة في صخر من الملح يكاد يضيع فيها لسعتها وقد نُحتت سنة ١٧٥٠ وجُعلت مرقصاً وسميت غرفة "ليتوسكي" باسم رئيس المناجم في تلك الايام . وفي جانب منها صورة نسر عظيم من الملح



يمثل قوة النمسا وسلطتها وفي جانب آخر منها عرش اخضر براق جميل الوضع بديع الصنع وهو من الملح ايضاً يجلس عليهِ الامبراطور عندما يزور المنجم . وعمق هذه الغرفة ٢١٦ قدماً تحت سطح الارض وهي في الطبقة الاولى من سبع طبقات متوالية الواحدة تحت الاخرى يفتح منها الطبقات الثلاث الاولى فقط للزائرين . ويخرج الزائر من هذه الغرفة مشهد البهجة والسرور ويدخل معبد القديس انطونيوس مزار الوف من المتعبدين والمتدينين منذ نحتت سنة ١٦٩٨ . ترى مدخلهُ مرسوماً في الصورة وفي داخلهِ مذبح بديع الصنع عليهِ صورة

السيد المسيح مصلوبًا وامام المذبح تمثال راهبين راكعين كل واحد الى جهة وفي المعبد مذابح أخرى ايضاً وتماثيل كثيرة من القديسين نحتها كلها رجل واحد قضى عمره في نحتها وتقام الصلوات عن نفس هذا الرجل مرَّة في السنة في يوم معين فيدخل المنجم الرهبان والمرتلون وجمع غفير من الناس في موكب حافل وهو منار بانوار كثيرة ومزدان بابهى زينة فيقضون النهار كلهُ فيهِ آكلين شاربين بعد ان يقيموا الصلوات

والى جانب هذا المعبد معبد آخر يسمى "معبد الملكة" نحت على جدار من جدرانهِ منظر بيت لحم وعلقت فيهِ ثريًّا من الملح تتلألأ كالبلور

وينزل الزائر من هذه الغرفة الى الطبقة الثانية من المنجم على سلّم منحوتة في صخور الملح فيدخل غرفة فسيحة يبلغ طولها ٩٢ قدمًا وعرضها ٥٩ قدمًا وعلوّها ١١٨ قدمًا تمَّ نحتها سنة ١٧٦١ بعد عناء اربعين سنة . وهي تنار الآن بثلاث مئة نور كهربائي وتعزف الموسيقى احيانًا فيها فيطرق الصوت جدرانها الضخمة ويدوي متصاعدًا في قبتها الشاهقة كالرعد القاصف . وفي الطبقة غرف أُخرى مختلفة الشكل تسمى كلٌّ منها باسم عظيم او كبير او ملك او امير وفي احدى جهاتها هرمان كبيران من الملح جُعلا تذكارًا للامبراطور فرنسيس الاول وقرينتهِ الامبراطورة كارولين

وفي الطبقة الثالثة من هذا المنجم محطة السكة الحديدية داخلها مطعم يأْكل فيهِ الزوار فاخر الطعام ويشربون معتق المدام ويدور القطار في كل انحاء المنجم على خطٍّ طولهُ نحو خمسة عشر ميلاً وبهِ ينقل ما يستخرج من الملح من كل انحاء المنجم الى المحطة حيث يرفع الى وجه الارض ويرسل في اقطار المسكونة . وتنار هذه المحطة بانوار لا يحصى عددها فتظهر كأنها منارة بشمس النهار والمنجم منار كلهُ بانوار كهربائية عديدة جدًّا تنار كلها او بعضها حسب رغبة الزوار وما يدفعونهُ من المال حتى اذا انيرت الانوار كلها ظهر المنجم في حلة من البهاء لا يتصوَّرها الاَّ من يراها وليس السمع كالعيان

ومن اعجب ما يراهُ الزائر في هذه المدينة بحيرات كبيرة على عمق ٧٠٠ قدم من سطح الارض ماؤُها أُجاجٌ اسودُ ثقيلٌ تسير فيها قوارب ضخمة البناء تجرُّ بحبال مربوطة في جوانب البحيرة فينزل الزائر قاربًا ويدور في كل انحاء البحيرة وهو مبهوتٌ من هول المنظر يرى الامواج تنبسط حتى تلطم جوانب المغارة فيسمع لها دويٌّ يخالهُ صراخ الاموات متصاعدًا من اعماق الجحيم والبحيرات كثيرة في كل انحاء المنجم

ويعمل في المنجم ما يزيد على الف عامل فيستخرجون ٦٥ الف طنٍّ من الملح في السنة

ومنهم من يولد ويعيش ويموت في تلك الاعماق وصحتهم جيدة لا يشكون مرضاً ولا ضعفاً وعندهم خيول عديدة لم ترَ وجه الشمس قط وهي لم يؤثر فيها ذلك الظلام الحالك بل تراها كسائر الخيل شكلاً ولوناً وطباعاً نجيب صروف

مستقبل افريقية الجنوبية

تكاد الحرب تلقي اوزارها في جنوبي افريقية ويتحقق الفوز فيها للجنود البريطانية . ولا بدَّ من ان تفوز اخيراً لان الكثرة تغلب الشجاعة فكيف وهي من اشجع جنود الامم . ويليق بالباحث عن طبائع البلدان وما يُرجى لمستوطنيها من الخير فيها ان يبحث في طبائع تلك البلاد التي ستطلق فيها الحرية بعد هذه الحرب للاتجار والاستيطان وقد عثرنا على مقالة في هذا الموضوع لمحرر جريدة يوهنسبرج اليومية نشرتها جريدة السينتفك اميركان فلخصنا منها السطور التالية قال

جنوبي افريقية بلاد بركانية كما يظهر من وجود مناجم الماس فيها وهي افواه براكين قديمة . والارض من ساحل البحر الى مئة ميل وراءه جيدة التربة نوعاً فيها كثير من الآكام الصالحة لزرع الكروم. ووراء هذه الارض سهول منبسطة تنبت فيها الاعشاب والانجم فترعاها الغنم والبقر . ووراء السهول نجود مرتفعة تعلو خمسة آلاف قدم عن سطح البحر وهناك مناجم الذهب واصلها بركاني ايضاً مثل مناجم الماس . ووراءها نجود اخرى فيها كثير من المعادن وتغطيها المراعي الخصيبة

والبلاد كلها غنية بالمعادن بل هي اغنى بلدان العالم وفيها من كل المعادن المعروفة فالماس موجود بكثرة في كمبرلي وجاجرس فونتين وفي نهر الفال على سبعين ميلاً من كمبرلي وفي الترانسفال وبلاد زبدلي شمالي بريتوريا وروديسيا

والذهب وجد في جنوبي افريقية من قديم الزمن حتى ظن البعض ان شونالند هي اوفير المذكورة في التوراة وكان يؤتى بالذهب منها الى سليمان الحكيم . ووجد العرب الذهب فيها حديثاً سنة ١٥٠٠ للمسيح اي منذ اربع مئة سنة وهو يوجد الآن بكثرة في يوهنسبرج وكلركسدرب وباربرتون وكروجرسدرب وبلاد السوازي وبلاد الزولو وبلاد مارا ونماكو وروديسيا واماكن اخرى كثيرة

والفحم الحجري يوجد في مستعمرة الراس واماكن كثيرة وقد بلغ المستخرج منهُ سنة ١٨٩٨ نحو مليوني طن

والفضة توجد في كل جنوبي افريقية وتستخرج من مناجم بقرب بريتوريا وفي الطن من الحجر ما يساوي ١٣ ريالاً من الفضة

والنحاس كثير ايضاً وقد أُرسل منهُ ثلاثون الف طن الى بلاد الانكليز سنة ١٨٩٨. وفيها ايضاً الرصاص والزنك والانتيمون والقصدير والحديد والزيبق والاسبستس والميكا والملح والكبريت والكاولين وكثير من الحجارة الكريمة عدا الماس مثل الياقوت الاصفر والازرق والزبرجد والبجادي والفيروز والعقيق

اما ما يستخرج الآن من هذه المعادن والجواهر فتقدَّر قيمتهُ بالملايين الكثيرة فمناجم الماس في كمبرلي قدر ثمنها خمسة ملايين من الجنيهات وقد بلغ ربح اصحابها في السنة مليوناً ونصف مليون من الجنيهات بعد طرح كل النفقات . وبلغ الربح من مناجم الذهب سنة ١٨٩٨ خمسة ملايين من الجنيهات وكان الربح من بعضها ٦٧٥ في المئة اي ان السهم الذي اصل ثمنهِ مئة جنيه ربح في سنة واحدة ٦٧٥ جنيهاً

وخيرات الارض الزراعية اكثر من ان تنفد وتنبت فيها الحبوب والاثمار على انواعها وتبلغ قيمة الصادر منها والوارد اليها كل سنة نحو ثمانين مليوناً من الجنيهات على قلة سكانها فلا عجب اذا رغب اهل الجد والسعي في المهاجرة اليها بعد ان يستتبَّ الأَمن فيها

كاهن تشن كنج

وطرف من اسرار البوذيين

تشن كنج مدينة في قلب بلاد الصين على نهر ينغتسي وهي من المدن الثلاث والعشرين المفتوحة للتجارة الاجنبية سكانها نحو ثلثمئة الف نفس وفيها مقام رئيس الكهنة المسمى تشن تسو. اصلهُ من بلاد التبت ولقومهِ فيها سدانة الديانة البوذية وهم كهنتها ومقيمو شعائرها وكاشفو غوامضها. وقد اشتهر بعلمهِ وتقواهُ منذ كان في مدينة لاسَّا عاصمة بلاد التبت وكعبة الديانة البوذية فلما جاء بلاد الصين ذاعت شهرتهُ في أقطارها حتى اذا نزل مدينة تشن كنج اتجهت عيون الصينيين اليها وحسبوا ان الخيرات ستتدفق عليها لانهُ جعل اقامتهُ فيها. واعتقد بعضهم انهُ يناجي الالهة ويذاكرهم في امور العباد . فتقاطر الزوار الى هيكل تشن كنج من كل بلاد

الصين جاءوهُ بالالوف وهم لا يطمعون برؤية هذا الحبر العظيم لانهُ محتجب عن الانظار بل يقصدون ان يعبدوا الههم في حرمهِ حيث يحل شخصهُ المعظم عندهم

واحتجاب هذا الرجل عن الانظار جعل القوم يشيعون عنهُ اشاعات كثيرة في حد الغرابة على حسب معتقدهم فيهِ فقال بعضهم ان وجههُ لا يشبه وجوه الناس بل وجه الاله وقال غيرهم انهُ موسوم بسمة الهيّة خاصة وقال آخرون انهُ في شكل بوذه تماماً وسيظهر نفسهُ للناس في اجل معين فيرونهُ ويندهشون ثم يصعد الى السماء امام عيونهم تحملهُ الارواح القدوسة التي تحدق بهِ الآن قائمة على خدمتهِ . واذا غلبت الاوهام الدينية على النفوس لم تقف خيالاتها عند حد محدود . وكان اسمهُ يذكر دائماً بالوقار والاحترام حتى بين رجال الحكومة في باكين ولو كانوا من المتهتكين الذين طرحوا شعائر الديانة البوذية ظهريّاً . واشاع البعض ان بوذه نفسهُ نزل من السماء وملأ قلب هذا الكاهن بالحكمة السموية

وفي بلاد الصين رجل اوربي او اميركي اسمهُ كارلتون دو ربي فيها وتعلّم لغة اهلها ولبس لباسهم وتخلق باخلاقهم وهو مثل اكثر الاوربيين مغرم بالبحث والتنقيب فحدثتهُ نفسهُ ان يحاول رؤية هذا الكاهن ويكتشف الحيل التي خدع بها اهل بلادهِ لان سلطتهُ الدينية كانت قد تعدَّت حدودها وصار رجال الدولة يخشون بأسهُ ويوجسون منهُ شرّاً . وعرضت لهُ مهام منذ بضعة اشهر دعتهُ الى الايغال في بلاد الصين فقصد تشن كنج وقبل ان وصل اليها ادّعى انهُ راجع الى شنغاي وودّع معارفهُ ثم خرج من السفينة قبل ان سافرت بهِ واستأجر سفينة اخرى وصعد بها في نهر ينغتسي ذاهباً الى تشن كنج فعل ذلك ليوهم الناس انهُ غير ذاهب اليها وكان يخاف ان يبلغ خبره هذا الكاهن فيوقع بهِ لان كهنة الصين يحسبونهُ جاسوساً في بلاط الامبراطور . قال ولما وصلت الى تشن كنج استأجرت نزلاً في حي حقير من احياء المدينة لكي لا يلتفت احد اليّ وادّعيت انني اتيت زائراً وقصدي العبادة في الهيكل الكبير وخدمة الكاهن الاعظم . وكان صاحب النزل على جانب كبير من التقوى والورع فاخذ يطنب بفضائل هذا الكاهن وكراماتهِ واخبرني من امورهِ في ساعة اكثر مما يمكن ان اعلم عنهُ في سنة وانا في باكين لكن القصص التي قصها عليَّ مشحونة بالاوهام والخرافات فلا تستحق ان اذكر شيئاً منها وظهر لي ان سبب عظمة هذا الكاهن احتجابهُ عن الناس

فلبست لباس الكهنة الصغار وجعلت اتردّد على الهيكل واصلي فيهِ مثلهم وانا اترقَّب الفرص عسى ان اجد سبيلاً لمشاهدة ذلك الكاهن العظيم . ورأيت الحراس منتشرين في كل مكان وحاولت ان ارشوهم بالمال فلم افلح والرشوة تفتح ابواب قصر الملك في باكين واما هنا فلا

يلتفت اليها احد لان الجميع يحسبون كاهنهم الاعظم فوق مصاف البشر

وتحت هذا الكاهن ثلاثة كهنة لهم المقام الاول بعده ويلي كل واحد منهم كثيرون من الكهنة الصغار يسجدون له ويأتمرون باوامره . وأحد هؤلاء الكهنة الثلاثة شيخ شائب اللحية محدودب الظهر مهيب الطلعة يجلس غالباً على دكة عالية في الهيكل ويبارك الجمع ويجلس الكاهنان الآخران على جانبيه احدهما يجلس عن يمينه وهو شاب تلوح على وجهه امارات الذكاء وسرعة الخاطر والآخر يجلس عن يساره وهو شيخ قبيح المنظر وجهه مشوّه بندوب الجدري وقد كنت اخشى النظر اليه لسبب لا اعلمه وكنت احسبه اعظم الثلاثة واشدّهم دهاء ولو جلس في اوضع مجلس . وبقيت رهبته في نفسي الى ان شاهدت الكاهن الاعظم

وذات يوم كنا نصلي على جاري عادتنا واذا بالكهنة الثلاثة انتصبوا قياماً وبسطوا ايديهم في الهواء ثم انطرحوا على الارض وهم يقولون بصوت خاشع اسجدوا اسجدوا فقد جاء

وللحال خرّ الجمع كله على الارض وخررت معهم ولكني وضعت يدي على وجهي وجعلت انظر من بين اصابعي فرأيت الاستار انفتحت من وراء الكهنة الثلاثة وظهر من بينها رجل ملتف بثوب ابيض من رأسه الى قدميه وفي الثوب ثقبان امام عينيه تظهران منهما وعليه نقوش حمراء وقلادة من ذهب حول عنقه . ولما ظهر صرخ الكاهن القبيح المنظر "هو ذا الواحد الخفيّ" فاخذت الجراءة بعض الحضور حتى رفعوا رؤوسهم ونحوه لمحة اما سائر الجمع فبقي خارّاً على الارض خاشعاً . ورفع هذا الكاهن العظيم يده وبارك الجمع فزادوا تضرعاً وابتهالاً بصوت منخفض كأنه حفيف الرياح . ثم مدّ يده وباركهم ثانية وعاد من حيث اتى ونزلت الاستار وللحال رفع الجمع رؤوسهم وظلوا جاثين على ركبهم وهم يصلون ويتضرّعون . وحاولت ان ارى شيئاً وراء تلك الاستار فلم ارَ ولا كنت ارى سبيلاً لرؤية ذلك الرجل المحتجب لكنني تدرّعت بالصبر وعزمت ان اواظب على العبادة في ذلك المعبد عسى ان تُتيح لي فرصة اخرى لرؤيته

وبقيت اتردّد على الهيكل وانا ازيد جراءة يوماً بعد يوم وازيد اقتراباً من المحراب حتى انتبه لي الكهنة الثلاثة والتفت اليّ الكبير منهم مرةً وبشّ في وجهي وكأنه مدحني على ورعي وتعبدي فزادت جرأتي وواظبت على العبادة يومياً وكان هذا الكاهن يبشّ لي ويهش كلما وقعت عينه عليّ

وحدث ذات يوم انه لما انتهت الصلاة ونهض الكهنة عن كراسيهم ليدخلوا الى ما وراء الاستار وقع الكاهن الشيخ كأنه اصيب بفالج فامسك بكرسيه وقبل ان يصل الى الارض

اسرعت اليهِ وانهضتهُ وبادر الكهنة من انحاء الهيكل وتألبوا علينا فطلبت منهم ان يبعدوا لكي لا يحجبوا عنهُ الهواء ثم حملتهُ ودخلت بهِ داخل الاستار وانا اقول في نفسي قد حانت الفرصة لرؤية ما وراءها . وفتح الكاهن عينيهِ حينئذٍ ونظر الى الجمع المزدحم نظر المسرَّة والشكر ونظر اليَّ كذلك فحنيت لهُ رأسي وقلت اني اود ان ابقى في خدمتهِ بقية عمري فتبسم وسمح لي ان امضي معهُ الى غرفتهِ فشكرتهُ على هذه المنة وسرت ومعي الكاهنان الآخران فجزنا غرفة كبيرة وراء الهيكل ودخلنا سرداباً طويلاً وصلنا في آخرهِ الى درج صعدنا عليهِ واذا امامنا رواق كبير في وسطهِ فسقية يتدفق منها الماء وحول الرواق غرف كثيرة فوصلنا بالكاهن الى باب غرفة منها في طرف الرواق الشرقي واقبل كاهنان لمساعدتي على حمل ذلك الكاهن لما وصلنا الى الدرج فلما وصلنا الى باب الغرفة طأطأا رأسيهما وابعدا عنا وهما يسجدان في رجوعهما فالتفتُّ الى الكاهن ولما وقعت عيني على عينهِ تبسم وقال لي ساعدني يا ابني على دخول الغرفة فقلتُ هذا فخر كبير لي يا ابي . فقال لقد سرَّني ما رأيتهُ في ابني من الخشوع والتقوى فقلتُ ان تنازل ابي هذا منةٌ كبيرة منهُ على عبدهِ الخاضع الامين

فتبسم ثانية ودار نحو باب الغرفة وفتحهُ فنظرت واذا غرفة خاوية خالية ليس فيها شيء من الاثاث والرياش سوى حصير ملفوف قائم في احدى زواياها ووسادة من الخشب علامة الزهد الشديد . فقلت لهُ لا يصلح ان ينام ابي على وسادة مثل هذه . فلم يجبني بكلمة بل اخذ يتجسس الحائط الى ان وصل الى باب خفي ففتحهُ واذا وراءهُ غرفة أُخرى فدخل اليها وادخلني معهُ واغلق الباب واقفلهُ فنظرت واذا الغرفة رحبة فاخرة الرياش في وسطها مائدة عليها طعام واثمار شهية فعجبت من ريائهِ وكيف يتظاهر بالزهد والتقشف وهو عائش في نعيم مقيم

فقلت الى اين بعد هذا يا ابي فقال الى ذلك السرير حيث انتظر مشيئة الله . قال ذلك مشيراً الى سرير في طرف الغرفة . فقلت ومَن من الكهنة الثلاثة يطلب ذلك ولا يجاب طلبهُ . فقال يا حبذا . فقلت ان فضائل ابي كثيرة ولكل فضيلة منها الف جزاء في السماء . فقال وانا ارى لك حسن الجزاء ايضاً . فقلت حسبي جزاء ان ابي راضٍ عني . فقال ان ابني يتكلم كلام حكمة وتعقل

ووضعتهُ على سريرهِ وادنيت منهُ المائدة وصحف الاثمار لكنهُ لم يمد اليها يدهُ بل بقي ناظراً الى سقف الغرفة وهو يتمتم وانا حائر في امري لا ادري كيف ينقضي ذلك اليوم ولا اين ارى رئيس الاحبار

وبينما انا افكّر في ذلك التفت اليَّ وقال لي لقد حان الاجل وبلغتُ ظلمة الابدية وانا

ضعيف اليدين والرجلين امضِ واخبر اخوتي لكي يعدّوني لهذا السفر الطويل . ثم تنهّد واغمض عينيهِ حتى حسبتُ ان ملاك الموت واقف فوق سريرهِ . فقلت لهُ لا تقل ذلك يا ابي فان طريق السماء ليس صعباً على من كان مثل ابي . فقال اني لم اقل انهُ صعب بل هو هين وقد مرّت عليَّ سنون كثيرة وانا في انتظارهِ

فقلت ان الواحد العظيم الخفي الذي يخرق حجب الغيب صديق بوذه اذا طلب من معطي الحياة شيئاً لم يُردّ طلبهُ

ففتح عينيهِ ونظر اليَّ نظر الدهشة والاستطلاع ثم قال هل يتكلم الناس كثيراً عن الواحد العظيم الخفي . فقلتُ نعم ويحقُّ لهم ان يتكلموا وهو على ما اشتهر عنهُ من الفضل والتقوى . فقال اني لا استغرب ذلك . فقلت ولماذا يحتجب عن الانظار فان احتجابهُ عن اولادهِ المؤمنين مثل احتجاب الشمس عن الخلائق

فقال لا يحسن بالمخلوقات ان ترى ما وراء الحجاب . اذهب الآن الى ذلك الباب وافتحهُ وسر في السرداب الذي يؤدي اليهِ ثم انزل في السلم الذي في آخرهِ واقرع اول باب عن يمينك

فقلت هل اتركك وحدك يا ابي . فقال اتركني ولا تخف . فقمت وسرت كما قال لي وانا مسرور بما حدث حاسب ان نجحت اكثر مما كنت انتظر وان حيلتي جازت على اولئك الكهنة . وقويت آمالي برؤية رئيس الاحبار ولو كان دونهُ الف ستار وستار

وسرت في السرداب وكان الوقت مساءً فكنت أتلمس تلمساً ان بلغت طرفهُ فوجدت فيهِ مصباحاً معلقاً بجانب الحائط فأخذتهُ بيدي ونزلت في السلَّم الى ان بلغت مكاناً عميقاً تحت الارض فدرت الى اليمين وقرعت اول باب وجدتهُ فانفتح وللحال هجم عليَّ اثنان نزعا المصباح من يدي وقبضا عليَّ واسرَّ واحد في اذني قائلاً اصمت فانك في حضرة الواحد الخفي العظيم . ودفعني الرجلان الى الامام ووقفا بي قليلاً ثم صرخ واحد واذا باثني عشر مصباحاً اضيئت معاً فالتفتُّ واذا انا في غرفة كبيرة جداً مملوءة بالحرس من الكهنة وفيها دكة عالية عليها رئيس الكهنة الخفي العظيم جالس على عرشهِ وعن يمينهِ واحد من الكهنة الثلاثة وعن يسارهِ الكاهن الشيخ الذي كنت في غرفتهِ . فنظرتُ اليهِ مدهوشاً ونظر اليَّ وقال اراك مدهوشاً يا ابني فقلت نعم يا ابي اني مدهوش ومسرور بشفائك السريع ولكن لماذا عاملتموني هذه المعاملة . فقال لاننا نخاف منك انظر ما وجدناه معك واي حاجة بالمتعبّد الى مثل هذه الاسلحة قال ذلك وهو ماسك خنجري ومسدسي وكان اتباعهُ قد اخذوهما مني وانا في الظلام . فقلت ان غرضي الدفاع عنك يا ابي . فقال رئيس الكهنة اخسأ يا كلب انك كاذب ونحن نعلم انك جاسوس خائن

فاضطربت مفاصلي كلها وقد مرَّت بي مخاطر كثيرة قبل ذلك ولكنني لا اتذكر انني شعرت قط كما شعرت حينئذٍ . وادركت حالاً انني امام رجل داهية وعرفت لماذا وقعت هيبتهُ في النفوس . ولما رأيت اني مقتول لا محالة عزمت ان ادافع عن نفسي في الدقائق الباقية من عمري فقلت مَن قال ذلك ليأتِ ويجهر بالقول امامي فابين كذبهُ وغشهُ

فقال الكاهن الشيخ انا الذي قلت انا الذي شكّاك

فاجبتهُ بصوت منخفض منكسر أأنت ترتاب في اخلاصي يا ابي

فقال اعلم يا ابني ان سلطة رئيس احبار تشن كنج تشمل هذه البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فلا تخفى عليهِ خافية فما هو غرضك من مجيئك الى هيكل تشن كنج

فقلت غرضي هو ما ارجو ان انالهُ . فقال ولكنك ستنال غير ما ترجوهُ . فقلت ان ابي يتكلم بالغاز فليوضح لي مرادهُ . فقال اسمع ما اقول لك فتعلم قوة رئيس الاحبار وعظمتهُ . ان بين رجال الحكومة في باكين رجلاً اجنبياً يتزيا بازياء الصينيين ونحن نعرفهُ باسم جاسوس الامبراطور . هذا الرجل جاء هنكو في بعض المهام فبثثنا عليهِ العيون والارصاد فادَّعى انهُ ذاهب الى شنغاي ثم ترك السفينة التي كان ذاهباً فيها واستأجر اخرى جاءَت بهِ الى تشن كنج واسم ربانها معروف عندنا وهو من انصارنا . وقد رأيناك وسرَّنا ما رأيناهُ فيك من العبادة والتقوى . وابنت انك رجل همَّة واقدام لما بادرت اليَّ وقتما اصابتني نوبة الاغماء . فلماذا خاطرت بنفسك وما هو غرضك

فأُسقط في يدي وكدت اذوب خجلاً لكنني شددت ما بقي فيَّ من العزيمة وقلت ان غرضي زيادة المعرفة

فقال واي معرفة . فقلت ان ارى وجه رئيس احباركم . فقال ألا تعلم ان مَن يرى وجههُ يموت موتاً . فقلتُ ان مجد تلك الرؤية يزيل مخاوف الموت

فنظر الى الكهنة الذين حولي وقال لهم ما هو نصيب من ينتهك حرمة هيكلنا . فقالوا كلهم بصوت واحد الموت الموت

فنظر اليَّ وهو يتبسم وقال وانت ماذا تقول . فقلت لا اقول شيئاً ولكن الامبراطور يعرف اين انا ويأخذ بثاري ممن يقتلني . فتبسم ثانيةً وقال ان غضب الامبراطور يقصر عن ان يصل الى هيكلنا والظاهر انك نسيت سلطة تشن سو رئيس الاحبار . ثم اشار بيدهِ الى الكهنة الذين حولي فاوثقوا يديَّ بالحبال وربطوني الى الحائط وخرج الكهنة كلهم من الغرفة ولم يبقَ فيها غير الرؤساء الثلاثة ثم نزل الكاهن الشيخ ونظر الى الباب الذي خرجوا

منهُ فرآهُ مقفلاً وحينئذٍ نزل رئيس الاحبار عن عرشهِ ودنا مني وقال لي ألم يزل من غرضك ان ترى رئيس الاحبار فقلت نعم فقال وما انتفاعك من رؤيتهِ وقد دنا اجلك وانت اول رجل ملحد دخل هذا الهيكل وآخر من يدخلهُ من الملاحدة ولكني اود ان يكون موتك جزاء رؤيتك رئيس الاحبار الواحد الخفي العظيم فانظر اليهِ قبل موتك. قال ذلك ونزع طوق الذهب من عنقهِ وازاح البرقع عن وجههِ فنظرت واذا هو الكاهن القبيح المنظر الذي في وجههِ ندوب الجدري. فقلت أأنت رئيس احبار تشن كنج . فقال كلاَّ فان ذاك مات منذ خمس عشرة سنة ولكن روحهُ عائشة فينا نحن خلفاؤهُ الاربعة فنتناوب الخلافة وهذا سر غامض لا يعلمهُ احد سوانا

ولم اكن اجلُّ اولئك الكهنة عن شيء من انواع الخداع ولكن لم يخطر ببالي قط انهم يقدمون على مثل ذلك يخفون موت رئيسهم خمس عشرة سنة ويسيرون باسمهِ وجاههِ

ثم فارقني الكهنة الثلاثة لينظروا في كيف يميتونني واخذوا مشاعلهم معهم وتركوني في ظلام دامس. ولا اطيل في وصف ما اعتراني حينئذٍ لان الكلام يقصر من الوصف . ومرت بي ساعة حسبتها شهرًا واخيرًا فُتح الباب ودخل رجل معهُ كانون فيهِ جمر نار فوضعهُ على مقربة مني وكان في الكانون ملقط طويل محمًى الى الحمرة فاشار اليهِ ولسان حالهِ يقول سنعذبك عذابًا اليمًا قبل موتك . ثم خرج واغلق الباب وللحال اعتراني شيء من الجنون فاخذت احاول قطع الحبال من يديَّ حتى تفككت مفاصلي وتمزقت اوصالي وانا لا ابالي بالالم وما زلت اجذب الحبال حتى قلعت الوتد من الحائط فاكببت على وجهي وكانت يداي لا تزالان مربوطتين ونهضت بعد عناء شديد ودنوت من الكانون ونزعت الملقط باسناني وادنيت طرفهُ المحمى من الحبل الذي على احدى يديَّ فحرقتهُ بهِ وحرقت اللحم تحتهُ ولكن الحياة عزيزة تفتدى بكل عزيز . ثم امسكتهُ بها وحرقت الحبل عن اليد الاخرى وجعلت افرك يديَّ حتى اعدت الدم اليهما واخذت افتش عن منفذ اخرج منهُ فلم اجد . وبعد قليل سمعت قلقلة القفل فوقفت في مكاني الاول وفُتح الباب ودخل الكاهن الذي اتى بالكانون ومعهُ سلة فيها فحم فالتفت اليَّ ثم انحنى فوق الكانون وجعل يضع الفحم فيهِ فهجمت عليهِ باسرع من لمح البصر وعاجلتهُ بضربة على ام رأسهِ القتهُ صريعًا وخطفت الكانون وخرجت واقفلت الباب ورائي وجعلت اجري على السلَّم التي نزلت عليها وسرت في السرداب الى غرفة الكاهن الشيخ وقرعت الباب ووقفت على جانب ففتحهُ وهو يقول هل اعددت كل شيء يا اخي فقلت نعم ودخلت مسرعًا واقفلت الباب ورائي وقلت لهُ انك شيخ عاجز ولا اريد ان الحق بكَ ضررًا ولكنك اذا فتحت فاك قتلتك حالاً

فدهش حتى كاد يغمى عليهِ والتفت واذا مسدسي وخنجري على مائدتهِ فوثبت اليهما واشرعت الفرد في يدي وامرتهُ ان يسير امامي من غير ان يفوه بكلمة والاَّ قتلتهُ وكنت لابساً لبس الكهنة كما تقدم فلم ينتبه احد لي وبقينا سائرين الى ان خرجنا من الهيكل ووصلنا الى دار رئيس الشرطة. وسرَّ رجال الحكومة بما فعلت لانهم تخلصوا من كاهن تشن كنج واستبدادهِ

باب الزراعة

المعرض الزراعي

للزراعة دعائم كثيرة تعتمد عليها والمعارض الزراعية من اقوى هذه الدعائم لانها ميدان للمنافسة والمسابقة ومدرسة الاختبار والاعتبار . ولقد حيينا المعرض الزراعي المصري في نشأتهِ بعد ان مرَّ على المقتطف سنون كثيرة وهو ينادي بانشاء مدرسة زراعية ومعرض زراعي . ووطننا النفس على ان نرى لذلك المعرض بناء فخيماً تعرض فيهِ آلات الزراعة كما تعرض غلاتها فتمَّ ذلك وبُني المعرض من كرم الحكومة بين ميدانَي الجزيرة وفُتح في التاسع من شهر فبراير (شباط) بحضور الجناب العالي وامراء البيت الخديوي الكريم ونظار الحكومة المصرية وقناصل الدول الجنرالية والمحافظين والمديرين وجمهور غفير من كبار المستخدمين ووجهاء القطر وكانت ساحتهُ مزدانة بالاعلام الكثيرة تحيط بها خيام المعروضات المختلفة من مثل الآلات الرافعة وادوات الحراثة والدرس والغربلة وانواع الاسمدة واصناف المواشي الاهلية والمجنسة . وداخل البناء معروضات الحاصلات الزراعية على انواعها كالقطن والقمح والشعير والذرة والفول . وهي كثيرة الاصناف والتنوُّعات

والمعروضات التي تستوقف النظر كثيرة نذكر بعضها اجمالاً فمنها الآلات الرافعة على انواعها بين وابورات ثابتة ومتحركة كبيرة وصغيرة يتدفق الماء من طلمباتها وبين سواقٍ مصنوعة على اسلوب قليل النفقة . وآلات للحرث والتخطيط والتزحيف والتمهيد والفم والدرس وبعضها كالآلات الحرث مصنوع لهذا القطر خاصةً

ومنها المصنوعات الزراعية مثل السكر والزبدة والحرير والرامي . ومما يحسن ذكرهُ في هذا الصدد ان معمل الشيخ فضل اهتم بزرع البنجر (الشمندور) السكري فوجد انهُ يجود في

هذا القطر . وهو يزرع من ابريل الى ١٥ نوفمبر ومحصول الفدان من ٤٠٠ قنطار الى ٦٠٠ والسكر فيهِ من ١٧ الى ١٨ في المئة مع ان السكر في القصب من ١٣ الى ١٤ في المئة فقط وسكر البنجر مثل سكر القصب ثمناً . والظاهر ان بنجر السكر يجود في هذا القطر اكثر مما يجود في اوربا فان متوسط وزن الراس في اوربا ٤٠٠ جرام واما متوسط وزنهِ هنا فنحو ٦٨٠ جراماً

ومنها مصنوعات السجون المصرية وهي من ابدع ما عُرض في المعرض ولو كانت علاقتها بالزراعة قليلة . و يستدل منها على ان سجون القطر المصري اصبحت مدارس صناعية يتعلَّم فيها المسجونون انفع الصنائع كالنجارة والحياكة وعمل الاحذية والسروج والبرشات والمامسح وما اشبه. ومصنوعات النجارة والتطعيم بالغة حد الاتقان فترى الكراسيّ والمقاعد والموائد والخزائن والرفوف والبراويز من شغل المشربية المطعَّم بالابنوس والعاج والعظم وعرق اللؤلوء وكلها مرسومة بالاشكال العربية الدقيقة . وترى هناك مصنوعات اخرى فضية ونحاسية بديعة النقش والزخرفة واقمشة واسفاطاً ومراوح وما اشبه وكلها غاية في الجودة والاتقان . ولا عجب بعد هذا اذا دخل الرجل السجن شقياً كثير الضرر وخرج منهُ عارفاً بصناعة يعيش منها ويغنيهِ دخلها عن اختلاس مال غيرهِ

ومنها معروضات التنظيم وهي مصنوعة في ورش الحكومة وبالغة حد الاتقان

ومنها معمل صغير لحل الحرير ترى فيهِ الشرانق توضع في الماء الغالي فتنحل خيوطها وتلف على دولاب يدور امامها . واذا نجحت زراعة شجر التوت في هذا القطر ونجحت تربية دود الحرير ايضاً كان لهذه الصناعة شأن كبير فيهِ

ومنها سكة حديدية صغيرة تسير بالكهربائية كما يسير الترام الكهربائي عرضها المستر كوبل . وسكة اخرى من محل اورنستين وكوبل تسير مركباتها بآلة بخارية حول ساحة المعرض يركب فيها جمهور غفير فتدور بهم حول ساحة المعرض ثم تردهم وهي من السكك التي في احد تفاتيش دولتلو البرنس حسين باشا كامل وقد تنزه فيها اكثر الذين حضروا المعرض

ومنها معروضات السماد الصناعي وهي كثيرة مختلفة وقد قال بعضهم انهُ سمد ١٥٠٠ فدان مزروعة قطناً بسمادها فبلغ متوسط غلة الفدان ١١ قنطاراً

وكانت الثيران المعروضة كثيرة بعضها ضخم جداً وهو اوربي وبعضها معتدل الجسم مجدول العضل وهو مجنس اي من اب اوربي وام اهليَّة . وكذلك الخرفان وبعضها كبير غزير الصوف طويلهُ والبغال قوية مجدولة العضل

وجملة القول ان هذا المعرض يزيد عاماً بعد عام وفاءً بالغاية التي انشئ لاجلها ويعود

بالشكر الجزيل لدولة الامير الخطير البرنس حسين باشا كامل رئيس الشركة الزراعية لاهتمامهِ الشديد بكل ما يرقي شأن الزراعة في هذا القطر ولحضرة المستر كاري والمستر فودن العالم الزراعي اللذين بذلا الجهد في انشاء المعرض وادارتهِ ولكل الذين عاونوهما في ذلك من اعضاء الشركة وغيرها وللحكومة الخديوية التي تنفق بسخاء على هذه الاعمال النافعة . لا زالت مصر راقية مراقي الفلاح وسائرة في سبيل النجاح في ظل اميرها المعظم وباهتمام هذه الوزارة الحكيمة

جوائز البقر

واعطيت جوائز كثيرة للعارضين حسب انواع المعروضات ودرجتها فاعطيت جائزة الثيران الاهلية الاولى لثور اهلي عرضهُ مصطفى باشا وهبي مدير الدقهلية والجائزة الثانية والثالثة لثورين عرضتهما الدائرة الخاصة

واعطيت الجائزة الاولى والثانية والثالثة لثلاث من البقر الاهلية الحلوبة عرضتها الدائرة الخاصة . وهي جوائز البقر الاهلية الحلوبة

والجائزة الاولى لثور من المواشي البحيرية عمرهُ ثلاث سنوات عرضتهُ الدائرة الخاصة والجائزة الثانية لثور عرضهُ بوغوص باشا نوبار . والجائزة الاولى لثور خصي عمرهُ ثلاث سنوات عرضهُ شواربي باشا والثانية لثور عرضهُ عبد المجيد بك ابو جازية

والجائزة الاولى والثانية لعجلتين بحيريتين عرضتهما الدائرة الخاصة . والجائزة الاولى والثانية لعجلين صغيرين عرضتهما الدائرة الخاصة ايضًا . ولم تعرض البقر الصعيدية في المعرض

والوسام الذهبي لثور اوربي عرضتهُ الدائرة الخاصة والجائزة الفضية لثور اوربي عرضتهُ دائرة درانت باشا . والوسام الذهبي لبقرة اوربية عرضتها الدائرة الخاصة والفضية لبقرة اوربية عرضتها دائرة درانت باشا

واعطيت الجائزة الاول لثورين تجنسين عرضتهما دائرة القصر العالي والدائرة الخاصَّة والجائزة الثانية لثورين عرضتهما دائرة البرنس حسين باشا ودائرة درانت باشا . والوسام الاول والثاني لبقرتين مجنستين حلوبتين عرضتهما مدرسة الزراعة. والوسام الاول لعجل مجنس عمرهُ اقل من سنة عرضتهُ الدائرة الخاصَّة والثاني لعجل مجنس عرضتهُ مدرسة الزراعة . والجائزة الاولى والثانية لعجلتين مجنستين عرضتهما الدائرة الخاصَّة

والوسام الذهبي والفضي لعجلين مُسمنين عرضهما المسيو ستنا حيوفني. والجائزة الثانية لجاموس عمرهُ اكثر من ثلاث سنوات عرضتهُ شركة اراضي ابي قير . والجائزة الاولى لجاموسة حلوبة عرضتها الدائرة الخاصَّة والثانية لجاموسة عرضها شواربي باشا

الغنم

المريسي — اعطيت جوائزهُ للدائرة الخاصة والبرنس حسين باشا واسمعيل بك دبوس ومدرسة الزراعة وستنا جيوفني وبدربدر

البلدي — اعطيت جوائزهُ لشواربي باشا ومصطفى باشا وهبي واسمعيل بك دبوس ومدرسة الزراعة وخليل باشا فوزي

والمجنَّس — اعطيت جوائزهُ لدائرة درانت باشا وهي من الدرجة الثانية ولم يعطَ شيء من الدرجة الاولى لاحد لان المعروضات لم تستحق ذلك

المعزى

البلدي ليوسف بك احمد . والزرايبي للدائرة الخاصة . والاجنبي للدائرة الخاصة ايضاً

البغال

اعطيت جوائزها لبغلين عرضتهما مصلحة التنظيم وبغل عرضهُ مصطفى باشا وهبي

الحمير

اعطيت جوائزها لحمير عرضتها الدائرة الخاصة

الجمال

اعطي الوسام الاول لجمل عرضهُ الشواربي باشا والثاني لجمل عرضهُ محمد بك ابو جازية

الدجاج

كانت المعروضات كثيرة والجوائز كثيرة ايضاً واكثرها لبوغوص باشا نوبار والبرنس عمر طوسن ومسز الن جوزف وبونيتو بك

الحبوب

جائزة القمح الصعيدي الاحمر لخليل باشا فوزي . والابيض الاولى لعلي بك شعراوي والثانية للبرنس عمر طوسن ، والشعير البلدي الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية لعلي بك شعراوي . والاوربي المزروع في مصر الاولى لمدرسة الزراعة

والفول البحيري الاولى لاسكندر بك شديد والثانية لرياض باشا . والصعيدي الاولى لعلي بك شعراوي والثانية لاحمد بك دله

والذرة البلدية الجائزة الاولى للخواجه اصلان زجدون والثانية لمهدي بك احمد

والذرة الاجنبية المزروعة في مصر الجائزة الاولى والثانية لبوغوص باشا نوبار

الذرة البيضاء الاولى لابي زيد افندي طنطاوي والثانية لعلي بك شعراوي

الارز اللباني الاولى لاحمد بك دله والثانية لاحمد بك حبشي. والارز الصبريني الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية لحسن بك شمسي ولبقية انواع الارز الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية للخواجه انطون صباغ ستأتي البقية

النجاح في العام الماضي

لم ترد الينا تقارير دوائر الحكومة المختلفة حتى الآن التي يستدلُّ منها على تقدُّم القطر المصري في العام الماضي ولكن وصلنا تقرير الجمارك عن شهر دسمبر وفيهِ ان قيمة الواردات في العام الماضي بلغت ١١٢١٦٤٠٥ جنيهات وكانت في العام الذي قبلهُ ١٠٨١١١٥٤ جنيهاً وقيمة الصادرات في العام الماضي بلغت ١٥٣٤٢٤٩٤ جنيهاً وكانت في العام الذي قبلهُ ١١٧٩٦٢٥٨ . فبلغت الزيادة في الوارد ٤٠٥٢٥١ جنيهاً وفي الصادر ٣٥٤٦٢٣٦ جنيهاً اي بلغت الزيادة في الصادر والوارد نحو اربعة ملايين من الجنيهات وهي دليل على نجاح لا مثيل لهُ في سنة من السنين الماضية ولا سيما لأن اكثرها في الصادر . وغنيٌّ عن البيان ان اكثر هذه الزيادة نتج من ارتفاع ثمن القطن . ولا يبعد ان تبلغ الزيادة في ثمن موسم القطن وحدهُ ستة ملايين من الجنيهات او اكثر ولو لم يبع الجانب الاكبر منهُ قبل ارتفاع الاسعار لبلغت الزيادة عشرة ملايين من الجنيهات او اكثر

النيل وزراعة القطن

بلغ انخفاض النيل هذا العام مبلغاً لم يبلغهُ في سنة من السنين التي سجل قياسهُ فيها وهذا الانخفاض عام من مصادر النيل في البحيرات الاستوائية الى مصباتهِ في البحر المتوسط ويخشى ان ينقطع الماء من عند اصوان في شهر ابريل المقبل فلا يبقى لري القطر المصري الاَّ المجموع في النيل من اصوان الى البحر المتوسط . لكن مصلحة الري استعدَّت لذلك باعتمادها على منع زرع الارز والماء الذي يقتضيهِ يكفي ري نحو اربع مئة الف فدان من القطن فاذا فعلت ذلك واخرت اطفاء الشراقي او منعت اطفاءها تماماً فلا يبعد ان يكفي الماء الباقي في النيل لري القطن الذي يزرع عادة في هذا القطر او لري ثلثيهِ على الاقل . وهي تحاول منع اهل الزراعة من زرع كل القطن الذي كانوا يزرعونهُ ولا سبيل لها الاَّ فرض المناوبة في الري وقد فرضتها من نصف شهر مارس واباحت للآلات الرافعة ان تدور من خمسة ايام الى سبعة

على حسب اختلاف المديريات ثم تنقطع عن الادارة المدة التي يحتملها نبات القطن من غير ماء وهي محدودة ايضاً. ويقال ان الآلات الرافعة لا تروي في ايام الادارة الاَّ نحو ثلثي الاطيان التي تزرع قطناً عادةً فاذا تمَّ ريُّها الى ان يرد ماء الفيضان وورد في ميعادهِ او قبل ميعادهِ بلغ الموسم المقبل اربعة ملايين من القناطير او حواليها وهو في الاسعار الحاضرة اصلح للقطر من سبعة ملايين قنطار تباع باسعار بخسة ولاسيما لانهُ لا يشغل غير ثلثي الارض التي يشغلها موسم القطن عادة

ثم اذا ثبت هذا العام ان الموسم القليل الذي لا يزيد على اربعة ملايين قنطار يباع بثمن الموسم الكبير الذي يزيد على ستة ملايين قنطار كان من الحكمة ان تجد الحكومة المصرية اسلوباً لحصر زراعة القطن في ثمانمئة فدان من الارض كأَن لا تبيح لاحد ان يزرع القطن في اكثر من ربع اطيانهِ فتتضاعف فائدة القطر من ذلك لان القطن يباع حينئذٍ بمثل الثمن الذي يباع بهِ الآن . وتتخلص اربع مئة الف فدان من زرع القطن وتزرع مزروعات اخرى ولا تعود الارض تزرع قطناً الاَّ مرة كل اربع سنوات فلا تضعف قوتها

زراعة قصب السكر

وضع الهر ولترتيان الكيماوي في معمل الشيخ فضل رسالة في قصب السكَّر ابان فيها ان العقد السفلى من قضبان القصب الكثيرة السكَّر لا تصلح للزرع (للتقاوي) مثل العقد العليا وهذه العقد العليا فيها سكر اقل قابليَّة للتبلور من سكر العقد السفلى واقل منهُ ثمناً فيكون من اتخاذ التقاوي منها فائدة مضاعفة

واصلح الاراضي لزرع قصب السكر الممزوجة من الطين والرمل وفيها نحو واحد في المئة من الجير ولا بدَّ من اجتناب الاراضي الحامضة واما الاراضي المالحة فيمكن غسل الملح منها بالماء والمصارف

واذا كانت الارض خفيفة فتستفيد زراعة السنة الاولى منها بالسماد الفصفوري والنيتروجيني ولا بدَّ من السماد النيتروجيني لزراعة السنة الثانية . واذا استعملت الحكمة في اختيار التقاوي وخدمة الارض فمن ذلك فائدة اكثر مما لو استعملت الاسمدة الغالية الثمن

واشار بان لا تقرَّب عيدان القصب بعضها من بعض وقت زرعها لكي يبقى بينها مجال للهواء ونور الشمس لانها اذا قربت بعضها من بعض نبتت طويلة ضعيفة وقلَّ السكَّر منها . واذا كانت الارض خفيفة فلا بأس بتقريب العيدان بعضها من بعض واما اذا كانت ثقيلة وجب ابعادها بعضها عن بعض

والقصب ليس من النباتات المائية فلا يصلح ان يركد الماء في ارضهِ ويحسن ان يمنع ريهُ مطلقاً قبل قطعهِ بشهر او شهرين . وحالما يقطع القصب ينقل الى المعمل والاَّ خسر من وزنهِ واحداً الى واحد ونصف في المئة كل يوم يبقاهُ في ارضهِ مقطوعاً وينقص سكرهُ ايضاً

والسكَّر في القطر المصري نحو ١٤ في المئة من القصب وزناً اي مثلما هو في اشهر البلدان في زراعة القصب ككوبا وجاوى فانهُ فيهما من ١٤ في المئة الى ١٥ في المئة

وذكر ان غلة السكَّر في كل البلدان ٦٧٣٩٠٠٠ طن واكثرها من البلدان التالية

الهند الشرقية	٣٥٠٠٠٠٠	طن
جاوى	٠٥٥٦٠٠٠	"
برازيل	٠٣٠٠٠٠٠	"
الولايات المتحدة	٠٢٣٠٠٠٠	"
كوبا	٠٢٢٠٠٠٠	"
جزائر فيلبين	٠٢٢٨٠٠٠	"
جزائر صندويج	٠٢٠٣٠٠٠	"
الصين	٠٢٠٠٠٠٠	"
موريتوس	٠١١٥٠٠٠	"
دمرار	٠١١٠٠٠٠	"
مصر	٠١٠١٠٠٠	"
كوينسلاند	٠٠٩٦٠٠٠	"
ارجنتينا	٠٠٨٥٠٠٠	"
بيرو	٠٠٧٥٠٠٠	"
مكسيكو	٠٠٧٠٠٠٠	"
بورتوريكو	٠٠٦٦٠٠٠	"
وجملة المستخرج من اسيا	٤٥٥٩٠٠٠	
ومن اميركا	١٥٠٩٠٠٠	"
ومن استراليا	٠٣٥٧٠٠٠	"
ومن افريقية	٠٢٩٢٠٠٠	"
ومن اوربا	٠٠١٥٠٠٠	"

فاسيا اكثر البلدان استخراجاً للسكر وتتلوها اميركا فاستراليا . اما اوربا فيزرع القصب فيها في اسبانيا لا غير . ولا يبعد ان تتسع زراعتهُ في افريقية بعد ان رسخت فيها قدم الاوربيين

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البيض في الطعام

امتحان البيض

فرخ الطائر يولد من بيضة فيتكوَّن منها لحمهُ وعظمهُ ودماغهُ واعصابهُ وريشهُ. ففي البيض كل العناصر اللازمة لتكوين جسم الحيوان لحماً وعظماً وجلداً وشعراً ودماغاً واعصاباً

ومن طبيعة البيض انهُ يفسد سريعاً ولاسيما في البلدان الحارَّة فلا يؤكل الاَّ اذا كان جديداً او خالياً من الفساد ويعلم ذلك بان تضع البيضة بين عينك ونور الشمس الساطع فاذا بان محها (صفارها) مستديراً والزلال حولهُ صافياً نقياً فهي جديدة او خالية من الفساد . وكذلك اذا وضعت البيض في اناء وصببتَ فيهِ ماء فالجيد يبقى في الماء واما غير الجيد فيطفو عليهِ

سلق البيض

يسلق البيض متى كان جديداً والاَّ عسر سلقهُ ولم يستطب طعمهُ. ويغلى الماء اولاً وتوضع كل بيضة فيهِ على حدتها بملعقة تصل بها الى اسفل الاناء لئلاَّ تقع فيهِ وتنكسر . والمدَّة اللازمة لسلقهِ في الماء الغالي من ٣ دقائق الى ١٥ دقيقة فاذا ترك في الماء ٣ دقائق فقط بقي كانهُ غير مسلوق واذا وضع ٦ دقائق بقي ليناً كالزبدة واذا سلق من ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة اشتدَّ كثيراً وهو الصالح لعمل السلطة ونحوها

وخير من ذلك ان يوضع البيض في اناء فيهِ ماء بارد ثم يوضع الاناء على النار عشر دقائق . او ان تأخذ لسلق ست بيضات اناء يسع اربعة ارطال مصرية من الماء وتغلي الماء فيهِ ثم تضعهُ في مكان دافئ وتضع البيضات فيهِ وتتركها عشر دقائق فتسلق جيداً واذا اردتها اشد قواماً فاتركها في هذا الماء عشرين دقيقة فتطبخ طبخاً

البيض بالزبدة

خذ ملعقتين من الزبدة وملعقتين من الدقيق ورطلاً من اللبن واربع بيضات وملعقة صغيرة من الملح وربع ملعقة صغيرة من الفلفل ونصف بصلة صغيرة وقليلاً من الخبز المحمص . واسلق البيضات ٢٠ دقيقة وضعها في الماء البارد ومتى بردت انزع قشرها واقطع كل بيضة ست قطع وافرم البصل فرماً دقيقاً وضع الزبدة في مقلاة صغيرة واحمها على النار وحمر البصل فيها حتى يصفرَّ ثم انزع البصل من الزبدة وضع فيها الدقيق وسخنهُ قليلاً واحترس لئلاَّ يحترق ثم ابعد المقلاة عن النار وصبَّ اللبن فيها فوق الدقيق وردها الى النار حتى تغلي ثم ضع الملح والفلفل والبيض وقدم ذلك على قطع من الخبز المحمَّص مدهونة بالزبدة . ويمكن ان يعوَّض عن البصل المفروم بزوم البصل

البيض بالمقانق

خذ ملعقة صغيرة من مفروم البصل واربع ملاعق كبيرة من لحم المقانق ونصف ملعقة صغيرة من الملح وثمن ملعقة صغيرة من الفلفل وحمر البصل في اللحم فوق نار شديدة خمس دقائق واكسر ثماني بيضات واخبطها جيدًا واضف اليها الملح والفلفل وضع اللحم والبصل في المقلاة على مكان بارد نوعًا من الفرن وصبَّ البيض فيها وحركهُ حتى يجمد وضعهُ في صحفة سخنة وقدمهُ مع خبز محمَّص عليهِ زبدة

صحة الحوامل

نشرت مجلة المنار الغراء في اجزائها الماضية نبذاً متوالية من رسائل معرَّبة اسمها اميل القرن التاسع عشر تظهر منها مزية التربية الانكليزية ويليق بكل ربات البيوت ان يطالعنها بالامعان من ذلك رسالة في الجزء ٤٥ الصادر في ٢٠ يناير تقول كاتبتها فيها

" جاء الدكتور وارنجتون وامرأتهُ الى هنا وامضوا يومين فسن لي شبه قانون اجري عليهِ في معيشتي بل هو الذي يتبعهُ معظم الانكليزيات الحوامل اللاتي يوصفن عادة بانهنَّ في حالة شاغلة . نصح لي بادامة الرياضة البدنية والتنزه ثم قال ما نصه اياكِ والاقتراب مما تفسر مطالعتهُ من القصص التي تتولد من قراءتها الانفعالات السيئة الشديدة . كان اليونان أعقل منا لانهم كانوا يحيطون نساءهم في مدة الحمل بالتماثيل والصور الجميلة المنسوبة لمشاهير الاساتذة في فن التصوير واني لست أجزم بان هذا كان سبباً في اتيان اولادهم حسان الخلقة ولكني على كل حال اقول اذا كان مثل هذه التماثيل والصور وغيرها من الاشياء البديعة الصنع يحدث في نفوس

ذوي الفطر السليمة من الناس شعور الارتياح والانبساط ويكون فيها مدعاة اعتدال الامزجة وتوافق الطبائع فلمَ لا يكون من موجبات حفظ الصحة . كثير من السيدات عندنا يغلب عليهنَّ في طور الحمل الخمود وفتور القوى بسبب البطالة التي هي منشأ الامراض العصبية فانهنَّ لاشغل لهنَّ فيهِ سوى مساورة الاوهام ومطاردة الخيالات . اما انتِ فلما اعهدهُ فيكِ من الشغف بالمناظر الخلوية اوصيك بالسعي وراء اجتلاء ما في الخليقة من رائع الجمال ورائق الحسن وبان تتخذي لنفسك اعمالاً مرتبة تشتغل بها يدك وعقلك

ولقد رأيت ان هذه النصائح كلها حكمة وعلم فاخذت نفسي بها وخرجت للتنزه من اليوم التالي لتلقيها بعد تدبير بعض الشؤون البيتية فلما رأتني نساء القرية مبكرة على الطريق بعثهنَّ كرم اخلاقهنَّ على ان يبتدرنني بالتحية قائلات "صباح بهي وبكرة سنية" ولم يكن الصباح كما قلن ولكنها عادة الناس هنا اذا تبادلوا التحية بالوقت فهم دائماً يميلون الى امتداحهِ قليلاً فشكرت لهنَّ حسن قصدهنَّ

لم أسر في تنزهي على الخليج بل اعتسفت الطريق في ريف يتسع فيهِ الفضاء للماشي كلما جدَّ بهِ السير ومما لاحظتهُ ان نساء كورنواي يضعن على رؤوسهنَّ برانيط من القش وقد اخترت ان احذو مثالهنَّ في ذلك فوضعت واحدة منها اتقاء لحر الشمس وحبًّا لما فيها من البساطة الكلية واخالني أروق في نظرك لو رأيتني بها . كنت أتقدم في هذا الريف على جهل من قراهُ ولكني كنت آمنة من الضلال لاني ما كنت قاصدة جهة معينة وكان ذلك اليوم من الايام التي كثيرًا ما ترى في غرب انكلترا فكانت سماؤهُ محتجبة بالغيم وكانت تأتي من البحر ريح بليل فتجري بين اشجار العليق فتولد فيها رعدة طويلة وكانت الطيور تغرد حول عشاشها . قد أتى عليَّ حين من الدهر كنت فيهِ اجد على الخليقة اذا بدت عليها سمات الاغتباط والسرور وانا حزينة الفؤاد متبلبلة الافكار فما زلتَ بي حتى أثبتَ لي ان هذا الوجد والانفعال باطلان بعيدان من الانصاف وناشئان من الاثرة وحب الاختصاص فاصبحت الآن بفضل نصحك لي اسرُّ بما اجدهُ في سائر المخلوقات من آثار الفرح والابتهاج وقد تبين لي في ذلك اليوم بما انبعث في قلبي من وجدان الحنان والرحمة وبما عاينتهُ في المخلوقات من شواهد الفضل والنعمة ان الله سبحانهُ لم يلعن الارض ولم يغضب عليها

كانت بكرتي هذه من البكر التي انت تعرفها يدور في هوائها على سكونهِ مادة غزيرة مختلفة العناصر للتوليد والخصب فكان ينبعث من أشجار العوسج وحقول القمح والمسالك الموطأة نسمات فاترة مقوية كانت تسري بسببها الحرارة في جسمي فتصل الى وجهي فكأن الارض كانت

مصابة بحمى الربع . ولقد ذكرتك في تسياري بين هذه المزارع وفكرت فيما سأناله عما قليل من شرف الامومة ان لم يحدث من الطوارىء ما يقطع موصول آمالنا . وفي هذا الوقت أحس قلبي بما انطوى عليهِ مكتوبك فتسابقت الى ذهني منهُ هذه الكلمات وهي "فاني قد استودعتكِ اياه"

عند ذلك صحت قائلة لماذا لا اكون أنا في الحقيقة معلمة ولدي ؟ أليس من المعروف عن نساء الولايات المتحدة ان معظم تعليم الاطفال ذكوراً كانوا او اناثاً موكول اليهن ؟ بل ان مما يؤكدهُ العارفون انهن يفضلن الرجال في القيام بهذه الوظيفة الصعبة واني سأجرب نفسي في الاقتداء بهن على ان هذا هو ما يراه زوجي فمن حيث انهُ قد عول على ترك المزايا التي لمدارسنا وغيرها من معاهد التعليم لاعتبارات أقدرها حق قدرها فلا بد ان احل محلهُ ولو حيناً من الزمن في القيام على تلميذنا الآتي وتربيتهِ وسيكون هذا آكد فرض عليَّ واخص ما افتخر بهِ وازهو . اشهد الله سبحانهُ على ما اقول واشهد عليهِ ايضاً امومة الفطرة الكبرى التي تدعوني بما فيها من القدوة الى العمل وانماء جميع قواي

ربما اضحكتك مني هذه المزاعم واني لعلى علم بكل ما يعوزني لاداء هذا الواجب الصعب المعضل لاني ينقصني كثير من المعارف وان كان والداي لم يغفلا تربيتي الاولى ولكن ما الذي يمنعني من الاستمرار على التعلم بنفسي اذا كنت لا ازال في السن الملائم لهُ فسأعلم ولدنا في الزمن الذي يشب فيهِ وينمو واتعلم انا ايضاً بتعليمهِ ولنْ اعتقد اني امهُ حقاً الاَّ اذا نفثت في روعهِ افكارك وزرعت في نفسهِ اصولك

سنتعاون بقلبينا على هذا الامر الخطير فعليك الارشاد وعليَّ العمل وقد وعدتك بان اكون قوية وهذا هو قصدي وسأبلغهُ ملتمسة من الرياضة البدنية والمطالعة ما يلزمني من الصحة والعافية في جسمي وعقلي لاداء هذا الفرض العظيم . ومعاذ الله ان يكون من قصدي ان اصير الى احسن مما انا عليهِ الآن . نعم اني لست من الوليات ولا من النساك فقد اتى عليَّ زمن كانت تجذبني فيهِ جواذب اللذات الدنيوية وليس هذا الزمن عني ببعيد فاني لم اتجاوز الثالثة والعشرين من عمري ولم يكن تركي معاهد التمثيل وملاهي الغناء واندية الظرفاء التي كنت افتخر فيها بمصاحبتك مبنياً على رغبتي عنها وميلي الى غيرها وانما كان ذلك لما اصابنا من صروف الدهر ونوائبهِ التي سيظل ما جرتهُ لي من الكآبة والحزن مخيماً عليَّ طول حياتي . على انني لست آسى على شيء مما فات فارجو ان لا تظن بي ذلك واعتقد اني لو كنت مطلقة من قيود هذه المصائب لما انفككت عن اختيارك لي خلاً وقريناً واعلم ان الفراق لم يزدني فيك الاَّ حباً وانما انا أشكو من الم في نفسي . . . ولكن كما توجد طرق مادية لحفظ صحة البدن توجد ايضاً طريقة معنوية

لحفظ النفس وسلامتها من الامراض وهي رفعها الى معالي الامور وسأجربها فان ذلك على ما يقال يسكن من آلامها واذا صح هذا فاي غاية تسمو اليها افكاري وتعلو بها نفسي أشرف من رعاية ولد أُربيهِ على اصولك واخلاقك . ان هذا لهو اكمل قصد وقفت نفسي على ادراكه

أنا مع انتظاري لهذا العمل الجليل أشتغل الآن بشؤون بيتية محضة. أما قويدون فانهُ قد صمم على ان يعمل عمل المزارعين فانهُ قد جلب الى مسرح الدواجن في بيتنا دجاجاً وبطاً وماعزاً وغيرها وكان في البيت برج عتيق مهجور فعمرهُ بالحمام. واني مهتمة غاية الاهتمام بكل هذا العالم الصغير وكنت قبلاً اعتقد في نفسي اني على شيء من علم الحيوانات لما قرأتهُ من الكتب المختلفة في التاريخ الطبيعي اما الآن فقد تبين لي مقدار خطائي في هذا الاعتقاد فاني كل يوم أُشاهد من عجائب الحيوانات ما لم يقل عنهُ العلماء شيئاً. وأنا وجورجية نوزع الحبوب على جميع هذه الدواجن التي يظهر من حالها انها تدرك محبتنا اياها لانها تأتنس بنا وتفرح لرؤيتنا . انتهى

(المقتطف) هذه اقوال يحقُّ ان تكتب بالتبر امام كل زوجة. وبمثل هذه المعاني الراسخة في نفوس النساء الانكليزيات والاميركيات ارتقت هاتان الامتان وامتازتا على امم الارض كما يشهد مناظروها من الفرنسو بين والالمانيين والايطاليين . لكنهما لم تبلغا ما بلغتاهُ عفواً ولا احتفظتا بهِ من غير عناء بل ان كل ذوي الاقلام فيهما وكل مَن قويت في نفسهِ الغيرة الوطنية وكل خَدَمة الدين ومعلمي المدارس والمحسنين والمتصدقين رجالاً ونساء كل هؤلاء يسعون دواماً في التعليم والتهذيب ونشر المعارف العلمية والادبية



باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر مارس ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم المساء في اول الشهر ويبلغ تباينهُ الاعظم شرقاً اي ١٨° ١٦ َ دقيقة عن الشمس في ٨ الشهر الساعة الاولى بعد الظهر . وتسهل رؤيتهُ قبل ذلك وبعدهُ بايام في

الشفق بعيد الغروب وهو يسير في هذا الشهر سيرًا مستقيمًا في برج الحوت ثم يظهر ثابتًا في ١٥ منهُ الساعة ٦ صباحًا و يسير بعد ذلك سيرًا متقهقرًا الى آخر الشهر . ويبلغ نقطة الراس في ٤ الساعة ١ بعد الظهر ويبلغ عرضهُ الشمسي الاعظم شمالاً في ١٤ الساعة ٨ بعد الظهر ويمر بالاقتران السفلي في ٢٥ الساعة ٥ صباحًا ثم يصير نجم الصبح فيشرق قبل الشمس

الزهرة

تكون الزهرة نجم الغروب وتزداد لمعانًا يومًا فيومًا وتسير شرقًا بين الكواكب في برج الحوت وبرج الحمل

المريخ

يكون المريخ نجم الصبح ولا يرى بالعين لقربهِ من الشمس ويسير شرقًا في برج الدلو وبرج الحوت ويمرُّ بنقطة الراس في ١٨ الشهر الساعة ٩ مساءً

المشتري

يكون المشتري نجم الصبح ولكنهُ يشرق قبل نصف الليلة ويسير شرقًا الى ٢٨ الساعة ١ صباحًا ثم يظهر ثابتًا ويسير بعد ذلك سيرًا متقهقرًا فيتجه غربًا بين الكواكب

زحل

يكون زحل نجم الصبح ويبلغ تربيعهُ الغربي في ٢٥ الساعة ١٠ مساءً ويشرق نصف الليل ويكون في برج الرامي ويتجه شرقًا بين الكواكب

اورانوس ونبتون

يتجاوز اورانوس التربيع الغربي في ٣ الشهر الظهر ويظهر ثابتًا في ١٧ الساعة ١٠ صباحًا ثم يسير بين الكواكب سيرًا متقهقرًا

ويتم نبتون سيرهُ المتقهقر فيظهر ثابتًا في ٥ الظهر الساعة ٩ مساءً ثم يسير سيرهُ المستقيم ويتجاوز التربيع الشرقي في ١٥ الساعة ٨ صباحًا

اقتران القمر بالسيارات

اليوم	الساعة			
٠١	٠١ صباحًا	يقترن بالمريخ فيقع المريخ	٦° ٢١َ	جنوبيهُ
٠٢	٠٨ مساءً	« بعطارد فيقع عطارد	٤° ٣٧َ	جنوبيهُ
٠٤	١٠ صباحًا	« بالزهرة فتقع الزهرة	٣° ٥٨َ	جنوبيهُ
٢٢	٠٣ مساءً	« بالمشتري فيقع المشتري	١° ٠٨َ	شماليهُ

اليوم	الساعة			
٢٤	١٠ صباحاً	يقترن بزحل فيقع زحل	٠° ٤٩َ	جنوبيهُ
٢٩ — ٣٠	نصف الليل	« بالمريخ فيقع المريخ	٦° ٢٩َ	جنوبيهُ
٣٠	٠٩ صباحاً	« بعطارد فيقع عطارد	٢° ٥٩َ	جنوبيهُ

اوجه القمر

اليوم	الساعة	الدقيقة		
٠١	٠١	٣٠	صباحاً	الهلال
٠٨	٠٧	٣٩	«	الربع الاول
١٦	١٠	١٧	«	البدر
٢٤	٠٧	٤١		الربع الاخير
٣٠	١٠	٣٥	مساء	الهلال
٠١	١٢	١١	مساء	الاوج
١٥	٠٣	١٧	صباحاً	الحضيض
٣٠	٠١	٢٣	صباحاً	الاوج

باب التقريظ والانتقاد

اصلاح المحاكم الشرعية

الشكوى من المحاكم الشرعية في هذا القطر قديمة عامَّة بعضها جارٍ على حدّ قولهم

ان نصف الناس اعداء لمن وُلّي الاحكام هذا ان عَدَل

وبعضها ناتج عن خلل في نظام المحاكم وبعضها عن نقص في علم القضاة وبعضها عن انحطاط مقام العدل في نفوسهم. اما الشكوى الاولى فلا علاج لها ولا هي دليل على وجود علة حقيقية تصح الشكوى منها واما بقية الشكاوى فلها مساس كبير بشؤون الناس وفيها وفي تلافيها وُضع هذا التقرير وواضعهُ الاستاذ العلاَّمة المحقق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فان نظارة الحقانية سألتهُ ان يتعهد المحاكم الشرعية مدة الصيف الماضي و[illegible]ر في اعمالها ويقدم لها نتيجة ما يتيسر

لهُ من البحث في احوالها فطاف على كثير من محاكم الوجه البحري واطّلع على ما امكن الاطلاع عليهِ من سجلاَّت ومضابط ومرافعات وسير في الاعمال وعرض ذلك على ما تقرَّر من احكام الشريعة الغراء وما وضع من اللوائح للمحاكم الشرعية . واستخلص من ذلك آراء بسطها لنظارة الحقانية في تقرير مسهب تكلم فيهِ اولاً عن الحاجة الى المحاكم الشرعية وقال انها " اذا ظهرت في مظهرها الديني الجليل وسارت سيرتها الشرعية القويمة ادخلت اصول النظام في اصغر البيوت فضلاً عن اعلاها واعادت بالعدالة الابوية ما فقدهُ الناس من نظام الالفة . وقد رأينا ان الرجل يدخل المحاكم الاهلية مخاصماً فيخرج منها محامياً فاجرٍ بمن يقوم بين يدي قاضٍ ينطق بالعدل الالهي ان ينقلب وفي نفسهِ اثر من خشية الله " . وقال قُبَيْل هذا ان القاضي لا يكون كذلك "حتى يأخذ الشرع عن اهلهِ وتكون تربيتهُ على السنَّة الدينية الصحيحة ثم لا يكون القاضي حافظاً لنظام الاسر والبيوت بعد الاحاطة باحكام الشرع حتى يكون للشرع واحكامهِ سلطان اي سلطان على نفسهِ "

ولا يخفى ان كل خلل يقع في المحاكم مرجعهُ الاكبر قلَّة العلم وقلّة العدل اما العلم فما يتيسر اكتسابهُ بالدرس والمزاولة واما العدل فخلق راسخ في النفس تصل اليهِ الامة بعد المزاولة الطويلة وتربى بزورهُ في الطفل والشاب في البيت والمدرسة والحقل والشارع حتى يملك النفس فلا تسير الاَّ بهِ . وعند صاحب التقرير ان التربية الدينية الاسلامية كافلة بذلك فقد قال " ان روح الشرع انما هو الحق والعدل والتزام الصدق في القول والاخلاص في العمل فلا يباح في ديننا لاحد ان يكذب كذبة واحدة لتقوية حجتهِ والدين كافل للكل بالوصول الى حقهِ من اقوم الطرق واهداها "

وبعد ان ذكر الحاجة الى المحاكم الشرعية بالاسهاب عدَّد مواقع الخلل في ابنيتها وكتبتها واعمالها الكتابية والحسابية وما يجري فيها من المرافعات وطرق التنفيذ ونحو ذلك واشار بالعلاج الشافي من هذه الادواء اشارة حكيم ماهر محب لوطنهِ وامتهِ . ولا بدَّ من ان تقع آراؤُهُ احسن وقع لدى نظارة الحقانية وتعمل بكل ما ترى لها سبيلاً الى العمل بهِ منها

وقد اعتنى حضرة العالم العامل السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار بطبع هذا التقرير بعد ان قدَّم لهُ مقدمة بليغة بيَّن فيها سبب انشائهِ ولخَّص ما تضمَّنهُ من القواعد والمقاصد واسهب في بعض المطالب التي اختصر فيها صاحب التقرير كعدم حصر منصب القضاء الشرعي في الحنفية . والتقرير مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد جدًّا وهو يباع باربعة غروش . فلحضرة واضعهِ وناشرهِ الشكر الجزيل على ما توخَّياهُ فيهِ من النفع العام

نوادر الكرام

ديوان العرب جامع لما لا يحصى من القصص والنوادر كما ترى في الكشكول والغرر ومحاضرات الادباء ومجاني الادب ونحو ذلك من الكتب القديمة والحديثة وقد اعتنى حضرة الاديب ابرهيم افندي زيدان بجمع نوادر السخاء التي جرت في ايام البرامكة ومن جاراهم من الكرام وطبعها في كتاب واحد جعل ثمنهُ خمسة غروش صاغ فاجاد وافاد

تقارير دار العلم السمثسونية

Reports of the Smithsonian Institution.

للكرماء سُبل كثيرة لاظهار كرمهم بعضها تنحصر فائدتهُ في انسان واحد او نفر من الناس كما ترى في النوادر المذكورة في الكتاب المشار اليهِ آنفًا وبعضها تعمُّ فائدتهُ اناسًا كثيرين واممًا كبيرة وتدوم الى ما شاء الله ومن قبيل ذلك الهبة التي وهبها الرجل المحسن الشهير المسمى جمس سمثسن للحكومة الاميركية لكي تنفق من ريعها على تقدم العلوم والمعارف فان هذه الهبة كانت اولاً مئة الف جنيه ثم تضاعفت بما اضيف اليها من ريعها ومن هبات المحسنين وقد وسّع بها نطاق العلوم والمعارف توسيعًا لا مثيل لهُ وحسبنا شاهدًا على ذلك ما يرد الينا كل سنة من الكتب المطبوعة بريع هذه الهبة وما تدلُّ عليهِ هذه الكتب من البحث والتنقيب اللذين تدفع نفقاتهما من ريعها ايضًا فالتقرير السنوي عن دار التحف يبلغ اكثر من الف صفحة يتخللها مئات من صور التحف التي جمعت او وصفت تلك السنة . والتقرير السنوي عن لجان العلم والبحث فيهِ سبع مئة صفحة او اكثر ومقالات كثيرة علمية وفلسفية باقلام اشهر كتاب العصر مثل كلفن ولنغلي و كروكس ورامسي وفوستر وداروِن ومري وبتري ودوَر ومير ومسبرو و كورني وغيرهم من كبار العلماء ومشاهير الكتاب ونحن نعتمد عليها في شرح بعض الحقائق كما ترى في الكلام على الاقمار في هذا الجزء

مجلتان جديدتان

الاولى مجلة علمية ادبية تاريخية اسمها القدس لحضرة صاحبها ومحررها طه المحتسب بالله خادم مقام خليل الرحمن وفيها مقالات دينية وادبية وتاريخية مثل "حاجة الانسان الى الدين". "واحكام الصيام وحكمه". وكيف تكون التربية الصحيحة ونبذة من تاريخ القدس الشريف .

والثانية مجلة علمية ادبية دينية تهذيبية اسمها مكارم الاخلاق الاسلامية امامنا العدد الثالث منها وفيهِ مقالة مسهبة عن العيد ونبذ كثيرة دينية وادبية . فنتمنى لهاتين المجلتين النجاح التام

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاطفال وتغيير الهواء

الاسكندرية . كامل افندي عياد . لي ابنة تبلغ من العمر شهرين وارغب في زيارة القدس الشريف وجبل لبنان في شهر ابريل المقبل فهل انتقالها بغتةً من قطر الى قطر يؤثر في صحتها وهل سفر البحر يضرها وهل الازدحام الشديد الذي يحصل عادةً في كنيسة القيامة بالقدس الشريف يؤذيها

ج لا ضرر من سفر البحر ولا من الذهاب الى جبل لبنان لا سيما وان عمر ابنتكم يكون حينئذٍ نحو اربعة اشهر . ولكن لا بدَّ من وقايتها من البرد الشديد في السفر برًّا وبحرًا . اما الازدحام فاذا طال فمنهُ ضرر كثير واذا لم يطل فضررهُ قليل

(٢) اصل الخماسين

ومنهُ سألني بعض الانكليز عن معنى كلمة "خماسين" ومن اي كلمة اشتقت فكان جوابي ان الاقباط اعتادوا ان يمكثوا خمسين يوماً بعد عيد الفصح بلا صوم ثم يصوموا فسميت المدة بين الفصح وبين الصيام خماسين ولما كان حرُّ الهواء يشتد عادةً في هذه المدة سميت الرياح الحارة خماسين . فما يقنع بهذا الجواب وقال لي انهُ طالع احد الكتب الانكليزية وفيها ان كلمة خماسين مركبة خما وسين ومعناها الهواء الحار فما هو الاصح

ج ان عيد الخمسين وهو المسمَّى بالعبرانية بالعنصرة وباليونانية بالبنديكستي او الخمسين يقع بعد الفصح بخمسين يوماً وهو عند اليهود تذكار لاستلامهم الشريعة وعند النصارى تذكار لحلول الروح القدس وكان نصارى هذا القطر يعيدونهُ من قديم الزمان

كما يعيدونهُ الآن . ويظهر لنا ان تعليلكم صحيح اي ان الرياح الحارَّة التي تهبُّ في مصر في فصل الربيع سميت خماسين لهبوبها غالبًا في هذه الايام بين الفصح وعيد الخمسين ويحتمل ان تكون قد سميت بالخماسين او بالخمسين لانها تهبُّ نحو خمسين يومًا من غير التفات الى عيد الخمسين. اما تركيبها من كلمتين معناها الريح الحارَّة فلم نقف على ما يؤيدهُ. وقد وردت هذه اللفظة في احدث قاموس للغة الانكليزية وهو قاموس تشمبرس المطبوع سنة ١٨٩٨ وفيهِ ان كلمة خماسين من خمسين العربيَّة لانها تهب خمسين يومًا من منتصف مارس فما بعدهُ

---

(٣) الحرارة والجاذبية

الاسكندرية . نصر الله افندي ميخائيل . هل ان جاذبية الملاصقة تضعف بالحرارة كما يقال او ان الحرارة تقوي قوة الدفع في دقائق المادة حتى تصبح جاذبية الملاصقة ضعيفة بالنسبة اليها لا ضعيفة حقيقة او هي تضعف الاولى وتقوي الثانية معًا . اما اضعافها الاولى فيستدل عليهِ بامكان تحويل كل الاجسام الجامدة الى سائلة او غازية بحسب درجة الحرارة واما تقويتها للثانية فبمَ يستدلُّ عليهِ افيدونا ولكم الفضل

ج ان حقيقة هذه الجاذبية لم تعلم حتى الآن ولا عُلمت حقيقة المادة وقد فُرِض ان دقائق المادة متحركة دوامًا وبينها ابعاد شاسعة بالنسبة اليها وان الحرارة قوة تزيد بها حركة هذه الدقائق سرعة فتتسع الفسحات التي تتحرك فيها وتتدافع فيزيد ابتعادها بعضها عن بعض فتنقص القوة الجاذبة التي كانت تبقيها على ابعادها الاولى لان حركتها هذه المبعدة للدقائق تقاوم فعل الجذب المقرّب لها حتى اذا زادت قوة الحرارة تفرقت دقائق المادة غازًا وزالت كل رابطة بينها او كادت. فاذا كانت حركة الدقائق الاصلية من مقتضاها مقاومة الجذب فتكون الحرارة مقوية للدفع ومضعفة للجذب معًا لان تقوية الواحد هي اضعاف الآخر. وهذا الفرض يعدُّ الآن بين الحقائق العلمية

---

(٤) التلعثم

الاسكندرية . احد القراء . لما كنت اقرأُ رواية " تنكرد " التي عربتم منها خمسة فصول في الجزء الاخير ووصلت الى وصف اخلاق "دوق بلامنت ومركيز منتكيوت" الذي نال هذه الالقاب بعد وفاة ابيهِ الذي كان يغار منهُ ويهينهُ فيقف امامهُ متلجلجًا لا يبدي عذرًا . رأيت ان هذا الوصف ينطبق على عواطفي واخلاقي لاني اعجب من ان حجتي تكون قوية في ذهني وبرهاني ساطعًا في مخيلتي حتى اذا اضطررت الى الاحتجاج واحتجت الى البرهان اعتقل لساني وتلجلج فلا البث ان تضعف حجتي ويوهن برهاني

فجئت اسأل حضرتكم هذا السؤال هل طلاقة اللسان (والفصاحة) عاطفة غريزية او مكتسبة وكيف تكتسب فافيدونا ولكم الشكر. وحبذا لو هديتمونا الى دواء نعالج بهِ هذا الاعتقال فتكونوا قد خدمتم انساناً واذقتموهُ لذة التعبير عن "سوانح افكارهِ"

ج يظهر لنا انكم مصابون بشيء من اللعثمة وهي خلل وراثي او مكتسب قلما يظهر قبل السنة الرابعة او الخامسة ولكنهُ قد يظهر بعد ذلك على اثر الحمى او غيرها من الآفات وسببهُ القريب في الحنجرة وقد تشترك الرئتان معها فيهِ. وهذه الآفة تقبل الشفاء وقد تشفى من نفسها من غير علاج وتقلّ بالتقدُّم في السن غالباً. واذا عقدتم النية على اصلاح نطقكم وتمهَّلتم في الكلام وعودتم نفسكم على التنفُّس المنتظم واخراج الصوت من الصدر فالمرجح عندنا انكم تتغلبون على هذا الخلل وتنجون منهُ ولكن لا بدَّ من المزاولة في ذلك كما لا بدَّ منها للنجاح في كل امرٍ. اما طلاقة اللسان فامر طبيعي ولكن المزاولة تزيد اللسان طلاقة ونعرف شباناً كانوا لا يحسنون الافصاح عمَّا في فؤادهم بعشر كلمات فزاولوا التكلم والخطابة فصاروا من الخطباء

---

(٥) اختلاف الاذواق

بغداد . الشيخ يعقوب ميخا . ما السبب في اختلاف الناس في المآكل والمشارب فاننا نرى منهم من تولَّع باكل الحموضات دون الحلويات. وبعضهم يرغب في اكل المطبوخات الثخينة دون الحموضات وهلمَّ جرًّا

ج ان اختلاف الاقاليم والبقاع وسائر ملابسات الناس يؤثر في امزجتهم فتختلف كثيراً ويتبعها اختلاف العادات . ولولا ميل الناس الى الاقتداء بعضهم ببعض وتسلُّط ناموس الوراثة عليهم لبعُد ان نرى اثنين متماثلين تماماً في الاذواق والاميال . ولكن مشابهة تأْثير الاقليم الواحد والميل الى الاقتداء يجعلان عادات الشعب الواحد متماثلة فترى اهالي الاقاليم الباردة يكثرون من اكل الاطعمة الدهنية لانَّ اقليمهم البارد يجعل ابدانهم في حاجة الى المواد التي تتولَّد منها الحرارة في ابدانهم فرأَوا بالاختبار ان اكل المواد الدهنية يدفئهم فاعتادوهُ . والظاهر ان الذين يأْكلون المواد الحامضة رأَوا من اكلها فائدةً لهم لاحتياج ابدانهم اليها فاعتادوها وهلمَّ جرًّا . فاختلاف الناس ناتج عن اختلاف اقاليمهم وسائر ملابساتهم

(٦) عبد الله بن المقفع

ومنهُ . هل كان عبد الله بن المقفَّع الكاتب البليغ المشهور مسلماً او نصرانياً فان الامير شكيب ارسلان طابع الدرة اليتيمة يعدهُ مسلماً وفي الجزء الرابع من مجاني الادب يحسب من جملة شعراء النصرانية وخطبائها

ج لم نجد الدرة اليتيمة الآن لنرى

ما قالهُ الامير شكيب ارسلان فيها ولكننا رأينا ما ذكر في مجاني الادب فما ورد في الجزء الرابع صفحة ٣٠٨ في الحاشية يشير الى ان عبدالله بن المقفع نصراني ولو لم يكن قاطعاً في ذلك واما ما ورد في شرح المجاني فلا يستدلُّ منهُ على انهُ كان نصرانيًّا او غير نصراني . ولم نجد في ما لدينا من الكتب ما يؤيد هذا القول او ذاك ولكن اذا اختلف طابع الدرة اليتيمة وطابعو مجاني الادب في مسالة تاريخية فنحن اميل الى تصديق ما يقولهُ طابعو المجاني لان عندهم مكتبة واسعة يستطيعون ان يجدوا فيها حقائق المسائل المختلف فيها

(٧) اصل كليلة ودمنة

ومنهُ . من اية لغة عرّب كتاب كليلة ودمنة لانني اذكر انكم ذكرتم في احد اجزاء المقتطف الماضية انهُ عرّبهُ من اللغة السريانية وفي مقدمة الكتاب يذكر انهُ عربهُ من اللغة الفارسية فما رأيكم في ذلك

ج ان كنّا قد ذكرنا في المقتطف ان كتاب كليلة ودمنة عُرّب من السريانية فيكون ذلك رأيا لاحد العلماء لا لنا . ولكن جمهور الباحثين على ان النسخة العربية معرّبة من البهلوية الفارسية كما قيل في مقدّمة الكتاب . ويقال عند التدقيق ان اثني عشر فصلاً من فصول الكتاب هندية الاصل وثلاثة فارسية الاصل وستة عربية الاصل اما ابن المقفع فلم يترجم عن الهندية بل عن الفارسية كما قال. وفي السريانية ترجمة اخرى لهذا الكتاب ترجمت نحو سنة ٥٧٠ للميلاد اي قبل الترجمة العربية بنحو ١٨٠ سنة . وقيل في انسكلوبيذيا تشمبرس ان اول نسخة اكتُشفت حديثاً من هذه الترجمة كان اكتشافها في المكتبة الاسقفية بماردين سنة ١٨٧٦ .وقال الدكتور رَيْط في الانسكلوبيذيا البريطانية انهُ اكتشف نسخة اخرى سريانية في مدرسة اللاهوت بمدينة دبلن وهي مترجمة عن العربية لا عن الفارسية في نحو القرن العاشر او الحادي عشر ويظهر منها ان النسخة العربية التي اعتمد عليها المترجم اوسع من النسخة العربية التي نشرها ده ساسي لان فيها فقرات لا توجد في نسخة ده ساسي . فالنسخة العربية مترجمة عن الفارسية (البهلوية الفارسية) والنسخة السريانية الاولى مترجمة عن الفارسية ايضاً واما السريانية الثانية فمترجمة عن العربية

---

(٨) اصل ماء البحر

مصر . الشيخ صالح خروبي الازهري . يقال ان هذه اليابسة كانت مصهورة ثم اخذت بالجمود رويداً رويداً ولم يزل مركزها وما حولهُ ذائبين . فعليهِ اين كانت البحار حينئذ أكانت موجودة حال ذوبانها او بعد ان جمدت قشرة الارض وكيف كان وجود مياه البحار

ج لما كانت الارض مصهورةً من شدَّة الحمو كان ماءُ البحار بخارًا ممزوجًا بالهواء المحيط بالارض او كان محلولاً الى عنصريهِ الاكسجين والهيدروجين وهما غازان فيكونان منتشرين في الهواء ولم ترسب المياه في بحار الارض الاَّ بعد ان برد سطحها وجمدت

(٩) زيادة البحر ونقصانهُ

ومنهُ. هل وجدت البحار على حالها الحاضرة او هي آخذة في الزيادة او في النقصان أَوَ لا تفني الحرارة جزءًا من الماء ولو كان قليلاً ثم يصير كثيرًا بكرور الايام فاذا كان الامر كذلك لزم عنهُ نقصان مياه البحار نقصانًا بيِّنًا مع ان المشاهد خلاف ذلك

ج لما بردت الابخرة ورسبت ماء كانت البحار اوسع مما هي الآن وماؤُها اغزر ثم ضاقت البحار وقلت المياه لا لان الحرارة تفنيها كما قلتم لان الحرارة لا تفني شيئًا والعلم الطبيعي لا يسلّم بوجود الفناء في شيءٍ ولكن لان الماء يدخل في تركيب صخور الارض وهو المسمى عند الكيماويين بماء التبلور فكلما برد جانب من الارض وجمد وتبلوَر انحبس فيهِ جانب من الماء . ولا يبعد ان تنضب مياهُ البحار كلها على كرور الايام فتمسي الارض جافَّة خاوية مثل القمر فان بحارهُ قد نضبت كلها منذ ادهار طويلة .ولا عبرة بعدم مشاهدتنا نقص مياه الارض لان عمرنا فيها قصير جدًّا بالنسبة الى العصور الطويلة التي مرَّت عليها . وما هو عمر نوع الانسان كلهِ بالنسبة الى الملايين الكثيرة من السنين التي مرَّت على الارض

(١٠) سبب المد والجزر

ومنهُ . ما سبب المد والجزر واين يذهب الماءُ في حالة الجزر وما علاقة القمر بالمد حتى نراهُ يرتفع بارتفاع القمر

ج ترون ذلك موضحًا في مقالة عن الاقمار في هذا الجزء من المقتطف وخلاصتها ان القمر يجذب الارض كلها السائل منها والجامد لكن جذبهُ لماء البحر اشد من جذبهِ لقاع البحر في الجهة المقابلة لهُ لان الماء اقرب اليهِ من القاع وجذبهُ لقاع البحر اشد من جذبهِ لمائهِ في الجهة الاخرى من الارض لان قاع البحر هناك اقرب اليهِ من مائهِ فتكون النتيجة ان الماء يرتفع في الجهة المقابلة للقمر وفي الجهة الاخرى من الارض ايضًا . ولا يقع الجزر الاَّ اذا اوقع المد فالماء الذي يجزر من مكان يمدُّ بهِ ماء مكان آخر

(١١) الفتور بعد النوم

ومنهُ . ما علة الخبل والفتور اللذين ينشآن عن النوم بعد العصر

ج اذا نام الانسان قلَّ توارد الدم الى دماغهِ واجتمع كثير منهُ في احشائهِ فاذا لم تكن مدة النوم كافية لزوال الفضول من الدماغ استيقظ والدم قليل في دماغهِ والفضول لم تنزع كلها منهُ فيشعر بالفتور

المذكور لان النشاط لايكون الاَّ اذا تغذى الدماغ جيدًا وكثرت الدقائق الجديدة فيهِ وقلَّت الدقائق الهالكة منهُ وهو يتغذَّى وتكثر فيهِ الدقائق الجديدة بكثرة الدم النقي وتزول منهُ الدقائق الهالكة بواسطة توارد الدم الجديد مع الراحة الطويلة

(١٣) احماء مواقد البترول

ومنهُ . لماذا لا يشتغل الطبَّاخ ذو الظلنبة الاَّ اذا احمي اعلاهُ بشيءٍ من السبيرتو يوضع في مستدير تحت اعلاهُ واذا أُشعل بلا احماء خرج منهُ الدخان والرائحة المعهودان في زيت البترول

ج لا يزول الدخان والرائحة من زيت البترول الاَّ اذا اشتعل اشتعالاً تامًّا وهذا الاشتعال التام يقتضي درجة عالية من الحرارة حتى تتمكن بها غازاتهُ من الاتحاد باكسجين الهواء ويقتضي وجود كمية كافية من الاكسجين فباحماء الهنة المستديرة التي تشيرون اليها توجد الحرارة اللازمة لجعل غازات البترول تتحد باكسجين الهواء ثم ان احماءها يحرك الهواء فيأتي من تحتها ومن حولها ويصعد مع المجرى الصاعد منها كأنها مدخنة القنديل وفي هذا الهواء اكسجين كافٍ لاحراق غازات البترول

(١٣) الفول والبراغيث

ومنهُ . ما العلاقة بين ظهور الفول وهيجان البراغيث وكثرتها

ج لا علاقة بينهما ولكن يتفق في هذا القطر ان يزهر الفول في فصل الربيع وتكثر البراغيث في فصل الربيع ايضًا

---

(١٤) فصل المعادن بعضها عن بعض

حمص . عطا الله افندي مبيض . اذا اختلطت معادن بعضها ببعض من فضة وذهب ونحاس وحديد وبلاتين وزيبق وصوديوم وروديوم ورصاص وقصدير وغير ذلك فهل من واسطة لتخليصها بعضها من بعض كلٍّ على حدة افيدونا مفصلاً

ج اذا اردنا ان نتكلم مفصلاً عن طرق استخلاص المعادن كلها وجب علينا ان نترجم لكم كتابًا في علم المعادن واصغر كتاب رأيناهُ في هذا الموضوع كتاب دانا وهو لو ترجم الى العربية لملأَ مجلدين كبيرين كلاًّ منهما اكبر من مجلد من المقتطف. والايجاز ايضًا اطول من ان يحتملهُ باب المسائل ولكننا نشير الى شيءٍ منهُ اشارة مثال ذلك اذا كان معدن النحاس مخلوطًا بالفضة كما يكون عادة وكانت الفضة تزيد على نفقات استخراجها من النحاس يضاف الى النحاس نحو ثلاثة امثالهِ من الرصاص ويصهر المعدنان معًا وتسبك منهما اقراص صغيرة ثم توضع هذه الاقراص في فرن خاص ويكون تحتها ميزاب عميق فيذوب الرصاص من الاقراص ويجري في الميزاب ويأْخذ معهُ الفضة ويبقى

النحاس في الاقراص فقط . ثم يستخرج الرصاص من الفضة بطريقة يطول شرحها وبواتق واتاتين خاصة بذلك

هذا اذا كان مقدار المعادن كبيراً واريد استخلاصها بالتعدين واما اذا كان مقدارها قليلاً واريد استخلاصها للامتحان الكيماوي فالعمل في ذلك ان يذاب المعدن بالحوامض التي تذوبه ويضاف اليهِ الحامض الهيدروكلوريك فيرسب منهُ كلوريد الرصاص والفضة والزيبق ويجمع الراسب ويغسل ويفرق بين هذه المعادن الثلاثة بان الماء الغالي يذيب كلوريد الرصاص ولا يذيب كلوريد الفضة والزيبق هذا . وماء النشادر يذيب كلوريد الفضة

ثم يجرى في السائل الذي رسب منهُ الرصاص والفضة والزيبق هيدروجين مكبرت فيرسب منهُ البزموث والكدميوم والنحاس والزرنيخ والانتيمون والقصدير والذهب والبلاتين . ويغلى الراسب في الحامض الكبريتيك فيذوب البزموث والكدميوم والنحاس بعد اضافة حامض كبريتيك مخفف الى السائل . ثم يضاف ماء النشادر بزيادة فيرسب البزموث والكدميوم والنحاس ثم يذوب كل من الكدميوم والنحاس عند زيادتهِ فيفرقان عن البزموث ثم يفرق الكدميوم عن النحاس بان الحامض الكبريتيك المخفف الغالي يذيب كبريتيد الكدميوم ويبقى كبريتيد النحاس غير ذائب. وعلى هذا النحو تفرق بقية المعادن بعضها عن بعض كما ترون في كل كتاب للتحليل الكيماوي

---

(١٥) عصير الطماطم

المطاعنة. عطا الله افندي تناغو . كيف يحفظ عصير الطماطم من غير ان يعتريهُ الفساد

ج يضاف اليهِ ملحٌ كافٍ ويغلى على النار حتى يشتد قوامهُ ويصير مثل الزبدة فيوضع في قناني وتسدّ جيدًا فيحفظ كذلك

(١٦) المساهل للحوامل

ومنهُ . هل تمنع الحامل من اخذ المساهل كزيت الخروع والملح الانكليزي وما شاكل خوفًا على الجنين من الاسقاط كما يقول العامة

ج نعم تمنع من اخذ المساهل القوية ولا سيما بعد الشهر الرابع

---

(١٧) النوم الطويل

اسيوط . محمد افندي توفيق رستم . قرأت في احد التقاويم ان امرأة نامت ٥٥٠٠ يوم بلياليها من غير ان تستيقظ ساعةً في خلال تلك المدة الطويلة فهل ذلك صحيح

ج شاهدنا شابًا نام نحو شهر من الزمان ثم اصيب بدخل في عقلهِ ومات وقرأنا عن اناس ناموا اسبوعًا او اسبوعين او ثلاثة او اربعة او خمسة وترى نوادرهم مذكورة في الصفحة ٢٨٥ من المجلد الثالث من المقتطف.

وعن رجل نام واحدًا وسبعين يومًا متواليًا وقد ذكرت قصتهُ في الصفحة ٤٤٠ من المجلد السادس من المقتطف. وعن رجل آخر نام اربعة اشهر ونصف شهر نومًا متواصلاً وقصتهُ مذكورة في الصفحة ٤٣٠ من المجلد السادس عشر لكننا لم نسمع ولم نقرأ ولا نكاد نصدق ان احدًا ينام ٥٥٠٠ يوم اي اكثر من خمس عشرة سنة نومًا متواليًا



باب الاخبار العلمية

النور والغرف

اذا انيرت غرفة بعدد محدود من المصابيح واختلف لون جدرانها اختلف ظهور النور واشراقهُ فيها فاذا كانت جدرانها مغطاة بالمرايا كان اشراق النور فيها على اتمهِ واذا كانت مغطاة بالمخمل الاسود كان اشراق النور فيها على اقلهِ. ويختلف اشراق النور فيها بين هذين الحدين باختلاف لون جدرانها كما ترى في هذا الجدول

اذا كانت مغطاة بالمرايا	٩٢
" مدهونة دهانًا ابيض	٧٠
" " " برتقاليًا فاتحًا	٥٤٫٨
" " " اخضر "	٤٦٫٥
" " " اصفر "	٤٠
" " " ازرق "	٣٠
" " " اصفر قاتمًا	١٦٫٢
" " " اخضر "	١٠٫١
" " " ازرق "	٠٦٫٥
اذا كانت مغطاة بالورق الاسود	٠٤٫٥
" " بالجوخ "	٠١٫٢
" " بالمخمل "	٠٠٫٤

والدهان اللامع يعكس النور اكثر مما يعكسهُ الدهان غير اللامع

الكهربائية في الحرب

ابنا غير مرة ان التلغراف الاثيري يستعمل الآن في الحرب بين انكلترا والترنسفال والظاهر من كلام ماركوني ان الانكليز وحدهم يستعملونهُ لان اهالي الترنسفال ليس عندهم آلات صالحة من آلاتهِ. لكن استعمال التلغراف الاثيري لا يعد شيئًا امام التلغراف العادي فانهُ لما كانت رحى الحرب دائرة على نهر مدر ارسل الانكليز بهِ مئة الف كلمة في يوم واحد اي ما يملأُ مئتين وخمسين صفحة من صفحات المقتطف

النور الكهربائي في معرض باريس

سينار معرض باريس المقبل باثني عشر

الفًا و٥٥٤ مصباحاً كهربائياً بين كبير ساطع كالشمس وصغير عادي هذا عدا المصابيح التي ينير بها العارضون معروضاتهم . وينار الشان اليزه بمئة واربعة وسبعين مصباحاً من ذوات النور القوسي الساطعة النور

الشعور باللون

نشر العلماء الذين ارسلوا منذ مدة لدرس طبائع اهل غينيا الجديدة بعض ما وقفوا عليهِ من امور تلك الشعوب المتوحشة . من ذلك ان شعورهم بالالوان ضعيف جدًّا فاهالي جزيرة ليفو لا يشعرون بها ابداً أما من بقي من تلك الشعوب فليس في لغتهم اسم الاَّ للون الاحمر وهم يشعرون قليلاً بالاصفر أما الازرق فلا يشعرون بهِ

و يظهر ان الشعور باللون الازرق خاص بالشعوب البالغة درجة سامية من التمدُّن حتى ان اليونان القدماء سموا الازرق اسود والاسود ازرق في اقدم كتاباتهم ووصف فرجيل الشاعر الغيوم بالزرقة والبنفسج بالسواد وادخل الانكليز اسم اللون الازرق الى جزائر مري فصار سكانها يعبرون عن هذا اللون باللفظة الانكليزية فيقولون "بلو بلو" لكن هذه الحاسة ليست واضحة عندهم وضوحها عندنا

طعام جديد

جاء في احدى الجرائد الفرنسوية ان احد علماء الكيمياء في اميركا اكتشف طريقة لتجفيف الاطعمة من غير ان تخسر شيئاً من عناصرها الغذائية وذلك انهُ وضع قطعة من اللحم في مجرى كهربائي قوي يصحبهُ مجرى من الهواء الحار فجفَّ اللحم وخسر ٧٠ في المئة من حجمهِ الاصلي وتحوَّل الى مسحوق دقيق الملعقة الصغيرة منهُ تقوم مقام قطعة كبيرة من اللحم فيستطيع الانسان ان يحمل في جيبهِ ما يقيتهُ بضعة ايام

المؤتمرات العلمية في المعرض

عينت الاوقات لاشهر المؤتمرات العلمية التي يراد اجتماعها في مؤتمر باريس المقبل وهي

العلوم المحضة وعلم الطيور	من ٢٦ — ٣٠ يونيو
المتيورولوجيا	٢٣ - ٢٨ يوليو
الطبيعيات والرياضيات	٦ — ١١ اغسطس
الجيولوجيا	١٦ — ٢٨ «
الكهربائية	١٨ — ٢٥ «
الانثروبولوجيا والاركيولوجيا	٢٠ — ٢٥ «
السيكولوجيا	٢٢ — ٢٥ «
الاثنوغرافيا	٢٦ — ١ سبتمبر
الكيمياء	٢٠ — ٢٩ «
النبات	١٠ — ١٦ اكتوبر
زراعة الجنائن	٢٥ — ٢٧ مايو
« الحراج	٠٤ — ٠٧ يونيو
المعادن والتعدين	١٨ — ٢٣ «
زراعة الكرم	٢٠ — ٢٣ «

الزراعة عموماً	١ — ٧ يوليو
الفوتوغرافيا	٢٣ — ٢٨ يوليو
الكيميا الصناعية	٢٣ ٣١ „
الملاحة	٣٠ يوليو — ٤ اغسطس
الصيدلة	٨ اغسطس
الجغرافية التجارية	٢٣ — ٣١ اغسطس
زراعة الاثمار	١٣ — ١٤ سبتمبر
سكك الحديد	٢٠ — ٢٩ „
الطب الهوموباتي	١٨ — ٢١ يوليو
„ القانوني	٢ — ٩ اغسطس
طب الاسنان	٨ — ١٤ „
حفظ الصحة	١٠ — ١٧ „
الهبنوتزم	١٢ — ١٥ „

حل مسألة الطيران

كتب الدكتور دنيلوسكي الروسي الى جريدة السينتفك اميركان يصف البالون الذي استنبطهُ وطار بهِ وارتفع في الجو حتى غاب عن الانظار ثم عاد الى المكان الذي صعد منهُ ومع الرسالة صور فوتوغرافية لهذا البالون وهو بلوطي الشكل يصعد بخفة ثقلهِ ويدار من جهة الى اخرى باجنحة يديرها الصاعدون فيهِ . ومن رأي الروسيين الذين شاهدوا الدكتور دنيلوسكي طائراً فيهِ انهُ قد حلَّ مسألة الطيران

فرنسيس غلتن

من العلماء الذين زاروا القطر المصري هذا الشتاء العلاَّمة المشهور فرنسيس غلتن . وقد دعي للخطابة في الجمعية الجغرافية المصرية في ٢٤ فبراير فتكلم اولاً عن زيارتهِ لهذا القطر سنة ١٨٤٦ وذهابهِ الى الخرطوم ثم استطرد الى الكلام عما اكتشفهُ من ان اثر انامل الانسان ادلُّ دليل عليهِ لان اثر انامل كل انسان خاص بهِ وهو لا يتغير بتغير سنهِ تغيراً يمنع الاستدلال عليهِ كما ابنا ذلك مراراً في صفحات المقتطف . وقد سُرَّ لان هذه الطريقة مستعملة في محافظة مصر الاستدلال على المجرمين كما هي مستعملة في اوربا . ويعلم قراء المقتطف ان المستر غلتون اكتشف قانون الوراثة الذي نشرناهُ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف ولهُ مباحث جليلة فيها

المعرض الزراعي

وصفنا المعرض الزراعي في باب الزراعة في هذا الجزء ونزيد على ذلك ان عدد الذين دخلوهُ ودفعوا ثمن تذاكر الدخول بلغ ١٤٠٠ نفس في اليوم الاول والف نفس في اليوم الثاني و٦٢٧٨ نفساً في اليوم الثالث وهؤُلاء عدا اعضاء الجمعية وعدا المدعوين الذين دخلوا بلا دفع في الايام الثلثة . فيقدر عدد الذين زاروهُ هذه السنة باحد عشر الف نفس . وهو يبلغ اضعاف اضعاف ما بلغ في السنة الماضية

ويقدر المطاعون على ما جرى في هذا

المعرض ان ما بيع من الآلات والادوات على اثر العرض فيهِ بلغت قيمتهُ من ٤٠ الى ٥٠ الف جنيه

ولهذا تهتم الجمعية الزراعية منذ الآن بزيادة تسهيل العرض فيهِ في السنة الآتية فيفكر بعضهم في بناء سقائف دائمة للآلات واسطبلات دائمة للمواشي ونحو ذلك من وسائط التسهيل

تعمير العلماء

نشر الاستاذ فترولا المكسيكي مقالة في اعمار المشتغلين اشغالاً عقلية ابان فيها ان متوسط عمرهم ٦٨ سنة ومتوسط عمر العلماء منهم والمحامين والمؤرخين اكثر من سبعين سنة

النجاح العام

ذكرنا في باب الزراعة في هذا الجزء ان قيمة الصادرات من القطر المصري زادت عنها في العام الماضي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات . والظاهر ان هذه الزيادة في قيمة الصادرات عمومية في اكثر الممالك فقد بلغت الزيادة في ثمن الصادرات من بلاد الانكليز نحو ٢٢ مليونًا من من الجنيهات . ومن بلاد فرنسا نحو ١٥ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات ومن بلاد المانيا نحو سبعة ملايين من الجنيهات ومن الولايات المتحدة الاميركية نحو اربعة ملايين من الجنيهات . ولم تبلغ الزيادة مبلغًا عظيمًا في الولايات المتحدة الاميركية لان الصادرات الزراعية منها بلغت اعظم مبلغ سنة ١٨٩٨ فزادت اربعة عشر مليونًا من الجنيهات عما كانت عليهِ في العام الماضي اما سائر المواد فزاد الصادر منها في العام الماضي زيادة بالغة فقد كان ثمن المصنوعات الصادرة منها سنة ١٨٩٨ نحو ٦١ مليون جنيه فبلغ في العام الماضي ٧٦ مليون مليون جنيه اي زاد ١٥ مليون جنيه في سنة واحدة

ويستدلُّ من ذلك على امرين مهمين الاول ان مناظرة الامم الاوربية للامة الانكليزية في التجارة الخارجية لم تضعف التجارة الانكليزية والثاني ان ابواب التجارة تزيد اتساعًا عامًا فعامًا وان الذهب قد كثر في ايدي الناس فسهل عليهم ابتياع الحاجيات والكماليات ايضًا

الانفاق على الكماليات

ذكرت جريدة الايكونومست مقدار ما استعملهُ الانكليز في العام الماضي مما ليس من الحاجيات كالشاي والتبغ والخمر والبيرة فقالت انهم استعملوا ٢٤٢٥٦١٠٠٠ رطل (ليبرة) من الشاي و٧٨٦٤١٠٠٠ رطل من التبغ و٣٩٥٤٠٠٠٠ رطل من الكوكو و٣٥٧٧٠٠٠٠ برميل من البيرة و١٦٦٦٢٠٠٠ جالون من الخمر و٢٦٨٠٠٠٠٠ رطل من البن . فيشرب كل نفس منهم في

سنته ستة ارطال من الشاي ورطلين من التبغ ورطلاً من الكوكو ونحو برميل من البيرة ونصف جالون من الخمر ونحو ثلثي رطل من البن . واذا حسبت الذين يشربون ذلك هم البالغون فقط وانهم نصف السكان تضاعف مقدار ما يشربهُ كلٌّ منهم

عيد بنك فرنسا

عيَّد بنك فرنسا عيد مرور مئة سنة عليهِ فقد انشيء في ١٣ فبراير سنة ١٨٠٠ وكان رأس مالهِ عند انشائهِ ٣٠ مليون فرنك (١٢٠٠٠٠٠ جنيه) مقسومة ٣٠٠٠٠ سهم كل سهم منها الف فرنك وقد اكتتب نبوليون وبعض اعضاء عائلتهِ ببعضها ولم يُكتتب بسوى ٧٥٠٠ سهم في اول الامر ولم يتم الاكتتاب بها كلها الاَّ بعد سنتين . وبلغ المال الذي اشتغل بهِ البنك في السنة الاولى من انشائهِ ٢١ مليون فرنك فقط . ثم زيد راس مالهِ رويداً رويداً وهو الآن ١٨٢٥٠٠٠٠٠ فرنك او ٧٣٠٠٠٠٠ جنيه وقيمة هذه الاسهم بحسب سعرها الحالي ٧٦٠ مليون فرنك اي اكثر من اربعة اضعاف قيمتها الاصلية

تجارة الحرير في ليون

بلغ الحرير الداخل مدينة ليون في العام الماضي ٧٥٥٨٧٢٠ كيلو غراماً وذلك يزيد عما كان في العام الذي قبلهُ نحو ١٧ في المئة وعن متوسط الاعوام العشرة الماضية نحو ٢٧ ٪ في المئة . وتجارة الحرير في ميلان اتسعت اخيراً اكثر من اتساعها في ليون فقد كان مقدار الحرير الوارد اليها ٢٧٨١١٨٥ كيلو غراماً سنة ١٨٩٧ فبلغ ٨٧٢٣٧١٥ كيلو غراماً سنة ١٨٩٨

لورد لبك لورد اڤبري

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة ان ملكة الانكليز انعمت على السر جون لبك بلقب لورد وجاء في جريدة ناتشر الآن انهُ اختار ان يلقب لورد اڤبري Avebury نسبة الى مكان لهُ فيهِ املاك . فسيكون اسمهُ من الآن فصاعداً لورد اڤبري . وهو اسلوب غريب للانكليز في تغيير اسمائهم حينما يمنحون القاب الشرف

العلم في جنوبي افريقية

ابتدأ العمران في شمالي افريقية في مصر وساحل بحر الروم الى بلاد المغرب فعمرت هذه البلدان قبلما عمرت غيرها من ممالك الارض ودخلها العرب وامتلكوها منذ الف وثلثمئة سنة وليس فيهم الآن من يجود بعشرة آلاف جنيه على انشاء مدرسة كبيرة. وابتدأ العمران في جنوبي افريقية في القرن الماضي وامتلكهُ الانكليز في اوائل هذا القرن وهو الآن يفاخر بالمدارس الجامعة وبالامس وهب واحد من سكانهِ مدرسة الراس الجامعة

ثلاثين الف جنيه . ووهب مدرستهُ الكلية عشرة آلاف جنيه

الاستاذ هيوز

يعلم قرَّاء المقتطف اسم هذا المخترع من اختراعهِ للميكروفون والاسلوب الذي تكتب بهِ الانباء التلغرافية كتابة . ولد ببلاد الانكليز سنة ١٨٣١ وهاجر بهِ ابواهُ الى اميركا فاستنبط فيها التلغراف الكاتب وهو في الرابعة والعشرين من عمرهِ فشاع استعمالهُ رويدًا رويدًا في المسكونة كلها وربح منهُ اموالاً طائلة انفق الكثير منها على المدارس والمستشفيات. واستنبط الميكروفون الذي تقوى بهِ الاصوات الضعيفة وذلك سنة ١٨٧٨ .ولهُ مستنبطات اخرى في الكهربائية. توفي ببلاد الانكليز في ٢٢ ينايرعن ٦٨ سنة ودفن باحتفال عظيم في السابع والعشرين منهُ وحضر الاحتفال بدفنهِ كثيرون من كبار العلماء مثل لورد لستر ولورد كلفن والسر وليم كروكس والسر فردرك برمول والاساتذة طمسن ودوَر وبري وملدولا وغيرهم

هبة علمية فرنسوية

وهب المسيو دانيال اوزيرس انستتو فرنسا مالاً يبلغ ريعهُ مئة الف فرنك كل ثلاث سنوات ليعطى جائزة لمن يكتشف اعظم اكتشاف علمي او يؤلف افضل كتاب في العلوم والفنون والاداب

ترعة نيكارغوى

تمَّ الاتفاق بين الولايات المتحدة الاميركية والحكومة الانكليزية على فتح ترعة نيكارغوى بدل ترعة بناما فتفتحها الولايات المتحدة وتديرها ولكنها تبيح السير فيها لكل الامم مثل ترعة السويس

التطعيم الواقي من التيفويد

قرَّر الاستاذ ريطانهُ راقب صحة ١١٢٩٥ من الجنود في بلاد الهند بعد ان طعَّم ٢٨٣٥ منهم بالطعم الواقي من التيفويد فوجد انهُ اصيب بالتيفويد بعد ذلك ٢٥ في الالف من الذين لم يطعموا و ٩ في الالف من الذين طُعِموا ولذلك فالطعم نافع حتماً ولو كان لا يقي كل احد من الذين يطعَّمون بهِ

اكبر المصارف

قُدِّرت النفقات اللازمة لمصارف القاهرة بنحو سبع مئة الف جنيه فجعلت الحكومة المصرية تقدّم رجلاً وتؤَخر اخرى وهي تجد المال اللازم لذلك غير ميسور لها . وفي اول هذا العام فتحت مدينة شيكاغو باميركا مصرفاً كبيرًا صنعتهُ لتنزح فيهِ الاقذار منها بدلاً من صبها في بحيرة مشيغان التي تشرب من مائها. وقد انفقت على عمل هذا المصرف ستة ملايين من الجنيهات . هذا ما فعلتهُ مدينة اميركية لم يكن لها اثر في الوجود لما جاء محمد علي باشا جد العائلة الخديوية الى هذا القطر

وقد عجزت عن عشره اكبر مدينة في هذا القطر بل في افريقية كلها

نفقات المسكرات

قابل المستر مكفرلين في مجلة الاحد بين ما ينفقهُ الانكليز على التبشير وعلى المسكرات فوجد انهم ينفقون في السنة مليونًا وثلث مليون من الجنيهات على التبشير و١٥٤ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات على المسكرات

التبغ والنساء

عُرضت مسأَلة تدخين النساء للتبغ على خمس من المكاتبات الشهيرات في جريدة النساء المسماة "لادس رلم" فكتب اربع منهنَّ في جواز التدخين وكتبت الخامسة في منعهِ. قالت الاولى "ان المرأَة حرَّة ان تدخن اذا ارادت اما انا فاكره التدخين ولا يمكن ان اعتادهُ. ولا يليق بامرأَة ان تدخن ما لم تجد لذة في التدخين تقابل ما فيهِ من الكراهة" وقالت الثانية يتوقف جواز التدخين على احوال الزمان والمكان فاذا رأَت المرأَة ان تدخينها التبغ لا يزعج احدًا جاز لها تدخينهُ لكن الفرص التي تمكنها من ذلك قليلة جدًّا. وقالت الثالثة ان ما يجوز للرجل يجوز للمرأَة. ولكن لا يليق بامرأَة ان تدخن التبغ حيثما تدخينهُ يؤذي احدًا. وقالت الرابعة ان كل امرأَة تجلس مثلي على مكتبها ثماني ساعات متوالية تجد في السيكارة دماغًا جديدًا. وقالت الخامسة ان المرأَة التي تدخن تصير مترجلة مكروهة وحبذا لو تجنبها الرجال فانهُ لا شيءَ يردها الى صوابها مثل ابتعادهم عنها

جريدة النساء اليومية

في فرنسا جريدة يومية ينشئها النساء ويديرها النساء ويطبعها النساء ولا يشاركهن فيها رجل وهي ابلغ الجرائد الفرنسوية انشاء واصحها اخبارًا واوسعها نطاقًا حتى لُقّبت بالتيمس اللابس لبس النساء. وقد بيع من العدد الاول منها نحو مئتي الف نسخة. وفيها نحو ١٢ محررة وثلاثين كاتبة

خرائب السوس

يرى القارىءُ في ما نشرناهُ في هذا الجزء من تاريخ الاسكندر المكدوني ان السوس او سوسة كانت عاصمة بلاد الفرس في ايام الاسكندر. وقد وجَّه علماءُ العاديات عنايتهم اليها ووجدوا فيها كثيرًا من الآثار القديمة. ولما استعفى المسيو ده مورجان من ادارة دار التحف المصرية مضى اليها وبحث في اطلالها فوجد فيها تحفًا كثيرة وفي جملتها نصب اقيم للملك نارام سن تذكارًا لواقعة عظيمة تغلَّب فيها سنة ٣٧٥٠ قبل المسيح. ومسلة من الغرانيت علوها ست اقدام جوانبها مملوءَة بالكتابات وعليها ١٢٠٠ سطر منها وشقف كثيرة من الخزف المدهون المنقوش نقوشًا بديعة

غلات اميركا

نشر ديوان الزراعة في اميركا الاحصاء الآتي لغلاتها سنة ١٨٩٩

الحنطة	٠٥٤٧ ٣٠٣ ٨٤٦	بشلاً
الذرة	٢٠٧٨ ١٤٣ ٩٣٣	«
الشعير	٠٠٧٢ ٣٨١ ٥٦٨	«
البطاطس	٠٢٢٨ ٧٨٣ ٨٣٢	«

وقد بلغ ثمن الحنطة نحو ٣٢٠ مليون ريال وثمن الذرة نحو ٦٩٢ مليون ريال وبلغت غلة الفدان من الحنطة ١٢ بشلاً وثلاثة اعشار . وغلة الفدان من الذرة ٢٥ بشلاً وثلاثة اعشار

الزيوت في اوربا

محل الزيتون في فرنسا وايطاليا واسبانيا هذا العام فلم ينتج ثلث الموسم العادي وسبب هذا المحل نوع من الحشرات يبيض في حبوب الزيتون ويفسدها

بعض المعارك الشهيرة

قتل وجُرح من الفرنسويين لما ارتدوا من موسكو ثلاثون الفاً . وقتل وجرح منهم في معركة لبسك سنة ١٨١٣ خمسة وستون الفاً في ثلاثة ايام وقتل وجرح منهم في واقعة استرليز نحو تسعة وعشرين الفاً . وقتل وجرح من الروسيين في بلاڤنا ١٨ الفاً . ولما نشبت حرب القرم اطلق الروسيون فيها ٤٥ مليون رصاصة فلم يقتلوا بها سوى ٤٨ الف نفس

نجاح سريع

تألف سنديكات في استراليا سنة ١٨٩٣ من عشرة اشخاص دفع كلٌّ منهم خمسة عشر جنيهاً وفتح مناجم كولغاردي في غربي استراليا . وقد باع هذه المناجم الآن فاخذ ثمنها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات واسهماً تساوي تسعة ملايين ونجاح مثل هذا نادر جدًّا لا يقاس عليهِ

قياس حرارة النجوم

صنع المستر نيكولس من مدرسة دارتموث الكلية باميركا مقياساً تقاس بهِ حرارة النجوم فيهِ صفيحتان صغيرتان من الميكا قطر الصفيحة منهما مليمتران متصلتان بقضيب من الزجاج معلق بخيط دقيق جدًّا من زجاج الكوارتز فيجمع النور على صفيحتي الميكا بمرآة قطرها قدمان فتحركهما حرارتهُ مهما كانت قليلة فانهما تتأثران بحرارة الشمعة ولو كانت بعيدة عنهما خمسة عشر ميلاً اذا جمع نورها بالمرآة عليهما وقد ثبت بهذه الآلة ان للنجوم حرارة يمكن قياسها بها

تحريك القوارب عن بُعد

لم تبقَ شبهة في ان امواج هرتس الكهربائية تفعل على مسافة ثمانين ميلاً او اكثر من غير موصل ورغماً عن كل حاجز . اي ان الانسان الذي عندهُ آلة من آلات مركوني هنا يستطيع ان يولّد منها امواجاً

كهربائية تؤثر في آلة مثلها فتديرها ولو كانت على ثمانين ميلاً منها . وقد استخدم بعضهم ذلك لتسيير قوارب التربيد في قلب البحر ولتسيير السفن التي تجري تحت سطح الماء وجربتهُ الحكومة الانكليزية فرأت مبدأهُ صحيحاً ولا يبعد ان يفي بالغرض تماماً اذا أُتقن فتتغير بهِ اساليب الحروب البحرية

التلغراف الاثيري في السفن

استأجرت الحكومة الاميركية عشرين آلة من آلات مركوني لتضعها في عشرين سفينة حربية وستدفع اليهِ عن كل آلة مئة ريال كل سنة . ويقال ان الحكومة الانكليزية عازمة ان تضع آلات مركوني في كل بوارجها

الاشتاء في روسيا

اعتادت الحيوانات التي لا تجد طعاماً في الشتاء ان تنام فصل الشتاء كلهُ لكي لا يزول شيء من قوتها وهي غير قادرة ان تستعيض عنهُ بالطعام . ومن اغرب ما ذكر عن احوال الانسان في هذا العصر ان فقراء الفلاحين في بلاد الروس اقتدوا بالحيوانات الشاتية فاذا اقبل الشتاء ورأوا ان ما عندهم من الطعام لا يكفيهم الى الربيع اذا اكلوا منهُ كفافهم اوقدوا النار في افران خاصة في بيوتهم وجعلوا ينامون على سطوح تلك الافران ولا يقومون الاَّ لاصلاح النار واكل كسرة من الخبز مبلولة بالماء . ويمر فصل الشتاء وهم كذلك حتى لا تضطر ابدانهم ان تنفق شيئاً من قوَّتها لا في الحركة ولا في توليد الحرارة

آثار قرطاجنة

لا تذكر قرطاجنة الاَّ اعترت السوريين هزَّة وتحسَّروا على مجد اسلافهم الذي امسى اثراً بعد عين . وقد نقب المسيو غوكله مدير العاديات في تونس بعض اطلال قرطاجنة في العام الماضي فوجد فيها كثيراً من آثار مجدها السالف من ذلك صفيحة من المرمر مقدَّمة للمشتري وعليها ختم اثني عشر كاهناً . واربعة تماثيل من الرخام الابيض واحد منها يمثل الالَهة سرس التي قامت مقام الالهة تنت الفينيقية ووجد في مدفن قديم كثيراً من الوجوه الخزفية المصنوعة على هيئات مفزعة لكي تزجر بها الارواح الشريرة عن الموتى . ووجد في قبور اخرى حلًى من الفضة وعقوداً من الحجارة الكريمة وخواتم من الذهب . وفي قبر منها هيكل امرأَة في اصابعها خواتم من الذهب وفي عنقها عقد كبير من الذهب مرصع بالحجارة الكريمة وبجانبها اناء من الخزف المدهون بالمينا وآنية من بيض النعام ومصباح . ووجد في قبر آخر قوالب من الخزف لسبك الاسماك والطيور . ومن اغرب ما وجدهُ اسطوانة من العقيق على صورة الاله مردخ يخنق نعامة

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٠ — الموافق ١ ذي الحجة سنة ١٣١٧

السيَّارات واقدارها



تلك الدراري زُحَل فالمشتري   وبعدهُ مريخها في الاثرْ
شمس فزهرة عطارد قمرْ   وكلها سائرة على قدَرْ

هذا ما قالهُ شاعر من ابناء هذا العصر بعد ان ثبت للمتأخرين ولفريق كبير من المتقدمين ان الشمس والقمر ليسا من السيَّارات مثل زحل والمشتري بل ان الشمس ام هذه السيَّارات

وكعبة تطوافها والارض سيّارة من اصغرها والقمر تابع لها . ولا يُعلم من تغلّب عقلهُ على وهمهِ اولاً فاستنتج ان الشمس اكبر من الارض وابعد من القمر عنها ولو كانت تُرَى مثلهُ قرصاً صغيراً قطرهُ نحو شبر ولا اوَّل من فرق بين السيَّارات وسائر النجوم وسماها باسماءٍ خاصة . ولا يبعد ان يكون الكلدانيون والمصريون اول من سبق الى ذلك فان عمرانهم اقدم من عمران غيرهم وقد رصدوا الافلاك منذ الوف من السنين وعرفوا كثيرًا من الحقائق التي لا يزال بعض العلماء من ابناء هذا القطر وغيرهِ من الاقطار الشرقية يجهلها حتى الآن . ويثبت سبق الكلدانيين والمصريين الى معرفة هذه الحقائق الفلكيّة اذا ثبت ان فيثاغورس الحكيم اخذ عنهم كما قال بعض الكتّاب الاقدمين . وقد نقل بلينيوس عن فيثاغورس ان الشمس تبعد عن الارض ٢٩٨٣٧ ميلاً والقمر يبعد عن الارض ١٤٩٢ ميلاً

وذكر ارسترخس طريقة هندسية لمعرفة بعد الشمس والقمر او نسبة احدهما الى الآخر مفادها انهُ اذا كان القمر في التربيع اي اذا استنار نصف وجههِ المتجه الينا في الدقيقة التي يحدث فيها ذلك تكون الشمس مواجة لهُ فيقع النور منها عليهِ و ينعكس الينا على زاوية قائمة

كما ترى في هذا الشكل اي تكون الشمس عند الحرف ش والقمر عند الحرف ق والارض عند الحرف ر فاذا قيست الزاوية

ق ش ر

التي عند ر عُرفت الزاوية التي عند ش وتعرف نسبة ش ر الى ق ر اي نسبة بعد الشمس عن الارض الى بعد القمر عن الارض . لكن الدقيقة التي يحدث فيها التربيع اي يستنير فيها نصف وجه القمر المتجه الينا لا تسهل معرفتها ولا قياس الزاوية التي عند ر وقد قال ارسترخس انهُ قاس هذه الزاوية فوجدها ٨٧ درجة واستنتج من ذلك ان الشمس ابعد عنا من القمر تسعة عشر ضعفاً

ثم قام هبرخس في نحو سنة ١٥٠ قبل المسيح وحسب بعد الشمس من تناقص قطر ظل الارض الواقع على القمر وقت خسوفهِ فكانت النتيجة التي وصل اليها مثل النتيجة التي وصل اليها ارسترخس تقريباً ولذلك بقي العلماء على القول بها نحو الفي سنة الى ان قام العلماء الاوربيون وحسبوا الابعاد الحقيقية للشمس والقمر والسيارات كما سيجيء

وانتقل العلم الى العرب في ايام الخلفاء العباسيين فاخذوا العلوم الفلكية عن اليونان والرومان وزادوا فيها قليلاً وكان جمهور كتَّابهم يذكرها بالحذر الشديد كانها علوم كفرية

يجب ان تحوَّط بكل ادوات الشك والريب . قال المسعودي في مروج الذهب زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها اربعة وعشرون الف ميل وان قطرها سبعة آلاف وستماية وستة وثلاثون ميلاً . ثم ذكر نسبة الارض والكواكب بعضها الى بعض فقال ذكرالاكثرون ان الارض اعظم من القمر بتسع وثلاثين مرةواعظم من عطارد بثلاث وعشرين الف مرة واعظم من الزهرة باربع وعشرين الف مرة . والشمس اعظم من الارض بمئة وسبعين مرة وربع وثمن واعظم من القمر بالف وستمئة واربع واربعين مرة . والارض كلها نصف عشر ثمن من الشمس. والمريخ مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة والمشتري مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف وربع وقطره ثلاثة وثلاثون الف ميل وستة عشر ميلاً . وزحل اعظم من الارض تسعاً وتسعين مرة ونصفاً وقطره اثنان وثلاثون الف ميل وسبعمائة وثلاثون ميلاً

ثم ذكر ابعاد هذه الكواكب عن الارض فقال ان بعد القمر الابعد ١٢٨٠٠٠ ميل وبعد عطارد ٧٠٣٣٠٠٠ ميل وبعد الزهرة ٤١١٩٦٠٠ ميل وهلمَّ جرًّا وجعل بعد الشمس عن الارض ٢/١ ٨٠٢٠٠٠ ٤٠٠٠ ميل . ولا ندري عمَّن نقل هذه الابعاد ولا كيف استخرجت على هذا النحو

والمعروف الآن ان السيارات الكبيرة ثمانية وهي عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشتري وزحل واورانوس ونبتون واقربها من الشمس عطارد وابعدها عنها نبتون . وبين المريخ والمشتري سيارات صغيرة تسمى النجيمات اكتشفوا منها الى الآن اكثر من ٣٤٠ نجيمة . واكبر السيارات المشتري واصغرها عطارد اما النجيمات فاصغر من ذلك كثيراً . وقد رسمنا الشمس والسيارات في صدر هذه المقالة حسب نسبة اتساعها بعضها الى بعض فالدائرة البيضاء الكبيرة قرص الشمس والدوائر السوداء التي في وسطها اقراص السيارات . وتظهر نسبتها بعضها الى بعض ايضاً من هذا الجدول

	القطر اميالاً	البعد عن الشمس	مدة دورانهِ حول الشمس
عطارد	٠٣٠٠٨	٠٠٣٦ مليون ميل	٠٠٠٨٨ يوماً
الزهرة	٠٧٤٨٠	٠٠٦٦ " "	٠٠٢٢٥ "
الارض	٠٧٩٢٦	٠٠٩٢ " "	٠٠٣٦٥ ١/٤ "
المريخ	٠٤٩٩٩	٠١٤١ " "	٠٠٦٨٧ "
المشتري	٨٨٤٨٩	٠٤٨٣ " "	٠٤٣٣٢ "
زحل	٧٥٠٣٦	٠٨٨٦ " "	١٠٧٥٩ "

	القطر اميالاً	البعد عن الشمس	مدة دورانهِ حول الشمس
اورانوس	٣٠٨٧٥	١٧٨٣ مليون ميل	٣٠٦٨٧ يوماً
نبتون	٣٧٢٠٥	٢٧٩٤ " "	٦٠١٢٧ "
الشمس	٨٦٦٢٠٠		
القمر	٢١٦٠		

ومادة الشمس مثل خمسة ملايين من مادة عطارد ومثل ثلاثة ملايين من مادة المريخ و٤٢٥ الفاً من مادة الزهرة و٣٣٢ الفاً من مادة الارض و١٠٤٨ من مادة المشتري و٣٥٠٠ من مادة زحل و٣٢٦٠٠ من مادة اورانوس و١٩٤٠٠ من مادة نبتون و٢٤٤٩٠٠٠٠ من مادة القمر وذلك كلهُ بوجه التقريب

وهذه السيارات تقرب من الارض وتبعد عنها حسب دورانها حول الشمس ودوران الارض ولكنها تبقى على بعد شاسع منها فاقرب بعد المريخ عن الارض ٣٣٨٧٤٠٠٠ ميل واقرب بعد الزهرة ٢٣٦٥٤٠٠٠ ميل واقرب بعد عطارد ٤٧٩٣٥٠٠٠ ميل واقرب بعد الشمس ٩١٢٣٩٠٠٠ ميل

هذا ولا ندري ما يقول المرء لنفسهِ حينما يمعن نظرهُ في الصورة التي في صدر هذه المقالة ويرى الشمس فيها كرةً كبيرة والارض نقطة صغيرة بالنسبة اليها واربعاً من السيارات كلاًّ منها اكبر من الارض كثيراً وكل هذه الكواكب والشمس معها لا تُحسب شيئاً مذكوراً في جنب النجوم المنتشرة في الفضاء . الارض بحورها وبرورها وسهولها ونجودها وجبالها ووهادها وكل ما عليها من طوائف الحيوان وانواع النبات وكل ما فيها من المعادن والفلزات لا تحسب شيئاً مذكوراً بازاء اصغر شمسٍ من الوف الشموس المنتشرة في هذا الفضاء. والانسان ونسبتهُ اليها نسبة القطرة الى البحر يعدُّ نفسهُ سيد المخلوقات . ولو لم يصنع غير التلسكوب آلة للنظر لسُفّه رأيهُ وعدَّ فعلهُ من الخيلاء لكنهُ صنع آلة أُخرى ترفع قدرهُ وتعلي مقامهُ وهي الميكرسكوب الذي يريهِ عوالم كثيرة من الاحياء لو جُمع الالف منها ما ساوى حبة الرمل حجماً فيعود الى حسبان نفسهِ فوق مخلوقات لا تحصى ويرى الاحياء كلها سلسلة كثيرة الحلق وقد يكون اقرب الى اعلاها منهُ الى ادناها. ثم تريهِ مباحثهُ الجيولوجية والبلينتولوجية ان هذه الحلقات آخذة في الارتقاء بعضها في اثر بعض فيفترُّ ثغرهُ بعد عبوسهِ لان مصلحة البعض تضيع في مصلحة النوع والنوع قد ارتقى كثيراً ولا يزال سائراً في سبيل الارتقاء

مصارعة الثيران

لكل بلاد العاب وطنية يرتاح اليها اهلها وهي إمّا اصيلة في البلاد نشأت فيها او دخيلة أُدخلت اليها من بلاد أُخرى . ومن الالعاب الوطنية التي اشتهرت شهرة عظيمة مصارعة الثيران في اسبانيا وهي من الالعاب البربرية الوحشية التي الغيت من اكثر البلدان لما فيها من الفظاعة وسفك الدماء . وقد ورثها الاسبان عن آبائهم واجدادهم ادخلها الى بلادهم الرومان مع غيرها من الالعاب الوحشية التي كانوا يلعبونها في مشهد رومية

وشاعت مصارعة الثيران في كثير من البلدان الاوربية في القرون الوسطى ايام الفروسة وسفك الدماء حتى انك ترى آثار الملاعب في كثير من مدن فرنسا والمانيا وغيرها شواهد على ما كان يجري فيها من الفظائع التي يستهجنها ابناء هذا الزمان . والبلاد الوحيدة التي تبيحها الآن هي البلاد الاسبانية ففيها ملعب كبير في مدينة مدريد عاصمتها يسع ١٥٠٠٠ نفس وآخر في بلنسية يسع ما يزيد على عشرين الف نفس . ويبتدئُ اوان المصارعة في مدريد في شهر ابريل وينتهي في شهر نوفمبر فينتظره الاهلون ولا تكاد الاعلانات المبشرة باوّل مصارعة تصدر وتنتشر حتى تراهم يتراكضون الى ابتياع اوراق الدخول قبل ان تنفد لكثرة الراغبين فيها . وهم يهتمون كثيرًا بما اذا كان المصارعون يمتازون على غيرهم في ما يظهرونهُ من الخفة في اغواء الثور الى حتفهِ او في اخماد انفاسهِ بحدّ سيوفهم فيقضون اوقات الفراغ يتباحثون و يتناقشون في هذه المواضيع

والملعب الذي يجري فيهِ الصراع ساحة فسيحة مستديرة على دائرها مقاعد الواحد منها فوق الآخر مثل سلم مستدير وفي أعلى هذا السلم غرف لاكابر المشاهدين واعاظمهم ويحيط بالساحة حاجز من الخشب متين غير مرتفع يفصل بينها و بين المقاعد و يجلس على هذه المقاعد اناس من كل الطبقات رجالاً ونساءً وصبيانًا وبنات يهتفون فرحًا وطربًا كلما خرَّ احد تلك الثيران يتخبط بدمائهِ كأنهم فقدوا كل عواطف الشفقة والحنان لكثرة ما شاهدوهُ من هذه المناظر . وحينما يأزف الوقت المعين للصراع يعطي الرئيس مفتاح القفص الذي فيهِ الثيران الى احد الفرسان المنوط بهم حفظ النظام وهم لابسون ملابس فرسان القرون الوسطى من المخمل والحرير المقصب وعلى راس كل منهم ريشة تتمايل في الهواء . وتبتدئُ الالعاب بدخول جميع اللاعبين في موكب فيدخل اولاً الفرسان على خيولهم ثم يتبعهم المصارعون المشاة بملابس ملوَّنة مزخرفة وعلى ذراع كل منهم قباءٌ احمر للتحرُّش بالثور واتقاء شرهِ . ثم يدخل اصحاب البنود وهم يطعنون الثور بحراب مزدانة باعلام صغيرة يتدلّى منها بنود ملوَّنة و يضعون فيها

احياناً باروداً ينفجر عند ما تمس الثور فيغتاظ ويهيج . ثم يدخل مصارعون آخرون راكبين خيولاً عجفاء طاعنة في السن لكي تهجم الثيران عليها وتنفذ غيظها فيها ويسير هؤُلاء كلهم في موكب مهيب الى امام رئيس الحفلة ويحنون له رؤُوسهم ثم يطلق الثور من قفصهِ فيتقدم منهُ اول المصارعين وفي احدى يديهِ سيف وفي الأُخرى علَم صغير وعلى هذا الرجل قتل الثور لكن يجب ان يقتله بإتقان اي يطعنهُ طعنة واحدة تكون القاضية عليهِ

قال عزتلو ادوار بك الياس في كتاب وضعهُ حديثاً عن رحلتهِ في اوربا وقد شاهد الصراع ما نصهُ "وقصدت مرسح الثيران في مدريد يوم الاحد فما قدرت على ابتياع التذكرة لدخولهِ



الاَّ بعد عناءٍ كثير تكبدهُ صاحب الفندق لان الاقبال على تلك الفرجة كان فوق ما تتصورهُ العقول . ومرسح مدريد اعظم مراسح الثيران في اسبانيا كلها وفي صدرهِ اماكن للاسرة المالكة ومع انهُ يضم خمسة عشر الفاً فما بقي فيهِ موضع واحد خالياً وفي اسفلهِ ساحة كبيرة للمصارعة يحيط بها حاجز من الخشب غير مرتفع ولكنهُ متين وهو يفصل الساحة عن مقاعد المتفرجين وفي احدى الجهات من تلك الساحة ابواب من الخشب تفتح وتقفل من الوراء ليدخل منها المبارزون والوحوش وكان الناس ينتظرون بدء القتال بذاهب الصبر حتى اذا فتح احد الابواب وبدأ الفصل الاول صفقوا كلهم طربين معجبين ودخل ثور كبير جعل يركض في عرض الساحة كانما هو يقول هل من مبارز هل من مناجز فعندئذٍ دخل الساحة رجلان يلبسان الجوخ

الاحمر المقصب ومع كلٍّ منهما شال احمر يحرش بهِ الثور ويهيجهُ فجعلا يغضبانهِ بابراز الشال حتى هاج وغضب ونجوا منهُ الى ما وراء الحاجز الخشبي الذي ذكرناهُ

ثم دخل رجلان آخران على شاكلة من ذكرنا ومعهما باليد اليسرى شال احمر وباليمنى حراب طول الواحدة نحو متر ونصف ملبسة بالقماش الاحمر ويتدلى منها شرائط حمراء فجعلا يقاتلان الثور بهذه الحراب وهما كلما تقدم عليهما عرضا لهُ الشال الاحمر فينطحهُ تشفياً منهُ وغيظاً . وبعض هذه الحراب المذكورة تغرز في رقبة الثور وبعضها لا يعلق بها بل يسقط الى الارض ويوجب سقوطها ازدراء الحاضرين كما انهم يصفقون استحساناً اذا غرزت الحربة في رقبة الثور . فلما سال دم هذا الثور واشتدَّ هياجهُ دخل ثلاثة فرسان على الخيل معهم حراب طويلة جعلوا يطعنونهُ بها كلٌّ في دورهِ فعند ذلك هجم على الحصان الاول ووضع رأسهُ تحت بطنهِ فبقرهُ والقاهُ شطرين ثم هجم على الحصانين الآخرين وفعل بهما كالاول حتى وقعت الافراس الثلثة تتخبط بدمائها واما الفرسان فانهم سقطوا الى الارض لما قتلت خيلهم وفي الحال فروا من وراء الحاجز ما عدا احدهم اغمي عليهِ فبادروا الى اعانتهِ وانتشالهِ حينما كان الثور يدوس جثث الخيل وينظر الى الحاضرين نظر الفائز المنتصر

وبعد هذا دخل محارب يسمونهُ توريرو اي الرجل الثوري ومعهُ الشال الاحمر والحربة فجدَّ في محاربة الثور الى حد ان وقف الاثنان ينظران احدهما الى الآخر غيظاً فحينئذٍ طعن الرجل الثور بحربة في رقبتهِ فاخرجها من الجانب الآخر فلما وقع هذا الثور المسكين قتيلاً هاج المتفرجون طرباً وصفقوا استحساناً وصدحت الموسيقى فرحاً بتلك المذبحة ثم دخلت عربات ورجال جرَّت الجثث الى الخارج " انتهى

وقد تفنَّن الاسبانيون حديثاً في مصارعة الثيران واغروا بناتهم بمجاراة الرجال في هذا المضمار . قال احد الكتَّاب في مجلة العالم ما ترجمتهُ

اذا فرغ الاسبانيون من مصارعة الثيران ادخلوا الى مشهد الصراع ثوراً واسداً او ثوراً وفيلاً ورأوا كيف يفتك احدهما بالآخر . او اعطوا ازمَّة المصارعة لبنات تدرَّبن على ذلك وحينئذٍ تغصُّ المشاهد بالحضور. وقد شاهدت هؤلاء البنات اول مرة في برشلونة وكان الفصل شتاء وكنَّ يتمرَّنَّ تمرُّناً ومعلمهنَّ رجل بدين اسمهُ ثني رحَّب بي واخبرني انهُ اول مَن علَّم البنات مصارعة الثيران وقد طاف بهنَّ في اسبانيا وفرنسا واميركا الجنوبية فاظهرنَ من المهارة ما اختلب الالباب وغار منهنَّ الرجال الماهرون في مصارعة الثيران وقد رسمت صورتهُ معهنَّ في الشكل التالي ثم وصف الكاتب كيف يتمرَّن هؤلاء البنات على طعن ثيران خشبية تجري امامهنَّ على

عجل كالدرَّاجات وقال انهُ سأل معلمهنَّ عما اذا كانت مصارعتهنَّ للثيران سليمة العاقبة دائماً فقال لهُ نعم الاَّ مرةً واحدةً . ثم اراهُ فتاة نطحها الثور فشق وجهها من فمها الى اذنها لكن الثور قُتل حالاً والشق خيط فلم يبقَ منهُ الاَّ اثر طفيف. وقالت الفتاة لهُ انها هي الملومة لانها طرحت قباءها من يدها حينما كانت في اشد الحاجة اليهِ . فقال لها الكاتب أوَ لا تخافين من الثور فقالت عسى ان لا اخاف ابدًا لانني اذا خفت قضي عليَّ . فقال لها على مَ اخترتِ هذه الحرفة وقد كانت خاصةً بالاقوياء من الرجال فقالت ألا ترى ان النساء صرنَ يحاولن مجاراة الرجال في امور كثيرة ولم يبقَ قيادهنَّ في ايديهم كما كان قبلاً . واظن ان اكثرنا اختار



هذه الحرفة لاننا حسبنا الناس يحبون الجديد ويسرون بهِ فكان كما ظننا وربحنا اكثر مما تربح الممثلات واشتهرنا ايضاً ونحن نرغب في الشهرة كما يرغب فيها الرجال

ثم وصف مشاهدتهُ صراع البنات للثيران في برشلونة . قال وكان المشهد غاصًّا بالمشاهدين المظلَّل منهُ والمكشوف . ولا اطيل في وصف دخول المصارعات الى المشهد لانهُ لا يفرق عن دخول المصارعين والغرض الذي تتوخاهُ المصارعة ان يقف الثور امامها مواجهة حتى تطعنهُ بحربتها بين رفشيهِ وهي الطعنة القاتلة فدنت من الثور وجعلت تحرشهُ بحربتها وكلما دنا منها الاحت بالقباء في وجههِ الى ان لاحت لها الفرصة المناسبة فطعنتهُ بين رفشيهِ والقتهُ صريعاً نجيب صروف

الاسكندر ذو القرنين

في حلمهِ وغضبهِ

يظهر من اسماء الاماكن التي مرَّ بها الاسكندر وهو جادٌّ في اثر داريوس انهُ سار على حدود الصحراء الملحية في بلاد خراسان بطريق القوافل الذاهبة الآن من طهران الى تركستان. والسائر في هذه الطريق يرى عن يمينهِ الصحراء الملحية وعن يسارهِ الجبال الفاصلة بين بلاد الفرس وبلاد الروس ووراءها سكة الحديد الروسية التي أُنشئت حديثًا فخرقت اسيا من الغرب الى الشرق وفتحت للروس سبيلاً للتجارة عجز عن مثلهِ القياصرة والاكاسرة

ولما رأى انهُ قضي على داريوس بيد بسوس مرزبان بلخ على ما تقدم وان بسوس فرَّ من وجههِ ولاذ بمعاقل بلادهِ اقام مع رجالهِ حتى استراحوا من وعثاء السفر ثم سار بهم شمالاً وعبر الجبال التي عن يسارهِ ووصل الى بحر الخزر واخضع القبائل النازلة حولهُ . وجاءهُ رؤساء القبائل البعيدة طائعين وبينهم القائد ارتبازُس وكان قد عصى على داريوس ولجأ الى مكدونية ولاذ بفيلبس واقام في بلاطهِ سبع سنوات فضمهُ الاسكندر الى حاشيتهِ . واتاهُ ايضًا الف وخمس مئة من مسترزقة اليونان وهم بقية الجنود اليونانية التي كانت عند الفرس فميز بين الذين انتظموا في جيش الفرس قبلما عُقد مؤتمر كورنثس واشهر الحرب على الفرس وبين الذين انتظموا فيهِ بعدهُ فاباح للاولين العودة الى بلادهم واضطرَّ الآخرين الى الانتظام في جيشهِ. ثم عاد الى بلاد الفرس وسار شرقًا قاصدًا بلخ ليقتصَّ من بسوس قاتل داريوس وقبل ان وصل اليها بلغهُ ان احد المرازبة انتقض عليهِ وكان قد امَّنهُ فدار الى الجنوب حتى بلغ المكان الذي اقيمت فيهِ مدينة هرات وكان اسمهُ ارتكوانا . ومن هناك سار السلطان محمود بن سبكتكين لغزوة الهند وسار ايضًا جنكيزخان وتيمور لنك ونادر شاه وقد اقتفوا كلهم خطوات الاسكندر في دخولهم بلاد الهند

وحدث للاسكندر وهو هناك حادث كبير غيَّر مجرى اموره وذلك ان بارمنيون القائد الاكبر في جيشهِ كان قد صار في السبعين من عمرهِ وهو اول من جاهر بنصرتهِ واخذ لهُ البيعة من الجنود المكدونية في اسيا بعد موت ابيهِ وصوَّب رأيهُ في غزوة اسيا وقاسمهُ مشاق الحروب فيها . وكان اصدق مشيريهِ واعظم من يعتمد عليهِ من قوادهِ ولم يبدُ منهُ اقل توانٍ في حروبهِ الاَّ في الواقعة الاخيرة فنسب الاسكندر ذلك الى الشيخوخة ولكنهُ لم يبرئهُ من

الاهمال وكان لهُ ثلاثة اولاد في الجيش قُتل اثنان منهم وكان فيهِ ايضاً صهرهُ واخوهُ وكثيرون من ذوي قرباه

ولما اوغل الاسكندر في اسيا وراقت لهُ عادات الاسيويين ومال الى ترفهم وابهتهم رأى قوَّادهُ المكدونيون انهُ آخذٌ في الابتعاد عنهم فتألبوا حول القائد بارمنيون وجعلوا ينتقدون الاسكندر ولا سيما لمَّا ذاع عنهُ انهُ ادَّعى الالوهيَّة . ولم يرُق لهم معاملتهُ امراء المشرق على حسب العوائد الشرقية وارتضاؤُهُ بسجودهم لهُ كأنهم ساجدون لدى معبود لانهم خافوا ان يتدرَّج في ذلك اليهم . ثم زاد قلقهم لمَّا رأوهُ قرَّب امراء الفرس منهُ وجعلهم من مشيريهِ وابقى المرازبة عمالاً على العمالات الكبيرة الكثيرة الخير والمير وقالوا انهُ سلب الغنيمة منا واعطاها لهؤُلاء الناس ونحن احق بها منهم

وكان قد لبس بعض ملابس الفرس ولاسيما في الحفلات الكبيرة . قال فلوطرخس في هذا الشأن "انهُ سار من هركانيا الى برثيا وليس لديهِ عمل يعملهُ فلبس لباس الماديين ولعلهُ فعل ذلك جرياً على مقتضى الحال حاسباً ان من يلبس لباس قوم يسهل عليهِ قيادهم . او فعلهُ لكي يسهّل على رجالهِ المكدونيين السجود لهُ كما كان الفرس يسجدون لملوكهم ولكنهُ لم يلبس اللباس الفارسي كلهُ بما فيهِ من الشطط في سراويلهِ واردانهِ بل لباساً متوسطاً بينهُ وبين لباس المكدونيين اقل نخفخةً من الاول واكثر من الثاني. وكان اولاً يقتصر على لبسهِ حينما يقابل البرابرة او يقيم في دارهِ ثم صار يلبسهُ ويخرج بهِ بغير محاذر فاستاء المكدونيون من ذلك كثيراً"

وكان بارمنيون واتباعهُ من الناقمين عليهِ بسبب هذا التغيير وجاهر ابنهُ فيلوتاس بملامة الاسكندر وكان عندهُ جارية من سبي اسوس نقلت عن لسانهِ انهُ سكر مرةً وجعل يفتخر بان الاعمال العظيمة عملها هو وابوهُ لكنَّ ثمارها جناها الاسكندر . فجعل الاسكندر يرقبهُ من ذلك الحين بعين الحذر

وتآمر جماعة في تلك الاثناء على الاسكندر وافشى واحد سرَّهم الى فيلوتاس بن بارمنيوس فلم يطلع الاسكندر عليهِ . ثم بلغ الاسكندر امر هذه المكيدة من شخص آخر فزاد اشتباهاً في فيلوتاس وامر بالقبض عليهِ ومحاكمتهِ . وكان فيلوتاس كثير الاعداء لاعجابهِ بنفسهِ فحكموا عليهِ انهُ من المتواطئين على قتل مولاهُ . اما هو فاصرَّ على انهُ بريءٌ وقال انهُ لم يُبلغ الاسكندر خبر المكيدة لانهُ لم يصدقهُ . فامر الاسكندر بتعذيبهِ لكي يلجئهُ الى الاعتراف بذنبهِ واناط ذلك بثلاثة من خواصهِ وجلس مختبئاً بحيث يَرَى ولا يُرَى لكي يشاهد فعل التعذيب بهِ ويقال انهُ لما تألم فيلوتاس من شدَّة العذاب ناداهُ الاسكندر وقال لهُ مستخفاً بهِ

ما هذا شأن من يقوم على قتل الملوك. ثم امر بقتله وانفذ اناساً من اخصائه الى اكباتانا حيث كان بارمنيون فقتلوه ايضاً وكأن لسان حاله يقول

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدمُ

وما قتلُ الاسكندر لهذين القائدين العظيمين اللذين افتدياه بحياتهما مراراً الاَّ دليل على خوفه منهما واعتقاده انهما قادران على الضر كما هما قادران على النفع . وكم من دماء زكية اراقها الملوك في تأييد عروشهم. هذه هي سنَّة الكون مغزاها واحد ولو تغيَّرت صورها . تزرع البزور في الارض فتعيش واحدة وتميت مئة وتولد الاسماك في البحر فتنمو واحدة وتأكل الفاً . والناس يأكل قويُّهم الخبز من امام ضعيفهم اذا لم يستطع اكله ويسدُّ عليه موارد الرزق اذا لم يستطع قتله

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفَّة فلعلة لا يظلمُ

لكن الاسكندر تلميذ ارسطوطا ليس كنَّا نتوقَّع منهُ ان يكون اقرب الى العدل من الطغاة الجبَّارين ولا يأخذ رجلاً شيخاً مثل بارمنيون بجريرة ابنه اذا صحَّ ان ابنهُ كان مخطئاً بل يعفو عن ابنه لاجله ويمحي هذه السيئة بما تقدَّمها من الحسنات. ولعلهُ لو حُشِر الآن وسئل عمَّا فعل لاجاب اني افتديت ملكي بدم اثنين من رجالي

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

ولما امن شر المنتقضين عليه من قومه عاد يواصل السير الى بلخ لينتقم من بسوس قاتل داريوس ورافع راية الفرس في تلك الانحاء فلم يكد يبلغ كابول الاَّ في منتصف الشتاء فتربص مدَّة ثم قام في اوائل الربيع وقطع جبال هندكوش في مكان يعلو ثلاثة عشر الف قدم عن سطح البحر ونزل الى بلخ وكان بسوس قد فرَّ من وجهه وعبر نهر السوس الى بخارا . ووصل الاسكندر الى هذا النهر فرآهُ طاغياً بما جرى اليه من ذوب الثلج فصنع اطوافاً من الجلد حشاها بالقش واستعان بها رجالهُ على قطعه وادرك بسوس وقبض عليه ووضع عنقهُ في مقطرة واوقفهُ عارياً امام جنوده ولما مرَّ به سألهُ قائلاً ما حملك على خيانة مولاك فقال اني لم اخنهُ وحدي بل اتفقت انا وسائر رجاله على قتله ارضاء لك. فامر الاسكندر ان يجلد ويرسل الى عاصمته بلخ ثم حاكمهُ في مجلس حربي في الشتاء التالي وجدع انفهُ وصلم اذنيه وبعث به الى همذان ليقتل فيها

ولما ذكر اريانوس ذلك قال " اني استقبح تعذيب بسوس ولا احسب ان الاسكندر اقدم عليه الاَّ اقتداء بالفرس وملوكهم في معاملتهم للذين دونهم " . اما الاسكندر فبرأ

نفسهُ بهذه الفعلة الشنعاء من قتله داريوس واثبت للمشارقة انهُ عازم على الاحتفاظ بشرائع بلادهم

وكان لا بدَّ لهُ من اخضاع بلخ وبخارا وتركستان لكي يستتبَّ الامن في تلك الانحاء لانها كانت مركز ديانة زروستر واهاليها على جانب كبير من القوة والمنعة بل هم امنع الامم الذين لقيهم منذ دخوله اسيا لانهم من الجنس الآري ولم يضعفهم ترف الحضارة كما اضعف اخوانهم في بابل واشور . فاقام سنتين كاملتين حتى تمكن من اخضاع بلاد طولها ثلثمئة وخمسون ميلاً في مثلها عرضاً مع انهُ في سنة واحدة دوَّخ الشام واشور وفارس ومادي اي اخضع بلدانًا طولها الف ميل

ولما قبض على بسوس استراح اولاً في سهول الاكسوس الخصيبة ثم سار الى الشمال الشرقي ونزل في سمرقند (مرقندا) ولم يكد يبعد عنها مئة ميل حتى بلغهُ ان البلاد التي وراءهُ عصت عليهِ فارتدَّ اليها وباغت العصاة واثخن فيهم وبنى هناك مدينة سماها اسكندرية اشاتا حيث مدينة خوجند الآن واسكن فيها المكدونيين الذين لم يعودوا صالحين للسير معهُ وبعض مسترزقة اليونان. وبنى غيرها من المدن واسكن فيها جماعة من اليونان تعزيزًا لدولتهِ في تلك الاقطار. ولم تزل آثار صولتهِ فيها حتى الآن لان القبائل النازلة في الجبال التي حول فرغانة تدَّعي انها من نسلهِ وتنسب اليهِ كل امر عظيم . ويقال انهُ لم يتمكن من تعزيز صولتهِ في تلك الاقطار الاَّ بعد ان قتل من اهلها مئة الف نفس

وحدث في تلك الاثناء حادث همَّهُ اكثر من قتل كل من قتل من السكان وذلك انهُ كان في سمرقند سنة ٣٢٨ قبل الميلاد وكان كليتوس صديقهُ الحميم قد صار قائدًا لنصف الفرسان الذين كان يقودهم فيلوتاس بن بارمنيون . وجلس جماعة من الندمان للشراب في احد الايام ولما لعبت سورة الخمر في رؤُوسهم جرى ذكر ابطال اليونان الذين احلَّتهم فعالهم محل الالهة فذكر بعضهم الاسكندر وفضلهُ على هرقل فاغتاظ المكدونيون من ذلك ولكنهم لم يفوهوا بكلمة اما كليتوس فلم يصبر على اهانة معبوداتهِ فاعترض على من فضَّل الاسكندر عليها . ثم جعل الحضور يقابلون بين فعال الاسكندر وفعال ابيهِ وتغنى بعضهم بابيات نظمها الشاعر برانيخوس تهكمًا على المكدونيين لانخذالهم في احدى المعارك فاعترض كليتوس عليهِ لاهانتهِ ابطال مكدونية. وكان الاسكندر يسمع ولا يتكلم فلما شدَّد كليتوس النكير قال الاسكندر مازحًا "ان كليتوس يدافع عن نفسهِ". فاغتاظ كليتوس من هذا الكلام والتفت الى الاسكندر وقال لهُ "يجب ان تكون آخر من ينسب الجبن اليَّ انت الذي في واقعة غرانيكوس نجوتَ بيدي من سيف

سبثريداتس[١] . واولئك المكدونيون الذين يتهكم عليهم رجالك الآن قد اشتروا لك المجد بدمائهم". فكظم الاسكندر غيظهُ ووبخ كليتوس ونهاهُ عن التكلم بكلام يثير الاحقاد لكن الخمرة كانت قد تمكنت من رأسهِ وحلّت قيد لسانهِ فقال للاسكندر "لماذا تدعو الاحرار الذين مثالنا لمنادمتك اذا كنت تحظر عليهم الافصاح عما في ضمائرهم . فأَخْلِق بك ان تنادم الفرس الذين يلحسون بصاقك ويجثون امامك على ركبهم ولا يتكلمون الاَّ كما تشاء". فلما سمع الاسكندر هذا الكلام اسودَّت الدنيا في عينيهِ ومسك اول شيء وقعت يدهُ عليهِ ورماهُ بهِ وفتش عن سيفهِ ليضربهُ بهِ لكن احد الحراس اخفاهُ عنهُ واجتمع رجالهُ حولهُ ليمنعوهُ عن كليتوس اما هو فخاطبهم بلسان المكدونيين مغضباً وامر المبوّق ان يبوق. واسرع اصدقاءُ كليتوس وابعدوهُ عنهُ لكنهُ تخلص منهم وعاد الى مجلس الشراب ووقف امام الاسكندر وهو يتغنى بقول يوريبدس الشاعر حيث قال ما ترجمتهُ

اسفي على هضم الحقوق فكم ترى رجلاً ينال المجدَ وهو لغيرهِ
فالفوز تحرزهُ الجنودُ وانما يُعزى الى قوَّادهم من فورهِ

ولم تكد عين الاسكندر تقع عليهِ حتى اختطف رمحاً من يد واحد من الحراس ورماهُ بهِ فالقاهُ صريعاً يختبط بدمائهِ. طعنة نجلاء خطفت روح عشير صباهُ ومنقذ حياتهِ ولكنهُ لم يكد الرمح يخرج من يدهِ حتى ندم على ما فعل واسرع الى كليتوس ونزع السنان من صدرهِ وكاد يطعن نفسهُ بهِ لو لم يتداركهُ رجالهُ وينزعوا الرمح من يدهِ . ثم مضوا بهِ الى غرفتهِ فانطرح فيها وهو يصرخ ويتألم وينادي كليتوس باسمهِ كأَنهُ يحاول ايقاظهُ من سكرة الموت ويتوسل اليهِ ان يصفح عنهُ ثم يعود على نفسهِ بالائمة ويوبخها على قتل اصدقائهِ . ثم ينادي باسم مرضعتهِ اخت كليتوس ويقول لها ما اقبح ما جازيتك بهِ يا امي الحنون فقد اعطيتني اولادك ليقتلوا في خدمتي فجازيتك بان قتلتُ اخاكِ بيدي . ولما انتهى من التعديد والنحيب اقام ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم حتى ظُنَّ انهُ اصابهُ دخَل في عقلهِ . وظلَّ خواصهُ يتوسلون اليهِ ان ينفي الغم عن نفسهِ ويعتصم بالصبر وقال لهُ بعضهم ان الملوك غير مسؤُلين عمَّا يفعلون وما زالوا بهِ الى ان انقاد اليهم مكرهاً لكن بقي من هذه الحادثة اثر في نفسهِ الى الممات لاسيما وانهُ رأى انهُ ضعيف تغلبهُ الاهواء وهو يحسب انهُ غلب الدنيا

وحدثت هذه الحادثة في سمرقند سنة ٣٢٨ قبل المسيح. وفي السنة التالية حدثت حادثة مثلها وذلك انهُ من حين دخل اسيا رافقهُ كالسثنس العالم الفيلسوف نسيب ارسطوطاليس

(١) انظر صفحة ٨٤٢ من المجلد ٢٢

وتلميذهُ وكان غرضهُ ان يكتب تاريخ الاسكندر ويصف اعمالهُ وصفاً بديعاً بما امتاز بهِ من بلاغة الانشاء وهو ايضاً نقم على الاسكندر تخلقهُ باخلاق الفرس وصار يرفض الحضور في مجالس الانس فانتهرهُ الاسكندر من طرف خفي بذكره بيتاً ليوربيدس الشاعر يقول فيهِ "اني اكره كل حكيم غير حكيم ايها الطبيب طب نفسك" . واولم الاسكندر وليمة عظيمة لما احتفل بزواجهِ بابنة اكسيرتس على ما سيجيء وحضر كالستنس الوليمة وطُلب منهُ ان يمدح المكدونيين فمدحهم مدحاً بليغاً اطرب الحضور حتى نزعوا اكاليلهم عن رؤُوسهم وطرحوها عليهِ فقال لهُ الاسكندر ان مدح المكدونيين سهل ومجال القول فيهِ واسع ولكنك اذا اردت ان تحسن حقيقةً فاذكر عيوبهم كما تذكر فضائلهم لكي يستفيدوا من ذكرها. فوقف وجعل يندد بعيوبهم ولم يتحامَ ذكر فيلبس بل قال انهُ استفاد من انقسام اليونان بعضهم على بعض ومتى وقع الانقسام في بلاد فقد ينال الفوز احقر الصعاليك . فاغتاظ الحضور منهُ وقال لهُ الاسكندر انك ابنت لؤمك اكثر مما ابنت بلاغتك

هذا ما رواهُ الاستاذ هويلر وروى السر جورج كوكس ان انكسرخس خطب في الوليمة ودعا الناس الى عبادة الاسكندر في حياتهِ لانهم سيعبدونهُ حتماً بعد مماتهِ . فصمت قوَّاد المكدونيين عند سماع هذا الخطاب ولم يفوهوا ببنت شفة ثم قام كالستنس وانتقد عدم التفريق بين الالهة والبشر وقال ان الاسكندر اعظم الابطال والقواد والملوك ولكن لا يجوز ان يعد بين الالهة ووبخ انكسرخس على ما فاهَ بهِ . فصفق لهُ المكدونيون . ورأى الاسكندر حينئذٍ ان المقاومة لا تجدي نفعاً فاسرَّها في قلبهِ الى ان حدثت حادثة الحجاب فاخذهُ فيها غدراً

وذلك ان كالستنس جاهر بانتقاد الاساليب الشرقية التي جرى عليها الاسكندر حتى اذا قاصَّ الاسكندر احد حجابهِ قصاصاً صارماً ذات يوم اعتصب بقية الحجاب وقصدوا الايقاع بهِ وادَّعى بعضهم ان المغري لهم على الاعتصاب هو كالستنس هذا فوضعهُ الاسكندر في القيود ثم امر بقتلهِ . وحدث ذلك في بلخ ووقع النفور بينهُ وبين ارسطوطاليس من ذلك الحين ومن ثم اطلق الاسكندر العنان لاهوائهِ ولم يعد بالشهم الذي عرفناهُ

وكان لم يبقَ عليهِ من امراء بلخ الاَّ امير اسمهُ اكسيرتس اعتصم بمعقل منيع في طرف البلاد فبعث اليهِ ثلثمئة من المكدونيين فصعدوا الى المعقل بعد عناء شديد واضطروهُ الى التسليم وكان لهُ ابنة اسمها ركساني يقال انها اجمل نساء عصرها فلما وقعت عين الاسكندر عليها سباهُ جمالها وكان قد رأى زوجة داريوس وبناتهِ وهنَّ من اجمل النساء فلم يلتفت اليهنَّ ولا مال الى امرأة الاَّ الى بارسيني زوجة ممنون التي كانت في سبي دمشق اما الآن فوقع اسيراً

في شراك الحب لكنهُ لم يفعل فعل الغزاة الظافرين بل طلب من اكسيرتس ان يزوجهُ بابنتهِ زواجاً شرعياً ويكون حليفاً لهُ فسرَّ اكسيرتس بذلك كما استاء منهُ المكدونيون وجرى الاحتفال بزواجهِ فكان سبباً لقتل كالستنس على ما تقدَّم. وولدت رُكساني ولداً للاسكندر بُعَيْد وفاتهِ اراد البعض ان يجعلوهُ وارثاً لهُ فاضطربت امور السلطنة المكدونية بسببهِ مدةً الى ان قتلهُ كَسَنْدَر ملك مكدونية وقتل امهُ ايضاً وذلك سنة ٣١١ قبل المسيح كما سيجيء

ذكر ابن الاثير من هذه الحوادث ان مُلْك فارس كان مجتمعاً قبل الاسكندر فتفرَّق وان الاسكندر حمل كتباً وعلوماً لاهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقلهُ الى الرومية. وهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل الهرابذة واحرق كتبهم. وكتب الى ارسطاطاليس يذكر لهُ ان من خاصة الروم جماعةً لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة وانهُ يخافهم على نفسهِ ويكره قتلهم بالظنة. فكتب اليهِ ارسطاطاليس فهمتُ كتابك فاما ما ذكرت من بُعْد هممهم فان الوفاء من بُعْد الهمة وكبر النفس والغدر من دناءة النفس وخبثها واما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حالهُ فرفهه في معيشتهِ واخصصهُ بحسان النساء فان رفاهية العيش تميت الشجاعة وتحبب السلامة. واياك والقتل فانهُ زلة لا تستقال وذنب لا يغفر. وعاقب بدون القتل تكنْ قادراً على العفو فما احسن العفو من القادر. وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة. ولا تؤثر نفسك على اصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المؤاساة بغضة. وكتب الى ارسطاطاليس ايضاً يذكر لهُ انهُ رأى بايران شهر رجالاً ذوي رأي وصرامة وشجاعة وجمال وانساب رفيعة وانهُ انما ملكهم بالخطر والاتفاق وانهُ لا يأمن ان يسافر عنهم وانهُ لا يكفى شرهم الاَّ ببوارهم. فكتب اليهِ قد فهمت كتابك في رجال فارس فأما قتلهم فهو من الفساد والبغي الذي لا تؤمن عاقبتهُ ولو قتلتهم لاوثبت اهل البلد امثالهم وصار جميع اهل البلد اعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون قد ورثتهم في غير حرب واما اخراجك اياهم من عسكرك فمخاطرة بنفسك واصحابك ولكني اشير عليك برأي هو ابلغ من القتل وهو ان تستدعي منهم اولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكاً برأسهِ فتتفرَّق كلمتهم ويقع بأسهم بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك ويرون انفسهم صنيعتك. ففعل الاسكندر ذلك فهم ملوك الطوائف

وقال المسعودي في مروج الذهب "وسار الاسكندر بعد ان ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوَّج بابنة ملكها دارا ابن دارا بعد ان قتلهُ . . . وسار في مفاوز الترك يريد

خراسان بعد ان ذلّل ملوكها ورتّب الرجال والقواد على ما افتتح من الممالك . . . وكوّر بخراسان كوراً وبنى مدناً في سائر اسفارهِ ". واشار المسعودي وابن خلدون وغيرهما الى ما ذكرهُ ابن الاثير من مشورة ارسطو على الاسكندر . وقد تكون هذه المشورة صحيحة وقد تكون من موضوعات الكتّاب الذين نقل مؤرخو العرب عنهم

حقائق في علم الحيوان

من مقالاتٍ للاستاذ داود ستار جوردان رئيس مدرسة لاند ستنفرد الجامعة

الحوصل وسمك الهر

ولد حوصل بقدمين كبيرتين فدعاوين وريش غليظ قبيح المنظر وجراب تحت منقارهِ كبيرٍ احمر كما يولد كل حوصل من نوعهِ . وكان شرهاً نهماً يملأ جرابهُ سمكاً حتى يتعذَّر عليهِ الطيران ثم يفرغهُ في جوفهِ ويلتقط غيرهُ فكبر سريعاً حتى صار من اكبر الطيور كما هو من اشنعها منظراً

وقام ذات يوم ومشى على شاطئ البحر على جاري عادتهِ فرأى سمكةً كبيرة في بركة صغيرة اتى بها المد ثم جزر على غفلة فتركها وراءهُ وهي زرقاء اللون كبيرة الراس صقيلة البدن لاحراشف لها فظن ان السمك كلهُ سواءٌ وكلهُ صالح للاكل ففغر فاهُ والتقمها من ذنبها الى رأسها وهو يحسب انهُ غنم غنيمة باردة . لكنَّ السمكة استيقظت حالاً فرأت نفسها في جراب الحوصل وهي من سمك الهر المشهور بقوة زعانفهِ وزعانفهُ اذرع ينتأ الحسك منها كاسنان المناشير فاوترت زعنفتيها فانتشرتا على جانبي رأسها وخرقتا جراب الحوصل فوقع في حيص بيص لا هو يستطيع ابتلاعها ولا هو يستطيع طرحها من فيهِ . وتمكنت هي منهُ عالمة انها ان ارخت يديها لحظة قضي عليها . فبذل اقصى جهدهِ وغاية ما وصل اليهِ حذقهُ لكي يبتلعها او يتخلص منها بالتي هي احسن وبذلت هي غاية قوتها في توتير ذراعيها حتى تميتهُ وتنجو من شرهِ

وعصارى ذلك النهار خرج ولد الى الشاطئ وبيدهِ عصا كبيرة فرأى الحوصل امامهُ فضربهُ ضربة كسرت جناحهُ فسقط على الارض وهو يقول في نفسهِ قد دنا الاجل ولا خير في حياة غصتها دائمة وجناح السعي فيها مكسور

ونظر الولد فرأى السمكة في جراب الحوصل وقد نفذتهُ زعنفتاها فامسك بهِ وفتح منقارهُ

ونزع الزعنفتين وطواها حتى انطوتا في غمديهما ورأت السمكة انها في يد من يعرف امرها فاطاعت صاغرة ولم تكد زعنفتاها تدخلان في غمديهما حتى تقيأها الحوصل فوقعت على الرمل ثم جاء المد فحملها وردها الى البحر وهي تقول ارضى بالفرار واسلم وقد آلت على نفسها ان لا تقيم في مكان يلتقمها فيهِ حوصل

واخذ الولد الطائر وعاد بهِ الى بيتهِ وجبر ابوهُ جناحهُ فجبر معوجاً ولم يعد يستطيع الطيران. واشتدت الالفة بينهُ وبين الولد فكان اذا ذهب للصيد يذهب معهُ ويملأ جرابهُ سمكاً ولكن اذا طرح لهُ سمكة من سمك الهر نظر اليها شزرًا وادار رأسهُ وعاد الى البيت مسرعاً لا يلوي على احد ولا خير في من لا تعلمهُ التجارب



الحوصل يزق فرخهُ

والف ايضاً الكلاب والماعز التي في بيت صاحبهِ وبيوت جيرانهِ وصار يجول معها كأنهُ واحد منها ويتبع الصيادين الى الشاطئ وينتظر الشباك حتى ترفع من الماء فيلتقط ما يسمحون لهُ بالتقاطهِ من سمكها ولكنك اذا ذكرت لهُ اسم سمكة الهر هرب منك واختفى من وجهك. والتجارب تعلم الحيوان كما تعلم الانسان

الثعلب والارنب

الارنب اسرع ذوات الخف عدواً سلاحها في خفتها لكنهُ لا ينجيها من الحين اذا حان لانها قليلة الحيلة والحيلة فوق الشجاعة. كانت ارنب تسكن وادياً في منتانا باميركا الشمالية حيث النهر المعروف بقوس اللجين وكان هناك ثعلب من الثعالب الحمر يصطاد الارانب ويغتذي بها وهو

سريع العدو ولكن الارض كثيرة الانجم والاشواك فاذا وثب من فوقها علق ذنبهُ بها وعاقهُ عن الجري . وهو فخور بذنبهِ ينفش صوفهُ دواماً زهواً واعجاباً ويجرُّهُ تيهاً ودلالاً . وكم في جرّ الذيول من الوهن والخمول . رأى الارنب ذات يوم فتاقت نفسهُ اليها فبعث الى ابن عمهِ ذئب البراري المعروف بالكويت وهو اصغر منهُ جسماً وانحف قدًّا فاقبل الى نصرتهِ وهو غير فخور مثلهُ وصوفهُ غير غزير في ذيلهِ فلا يعيقهُ عن الجري لكن الله خلقهُ رجليهِ اسرع من يديهِ فلا يعدو كثيرًا حتى يضطر ان يقف قليلاً ويصلح خُطاهُ . ولما اقبل لنصرة الثعلب كانت الارنب قد اخذت تدور في دائرة كبيرة على جاري عادتها والثعلب يطاردها فلما رآهُ ربض في مكانهِ واختفى بين الاعشاب فجعل الكويت يدور وراءها وهي تعدو امامهُ الى ان اتمّت دورتها ومرَّت بجانب الثعلب فنهض وجرى وراءها وللحال وقف الكويت ومال الى جنبهِ لكي يصلح خطاهُ ثم ربض بين الاعشاب ليستريح ريثما يتعب الثعلب من مطاردتها . ورأت الارنب ان الثعلب مجدٌّ في اثرها وانهُ مدركها ان هي توانت فجعلت تثب من فوق الاشواك والانجم كأَنها من الطيور لا من ذوات الاربع . فقصَّر الثعلب عن اتباعها لئلاَّ يعلق ذنبهُ بالاشواك ان هو جاراها في وثباتها . حتى اذا بلغت مكان الكويت وقف الثعلب عن الجري ليستريح فقام الكويت وجدَّ في اثرها حتى كاد يدركها وحينئذ اشتبكت رجلاهُ بيديهِ فنهض الثعلب واستأنف الجري . وما زالا يتعاقبان عليها الى ان كلَّت

ولمَّا انقضى الطراد لم يكن احد حاضرًا ليرى ما جرى ولكن رأى بعضهم الكويت في اليوم التالي فاذا هو ضامر البطن على حالهِ واخاهُ الثعلب مملوء الضلوع فلا تخفى حقيقة ما جرى . والصيد للاقوى ولو طاردهُ اثنان

الثعلب الازرق

هو اخبث من الخبث واروغ من الدهر وطنهُ اميركا وفيها منبت اسلمتهِ . قال بعضهم انهكني التعب ذات يوم فاستلقيتُ على العشب بجانب البحر ومرَّت بي امُّ عُوَيْل [1] فظنتني فقمة القاها المدُّ على البر فابرقت اسرَّتها وقالت طعام مريء للبطن والهجارس [2] فدارت حولي في دائرة كبيرة ثم دارت في دائرة اصغر منها وظلَّت تضيق دوائرها حتى دنت مني وصرت استطيع لمسها بيدي وكانت تنظر اليَّ دواماً بعين خبيثة لا تطرف ولا تتحرك ثم دنت من رجلي ونهشتني بها وكنت منتعلاً حذاء من الصمغ الهندي المتين فلم تصل انيابها الى قدمي . والتفتُّ اليها حينئذٍ فاطلقت ارجلها للريح وهي راضية من الغنيمة بالاياب

(١) ام عويل كنية انثى الثعلب (٢) جمع هجرس جرو الثعلب

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الدكتور نقولا فياض

استميح حضرة احمد افندي كامل ابداء بعض ملاحظات في شأن ما كتبهُ عن بلاغة العرب والافرنج تكون تعليقاً وشرحاً لما ردَّ بهِ عليهِ حضر خليل افندي ثابت

قال اللورد بيرُن الشاعر الانكليزي ان من اكبر المصائب على المؤلفين ان تنقل مؤلفاتهم الى لغة غريبة . وما ذلك الاَّ لان الترجمة قاصرة كل القصور من استيعاب محاسن الاصل وحفظ جمال الصورة الاولى ولهذا ترى كثيراً من القطع المشهورة بعلو طبقتها تخسر من بلاغتها في الترجمة لان اكثر ما فيها من التشابيه والاستعارات لا يكون ملائماً للسان المترجمة اليهِ ولان البلاغة ليست في المعاني وحدها بل هناك طرقٌ في التعبير واساليب في انتقاء الالفاظ ومناحي في التصور تختلف باختلاف الزمن والمكان والشعوب . بل المعاني موجودة في نفس كل واحد كما قال ابن خلدون والكاتب البليغ يفضل سواهُ لا بمعانيهِ بل لانهُ اعرف بلغتهِ الفصحى واقدر على انتقاء الالفاظ الموافقة لتلك المعاني فماذا نترك لهُ من هذه الصفة المميزة ان جردتَ معانيهُ من القالب الذي افرغها فيهِ والبستها ثوباً جديداً غريباً

ثم ان من التصورات والنعوت ما يستحسن في لغة ويستهجن في سواها فان ابقيتهُ اضعفت من قوة الترجمة وان اغفلتهُ افسدت من جمال الاصل . ذلك ما جرى في تعريب ابيات فكتور هيكو اورد منها هذا المثل "لقد وقع في هذا السهل موقعة كبرى خلط الموت فيها الجيوش". والاصل في هذا البيت "لقد وقع في هذا السهل الساكن موقعة كبرى خلط الموت الاصفر فيها الجيوش المظلمة" . ومن هذا القبيل تشبيه المؤلف الجيوش في تموجها بكوَمٍ هائلة من الشوك ذات حياة فقد اضطرَّ المعرب الى الاعراض عن هذا الشطر لعدم إلفة لساننا العربي لهذه التشابيه . وبما اوردهُ حضرة خليل افندي ثابت من الامثال اكتفاء وغنى عن التطويل . ولهذا ارى ما قالهُ حضرة الكاتب الاول من انهُ "ليس في ما وصلنا من كلام الافرنج ومختار اشعارهم شيء من البلاغة" تسرُّعاً في الحكم فقد نال هيكو بسمو افكارهِ وسعة تصوراتهِ وبلاغة تراكيبهِ ارفع منزلة بين الفرنسيس وغيرهم من اهل الادب الاوربي وتناقل اسمهُ كتبة الالمان والانكليز والطليان والروس ونحن نريد الآن بكلمة ان نجردهُ من كل هذا المجد لمجرد قراءتنا بعض ابيات لهُ ترجمت الى لسان لغتها ابعد اللغات عنهُ اشتقاقاً . وانهُ ليكفينا للدلالة على مكانتهِ من عالم التحرير ان ما قرأناهُ من اشعارهِ المترجمة لم يزل عليهِ لمحة

من البلاغة ومسحة من جمال لغتهِ الاصلية بالرغم عما خسرهُ في الترجمة للاسباب التي ينباها فضلاً عن ان المعرّب لم يسلك في تعريبهِ مسلك المؤلف من التخيل الشعري بل اخذ طريق النثر المرسل فكانهُ ترجم الابيات مرتين لان حل المنظوم الى منثور ترجمة لا تقل عن النقل من لغة الى لغة . ثم انهُ تصرف كثيرًا في الترجمة فحذف جملاً في اعظم مكان من القوة والتأثير ووصل كلاماً كان الفصل احق بهِ . من ذلك قول المؤلف في قصيدة التكفير (ابكي يا وترلو وقف متأسفاً لان هؤلاء الابطال آخر جيش لآخر حرب كانوا عظماء لقد فتحوا الارض ودوخوها وطردوا عشرين ملكاً وجازوا الالب والرين " وكانت نفوسهم تغني في ابواقهم النحاسية ") فاعرض المعرب عن ترجمة البيت الاخير مع ان وراءه معنى جميلاً اذ قصد المؤلف ان يقول ان نغمات الموسيقى لم تكن الاَّ اصوات نفوسهم لان نفوسهم كانت تبسم للحرب فتجسمت في تلك الاصوات . وليس بعزيز ان يفرغ هذا المعنى في قالب جميل غير اننا اثرنا تعريبهُ بالحرف الواحد اجتناباً للابتعاد عن الاصل ما امكن . ومثل ذلك قول المعرب في القصيدة الثانية المسماة نابوليون " ثم كلمهُ الشاعر من وحي الغيب " . فهذه العبارة وان حسنت ليست في الاصل ولا حاجة اليها البتة لان الشاعر عند وصولهِ الى هذا الموقف ينتقل من الوصف الى التأملات وذلك ابلغ في التأثير

وكنت اود لو اتاح لي الوقت نقل الابيات برمتها لا طمعاً بمعارضة المعرب بل صرحاً على الصورة الاصلية . ولعلَّ المرحوم الشيخ نجيب الحداد لم يقصد بترجمة ما ترجم من ابيات القصيدتين الاَّ حكاية الواقع فاعرض عن اكثر ما فيها من التصورات والعبارات الشعرية . وعندي لو كان مرادهُ اظهار مكان الشاعر لما نحا هذا المنحى فكان اختصارهُ لها اقتضاباً وهو من المقدرة في الانشاء بمكان يعلمهُ كل قارىء للسان العرب

وقد قرأت الترجمة المدرجة في المقتطف على مسمع احد الادباء العارفين باللغتين الفرنسوية والعربية فما احدث سماعها فيهِ تأثيرًا غريبًا ثم اعدت على مسمعهِ قصيدة هيكو من اولها الى آخرها بالفرنسوية فما تمالك نفسهُ مرارًا عن النهوض عن مجلسهِ تحمساً . ولا ريب ان حضرة احمد افندي يفعل ذلك ان أُتيح لهُ مطالعة تلك القصيدة السامية ويرجع عن قولهِ " ليس في هذه القصيدة من وصف الحرب اكثر مما تراهُ في الجرائد كل يوم من وصف المعارك والمواقع والقواد "

وهنا أُذكر حضرتهُ ان المواضيع التي كتب بها الافرنج اكثرها تاريخي يتقيد بهِ الشاعر او ادبي وصفي انتقادي فاين القصائد العربية في هذا الباب . ومعاذ الله ان اقصد بذلك تحقير

لغتنا الشريفة فهي من افصح اللغات واوسعهنَّ ولكن الناظمين فيها قلما تعدوا حدود الغزل والمديح والرثاء . ولا ادري اين وجه الشبه بين الابيات التي اوردها وابيات هيكو في تلك الفتاة التي ذهبت شهيدة الرقص . فالشاعر العربي يرثي ابنة ويصف اسفهُ الشديد ويبكيها بالدمع والدم والسهاد والمشيب وهيكو يصف الحادثة وصفاً طبيعيًّا تخال بهِ انك حاضر تلك الليلة الراقصة تنظر الى الفتاة عن قرب وتتبعها في حركاتها وترافقها في تأثراتها . واذا امعنّا النظر نرى ان الشاعر العربي لا يخرج عن دائرة نفسهِ فهو ظاهر من خلال اقوالهِ واما الشاعر الفرنسوي فيختفي ليظهر بطل الحادثة التي يصفها وهذه نهاية المقدرة

وقد ذكر حضرة احمد افندي رسالة لسماحة السيد البكري قصد بها اظهار الموازنة بين الشاعرين وقد اتفقا في غرض واحد تقريباً . فتروَّيتها كثيرًا فلم اجد فيها معنًى فات هيكو او غيرهُ ممَّن كتب عن نابوليون بل وجدت فيها معاني تشبه كل الشبه ما قرأتهُ في كتب اولئك كقولهِ هو كرة الارض قامر بها الرجل فربحها في ساعة وخسرها في اخرى وقولهِ نقهرهم وخسر شعبهُ فكان هو المقهور . نعم في الرسالة تشابيه كثيرة جميلة اختص بها اللسان العربي ولا يقدر عليها الاَّ من رسخت فيهِ ملكتهُ ولكن سماحتهُ وصف نابوليون لا كما كان نابوليون بل تذكَّر الحارس على النعامة وعمرًا في يدهِ الصمصامة ورسم في مخيلتهِ معركةً حربية وصفها باحسن ما جاد بهِ قلم عربي وذكر "سيوفاً تهادى كانها ورق الشجر هزهُ سقوط المطر وجماجم على الرماح كانها همزات على الفات" الى غير هذا من تشابيه بديعة واستعارات بالغة حد الحسن ولكنها بعيدة عن الواقع وما كان اقرب الى الحقيقة لو اعتاض عن السيوف والرماح وتطاير فراش الهام بوصف المدافع واصواتها والبارود ودخانهِ لان عليها كان مدار تلك الحرب . ثم وصف نابوليون "وهو يخطر بين الصفين ويهرول بين العدوتين ويلتقي في الوقدة الرمح بالرمح كما يلتقي في الرقدة الهدب بالهدب" كما نقرأُ في حروب الجاهلية من العرب لا كما يرويهِ لنا التاريخ عن نابوليون لانهُ لم يكن يشهد الحرب الاَّ ليقف في مكان يشرف منهُ على كل الجيوش ويناظر حركات رجالهِ ويقاوم بتدبيرهِ هجمات اعدائهِ

وقد ذكر حضرة احمد افندي كامل هذه الرسالة مثلاً في البلاغة فهل يريد ان نسلك هذا المسلك بالاكثار من التشابيه والسجع مما يذهب بوقت القارىء كما يذهب بوقت الكاتب . ونحن في زمن اصبح الوقت فيهِ ثميناً عند القارىء والكاتب معاً . وحبذا لو قام سماحة السيد البكري وغيرهُ من قادة العقول وفرسان الاقلام الى الكتابة بطريقة جديدة توافق العصر الحاضر فانَّا نرى الافرنج يهربون من التقليد وينزعون الى الجديد وكلما اتى عليهم زمن لحق

اللغة نصيب من التغير الذي يصيب العادات فنرى منهم كل يوم تقرُّباً جديداً من الحقيقة وبعداً عن الاوهام وزخرفِ التصنع ونحن لا نزال متبعين سنة التقليد لا استقلالَ عندنا في الفكر ولا تفنن في الصناعة فاذا اردنا وصف موقعة مثلاً نصفها كما تعودنا ان نقرأ ونسمع عن المواقع لا كما هي تلك الموقعة فشاعرنا ككاتبنا وكاتبنا كشاعرنا . ترى الشاعر لا يصرف جهد قريحتهِ الى غير المدح والرثاء فاذا مدح ابتدأ بالغزل واذا رثى بالنصح . اما التغزل فبالغزال واليمامة والعقيق ونجد وغير ذلك مما لا علم لنا بهِ الان واما النصح فبالدنيا الغرور والدهر الخؤون حتى لو جمعتَ كل ما قالهُ الشعراء في هذين الموضوعين لم ترَ ادنى فرق بين الواحد منهم والاخر ولا مكنك ان تختصر تلك المجلدات الضخمة بصفحات قليلة لان معانيها مكررة واستعاراتها معادة فالشعر عندنا كما يسميهِ الفرنجة عُود ولكن ليس فيهِ الاَّ وترٌ واحد يضرب عليهِ الكل فيختلف الصوت تبعاً لقوة الضربة وحركة الانامل

والغريب ان اكثر شعرائنا وكتبتنا لا يريدون تغيير القديم بل لا يقبلون بالجديد فان سمع الواحد منهم بيتاً جديداً او معنًى غريباً قال هذه تصوُّرات افرنجية كأَنَّ فكر العربي قاصرٌ عن الاختراع وليس لهُ قدرة على الابداع فاذا قلت مثلاً حيّت الكواكب هبوط الليل او سمع الانسان صوت ضميرهِ انكروا عليك ذلك كانهُ لا يجوز للتصور العربي ان يستعمل مثل هذه التحية ولا يحق لهُ ان ينسب الى الضمير صوتاً يتكلم . ومن كان مثل هؤلاء فهو ناسٍ ان الانسانية تمشي الى الامام والانسان فيها مدفوع الى السير مضطر الى التقدُّم محظور عليهِ الوقوف او الرجوع فهو في حياتهِ العقلية اشبه بهِ في حياتهِ البدنية فكما يضطرهُ تعاقب الفصول وتغير الاوقات الى تغيير معيشتهِ من المأكل والملبس والمبيت تضطرهُ معاملتهُ العقلية وعلائقهُ الجامعية الى مجاراة الاحوال والتكلم بلغة العصر . ولو قام ابناؤُنا في القرن التالي وقرأُوا ما كتبناهُ في غير العلم والسياسة لما حسبوا اننا عشنا في هذا العصر الممتاز عن سائر العصور السالفة بل ظنوا اننا عشنا في عصر قبل هذا وزمن لم يكن فيهِ ما نراهُ الآن من حقائق العلم وعجائب العمران

(المقتطف) لما ذكرنا ترجمة كبلنغ الشاعر الناثر المشهور قلنا صريحاً ان ملايين من البشر "يسمعون لهُ لا لفصاحة منطقهِ ولا لبلاغة اقوالهِ بل لانهُ يقول لهم ما يودون سماعهُ ويصف لهم طباع الناس واحوال الزمان والمكان وصفاً منطبقاً على الحقيقة تمام الانطباق" . وقلنا في آخر تلك الترجمة "وربما ترجمنا مقالةً او اكثر من مقالاتهِ مثالاً لاسلوبهِ في الانشاء" ثم لما انجزنا الوعد وترجمنا مقالةً من مقالاتهِ في الجزء الاخير من السنة الماضية جعلنا عنوانها "مثال في الانشاء" وغرضنا من ذلك اظهار اسلوبهِ في الكتابة ولم ندَّعِ ان ما نقلناهُ عنهُ

من ابلغ ما كتبهُ ولا اننا توخّينا في نقلهِ اظهار بلاغة الافرنج . ولذلك لم يصب حضرة احمد افندي كامل في التمثل بما ترجمناهُ عنهُ . وسننشر في الاجزاء التالية ترجمات تظهر بلاغة الافرنج باجلى بيان. وحبذا لو يتحفنا الكتّاب الكرام بكل ما لديهم من هذا القبيل

رواية تنكرد

الفصل السادس

لا تصير الاخلاق ملكات راسخة في النفس الاَّ في سن معلوم يختلف باختلاف الميل الفطري. ولم يكن تنكرد قد بلغ هذا السن ولكنَّ ميلهُ الفطري كان شديداً فكان كثير العزلة كثير التأمل كما تقدَّم فاقرَّ على امور صمَّم نيتهُ على بلوغها مهما كلفتهُ من المشاق . وقد عمل بما طلب منهُ والداهُ لانهُ كان شديد الطاعة لهما بالفطرة ولكنهُ لم يرَ في محافل الانس التي القياهُ فيها شيئاً يسرُّهُ ويلائم طبعهُ فكنتَ تراهُ فيها صامتاً ينظر الى الناس ولا يسرُّ برؤيتهم لانهُ يجدهم بعاداً عن البساطة مكثرين من العُجْب يلاقي بعضهم بعضاً فيتكلمون جملاً قصيرة مبتورة كأنهم في شغل شاغل ولا شغل لهم وكلٌّ منهم باسمٌ لا عن سرور بل عن تصنُّع. ولا اجهل ممَّن يظن الابتسام شرطاً لازماً لارضاء غيرهِ . فكم من امرءٍ تراهُ باسماً كالليث حين يبدو نابهُ وكم من وجه عبوس يبدو عليهِ الابتسام لحظة من الزمان فيسحر الالباب لانهُ يعرب عن سرور اكيد . وكان تنكرد من هذا القبيل وقد ورث ذلك عن امهِ فانها امرأة فاضلة رزينة اذا سرَّها شيء بدت دلائل السرور في وجهها فزادتها جمالاً على جمال لكن ابتسامها نادر مثل حلاها

لما جاء تنكرد الى الحفلة الراقصة التي مرَّ وصفها في الفصل السابق لم يكن ينتظر ان يجد فيها شيئاً يسرهُ لان فؤَادهُ كان مشغولاً بالتفكير في مدائن المشرق ومفاوزهِ وما فيهِ من الانهر الاودية . وكان خجولاً بالطبع فلما نودي باسمهِ حين دخول الدار على جاري العادة في بيوت الكبراء وانتقل اسمهُ من فم خادم الى فم خادم آخر كأنهم اصداء بعضهم لبعض كاد يذوب خجلاً ولولا الشمم وعزَّة النفس لانقلب راجعاً على عقبهِ . ولكن لم يمضِ عليهِ عشر دقائق في تلك الدار حتى طلب من تلقاء نفسهِ لن يتعرَّف بسيدة من السيدات اللواتي كنَّ فيهِ . وهي اول مرة طلب فيها ذلك في حياتهِ . ثم لما عاد الى بيتهِ عاد وفي اذنهِ صوت يطربهُ وفي ذهنهِ صورة يسرُّ بها . ولما وقف ليخلع ثيابهُ قبل نومهِ طال وقوفهُ وهو يفكر في ما مرَّ عليهِ

تلك الليلة. ولما اتى خادمهُ ليوقظهُ في الصباح جاء برقعة من مسز فلونسي تدعوهُ فيها الى الغداء في بيتها الساعة الثالثة بعد الظهر . فاخذ الورقة ونظر اليها وكأَنَّ حروف الكتابة التي فيها اجتمعت بعضها مع بعض وصوَّرت لهُ صورة لادي كونستانس. فقال في نفسهِ لا بأْس بالذهاب لاني ارى هناك لورد فتزهرن فاستفيد منهُ كثيرًا عن اليخوت فامر ان تعدَّ مركبتهُ في الساعة الثالثة

ولم تكن مسز فلونسي منذ عشر سنوات لتُذكر بين نساء الكبراء كما هي الآن لكنها توخت الظهور بين الناس ففازت بهِ كما فاز الانكليز في تغلبهم على بلاد الهند . والذين يتوخون ذلك كثار ولكن الذين يحرزون الفوز قلال او يكون فوزهم ناقصاً فلا يبقى لهم الاَّ اذا انفقوا عليهِ النفقات الطائلة كما فعل الفرنسويون في بلاد الجزائر . ولم يكن زوجها من ذوي الثروة الطائلة بل كان دخلهُ السنوي نحو سبعة آلاف او ثمانية آلاف من الجنيهات وهذا دخل معتدل عند كبراء مدينة لندن لكن زوجتهُ كانت مدبرة والقليل مع التدبير كثير كما ان الكثير مع التبذير قليل . وزد على ذلك انهُ لم يكن لهُ اولاد فصار دخلهُ كافياً للظهور في مظاهر الاغنياء الكبار . وسار سيرة اهل الوجاهة في قضاء الوقت بالصيد والقنص واللعب متبعاً مشورة زوجتهِ لانها اقنعتهُ ان ذلك هو السبيل الوحيد للتعرُّف بكبراء القوم والجري في خطتهم . ولم يكن ماهراً في شيءٍ من ذلك لكنهُ كان يعرف منهُ ما يرفعهُ عن ان يكون هزءًا عند الذين زجَّ نفسهُ بينهم. وكان مع ذلك حذورًا منهم اذا طلب احد منهُ ان يقرضهُ بضع مئات من الجنيهات او ان يكفلهُ على بضعة الوف لم يردَّ طلبهُ بل قال انهُ مستعد لكل خدمة من هذا القبيل وكتب الى مدير البنك الذي فيهِ دراهمهُ او الى المحامي الذي يدافع عن حقوقهِ كتابةً محكمة تأُول اخيرًا الى انهُ لا يقرض شيئًا ولا يكفل احدًا ويبقى متفضلاً على الرجل الذي طلب منهُ القرض او الكفالة . فاشتهر بين اقرانهِ بانهُ من الممدوحين الليني العريكة ولكن لو اجهد مادحوهُ قريحتهم حتى يجدوا لهُ عملاً واحدًا يستحق عليهِ المدح ماوجدوا. فلم يكن بالرجل النافع ولا بالرجل الضار . والناس مقلدون في حكمهم على غيرهم لامحققون فاذا ابى احدٌ ان يعطي اموالهُ لرجل مبذر متلاف وذهب هذا يطعن عليهِ ويصفهُ بالشح والبخل نقلوا الوصف عن لسانهِ واذاعوهُ بين الملا . واذا اشبعهُ بالمواعيد الفارغة والتدليس فقال هذا عنهُ انهُ كريم لين العريكة ذاعت شهرتهُ كذلك ولو لم تكلفهُ شيئًا .

وكان المستر فلونسي يدعو الكبراء للغداء عندهُ فتقابلهم زوجتهُ وترحب بهم حتى اذا كان لهم زوجات قابلتهنَّ وصاحبتهنَّ فيشمخنَ عليها في المقابلة الاولى واذا هنَّ رأينها مرة او

مرتين احبتهما وسررن بصحبتها . وكانت هي وزوجها لا تقيمان في لندن الاَّ فصل الشتاء فحالما يمضي يمضيان الى كوس ثم الى حمامات المانيا ثم الى باريس ثم الى ضواحي لندن ثم يعودان الى لندن مثل اعظم عظماء الانكليز . وكثيرًا ما كانا يلاقيان المصاعب في الوصول الى العظماء ولكنَّ الصبر موهبة كبيرة كما قال العالم بفون الشهير ومن صبر ظفر . واتصلا من ايلام الولائم الى اقامة الحفلات الراقصة (البالو) فصار العظماء يترددون على بيتهما واستأجرا لوجاً في الاوبرة كانا يدعوان اليهِ خصومهما ليرشياهم بهِ و يتخلصا من شرهم او يكسبا شكرهم على شرط ان يكونوا من العظماء

والحفلات الراقصة ليست بالامر السهل فانها تقتضي دارًا رحبة واثاثًا فاخرًا ونفقات كثيرة على الطعام والشراب واناسًا من العظماء يلبُّون الدعوة . وهب انكِ وجدتِ كل ذلك بقي عليكِ تعيين اليوم الذي لا يعارضكِ فيهِ احد. فهب انكِ اعددتِ بيتكِ وهيأتِ انخر انواع الطعام والشراب وارسلت اوراق الدعوة وعينت الليلة والساعة وقبل المعياد باربع وعشرين ساعة ارسلت الاميرة الفلانية اوراقًا تدعو فيها العظماء الى ليلة حافلة اقامتها اكرامًا لملك زار البلاد وكان زوجها سفيرًا في بلاطهِ اضطررتِ ان ترسلي وتخبري كل الذين دعوتهم انكِ اخرتِ ليلتكِ الى وقت آخر ولو كنتِ تعلمين انهُ ما من احد يلبي دعوتك من الذين دعتهم تلك الاميرة . ثم تعلنين ذلك في الجرائد اليومية وتعينين ليلةً اخرى وقبل ان تحين تأتيكِ دعوة الى ليلة راقصة عند الاميرة فلانة في الليلة التي عينتها وانتِ وكثيرات مثلك يفضلن ليلتها على ليلتكِ فتضطرين ان تعدلي عن عزمكِ وتتركي الليلات الراقصة الى اربابها. ولذلك لم يكن نجاح مسز فلونسي في اعداد الليلة الراقصة بالامر السهل ولاسيما لما تمكنت من دعوة احدى الاميرات من بيت الملك الى دارها فشرَّفتها بحضورها وسرَّت بما شاهدت واقامت نصف ساعة اكثر مما كان ينتظر منها . وحضر تلك الليلة كثيرون من العظماء والسفراء وزوجاتهم ومن ثمَّ صارت مسز فلونسي تدعى الى كل الليالي الراقصة وأُدرج اسمها في قائمة المدعوين اليها

الفصل السابع

لما جاء تنكرد الى الغداء عند مسز فلونسي وجد البيت والحديقة التي حولهُ مزدانين انخر زينة وفيهما جمهور كبير من نخبة العظماء ولم تكن هذه السيدة ترغب في لقاء احد اكثر مما ترغب في لقائهِ لكنها كانت ماهرةً في امتلاك طبعها حتى لا تُظهر ما فيها من الرغبة . ولم تنل هذه المهارة الاَّ بعد المزاولة الطويلة اما في اول ظهورها والتقائها بالعظماء فكانت تظهر من

الرعشة والإعجاب ما يُضحك الناس عليها . وهذا اول غداء دُعي تنكرد اليه فسرَّ بما رأى لا سيما بمنظر الحديقة وما فيها من الخمائل الغناء والادواح الغبياء والفساقي والمجاري وما رآهُ من الجمال الرائع بين ربات الحسن والدلال

على مَ يمضي هذا الفتى الى اورشليم وما شأنهُ والشعائر الدينية والحقوق السياسية وهو من الفتوَّة والجاه والثروة في المقام الاسمى ولهُ عقل راجح فيستطيع ان يستفيد من هذه المزايا . أوَ ليس ذلك حسبهُ . وهبْ انهُ وصل الى اورشليم سالمًا فما عساهُ ان يجدهُ فيها مما يتوخاهُ فانها مدينة حقيرة في بلاد تكاد تكون قفرًا . أفما يستطيع اهل الازياء وارباب الجاهِ والوجاهة ان يقنعوهُ بالعدول عن هذا السفر . وقد بذل والداهُ جهدهما في منعهِ فلم يفلحا ولم تحُلْ دموع امهِ دون مرامهِ ولكن "قد يفعل الحبُّ ما لا يفعل الدمعُ" . فلننظر فعلهُ في هذه النوبة . لقي هناك لادي كونستانس فسرَّت برؤيتهِ وسرَّ برؤيتها . واسمع ما جرى بعد ذلك

قال لورد اسكدايل لدوقة بلامُنْت ام تنكرد "كذا يتحدثون" وكانت الدوقة تنظر اليهِ نظر الدهشة والاستطلاع . "فقد طلب من سنت بترك ان يعرفهُ بها في بيت دلوراين ورقص معها وقد شغلتهُ عن اليخت"

فقالت الدوقة "ما كنت اودُّ الاَّ ان تكون كاترين ابنة اخي"

فقال "اصبري وسيتعرَّف بكثيرات مثل هذهِ ومثل تلك قبلما يرسو على واحدة والتعرُّف بواحدة ليس شيئًا في ذاتهِ ولكنهُ يدلُّ على ما انبأتُك بهِ وهو انهُ متى اشتغل فؤَادهُ بشيءٍ آخر نسي اليخت والسفر"

فقالت "اصبت اصبتَ وانتَ مصيب دائمًا"

وكان لورد اسكدايل خبيرًا باحوال الرجال لكن تنكرد لم يكن مثل الشبان الذين خبرهم لان التجارب لم تعلمهُ كيف يتقي المخاطر فكان عرضةً للوقوع في اشراك الهوى التي لا يقع فيها من اعتاد خوض المنايا من شبان عصرهِ . وشهامة نفسهِ تأبى عليهِ ان يرى فتاةً تحبهُ وهو يعرض عنها

وكانت لادي كونستانس على جانب كبير من الظرف قرأت كثيرًا من الروايات الفرنسوية ورسخ في ذهنها كثير من الامور التي لا يسلم كل احد بها او تأباها نفس الحرّ فكان تنكرد يسرُّ بحديثها ولكنهُ يتألم اذا ذكرت شيئًا لا يتوقع ذكرهُ من فتاة مثلها وينسب ذلك الى عشرائها الذين يودُّ ان يبعد عنهم ويبعدها ايضًا . وفُتنت هي بجمال طلعتهِ ورقة حديثهِ وذكاء عقلهِ وطهارة قلبهِ وامتيازهِ على كل اترابهِ . وكانت طلقة المحيا بعيدة عن التصنُّع فلم تستطع ان

تخفي حبها لهُ وارتياحها الى رؤيتهِ . وسلكت معهُ سلوك فتاة حصينة شريفية المبادىء عالية النسب . وزارها في بيت ابيها بعد ان لقيها عند مسز فلونسي فرحَّبت بهِ امها وكانت هي تكتب مكتوباً فرحبت بهِ ايضاً بكلمتين وعادت الى كتابة المكتوب فجلس الى امها واخذ يكلمها في شؤون غير هامة وهي تساعدهُ على الجري في الحديث لانهُ لم يكن طلق اللسان على ما يريد . واتمت لادي كونستانس كتابة المكتوب وسلمتهُ للخادم وبقيت جالسة في مكانها بعيدة عنهُ لا تسمع حديثهُ لتشاركهُ فيهِ فشعر كأن الغاية التي جاء لاجلها غير حاصلة لهُ وهمَّ بالخروج وحينئذٍ دخلت احدى السيدات زائرة فنهض واستأذن في الانصراف ولكنهُ لم يخرج من الغرفة بل مال الى لادي كونستانس وجلس اليها كأنهُ على غير قصد منهُ . فبشت في وجههِ وقالت لهُ هذه السيدة صديقة أُمي الحميمة . وكانها قالت لهُ صار يمكنك ان تحادثني الآن لانهُ دخلت سيدة تحادث امي

وبعد ان تحدثا مدة وجيزة مسكت كتاباً كان امامها وقالت لهُ أَقرأتَ هذا الكتاب . فأَخذهُ من يدها وقلّبهُ ثم قرأ عنوانهُ واذا هو "انباء الفضاء" فقال كلاَّ لم اره قبلاً . فقالت اني اعيركهُ اذا اردت فهو من الكتب التي يجب ان نقرأَها لانهُ يفسّر كل شيء واسلوب كتابتهِ حسن جداً

فقال لها ان كان يفسر كل شيء فهو من ابدع الكتب . فقالت نعم ولا بدَّ لك من قراءتهِ فقد كنت اقول ذلك في نفسي وانا اقرأهُ . فقال ان عنوان الكتاب يدلُّ على ان موضوعهُ غامض . فقالت نعم ولكن كل ما فيهِ مشروح شرحاً وافياً وموضح بالجيولوجيا والفلك فترى فيهِ كيف تكونت الكواكب — سديمٌ كالضباب تجتمع قطع منهُ وتتكاثف كما تجتمع الزبدة في اللبن اقرإِ الكتاب فتسر بهِ جداً

فقال ما من احد رأى كوكباً يتكوَّن . فقالت نعم ولكن اقرأ هذا الكتاب اقرأهُ فتجد فيهِ كل شيء مفسراً وموضحاً . ومن اغرب ما فيهِ تفصيلهُ كيفية تكوُّن الانسان وارتقائهِ فان كل شيء قد ارتقى ارتقاء . في البدء لم يكن شيء ثمَّ تكوَّن شيء نسيت ما هو اظن تكوَّن المحار اولاً ثم السمك ثم الانسان ولكنني لا اتذكر هل وُجد الانسان قبل السمك او السمك قبل الانسان وعلى كل حال ستوجد مخلوقات اخرى ارقى منا لها اجنحة — لا لا تذكرتُ الآن كنا نحن سمكاً وسنصير غرباناً . طالع الكتابَ فتجد فيهِ ما يسرُّك

فقال تنكرد "لا اصدق ابداً اني كنت سمكة"

فقالت ولكنك تجد مع كل شيء برهانهُ فاقرإِ الكتاب ثم احكم ويستحيل عليك ان

تناقض شيئاً فيهِ لانهُ كله علم مثبت مبرهن بالجيولوجيا وتجد فيهِ كيف تكوَّنت العوالم وكيف زالت بعضها من امام بعض وما نحن الاَّ حلقة من سلسلة كبيرة كثيرة الحلق وستتكوَّن بعدنا حيوانات ارقى منا كما صرنا نحن ارقى من الحيوانات التي كانت قبلنا وقد كان لنا زعانف وستصير لنا اجنحة وهذا هو الارتقاء

فصمت وهو يفكر في ما قالته لهُ ثم نهض وودَّعها وودَّع امها وخرج وهو يقول في نفسهِ كنتُ سمكةً وسأصير غراباً ما اغرب هذه الدنيا لا بدَّ لي من الخروج من هذه المدينة باسرع ما يمكن لانني لا استطيع الصبر على ما فيها من المفاسد والاضاليل . ولكن تعرُّفي بهذه السيدة قد افادني لانني عرفت بواسطتها من هداني الى يخت يرضيني ولو كان صغيراً ولا بدَّ من ان اكتب اليهِ حالاً واخبرهُ انني قبلتُ بهِ . والتقى حينئذٍ باللورد اسكدايل فقال لهُ ان التقادير ساقتك اليَّ فقد وعدتني انك ترشدني الى خادم امين يعرف بلاد المشرق

فقال لورد اسكدايل وهل صممت على السفر ووجدت اليخت . فقال نعم واتيت اذكرك بوعدك وقد انجز حرٌّ ما وعد . فقال لورد اسكدايل نعم نعم تذكرتُ الآن . فقال تنكرد ولا بدَّ من ان تتكرَّم وتساعدني في امور أُخرى اذ لا بدَّ لي من ان ترشدني الى انسان آخذ لهُ مكاتيب توصية وتحاويل مالية وما اشبه فقال اسكدايل وماذا تفعل بالكولونل والبقية وهل هم على اهبة السفر

فاجاب لقد وعدتُ ابي بان آخذهم معي وهم وعدوني انهم يكونون مستعدين للسفر في اسبوع من الزمان وسأكتب اليهم الليلة فان حضروا فيهِ والاَّ فانا في حلٍّ من وعدي

اذًا انت مسافر وقد وجدت يختاً واظنك اعتمدت على الباسلسك

نعم

ولكنهُ يحتاج الى اصلاح كثير

نعم ولكن اكثر ذلك زينة خارجية لايهمني امرها واذا اضطررت اصلحتهُ في جبل طارق

اذًا لا بدَّ لك من رجل خبير يساعدك في السفر ومن مكاتيب توصية ودراهم . نعم لا بدَّ من ان تتعرَّف بالصيدوني فهل تعرفهُ

كلاَّ

لا بدَّ لك من التعرُّف بهِ وهو الرجل الذي يفيدك اكثر من كل انسان ولكن ثمَّ الحيلة وهو قلما يخرج من بيتهِ . — اليوم الاثنين وغدًا يوم البريد فاتعشى معهُ وحدنا . سأكتب اليك يوم الاربعاء صباحاً ومن رأيي ان لا تكتب الآن الى الكولونل ورفاقهِ

الفصل الثامن

اغربُ ما في مدينة لندن اتساعها حتى يرى من فيها كأنهُ في مدينة لا حدَّ لها . وهي ليست عظيمة وليس فيها من مزايا المدن العظيمة الاَّ الاتساع اما الجمال فمحرومة منهُ . والمدن العظيمة حاوية للاتساع والجمال معًا ولكنها صارت نادرة الآن بعد رومية وبابل ومدائن الفراعنة. صارت نادرة بعد ان لم يعد الناس يهتمون بجمال المباني . والمدينة التي تتوخى العظمة الآن مدينة باريس وهي قد تكون جميلة لكنها غير كبيرة ولو كان سكانها كثيرين عددًا لانهم مزدحمون في منازلهم فيبقى نطاقها ضيقًا والقسطنطينية واقعة في اجمل موقع طبيعي ولكن مبانيها غير فاخرة

اما لندن فابن في قلبها بناءٌ مثل الاكروبولس والفورم [1] تجد عظمتها قد زادت عشرة اضعاف ولا شيءَ يدلُّ على عظمة الامم مثل مبانيها العظيمة فان قصور الملوك ودور الآثار ونحوها من المباني العمومية هي عنوان قوة الامة ودليل مجدها

ولا تخلو لندن من المباني العظيمة ولاسيما في حي التجار القديم فان التجار الذين كانوا منذ مئة سنة او اكثر كانوا يعرفون مقامهم ويبنون المنازل الكبيرة التي تفاخر قصور البندقية فخامة وزخرفة وقد هجر السكان هذه المنازل الآن فصارت بيوتًا للتجار . ومنها منزل يفصل بينهُ وبين الشارع الذي امامهُ باب كبير من الحديد المنقوش يفتح الى باحة فسيحة والمنزل قائم على جانبيها يوصل اليهِ بسلم كبير من المرمر وفي الباحة حديقة غناء في وسطها فسقية يتدفق الماء منها وترى الرجال داخلين الى هذا المنزل وخارجين منهُ وعلى وجوههم دلائل الاهتمام بامور ذات بال كانهم تلامذة في مدرسة مشتغلون بالدرس والبحث والتنقيب . هنا بيت المحاسبات حيث ينظر في اموال الملوك والممالك في اعظم مدينة يسكنها اعظم رجال الاموال

هذا الحي المعروف بالمدينة (ستي) زارهُ تنكرد على اثر كتاب اتاهُ من لورد اسكدايل يقول لهُ فيهِ

عزيزي تنكرد — رأيت الصيدوني امس وكلمتهُ في شأنك وهو في شغل شاغل الآن لان عمهُ مات ولا بدَّ لهُ من ان يدير الاشغال وحدهُ الى ان يأتيهُ رجل آخر من اعمامهِ او اولاد اعمامهِ . ولكنهُ قال لي ان اكتب اليك لتأتيهُ الى المدينة اليوم الساعة الثانية بعد الظهر واسم بيتهِ سكوين كورت وهو قرب البنك . ولا يصعب عليك الاستدلال عليهِ . ورأيي ان تمضي اليهِ فانهُ الرجل الذي يفهم مرادك اكثر مني ومن ابيك ويستحق ان تتعرَّف بهِ

(١) بناءان فخيمان مشهوران الاول في اثينا والثاني في رومية

تناقض شيئًا فيهِ لانهُ كله علم مثبت مبرهن بالجيولوجيا وتجد فيهِ كيف تكوَّنت العوالم وكيف زالت بعضها من امام بعض وما نحن الاَّ حلقة من سلسلة كبيرة كثيرة الحلق وستتكوَّن بعدنا حيوانات ارقى منا كما صرنا نحن ارقى من الحيوانات التي كانت قبلنا وقد كان لنا زعانف وستصير لنا اجنحة وهذا هو الارتقاءِ

فصمت وهو يفكر في ما قالته لهُ ثم نهض وودَّعها وودَّع امها وخرج وهو يقول في نفسهِ كنت سمكةً وسأصير غرابًا ما اغرب هذه الدنيا لا بدَّ لي من الخروج من هذه المدينة باسرع ما يمكن لاني لا استطيع الصبر على ما فيها من المفاسد والاضاليل . ولكن تعرُّفي بهذه السيدة قد افادني لانني عرفت بواسطتها من هداني الى يخت يرضيني ولو كان صغيرًا ولا بدَّ من ان اكتب اليهِ حالاً واخبرهُ انني قبلتُ بهِ . والتقى حينئذٍ باللورد اسكدايل فقال لهُ ان التقادير ساقتك اليَّ فقد وعدتني انك ترشدني الى خادم امين يعرف بلاد المشرق

فقال لورد اسكدايل وهل صممت على السفر ووجدت اليخت . فقال نعم واتيت اذكرك بوعدك وقد انجز حرٌّ ما وعد . فقال لورد اسكدايل نعم نعم تذكرتُ الآن . فقال تنكرد ولا بدَّ من ان تتكرَّم وتساعدني في امور أُخرى اذ لا بدَّ لي من ان ترشدني الى انسان آخذ لهُ مكاتيب توصية وتحاويل مالية وما اشبه فقال اسكدايل وماذا تفعل بالكولونل والبقية وهل هم على اهبة السفر

فاجاب لقد وعدتُ ابي بان آخذهم معي وهم وعدوني انهم يكونون مستعدين للسفر في اسبوع من الزمان وسأكتب اليهم الليلة فان حضروا فيهِ والاَّ فانا في حلٍّ من وعدي

اذًا انت مسافر وقد وجدت يختًا واظنك اعتمدت على البادلسك

نعم

ولكنهُ يحتاج الى اصلاح كثير

نعم ولكن اكثر ذلك زينة خارجية لا يهمني امرها واذا اضطررت اصلحتهُ في جبل طارق

اذًا لا بدَّ لك من رجل خبير يساعدك في السفر ومن مكاتيب توصية ودراهم . نعم لا بدَّ من ان تتعرَّف بالصيدوني فهل تعرفهُ

كلاَّ

لا بدَّ لك من التعرُّف بهِ وهو الرجل الذي يفيدك اكثر من كل انسان ولكن مما الحيلة وهو قلما يخرج من بيتهِ . — اليوم الاثنين وغدًا يوم البريد فاتعشى معهُ وحدنا . سأكتب اليك يوم الاربعاء صباحًا ومن رأيي ان لا تكتب الآن الى الكولونل ورفاقهِ

الآن لانهُ مشغول . فقال تنكرد ولكن معي كتاباً لهُ . فقال البواب اعطني الكتاب لارسلهُ اليهِ وانتظرهُ في هذه الغرفة وفتح لهُ باب غرفة بجانبهِ. فشكرهُ وفضَّل ان ينتظرهُ في الدار. ونظر حولهُ واذا على جدران الدار كثير من صور المشاهير وتمثال رأس من صنع تشنتري النحات الشهير وفيها سلّم كبير من المرمر لا مثيل لهُ في بيوت لندن الحديثة . ثم قال للبواب انني موعود بمقابلتهِ في الساعة الثانية ولما قال ذلك دقت الساعة الثانية من برج كنيسة قديمة بقرب المنزل ودقت ساعة اخرى في الدار . فاجابهُ البواب قد يكون ذلك صحيحاً ولكنني لا استطيع ان اخبرهُ عنك الآن لان عندهُ سفير اسبانيا وكثيرون غيرك في انتظارهِ فحينما يذهب السفير يُرسَل مكتوبك ومكاتيب غيرك اليهِ . ولما قال ذلك دخل كثيرون ولم يقفوا في الدار بل ظلوا سائرين فقال تنكرد الى اين ذهب هؤلاء . فالتفت البواب اليهِ مستغرباً سؤالهُ عمّا لا يعنيهِ ثم قال لهُ بعضهم ذاهب الى بيت المحاسبة وبعضهم الى البنك

وبدت حركة في الدار فنهض البواب وقال لتنكرد ان السفير خارج فلا تقف في طريقهِ ثم فُتح باب في طرف الدار وخرج السفير منهُ وسار البواب والخدم في خدمتهِ الى المركبة ثم عاد البواب وقال لتنكرد " الآن ارسل مكتوبك "

وفي هذا المكتوب الكلام الآتي " عزيزي صيدوني . يصلك هذا الكتاب مع نسيبي منتكيوت الذي اخبرتك عنهُ امس وهو عازم على السياحة الى اورشليم وهذا اوقع والديهِ في حيرة عظيمة لانهُ ولدهما الوحيد ولا اظن الخطر شديداً كما يتوهمان ولكن ليس احسن من استشارة اهل الخبرة وانت من اخبر الناس باحوال تلك البلاد . وقد وعدتُ والديهِ ان اساعدهُ بكل جهدي فاذا امكنك ان تساعدهُ في شيءٍ فكل ما تصنعهُ معهُ تصنعهُ معي "

اسكدايل

ولما مضى ربع ساعة بعد الساعة الثانية خرج شاب الى الدار وفتح باب غرفة الاستقبال ولما لم يجد احداً سأل البواب قائلاً اين لورد منتكيوت فلما سمع البواب هذا الاسم انتصب واقفاً وكان يقرأ جريدة التيمس فوضعها من يدهِ لكن لورد منتكيوت تقدَّم الى الشاب لما سمع اسمهُ وحنى لهُ رأسهُ فسار الشاب امامهُ ودخل بهِ غرفة كبيرة لها اربعة شبابيك تطلُّ على الدار الخارجية حيث الحديقة والفسقية وفي ارضها بساط عجمي كبير وعلى كواها ستائر من الحرير الدمشقي وبجانب الجدار المقابل خزائن كبيرة من الحديد وعلى مقربة منها باب من الزجاج يفتح الى غرف اخرى فيها كثيرون من الكتّاب . وكان في الغرفة الاولى رجل جالس امام مكتبهِ فلما دخل تنكرد وقف ومدَّ لهُ يدهُ واشار الى كرسي بجانبهِ وقال اظنني جعلتك تخرج من دارك

في ساعة لم تعتد الخروج فيها . ثم ادنى كرسيهُ منهُ وقال لهُ ان لورد اسكدابل اخبرني بانك عازم على الذهاب الى اورشليم

تنكرد — نعم هذا هو غرضي

الصيدوني — يا حبذا لو بكّرت قليلاً لكي تكون هناك وقت عيد الفصح

تنكرد — يا حبذا ولكن شوقي الى رؤية تلك البلاد شديد جدًّا فاقنع بالوصول اليها في اي وقت وصلت

الصيدوني — صار الوصول اليها سهلاً الآن ولكن الصعوبة في ما يعملهُ الانسان بعد الوصول الى هناك

تنكرد — هي ارض الوحي فاذا وصلتها سالمًا سألت الله ان يرشدني الى ما يجب ان اعمل

الصيدوني — افلا تظن ان الله يسمع لك اذا سألتهُ ذلك وانت هنا

تنكرد — هذه الارض ليست ارض الوحي وللوحي مواطن لا يكون في غيرها

الصيدوني — احسنتَ فانا اعتقد ان الله كلم موسى على جبل مواب وانت تعتقد ان المسيح صُلب على جبل الجلجلة وكلاهما من بني اسرائيل . والانبياء والرسل عندنا وعندكم منهم ومقامهم كلهم في تلك الارض

تنكرد — نعم ولما رأيتُ فوضى الاديان في هذه البلاد ولم أرَ احدًا يرشدني الى طريق الحق عزمت ان اقتفي خطوات واحد من اسلافي واعبر البحر وازور الارض المقدسة

الصيدوني — وتقتفي خطوات الصليبيين . ولقد كان للصليبيين شأن كبير لانهم اضرموا نار الغيرة الدينية التي كانت قد خمدت في اسيا . وقد عادت الى الخمود الآن ولكنهُ الخمود الذي يسبق الاضطرام

تنكرد — ولا بدَّ من ذلك لانهُ لا يعقل ان بلادًا طهَّرها الله تكون مثل غيرها من البلدان فلا بدَّ من ان يكون فيها مزية على غيرها . وسأسأل تلك الجبال التي كانت الملائكة تنزل عليها لماذا انقطعتْ عن زيارتها . واطلب من المعزّي الموعود ان يأتي و يعزيني لاني لم اجدهُ في هذه البلاد ولا اظن ان احدًا وجدهُ فيها ولذلك احسبُ انهُ لا يوجد الاَّ في بلاد المشرق في الارض المقدسة وقد شاءت العناية الالهية ان تكون الطريق اليها محفوفة بالمشاق حتى يعظم بتجشمها الاجر والثواب

فاصغى الصيدوني الى كلام تنكرد وكان تنكرد جالسًا امام الشباك والنور واقع على وجههِ فتبدو ملامحهُ كلها . ورأى فيهِ دلائل المهابة والوقار والتقوى . وعلم من مرآهُ انهُ على بساطتهِ

وجهلهِ امور العالم في نفسهِ من القوى الخفية ما سيحلهُ المحل الارفع بين الانام. ولما اتمَّ كلامهُ صمت الصيدوني قليلاً ثم قال يظهر لي ايها اللورد انك تريد ان تستجلي غوامض المشرق

فقال تنكرد نعم لقد اصبت غرضي . وحينئذٍ دخل الشاب الذي ادخل تنكرد واتى الصيدوني بكتاب فاسف تنكرد لان الرجل مشغول ولا يستطيع ان يقيم عندهُ طويلاً ونهض وهمَّ بالانصراف فاشار اليهِ بيدهِ ليبقى جالساً من غير ان يرفع نظرهُ من الكتاب . ثم قال لهُ لقد اخبرت لورد اسكدايل انهُ اذا بدا امر يشغلني عنك قليلاً فانت تعذرني وتنتظرني الى ان اقضيهُ فتفضَّل بالبقاء الاَّ اذا كنت مشغولاً فجلس تنكرد في مكانهِ وقال الصيدوني مخاطباً الكاتب

اكتب ان المكاتيب تتأخر ١٢ ساعة عن الرسائل الخصوصية وان المدينة في هدو. واترك خلاصة مكتوب برلين على الخزانة . السندات في نزول والاسهم في صعود . ثم التفت الى تنكرد وقال لهُ . متى تحسب انك تستطيع السفر

تنكرد — بعد اسبوع

الصيدوني — حينما تصل الى اورشليم لا بدَّ من ان تزور دير الافرنج تراً صنطا وتلاقي هناك رئيس الدير الونزو لارا وهو اسباني الاصل بارع في علوم المتقدمين والمتأخرين وذلك لازم لفهم الحقائق الدينية وهو على اتم المعرفة باحوال فلسطين لانهُ استوطنها منذ خمس وعشرين سنة فثق بهِ واعتمد عليهِ وستحتاج الى اناس غيرهُ ولكن حاجتك اليهِ ماسة جداً

اما من جهة النقود ففي بلاد الشام صيرفي واحد وهو في حلب ودمشق وبيروت واورشليم واسمهُ بسُّو وقد كانت لهُ الكلمة النافذة في بلاد الشام قبل خروج ابرهيم باشا بالعساكر المصرية منها . ولم تزل سطوتهُ قوية . وساعطيك كتاباً اليهِ واريد ان تتعرف بهِ وهو عائش عيشة الملوك في دمشق وعيشة الاواسط في اورشليم . نعم اريد ان تتعرَّف بهِ وستسرُّ بمعرفتهِ جداً وتجد في بيتهِ افضل الرجال واذكاهم فؤَاداً . وهو قادر ان يساعدك في كل شيء فاعتمد عليهِ في كل الامور وهو طوع امري . هذان الكتابان كتاب الى لارا وكتاب الى بسو يفتحان لك كل مُغلَق في بلاد الشام فاذهب اليهما ولا تهتم بشيء آخر

فوقف تنكرد وهو يقول كيف اقوم بالشكر الواجب لك على ما اوليتني من الجميل. فقال لهُ الصيدوني انا لا اخرج من بيتي وغداً انتظر اثنين او ثلاثة للغداء عندي وهم من الذين تحب ان تراهم فهل تتفضَّل وتتغدَّى معهم

فقال تنكرد اني اقبل ذلك بالشكر الجزيل . وافترقا ثم عاد في اليوم التالي فأُدخل الى

غرفة من المرمر ومنها الى غرفة أُخرى فيها شباك كبير عليهِ ستار من المخمل البنفسجي اللون وامامهُ رواق فيهِ كثير من أُصص الازهار وفي ارضها بساط كبير لونهُ يضاهي لون السقف والجدران ونقشهُ يوافق نقشها وفيها كثير من الكراسي الفاخرة ومائدة مرصعة بالعاج عليها جرس من الفضة كان لاحد البابا وات وتمثال في يدهِ بوق من الذهب يستعمل دواة وكتب فرنسوية حديثة وكؤُوس مستخرجة من المدافن المصرية . وفوقها صورة احد الوزراء وتمثال رأْس امبراطور. في هذه الغرفة قابل الصيدوني تنكرد وعرَّفهُ بضيف اتى قبلهُ وهو اللورد هنري سدني . ولما ذكر اسمهُ اضطرب قلب تنكرد كما يضطرب قلب كل شاب انكليزي لان الرجل كان قد اشتهر شهرة فائقة حتى علقت بهِ آمال الملايين من ابناء وطنهِ . اشتهر في سنوات اربع خدم فيها بلادهُ وامتهُ خدمة ينوءُ تحتها اعاظم الرجال . فكان يحضر مجلس النواب يوماً بعد يوم من غير انقطاع ويقودهُ للبحث في المسائل العمومية الهامة . و يشترك في المناظرات والمناقشات حتى يكون لهُ النصيب الاوفر منها . ويكتب كثيرًا في تلك المواضيع وغرضهُ من ذلك كلهِ اسمى الاغراض وانبلها . غرضهُ من المناقشات في مجلس النواب والمذكرات في لجانهِ والمقالات في الجرائد السياسية والمجلات الادبية انما هو ترقية شأْن وطنهِ وامتهِ . ولم يكن مثل كثيرين من محبي اوطانهم الذين تقتصر محبتهم على تنبيه الناس الى ادوائهم بل كان يبذل جهدهُ في ايجاد الدواء الشافي لتلك الادواء

وكان عالمًا خبيرًا عارفًا باخبار البلدان وطبائع الناس و بأَن ما يعتري الامم من النوائب انما هو نتيجة المبادىء التي بني عليها نظام بلادهم ولذلك لم يكتفِ بالمباحث السطحية بل تعمق الى اصول العمران وبحث عما يصلح ان يكون دواء لتلك الادواء . وكان كثير الدرس والبحث على ما بهِ من الذكاء وتوقد القريحة لا يملُّ من الشغل ولا يتسرَّع في الاعمال مع علو همتهِ وشدَّة عزيمتهِ ولايتصلب في رأْيهِ ولو كان اصيلاً الاَّ اذا علم انهُ الرأْي الوحيد السديد فحينئذٍ يتشبث بهِ الى حدِّ العناد . وكان قوي العارضة في الخطابة فصيح العبارة سلس الانشاء في الكتابة لين العريكة قادرًا على اصطناع الاصدقاء وقيادتهم . أضف الى ذلك انهُ كان كريم الحسب والنسب جميل الطلعة معتدلاً في كل اموره

التفت الى تنكرد وقال لهُ بصوت تمازجهُ الرقة والهشاشة . متى تمضي الى الارض المقدسة. فقال تنكرد انا مستعد للسفر الآن ولكن رفاقي لم يحضروا

لورد سدني — اني احسدك على هذه السياحة

تنكرد — لماذا تتأخر عنها اذًا

لورد سدني — مضى الوقت فقد شرعت في عملي ولا يمكنني ان اتركهُ

تنكرد — اذا استطاع رجال السياسة ان ينقذوا هذه البلاد بسياستهم فنعما تفعل . وقد راقبتُ اعمالك واعمال انصارك فوجدت ان البارلمنت لا يصلح لرجال الاعمال وقد كان لازماً في القرن الثامن عشر لما لم يكن للناس سبيل آخر للشهرة . والآن لا نرى لهُ شأناً في احوال الامَّة لانهُ اذا اراد التجار تغيير شيء اعتصبوا كلهم وغيروهُ رغماً عنهُ

لورد سدني — يا حبذا لو امكنني ان اقنعك لتعدل عن السفر وتبقى معنا لتساعدنا في عملنا

وطال الحديث على هذا النمط وحضر سائر المدعوين وهم نخبة من كرام الانام . ثم دخل الخادم وقال حضر الطعام فامسك الصيدوني بيد لادي مارني وسار وراءهما بقية المدعوين على اختلاف رتبهم رجالاً ونساء ساروا في رواق من الرخام الى غرفة المائدة وهي في اثاثها ورياشها مثل غرفة المكتبة التي تقدَّم وصفها يأكل فيها الصيدوني مع اخصائهِ اما الولائم الكبيرة فيولمها في غرفة اخرى اكبر منها وافخر . وتكون آنية الطعام حينئذٍ من الفضة والذهب اما الآن فكانت من خزف سفر المشهور وهي قائمة على قوائم مذهبة والمالح تحملها تماثيل صغيرة من عرائس البحر او حيوانات مختلفة الانواع وهي في شكل اصداف او عشاش او ما اشبه وكان في وسط المائدة تماثيل خدَم من الخزف الصيني المصنوع في درسدن من اجمل ما صنعهُ الصنَّاع

ولما جلسوا حول المائدة اسرَّ لورد سدني في اذن جارهِ كونسباي قائلاً كنت اتكلَّم الآن مع لورد منتكيوت فوجدتهُ على غاية الذكاء لم تتدمَّث اخلاقهُ ولكنها من الطبقة الاولى حدّثهُ بعد الطعام ولا تدعهُ يفلت من يدنا

كونسباي — يقال انهُ ذاهب الى اورشليم

لورد سدني — نعم ولكنهُ يرجع منها

كونسباي — ما ادرانا انهُ يرجع فان بونابرت نفسهُ اسف لانهُ عاد من تلك البلاد. ولا اوسع من المشرق مجالاً لرجال الهمم

وكان بين المدعوين الشاعر ففاسور وهو من الفلاسفة المشهورين فدار الحديث بينهُ وبين تنكرد على الراي العام وحقيقة العمران . قال ففاسور ان العمران كان في العصور الغابرة ارقى منهُ الآن وكان مئتا مليون من البشر خاضعين للرومان وللقوانين الرومانية التي اضطررنا ان نجري عليها في هذا العصر وعائشين بالسلام والامن . وكانت طرق المواصلات عندهم اتقن مما هي عندنا فكان الانسان في عصرهم يسير من باريس الى انطاكية باسهل مما نسير الآن من

مدينة لندن الى مدينة يورك . وكانت المدائن في مملكة الرومان اعظم مما هي الآن بكثير

ثم انتقل الحديث الى سبب انحطاط الممالك وانقراض الامم واشار لورد سدني الى عجز اسبانيا عن التسلط على بلاد المكسيك مع انها هي التي فتحتها وقال ففاسور ان الامة الاسبانية باقية على حالها فعلى مَ لم تعد تستطيع جزءا مما كانت تستطيعهُ بالامس فقال الصيدوني لانها ادركتها الشيخوخة والامم تشيخ كالافراد ما لم تسكن القفار ويبقَ دمها سليماً من الامتزاج بدماء غيرها. وبمثل هذا الحديث قضي الوقت بين لون وآخر من الوان الطعام وكان النساء يشاركن الرجال في كل المباحث ولو كانت سياسية فلسفية

الفصل العاشر

لما عاد تنكرد من زيارة الصيدوني في المرة الاولى وجد في بيتهِ بطاقة يقال فيها "ان لادي برتي ترجع مركبة لورد منتكيوت بما لا مزيد عليهِ من الشكر. وتخشى ان تكون قد اتعبتهُ كثيراً ولكنها تؤكد لهُ اعترافها بفضلهِ عليها"

وكانت هذه السيدة من نخبة اشراف الانكليز كما علم من اسمها ابنة دوق وزوجة لورد فاستغرب كيف انهُ لم يرَها قبلاً لكنهُ لم يبالِ بذلك وكاد ينسى ما جرى لهُ في الصباح لان كلام الصيدوني وافق امياله ونزع من نفسهِ كل ريب في صحة مقاصدهِ فاتضح لهُ ان لورد اسكدايل والمطران مخطئان في فهم مرادهِ ولو كان الاول منهما خبيراً بامور العالم والثاني من كبار العلماء ورجال السياسة وقال في نفسهِ ان الصيدوني اخبر من الاول واعلم من الثاني ومع ذلك لم يستغرب آرائي بل استحسنها وشدَّد عزائمي

وكان مدعوًّا تلك الليلة الى باللو عند لادي باردلف فلم يكد يدخل دارها حتى وقعت عينهُ على السيدة التي رآها في الصباح اي لادي برتي فنظرت اليهِ بعينيها النجلاوين وتبسمت واحنت رأسها فاقترب منها حالاً فحيتهُ قائلةً ها قد اجتمعنا اليوم مرَّةً اخرى . فقال لها كيف اننا لم نلتقِ قبل الآن . فقالت قد عدت حديثاً من باريس وهذه اول مرة خرجت فيها الى سهرة ولولاك ما كنتُ هنا الليلة بل ربما كنت في السجن. فقال اذاً يجب ان تشكرني لادي باردلف (صاحبة الدعوة) على ذلك بل يجب ان يشكرني العالم كلهُ . فقالت وانا في الجملة . فقال هذا حسبي وهو يعادل كل شكران. فقالت ما اجمل مركبتك وما عدت احب ان اركب في مركبة دونها . فقال لماذا لم تبقيها عندكِ اذاً . فقالت احسنتَ واجملت هذا كرم حاتمي يعرفهُ اهل المشرق ولا نعرفهُ نحن في هذه البلاد الباردة ولقد صدق من قال ان شبيه الشيء

منجذب اليهِ فقد اخبرني لورد فالنتين الآن انك ذاهب الى بلاد المشرق فما اسرع ما انت مفارقنا

فقال نعم مرادي الذهاب باسرع ما يمكن

فقالت أَصحيح ذلك وصمتت قليلاً وقد بدت عليها امارات انكساف البال ثم قالت يا حبذا لو لم تأتِ لمساعدتي هذا الصباح . فقال ولماذا . فقالت لاني لا احب ان اتعرَّف بأناس اسرُّ بمعرفتهم ثم افارقهم سريعاً . فقال انا اذاً احق بالاسف منكِ . فقالت اراك سئمتَ العالم قبل ان تعرفهُ . فقال اني لم اسأمهُ لاني لم اعرفهُ حتى الآن كما تقولين وما مجيئي الى هنا الاَّ من باب الاتفاق كما اتفق وجودك في ذلك الشارع الضيق في الصباح . فقالت ان لورد فالنتين اخبرني الآن انك ذاهب لاجل ما طالما تمنيتهُ فلم انلهُ . فقال أَوَ انتِ ايضاً شعرتِ بالحاجة الى ذلك . فقالت نعم ولا ابرئ نفسي من ذنبي في عدم اصراري على الذهاب ولكن فاتت الفرصة الآن وقد كان الواجب عليَّ ان احمل عصاي مثل السيّاح الاقدمين واقصد تلك الارض المقدسة ولا استريح حتى تطأ قدمي رمال يافا

فقال هذا هو الصواب ويجب علينا كلنا ان نسيح هذه السياحة. فقالت ومع ذلك لايذهب احد منا بل نبقى في اماكننا نتأوَّه ونتحسر فقال لاننا وُلدنا في زمن لا يهتمُّ الناس فيهِ الاَّ بالدنيا. فقالت اما انا فلا تهمني هذه الحطام الفانية ولا تتوق نفسي الاَّ الى الامور الروحية. فقال لان لكِ نفساً سموية والذين مثلك قلال في القرن التاسع عشر لان حب الدنيا اعمى العيون والكل مشغول بها عن الاخرى . فقالت اصبت ولذلك ازمعتَ السفر عنا وانا ادرك مقاصدك لاني كنتُ مثلك كانت نفسي تحنُّ الى اورشليم وكنت اتمنى الوصول الى تلك الربوع ولكن لم تسمح لي التقادير ان اتخطى مدينة باريس

فقال لها ان السفر صار سهلاً الآن ولم تبقَ صعوبة الاَّ في ايجاد عمل يعملهُ الانسان بعد الوصول الى هناك كما قال لي اكبر ثقة اليوم. فقالت ومن هو هذا الثقة . قال هو الرجل الذي كنتُ ذاهباً لزيارتهِ هذا الصباح لما التقيتُ بكِ المسيو ده صيدوني. فقالت وهل تعرف المسيو ده صيدوني . فقال اعرفهُ اقل مما احبُّ وهذا اول يوم رأيتهُ فيهِ ذهبت اليهِ بوصية من لورد اسكدايل لانهُ خبير بامور السفر . فقالت اني اود جداً ان التقي بهذا الرجل ولا بدَّ من ان اطلب من لورد اسكدايل ان يدعوهُ ويدعوني يوماً ما للعشاء عندهُ . فقال بلغني انهُ لا يخرج للدعوات الآن . فقالت كان يخرج كثيراً وكان يولم الولائم الفاخرة ولا بدَّ من ان نتمنى عليهِ العود الى عادتهِ الاولى فانهُ غنيٌّ غنىً مفرطاً . فقال هذا الذي يظهر لي وانا استغرب

كيف يهتم رجل بجمع المال وهو في درجتهِ من العلم والفضل . فقالت هذا نصيبهُ ولا يستطيع التخلص من الاموال كما لا يستطيع الملك ان يتخلص من مهام الملك . ولا ادري هل اخذ سكة الحديد الشمالية فانهُ لا حديث الآن في باريس الاَّ بها . فقال بماذا . قالت اليك عن ذلك وعدْ بنا الى الكلام عن اورشليم . ثم التفتت وقالت هوذا زوجي دعني اعرفك بهِ . وكان تنكرد يحسب ان زوجها الرجل الذي رآهُ معها في الصباح فاذا هو غيرهُ وهو طويل القامة نحيف الجسم فشكر تنكرد على تقديمهِ المركبة لزوجتهِ في الصباح ثم دعاهُ للعشاء في اليوم التالي فاجاب انهُ مدعوٌّ الى مكان آخر ولكنهُ وعد بان يزور لادي برتي قريبًا ويشاهد بعض الصور التي صوَّرتها للارض المقدسة

ومضى اسبوع وهو يزورها كل يوم فوجد انها الشخص الوحيد الذي يحبّ رأيهُ ويحدثهُ عن الارض المقدسة وكانت تحبُّ سفر البحر وتعرف شيئًا من امر السفن فتشير عليهِ بما تراهُ صالحًا فيتبع شورها في اصلاح يختهِ . وكانت قد قرأَت كتبًا كثيرة عن فلسطين وجمعت عددًا وافرًا من صورها فكانت تريهِ الصور وتشرحها لهُ وتخبرهُ بما قرأَتهُ عنها وودَّت غير مرة ان يؤَخر سفرهُ لعلها تستطيع السياحة معهُ لان زوجها مغرم بالصيد ويخطر لهُ احيانًا ان يزور بلاد الشام ويحاول صيد الخنزير البري من قفارها . وكادت بهذا الكلام وامثالهِ تثني عزمهُ عن السفر . واتَّفق انهُ زارها ذات يوم فرآها في حالة الاضطراب الشديد ولما جلس اليها سمعها تتنهَّد من كبد حرَّى فسألها ما الخبر فقالت انها على غير ما تحب وانها آسفة لان سفرهُ صار قريبًا . فطلب اليها ان تسافر معهُ فقالت ان ذلك ضرب من المحال لان زوجها لا يستطيع ان يفارق لندن اكثر من ستة اسابيع ولو وُجدت سكة حديدية الى اورشليم لكان الامر ممكنًا. ثم التفتت اليهِ وقالت لهُ اذهب على الطائر الميمون فقد كنتُ امني نفسي بالمحال كنتُ احسب انني استطيع السياحة معك ثم غطَّت وجهها بيديها وكأَنها تحاول اخفاء غمها

فوقف وصار يمشي في الغرفة ذهابًا وايابًا وكاد فؤَادهُ ينفطر وقال لها لا ادري لماذا ارى التقادير تصدني عن عزمي ايتها العزيزة. ولما قال ذلك اضطربت وقالت لهُ اياك وكلام التحبُّب والتودُّد واصفح عمَّا مضى وثق انني مسرورة جدًّا بالغرض الذي انت ذاهب لاجلهِ فلا اريد ان تؤَخر سفرك يومًا واحدًا لاجلي . اذهب على الطائر الميمون اما انا فقد سئمت الحياة . ولما قالت ذلك دخل خادم وبيدهِ كتاب فنظرت اليهِ وفضتهُ وحالما وقع نظرها على ما فيهِ صرخت صرخة عظيمة وأُغمي عليها فبادر اليها تنكرد وكان الكتاب مفتوحًا امامها وفيهِ سطران يقال فيهما

"سبقت المركبة الضيقة. خرينا. بلغني انك اشتريت خمس مئة سهم ايضاً فهل ذلك صحيح"

فلما قرأها قال في نفسهِ اذاً هي مشتغلة بالمراهنة والمضاربة وهي مضطربة بسبب ما لحقها من الخسارة . ما اغرب هذه الدنيا وسكانها . ونادى خادمتها اليها واسرع من بيتها الى بيت الصيدوني فرأى عندهُ الرجل الذي رآهُ معها لما رآها اول مرة فسأَلهُ عنهُ فقال لهُ انهُ رجل مالي فرنسوي جاءَني لكي اساعدهُ في انشاء سكة حديد جديدة من باريس الى ستراسبرج وانا اعرفهُ منذ سنين كثيرة وكان صديقاً للورد مموث فترك لهُ ثلاثين الف جنيه فظهر بها في باريس كأَنهُ صاحب ملايين كثيرة وهو من كبار المضاربين. فقال تنكرد قد انجلي لي الامر الآن ثم سأَلهُ عن لادي برتي فاخبرهُ انها اكبر مقامرة في اوربا وانها اتتهُ يوم زارهُ اول مرة مع هذا الرجل وبقيت ساعة على بابهِ تطلب مقابلتهُ فلم يقابلها لانهُ لا يريد ان تكون لهُ اقل علاقة بامرأَة مقامرة. ثم قال انهُ يعلم جيداً انها على شفا الافلاس كما يضطر ان يعلم حال كل انسان من المشتغلين بالاشغال المالية

فقال تنكرد قد اضعتُ وقتك بهذا الحديث مع انني اتيتك لاخبرك اني مسافر غداً وانتظر اتمام وعدك من حيث مكاتيب التوصية

فاخذ الصيدوني القلم وكتب بالاسبانية الى الونزو لارا رئيس دير ترّا صنطا في القدس الشريف ما ترجمتهُ

ايها الاب الجزيل الاحترام

الشاب الذي يسلمك كتابي هذا سائح يطلب استجلاء غوامض المشرق فعاملهُ كما عاملتني وليحفظك اله آبائنا وينجح اعمالك"

وكتب الى ادم بسو بالعبرانية ما ترجمتهُ

عزيزي آدم

اذا احتاج الفتى الذي بيدهِ هذا الكتاب الى النقود فاعطهِ من الذهب ما يكفي لعمل اسود مثل الاسود التي كانت على عرش سليمان والمطالب بذلك كلهِ ابن اسرائيل الذي يسميهِ الامم صيدوني

(المقتطف) قد اضطررنا ان نختصر كثيراً في الفصول السابقة وندمج بعضها في بعض اذ الغرض الاكبر ليس بها ولكن بالفصول التالية التي توصف فيها احوال بلاد الشام كما كانت منذ خمسين عاماً وسترد في الجزء التالي وما يليهِ

المكاتب ودور المطالعة

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

سر كيفما شئت في شوارع عاصمة الديار المصرية تلقَ الحانات والقهاوي قد صفت فيها الاخونة ورصفت فيها زجاجات المسكر وجلا اصحابها كؤوس الراح يديرونها على الشرب وهؤلاء بين شاب وكهل وعظيم وحقير يقتلون الوقت ويبذرون الدراهم ويخسرون العافية غير عالمين ان الحياة اثمن من ان تضاع بين الكاس والوتر وان العمر قصير يتوجب على المرء ان يسعى فيهِ لاعلاء شأنهِ وشأن غيرهِ ونفع نفسهِ والآخرين ثم جلْ في ارجاء القاهرة واطلب نادي أدب او مجتمع علم فانك غير واجدٍ لبانتك واذا كان شيء فلا اكثر من متحدث يضم فريقًا من القوم همهم المسامرة او تربية الجياد او ما يماثل هذين الاَّ بضع منتديات شذت عن هذه القاعدة وقليل ما هي

وادخل البيوت العامرة بالسكان المزينة بافخر الرياش واثمن الاثاث وحدّق بباصرتيك لعلك ترى في زاوية ما خزانة كتب فيها مالذَّ وطاب من المؤلفات العلمية والادبية فلا ترى سوى بعض اقاصيص الغرام وشيئًا من الكتب المدرسية لصغار الاسرة ثم اقرإِ الصحف اليومية تلقها تنظر في اخبار الترانسفال واميريكا واوستراليا وغيرها من البلدان النائية والناس على قراءة تلك الاخبار مقبلون ولاقوال الصحف سامعون واذا حولت انظارهم الى ما هو اهم من جميع هذه لم تلقَ منهم اذانًا صاغية ولا قلوبًا واعية حتى باتوا وقد صحَّ فيهم قول حضرة الفاضل معرب كتاب سرّ تقدم الانكليز السكسونيين في مقدمتهِ "ذلك اصاب الامم الشرقية واستحكم في عقولنا حتى عمَّ الفتور وصار كأَنهُ حالة فطرية نحسبناهُ خلقًا من اخلاقنا وعددنا من يخرج عن حالتنا هذه مبْعدًا عن المنهج القويم ومارقًا عن تقليد الامة وعاداتها ومهينًا لها في ما ترى التمسك بهِ من موجبات كمالها . . . . هذا هو السبب في الاقبال على مطالعة القصص والخرافات والتهافت على اقتناء التافه من المؤلفات والتسابق الى حفظ كتب المجون والروايات والنفور من القول الجدِ وهجر النافع واغفال المفيد وفيهِ تعليل واضح لكثرة انتشار كتب المجون والهذيان وقلة كتب العلوم الصحيحة فان الاولى لا تطلب شيئًا من همة القراء ولا تشغل محلاً من مدركتهم ولا يتكلفون اكثر من النظر الى الاحرف ليحصلوا منها صورة في الذهن تضحكهم او يدركوا واقعة تعجبهم ثم ينقضي الوقت بسلام وغطاء الادراك الحقيقي مقفل عليهِ . ولان الثانية تقضي امعان النظر وتستوقف الفكر وتنساب في النفس فتحدث فيها من

التأثير ما يهيج خاطر المطالع ويدعوهُ الى العمل او ينبههُ الى الواجب عليهِ . . . .

هذه المجتمعات اصبحت معدومة في منازلنا حتى بين اهل الحرفة الواحدة بل صار هؤلاء اشد الناس نفوراً بعضهم من بعض فجهل كل واحد سبيل اخيهِ وغابت عنهُ بذلك منفعتهُ ومنفعة مواطنيهِ وضعفنا بتفرقنا وسهل على المزاحم ان يفوز بيننا فوزاً مبيناً . نعم يوجد عندنا مجتمعات كثيرة في هذه الايام ولكنها حول الكؤوس والاكواب او في ميادين الملاهي والالعاب

وتلك الجرائد على كثرتها وانتشارها لا يقرأ منها في كل يوم الاَّ سافر فلان وعاد فلان . . . . اما ما كان من تلك الجرائد مما يرشد الى فضيلة او ينبه على رذيلة او يوضح حقيقة فحظهُ حظ كتب الجد من جعلها خلف الظهر والاستعاضة عنها بما لا يفيد . . . . .

. . . . دواؤُنا التربية وسلامتنا في نشر المعارف والعلوم فعلينا بها بما بقي فينا من الشعور وما ترك لنا من الاختيار في العمل قبل ان يتمَّ الانحلال ويتعذَّر علينا القيام"

تسعى الحكومة جهدها في تأسيس المدارس ونشر المعارف بين الرعية و يساعدها في ذلك كثيرون من الاجانب والوطنيين اصحاب المدارس في هذا القطر والناس مقبلون على تعليم اولادهم في مدارس الحكومة وفي مدارس غيرها حتى بات غير المتعلم محتقراً . على ان التلميذ او المتخرج في احدى تلك المدارس لا يلبث ان يخرج من مدرستهِ حتى يودع كتبهُ البيت و يسعى في طلب الرزق فاذا احرزهُ حسب انهُ نال الحظ الاوفر فحدثتهُ نفسهُ باللهو والطرب فكرع اللذات وتبع الشهوات ولم يبقَ على شيءٍ ما تلقاهُ الاَّ ما كان من اللغات الاجنبية التي يجدُّ الى استعمالها كل يوم وان طالع كتاباً فرواية غرامية تزيد في استرخائهِ وضعفهِ وتقوي شهواتهِ ومطامعهُ وتتركهُ بحيث لا يستطيع الثبات في وجه مؤَلف جدي او كتاب رائع تحتاج قراءتهُ الى امعان النظر والفكرة

لا ادري ما ينفقهُ اهل القاهرة يومياً من الدراهم ثمن مسكرات بالضبط وانما اقدرهُ باكثر من الف جنيه قياساً على ما اعرفهُ من حالة بعض مدائن الشرق اي ان اهل القاهرة يشترون من البلاء لنفوسهم ما ثمنهُ السنوي نحو اربع مئة الف جنيه ولم تنهض الحمية غيرة واحد منهم لانشاء مكتبة عمومية او دار قراءة يؤُمها الشبان و يطالعون فيها ما بهِ ننعهم بدلاً من ان يشربوا السمَّ الزعاف فيكتسبون المعرفة و يقتصدون في قواهم ودراهمهم و يعود النفع على البلاد باسرها لان غنى البلاد وتقدمها عائدان الى غنى افراد الامة وتقدمهم . وقد بعث اليَّ احد الاصدقاء في بيروت كتاباً تلقيتهُ وقت كتابة هذه السطور قال فيهِ ما نصهُ

"اشتركت جمعية شمس البر[1] وجمعية الامتناع عن المسكرات[2] في فتح قراءة خانة وقد استأجرنا محلاً وسنفرشهُ بالاثاث اللازم ونجهزهُ بالكتب والجرائد الضرورية ويقام فيهِ رجل للاعتناء بهِ وفتح ابوابهِ". هذا ما تفعلهُ جمعيتان فقيرتان في مدينة لا يبلغ عدد سكانها خمس عدد سكان القاهرة فمن لنا بمن يمهد السبيل الى مثل ذلك في هذه العاصمة

وعندي ان اللوم مرجعهُ الى مدارس القطر واباء الجيل المستقبل فيهِ فالمدارس تستطيع ان تربي في تلامذتها الميل الى المطالعة بحيث يرتاحون اليها ويجدون فيها لذة لا يلقونها في تلقي دروسهم ويستطيع الاباء ان ينفقوا جزءًا من دخلهم لا سيما الموسرين منهم في ابتياع الكتب والجرائد النافعة بحيث يعتاد الفتيان قراءتها فتصبح جزءًا من مطالب حياتهم وامانيهم

تحتاج القاهرة الى دور قراءة مجهزة بالكتب العلمية والادبية والروايات النافعة التي لاغبار على آدابها والجرائد العلمية والادبية والسياسية من عربي وافرنجي ويشترط ان لا يقدَّم لمتابيها سوى قهوة البن والشاي والكوكو وان يقتصر على هذه فقط او ما شا كلها دون المشروبات الروحية والمسكرات . وان تعم هذه الدور ارجاء المدينة بحيث يسهل على الجميع التوصل اليها حتى اذا ما خرج العامل من عملهِ والصانع من صناعتهِ والتاجر من حانوتهِ وموظف الحكومة من ادارتهِ او بيتهِ نحو الاصيل او بعد الغروب قصد احد هذه البيوت فمتع النفس بالقراءة والمطالعة والوقوف على احوال العالم وسيرهِ خارج القاهرة او خارج القطر المصري

ولا يخفى على المتأمل ما في ذلك من الفائدة المزدوجة زجر النفس عمَّا ينهك العقل والقوى واكتساب ما فيهِ النفع واللذة على اسهل السبل

تحتاج القاهرة الى مكاتب عمومية تفرَّق في انحائها ويسهل على القوم استعارة الكتب منها واخذها الى بيوتهم للنظر فيها ساعات الفراغ فان المكتبة الوحيدة المفتوحة للقوم هي

(١) هي احد فروع جمعية اتحاد الشبان المؤسسة في مدينة لندن تأسست في بيروت منذ نحو ثلاثين سنة ضمت في خلالها نخبة شبان سورية والمتعلمين من اهلها ولا تزال تواصل اجتماعاتها وغايتها نشر المعرفة والآداب وفتح ابواب البحث لاعضائها فيما سوى المسائل السياسية والمباحث الطائفية المذهبية لها مكتبة صغيرة فيها كتب منتقاة في العربية والانكليزية وبعض الدراهم في مصرف وقد اهدتها احدى السيدات الانكليزيات مالاً يعطى ريعهُ جائزة لمن يكتب من اعضائها افضل مقالة او يؤلف احسن كتاب في السنة

(٢) فرع جمعية الاعتدال المشهورة في العالم باسرهِ حديثة النشأة في سورية يبلغ عدد اعضائها في البلاد نحو عشرة آلاف بين رجال ونساء وصبيان وبنات لا مال لها وغايتها تعويد اعضائها على رفض المسكرات وعدم تعاطيها على الاطلاق ونجاحها في العالم ظاهر مشهور لا سيما البلدان التي منيت بغائلة السكر الوبيلة . والجمعية المشار اليها في عرض البحث فرعها في مدينة بيروت ترأسها زوجة الدكتور هنري جسب المبشر الاميركي الشهير

المكتبة الخديوية وانما يعسر على جميع اهل القاهرة الوصول اليها بل قد يستحيل على الكثير منهم الانتفاع بها

وقد اعتدنا ان نلقي احمالنا على الحكومة في جميع ما نطلبهُ من الحاجيات والكماليات . اما الحكومة فلا تستطيع القيام بهذا العمل (مع استطاعتها مد يد المساعدة) ولاموجب لدفعهِ الى يدها . وقد قرأت في الجرائد اليومية ان اعيان مديرية المنوفية اوقفوا على مدارسهم كثيرًا من الاطيان الخصبة فينفق دخلها في حفظ تلك المدارس مع ان للحكومة مدارس في مديريتهم فلم يطالبوا الحكومة بشيء ولا تعدم القاهرة وسائر مدن القطر الكبيرة اعيانًا اسخياء كرامًا يرون لذة في نفع الناس وتقدم البلاد وهم الذين نطالب بهذا المشروع كي تتحقق هذه الامنية فاذا تألفت منهم لجنة وغرضها انشاء المكاتب ودور القراءة لم تعدم من الموسرين ومحبي العلم اقبالاً على شد ازرها ومعونتها

ولاخسارة مادية من دور القراءة وعندي ان ربحها مضمون تقريبًا وان قلَّ وشاهدي على صحة ذلك ان لجمعية اتحاد الشبان المسيحيين بيتًا من هذه البيوت في مدينة ازمير وآخر في الاستانة العلية وهما سائران على قدم النجاح ولا اخال الجمعيتين المؤسستين خسرتا ما يذكر . اما في بلاد الغرب كانكلترا واميركا مثلاً فهي كثيرة جدًّا ونفعها ظاهر عميم ولا تقتصر هناك على ما ذكرت بل تتناول اقامة المطاعم والفنادق حيث ينزل اعضاؤُها من وطنيين واجانب فيتناولون الاطعمة المغذية الخالصة من الغش بثمن اقل مما يطلب منهم في سائر المطاعم حتى يقال ان الثمن يساوي القيمة تقريبًا ولكل ذلك شروط وقوانين ليس هذا محلها ولا يطلب هذا الآن في منتديات القاهرة لان امورًا كهذه تنمو ولا تبرز للوجود دفعة واحدة اذ الطفرة محال

بقي المكاتب وهذه لا بدَّ من تضحية المال في سبيل اقامتها ولكن النفع العام العائد منها اكبر ربح يتطلبهُ محب الانسانية . والادباء الذين لا يتمكنون من نجدة هذه المكاتب بالمال يستطيعون اسعافها بالكتب والجرائد والمؤلفات من عربي واجنبي

ومتى تيسر لنا الجمع بين دور القراءة والمكاتب العمومية فلا بدَّ ان تثمر ثمرة طيبة ألا وهي الجمعيات الادبية والعلمية وفائدة هذه اشهر من ان تذكر لما ينال اعضاءها من الفوائد في شحذ الاذهان وتبادل المذاهب والنظر في العلوم والاختراعات وتقوية ملكة الخطابة في الشبان

ويظهر لي ان الجمعيات الماسونية في القاهرة تستطيع ان تبدأ العمل لانها من الجمعيات العمومية المؤسسة على نظام وهي تضم الوفًا من الوجهاء والاعيان والادباء والاغنياء ومن اقصى غايات الماسونية واسماها نشر المعارف والعلوم ولديها مال مدَّخر تستطيع بذل جزءٍ منهُ

توصلاً الى هذه الغاية فتخدم الوطن ولا تكتفي بعقد الجلسات والقاء الخطب الادبية في محافلها وتوزيع الصدقات على اعضائها المحتاجين او اسعاف ذوي الباساء من ايتامهم وارامله
فمن لنا برجل كفرانكلين الاميركي تستحثهُ الغيرة والحمية فيقدم على انشاء مكتبة عمومية ومن لنا برجال يقومون كما قام اصحاب المشروع الشتكوي [٣] فيفتحون بيوت القراءة او المدارس الليلية لتدريس العملة والذين لم يفوزوا بدخول المدارس في صباهم

اتاني كتاب بالامس من صديق لي في سورية قال فيهِ ما معربهُ "اقيمت الحفلة الموسيقية السنوية يوم السبت الماضي بعد الظهر وسيخصص دخلها هذه السنة (نحو خمسين او ستين جنيهاً) لاسعاف منتدى الصبيان [٤] الذي انشئ في السنة الماضية وكان من غرضهِ اجتذاب الاحداث من مهاوي القهاوي والسكر والقمار كما تعلم وسأكتب اليك عن نجاحهِ بعد ان تستولي اللجنة على مبلغ الدراهم"

هذا ما يحرك الهمم المتوانية ويدفعها الى النظر في احدى المسائل الاجتماعية الخطيرة فبجزء صغير مما ينفق على المسكرات واللهو يستطيع اهل القاهرة ان يكتسبوا نفعاً كبيراً ويذخروا لهم ولبنيهم من بعدهم ميراثاً فيهِ الخير لجميعهم

ومعلوم ان للحكومة نفعاً كبيراً من هذا التغيير اذا حدث فانهُ يقلل عدد الجرائم ويزيد اهتمام القوم بمساعدتها اذ من المعلوم ان سند الحكومة في كل بلاد افاضل رجالها وخيرة ابنائها علماً وادباً ويحسن بالحكومة ان تشجع هذا العمل ما استطاعت الى ذلك سبيلاً وانما ثقل المسئولية ملقى على عواتق الاهلين ولا اراهم يستطيعون التملص من هذه المسئولية مهما انتحلوا لذلك من الاسباب الاَّ اذا قالوا ان الناس اعتادوا انتياب الحانات ولا يستطاع صرفهم عنها

---

(٣) من شتكواي بحيرة في الولايات المتحدة بدئ هذا المشروع على ضفافها والغاية منهُ اسعاف من لم يستطيعوا الدرس ايام صباهم اولم يتمكنوا من اتمام دروسهم على نيل تلك الغاية وقد انتشر هذا المشروع في الولايات المتحدة وتجد تفصيلهُ في كتاب نقلهُ الى العربية احد الراغبين في انتشارهِ وطبعتهُ المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ووزع مجاناً على من اراد

(٤) منتدىً اقيم سنة ١٨٩٩ في بيروت والشارع في انشائهِ كريمة الدكتور جورج بوست الجراح الشهير بمعاونة بعض الفضلاء والفاضلات والغرض منهُ صرف الاحداث عن القهاوي وبيوت الحانة في السهرات واجتذابهم الى حيث يصرفون الوقت بين الدرس والكتابة وممارسة الالعاب وسماع الموسيقى والخطب البسيطة المقرونة بالامتحانات العلمية وقد تبرع تلامذة المدرسة الكلية بمساعدة هذا العمل بما يضحونهُ من الوقت في اعانة الاحداث وتعليمهم وتقديم الخطب ومما يسرُّ محبي الانسانية ان هؤلاء الاحداث اخذوا يقتصدون في دراهمهم التي كانوا ينفقونها وذلك ان مديرة المنتدى فتحت صندوقاً للتوفير وفي كل اسبوع يأتي الاحداث بما جمعوهُ ولكل منهم دفتر يكتب فيهِ مبلغ ما دفعهُ بتاريخه ومتى بلغ المجموع نحو عشرة فرنكات وضع في البنك الاقتصادي بفائدة قليلة

وليتأمل المعترض فيما اذا كان هذا القول يسير على جميع الناس على اختلاف طبقاتهم والواقع على غير ذلك لان كثيرين من الشبان لا يميلون الى انتياب القهاوي والحانات وانما هم يفعلون ذلك على رغم انفهم لانهم غير مخيرين فهم يتطلبون الراحة من عناء الاشغال والاجتماع باقرانهم فلا يلقون مجلساً يضمهم سوى القهاوي والحانات وقليل بينهم من يستطيع كبح امياله فيفضل العزلة في وقت الراحة على لقاء الناس فلو تيسّر لهؤلاء ما يطلبون لاقلعوا عن الذهاب الى بيوت الحان وغيرها

ثم ان حاجة البلاد الى المدارس لا توازي افتقارها الى المكاتب ودور القراءة والجمعيات ومنتديات الآداب فان المدارس آخذة في التكاثر تبعاً لناموس التقليد ولاسيما مدارس الذكور فلا بدَّ اذاً من السعي لايجاد متممات المدارس فيستفيد الطلبة فائدتين عظيمتين متابعة العلم الذي يتلقونهُ في المدارس ودفع الضرّ الناجم عن انتياب اماكن اللهو وبيوت الحان

حصرت الكلام في القاهرة مع علمي انهُ يتمشى على جميع مدن القطر لان القاهرة ام مدائنهِ وعاصمة البلاد ومقرّ الحكومة وفيها من الوسائل ما هو غير ميسور لسائر مدن القطر اللهم الاَّ الاسكندرية وانما يقال في المدن الكبيرة ما يقال فيها لاسيما التي تغلب فيها العنصر المصري على غيرهِ من العناصر

بقي اعتراض يجب دفعهُ قبل الختام وهو ان القاهرة الجديدة حيث ينتظر انشاء هذه الدور وتلك المكاتب والجمعيات خليط من جميع امم الارض ففيها الانكليزي والفرنسي والالماني واليوناني والايطالي والمصري والسوري على اختلاف نزعاتهم وطبقاتهم ومشاربهم ومذاهبهم فكيف يتسنى لهؤلاء القيام بمشروع يقتضي الاتفاق في العادات والمشارب والنزعات

اما كلامي فموجه الى الناطقين بالضاد من مصريين وغيرهم وليس بين هؤلاء ما يدفع الى تفريق كلمتهم الاَّ ما لا يعتدُّ بهِ ولهم في جامعة اللغة والوطنية والتابعية ما هو كفوء لضمهم في امر تتفق في حمد منفعتهِ آراؤهم وآراء جرائدهم والفضلاء منهم الاَّ فئات طمست ابصارها باكف التعصب والجهل . ولا يخفى ان الاوربيين ممن ذكرت آنفاً لم يغفلوا هذه الجمعيات والمنتديات لاسيما المتعلمين منهم ثم ان هنالك من الفرق بينهم و بين المتكلمين بالعربية ومن التباين في الاحوال والمعيشة والاستعداد ما لا موضع لذكرهِ هنا

ان فرنسا كانت مثالاً لمصر في تنظيم الحكومة والاحكام والزي والعادات وقد تابعها هذا القطر في كثير من الامور وانما لا تخلو مدينة في فرنسا صغيرة كانت او كبيرة من مكتبة عمومية وجمعية ادبية ومنتدى للقراءة فعلام لا يجري التقليد في النافعات كلها بل يشتد في المؤذيات فقط

تلك اماني قد يحققها الزمان وتأتي بها الحاجة اليها وتبرز بها الى عالم الحس والحقيقة غيرة الوطنيين وسخاء الكرماء لكن خير البر عاجلهُ

هذا موضوع يطرح في ميدان البحث وعسى ان يعيره ُ ادباء القطر التفاتهم وينظروا فيهِ برأيهم الصائب فما تقدم انما هو قطرة من بحر وكنوز الحقيقة ودررها لم تزل مخبوءة لهم وهم اهل البلاد يعرفون مواضع الضعف والشدة فيها ولم اتجاوز في البحث باب النظر في المسئلة بوجهٍ عام وانما قصدت تنبيه الافكار الى ما نحن في حاجة اليهِ ولا بدَّ ان يتلو ذلك ما يزيح النقاب عن الحقائق اذ الامور مرهونة باوقاتها والله علاَّم الغيوب

علم الجراحة في الحرب

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

لم يكتفِ جرَّاحو الانكليز بما نالوهُ من العلم والاختبار ولا ارتضوا بما لديهم من المال والشهرة ولا اقتصروا على معالجة الالوف الذين يعالجونهم في مستشفياتهم الكثيرة ولذلك ما كادت الحرب تنشب في جنوبي افريقية حتى تطوَّع كبارهم وتركوا رغد العيش وركبوا اشد الاخطار حبًّا بالانسانية وطمعاً بتوسيع نطاق الجراحة واستجلاء ما غمض من اسرار هذا الفن. وما كادت اقدامهم تطأُ تلك البلاد حتى تسابقوا في العمل والجد ومواصلة الجرائد الطبية بكل جديد مفيد فكان لمقالاتهم شأن عظيم وفائدة كبيرة عدا ما افادوا بهِ ابناء نوعهم في ميدان القتال فكم من رجل انقذوهُ من مخالب الموت وكم من آلام خففوها ومخاطر استدركوها وامراض شفوها . وكم من طفل ابعدوا عنهُ اليتم وامرأة وقفوا بينها وبين الترمل . وها انا الخّص بعض ما وقفتُ عليهِ مما استفادهُ الاطباء والجرَّاحون من هذه الحرب

رصاص موزر Mauser

رصاص موزر مخروطي الشكل ملبَّس بالنكل وهو اكثر انواع الرصاص استعمالاً في هذه الحرب وبهِ يصاب اكثر الجرحى . وقد مدحهُ الجراح تريڤس الشهير لان ضررهُ اخف من ضرر غيرهِ فلا يهتك الانسجة الرخوة لعدم تمددهِ ولا يشوه الاعضاء . واصاباتهُ بلا ألم وتكاد تكون خالية من الخطر ولا تحتاج الاَّ الى علاج بسيط . وتتوقف شدَّة ضررهِ على المسافة التي يطلق منها فاذا اصاب الانسان عن بعد ١٥٠٠ متر الى ٢٠٠٠ متر اخترق الجزء المصاب كأنهُ ابرة اي ان الفتحة التي يدخل منها تكون ضيقة جدًّا كثقب الابرة وكذلك القناة التي

يسير فيها . ولكنهُ اذا اصاب عظم العضد عن ٥٠٠ متر او اقل كسرهُ وفتتهُ . اصيب احد الجنود برصاصة منهُ في السلاميتين المتوسطتين في خنصرهِ وبنصرهِ فاحدثت فيهما اربعة جروح صغيرة تم التئامها على غاية ما يرام بلا تقيح وجبرت السلاميتان من غير عاهة

وقد احصى بعضهم نتيجة الاصابات بهِ فوجد ان ثلثي المصابين يتمّ لهم الشفاء في ثلاثة اسابيع والثلث الباقي يشفى في مدة اطول قليلاً . ويقول الجراح تريفس ان جروح هذا الرصاص تشفى بسهولة من غير تقيح وانهُ لم يشاهد حوادث بقي فيها رأس الرصاصة كما روى بعضهم . الاَّ ان مكاتب احدى الجرائد الطبية قال انهُ يوجد انواع أُخرى من رصاص موزر فعلها اشد من الرصاص المذكور آنفاً وفتكها اكثر ومنها نوع لا يمتد النكل فيهِ الى طرف الرصاصة فيبقى من رأسها جزءٌ بلا تلبيس فمتى اصاب رأسها جسماً صلباً تمدَّد واتسع وهتك الاجزاء الرخوة وفتت العظام مثل رصاص دمدم المشهور . ويقل ضرر رصاص موزر لسرعة سيرهِ وصغر حجمهِ ودقة رأسهِ ولذلك فهو يمرُّ بسرعة في البدن ويسير سيرًا مستقيماً في الغالب وهذا هو السبب الاكبر لكون عواقبهِ حميدة غالباً . واذا اعترض سيرهُ عصب او وعاء دموي نتج عن اصابتهِ ضرر حسب اهميتهِ او حجمهِ وكذلك يشتدُّ ضررهُ اذا اصاب جسماً صلباً قبل دخولهِ البدن او عظماً قبل خروجهِ منهُ وتتغير حينئذٍ سعة فتحة الدخول او الخروج او سعتهما كليهما ويتغير سير الرصاصة ايضاً . وفتحة دخولهِ في الاصابات الاعتيادية مستديرة وفتحة خروجهِ شبيهة بشرم بسيط ويقل ضررهُ اذا حفظ غلافهُ سليماً ولذلك اعتاد بعض الجنود ان يزيلوا جزءًا من مقدَّم الغلاف ليسهل تمدُّد الرصاصة ويزيد ضررهُ

ورأى الجرَّاحون ان لا يتعرَّضوا للبحث عن الرصاصة في العمليات الجراحية ما لم تحدث اعراض تستوجب ذلك لانها تخرج من الجسم على الغالب من فتحة يصعب على الجراح الاستدلال عليها واذا بقيت فيهِ تكوَّن لها غلاف من غير ان تهيج الانسجة المجاورة

اللديت Lyddite.

اللديت قنابل صغيرة اشبه بالديناميت يتكوَّن منها عند انفجارها غاز كثيف يتمدَّد سريعاً ويموّج الهواء تمويجاً شديدًا فيقتل الانسان ولو عن مسافة بعيدة بسبب لطم الهواء لجسمهِ ولذلك لا يُرَى في اجسام الذين يقتلون بهِ آثار خارجية كالجروح والرضوض والكسور وانما شوهد في بعضهم انثقاب طبلة الاذن

كلام اجمالي في الجروح

مما يذكر بالشكر للجراحين في هذه الحرب انهم استوفوا وسائط التعقيم ومضادات الفساد

واتقنوا العمل والمعالجة . وقد وجدوا ان الجروح النارية لا يصحبها ألم يذكر حال حصولها ولا تكون الصدمة فيها شديدة ولا يحصل منها نزف كثير ما لم يصب احد الاوعية الدموية الكبيرة وفي هذه الحال يكون النزف الابتدائي قليلاً ولكن يعقبهُ في الغالب نزف ثانوي ولذلك قلما يموت مصاب في ساحة القتال بسبب نزف الدم

وسير الجروح حسن بوجهِ الاجمال وتشفى غالبًا بلا تقيح حتى ان التقيح العميق والتهابات الانسجة الخلوية قلما تحصل وذلك لان الجروح النارية صغيرة جدًّا والرصاص خالٍ من جراثيم الفساد ولا يدفع اجسامًا غريبةً امامهُ الى داخل الجرح اما خلوهُ من جراثيم الفساد فلان طبقة الهواء اللاصقة بهِ تزول عنهُ وقت مرورهِ في البندقية واما دفعهُ للجسم الغريب فموقوف على نوع الملابس التي يخترقها ففي الانسجة المتينة التي تلبسها الجنود الانكليزية عادة تكون الفتحة التي تدخل منها الرصاصة شقًّا منتظمًا واما اذا كان النسيج مرنًا كالفلانلا فقد يمكن ان تدفع شيئًا منهُ امامها الى الجرح . ولا تميل الجروح الى التقيح لان سرعة الرصاصة تمنع النزف الكثير في البداية فلا يفرز من جرحها افراز مصلي بل يبقى جافًا تقريبًا وقد تقدَّم ان الرصاصة تكون معقمة فلا يبقى سبيل الى التقيح

ويُرى مما ذكر ان معالجة الجرحى في هذه الحرب كانت غالبًا على غاية السهولة والبساطة فيغسل الجرح باحد المحاليل المضادَّة للفساد ويوضع عليهِ غيار بسيط ولا بدَّ من ان يكون لنقاوة الهواء في ساحات القتال تأثير شديد في سرعة شفاء الجروح . قال العلاَّمة هتشندن انهُ لم يذكر التاريخ حربًا كانت فيها الجروح سريعة الشفاء وسليمة العواقب مثل هذه الحرب وذلك مما يثبت تقدُّم علم الجراحة في هذا القرن وشدَّة اعتناء الجراحين . وقد ظُنَّ ان كلمة جريح ستنقد بعد الآن المعنى المخيف الذي كان يفهم منها في الحروب السالفة فلا يحسب الجريح بعد الآن مفقودًا من الجيش ولا يعدُّ الجرحى بعد الآن مع القتلى كما كانوا يعدون قبلاً . وقد ثبت الآن ان ثلثي الجرحى ينالون الشفاء التام في اسبوعين . وان اصابات القلب هي الاصابات الوحيدة القتالة وهي سبب وفاة اكثر القتلى . نعم ان اصابات الدماغ شديدة الخطر ايضًا ولكنها لا تنتهي بالموت غالبًا. ولذلك يرجح انهُ اذا صنعت الحكومة دروعًا لجنودها توقى بها قلوبهم قلَّ عدد القتلى وخفَّت ويلات الحروب

جروح الراس

تعدَّدت اصابات الراس في هذه الحرب وكثر اختبار الاطباء فيها فتمكنوا من التوصل الى نتائج مهمة سيكون لها شأن كبير في جراحة الراس متى نشر الجراحون نتائج اعمالهم كلها .

وقد صادفوا نجاحاً عظيماً في معالجة الراس لم يكونوا يؤملونهُ واختلفت الاصابات من بسيطة مسّت الرصاصة فيها الجمجمة مسّاً الى بليغة غارت فيها الرصاصة في الرأس الى اعماق مختلفة او دخلت الراس وخرجت منهُ . ولا يخفى ان جروح الراس لا تخلو من الاهمية مهما كانت خفيفة حتى ولوكانت مقتصرة على الجلد ومعلوم ايضاً انهُ اذا مسّت الرصاصة الجمجمة مسّاً خفيفاً فربما نتج عنها كسور تفتتية بليغة في الصحيفة الباطنة لان الاصابة الظاهرة لا تدلُّ على مقدار الضرر الداخلي. وقد ثبت من الترفنة (فتح عظم الراس) في بعض الحوادث البسيطة ظاهراً وجود ضرر جسيم في الداخل وكان الداعي الى الترفنة ظهور اعراض دماغية . ويحكم الجراحون بوجوب الترفنة في كل اصابات الراس النافذة مهما كانت خفيفة لاستدراك الطوارىء الدماغية التي يمكن ان تطرأ على المصاب ولو بعد شفائهِ لوجود شظية عظمية او نحوها تهيج السحايا ولا يمكن الاستدلال عليها من سير الاصابة مهما كان سيرها حسناً فيكون الالتجاء الى الترفنة من باب التحفظ والاستكشاف قبل مرور الفرصة المناسبة وظهور الاعراض الخطرة التي تنتهي بالموت

وقد صادف الجراحون نجاحاً تاماً في عمليات الرأس الجراحية حتى اصبحوا لا يحجمون عن عملية من هذا القبيل وبقي عليهم ان يروا ما اذا كان الذين يشفون و يعودون الى الخدمة العسكرية يتأثرون من الشمس و يصابون بالرعن (ضربة الشمس) لانهُ ثبت بالتجارب ان الذين يشفون بعد آفة في رؤوسهم يكونون عرضة للرعن في البلاد المعتدلة الحرارة فكيف يكون شأنهم في البلاد الشديدة الحر

وقد شوهد انهُ اذا زاد انحناء سير الرصاصة عند دخولها الراس زاد ضرر الصحيفة الباطنة وقلما تخلو من بعض تفتت مهما انتظم سير الرصاصة ويكون الضرر اشد عند فتحة الدخول منهُ قرب فتحة الخروج . وقد عملت عملية الترفنة في اصابات عديدة بليغة انتهت بنتائج حميدة مثل استرجاع حاسة السمع وزوال شلل الاطراف واعادة النطق

جروح الصدر النارية

مدح الاطباء عموماً سير جروح الصدر النافذة لان شفاءها يتم على الاكثر بسرعة وبلا اعراض على الاطلاق سوى نزف خفيف في بعض الحوادث من غير ان يتكرر . ويندر ان ينتج عنها ارتشاحات بليورية وقد يكون مسلك الرصاصة غريباً في بعض الحوادث ومن ذلك ان عسكرياً اصيب برصاصة في اعلى الترقوة خرجت من الجهة الانسية من الفخذ المقابل والظاهر انها اصابتهُ وهو نائم على بطنهِ واجتازت تجويف الصدر والبطن . واصيب آخر برصاصة اسفل الضلع العاشرة اليسرى فاجتازت امام العمود الفقري بعد ان مستهُ وخرجت من الجهة المقابلة

اسفل الضلع السابعة وقد قال المصاب انهُ لا يذكر من الاعراض المهمة التي شعر بها اثر اصابتهِ سوى شعورهِ بفقد القوة من طرفيهِ السفليين ثم شعر ان القوة تعود اليهِ تدريجًا محجوبة ببعض الم وكان كلما شعر بزيادة القوة ازداد شعورهُ بالالم . وقد تمَّ لهُ الشفاء

جروح البطن النارية

اوضحنا قبلاً ان فتحة دخول رصاص موزر صغيرة جدًّا ويقول تريفس انهُ قد لا يُنتبه لها احيانًا لصغرها

وفي بعض الاصابات نفذت الرصاصةُ الكبدَ او الكلية بلا اعراض مرَضية على الاطلاق ونتج عنها احيانًا انثقاب الامعاء كما علم من وجود دم في الغائط . واصيب احد الضباط برصاصة اجتازت كبدهُ وكليتهُ معًا ولم ينتج عنها سوى تطبُّل جزئي ونزول كمية قليلة من الدم مع البول . ويمكن ان يقال ان جروح البطن تسير سيرًا حسنًا ما لم تكن قد تعددت او يكون قد مضى مدة طويلة على الاصابة قبل ان عولجت . ومن الغريب ان اصابات البطن عديدة جدًّا وقد صعب على اولياء الامر معرفة اسباب ذلك حتى ان اسيرًا قال ان بعض قواد البوير امروا جنودهم ان يصوّبوا رصاصهم الى بطون اعدائهم ظنًّا منهم ان اصابات البطن اشد خطرًا من غيرها ومن امثال اصابات البطن اصابة سمسون الذي اصيب برصاصتين في بطنهِ انتهت بالتهاب بريتوني قبل ان يصل الى معسكرهِ وكانت سببًا لوفاتهِ وعند الكشف وُجدت فتحة دخول رصاصة على ثلاث عقد اسفل السرة وفتحة اخرى في اعلى الحافة الحرقفية اليسرى ظنَّ الاطباء انها فتحة خروج الرصاصة المشار اليها وكان على القرب منها جسم صلب متحرك ظنوهُ شظية عظمية فصلت من حافة العظم الحرقفي ثم ثبت دخول رصاصتين في قسم البطن احداهما ذلك الجسم الصلب الذي حسبوهُ شظية عظمية وقد دخلت هذه الرصاصة من الفتحة التي وجدت قرب السرة وثقبت القولون من غير ان تمس الامعاء الرقاق ووقفت حيث وُجدت واما الفتحة التي وجدت قرب الحافة الحرقفية فهي فتحة رصاصة اخرى وجدت في تجويف البطن ولم تكن فتحة خروج كما ظنها الجراحون اولاً

وقد عدل الاطباء حديثًا عن العمليات الجراحية في اصابات البطن النارية على قدر الامكان للاسباب الآتية وهي

(١) ان اكثر اصابات البطن تنتهي بالشفاء بلا عملية

(٢) ان الفتحة التي تنتج عن رصاص موزر في الامعاء صغيرة جدًّا ويتم شفاؤها بالتصاقها بثنية مجاورة لها من الامعاء

(٣) انهُ يصعب على الجراح الشروع في هذه العملية متى كانت المياه قليلة لا تكفي للنظافة المطلوبة كما هي الحال في جنوبي افريقية

(٤) ان الاصابات قد تكون متعددة وبليغة الى درجة لا يرجى معها شفاء بالعملية

اصابات الحبل الشوكي النارية

كما سُرَّ الجراحون بتقدمهم في معالجة اصابات اعضاء الجسم وتوصلوا الى وسائط تخفف عواقب الاصابات المختلفة وتمنع الطوارئ زادوا يأساً واسفاً لفشلهم في معالجة اصابات الحبل الشوكي. واهم ما لوحظ في هذه الاصابات سرعة التقهقر حتى انهُ في احوال عديدة تظهر القروح على العجز بعد يوم او يومين كذلك الالتهابات المثانية تظهر في وقت قصير ويصل المصاب في ثلاثة اسابيع او اربعة الى حالة شديدة من التقهقر لا تشاهد في المستشفيات الملكية في الاصابات الناتجة عن اسباب خارجية الاَّ بعد مرور اشهر حتى ان اصابات الحبل الشوكي صارت تدرج مع الاصابات المميتة التي لا يرجى منها شفاء . ولاتمام الفائدة انقل بعض تفصيلات من هذا النوع . أُصيب واحد في واقعة ماغرسفونتين برصاصة في ظهرهِ دخلت على محاذة الفقرة السادسة بعيدة اربع عقد عن الخط العمودي القاطع للظهر وخرجت من الجنب الآخر من نقطة تقابل نقطة الدخول فسببت شلل الاطراف السفلى مع فقد الاحساس ولم يمضِ زمن حتى ظهرت القروح على العجز ومراكز أُخرى وتوفي المصاب بعد حصول الاصابة بثلاثة اسابيع مع ان الجرح الخارجي التأم بسهولة. ولدى البحث وجد كسر في الفقرة وشظية منها لا يتجاوز حجمها حجم الحمصة دفعت الى داخل تجويف العمود من غير ان تتمزَّق الام الجافية وكذلك شظايا أُخرى ذات اطراف حادة أُلصقت السحايا بالحبل الشوكي كما بمسامير

وفي بعض الحوادث التي مرت بها الرصاصة قرب الحبل الشوكي من غير ان تمسهُ ظهرت اعراض تشابه ما يحدث من اصابات الحبل الشوكي ولكنها لم تلبث بضعة ايام حتى تحسنت حركة الاطراف وعاد جزء من الاحساس ويمكن ان ينسب ذلك الى تأثير الانسكابات الدموية . وعلى كلٍ فالجراحة قاصرة عن ايجاد العلاج المفيد لهذا النوع من الاصابات

اصابات الاطراف

من الآفات العصبية التي تحصل على اثر اصابات الاطراف النافذة اولاً زيادة الاحساس في الطرف المصاب . ثانياً حدوث اعراض عصبية عميقة حينما لا يقطع عصب ويمكن ان ينسب ذلك الى رض أصاب العصب من مس الرصاصة لهُ اثناء مرورها . وذكر تريفس ان آلة اشعة رنتجن وصلت متأخرة فاستعاض عنها بالمسبر التليفوني وهو دقيق الدلالة جداً

حرب الترنسفال

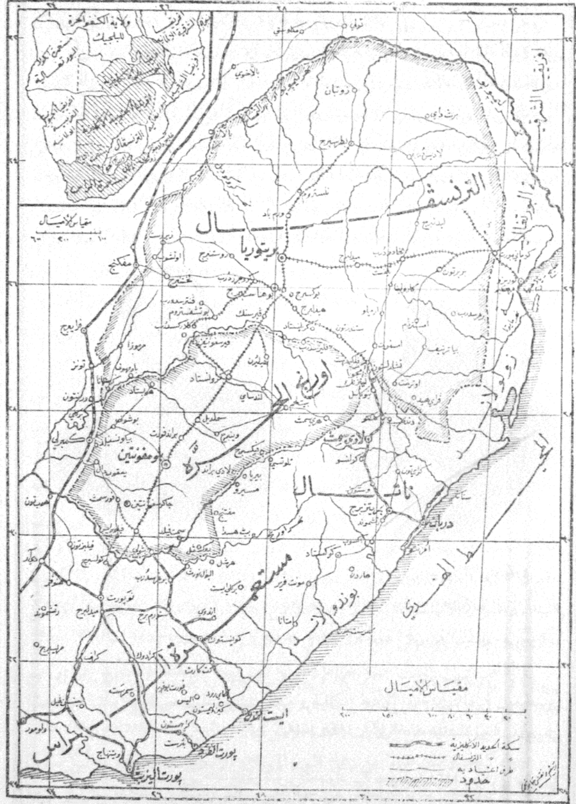
واسبابها

كادت الحرب تضع اوزارها وستبحث فيها المجلاَّت العلميَّة من حيث اسبابها ونتائجها كما بحثت فيها المجلاَّت الطبيَّة من حيث علاج مرضاها وشفاء جرحاها . ولا نطمع ان نجمع في مقالة او مقالات كل مايذكر سبباً لهذه الحرب لا سيما وان كبار الكتَّاب الاوربيين والاميركيين قد كتبوا في ذلك ما لو جُمع لكان منهُ مكتبة كبيرة وانما غرضنا ذكر الاسباب الرئيسة وسنوردها حسب تواريخها موجزين فيها ما امكن

البوير من نسل الهولنديين الذين استوطنوا الطرف الجنوبي من افريقية في القرن السابع عشر وهم منتشرون الآن في مستعمرة الراس وناتال والترنسفال وولاية اورنج الحرَّة ويبلغ عددهم نحو خمس مئة الف نفس نصفهم في مستعمرة الراس والنصف الآخر في سائر الولايات ولهم الكلمة النافذة في حكومة الراس ولوكانت انكليزية ولا شأن لهم في حكومة ناتال واما في الترنسفال وولاية اورنج الحرَّة فهم مستقلون تمام الاستقلال في حكومتهم الداخلية

ولمستعمرة الراس والبلاد المجاورة لها شأن كبير عند البريطانيين لانها توصل بين بلادهم والامبراطورية الهندية الخاضعة لهم فاذا استولى عليها اجنبي تعذَّر عليهم ارسال المدد الى الهند الآ من ترعة السويس وهي اذا غرقت فيها سفينة امتنع السير فيها . هذا فضلاً عن فائدة بلاد الراس والبلاد المجاورة لها ماليًّا لخصب ارضها ووفرة معادنها فان ما يصدر من ولاية الراس الآن تبلغ قيمتهُ في السنة ٢٧ مليونًا من الجنيهات مع ان عدد سكانها نحو مليونين والبيض منهم لا يزيدون على اربع مئة الف نفس . فالبلاد وافرة الخيرات وتحتمل من السكان اضعاف ما فيها الآن . وهي في افريقية خير بلاد تقلُّ الامراض فيها ويوافق الاوربيين هواؤُها

وكان البوير في مستعمرة الراس اولاً ثم هاجر بعضهم منها جنوباً الى ولاية اورنج الحرَّة وذهب بعضهم الى ناتال فاستوطنوها وحدث ذلك سنة ١٨٣٥ وما بعدها ولم تمنعهم حكومة الراس من هذه المهاجرة ولكنها بقيت تحسبهم من الرعايا البريطانيين الى ان رأت منهم الخروج عن طاعتها فحاربتهم في ناتال فهرب اكثرهم من وجهها وعبروا نهر الفال واستوطنوا البلاد التي وراءهُ فسميت الترنسفال وقد فصَّلنا ذلك في العام الماضي كما تراهُ في الصفحة ٨٠٥ وما بعدها من المجلد الثالث والعشرين . وبعد منازعات يطول شرحها اعترفت الحكومة الانكليزية بالاستقلال



خريطة القسم الشرقي من جنوب افريقية وفيهِ بلاد الترنسفال وولاية اورنج الحرَّة وجانب من مستعمرة الرأس . وفي اعلى الصورة رسم جنوب افريقية مصغرًا تظهر فيهِ بلاد الراس كلها وسائر الاملاك البريطانية سوداء اللون وفيها بلاد الترنسفال وولاية اورنج الحرَّة وغيرها بيضاء

لاهالي الترنسفال سنة ١٨٥٢ ولاهالي ولاية اورنج سنة ١٨٥٤

لكن بلاد الترنسفال كانت آهلة بالسكان من الزولو قبل نزول البوير فيها فجاء البوير عليهم واذلوهم فاعتصبوا واصلوا البوير نارًا حامية حتى كادوا يفنونهم فبعثت الحكومة الانكليزية جنودها لانقاذهم وضمَّت الترنسفال الى املاكها برضى البوير انفسهم الاَّ بعض زعمائهم مثل كروجر[١] وجوبر[٢] وبريتوريوس. وذهب هؤُلاء الثلاثة الى بلاد الانكليز بعريضة من البوير يشكون فيها تصرُّف الحكام ويقولون ان بلادهم ضمت الى البلاد الانكليزية على غير رضى اهلها ويطلبون ان يعاد اليها استقلالها فوعدهم ناظر المستعمرات ان ينظر في طلبهم ويزيل اسباب شكواهم فعادوا الى بلادهم واجتمعوا سنة ١٨٧٩ ونادوا بالاستقلال وانتقلت الوزارة حينئذٍ الى غلادستون



(١) كروجر رئيس جمهورية الترانسفال



(٤) ستين رئيس ولاية اورنج الحرة

فاخلدوا الى السكينة حاسبين انهُ ينيلهم مبتغاهم حتى اذا اخذ رجال الحكومة الذين عندهم يجبون الاموال الاميرية منهم جاهروا بالعصيان ونادوا بالحكومة الجمهورية المستقلة تحت رئاسة

(١) هو ستفانوس جونس بولس كروجر رئيس جمهورية الترنسفال ولد بمستعمرة الراس في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٢٥ وهاجر مع الذين هاجروا عبر الفال وكان يقود البوير في حروبهم وانتخبوهُ رئيسًا لهم سنة ١٨٨٢ واعيد انتخابهُ سنة ١٨٨٢ لخمس سنوات واعيد ثانية سنة ١٨٨٨ وكرر انتخابهُ بعد ذلك وانتخب آخر مرة سنة ١٨٩٨

(٢) بترس جاكوبس جوبر قائد جيوش البوير العام ولد في حدود سنة ١٨٣١ وهو الذي تغلب على السر جورج كولي قائد الجنود الانكليزية في واقعة مجوبا ورشح لرئاسة الترنسفال مرتين لكن كروجر فاز عليهِ وهو من القوَّاد المحنكين كما دلت عليهِ معاركة الاخيرة ومن الذين تثق بهم جنودهم ثقة تامة

كروجر وجوبر وبريتوريوس وكان ذلك في ١٦ من دسمبر سنة ١٨٨٠ فعدّت الحكومة الانكليزية البلاد عاصية واجرت فيها الاحكام العرفية وبعثت اليها بقليل من الجنود لردها الى الطاعة فقابلهم القائد جوبر في عدة وقائع وكان الفوز لهُ وحينئذٍ كتب الرئيس كروجر الى الجنرال كولي قائد الجنود الانكليزية يقول لهُ ان لا غرض لهم بمحاربة السلطنة الانكليزية وطلب ان تعرض مطالب البوير على لجنة تحقيق تبحث فيها فاجابهُ الجنرال كولي ان لا بدَّ من ان يلقي البوير سلاحهم قبل تعيين لجنة التحقيق وضرب لهم ميعاداً لذلك ٤٨ ساعة لكن جوابهُ لم يبلغهم الاَّ بعد مضي تلك المدة وكانت ولاية اورنج قد اخذت تظهر ميلها الى الترنسفال فعزم الجنرال كولي ان يضربها الضربة الفاصلة فجمع نحو خمس مئة من رجالهِ وصعد بهم على اكمة مجوبا ليلاً فصعد اليهم البوير في الصباح واثخنوا فيهم ووقع من الجنود الانكليز ٢٨٠ بين قتيل وجريح وقتل الجنرال كولي . هذه هي واقعة مجوبا المشهورة حدثت في السابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٨٨١ . (وفي السابع والعشرين من شهر فبراير الماضي اخذ الانكليز بثارهم من البوير فاسروا الجنرال كرونجي وخمسة آلاف من رجالهِ)

وبعثت الحكومة الانكليزية بالقائد السر اڤلن ود لمحاربة البوير وامرت الجنرال روبرتس ان يستعد لذلك ايضاً لكن غلادستون رأى انهم مستقتلون في الدفاع عن بلادهم وقد يفنون عن آخرهم ولا يسلمون فامر السر افلن ود ان يذاكرهم في امر الصلح حقناً للدماء. ويُقال الآن انهُ أخطأَ في ما فعل ولو شدَّد الوطأَة عليهم لردهم الى الطاعة وكفاهم شر هذه الحرب المتأَججة نارها الآن وزادوا نجاحاً وفلاحاً في ظل الراية الانكليزية . فعُقدت شروط الصلح على ان تكون السيادة لبريطانيا العظمى وهي تدير كل شؤُون الترنسفال الخارجية ويكون لها وكيل مقيم في عاصمتها حتى اذا رأَى من الترنسفال اخلالاً بشروط الصلح استدعى الجنود الانكليزية اليها . ويحمَى سكانها الاصليون ولا يمنع احد من رعايا بريطانيا من السكن فيها. وامضى كروجر وجوبر وبريتوريوس هذه الشروط في ٣ اغسطس سنة ١٨٨١

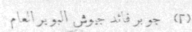
والظاهر ان البوير جهلوا مغزاها وحسبوا انهم قهروا السلطنة الانكليزية كلها او انهم يستطيعون قهرها اذا اخذوا الاهبة الكافية وحينئذٍ يسهل عليهم ضم كل بلاد الراس وجعلها جمهورية كبيرة مستقلة مثل الولايات المتحدة الاميركية

وجاء كروجر واثنان غيرهُ من زعماء البوير الى بلاد الانكليز سنة ١٨٨٤ وطلبوا تعديل شروط الصلح وحدود بلاد الترنسفال من جهة الجنوب الغربي وكانت الحكومة مشغولة بحرب السودان فرضي لورد دربي ناظر المستعمرات حينئذٍ بما طلبوهُ وغُيِرت الشروط ولم يذكر في

الشروط الجديدة انهُ بقيت لانكلترا السيادة على الترنسفال فقال قوم ان السيادة انتفت وقال غيرهم انها لم تكن من الشروط بل كانت مقدمة اساسية لها فلم تغيَّر بتغييرها

وكُشفت مناجم الذهب في بلاد الترنسفال وهرع الناس اليها من كل فج واكثرهم من الانكليز او من رعاياهم وانهال النضار على رجال الحكومة الترنسفالية وكانوا قد وعدوا السر اقلن ولد ان كل اجنبي يستوطن بلادهم يعاملونهُ كما يعاملون ابناء جلدتهم فلما كثر المستوطنون رأوا ان إشراكهم مع الوطنيين في الحقوق السياسية يخرج مقاليد الحكومة من يدهم ويعطيها للغرباء لان الغرباء صاروا اكثر منهم عدداً ولذلك ضنوا بحقوق الانتخاب على من ليس منهم الاَّ





(٢) جوبر قائد جيوش البوير العام

(٣) سسل رودس

بعد ان يقيم في بلادهم اربع عشرة سنة وربطوها بشرائط اخرى يتعذَّر معها اشراك احد غيرهم في حكومة البلاد مع ان الاموال الاميرية ثلاثة ارباعها من هؤلاء المستوطنين وربعها من الوطنيين فهاج المستوطنون وماجوا واكثروا الشكوى والتذمُّر ورأوا انهم لا ينالون حقوقهم ما لم يطلبوها بحد السيف واستعانوا بالمستر رودس [٣] وكان وزيراً لبلاد الراس فبذل جهدهُ في معونتهم ولكنهُ لم يفلح وكأن البوير كانوا يقصدون اخراجهم من بلادهم بكل واسطة فزادوا عليهم ضغطاً وتضييقاً . فبادر الدكتور جيمسن لنجدتهم في غارتهِ المشهورة فاحاط بهِ البوير وبرجالهِ واسروهم وقبضوا على زعماء الثائرين في بلادهم وحكموا عليهم بالقتل ثم ابدلوا الحكم بغرامة

(٣) سسل رودس ولد سنة ١٨٥٣ ودرس في مدرسة اكسفرد الجامعة ومضى الى جنوب افريقية فاحرز فيها ثروة وافرة جدًّا . وجعل رئيساً للوزارة في مستعمرة الراس سنة ١٨٩٠ ثم استعفى سنة ١٨٩٦ على اثر غارة جيمسن ولهُ الشان الاكبر في اخماد ثورة المتابيل وانشاء ولاية رودسيا التي سميت باسمهِ . ولما نشبت الحرب الاخيرة مضى الى كمبرلي وبقي محصوراً فيها الى ان رفع الحصار عنها في الرابع عشر من شهر مارس الماضي

مالية كبيرة وأُرسل جيمسن ورفاقهُ الى بلاد الانكليز فحوكموا وجردوا من رتبهم وسجنوا لانهم اغاروا على بلاد مسالمة لبلادهم

ومن ثمَّ زاد البوير تأهباً واستعداداً وكان شبانهم يتعلمون في مدارس اوربا ويستعدون لانالة بلادهم الاستقلال التام وضم كل بلاد الراس اليها ويتكلمون بذلك سرًّا وجهرًا واموال حكومتهم تنفق على ابتياع البنادق والمدافع وسائر المعدات الحربية يعاونهم في ذلك كثيرون من الاوربيين خفيةً حتى اذا نشبت الحرب ظهر انهم عبأُوا من الجيوش واعدوا من آلات القتال اكثر من الدولة البريطانية

وذهب السر الفرد ملنر الى بلاد الراس سنة ١٨٩٧ حاكماً عاماً فبذل جهدهُ في اقناع البوير ليزيلوا ما يشكو منهُ المستوطنون في بلادهم فلم يفلح واخيرًا اضطرَّ هؤُلاء ان يرفعوا عريضة الى جلالة ملكة الانكليز يشكون اليها امرهم فلم تلتفت اليهم فرفعوا اليها عريضةً ثانية قدَّموها على يد السر الفرد ملنر وشفعها برسالة يقول فيها انهم مظلومون حقيقةً ومحرومون من كل حقوق الرعايا مع ان ثلاثة ارباع مال الحكومة منهم . واشار على الترنسفال ان تشرك المستوطنين في حكومتها اي ان تشركهم في انتخاب النواب لمجلس الشورى فلا يبقى لهم سبيل الى الشكوى . ولما أُبرمت عهدة الصلح سنة ١٨٨١ كانت حقوق الانتخاب تعطى للمستوطن بعد اقامته سنة واحدة في البلاد ثم جُعلت مدة الاقامة خمس سنوات وبعد اكتشاف مناجم الذهب وتقاطر الغرباء جُعلت اربع عشرة سنة واضيفت اليها شروط اخرى تمنع التابعية الترنسفالية

واجتمع السر الفرد ملنر بالرئيس كروجر في بلومفونتين عاصمة ولاية اورنج في شهر مايو الماضي بدعوة من الرئيس ستين[٤] وطلب ان تجعل مدة الاقامة للمستوطنين خمس سنوات فقط حتى يحق لهم الانتخاب فقال كروجر ان المنتخِبين من البوير ثلاثون الفاً فقط فاذا اعطي حق الانتخاب للمستوطنين بلغ عدد المنتخِبين منهم ستين او سبعين الفاً فتصير الاكثرية منهم ويخرج زمام الحكومة من يد البوير. وبعد جدال طويل قبل ان يجعل مدة الاقامة تسع سنوات للمستوطنين الآن في البلاد وسبع سنوات للذين يأتونها بعد الآن وربطها بقيود وشروط تجعل اشراك المستوطنين في الانتخاب ضرباً من المحال فرفض السر الفرد ملنر ذلك. ثم قبل مجلس الترنسفال بجعل

(٤) مرتينوس تنيس ستين رئيس ولاية اورنج الحرَّة ولد في تلك الولاية سنة ١٨٥٧ ودرس فيها وفي هولندا وتعاطى المحاماة مدة ثم عين في منصب القضاء وانتخب رئيساً لولاية اورنج سنة ١٨٩٦ فاحكم عرى الاتفاق بينها وبين الترنسفال وهو الذي دعى السر الفرد ملنر والرئيس كروجر للمذاكرة عندهُ في بلومفونتين عاصمة بلادهِ في شهر مايو الماضي

مدة الاقامة سبع سنوات وتنازل الى جعلها خمس سنوات مشترطاً ان لا تبقى انكلترا مصرَّة على حقوق سيادتها على الترنسفال ولاتجعل تداخلها هذه النوبة سابقةً تجري عليها في المستقبل وترضى برفع بقية الامور المختلف فيها الى مجلس محكمين يحكم بينها وبين الترنسفال ويكون حكمهُ نافذاً . فاجابت انكلترا جواباً يقرب من الرفض التام لهذه الشروط الثلاثة . وزاد الاعتداء على المستوطنين في الترنسفال فاخذوا يهجرونها افواجاً وتوالت المكاتبات بين انكلترا والترنسفال وانكلترا تطلب ان يساوى المستوطنون بالوطنيين في كل الحقوق مثبتة انها انما منحت الاستقلال للترنسفال سنة ١٨٨١ بناء على وعد الترنسفال انها تساوي المستوطنيين بالوطنين والترنسفال تحسب ان غرض انكلترا العبث باستقلالها وتمهيد السبل لضمها الى املاكها فتحاول تقييدها بما يمنع ذلك

وفي السابع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي اقرَّت ولاية اورنج على مساعدة الترنسفال اذا نشبت الحرب بينها وبين الانكليز وعبأت الترنسفال جنودها للحرب وكأنها تحسب ان الامَّة الانكليزية مقسومة حزبين فاذا رغب حزب في محاربتها قاومهُ الحزب الآخر لان لهجة الحزب المقاوم للحرب كانت شديدة وعزائمهُ قوية . وكانت تظن ان بعض الدول الاوربية ينتصر لها وأُقفلت المناجم وكثر المهاجرون . وقبضت حكومة الترنسفال على ما قيمتهُ ثمانمئة الف جنيه من الذهب كانت مرسلة الى انكلترا واعلنت انها استصفت كل ما يُستخرج من مناجم الذهب بعد ذلك الحين تدفع منهُ ما يكفي لاجور العمال ونفقات العمل لا غير وبعثت جنودها الى التخوم واستدعت الرديف وعددهُ خمسة وعشرون الفاً . وفي التاسع من اكتوبر بعثت الى وكيل انكلترا كتاباً تطلب فيهِ . اولاً ان المسائل التي وقع فيها اختلاف بين انكلترا والترنسفال تحل بالتحكيم او بواسطة أُخرى يتفق عليها . ثانياً ان تسترد انكلترا جنودها التي على تخوم الترنسفال حالاً . ثالثاً ان النجدات التي جاءت الى جنوب افريقية بعد غرة يونيو تعاد منهُ في وقت قريب يتفق عليهِ بين الحكومتين . رابعاً ان الجنود البريطانية التي لم تزل في البحر لا تنزل منهُ الى البر في جنوب افريقية . وطلبت الجواب يوم الاربعاء في ١١ اكتوبر حتى الساعة الخامسة بعد الظهر او قبل ذلك . وقالت انها اذا لم تجاوَب جواباً يرضيها في هذا الميعاد فيكون ذلك بمثابة اشهار الحرب ولا تكون هي مسؤولة عن نتائجها . فكان جواب الحكومة الانكليزية انها لا تستطيع ان تبحث في مطالب الترنسفال هذه

وللحال دخلت جنود البوير ناتال بقيادة الجنرال جوبر وحوصرت مفكينج وكمبرلي في التخوم الغربية ودارت رحي الحرب فكانت الدائرة فيها اولاً على الجنود الانكليزية في كثير من المعارك

واستولى البوير على جانب كبير من ناتال وشدَّدوا الحصار على لادي سميث . ثم كثر حشد الجنود الانكليزية وأُرسل الجنرال اللورد روبرتس والجنرال اللورد كتشنر فانقذا مدينة كمبرلي وحصرا الجنرال كرونجي واضطراهُ الى التسليم مع خمسة آلاف من رجالهِ وكان ذلك في السابع والعشرين من فبراير اي في مثل اليوم الذي جرت فيهِ واقعة مجوبا . واضطرَّ البوير حينئذٍ ان يعودوا الى بلادهم ويرفعو الحصار عن مدينة لادي سميث واحتلت الجنود الانكليزية مدينة بلومفونتين عاصمة ولاية اورنج الحرَّة

وفي الخامس من شهر مارس (اذار) بعث رئيس الترنسفال ورئيس ولاية اورنج الحرة التلغراف الآتية ترجمتهُ الى اللورد سلسبري

بلومفونتين في ٥ مارس ١٩٠٠

ان دماء الالوف من الذين قاسوا الاهوال في هذه الحرب والدموع التي يذرفها الالوف منهم واخطار الخراب الادبي والمادي التي تتهدد جنوب افريقية توجب على الفريقين المتحاربين ان يسألا نفسيهما سؤال من اطَّرح الهوى ووقف امام العرش الالهي لماذا هما يتحاربان وهل غاية كل منهما تبرر هذا الشقاء الآكل والخراب الشامل

فبالنظر الى ذلك والى قول جماعة مختلفين من اعضاء البارلمنت البريطاني ان الابتداء بهذه الحرب والسير فيها انما كانا قصد تقويض سلطة جلالة الملكة في جنوب افريقية واقامة حكومة على جنوب افريقية كلهِ مستقلة عن حكومة جلالتها نرى الواجب علينا ان نجاهر على رؤُوس الاشهاد ان الابتداء بهذه الحرب انما كان قصد الدفاع لنكون على ثقة من حفظ الاستقلال للجمهورية الافريقية الجنوبية (اي الترنسفال) لمَّا بات استقلالها مهددًا وان السير في تلك الحرب انما كان للثقة بحفظ استقلال الجمهوريتين الذي لا ينازع فيهِ بحيث تكونان دولتين كالدول القائمة برأسها وللثقة بان رعايا جلالة الملكة الذين شاركونا في هذه الحرب لا يصيبهم ضرر لا في اشخاصهم ولا في اموالهم

فعلى هذه الشروط — وعليها وحدها — نحن نروم الآن ما كنا نرومهُ في الماضي وهو ان يعود السلم الى جنوب افريقية ويبطل الشر السائد الآن عليها . اما اذا كانت حكومة جلالة الملكة مصممة على ملاشاة استقلال الجمهوريتين لم يبقَ لنا ولشعبنا الاَّ الثبات على السبيل الذي سرنا فيهِ حتى نبلغ نهايتهُ وان تكن الامبراطورية البريطانية ترجح علينا رجحانًا عظيمًا لاننا واثقون ان الله تعالى الذي اضرم نار حب الحرية التي لا تطفأُ في قلوب آبائنا لا يتخلى عنا بل يتم عملهُ فينا وفي اولادنا من بعدنا

ولقد كنا نتردد عن قول هذا القول لفخامتكم فيما مضى لان كفتنا كانت هي الراجحة وجنودنا محتلة مواقع الدفاع داخل مستعمرات جلالتها فكنا نخشى ان قولنا هذا يجرح حاسة العزة والانفة في الامة الانكليزية اما الآن وقد تأكدت الامبراطورية البريطانية ان نفوذها محفوظ بأسر جنود جلالة الملكة لقوة من قواتنا وباضطرارنا على اثر ذلك الى اخلاء مواقع أُخرى كنا احتللناها فقد اندفع ذلك المحذور ولم نعد نتردد عن اخبار حكومتكم وامتكم امام العالم المتمدن كلهِ ما هو قصدنا من الحرب وعلى اي شروط نحن مستعدون لرد السلم

وهذه ترجمة التلغراف الذي ارسلهُ اللورد سالسبري الى رئيسي الجمهوريتين في جنوب افريقية

نظارة الخارجية في ١١ مارس ١٩٠٠ .

اني اتشرف باعلام سعادتكما بوصول تلغرافكما المؤرخ في ٥ مارس من بلومفونتين وجلّ فحواهُ انكما تطلبان من حكومة جلالة الملكة ان تعترف باستقلال الجمهورية الافريقية الجنوبية وجمهورية اورنج الحرة الذي لا ينازع فيهِ بحيث تكونان دولتين مثل الدول القائمة برأسها وتعرضان ان تنتهي الحرب على هذا الشرط . ففي اول اكتوبر الماضي كان السلم محفوظاً بين جلالتها وبين الجمهوريتين . وبناء على الاتفاقات المبرمة بين الفريقين دارت المناقشة قبل ذلك باشهر بين حكومة جلالتها وبين الجمهورية الافريقية الجنوبية قصد انصاف البريطانيين الساكنين في تلك الجمهورية لابطال شكاويهم من امور ذات بال كانوا يشكون منها ويتظلمون. ثم ان الجمهورية الافريقية الجنوبية اكثرت من التأهب واقتناء الاسلحة والعدد في خلال تلك المناقشة وعلمت ذلك الحكومة الانكليزية فاحتاطت بتدبير المدد اللازم لحامية مدينة الراس وحامية ناتال ولم يتعدَّ البريطانيون الى ذلك الحين حقًّا من الحقوق المقررة في الاتفاقات فما كان من الجمهورية الافريقية الجنوبية الاَّ ان اصدرت الى جلالتها بلاغاً نهائيًّا مهيناً واعلنت الحرب عليها فجأة بعد مهلة يومين . وكذلك ولاية اورنج الحرة فانها فعلت فعلها على حين انهُ لم يكن بينها وبين حكومة جلالتها جدال ولا مناقشة وبادرت الجمهوريتان فاغارتا على بلاد جلالتها في الحال وحاصرتا ثلاث مدن داخل حدود جلالتها وجاستا خلال جانب متسع من مستعمرتينا فخرَّبتا فيها الاملاك وأهرقتا فيها الدماء الكثيرة وادَّعتا انهُ يحق لهما ان تعاملا سكان قسم متسع من بلاد جلالتها كأن تلك البلاد قد ضمت الى املاكهما . وقد استعدت الجمهورية الافريقية الجنوبية لذلك كلهِ قبل وقوعهِ بانها اكثرت من اذخار الذخائر الحربية مدة سنين كثيرة ومقتضى ذلك الاذخار استعمال تلك الذخائر في محاربة بريطانيا العظمى دون غيرها

نعم ان سعادتكما تقولان اقوالاً نافية لانكار ان هذا هو الغرض المقصود من ذلك التأهب والاذخار على اني لا ارى لزوماً للمناقشة في هذه المسألة التي فتحتماها وانما اقول ان نتيجة ذلك التأهب الذي جرى في غاية من السر والكتمان كانت انها اضطرت الامبراطورية البريطانية لرد تلك الغارة الى تحمل مشقات حرب كثيرة النفقات وخسارة الوف من النفوس العزيزة الثمينة

فهذه المصيبة العظيمة كانت جزاء بريطانيا العظمى على رضاها بوجود الجمهوريتين في السنين الاخيرة فبالنظر الى استعمال الجمهوريتين لهذه الحالة التي منحت لهما وبالنظر الى المصائب والنكبات التي تأتت عن هجومهما على بلاد جلالتها بلا علة ولا موجب لا يسع حكومة جلالتها الاّ ان تجيب سعادتكما على تلغرافكما بقولها انها غير مستعدة لقبول استقلال الجمهورية الافريقية الجنوبية (اي الترنسفال) ولا استقلال ولاية اورنج الحرة . انتهى

وعادت الحرب الى ما كانت عليهِ ولا تزال نارها محتدمة ونحن نكتب هذه السطور في ٢٤ مارس



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ابن المقفَّع

حضرة الفاضلين

قرأت في باب المسائل في المقتطف الاخير ما يتعلق بابن المقفع وهل كان مسلماً او نصرانياً وما أُختلف فيهِ من ذلك والذي اعلمهُ من كتب التاريخ العربي الموثوق بها انهُ كان مجوسياً ثم اسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح الخليفة العباسي واختص بهِ وصار كاتبهُ على انهُ اتُّهم بعد ذلك بالزندقة في دينهِ غير انهُ لم تثبت عليهِ . هذا ما ثبتُ في نقلهِ والله اعلم

مصر مصطفى لطفي المنفلوطي

ابن المقفع

حضرة صاحبي المقتطف الفاضلين

اطلعت في الجزء الاخير من المقتطف على سؤَال لاحد أُدباء بغداد يستقصي فيهِ عن بعض شؤُون عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور ومأخذ ترجمتهِ لكتاب كليله ودمنه ومن ذلك معرفة حقيقة دينهِ هل كان مسلماً او نصرانياً فقد اشكل على السائل ما كان يدين بهِ ابن المقفع اذ جاء في ترجمتنا لهُ في طبعة الدرة اليتيمة ما يقضي بكونهِ مسلماً حال كون صاحب مجاني الادب يصفهُ مع شعراء النصارى وخطبائهم . وقد جاوبتموهُ بان الفقرة المتعلقة بذلك من مجاني الادب تدل على كونهِ نصرانياً وان لم يكن ثمة دليل قاطع وانهُ من شرح المجاني لا يستفاد شيء لا ما يؤَيد هذا ولا ذاك على ان المقتطف يميل في مسأَلة تاريخية كهذه الى الاخذ بقول اصحاب المجاني اذ كان عندهم مكتبة واسعة يسهل عليهم بها تحقيق المسائل المختلف فيها اكثر من سواهم

ولم اكن الاَّ لاصدّق هذا الرأْي ليس فقط بالنظر الى سعة مكتبة حضرات الآباء بل الى سعة معارفهم التي تعيها صدورهم حال كون بضاعتنا مزجاة وعجزنا بيناً على ان البحث من دأب المقتطف مهما يكن من غرابة السؤَال اذ كان المقصود هو بلاغة الرجل وادبهِ كيف كانت كيفية تعبدهِ لله تعالى فنبحث في هذه القضية بقصد مجرد التحقيق ولتعلقها بعقيدة رجل كبير فنقول

ورد في وفيات الاعيان لابن خلكان في ترجمة ابن المقفع انهُ من اهل فارس وكان مجوسيا فاسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور العباسيين ثم كتب لهُ واختصَّ بهِ الى ان قال في كيفية اسلامهِ قال الهيثم بن عدي جاء ابن المقفع الى عيسى بن علي فقال لهُ قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك فقال لهُ عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر ثم حضر الطعام عشية فجلس ابن المقفع يشرب ويزمزم على عادة المجوس (والزمزمة عند العرب تراطن العلوج على اكلهم وهم صموت لا يستعملون لساناً ولا شفة ولكن صوت يديرونهُ في خياشيمهم) فقال لهُ عيسى اتزمزم وانت على عزم الاسلام فقال كرهت ان ابيت على غير دين فلما اصبح اسلم على يدهِ قال وكان ابن المقفع على فضلهِ يتَّهم بالزندقة فحكى الجاحظ ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون في دينهم قال بعضهم كيف نسي الجاحظ نفسهُ انتهى

وكتب البارون دساسي ترجمة لابن المقفع في مقدمة كليله ودمنه الذي طبعهُ ذكر فيها في الصفحة الحادية عشرة ان ابن المقفع ولد مجوسياً وبقي مدة على دين المجوسية ثم اسلم على يد عيسى بن علي العباسي ثم قال لكنهُ كان يتهم بالزندقة والميل الى معارضة القرآن. هذا كلام دساسي ولا نعلم الكتب التي اعتمد عليها في هذه الترجمة ولكن مقام الرجل في التدقيق اشهر من ان يخفى

ثم راجعنا ما كتبهُ صاحب مجاني الادب في الجزء الرابع صفحة ٣٠٨ فوجدنا في الحاشية ذكر ابن المقفع بين فصحاء النصارى بدون ايراد السند لذلك فسألنا حضرة الفاضل العامل الاب لويس شيخو عن مأخذ هذا القول فاجاب انهُ اطلع عليهِ في كتاب لا يتذكرهُ الآن وشفع الاب ذلك بقولهِ ان هذا قول من جملة الاقوال لا يلزم القطع بهِ . فطالبناهُ مع ذلك بايراد النص الذي رآهُ فوعدنا بهِ عند العثور عليهِ. ثم راجعنا دساسي وغيرهُ وشرح المجاني مع حضرة الاب فلم نجد سوى ان الرجل كان مجوسياً واسلم وانهُ كان يرمى بالزندقة وهي تهمة لم تثبت صحتها وكم لهُ فيها من شريك

ولا يخفى ان ابن خلكان وان كان غير معصوم فهو عمدة في التراجم يرجع الاكثرون الى اقوالهِ وان الهيثم بن عدي الذي نقل عنهُ كيفية اسلام الرجل كان علماً في الرواية والاخبار وانساب الناس واصولها مشهوراً بهذه المسائل ولهُ التصانيف العديدة وعليهِ فيلزمنا جدلاً الاخذ بقولها وبقول دساسي بعدهما ما لم يقم على خلاف ذلك دليل يرجح على هذا الدليل او يعادلهُ على الاقل فاما ورود قول من الاقوال في كتاب لا نعرفهُ الى الآن فلا يصح ان تقابل بهِ اقوال الثقات ممن اشرنا اليهم خصوصاً وان حضرة الاب نفسهُ لا يجزم بصحة ذلك القول . وليس اختلاف الروايات في نسب رجلٍ او دينهِ او سنة مولدهِ او وفاتهِ حتى في اقوالهِ وآثارهِ بامر نادر الوقوع وهذه الدرة اليتيمة في مسئلة اي كتابٍ هي اختلاف كثير حتى ان مرثية لابن المقفع في ابي عمرو بن العلاء اختلف بين ان تكون لعبدالله او لولدهِ محمد بن عبدالله ابن المقفع وانما يعول الناس على القول الاصح الاشهر في هذه المسائل كلها ولا عبرة بالاقوال الضعيفة خصوصاً ان جاءَت مجردة من الدليل فان ورد في كتاب كرشوني مثلاً ان الخليفة المأمون تنصَّر قبل وفاتهِ على يد ابن بختيشوع لم يلزم من ذلك ان الخليفة عبدالله المأمون العباسي توفي نصرانياً والذي عليهِ جمهور المؤرخين كونهُ مسلماً وقد مات مسلماً. هذا ما عنَّ لنا ايرادهُ في هذه القضية وانتم ترون اننا تحرَّينا الحقيقة ما استطعنا واننا مع ضيق مكتبتنا لم نكن بعيدين عن الصواب

بيروت شكيب ارسلان

(المقتطف) نشكر لحضرة الكاتب المحقق الامير شكيب ارسلان على ما اتحفنا بهِ من الشرح الوافي في هذا البحث والانصاف الذي ما فوقهُ انصاف في المناظرات العلمية . وكنا نعتقد ان حضرة الاب شيخو لم يذكر ما ذكرهُ عن ابن المقفع مع اشتهار ما كتبهُ ابن خلكان وغيرهُ الاَّ لانهُ بحث ودقق في مظان كثيرة فوجد فيها ما يرجح الرواية التي اوردها لاسيما واننا كنا نميل الى تصديق هذه الرواية للاسباب الآتية وهي

اولاً ان ما اطلعنا عليهِ مما كتبهُ ابن المقفع لا يدل على انهُ كان مسلماً او انهُ كتبهُ بعد اسلامهِ. وثانياً انهُ كان من افضل الكتاب والمترجمين وحسبهُ فضلاً ترجمتهُ لكتاب كليله ودمنه ولكثير من كتب ارسطوطاليس وغيرهِ في المنطق قال ابن ابي اصيبعة انهُ "ترجم من كتب ارسطوطاليس كتاب قاطيغورياس وكتاب باريمنياس وكتاب انالوطيقا وترجم مع ذلك المدخل الى كتب المنطق المعروف بايساغوجي فرفوريوس الصوري . . . ولهُ ايضاً تآليف حسان منها رسالتهُ في الادب والسياسة ومنها رسالتهُ المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان "وفاضل مثل هذا يبعد ان يتهم بالزندقة حسبما يفهم بها عادة اذا كان مسلماً

وثالثاً اننا نفهم بالزندقة مذهب الفرس المعروف بالمزدية او بالزروسترية وكان شأن هذا المذهب ضعيفاً جداً في عهد ابن المقفع وكان كثيرون من علماء الفرس قد اعتنقوا الديانة المسيحية من ايام كسرى انوشروان حتى ان ابن كسرى تنصرعلى يد اسقف تكريت . نعم ان اباهُ اغتاظ من ذلك والقى الاسقف في السجن لكنهُ اباح لتلامذتهِ ومريديهِ ان يترددوا عليهِ وهو في السجن. ثم لما عُقد الصلح بين كسرى والروم كان من شروطهِ ان تطلق الحرية التامَّة لنصارى الفرس ولما خلف كسرى ابنهُ هرمزد الرابع على كرسي الفرس تقدَّم اليهِ المرازبة وطلبوا منهُ ان يقصي النصارى ويمنع رفدهُ عنهم فاجابهم بما ترجمتهُ " ان عرشنا لا يقوم على قائمتين فقط من قوائمهِ الاربع وكذلك سلطاننا لا يثبت اذا انتقض علينا النصارى من رعايانا فكفُّوا عمَّا تتهمونهم بهِ واتبعوا صالح الاعمال لكي يروا اعمالكم الصالحة فينسبوا الفضل الى دينكم ويقبلوا عليهِ "

فاذا اتضح ان الزندقة هي ديانة المجوس عينها وان كثيرين من علماء المجوس تنصروا او مالوا الى النصرانية حتى في زمن الاضطهاد الشديد وان شأن المجوس ضعف جداً بعد الاسلام وكان شأن النصارى ارفع من شأنهم كثيراً وان ابن المقفع كان يعرف اليونانية وقد ترجم منها كتب الفلسفة ولا يستدلُّ من كتبهِ على اسلامهِ توجه الظن بانهُ كان مسيحياً . ولا يُعترَض على ذلك الاَّ بالنصِّ الذي ذكرهُ ابن خلكان وهو انهُ كان مجوسياً فاسلم فاذا عورض

بالنص الآخر الذي اشار اليهِ الاب شيخو وكان هذا النص اقوى اسانيد من نص ابن خلكان ترجح القول بانهُ كان مسيحيًّا . اما وقد خيَّب اصحاب المجاني ظننا فلا بدَّ من الاعتماد على رواية ابن خلكان الى ان يؤيدوا روايتهم باسانيد اقوى مما اوردهُ

انتقاد ادبي

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الأَغر

فهمت من مطالعة الرسالة المدرجة في الجزء الثالث من مجلتكم الغراء تحت عنوان "صحة الحوامل" أَن كاتبتها تخاطب شخصًا كانت أَحبتهُ فاختارتهُ خلاًّ لها وقرينًا وبعد ان حملت منهُ قيّدت بقيود بعض المصايب التي دعتها لان تنفك عنهُ اي عن اختيار خلتهِ واقترانها بهِ . ويظهر كأَنها تخيلت مما كتبهُ لها انهُ يأْسف على تربية ابنهِ بعيدًا عنهُ فطيبت خاطرهُ وعاهدت نفسها على صرف كل جهدها في تربية هذا الحمل بعد وضعهِ باحسن التربية آملة التشبه بنساء الولايات المتحدة وغيرهنَّ

وقد يعجب الانسان بمثل هذه المعاني كيفما كان مصدرها ومهما كانت كاتبتها لكنهُ ينذهل من ادراج هذه الرسالة في مجلتكم العلمية التي تبث روح الادب في العالم الشرقي . وذلك لما يفهمهُ او يتبادر الى ذهنهِ منها من تعرض هذه الفتاة للحمل بغير عقد شرعي كما هو ظاهر اذ لو كان بعقد لما صح انفكاكهُ ولو انفك فلا يكون الاَّ بامور منها وفاة الزوج وذاك الرجل كان حيًّا ومنها خيانة الزوجة وهذا مساوٍ للاقتران بغير عقد شرعي

فان كان المفهوم من هذه الرسالة غير ما ذكرتهُ فارجو ان تكرموا بايضاحهِ في الجزء التالي

احمد صادق

بالامول المقررة بالمالية

(المقتطف) لا محل للظن الذي ظننتموهُ وبعض الظن اثم فان الرجل المشار اليهِ في الرسالة زوج شرعي للمرأَة وقد بعدت عنهُ اضطرارًا وايضاحًا لذلك ننقل لكم طرفًا مما ذكرهُ المترجم في صدر هذه الرسائل مخاطبًا بهِ حضرة صاحب المنار قال

لما رأَيت ان مجلتكم التي هي مجنى الفوائد العلمية وملتقى الشوارد الحكمية قد وسعت في صفحاتها مكانًا لنشر ما يختص بالتربية والتعليم ورأَيتكم تنتقون من ذلك اقوم الطرق واجلها اثرًا رجوت ان تتفضلوا عليَّ بتخصيص موضع وان صغيرًا منها أُقدّم فيهِ لقراء هذه المجلة كتابًا جليلاً في التربية العملية انا مشتغل بنقلهِ من الفرنساوية الى العربية واود نشرهُ فيها تباعًا والكتاب

من تصنيف الحكيم المربي الفونس اسكيروس سماهُ (أميل القرن التاسع عشر) عارض بهِ الحكيم الشهير جان جاك روسو في كتابهِ المؤلف في التربية المسمى (أميل القرن الثامن عشر)

هذا الكتاب النفيس حكى فيهِ مؤلفهُ حكاية زوجين فرنساويين قضى عليهما الله بالتفرق لسجن الزوج في فرنسا بسبب جريمة سياسية على ما يظهر واغتراب الزوجة في انكلترا وقد شعرت الزوجة في اوائل ايام الفراق انها حامل فاخذت تكاتب زوجها ويكاتبها في طرق التربية اللازم اتباعها في شأن الولد وقد تضمنت هذه الرسائل من تلك الطرق اصحها واكفلها بوصول الانسان الى السعادة ولا اريد ان اطيل في وصفها ففي الاطلاع عليها غناء

وفي هذا المقام يجب عليَّ ان اخلص الشكر لحضرة الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فانهُ حفظهُ الله هو الذي نبهني الى هذا الكتاب المفيد وحثني على ترجمتهِ ونشرهِ كما هو شأنهُ في الارشاد الى كل ما ينفع الامة والوطن فجزاهُ الله عنهما خير الجزاء

عبد العزيز محمد

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر ابريل ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم الصبح الشهر كلهُ ويتم حركتهُ المتقهقرة ثم يظهر ثابتاً بين الكواكب في ٦ منهُ الساعة ٤ بعد الظهر ويعود فيتجه شرقاً بعد ذلك وسيرهُ في برج الحوت ويمرُّ بالعقدة النازلة في ٩ الشهر الساعة ٨ صباحاً ويمرُّ بنقطة الذنب في ١٧ الساعة ١ بعد الظهر ويبلغ تباينهُ الاعظم وقدرهُ ٢٧° ١٩َ دقيقة غرباً في ٢٢ الشهر الساعة ٥ صباحاً . ويرى قبل ذلك باسبوع وبعدهُ باسبوع بالعين المجرد قبل الشروق ويقترن بالمريخ في ٣ الشهر الساعة ٥ بعد الظهر فيقع حينئذٍ شمالي المريخ ٢° و٧َ

الزهرة

تكون الزهرة نجم الغروب فتزداد اشراقاً وظهوراً حتى تلقي للاشباح ظلاً في الليالي غير المقمرة ومسيرها في برج الثور وتمر جنوبي الثريا في اوائل الشهر وتبلغ نقطة الرأس في ٢ منهُ

الساعه ١٠ صباحاً وتبلغ عرضها الشمسي الاعظم في ٢٤ منهُ الساعة ١ مساءً . وتباينها الاعظم وقدره ُ ٤٥° ٣٠َ شرقاً في ٢٩ منهُ الساعة ٢ صباحاً

المريخ

يكون المريخ نجم الصبح ولكن تعسر رؤيتهُ لقربهِ من الشمس ومسيره ُ في الحوت شرقاً و يقترن بعطارد في ٣ الشهر الساعة ٥ بعد الظهر

المشتري

يكون المشتري نجم الصبح ولكنهُ يشرق الساعة ٩ مساءً او قبلها ويتحرك حركة متقهقرة (غرباً) في برج العقرب شمالي قلب العقرب فيكون منظرهما حينئذٍ جميلاً

زحل

يكون زحل نجم الصبح فيشرق قبل نصف الليل ويتحرك حركة مستقيمة (شرقاً) الى ١٤ الشهر الساعة ٩ صباحاً فيظهر حينئذٍ ثابتاً بين الكواكب ثم يبتدئ بالحركة المتقهقرة وسيره ُ في برج الرامي

اقتران القمر بالسيارات

اليوم	الساعة		
٠٣	٣	صباحاً	يقترن بالزهرة فتقع ٤٦َ دقيقة شماليهُ
١٨	٧	مساءً	" بالمشتري فيقع المشتري ١° و٣َ شماليهُ
٢٠	٥	"	" بزحل فيقع زحل ١° و ٣َ جنوبيهُ
٢٧	٣	"	" بعطارد فيقع عطارد ٧° ٥٣َ جنوبيهُ
٢٧	٩	"	" بالمريخ فيقع المريخ ٥° ٢٩َ جنوبيهُ

اوجه القمر

اليوم	الساعة	الدقيقة		
٠٦	١١	٠٠	مساءً	الربع الاوَّل
٠٥	٣	٠٧	صباحاً	البدر
٢٢	٤	٣٨	مساءً	الربع الاخير
٢٩	٧	٢٨	صباحاً	الهلال
١١	١٢	١١	مساءً	الحضيض
٢٧	٠٧	٠٥	صباحاً	الاوج



بقية جوائز المعرض

الحبوب

جائزة العدس البحيري أُعطيت لمحمد السيد والعدس الصعيدي لعلي بك شعراوي. والدخن لعثمان باشا عبد الحميد. والفول السوداني الاولى لعمر بك مراد والثانية للبرنس عمر طوسن وشهادة لامين بك الشمسي. وبزر الكتان الاولى لامين بك الشمسي والثانية لاحمد بك الشريف. والسمسم الابيض لعمر بك مراد. والاسمر الاولى للدائرة السنية والثانية لعمر بك مراد. والحلبة الاولى لعلي بك شعراوي والثانية للدائرة الخاصة. وحب البرسيم البعلي للدائرة الخاصة وحب البرسيم المسقاوي الاولى لرياض باشا والثانية لبوغوص باشا نوبار. وحب البرسيم الحجازي الاولى للخواجه انطون صباغ والثانية لبوغوص باشا نوبار وشهادة لمدرسة الزراعة. واللوبياء الاولى لعلي بك شعراوي والثانية لمحمد السيد

القطن

القطن الاشموني لخليل بك لطفي

الميت عفيف من القليوبية الاولى للدائرة الخاصة والثانية لخليل باشا فوزي. ومن الدقهلية الاولى لاسمعيل بك حافظ وشهادة لبوغوص باشا نوبار ومتولي محمد عيسى والثانية للخواجه انطون صباغ وابي نافع بك وعثمان بك سليط. ومن الشرقية الاولى لمحرَّم باشا سامي ودائرة القطر العالي والثانية لعبد الرحمن افندي نصير وادريس بك راغب وامين بك الشمسي وشهادة لحسين باشا واصف وادهم باشا وحلمي افندي والبرنس حميده هانم والبرنس ابرهيم حلمي. ومن الغربية الاولى لابرهيم افندي بهجت والثانية لوزيان بك وعبد الفتاح افندي البردي وبوغوص باشا نوبار واحمد بك ناصف ومصري افندي خضر. وشهادة لعبد المجيد بك العبد واحمد بك ابي الفتوح. ومن المنوفية الاولى لمحمد بك ابي جازية وعبد الله افندي ابي مصطفى والثانية لمصري افندي ابي جازية. وشهادة لمحمد بك ابي حسين. ومن البحيرة الاولى لدائرة القصر العالي والثانية لاسمعيل بك دبوس ومحمد بك حبشي

والقطن العباسي من القليوبية للدائرة الخاصة. ومن الدقهلية شهادة للبرنس فاطمة هانم

ومن الغربية الاولى للدائرة الخاصة والثانية للبرنس كمال الدين . ومن المنوفية لمحرم باشا سامي والبرنس حسين باشا

واشكال جديدة من القطن الينوفتش الاولى لراتب باشا والبرنس حسين والثانية للبرنس كمال الدين والبرنس حسين ورياض باشا

السكر وقصب السكَّر

سكر القصب وسكر البنجر معمل تكرير السكر المصري

قصب السكر الاولى معمل تكرير السكر المصري وعلي بك شعراوي والثانية شركة الاراضي والسكر

عسل السكّر الثانية لعبد الحميد افندي اباظه

مواد شتى

احسن مجموعة علف . دبلوما لبوغص باشا نوبار

البطاطس. الاولى لبيومي بك والثانية لعلي افندي سيد ودبلوما لمدرسة الزراعة. البطاطس الصالح للتصدير الاولى للمسيو ميشل ده زغيب والثانية للمستر تيلر

البصل. الاولى لمحمد افندي مصطفى والثانية لصالح افندي محمد ومحمد افندي سيد احمد

الطماطم. الاولى للمستر تيلر والثانية لعلي سيد ودبلوما لحسن علي بيومي

الزبدة. الاولى للمسيو انطون قسطنطينيدس والثانية لحسن افندي قطري

السمن . الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية لمدرسة الزراعة

الكريمه. الاولى لحسن افندي قطري

الجبن المصري. الاولى لمدرسة الزراعة والثانية لبوغوص باشا نوبار

القشدة. لمدرسة الزراعة وعبد المجيد ابي جازيه

عسل النحل. الاولى لشركة الكوم الاخضر الفرنسوية المصرية وشهادة لخليل باشا فوزي

شمع العسل. الاولى لخليل باشا فوزي وشهادة للشركة الفرنسوية المصرية

الصوف. الاولى لدائرة درانت باشا والثانية للدائرة الخاصة

الحرير. الاولى بوغوص باشا نوبار

والظاهر انهُ لم تعطَ جوائز للتمر ولا لمواد الصبغ . وسنعود الى وصف الآلات والادوات التي عُرِضت في هذا المعرض وما أُعطيت من النياشين وفائدة عرضها فيهِ لاصحابها ولارباب الزراعة عموماً

مسس اورمرُد

قرأنا في الجرائد الاوربية ان مدرسة ادنبرج الجامعة منحت رتبة الدكتورية في الشرائع والآداب لمسس اورمرد اشهر علماء علم الحشرات اعترافاً بفضلها على اهل الزراعة في العالم اجمع وهي مؤلفة الكتاب المشهور في الحشرات الضارة بالزراعة . والمرشد في حياة الحشرات . وكتاب التعليم في علم الحشرات الزراعي . والحشرات الضارة في جنوب افريقية والتقارير السنوية عن الحشرات الضارة من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٩٧ والحشرات التي تتلف الجنائن والانجم

فيضان النيل

جاءت الانباء عند كتابة هذه السطور مبشرة بارتفاع مياه النيل ٤٥ سنتمترًا في فشودا في نحو ١٢ يوماً فرأينا ان نكتب هذا الفصل في سبب فيضان النيل وقد جمعنا حقائقهُ من كتاب المستر ولكوكس

البلدان التي تجري مياهها الى النيل والانهر الصابّة فيهِ تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين و ١١٠ آلاف كيلو متر مربع وتهطل الامطار على هذه البلدان فتكون في بعضها غزيرة تبلغ متراً ونصف متر في السنة وفي بعضها قليلة تبلغ نصف متر او اقل ومجموع المطر الذي يهطل عليها في السنة يبلغ ٢٢٨٢ الف الف متر مكعب . والاعتماد في الفيضان على نهر السُّبَت والبحر الازرق والاتبرة . وفي مدد المياه بقية السنة على البحر الابيض

ويختلف الزمن الذي تهطل فيهِ الامطار فهو عند البحيرات الاستوائية من شهر فبراير (ش) الى نوفمبر (ت ١) واكثره في ابريل واكتوبر . وفي لادو من ابريل الى نوفمبر ويكون اغزره في اغسطس . وفي وادي نهر السُّبَت يقع المطر من يونيو الى نوفمبر واغزره في اغسطس ايضاً وفي وادي بحر الغزال يقع من ابريل الى سبتمبر وفي الخرطوم من يوليو الى سبتمبر وفي كردوفان ودارفور من يوليو الى اغسطس . ويقع قليل من المطر في بلاد الحبشة في يناير وفبراير ولكن يقع اكثره هناك من اواسط ابريل الى سبتمبر واغزره في اغسطس . فاغزر المطر في اغسطس في كل الاماكن التي تجري مياهها الى النيل ما عدا البلدان التي فيها البحيرات الاستوائية

ويقتضي الماء ثمانية ايام حتى يجري من بحيرة فكتوريا الى بحيرة البرت وخمسة ايام من بحيرة البرت الى لادو لا فرق في ذلك بين ايام الفيضان وغيرها ويقتضي ٢٠ يوماً حتى يصل من

لادو الى الخرطوم في ايام الفيضان و٣٦ يوماً في غيرها . و١٠ ايام من الخرطوم الى اصوان في زمن الفيضان و٢٦ في غيره . وخمسة ايام من اصوان الى القاهرة في زمن الفيضان و١٢ يوماً في غيره ويومين من القاهرة الى بحر الروم في زمن الفيضان و٣ ايام في غيره

والبحر الازرق يقتضي ماؤُه حتى يصل من مصدرهِ الى الخرطوم سبعة ايام في زمن الفيضان و١٧ يوماً في غيره . والاتبرة يقتضي ٥ ايام زمن الفيضان والسبت نحو ذلك

وخلاصة ما تقدَّم ان الامطار الغزيرة تقع عند لادو وفوقها في شهر ابريل وتدفع امامها مياه المستنقعات الخضراء وفي اواسط ابريل يبتدئ الفيضان في البحر الابيض عند لادو ويبلغ اعظمهُ في غرة سبتمبر و يزيد الماء الجاري في ذلك البحر في غضون هذه المدة من ٥٠٠ متر مكعب الى ١٦٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان . وتبلغ بداءة هذا الفيضان الخرطوم في ٢٠ مايو واصوان في ١٠ يونيو وتصل المياه الخضراء الى القاهرة في ٢٠ يونيو . ويتصرَّف من البحر الابيض عند الخرطوم ٣٠٠ متر مكعب في الثانية ففي السنين العادية يزيد هذا الماء من ٢٠ يونيو وتتوالى زيادتهُ الى الخامس عشر او العشرين من سبتمبر حينما يبلغ معظم الزيادة الخرطوم من البحر الابيض ونهر السبت ويبلغ الماء المتصرف حينئذٍ ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية

ومقدار التصرف وقت التحاريق ١٦٠ متراً في الثانية ثم يبتدئ يزيد من ٥ يونيو بسرعة ويبلغ معظمهُ العادي وهو ٥٥٠٠ متر مكعب في الثانية في ٢٥ اغسطس . غير ان الفيضانين قلما يحدثان في وقت واحد ولذلك فالزيادة العظمى البالغة ٨٠٠٠ متر مكعب في الثانية تقع غالباً في ٥ سبتمبر . وتصل مياه البحر الازرق العكرة الى اصوان في ١٥ يوليو والى القاهرة في ٢٥ يوليو . وبعد ان تبتدئ المياه الحمراء في الظهور يسرع الفيضان وفيض الاتبرة بعد البحر الازرق بقليل وتتزايد فيضانهُ بسرعة عظيمة . وكان يمكن ان يسرع ماء الاتبرة اكثر من ذلك لولا انهُ يقضي شهراً في اشباع مسيلهِ الجاف بالماء . و يبتدئ فيضانهُ في اوائل يوليو ويبلغ معظمهُ في العشرين من اغسطس ويبلغ تصرفهُ حينئذٍ ٤٩٠٠ متر مكعب في الثانية

ويكون معظم التصرُّف في اصوان عادةً ١٠٠٠٠ متر مكعب في الثانية بسبب التبكير في فيضان الاتبرة والتأخير في فيضان البحر الابيض فاذا كان البحر الابيض ضعيفاً بلغ معظم الزيادة اصوان في ٥ سبتمبر او قبل ذلك واذا كان النيل الابيض قوياً بلغ معظم الفيضان اصوان في ٢٠ سبتمبر . واذا بكر بلوغ معظم الزيادة اصوان كان الايراد الصيفي قليلاً واذا تأخر بلوغهُ اصوان كان الايراد الصيفي كثيراً في الغالب . وقد اخلَّت هذه القاعدة مرةً واحدة وذلك

سنة ١٨٩١ حينما كان للزيادة معظمان الواحد في ٤ سبتمبر والثاني في ٢٧ منهُ . ولا بدَّ من ان الامطار كانت غزيرة حينئذٍ في بلاد الحبش لان زيادة ٢٧ سبتمبر كانت من المياه الحمراء الكثيرة الطمي حال كون الطمي يقل في النيل عند اصوان في اكتوبر واواخر سبتمبر لان جانباً كبيراً من المياه يأتي حينئذٍ من البحر الابيض الصافي الماء

واذا حدث ان كان البحر الابيض غزير الماء في سبتمبر وهبطت الامطار غزيرة في بلاد الحبشة في سبتمبر ايضاً مرَّ الماء غزيراً في اصوان في اواخر سبتمبر وخيف من الغرق كما حدث سنة ١٨٧٨

ويبلغ التصرُّف عند اصوان في اشد ايام التحاريق ٤١٠ امتار مكعبة في الثانية وذلك في اواخر مايو ثم يأخذ النيل في الزيادة البطيئة الى ٣٠ يوليو ويزيد بعدها زيادة سريعة في اغسطس ويبلغ الفيضان معظمهُ في ٥ سبتمبر ثم يهبط قليلاً في اكتوبر ونوفمبر . والترع النيلية وهي نحو ٤٥ ترعة تصرّف ٢٠٠٠ متر مكعب في الثانية في بداءة السنة العادية الفيضان و٣٦٠٠ متراً مكعباً في الثانية في السنة الغزيرة الفيضان

ويبلغ الماء الذي يحويهِ حوض النيل من اصوان الى القاهرة ٧٠٠٠ مليون متر مكعب . ويذهب في الري من اصوان الى القاهرة ٥٠ متراً مكعباً كل ثانية وبالتبخُّر ١٣٠ متراً مكعباً في الثانية وبالامتصاص والارتشاح ٤٠٠ متر مكعب كل ثانية ولذلك كلهِ يقل التصرُّف في القاهرة عنهُ عند اصوان ٢٤٠٠ متر مكعب في الثانية وذلك بين ١٥ اغسطس واول اكتوبر ونقفل ترع الفيضان في اكتوبر ونوفمبر وتصرف الحياض الى النيل فيصير التصرف في القاهرة اكثر منهُ في اصوان بتسع مئة متر مكعب في الثانية في اكتوبر

ومقدار التصرُّف في القاهرة ٣٨٠ متراً مكعباً في الثانية حينما يكون على اقلهِ وذلك في ١٥ يونيو و ٧٦٠٠ متراً مكعباً في الثانية حينما يكون على اكثرهِ في اول اكتوبر . والترع الصيفية الآخذة من النيل شمالي القاهرة تصرّف ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية فيبقى من تصرف النيل حينما يكون على اكثرهِ ٦٤٠٠ متر مكعب في الثانية يجري ٤١٠٠ متر منها بفرع رشيد و ٢٣٠٠ بفرع دمياط . واذا زاد الفيضان زيادة بالغة تصرَّف بفرع رشيد ٧٠٠٠ متر مكعب في الثانية وبفرع دمياط ٤٣٠٠ متر مكعب

زراعة البطاطس في القطر المصري

وضع المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية مقالة مسهبة في هذا الموضوع نشرت

في الجزء الاخير من مجلة الجمعية ضمنها حقائق كثيرة جديرة بالحفظ منها

اولاً ان الاراضي الخفيفة اصلح للبطاطس من الاراضي الثقيلة . والاراضي الطفالية الصلبة لا تصلح لهُ ابدًا واصلح الاراضي لهُ الطينية الرملية او الطينية المعتدلة ولذلك تكون غلتهُ على اكثرها واجودها اذا زرع بجانب النيل حيث يمازج الطين شيءٌ من الرمل . واذا كانت الارض رطبة لا مصارف فيها تلفت غلة البطاطس لان رؤُوسهُ تكون حينئذٍ مختلفة الاقدار فضلاً عن كون الغلة قليلة ولذلك لا يصلح زرعهُ في الارض التي تنشع . ولا بدَّ ان تكون الارض خالية من الحشائش مدة نمو البطاطس فيها

ثانياً انهُ يسهل زرع البطاطس مرتين في السنة الاولى من اغسطس الى اكتوبر والثانية في اوائل فبراير . والاولى هي الزراعة الشتوية والثانية الزراعة الصيفية . والزراعة الصيفية المزروعة في اغسطس اربح من غيرها لان غلتها ترد الى الاسواق باكرًا فيزيد ثمن القنطار منها نحو عشرة غروش . واذا زرع البطاطس في اغسطس او اوائل سبتمبر استُغلَّ في دسمبر واذا زرع في اكتوبر استُغلَّ في فبراير او مارس اي حينما تزرع الزراعة الصيفية . وتزرع الزراعة الشتوية بعد الذرة غالباً وتروى الارض قبل قطع الذرة منها وحينما تجف تحرث مرتين او ثلاثاً حتى تصير صالحة ثم تزحف وتخطط واذا استُغلَّ البرسيم او الحبوب من ارض وتركت بوراً الى اغسطس ثم زرع البطاطس فيها زادت غلتهُ وزاد ثمنها اكثر مما لو زرعت الارض ذرة قبل ذلك وتركت حتى استُغلّت الذرة منها

ثالثاً يكون البعد بين الخطوط ٧٥ سنتمترًا . وتسبخ الارض بالسباخ البلدي ١٥ الى ٢٠ مترًا مكعباً للفدان الواحد من الارض الضعيفة وعشرة امتار مكعبة للفدان من الاراضي القوية . وهو اما ان يبسط على الارض قبل الحرث الاخير او يوضع في منخفضات الخطوط ثم تشق مرتفعاتها بالمحرات فيقع ترابها على الجانبين ويغطي السباخ فيكون السباخ تحت التقاوي تماماً . وقد يوضع قليل من السباخ في الحفر التي تزرع فيها التقاوي وثلاثة امتار مكعبة الى اربعة تكفي الفدان حينئذٍ ولكن ان كانت الارض جيدة جدًّا فلا حاجة بها الى ذلك لاسيما وانهُ يقتضي تعباً كثيرًا . والسباخ الكفري يستعمل ايضاً بكثرة ولا بدَّ من استعمالهِ او استعمال السباخ البلدي

رابعاً اذا أُعدت الارض بالحرث والتسميد والتخطيط تختار التقاوي لها وقد ظهر بالتجارب في اميركا ان زرع التقاوي رؤُوساً كاملة خير من زرعها قطعاً من الرؤُوس لان البرعم الذي ينبت يجد غذاءهُ اولاً في مادة الراس فكلما كانت هذه المادة كثيرة كان الغذاء اتم . والطريقة

المتَّبعة في مصر ان تحفر حفرة في جانب الخط يوضع الراس فيها ويهال التراب عليهِ ويكون بين النبات الواحد والآخر اربعون سنتمترًا او تزرع الرؤُوس في اسفل الخطوط وتشق اعاليها بالمحراث فينهال ترابها على الجانبين ويطمر الرؤُوس . وحينما يتم الزرع تروى الارض ويظهر النبات في نحو عشرين يومًا والغالب ان كثيرًا منهُ يتلف من كثرة المياه او من تجمعها عليهِ او من زيادة عمق المزروع . وحينما يظهر اكثر النبات يروى ثانيةً وبعد عشرة ايام تعزق الارض ثم تروى ثالثةً . وحينما تجف تعزق ثانية ويجمع التراب حول سوق النبات ثم يروى مرة رابعة والغالب ان ذلك يكفي ولكن لا بدَّ من مراعاة طبيعة الارض وفصول السنة ففي الصيف تقصر المدة بين ريةٍ واُخرى وتجعل الريات خمسًا .والمدة بين الزرع والجني ١٠٠ يوم الى ١١٠ ايام صيفًا و١٢٠ يومًا شتاء . ويمنع الماءُ عن البطاطس مدَّة الخمسين يومًا الاخيرة

خامسًا يقتلع البطاطس من الارض وهي جافة فيقيم اكثر مما لو أُقتلع والارض رطبة والاسلوب المتبع في القطر المصري لاقتلاع البطاطس ان تحرث الخطوط التي فيها النبات يحرث خط ويترك خط وهكذا ثم تجمع رؤُوس البطاطس من الاتلام التي حرثت ثم تحرث الخطوط التي بينها ويجمع البطاطس منها

سادسًا يمكن قسمة انواع البطاطس الى نوعين الواحد مستدير الرؤُوس والثاني كلويُّها واكثر ما يزرع في القطر المصري من النوع الاول مع ان النوع الثاني اصلح للتصدير . ويختلف سعر البطاطس في اسواق لندن كثيرًا تبعًا لما يرد اليها فقد يبلغ ثمن الطن ٢٠ جنيهًا وقد لا يكون الاَّ ٧ جنيهات . وقد صدَّر كثيرون البطاطس من مصر الى اوربا مدة السنوات الخمس الاخيرة فربح بعضهم ولم يربح البعض الآخر ولا بدَّ للربح من اختيار الانواع التي تكون رؤُوسها متقاربة حجمًا وشكلًا وعيونها غير غائرة وقشرتها صقيلة . ولا بدَّ ايضًا من الامتناع عن ري البطاطس مدة طويلة قبل قلعهِ لان المقتلع من ارض رطبة لا يقيم طويلًا بل يعفن سريعًا فيتلف كلهُ او اكثرهُ واذا صدِّر الى الخارج فقد يتلف على الطريق

سابعًا مقدار غلة البطاطس الشتوي قلما يكون اكثر من طنين ونصف طن للفدان واما غلة الصيفي فتكون اربعة اطنان او اكثر اما في انكلترا فقد تبلغ غلة الفدان ثمانية اطنان

ثامنًا اذا أُريد اصدار البطاطس وُضع في صناديق يسع الصندوق منها قنطارًا . ولا بدَّ من انتقاء البطاطس قبل وضعهِ في الصناديق حتى لا توضع الرؤُوس الصغيرة مع الكبيرة ولا بدَّ ايضًا من ان تملأ الصناديق حتى لا تتقلقل الرؤُوس في انتقالها ولكن لا يضغط عليها كثيرًا وقد بلغت نفقات ارسال عشرة اطنان من الجيزة الى انكلترا نحو ثلاثة آلاف غرش هكذا

ثمن صناديق	١٢٩٠ غرشاً
ورق بطنت بهِ لكي لا يدخلها الهواء بسهولة	٠٠٤٠ "
أجرة الوضع فيها	٠٠٢٠ "
أجرة الشحن الى الاسكندرية	١٠١٠ "
أجرة الشحن الى لندن	٠٦٢٢ "
	٢٩٨٢

فاذا فرضنا اجرة نقل الطن الى لندن ثلاثمئة غرش وبيع هناك بالف وثلثمئة غرش بقي منهُ ربح كثير لان الطن يباع هنا بنحو ٤٥٠ غرشاً

النيل وزراعة القطن

جاء في النسخة الاخيرة من كتاب المستر ولكوكس عن النيل التي طبعت في السنة الماضية ان حوض النيل من اصوان الى القاهرة يسع سبعة آلاف مليون متر مكعب (انظر الصفحة ٣٧ منهُ) وجاء في مذكرة السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال التي نشرت في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف ان ١٧٠ مليون متر مكعب تكفي لزراعة سبعين الف فدان في الصعيد زراعة صيفية حيث التبخر والامتصاص على اكثرهما فيخص الفدان من ذلك ٢٤٠٠ متر مكعب وان ٥١٠ ملايين متر مكعب تكفي لري ٥١٠ آلاف فدان في مصر الوسطى من اسيوط الى القاهرة ريًّا صيفيًّا وبعضها لا يروى الآن ابدًا فيدير يروى شتويًّا وصيفيًّا فيخص الفدان من الماء للري الصيفي اقل من الف متر مكعب . وان ٨٥ مليون متر مكعب تكفي لري ١٠٦ آلاف فدان ريًّا صيفيًّا في مديرية الجيزة فيخص الفدان ثمانمئة متر مكعب والتبخر والامتصاص هناك اكثر منهما في الوجه البحري كما لا يخفى

فاذا قدَّرنا في حوض النيل الآن ربع ما يحتملهُ لو كان مملوءًا وفرضنا انهُ قُطع المدد تمامًا من عند اصوان كان الماء الذي في حوض النيل الآن ١٧٥٠ مليون متر مكعب واذا فرضنا ان الري الصيفي للفدان يقتضي ٨٠٠ متر مكعب من الماء فالماء الذي في حوض النيل الآن من اصوان الى القاهرة يكفي لري مليونين ومئتي الف فدان ريًّا صيفيًّا . هذا اذا كان تقدير السر وليم جارستن والمستر ولكوكس صحيحين وكان الماء الذي في حوض النيل الآن ربع ما يسعهُ هذا الحوض . ولكن المدد لم ينقطع من عند اصوان ولا ينقطع ولو بلغ درجة الصفر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مدارس البنات العالية

اكبر دليل يقام على وجوب تعليم البنات اننا اضطررنا بحكم العمران الحاضر ان نجاري الاوربيين والاميركيين في ميدان الحياة فاذا تأهبنا تأهبهم سهل علينا مجاراتهم والاً اضطررنا ان نقصر عنهم . ومفاد هذا التقصير اننا نكون خداماً لهم ويكونون سادة لنا لانهُ ان كان للتعليم فائدة وكان الاوربيون والاميركيون يعلّمون ابناءهم وبناتهم ايضاً وكنا نحن نعلم ابناءنا فقط حصلت الفائدة للاوربيين والاميركيين من وجهين وحصلت لنا من وجه واحد فقط فتبقى لهم مزية كبيرة علينا. ولم يكن ذلك ضائراً قبل اتصالنا بهم ومجاراتهم لنا في ميدان العمران اما الآن فاقل مزية لهم تقدّمهم علينا كثيراً

وقد كنا نشكو بالامس من انهُ ليس عندنا مدارس يتعلّم فيها البنات مبادىء القراءة والكتابة وبعض العلوم البسيطة وما زلنا نكرر الشكوى حتى سمعها كثيرون من اهل الحمية والغيرة الوطنية فسعوا في انشاء بعض المدارس الابتدائية. وقد رأوا ما سبقنا فانذرناهم بهِ وهو ان الحائل الاكبر دون انشاء مدارس البنات وجود المعلمات للتعليم فيها ولذلك فالاحوال الحاضرة ماسّة الى انشاء مدرسة كبيرة للبنات يتعلمن فيها العلوم العالية التي تؤهلهنّ للتعليم في المدارس الابتدائية . واذا اردنا النجاح في مجاراة الاوربيين فلا بدّ من الاكثار من هذه المدارس العالية لانها قد كثرت الآن في اوربا واميركا وصار البنات يتعلّمن فيها كل ما يتعلمهُ الشبان في المدارس الجامعة

وابدع منظر شاهدناهُ في مجلات هذا الشهر الاوربية صور ناظرات مدارس البنات الجامعة . ويقال ان اول مدرسة تعلّم فيها البنات العلوم العالية مدرسة فسار الاميركية الكلية والآن قد كثرت المدارس الكلية التي يتعلم فيها البنات العلوم العالية حتى صرن يحرن في الاختيار بينها. ونذكر منها مدرسة المبرا . ومدرسة منت هليوك . ومدرسة اماولرد ٭ ومدرسة سمث . ومدرسة ولسلي . ومدرسة برن مور . ومدرسة بلتيمور . ومدرسة ولس . ومدرسة ردكلف . ومدرسة برزد

اما مدرسة ڤسار فناظرها صديقنا الدكتور جمس تيلر أُنتخب لنظارتها سنة ١٨٨٦ وهو من الخطباء المعدودين وقد نجحت هذه المدرسة في عهدهِ نجاحاً عظيماً . ويعنى بالنجاح في اميركا ان يسعى ناظر المدرسة في تكثير اموالها من الهبات والتركات وتوسيع مبانيها وترقية التعليم فيها وهذا كلهُ فعلهُ الدكتور تيلر . ثم دُعي لنظارة مدرسة برون الجامعة وللحال اجتمعت عمدة مدرسة ڤسار واستدعت المتعلمات فيها النائلات شهادتها فاجتمعن ليمنعنهُ من ترك مدرستهنَّ والذهاب الى مدرسة أُخرى فابان لهنَّ انهُ ما من شيءٍ يثنيهِ عن عزمهِ الاَّ كرمهنَّ فاذا وهبنَ المدرسة هبات كبيرة تمكنهُ من زيادة مبانيها وتوسيع نطاقها بقي في نظارتها والاَّ تركها فاجبنهُ الى طلبهِ حالاً . وهو يدرّس فيها الفلسفة العقلية والادبية ولهُ كتاب للتدريس في العلوم النفسية

ويتلو الدكتور تيلر في نظارة هذه المدرسة السيدة ريلند كندرك ولها فيها شأن كبير كما لهُ وهي جامعة بين جمال الطلعة والمهابة والحكمة والدربة فتعرف طبائع البنات في تلك المدرسة معرفةً تسهل عليها تدريبهنَّ وارشادهنَّ ولذلك فنفعها لا يقدَّر . وهي من العالمات الكثيرات الدرس والبحث تتلمذت للدكتور بلاكي واقترنت بالدكتور كندرك منذ عشرين سنة وهو من عمدة هذه المدرسة ومن كبار العلماء وكان ناظراً لها مدة فلما استعفى من النظارة طُلب من زوجتهِ ان تشارك ناظرها الحالي في ادارتها فنعلت ونجحت في ذلك نجاحاً عظيماً

ومن مدارس البنات الشهيرة باميركا مدرسة ولسلي وقد اشترط منشئها ان تكون نظارتها بيد امرأَة دائماً فاختيرت مس كارولين هزارد لنظارتها وهي من اللواتي اشتهرن شهرة فائقة بالعلم والفضل ولها تصانيف تدلُّ على سعة معارفها وحسن اسلوبها في الانشاء وقد منحتها مدرسة مشيغان الجامعة رتبة معلم في العلوم ومدرسة برون الجامعة رتبة دكتور في الآداب . ولها المنزلة الاولى في قلوب بنات مدرستها وهذا اكبر دليل على اقتدارها ونجاحها في ادارتها

ومنها مدرسة مونت هليوك وكانت مقاليدها في يد السيدة اليصابات ميد وقد اقامت ناظرة لها عشر سنوات فبرهنت على علمها الواسع ومقدرتها الفائقة في تنظيم المدارس

ومنها مدرسة برن مور وناظرتها مس كاري توماس وهي دكتورة في الفلسفة وفي الشرائع وقد خلفت الدكتور جمس رودس في نظارة المدرسة بعد ان استعدَّت لذلك في اعظم مدارس اوربا والمانيا ونالت من مدرسة زورك ارقى الرتب العلمية وهي رتبة دكتور في الفلسفة وهذه اول مرة اعطيت فيها هذه الرتبة للنساء . ودرست ايضاً في مدرسة السربون بفرنسا ومدرسة فرنسا (اكول ده فرانس) وهي الآن من اشهر المعلمات في اميركا

ومنها مدرسة ردكلف وناظرتها مسز لويس اغاسز ولها مديرة مس اغنس ارون والناظرة والمديرة معروفتان بوفرة العلم وكثرة الاختبار الاولى زوجة الاستاذ لويس اغاسز من اساتذة مدرسة هارفرد الجامعة والثانية كانت رئيسة مدرسة البنات في فيلادلفيا وهي مشهورة بعلمها وتقواها وبان لها سلطة فائقة على كل من يراها

وجملة القول ان المدارس الكبيرة في اميركا التي يتعلم فيها البنات العلوم العالية مثل الجبر والهندسة والفلك والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والفيسيولوجيا والهيجيين والفلسفة العقلية والادبية وتدبير المنزل وتواريخ الامم عدا العلوم الادبية هذه المدارس تعطى نظارتها للنساء غالبًا واذا اعطيت للرجال كانت ادارتها بيد النساء وهنَّ يتأهلن لذلك بالدرس في مدارس اميركا واوربا حتى ينلنَ اسمى الدرجات العلمية ويشتهرنَ ايضًا بحسن الادارة وتنظيم المدارس . ولم تعطَ نظارة المدارس في اوربا للنساء حتى الآن ولكن لا يبعد ان تعطى لهنَّ قريبًا . وقد اخذ النساء يدرسن العلوم العالية كالرجال في كل الممالك الاوربية حتى في بلاد الروس ونحن في ديار المشرق نضنُّ على بناتنا بالعلوم الابتدائية وننتظر مع ذلك ان نجاري الاوربيين والاميركيين

ثياب الطفل

يجب ان تكون الحامل مستعدة للولادة كل يوم من الشهر السابع فصاعدًا ولذلك يجب عليها ان تهيّء الثياب لطفلها قبل ذلك لئلاَّ يولد فجأة فلا تكون الثياب معدة لهُ

وليس في تهيئة الثياب للطفل شيء من الصعوبة اذا ارادت امهُ البساطة والراحة والفائدة الصحية لان الطفل ليس لعبة تزين ولكنهُ مخلوق حيّ يراد الباسهُ لباسًا يحفظ حرارتهُ وصحتهُ

والعيوب الشائعة في ثياب الاطفال اربعة الاول سعتها عند الطوق حتى لا تدفئ الصدر والكتفين . والثاني ضيقها على الذراعين حتى تمنعهما من الحركة بسهولة . والثالث تفصيلها على اسلوب يتعذَّر معهُ الباسها للطفل من غير تقليبهِ ظهرًا على بطن مرارًا . والرابع زيادة طولها وثقلها

فيجب ان تفصَّل ثياب الطفل وتخاط حتى تغطي بدنهُ كلهُ . وان يكون اعتمادها على الطوق حتى لا تضغط على ذراعي الطفل . وان تفصل بحيث يمكن الباسها للطفل من غير ان يقلب . وان تكون قصيرة خفيفة حتى يسهل عليهِ تحريك اعضائهِ كلها. وسنرسم اشكال ثياب الاطفال وكيفية تفصيلها في الجزء التالي

فطام الطفل

لا يمكن ان توضع قاعدة عامَّة للزمن الذي يجب ان يفطَم فيهِ الطفل . وكثيرات من النساء يضررن بصحتهنَّ وصحة اطفالهنَّ بتأخير فطامهم . فاذا كانت صحة الام جيدة ولبنها غزيرًا جاز ان ترضع طفلها تسعة اشهر الى اثني عشر شهرًا ولكن اذا كانت ضعيفة او كان لبنها قليل الكمية او قليل الغذاء حتى لا يغذي الطفل جيدًا فالاصلح لهُ ان يفطم مهما كان صغيرًا وكذلك يجب ان تفطمهُ امهُ اذا حملت او عاودتها العادة قبل الوقت المناسب للفطام لان لبنها في هاتين الحالتين لا يعود صالحًا لتغذية طفلها وتصير الرضاعة تضرُّ بها

الاعتناء بحلمات الثدي

كثيرًا ما تشكو المرضع من تشقق حلمة ثديها ويحدث ذلك من قلة النظافة او ضغط المشد او من ترك الطفل يرضع مرارًا كثيرة او من نومها وطفلها يرضع ثديها . ولا بدَّ من غسل حلمة الثدي وفركها جيدا مدة الحمل ومدة الرضاع ايضًا واذا كانت رقيقة الجلد شديدة الحساسة وجب ان تغسل بقليل من الماء الفاتر وتنشف باعتناء بعد كل رضاعة . فاذا روعيت هذه الامور ولم تلبس المرضع ثيابًا ضيقة ولا ارضعت طفلها الا في اوقات خصوصية قلما اصابها شيءٌ من امراض الثدي

صحة المرضع

يجب على المرضع ان تعتني بصحتها لاجل رضيعها كما تعتني بصحتها وهي حامل لاجل جنينها فان الطفل يغتذي بلبن امهِ كما يغتذي الجنين بدمها فكما تكون صحتها تكون صحة جنينها وطفلها وكلما يضعفها جسمًا ويتعبها عقلاً يضعف جنينها وطفلها . ويظن بعض النساء انهُ يجب عليهنَّ ان يكثرنَ من الاكل وهنَّ يُرضعن اكثر مما تطلب نفوسهنَّ . وهذا غلط فاحش لانهُ لا يجوز لاحد ان يأكل لقمة واحدة فوق الشبع . والغالب ان المرضع لا تضطر ان تأكل اكثر مما تأكل في غير زمن الرضاعة لان ما يستحيل في جسمها لبنًا زمن الرضاعة يستحيل الى اشياء اخرى في غير زمن الرضاعة. واذا اضطرب عقل المرضع بالخوف او الحزن او الغضب او اي سبب آخر من الاسباب التي تؤثر في النفس لم يعد لبنها صالحًا لطفلها وقد يصير سمًّا زعافًا يقتلهُ . وقد شاهدنا ذلك في مرضع توفيت اختها بغتة فاثرت وفاتها فيها وللحال مرض طفلها ومات واثبت الاطباء انهُ سمَّ بلبن امهِ



الشوقيات

اعلنَّا منذ نحو سنتين ان الشاعر المصري المطبوع احمد بك شوقي اخذ في طبع ديوانهِ وسماهُ بالشوقيات. وقد اهدى الينا الآن الجزء الاول منهُ فحالما وقع نظرنا عليهِ حمدنا الله لانهُ قام من ابناء هذا القطر مَن ينكب عن الطريق الذي يجري عليهِ اكثر كتابهِ وهو تصدير اسم المؤلف بالقاب التعظيم والتبجيل فقال فيهِ " الشوقيات ديوان الضعيف احمد شوقي ". وكان بعضهم قد انتقد نثر الناظم حتى علق بالاذهان انهُ ان كان شاعراً فهو غير ناثر فقدَّم لديوانهِ مقدمة اثبت فيها انهُ ناثر كما انهُ شاعر وهي من ابلغ ما صُدّرت بهِ الدواوين ولا سيما حيث يخرج الكاتب من قيود التقليد ويطلق لمخيلتهِ العنان. وقد اجاد في وصف فحول الشعراء قال " قال امرؤُ القيس الشعر واصفاً وحاكياً. وضاحكاً وباكياً. وناسباً وغازلاً. وجادًّا وهازلاً. وجمع شملهُ بحيث تعد المنظومة الواحدة لهُ أثراً في البيان مستقلاً وبنياناً قائماً برأسهِ ونظمهُ ابو فراس فخراً عالياً. ونسيباً غالياً. وحكماً باهرة. وامثالاً سائرة. لكنهُ لم يقلهُ فوضى ولا قرب في نظمهِ الخلط فان قصيدتهُ المشهورة التي يقول في مطلعها

أراكَ عصيَّ الدمع شيمتكَ الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

ليست الأَ عقداً توحد سلكهُ وتشابهت جواهرهُ ودقَّ نظامهُ. تعاونت فيهِ ملكة العربي وسليقة الشاعر على حسن الحكاية. فاذا فرغت من قراءتها فكانك قد قرأت أحسن رواية. وهذا وكونها أشبه شيء بالشعر في شعور الانفس هما سر بقائها متلوَّة الى الابد

وكان ابو العلاء يصوغ الحقائق في شعرهِ ويوعي تجارب الحياة في منظومهِ ويشرح حالات النفس ويكاد ينال سريرتها ومن تأمل قولهُ من قصيدة

فلا هطلت عليَّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

وقابل بين هذا البيت وبين قول أبي فراس

معللتي بالوصل والموت دونهُ اذا متُّ ظمآناً فلا نزلَ القطرُ

ثم نظر الى الاول كيف شرع سنة الايثار وبالغ في اظهار رقة النفس للنفس وانعطاف الجنس نحو الجنس والى الثاني كيف وضع مبدأ الاثرة وغالى بالنفس ورأى لها الاختصاص

بالمنفعة في هذه الدنيا تعيش فيها جافية ثم تخرج منها غير آسية علم أن شعراء العرب حكماء لم تعزب عنهم الحقائق الكبرى ولم يفتهم تقرير المباديء الاجتماعية العالية وانهم اقدر الامم على تقريبها من الاذهان واظهارها في أجلى وأجمل صور البيان

وكان ابو العتاهية ينشئ الشعر عبرة وموعظة . وحكمة بالغة موقظة . وكان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ يرجع اليهِ كذلك في الوعظ والارشاد والتحذير من الرذائل . والاغراء بالفضائل" الى ان قال

"قدمنا هذا ليعلم بهِ فريق يحتقرون الشعر وآخرون منا معشر الشبان يضمرون للعربي منهُ عداوة من جهل الشيء ويرون بينهُ وبين الشعر الافرنجي بُعْد ما بين المشرق والمغرب ناسين أن العرب امة قد خلت ودولة تولت فلا ينبغي أن يؤخذوا الاَّ بما تركوا وان المسئول عن خروجهِ بعدهم من هالتهِ انما هو الخلف المفرط والوارث المتلاف

اشتغل بالشعر فريق من فحول الشعراء جنوا عليهِ وظلموا قرائحهم النادرة وحرموا الاقوام من بعدهم . فمنهم من خرج من فضاء الفكر والخيال ودخل في مضيق اللفظ والصناعة . وبعضهم آثر ظلمات الكلفة والتعقيد على نور الابانة والسهولة . ووقف آخرون بالقريض عند القول المأثور فوصفوا النوق على غير ما عهدها العرب عليهِ واتوا المنازل من غير ابوابها ودخلوا البيداء على سراب . وانغمس فريق في بحار التشابيه حتى تشابهت عليهم اللجج ثم خرجوا منها بالبلل . وزعمت عصبة ان احسن الشعر ما كان بوادٍ والحقيقة بوادٍ فكلما كان بعيداً عن الواقع منحرفاً عن المحسوس مجانباً للمحتمل كان ادنى في اعتقادهم الى الخيال واجمع للجلال والجمال حتى نشأ عن ذلك الاغراق الثقيل على النفوس والغلوّ البغيض الى العقول السليمة"

ثم انتقد على الشعراء اتخاذهم الشعر باباً للرزق بمدح الملوك والعظماء قال

"ان انزال الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقوم بغيرهِ تجزئة يجل عنها . ويتبرأ الشعراء منها . الاَّ أن هناك ملكاً كبيراً ما خلقوا الاَّ ليتغنوا بمدحهِ ويتفننوا بوصفهِ ذاهبين فيهِ كل مذهب آخذين منهُ بكل نصيب وهذا الملك هو الكون فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى . يقلب احدى عينيهِ في الذرّ ويجيل أخرى في الذرى . يأسر الطير ويطلقهُ . ويكلم الجماد وينطقهُ . ويقف على النبات وقفة الطلّ . ويمرّ بالعراء مرور الوبل . فهنالك ينفسح لهُ مجال التخيل ويتسع لهُ مكان القول ويستفيد من جهة علماً لا تحويهِ الكتب ولا توعيهِ صدور العلماء ومن جهة أخرى يجد من الشعر مسلياً في الهم ومنجياً من الغم . وشاغلاً اذا ملّ الفراغ ومؤنساً اذا تملكت الوحشة . ومن جهة ثالثة لا يلبث ان يفتح الله عليهِ فاذا الخاطر اسرع والقول اسهل

والقلم اجرى والمادة اغزر بحيث لا تمضي السنون حتى تتداول الايدي مؤلفاتهِ . واذا مات اكبر الناس من بعدهِ مخلفاته . أو لم يكن من الغبن على الشعر والامة العربية ان يحيا المتنبي مثلاً حياتهُ العالية التي بلغ فيها الى اقصى الشباب ثم يموت عن نحو مائتي صحيفة من الشعر تسعة اعشارها لممدوحيهِ والعشر الباقي وهو الحكمة والوصف للناس"

وختم هذه المقدمة بفصل ترجم فيهِ نفسهُ فاجاد ولو كانت هذه الخطة غير مألوفة وكأنهُ اقتفى خطوات كارليل الكاتب الانكليزي الشهير الذي خاف ان يقوم بعد وفاتهِ من يكتب ترجمتهُ فيملأها من الاكاذيب فكتبها بيدهِ

ومن الفوائد التي ذكرت في هذه الترجمة عرضاً ان المرحوم الخديوي السابق كان يجلُّ مقام الشعراء ويقدر القرائح قدرها. قال الناظم "خرجت قُبيل الاصيل على حمار ابيض كان لوالدي في يوم كثر غيمهُ وتثاقل مطرهُ وبينما انا عائد الى منزلي اجتاز ميدان عابدين بصرت بالعزيز في بهو السراي يشرف منهُ فنزلت عن الدابة امشي كرامة للمليك المطل وامرت الخادم ان يبتعد بها وان يلاقيني خلف القصر ثم مشيت على الاقدام حتى اذا انتهيت من الميدان اعترضني رسول من الامير يدعوني اليهِ فوافيت حضرتهُ وانا لا اعرف السبب وكان معهُ ساعتئذٍ المرحوم عبد الرحمن باشا رشدي فتحلى الحليم بصورة الغضب ثم قال اليس لي ان اطل من بيتي حتى نزلت عن حمارك والجأتني الى الانثناء . قلت عفواً يا مولاي هكذا ادَّبنا الاوائل حيث يقول شاعرهم

واذا المطيُّ بنا بلغنَ محمداً فظهورهنَّ على الرجال حرامُ

فتبسم ضاحكاً ثم قال انكم معشر الشعراء تتفاءلون بالغيوم وهذا اليوم من ايامكم فاسمع للباشا فان عندهُ لك فالاً . فالتفت الباشا عندئذٍ اليَّ وقال الآن امرني افندينا ان ابلغك تعيين ابيك مفتشاً في الخاصة الخديوية واما انت فتعين بعد شهر"

وفي هذا الجزء ستة ابواب الاول في الادب والتاريخ وفيهِ مقاطيع كثيرة والهمزية التاريخية التي رفعها الى المؤتمر الشرقي في جنيفا سنة ١٨٩٤ ومطلعها

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقلُّ الرجاء

وقد جاء فيها على خلاصة تاريخ مصر من اول عهدها الى الآن وما حلَّ بها من نوائب الدهر وهي من خيرة منظوماتهِ. ومما يدلُّ على توقد قريحتهِ وانهُ اذا جارى طبعهُ كان اشعر منهُ اذا توخى التدقيق والتدبيج ابيات قالها ارتجالاً وهو في المدرسة وهي

افريقيا قسم من الوجودِ ، في شكلهِ أشبهُ بالعنقودِ

وذلك العنقود في الماء انغمر ما أملح الماء وما أحلى الثمر
مدت اليهِ يدها اوربا من فوقهِ كمن يريد الحبا
وآسيا بالجنب كالمختال تنقصهُ من شرقهِ الشمالي
وبين هذين ترى القنالا يتصل الماء بهِ اتصالا
أنشاهُ اسماعيل عنوان الظفر فوقع الحافر فيما قد حفر

الباب الثاني في الوصف وفيهِ قصائد حسان جدًّا مثل وصف البالو الخديوي ووصف المنتزه ووصف جنيفا ووصف طلوع البدر فوق البحر ومنها قولهُ

وافى بك الافقُ السماء فاسفرت عن قفل ماس في سوار نضارِ

والثالث في المديح والرابع في المراثي وهما نحو نصف الديوان والخامس حكايات مختلفة نظمها للصغار فاجاد وافاد . والسادس منظومات خصوصية الحق بها قصيدتهُ المعروفة بصدى الحرب وقد ابقى فيها على ابيات كنا نودُّ ان يحذفها منها . ولا بدَّ من نظرة اخرى في قصائد المدح والرثاء وحبذا لو تكرّم علينا بها احد الادباء

ويعاب على هذا الديوان طبعهُ فانهُ سقيم خالٍ من الشكل الذي لا بدَّ منهُ احيانًا لدفع الإشكال

جريدة الزراعة في الهند الغربية

The Journal of the Imperial Agricultural Department for the West Indies.

اطلعنا على العدد الاول من هذه الجريدة فرأيناهُ طافحًا بالفوائد الزراعية التي يرغب في الاطلاع عليها كل الساكنين في الاقاليم الحارَّة فان الحكومة الانكليزية انشأت ديوانًا للزراعة في جزائر الهند الغربية اناطت ادارتهُ بالعالم الفاضل الدكتور موريس فالف فيها مؤتمرًا للبحث في المواضيع الزراعية ولاسيما زراعة قصب السكر التي كان عليها اكثر الاعتماد في تلك الجزائر. ويتضمن الجزء الاول مقالات كثيرة جاء في اولها خطبة الرئيس الدكتور موريس وهي في زراعة قصب السكر . وقد قال فيها ان اثمان السكر آخذة في الهبوط فلا بدَّ من مقابلة ذلك ببذل الجهد لتقليل نفقاتهِ الزراعية واتقان وسائل استخراج السكر بالاعتماد على احدث الاساليب الصناعية . ثم قال ان العناية مبذولة الآن لاختيار الانواع التي سكرها كثير فقد نجح الاوربيون في تأصيل البنجر حتى صار عندهم الآن صنف سكرهُ

مضاعف سكر الاصناف التي كانوا يزرعونها قبلهُ . اما قصب السكر فلم يكن ذلك ممكناً فيهِ قبل عشر سنوات ولكن منذ عشر سنوات شوهدت بزور القصب في جاوى وبربادوس في وقت واحد فصار يمكن ان يعتنى بتجنيس التقاوي حتى يوجد صنف من القصب كثير السكر . وقال ان ذلك تمَّ فعلاً وارى الحضور نوعاً من القصب جُنّس حديثاً وتزيد غلة الفدان منهُ نصف طن من السكر على غلة اجود انواع القصب فان غلة الفدان من هذا القصب ٦١ قنطاراً من السكر واما غلتهُ من القصب الجديد فتبلغ نحو ٧٢ قنطاراً . وربما لخصنا هذه الخطبة كلها في الجزء التالي في باب الزراعة . وتليها مقالات شتى من اقلام بعض العلماء ومشاهير الكتَّاب وسنلخص منها ما يستفيد منهُ ارباب الزراعة في هذا القطر

المباحث الحكمية

في احوال النفس وتربية القوى العقلية

للاستاذ أحمد نصار مدرس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية ببرلين . قال في مقدمتهِ اني "سبرت نتائج تربية الغربيين بمسبار العيان والمشاهدة حينما كنت مقيماً بعاصمة الدولة الالمانية لتدريس اللغة العربية فالفيت ان التربية بانواعها اتت هناك بالثمرات المقصودة منها لا سيما عند الاسرات الشريفة فالكل قد حصلوا على انواع الفضائل واتصفوا باغلب صفات الكمال التي تهمُّ صناعة التربية لان الصدق سائد بين الافراد في المجتمعات والمعاملات وحب الوطن قد غرست جذورهُ في قلوبهم وتشعبت فروعهُ بين اعصابهم وعروق دمائهم حتى يخيل لمعاشرهم ان هذا الامر المعنوي صار مجسماً وظهر بمظهر الافراد او انهم قد استحالوا اليهِ ولا تسل عن اتصافهم بالعزم القوي والامانة الحقة واتباع ما هم عليهِ من الدين والاتحاد والالفة وحسن المعاملة وغير ذلك من الاوصاف الحميدة التي لا تقوم لاي امة قائمة الاَّ اذا اتصفت افرادها بها . ولما قارنت بين تلك النتائج المذكورة آنفاً التي لا تعتبر الاَّ بعضاً من كل و بين نتائج التربية عندنا وجدت فرقاً عظيماً كالذي بين الثريا والثرى .. ولم اقف بعد طول البحث على سبب لذلك سوى ان التربية عندنا ليست مؤسسة على اساس قويم حيث لم تبنَ على الاحوال الطبيعية ولم تراعَ فيها احوال القوى النفسية لخفائها على اغلب المربين مع ان العلم بها من ضروريات القائمين والقائمات لصناعتي التربية والتعليم"

هذا كلام حق وطالما وددنا ان يذهب شبان هذا القطر الى انكلترا والمانيا و يعاشروا اهلهما ويتلقوا العلوم فيهما فان اهلهما امتان ناميتان مرتقيتان و من جاراهما وأخذ اخذهما ارتقى

ارتقاءها حتى ان ادباء الفرنسويين انفسهم يشيرون على ابناء جلدتهم ان يقتفوا خطوات الامم السكسونية في التربية والتعليم كما ترى من الكتاب الذي ترجمهُ حضرة القاضي الفاضل احمد فتحي بك زغلول وما ذلك الاَّ لان التربية والتعليم لم يبلغا عند الفرنسويين الدرجة التي بلغاها عند الامم السكسونية . ولو ارسلت الحكومة المصرية ابناءها الى انكلترا والمانيا فقط من حين شرعت في ارسال الرسالة المصرية لكان للقطر المصري الآن شان غير هذا الشان

ولما وصف المؤلف الداء اشار بالدواء الذي حسب انهُ يشفي منهُ وهو وضع كتاب يبين احوال النفس وقواها وما ينبغي للمربين والمتعلمين ان يسلكوهُ فوضع هذا الكتاب لهذه الغاية وقال "انهُ جاء بحمد الله وافيًا بالغرض المطلوب للمربين والمعلمين وكافلاً ببيان الاحوال الواقعية لغيرهم ومبينًا كيفية حدوث كل حالة نفسية للباحث عن حقائق الاشياء وكيفية نشوء العالم النفسي". وعسى ان يحقق الله ما قالهُ حضرة المؤلف على اننا نعتقد ان الغرض المطلوب لا يُنال الاَّ بعد ان يتربى المعلمون من حداثة سنهم في افضل المدارس التي تهذب الاخلاق وتربي العقول في بلاد لا يرون فيها الاَّ الادباء الفضلاء رجالاً ونساء حتى يشبُّوا وقد غُرس بذار الفضيلة في نفوسهم ونما فيها وصاروا يتفانون في حب وطنهم وتربية ابنائهِ . هؤُلاء يستعينون بكتاب مثل هذا في تمهيد الصعاب التي يجدونها في تربية الصغار وتعليمهم ثم متى انتشر التعليم والتهذيب عندنا وكثرت المدارس التي يتخرَّج فيها المعلمون ويتعلمون كيف يعلّمون راجت سوق هذا الكتاب وامثالهِ كثيرًا . والنصف الاول من الكتاب علمي فلسفي اذا اقتصر المطالع عليهِ لم يجدهُ وافيًا بالغرض المقصود منهُ لا سيما وان مواضيعهُ عويصة جدًّا لا يسهل ادراكها على غير دارسي العلوم العقلية واما النصف الثاني فاقرب تناولاً من القسم الاول واكثرهُ عملي لا نظري كالقسم الاول . هذا واننا نشكر لحضرة المؤلف على هذه التحفة السنية

الشكر

لائحة جمعية اتحاد البر للروم الارثوذكس ويظهر منها انها جمعت في العام الماضي نحو ثلثمئة جنيه انفقتها على البائسين جزى الله اعضاءها خيرًا

النبذ العلميَّة والفكاهات الادبيَّة

رسالة جمعها حضرة الاديبين كامل افندي صدقي وعبد الواحد افندي حمدي . وهي مفتتحة بمعاهدة برلين تليها نبذ كثيرة علمية وادبية وفكاهية فنثني على حضرة مؤلفيها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) رمش الجفن

اصوان. طنوس افندي جرجس. اذا رمشت عيني اليسرى كان ذلك اشارة الى امر يكدرني فلا ألبث ان يحصل لي ذلك الامر واذا رمْشت عيني اليمنى كان ذلك اشارة الى امر يفيدني او يكدرني ولكنهُ لا يضرُّ بي. ويشتد رمش الجفن اذا كان الامر كبيرًا سواءٌ كان مما يسرُّ او مما يحزن فارجو التكرم عليَّ باسباب ذلك وما هي العلاقة بين الحوادث الخارجية واعضاء الانسان وكيف تنبئ حركاتها بالحوادث قبل حدوثها

ج لا علاقة بين اعضاء الانسان وما يحدث حولهُ مما يسرُّ او يسيء. وهذه الآفة وراثية في الغالب والمرجح انها تزول باراحة العينين من الدرس واستعمال مزيج فولر اونحوهِ شربًا. والقول بان بينها وبين ما يحدث لصاحبها علاقة ما من اوهام العامة. ولو دققتم في المقابلة بين رمش عينيكم وما يحدث لكم مما يسر ومما يسيء لرأيتم ما ينفي هذه العلاقة او لما رأيتم شيئًا يثبتها

(٢) مرض الانفلونزا

الاسكندرية. انيس افندي انطون. كثر في هذا الوقت مرض يدعونهُ الانفلونزا لا يخلو منهُ بيت تقريبًا وارجو ان تشرحوا لنا اسباب هذا المرض وطرق الوقاية منهُ ومعنى كلمة انفلونزا ومن اي لغة هي وهل هو من الامراض التي تنتقل بالعدوى

ج تجدون فصلًا مسهبًا في هذا الموضوع في المجلد الثامن عشر من المقتطف وهاكم خلاصتهُ: الانفلونزا او النزلة الوافدة مرض وافد ذكر اول مرة سنة ٤١٥ قبل المسيح حينما فشا في الجنود الاثينوية وهي في جزيرة صقلية. ثم انتاب اوربا مرارًا كثيرة في اوقات مختلفة وكان يرد اليها من الجهة الشرقية ويمتد فيها غربًا. والناس معرَّضون لهُ عمومًا سواءٌ فيهم الكبير والصغير والغني والفقير والسليم والسقيم والذكر والانثى. واذا اصاب انسانًا مرةً لم يوقَ من الاصابة بهِ مرةً اخرى ويشتد فعلهُ حيث يزدحم السكان ويفسد الهواءُ بالازدحام ويكثر حدوثهُ في الخريف والربيع ويقل في

الصيف والشتاء ولا عبرة بعرض المكان اي بعده عن خط الاستواء شمالاً او جنوباً فقد ظهر سنة ١٨٣٧ في بلاد الانكليز وفي رأس الرجاء الصالح في وقت واحد وهما في منطقتين متقابلتين شمالاً وجنوباً اي انهما على طرفي نقيض . ويحدث في اشد الاقاليم رطوبةً وفي اشدها جفافاً على حد سوى وقد شوهد انهُ كثيراً ما ينتشر عقب كثرة الضباب وثوران البراكين وحدوث الزلازل

ويظهر من سرعة انتشاره وكثرة المصابين به انهُ ناتج من سم منتشر في الهواء . وقد ظنَّ قبلاً انهُ ناتج من المواد الكبريتية التي تنتشر في الهواء على اثر ثوران البراكين . اما الآن فرأي جمهور الاطباء انهُ حادث عن نوع من الميكروبات اكتشفهُ الدكتور فيفر الالماني سنة ١٨٩٢ واثبت كوخ وكتاساتو وغيرهما انهُ ميكروب الانفلونزا اي انهُ المسبب لها لكن لا يعلم لماذا تنتشر الانفلونزا سنة ثم تغيب عدة سنين

الاعراض المميزة لهذا المرض تختلف اختلافاً عظيماً نوعاً وشدة . ويختلف استعداد الناس لهُ بحسب ضعفهم واستعداد اجسامهم للامراض العصبية والتنفسية والهضمية وما اشبه . واذا جاءت الانفلونزا وافدة اصيب بها كل واحد تقريباً لكنها تكون خفيفة جداً في البعض فتقتصر على صداع خفيف واضطراب في المعدة وقليل من التعب فيظنون انفسهم غير مصابين بها

وتبتدئ بضعف ودوران وقشعريرة وقبض وقد تبتدئ ايضاً بجشاء وقيء وحمى شديدة وتدوم مدة من بضع ساعات الى اسبوع ويحدث حينئذٍ صداع في الصدغين وقد يحدث الم في العينين وتقل القابلية للطعام والقوة ويعم الضعف والخمول وتحدث آلام مفصلية في النقرة والاضلاع والرجلين ويتلوَّن البول ويبخر الفم ويتسخ اللسان وتدوم الحمى وقد تكون متقطعة وتشتد الاعراض ليلاً وتدوم مدة الضعف من بضعة ايام الى بضعة اسابيع وتمتاز بالضعف العصبي والشعور بالتعب العام وضعف القابلية وتختلف اعراضها في الاولاد والاطفال . ومعلوم ان الاعراض تختلف وتقوى وتخف بحسب كون النزلة متصلة باعضاء التنفس او اعضاء الهضم وبحسب الاختلاطات التي تصحبها مما هو معروف عند الاطباء فلا نطيل الكلام فيه

العلاج * الراحة في الفراش في وقت اشتداد الانفلونزا . ويجب على المرضى ان يلازموا بيوتهم ولاسيما ليلاً الى ان تعود حرارتهم الى الحالة الطبيعية او حتى يشفوا تماماً ويجب ان يعتنوا بلباسهم واحذيتهم لكي لا تتعرض ارجلهم للرطوبة ولا للبرد وان يجتنبوا مجاري الرياح ولاسيما اذا كانوا متعبين او عرقانين لئلاَّ يصابوا باختلاطات (مضاعفات) رئوية

اما الادوية فتجدونها مذكورة بالاسهاب في المقالة المشار اليها

واسم انفلونزا وضعهُ الايطاليون لزعمهم ان هذا المرض من تأثير Influenza الاجرام السموية . وهي معدية

(٣) شركة الغزل والنسج

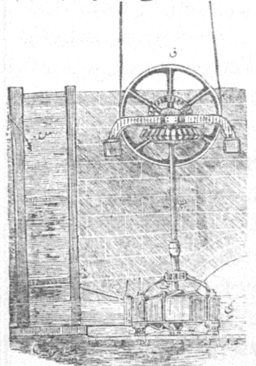
مصر . محمد افندي عبد العال وشركاه'. نشرتم في مقطمكم ان شركة الغزل والنسج المصرية الانكليزية جارية في بناء المباني اللازمة لها ومن ثمَّ الى الآن لم نرَ ما يدل على انها اتمت البناء ويدلُّ هبوط اسعار اسهمها على انها غير ناجحة ونخاف ان يتم لها ما تمَّ لاسهم شركة بناما واذا لم يكن ذلك كذلك فما الداعي لهبوط الاسعار الى هذا الحد

ج سألنا بعض الثقات فاجابونا ان العمل جارٍ على اتم المراد وهم لا يعلمون سبباً كافياً لهبوط الاسعار . ونحن نعرف رجلاً ليس في جيبهِ سوى خمسين جنيهاً اكتتب بمئتي سهم فاعطيها كلها وتعذر عليهِ ان يدفع غرشاً واحداً فوق ما دفعهُ فانذرهُ البنك ببيع اسمهِ مهما قلَّ ثمنها ونظنهُ باعها بابخس الاثمان فاذا كان امثال هذا الرجل كثاراً هبطت الاسعار طبعاً لان سعر الشيء يهبط بعرضهِ للبيع

(٤) المطاحن المائية

المتن بلبنان . امين افندي عربون . لا تزال المطاحن المائية في بلادنا على حالتها القديمة ولم تحسن بابدال فراش الخشب بفراش من حديد فهل يمكن تحسينها حتى يصير الماء القليل كافياً لادارة الدولاب او تزيد سرعة الدولاب عما هي عليهِ الآن

ج اذا فرضنا مقداراً من الماء يهبط من ارتفاع معلوم فالقوة الحاصلة من هبوطهِ واحدة لا تزيد ولا تنقص والعبرة باستعمالهِ كلهِ حتى لا يضيع منهُ شيء وباستخدام آلة



قليلة الفرك ما امكن ومن افضل الآلات لذلك التربين turbine المرسوم في هذا الشكل فانهُ لا يضيع بهِ سوى عشرة في المئة من قوة الماء على ان فراش المطاحن المعروفة في لبنان يضيع بهِ عشرون او ثلاثون في المئة من قوة الماء . وقد بلغنا ان في شتورة بلبنان مطحنة تدور بآلة من نوع التربين فيحسن بكم ان تروها وتجلبوا آلة مثلها

(٥) تقسية النحاس

ومنهُ . ما هي الطريقة لتقسية النحاس اشد التقسية . لان الطرق المستعملة عندنا لتقسية نحاس الطواحين غير كافية

ج يا حبذا لو شرحتم لنا الطرق المستعملة عندكم لنرى ما هو وجه الخلل فيها . ومن المعلوم ان النحاس يقسو كثيرًا باضافة التوتيا اليهِ واذا اريد ان يكون صلبًا حُرك وهو مصهور بقضيب اخضر من السنديان او نحوهِ . ويمكن ان يصير صلبًا كالفولاذ بمزج الرطل منهُ برطل من الصودا وثلاثة ارطال من فلوسلكات البوتاسيوم وصهر الجميع معًا فيتكوَّن منهُ سلسيد النحاس وهو نحاس ابيض صلب جدًّا فيهِ ١٢ في المئة من السليكون واذا كان السليكون اقل الى حد خمسة في المئة بقي النحاس صلبًا وامكن خرطهُ وبردهُ كالحديد. وزيادة السليكون تزيد النحاس صلابةً وكان القدماء يصلبون النحاس باضافة القصدير اليهِ

(٦) تسويد الحديد

ومنهُ . كيف نصبغ الحديد صباغًا اسود كالذي نراهُ على المسدسات وغيرها

ج نظن ان هذه الطريقة تفي بمرادكم وهي امزجوا ثمانية دراهم من زبدة الانتيمون واربعة دراهم من الحامض الكبريتيك ودرهمين من الحامض العفصيك واصقلوا الحديد اولاً ونظفوهُ جيدًا ثم ادهنوهُ بهذا المزيج مرارًا متوالية فيسود

(٧) القرن العشرون

ريو جنايرو . الخواجه ديمتري شويري. هل هذه السنة من القرن التاسع عشر او من القرن العشرين

ج في ذلك اختلاف بين العلماء كما بيناهُ في الجزء الثاني من هذه السنة انظروا الصفحة ١٦٤ والصفحة ١٧٣ ونحن نرى انها خاتمة القرن التاسع عشر

(٨) السنة الكبيس

ومنهُ . هل هذه السنة كبيس او عادية فاننا نرى جميع الروزنامات (النتائج) تجعل شهر شباط (فبراير) ٢٨ يومًا مع ان العدد ١٩٠٠ يقسم على ٤ والسنة بموجب ذلك كبيس

ج هي في الحساب الشرقي كبيس لان ١٩٠٠ تقسم على ٤ كما قلتم واما في الحساب الغربي فعادية لان العدد ١٩٠٠ يقسم ايضًا على ١٠٠ ولا يقسم على ٤٠٠ وهذا هو مصدر الفرق بين الحساب الشرقي والغربي وقد زاد الفرق بينهما يومًا الآن فان السنة بحسب الحساب الشرقي ٣٦٥ يومًا وربع يوم تمامًا فيزاد فيها شباط يومًا كل اربع سنوات واما بحسب الحساب الغربي فهي ٣٦٥ واقل من ربع يوم قليلاً وهذا هو الصحيح فاذا زدنا يومًا كل اربع سنوات بالاضطراد كانت هذه الزيادة اكثر مما يلزم فيترك اليوم من السنة التي يقسم عددها على ١٠٠ ولا يقسم على ٤٠٠ مثل سنة ١٩٠٠ الحالية

(٩) الرتب والنياشين

ومنهُ . ما هي درجات الرتب عند الدولة العلية وغيرها من الدول العظيمة كانكلترا وفرنسا والمانيا وروسيا

ج اما عند الدولة العلية فترون فيها فصلاً مسهبًا في المجلد الثامن عشر من المقتطف ملأ ١٤ صفحة . واما عند الدول الاخرى فسنكتب فيها في فرصة اخرى

(١٠) علاج

الاسكندرية . احد القراء . . . .

ج ان النتائج التي تنتج عما اشرتم اليهِ كثيرة اولها الضعف جسدًا وعقلاً وآخرها الجنون والموت ولا بدَّ من ان يزجر الانسان نفسهُ واذا لم يستطع زجرها ولا استطاع ذووهُ ان يمنعوهُ بالمراقبة الشديدة نهارًا وليلاً فنهايتهُ الى الجنون والموت ولا خسارة من موتهِ لانهُ لا نفع بحياتهِ . واذا كنتم انتم قد اعتدتم هذه العادة القبيحة فمبادرتكم الى السؤَال عن نتائجها تدلُّ على انهُ لا تزال فيكم ارادة قوية للامتناع عنها فضعوا نصب اعينكم ان الامتناع واجب عليكم وانهُ ممكن لكم واذا كنتم تفعلون ذلك ليلاً وانتم نيام لا تدرون فاربطوا يديكم بقائمتي السرير . والامتناع مدة قصيرة يعين على الامتناع مدة طويلة وهلمَّ جرًّا حتى تغلب العادة

(١١) الانتحال

طنطا . جورجي افندي ابرهيم . يكثر بين اصحاب الجرائد العربية وخصوصًا في مصر ان يكون صاحب الجريدة اميًّا او شبه اميّ فيستأجر كاتبًا بارعًا يقوم بتحرير جريدتهِ بدون ان يشير فيها الى ذلك مطلقًا ثم يقول فيها عن نفسهِ انهُ صاحب الجريدة ومحررها أفلا يعدُّ ذلك سلبًا لحق المحرر الحقيقي وهل هذه العادة شائعةٌ في البلاد المتمدنة

ج نعم هو سلب لحق المحرر ولكن المحرر الذي يرضى بذلك لا يحق لهُ ان يطالب بهذا الحق المسلوب لانهُ باعهُ باجرتهِ . وهذا الامر شائع في اوربا ايضًا

(١٢) زراعة الزيتون

الفيوم . اديب افندي حنا . زرعت بزرة حبة زيتون منقوعة في ماء الملح عدة اشهر والآن نبتت وصار طولها يقارب مترًا فهل اذا اثمرت يكون في ثمرها طعم الملح

ج كلاَّ . وعملكم هذا يؤيد تفسيرنا لوجود نبات الزيتون في نخاريب اشجار اخرى في بلاد الشام فاننا فسرناها بان طائرًا اكل حب الزيتون وهضمهُ ثم القى بسلحهِ والبزر فيهِ فنبت

(١٣) تكاثر شجر اليوكا لبتوس

ومنهُ . هل يتكاثر شجر اليوكا لبتوس من عقلهِ او من البزور واين توجد

ج من البزور ويحسن بكم ان تبتاعوا الترقيدة من جنائن الحكومة بمصر فانها كثيرة فيها ورخيصة



هبات علمية جديدة

وهب المستر ركفلر مدرسة كولمبيا الجامعة مئة الف ريال لتدريس العلوم النفسية . ووهب المستر كارنجي ثلثمئة الف ريال لمجمع كوبر (كوبر يونيون) في مدينة نيو يورك ووهبهُ المستر هوت والمستر كوبر مئتي الف ريال لتعليم الفنون الميكانيكية. وتركت مسز هسكل ٧٥ الف ريال لمدرسة اوبرلن الجامعة وترك لها مستر اوسبرن ٤٠ الف ريال . وترك المستر دورمان ايتن مئة الف ريال لمدرسة كولمبيا الجامعة ومئة الف ريال لمدرسة هارفرد الجامعة. ووهب المستر لويس سفرنس مدرسة اوبرلن الكلية ستين الف ريال . وعزم الدكتور بيرسنس ان يهب خمس مئة الف ريال لاربع عشرة مدرسة في الولايات المتحدة. وقد وهب هذا الرجل حتى الآن مليونين وخمس مئة الف ريال للمدارس

هذا من قبيل الهبات الاميركية اما الهبات الانكليزية فقرأنا في جريدة ناتشر ان الدكتور هيوز ترك لاربعة من مستشفيات انكلترا نحو ثمانمئة الف جنيه . وعسى ان نجد من الهبات المصرية العلمية ما يذكر مع هذه الهبات

الطعام والحرارة

جرَّب الاستاذ موسو في مدرسة جنوى الجامعة تجارب عديدة في الحيوان ليعلم تأثير الطعام في توليد الحرارة فوجد انهُ اذا هبطت الحرارة الحيوانية بواسطة الصوم ثم أُطعم الحيوان سكرًا اربع غرامات لكل كيلوغرام من جسمهِ ارتفعت حرارتهُ بسرعة في الربع الساعة الاول . وبلغت اعلاها في ساعة الى ساعتين وبقيت على حالها او زادت حسب مقدار السكر . ويظهر فعل السكر على اشدهِ بعد الصوم الطويل الذي تنخفض بهِ الحرارة كثيرًا . وفعل الخبز مخالف لفعل السكر فان ارتفاع الحرارة بهِ ابطأُ من ارتفاعها بالسكر ويكون ارتفاعها على اسرعهِ اذا كان صوم الحيوان قصيرًا وحرارتهُ غير منخفضة كثيرًا وذلك دليل على ان السكر اسرع من الخبز تمثلاً في بدن الحيوان الجائع

الاستاذ بيازي سميث

ولد بمدينة نابلي سنة ١٨١٩ واختير فلكيًّا ملكيًا لسكتلندا سنة ١٨٤٥ فبقي في هذا المنصب ٤١ سنة وكان استاذًا للفلك العملي في مدرسة ادنبرج الجامعة ولهُ مؤلفات كثيرة علمية وادبية ومنها كتاب عن الهرم

الاكبر حاول ان يثبت منهُ ان قدماء المصريين كانوا يعرفون كثيرًا من الحقائق الفلكية . توفي في الحادي والعشرين من فبراير الماضي وهو في الحادية والثمانين من عمرهِ

مجمع ترقية العلوم الفرنسوي

يلتئم مجمع ترقية العلوم الفرنسوي في باريس من ٢ اغسطس الى ٩ منهُ برئاسة الجنرال سبر

الطاعون والتطعيم

عُينت لجنة علمية للبحث في نتائج التطعيم بطعم هفكن الواقي من الطاعون فقرَّرت اولاً ان التطعيم يقلل انتشار الطاعون بين المتطعمين ولكنهُ لا يقيهم منهُ وقاية تامة . ثانيًا ان الوفيات بالطاعون تقلُّ بواسطة التطعيم اذ تقلُّ بهِ حوادث الطاعون وتقل بهِ الوفيات بين الذين يُطعنون . ثالثًا لا يظهر ان التطعيم يقي المطعَّم بهِ في الايام الاول بعد التطعيم. رابعًا ان مدة الوقاية بالتطعيم تدوم عدَّة اسابيع ومن المحتمل ايضًا انها تدوم عدة اشهر. خامسًا ان اختلاف درجات الطعم يجعل نتائجهُ مختلفة . والظاهر انهُ يوجد مقدار معين من الطعم تنتج عنهُ الدرجة العظمى من الوقاية وحينئذٍ يمكن الاستغناء عما يزيد على هذا المقدار. سادسًا ان اللجنة تشير بان يوسع نطاق التطعيم ولا سيما بين الذين يطهّرون بيوت المطعونين وامتعتهم وبين خدَّام مستشفيات الطاعون بشرط ان يكون الطعم معقَّمًا جيدًا والحقنة معقمة ايضًا

السكة الكهربائية في الصين

فتحت اول سكة كهربائية في مدينة باكين عاصمة الصين فلم يستأ منها الصينيون لانها لا تفسد الهواء بدخانها كسكك الحديد التي تسير بقوة البخار فتزعج الارواح الساكنة في الهواء على زعمهم

الفوتوغراف الملون

صنع المستر ايفس آلة سماها الكرمسكوب وهو يصنع للشبح ثلاث صور ملونة بالالوان الاصلية الاحمر والاخضر والازرق البنفسجي ثم توضع الواحدة منها فوق الاخرى فتظهر منها صورة واحدة ملونة بالوان ذلك الجسم الطبيعية مهما كانت وسنزيد ذلك بيانًا في جزء آخر

الاختراع في اميركا

فاقت اميركا في المخترعات كما فاقت في كل شيء تقريبًا فقد اعطت حكومتها في العام الماضي امتيازًا بخمسة وعشرين الف اختراع و٤٣٥ اختراعًا . واعادت الامتياز لاثنين وتسعين اختراعًا كانت مدة امتيازها قد انقضت . وبلغ دخل ادارة الامتيازات في العام الماضي مليونًا و٣٢٥ الف ريال و٤٥٧ ريالاً وبعض هذه الامتيازات للاجانب لا للاميركيين فمن ذلك ١٠٧٢ امتيازًا لاناس من الانكليز و٨٨٨ امتيازًا

لاناس من الالمانيين و٣٧١ امتيازًا لاناس من اهالي كندا و٢٩٢ امتيازًا لاناس من الفرنسويين . وتبلغ امتيازات الاختراعات في اوربا الآن ١٢٥٠٠٠٠ وفي اميركا ٧٠٠٠٠٠ او نحو ملوني امتياز فلم يبقَ عمل من الاعمال الاَّ ولبعض الناس امتياز بهِ . وسجلات الامتيازات تبلغ اربعة وسبعين الف مجلد

كشف لحم الخيل

اذا كانت الخيل سمينة سليمة فلا ضرر من اكل لحمها لكنَّ باعة اللحم قد يمزجون لحم الخيل الميتة او المريضة بلحم البقر والضان ويحشون بهِ المقانق ونحوها و يبيعونها كانها محشوة بلحم البقر والضان لا غير . ويمكن ان يكشف ذلك بان تقطع عشرون غرامًا من اللحم المشكوك فيهِ قطعًا دقيقة وتغلى نحو ساعة في ١٠٠ غرام من الماء وتترك الماء يغلي حتى يبقى ثلثهُ فيبرد ويرشح ثم يؤخذ ثلثهُ و يضاف اليهِ نقط قليلة من مذوب اليود (جزء من اليود و١٢ جزءًا من يود يد البوتاسيوم في ١٠٠ جزءٍ من الماء) فاذا كان فيهِ لحم خيل تكوَّن فيهِ لون احمر بنفسجي غير ثابت

ارنب تحضن البيض

جاء في جريدة ناتشر ان ارنبًا طردت حمامة من عشها وحضنت بيضتيها الى ان ظهر فرخاها وكان ذلك في السنة الماضية . وفي هذه السنة وُضع بيضتان في ذلك العش وهو يعلو عن الارض ست اقدام فصعدت الارنب اليهِ وحضنتها

اسرع البواخر

لما جرى استعراض البوارج الانكليزية منذ سنتين جرت الباخرة تربينيا المصنوعة آلتها البخارية على مبدإ التربين او على مبدإ الآلة البخارية التي صنعها هيرو الاسكندري من الفي سنة فبلغت سرعتها في الساعة ٣٤ ميلاً بحريًّا ونصف ميل وهي اعظم سرعة بلغتها السفن البخارية وقد صنعت الآن سفينة أخرى على اسلوب التربينا بلغت سرعتها ٣٥ ميلاً بحريًّا ونصف ميل ويراد ان تصنع سفينة كبيرة من هذا النوع طولها ٢٧٠ قدمًا وعرضها ٣٣ قدمًا تسع ٦٠٠ راكب تقطع البحر بين فرنسا وانكلترا وتكون سرعتها ٣٠ ميلاً بحريًا في الساعة وسرعة اسرع السفن الان ٢٢ ميلاً بحريًا في الساعة

الهوَس الديني

بلغ الهوس الديني من بعض الاوربيين مبلغًا لا مثيل لهُ الاَّ في بلدان المشرق فقد احيا بعض الفرنسويين العبادة المصرية القديمة وفي نيتهم ان يبنوا هيكلاً لايسس معبودة المصريين القدماء في مدينة باريس . وذهب بعض الانكليز والاميركيين الى بلاد الهند ودانوا بالديانة البوذية وجاء بعض الاميركيين الى مصر هذا الشتاء ليأخذوا الديانة البابية

عن اصحابها وذهبت سيدة منهم الى عكاء وقابلت ابن بهاء الله لهذه الغاية

آثار اليونان والجزائر

عينت الحكومة الفرنسوية عشرين الف جنيه في السنة للبحث في آثار دلفي ببلاد اليونان ووعدت الحكومة اليونانية ان تعطيها كل ما تجده من الآثار واما اثار الجزائر وهي لها فلم تعين للنقب عنها سوى الفي جنيه في السنة كأنها ابت ان تجرد هذه المسألة العلمية المحضة من الصبغة السياسية

سكر البنجر

لم يكن سكر البنجر يستخرج منذ نحو اربعين سنة وبلغ مليون طن سنة ١٨٧٢ وسيبلغ هذا العام ٥٥١٠٠٠٠ طن اما سكر القصب الذي كان سنة ١٨٧٢ نحو ١٦٠٠٠٠٠ طن فلا يزيد الآن على ٢٩٠٤٠٠٠ طن اي ان سكر القصب لم يتضاعف في نحو ثلاثين سنة واما سكر البنجر فزاد اربعة اضعاف . وقد رخص السكر بسبب ذلك وثمنهُ الآن نحو ثلث ما كان عليهِ منذ نحو ثلاثين سنة وانتقل مقر زراعة السكر من البلدان الحارة التي يزرع فيها القصب الى البلدان الباردة التي يزرع فيها البنجر

نجم جديد متغير

اكتشفت مدام سراسكي الروسية نجماً جديداً متغيراً في صورة الغول وقد اكتشفت نجماً آخر متغيراً قبل هذا واكتشف زوجها نجماً ثالثاً متغيراً

كتب طوابع البريد

قالت السينتفك اميركان ان ادارة البريد الاميركية عزمت ان تجعل طوابع البريد في شكل كتب صغيرة في الكتاب منها من الطوابع ما ثمنهُ ريال او نصف ريال او ربع ريال حتى يسهل على المرء ان يضعها في جيبهِ من غير ان تتلف فعسى ان نرى شيئاً من ذلك في القطر المصري

المأذون الشرعي وقانون الزواج

عزمت ولاية كولورادو من ولايات اميركا ان تنيط الاذن في الزواج بلجان من الاطباء في كل لجنة منها ثلاثة اطباء طبيبين وطبيبة او طبيبتين وطبيب وهذه اللجنة تفحص طالبي الزواج فحصاً طبياً مدققاً ولا تأذن لهما فيهِ الاَّ اذا وجدتهما خاليين من بعض الامراض ولا قرابة دموية بينهما ويجب ان يكون عمر الزوج ٢٥ سنة او اكثر وعمر الزوجة ٢٢ سنة او اكثر

اشعة رنتجن لنزع الشعر

جاء في جريدة اللانست الطبية ان امرأةً في وجهها شعر غزير اريد نزعهُ باشعة رنتجن فجلست امام الآلة وغطي وجهها بورق القصدير الاَّ حيث يراد نزع الشعر منهُ والقيت عليهِ اشعة رنتجن على بعد ست عقد

وكرر ذلك اربع عشرة مرة فاخذ الشعر يقل رويدًا رويدًا وبعد ان كررت هذه المعالجة ٤٥ مرة زال الشعر كلهُ الاَّ تسع شعرات بقيت اسبوعًا ثم زالت. وعادت بضع شعرات الى النمو بعد زوالها فازيلت بالابر الكهربائية على ما هو معروف. والمظنون ان تعريض الشعر لاشعة رنتجن اربعين مرةً يزيلهُ تمامًا او يميت اصولهُ

مسامير الصمغ الهندي

صنع الالمانيون مسامير من الصمغ الهندي ويقال انها صلبة حتى تخرق الخشب اللين الذي سمكهُ عقدة. واما اذا كان الخشب صلبًا او اسمك من عقدة فيخرق مكانها اولاً ومزيتها انها لا تصدأُ ولا توصل الكهربائية ولا تتلف بعض المواد الكيماوية اذا اتصلت بها

الكتابة الكيماوية

كتب الدكتور غستاف ميشو الى جريدة السينتفك اميركان يقول اذا اردت ان ترى الفعل الكيماوي على اسلوب بديع فاشترِ عشرة دراهم من ملغم الصوديوم والزيبق ولوحًا صغيرًا من معدن الاليومينوم وقطعة من سلك النحاس. وابرد رأس سلك النحاس حتى يصير دقيقًا وامسح سطح لوح الاليومينوم بسكين حتى ينظف جيدًا ثم غط طرف السلك بالملغم واكتب بهِ على لوح الاليومينوم كأَنك تكتب بمداد ولو لم يعلق بهِ شيءٌ ولا يظهر شيءٌ من الكتابة اولاً ولكن لا يمضي وقت طويل حتى تأْخذ الحروف ترتفع من نفسها واذا ازلتها ارتفعت ثانية وثالثةً وهلمَّ جرًّا. وذلك لان الزيبق يغير طبيعة الاليومينوم ويجعلهُ يتحد باكسجين الهواء فيتأَكسد ويكبر حجمهُ حيث اتصل بهِ الزيبق

المعالجة بالحرارة الكهربائيَّة

المعالجة بالحرارة معروفة منذ عهد طويل وقد شاهدنا بالامس احد اصدقائنا الاطباء وهو مصاب بروماتزم مزمن في يدهِ وقد حاول معالجتها بالحرارة الشديدة فما استطاع احتمالها والانسان يحتمل الحرارة الشديدة اذا كان الهواء جافًّا لكنهُ يتعب كثيرًا من استنشاقهِ. وقد جاء في مجلة بيرصن انهُ يمكن معالجة المرضى بالحرارة الكهربائية من غير ان يتعبوا ولو بلغت الحرارة الدرجة ٤٠٠ بميزان فارنهيت واذا بلغت الحرارة هذه الدرجة اماتت كل الميكروبات ومعلوم ان ميكروب السل يموت عند الدرجة ١٧٠ ولذلك اشار الكاتب باستعمال هذه الحرارة في معالجة المسلولين. ولا ندري كيف يمكن ان ترتفع حرارة الجسم كلهِ فوق درجة الغليان وهو مملوءٌ بالسوائل التي تتبخر عند تلك الدرجة

خريطة من الجواهر

يصنع الروسيون خريطة لبلاد فرنسا ولاياتها من انواع مختلفة من ح. اليشب والبجر من حجر اللازورد والانهر من البلاتين والمدن من الحجارة الكريمة وستعرض في معرض باريس

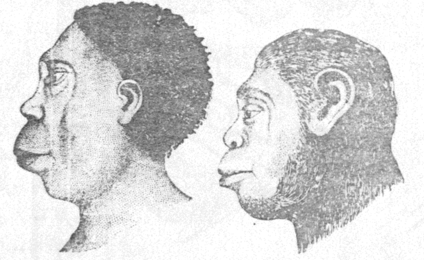
فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢ محرم سنة ١٣١٨

الانسان والحيوان الاعجم

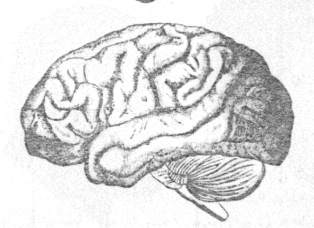


(١) انثى الغورلا (٢) امرأة من الهوتنتوت

أيدري من ينظر الى هاتين الصورتين ان اليمنى منهما صورة راس قردة من القرود المعروفة بالغورلاَّ وقد هُذّب شعرها بعض التهذيب . واليسرى صورة راس امرأة من نساء الهوتنتوت سكان مستعمرة الراس الاصليين في جنوبي افريقية. ويكاد الشبه يكون تاماً بين هاتين الصورتين حتى لو وضعت بجانبهما صورة راس امرأة من الجنس القوقاسي لظهر لاول وهلة ان الفرق بين شكل القوقاسية والزنجية اعظم من الفرق بين شكل الزنجية وانثى الغورلاَّ . أُنظر الى غور الذقن وبروز الفم وبرطمة الشفتين وخطس الانف وارتفاع الحجاج فانك تكاد تجد الغورلاَّ ارقى من الزنوج في ذلك كله . اما الجبهة فاعرض في الزنجية والاذن اصغر والجمجمة اوسع ولولا ذلك لحكمنا ان الغورلاَّ مثلها او ارقى منها

ثم اذا قابلتَ بين ادمغة القرود والمتوحشين والمتمدنين رأيتها متدرجة وتكاد ادمغة المتوحشين تكون اقرب الى ادمغة القرود شكلاً منها الى ادمغة المتمدنين كما ترى في الشكل الثالث والرابع والخامس فان الاول منها صورة دماغ قرد من القرود الكبيرة المعروفة بالارانج اوتانج والثاني صورة دماغ امرأة من نساء البشمن سكان جنوبي افريقية الاصليين وهي المعروفة بزهرة البشمن ويرى جسمها مصبَّرًا في باريس حتى الآن. والثالث صورة دماغ غوس العالم الرياضي الشهير. واذا كانت العبرة بكثرة التلافيف وغورها فدماغ المتوحشين متوسط بين ادمغة المتمدنين وادمغة القرود وقد تكون اقرب الى ادمغة القرود منها الى ادمغة المتمدنين

(٣) دماغ الارانج اوتانج

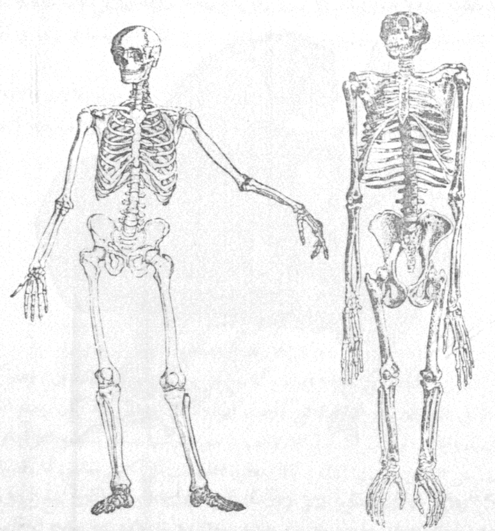


(٤) دماغ زهرة البشمن

(٥) دماغ غوس الرياضي

واذا عدنا الى شكل الجسم كلهِ الى الهيكل البشري والهيكل الحيواني رأينا بينهما مشابهة كبيرة فلا تكاد توجد عظمة في هيكل الانسان الاَّ وتوجد عظمة مثلها شكلاً ووضعاً في هيكل الحيوان ولاسيما العجماوات القريبة من الانسان شكلاً كالغورلاَّ والشمبانزي والارانج اوتانج وهي ارقى انواع القرود. ترى في الشكل السادس والسابع صورة هيكل الانسان وهيكل الشمبانزي . فالراس والعنق والصدر والجذع والذراعان واليدان والساقان في كل ذلك من المشابهة ما يقضي بالعجب ولكن

ما من عظمة في القرد الاَّ وتختلف عما يقابلها من عظام الانسان اختلافًا يراهُ علماءُ التشريح جليًّا ولو لم يرهُ سواهم. وقد يكون الاختلاف ظاهرًا كما في شكل القدمين حتى حسبت قدما القرد يدين ولقبت القرود بذوات الايدي الاربع لكن المدققين من علماء الحياة عادوا فاثبتوا ان قدمي القرد كقدمي الانسان ولو ماثل شكلهما الظاهر يديهِ . وهذا ايضًا لم ينفِ ما تقدَّم من ان كل عظمة من عظام القرد تفرق عما يقابلها من عظام الانسان

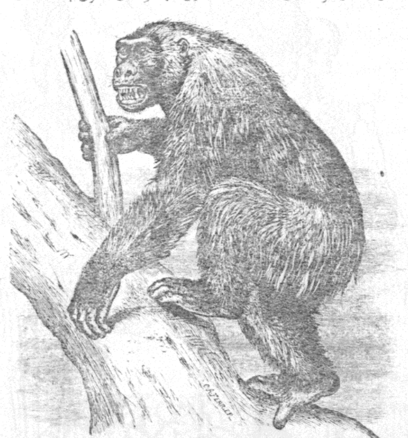


(٦) هيكل الشمبانزي (٧) هيكل الانسان

وكذلك شكل الانسان الظاهر وشكل القرد الظاهر فان بينهما اختلافًا كبيرًا كما ترى في الغورلا الموسوم في الشكل الثامن فانهُ لا يكاد يفرق عن الدب في يديهِ ورجليهِ وسائر بدنهِ ما خلا رأسهُ . وفي ذلك كلهِ من الهيئة الوحشية ما يبعدهُ عن كل طوائف الناس مهما انحطت نهيك بشعرهِ الذي يغطي بدنهُ كلهُ كما يغطي الشعر بدن الادباب والضباع فتهطل

عليهِ الامطار الغزيرة وهو جالس القرفصاء لا يشكو ضيقاً لان المطر يقع على شعرهِ الطويل ويجري عليهِ فلا ينالهُ منهُ بلل

وكان الكتَّاب الاقدمون ومنهم كتَّاب العرب يقولون ان الانسان في جسمهِ حيوان لا فرق بينهُ وبين العجماوات الاَّ كالفرق بين نوع وآخر من انواعها . وكانوا يحسبون القرد قادراً على كل ما يقدر عليهِ الانسان من الاعمال والصناعات. لكنهم لم يبحثوا في هل الانسان مرتقٍ من العجماوات ارتقاءً او هو مخلوق كذلك منذ اول عهدهِ لان القول بانهُ مخلوق كذلك عليهِ



(٨) الغورلا

نص صريح في اكثر الكتب الدينية فلا سبيل الى الشك فيهِ. الى ان كان القرن الماضي فذهب بعض العلماء ومنهم بفون ولامارك واراسموس داروِن جد تشارلس داروِن الى ان جسد الانسان لم يكن من اول عهدهِ كما نراهُ الآن بل كان مثل اجساد بعض القرود ثم تغير رويداً رويداً فبعُد بعضهُ كثيراً عن الصورة الوحشية وبقي البعض الآخر قريباً منها وهذا سبب الفرق الكبير بين المتمدنين والمتوحشين من نوع الانسان

ثم بحث الشهير تشارلس داروِن في هذا المذهب وجمع الادلة الكثيرة عليهِ في كتابهِ

المعنون بتولُّد الانسان وارتأى ان بعض الاسباب الطبيعية كالانتخاب الطبيعي والجنسي كافٍ لحدوث ما حدث من التغير المتوالي في جسم هذا الحيوان حتى صار انساناً . وتبعهُ في ذلك جمهور كبير من العلماء الطبيعيين ووافقوهُ كلهم اجمالاً في تولُّد الانسان والانواع كلها بعضها من بعض ولو خالفوهُ تفصيلاً في اسباب هذا التولد وفي ايها اقوى من غيره . لكن بقي فريق من العلماء الطبيعيين وجمهور كبير من الفلاسفة يقول ان الانسان خُلق مستقلاً في الصورة التي نراهُ فيها الآن او ان جسدهُ ارتقى ارتقاء بالنشوء الطبيعي واما نفسهُ فاعطاه الله اياها مباشرة . وفي الوقوف على آراء الفريقين من اللذة العقلية ما لا يُرى في افكه الروايات الغرامية

ولا نعرف الانسان الا منتصب القامة بادي البشرة ناطقاً عاقلاً يصنع الآلات والادوات ويضرم النار يتدفأ بها ويصلح طعامهُ. هذا شأنهُ الآن مهما انحطَّ وتوغل في الهمجية كما ترى



(٩) صورة المموث على قطعة من عاجهِ

من الفصول الكثيرة التي نشرناها في العام الماضي عن سكان استراليا الاصليين . وهذا كان شأنهُ في اقدم العصور الجيولوجية التي وُجدت فيها آثارهُ . في الصناعة كان يصنع القسي والسهام والحراب وقد مهر في كسر حجارة الصوان حتى صنع منها نصالاً لسهامهِ يعجز ابناء هذا العصر عن الاتيان بما يفوقها اتقاناً . وكان يصور الحيوانات التي كانت معاصرة لهُ وقد بادت الآن كالمموث او الفيل الكبير الذي توجد آثارهُ في طبقات الارض وتحت ثلوج سيبيريا كما ترى في الشكل التاسع وهو صورة هذا الحيوان على قطعة من عاجهِ نقشها الانسان الوحشي في غابر الازمان لما كان معاصراً لهُ

وهو الحيوان الوحيد الذي يضرم النار ويصلح بها طعامهُ . ولا نعلم كيف اهتدى الى اضرامها اولاً ولكن لا يبعد انهُ رأى الشرر يتطاير من وقوع حجر على آخر اي رأى النار تضرم من احتكاك الحجارة والمعادن فاستخدم الاحتكاك لاضرامها او جلبها من جوار البراكين او

المناجم الكبريتية فاحتفظ بها للدفإِ اولاً ثم لاصلاح الطعام

وهو الحيوان الوحيد الذي تسلح وهاجم اعداءهُ باسلحة صنعها من الحجارة والمعادن. ولا عبرة بما يفعلهُ الفيل احياناً فانهُ قد يكسر غصناً من الاشجار ويذبُّ بهِ الذباب اما الانسان فيهجم على عدوهِ هجوماً بالاسلحة التي يتخذها لذلك وقد تدرَّج في هذه الاسلحة من الحجارة والعظام الى المعادن على انواعها والآن يقتل خصمهُ بمقذوفات يقذفها اليهِ فتصلهُ على عشرة اميال او اكثر

وهو الحيوان الوحيد الذي سلخ جلود الحيوانات وارتدى بها وازدان بريش الطيور وصدف المحار وصنع القوارب وعبر بها الانهار وخاض لجج البحار. ومن تلك المبادىء الطفيفة نشأَت معامل الغزل والنسج وصُنعت البواخر والبوارج. وتلك المبادىء لم تزل شائعة عند المتوحشين لا يعرفون غيرها ولكنهم اذا اقتبسوا العلوم والفنون من المتمدنين اقتدوا بهم في اللباس والزينة وشاركوهم في كل اساليب الحضارة ولوازمها كما ترى في ما كتبناهُ عن وشنطون بوكر ومدرسة تسكجي في الجزء الاول من اجزاء هذه السنة

وقد اختلف الباحثون في وطن الانسان الاول فاهل الكتاب مختلفون في مكان جنة عدن والنشئيون مختلفون في المكان الذي ظهرت فيهِ التغيرات الكبيرة في الحيوانات التي تولَّد الناس منها. والرأي الشائع عندهم ان هذا المكان في جنوبي اسيا او قلب افريقية اي في الاماكن الحارَّة التي توجد فيها القرود الشبيهة بالانسان. وهو اما قد يكون قد ارتقى من اصل واحد في مكان واحد ثم تفرَّق وتشعب او من اصول عديدة في اماكن مختلفة ثم امتزج بعض الامتزاج. ومجال البحث في ذلك واسع جداً ولا يتجاوز اكثرهُ الظنون والمرجحات

ويظهر من آثار الانسان انهُ كان في اول عهدهِ يعيش بالصيد والقنص فان آثارهُ الباقية في الكهوف القديمة يوجد معها صنانير وحراب مما يستعمل في صيد السمك والوحوش. ولكن يرجح انهُ كان يغتذي ايضاً بما يجمعهُ من الاثمار والجذور والبزور شأْن المتوحشين في اكثر البلدان النائية. والظاهر انهُ اتقن صناعة الصيد قبلما اعتنى بفلاحة الارض فبرع في عمل الحراب والقسي والسهام قبلما حرث الارض وزرعها

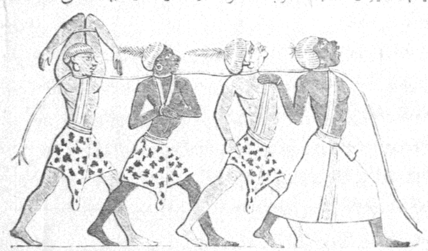
وقد قسم بعضهم تاريخ الانسان من هذا القبيل الى ثلاثة ادوار دور الصيد والقنص ودور الرعاية اي الاغتذاء باثمار الارض وجذورها من غير حرث ولا زرع ودور الفلاحة حينما صار يحرث الارض ويزرعها. وهذه الادوار الثلاثة لا تزال موجودة حتى الآن

ومن مزايا الانسان انهُ ربَّى بعض الحيوانات واستخدمها في اعمالهِ والمظنون انهُ ربَّى

الكلب اولاً ثم الخنزير ثم الايل ثم الغنم فالبقر فالخيل فالمعزى فالجمال فالافيال فالقطط

وسارت بعض طوائف الانسان سيراً حثيثاً في سبل العمران حتى بلغت في الصين والهند والعراق ومصر مبلغاً عظيماً منذ ألوف كثيرة من السنين . وكان الفرق بين سكان تلك البلدان وبين مجاوريهم كبيراً جداً حتى قبل عصر التاريخ . فان الاختلاف في اللون والهيئة بين الزنجي والحبشي والمصري والشامي كان واضحاً حينئذٍ كما هو الآن بدليل ما يرى من الصور المرسومة في الآثار المصرية من عهد الفراعنة الاولين كما ترى في الشكل العاشر

وحبذا لو اقتصر امتياز الانسان على ما منهُ نفع لهُ او دفع ضرر عنهُ ولكنهُ تناول ايضاً شروراً لم يأتها الحيوان الاعجم كشرب المسكرات والمخدرات والمنبهات على اشكالها وانواعها .



(١٠) اسرى المصريين

وتطرَّف ابن آدم في الحرب حتى فاق العجماوات وفاتها بمراحل كثيرة فان العجماوات تقتتل ولكنها قلما تفعل ذلك على اسلوب منتظم الاَّ اذا صحَّ ما يروى عن النمل وجيوشهِ التي يحارب بعضها بعضاً حروباً منتظمة . واذا صحَّ كل ما يروى عن النمل فيكون هو الحيوان الوحيد الذي شارك الانسان في حرث الارض وزرعها وخزن الحبوب والمؤَن وتربية المواشي وتعليفها

ثم اذا التفتنا الى نظام العائلة ودرجات ارتقائهِ وتدرَّجنا الى الشعائر الدينية وسلطتها على نفس الانسان والى الآداب والفضائل رأينا البعد بينهُ وبين الحيوان الاعجم يزيد اتساعاً حتى لا يبقى سبيل للريب في ان المرتقين من نوع الانسان قد بعدوا بعداً شاسعاً عن شركائهم في الحيوانية سواءٌ كان ارتقاؤُهم هذا خاضعاً لسنن طبيعية سنها الله لهذا الكون اوناتجاً عن عناية خاصة خارقة لسنن الطبيعة

الاستاذ سنت جورج ميفارت

فاجأَنا نعيُ هذا العالم الكبير والكاتب الشهير ونحن نقرأُ احتجاجهُ على الذين وقف علمهُ وقلمهُ للدفاع عنهم وننظر في احتجاج الذين رأوا الحق في جانبهِ فنصروهُ وسفهوا رأي الذين قضوا بحرمانهِ مما افتداهُ بكل مرتخص وغالٍ . ولقد كنا نعجب باخلاصهِ في الدفاع عن الكنيسة التي اعتنق مذهبها حتى خيل لنا انها على الحق في امر جوهري نخالفها فيهِ ولكن لم يقوَ فينا هذا الخيال و يصير يقيناً حتى رأينا صواعق الحرمان تنهال على رأسهِ فعلمنا كما علم هو انهُ كان مخطئاً . وقبل ان يقول القول الفصل فاجأَتهُ سهام المنية في غرة هذا الشهر (ابريل) وهو في الثالثة والسبعين من عمرهِ

ولد بمدينة لندن في العشرين من نوفمبر سنة ١٨٢٧ ودرس في مدرسة الملك واعتنق المذهب الكاثوليكي سنة ١٨٤٤ فحُرم من اتمام دروسهِ في مدرسة اكسفرد الجامعة عملاً بقوانين تلك الايام . ودرس علم القوانين وعلم الطب . واكبَّ على العلوم البيولوجية فذاعت شهرتهُ منذ سنة ١٨٦٢ وعُيِّن خطيباً في المدرسة الطبيَّة بمستشفى القديسة مريم واختير عضواً في الجمعية الملكية وفي كثير من الجمعيات العلمية وجُعل استاذاً للبيولوجيا (علم الحياة) في مدرسة لندن الجامعة ومنحهُ البابا لقب دكتور في الفلسفة وجُعل استاذاً لفلسفة البيولوجيا في مدرسة لوفين الجامعة

ولهُ من المؤلفات (١) تكوين الانواع (٢) الانسان والقرود . (٣) دروس في احوال التشريح . (٤) دروس من الطبيعة (٥) الهر (٦) الطبيعة والفكر (٧) الصدق (٨) اصل العقل (٩) مقالات وانتقادات (١٠) اشكال الاحياء (١١) مقدمة في مبادىء العلوم (١٢) الطيور . ولهُ مقالات شتى في كثير من المجلاَّت ولاسيما مجلة القرن التاسع عشر ومناظرات علمية مع اشهر العلماء

نشر كتابهُ تكوين الانواع سنة ١٨٧١ فبلغ بهِ اوج شهرتهِ العلمية ولاسيما لانهُ استحقَّ ان ينتقدهُ الاستاذ هكسلي . وكان غرضهُ فيهِ الحط من قيمة الانتخاب الطبيعي في تكوين الانواع ونسبة تكوينها الى الارشاد الالهي فنشبت نار الجدال بينهُ وبين هكسلي وتقاطعا عشر سنوات ثم اصطلحا . ولما توفي هكسلي منذ اربع سنوات رثاهُ ميفارت وعدَّد مناقبهُ في مقالة مسهبة ترجمناهُ ونشرناها في مقتطف ابريل سنة ١٨٩٨ وعنونَّاها "لا عداء في العلم" ومن قولهِ فيها

"ولقد كان الاستاذ هكسلي صديقاً صدوقاً ثابتاً كريماً . كان جديراً بالإكرام لسمو عقلهِ

واجدر بهِ لكرم اخلاقهِ وحبهِ لاصدقائهِ . وكان ايضاً مخلصاً في بغض خصومهِ كما كان مخلصاً في حب انصارهِ ولكن العداء والتأني قلما يجتمعان فاذا خمدت نار الجدال عدل الانسان في احكامهِ واستبدل بوادر الغضب بالعفو والسماح

واني انتهز هذه الفرصة لبثّ ما اشعر بهِ مما انا مديون فيهِ لهُ ولوصفهِ كما ظهر لي في احوال مختلفة . ولولا علاقة ما سأذكرهُ من اموري بهِ وبايضاح بعض اوصافهِ لكنت اتجنب نشرهُ حتماً . وليس من غرضي ان انفي ما كان من الاختلاف بيننا في الآراء ولا ان ابين ان الايام واتساع المعارف ازالتهُ كلاَّ بل ان ذلك الاختلاف باقٍ على حالهِ وبقاؤهُ يساعد كثيرين على قبول شهادتي بما للاستاذ هكسلي من الفضل وما يستحقهُ من الاكرام . وهذا الفضل اعترفُ لهُ بهِ وهذا الاكرام راسخ لهُ في نفسي ولو جفاني اشدَّ الجفاء . وليس من غرضي ايضاً ان اخوض في مواضيع الخلاف بيننا بل ان اصوِّر ذلك الفقيد الكريم لذهن القارىء وأصف اخلاقهُ كما اختبرتها بنفسي

وقد تطرَّف بعض خصومهِ في دعاويهم حتى ادَّعى بعضهم انهُ يجب على الانسان التمسك ببعض العقائد ولو علم ان العلم سينقضها حتماً . اما هكسلي فرأَى جليًّا ان الانسان غير مضطر ادبيًّا الى تصديق كل معتقد وكل قول وان موقف العالِم موقف المرتاب الباحث عن الحقيقة . وعلى كل من يستحق اسم العالم ان لا يستنكف من النظر في كل دليل جديد ولو كان مناقضاً لما يعتقد انهُ من الامور المقرَّرة . هذا هو الواجب على كل عالم ومن يخالفهُ يحتقر قواهُ العقلية ويحسب انها لا تستحق ان يعتمد عليها

ولما اطلعتُ على مذاهب هكسلي في مسائل التشريح والاساليب التي يوضحها بها طلبت الانتظام بين تلامذتهِ ودخلت غرفتهُ لاعرض عليهِ طلبي وكان يشرّح مرًّا من اسماك البحر اظهارًا لاعصابهِ فرحب بي ولم يقبل ان اكون تلميذاً لهُ بل ان اساعدهُ في خطبهِ كصديق. فحضرت خطبهُ بعد ذلك مدة سنتين . وقد سمعت كثيرين يخطبون ولكن لم اسمع احدًا يخطب مثل الاستاذ هكسلي فانهُ كان فصيح العبارة واضح البيان ينتقي الالفاظ انتقاء فتأتي على قدر المعاني ويملح الكلام بالنكت الادبية فيشوق السامعين ويروقهم ويتبع الالفاظ بملامح تقرأها العين فتراها منطبقة على ما تسمعهُ الاذن

وسنة ١٨٦٨ خامرني ريب في مسألة الانتخاب الطبيعي وساعدني على ذلك الاب روبرتس وهو من العلماء المدققين وكان صديقاً لي ولهكسلي . وكنت قد سمعت كثيرًا مما يقال في تأييد المذهب الداروني من هكسلي وولس وهيكل ومن دارون نفسهِ ولكن الريب كان يزيد

في نفسي يوماً فيوماً ولا سيما من حيث علاقة هذا المذهب بالعقائد الدينية واخيراً كاشفت هكسلي بما في ضميري فاندهش من ذلك لكنهُ لم يحل عمَّا عوَّدني من اللطف وكرم الاخلاق. وفي اليوم التالي كنا نتذاكر في هذا الموضوع فادَّت بنا المذاكرة الى الجدال لكن علاقتنا العائلية بقيت على حالها وكنت ادعوهُ الى الغداء مرةً ويدعوني أخرى . وفي ذات يوم دار الحديث على اطلاق الحرية لكل احد ليعتقد ما يشاء والتفتُّ اليهِ متوقعاً منهُ ان يؤيد كلامي فقال لا تنتظر مني تأييد هذا الرأي فقلت لهُ وكيف ذلك قال ان الضلال يجب ان يزال — ولو بالقوة فقلت لهُ انك ادهشتني بهذا القول فهل تبرّر الذين كانوا يضطهدون غيرهم لضلال ينسبونهُ اليهم فقال انهم كانوا مصيبين في الغاية ولو اخطأُوا في الواسطة فقلتُ ان حرق الانسان حياً لاجل مذهبهِ واسطة قبيحة فقال مازحاً نعم ولا سيما لان اللحم المحروق كريه الرائحة . فضحكنا واغفلنا الموضوع "

وهذه المقالة من ادلّ الادلّة على ما اتصف بهِ ميفارت من كرم الاخلاق وبلاغة الانشاء وارتفاع المنزلة بين رجال العلم

وخلاصة ماذهب اليهِ وخالف بهِ دارون وهكسلي وغيرهما من زعماء النشئيين ان عقل الانسان غير متولد بالنشوء الطبيعي لجسدهِ لكنهُ هبة الهيَّة خاصةَّ وقد بحث في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً في كتابهِ الطبيعة والفكر الذي نشرهُ سنة ١٨٨٢ وكتابهِ اصل عقل الانسان الذي نشرهُ سنة ١٨٨٩ وفي مقالات شتَّى بانياً احكامهُ على بحثهِ الدقيق في تشريح المقابلة فانهُ كان من الثقات في تشريح القرود والضواري وآكلات الحشرات وهو الذي كتب مقالة القرود للطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية

والحادثة الاخيرة التي اشرنا اليها في صدر هذه الترجمة الوجيزة هي ان ميفارت نشر مقالة في مجلة الفورتنَيْتلي في اول هذا العام قال فيها " ان الخطر العظيم على الديانة الكاثوليكية هو ان زعماءها قلما يبالون بالحقائق العلمية وقد يظهرون العداء لها حتى لو أُعطوا السلطة الكافية لاستحلوا كل نوع من الخداع والتمويه على عقول البسطاء كما دلَّت بعض الامور الحديثة " ثم قال اقوالاً اشدَّ وقعاً من هذه واشدَّ ايلاماً في نفوس المسيحيين الذين يعتقدون بالوحي. فما كان من الكردينال فون الانكليزي الاَّ انهُ حرمهُ من تناول الاسرار وكتب لهُ صورة من قانون الايمان طلب منهُ ان يعترف بها ويمضيها بيدهِ . ومن مواد هذا القانون الاعتراف بان اسفار التوراة والانجيل كلها كُتبت بوحي الروح القدس والله نفسهُ مؤلفها . فابى ميفارت ان يمضي هذا القانون قائلاً انهُ لا يعتقد صحة ما جاء في التوراة عن الحية والشجرة وبرج بابل

وسفينة نوح وضربات مصر وتوقيف يشوع للشمس وبقاء يونان حيًّا في بطن الحوت وتحول امرأة نوح الى عمود ملح وتكلم اتان بلعام ونحو ذلك

وكنا نحسب انهُ يتملق بعض الرؤساء لشدَّة حذرهِ في ما يكتبهُ عنهم الى ان ظهرت مقالاتهُ الاخيرة فاذا هو قد طرح ثوب الحذر كمن ضاق بهِ ذرعا وصرَّح بما كان يلمح اليهِ تلميحًا. وقبل ان يزول صدى اقوالهِ من الآذان ويمحى اثر احتجاجهِ من الاذهان فاجأتهُ المنية فمضى مأسوفًا عليهِ مذكورًا بفضائلهِ وفواضلهِ

عثمان باشا الغازي

ذكرنا في المقالة السابقة ترجمة رجل من اكبر رجال القلم فقدتهُ الامة الانكليزية في غرة ابريل ولم نكد نأتي على ترجمتهِ حتى نعى الينا البرق في الخامس من ابريل رجلاً من اعظم رجال السيف فقدتهُ الامة العثمانية وهو القائد الشهير والمشير الخطير عثمان باشا الغازي

وُلد بمدينة طوقات من اعمال بر الاناضول سنة ١٨٣٢ وتلقى الدروس الابتدائية في المكتب الاعدادي بالاستانة وكان اخوهُ استاذ العربية فيهِ ثم انتقل الى المدرسة الحربية فنبغ فيها وفاق الاقران وخرج منها سنة ١٨٥٣ وجُعل ملازمًا في اركان الحرب بُعيد شبوب حرب القرم وامتاز بالبسالة وحسن القيادة. ولما انتهت الحرب رقِّي الى رتبة يوزباشي في الحرس السلطاني ولم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى رقي الى رتبة بكباشي وأُرسل مع الجنود الى كريت لاخماد ثورتها سنة ١٨٦٦ و ١٨٦٩ وعاد الى الاستانة بعد اخماد الثورة فرُقّي الى رتبة اميرالاي ثم الى رتبة امير لواء بعد اخماد ثورة اليمن

ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية وبلاد الصرب أُعطي قيادة الجنود التي كانت في مدينة ودن فابدى من الهمة والبسالة واصالة الراي ما جوزي عليهِ برتبة المشيرية. ثم ثارت الحرب بين الدولة العلية والروس وكان لم يزل في مدينة ودن فوُضع تحت امرهِ ٦٨ اورطة من المشاة و١٦ من الفرسان و١٧٤ مدفعًا فتقدم بهذا الجيش الى بلافنا لانها في ملتقى الطرق بين ودن وصوفيا وشبكة ويلا وزمنترا ونيكوبولي وموقعها الطبيعي من امنع المواقع. ولقي الروس هناك وكسرهم واضطرهم الى تغيير خطتهم الحربية ونزل في بلافنا وحصنها امنع تحصين فحاصرهُ الروس حصارًا شديدًا فخرج اليهم في ٧ سبتمبر واوقع بهم وكان في جيشهم ٧٥ الف راجل و٦٠ الف فارس فخسروا نحو عشرين الفًا بين قتيل وجريح. ولما بلغ خبر هذا النصر الحضرة السلطانية

لقبتهُ بالغازي ومنحتهُ النشان العثماني الاول . ثم لما اشتدَّ عليهِ الحصار ونفد ما عندهُ من الزاد ورأَى انهُ لا يستطيع البقاء في بلافنا حاول الخروج منها برجالهِ واختراق صفوف الروس المحاصرين لها فاحدقوا بهِ واسروهُ بعد ان سقط جريحًا برصاصة اصابت فخذهُ واسروا معهُ اربعين الفًا من الجنود وغنموا اربع مئة مدفع وكان فتحهم للمدينة بعد حصار ١٤٢ يومًا وقد خسروا في فتحها اربعين الفًا بين قتيل وجريح وخسر المحاصرون ثلاثين الفًا وكان فتحها في العاشر من دسمبر سنة ١٨٧٧

وقابلهُ الروس بالتعظيم العسكري وقت تسليمهِ لما شاهدوهُ من بسالتهِ وعلو همتهِ وبعث اليهِ قائدهم مركبة يركب فيها وسار في اليوم التالي وقابل القيصر فقام لهُ ورحَّب بهِ معجبًا يبسالتهِ وردَّ اليهِ سيفهُ واذن لهُ ان يتقلدهُ في بلادهِ

ولما وضعت الحرب اوزارها وأُبرمت شروط الصلح سنة ١٨٧٨ عاد الى الاستانة وجُعل قائدًا للحرس الملكي ومشيرًا للمابين ثم واليًا لكريت . وولي تنظيم الجيش العثماني وقُلد نظارة الحربية مرارًا . وقد اطبق الناس على مدحهِ واجمع الكتَّاب على الاعجاب ببسالتهِ . والعثمانيون جميعهم يذكرونهُ بالفخر ويعترفون لهُ بالفضل

راس نُوم بلاد الذهب

لما ابتاعت الولايات الاميركية بلاد الاسكا من دولة الروس سنة ١٨٦٧ بسبعة ملايين ومئتي الف ريال حُسب انها صفقة خاسرة على اميركا لان اشتداد البرد في تلك البلاد يمنع زرعها وتعميرها . لكن الذهب غرار يقصدهُ المرء اينما كان ويتجشَّم في طلبهِ كل المشاق ولا يبالي بحر ولا ببرد فلم يكد يُكشف في كلنديك حتى قصدها الالوف على شدَّة بردها وكثرة بعوضها وابتعادها عن كل اسباب الحضارة . والآن كُشف في رأس نوم عند ساحل بحر بيرنج ولم يكد هذا الخبر يبلغ آذان طلاَّب النضار حتى شدوا الرحال وقصدوا تلك الاصقاع النائية في الصيف الماضي فلم يكادوا يبلغونها حتى وجدوها قد صارت في حوزة غيرهم كأَن الرياح الاربع حملت الخبر ونشرتهُ في اقطار المسكونة ولم يمضِ شهران حتى بنيت البيوت وقاية من زمهرير الشتاء اوى اليها نحو اربعة آلاف نفس من طلاَّب الذهب وسيبلغ عددهم عشرين الفًا او اكثر هذا الصيف . وفي اقل من شهرين جمع هؤُلاء الناس من شذور الذهب وتبرهِ ما يساوي مليونًا من الريالات الاميركية اي مئتي الف جنيه

وبلغ الاستاذ هلبرن الاميركي روايات غريبة عن وفرة الذهب في رأس نوم فقصده في شهر اكتوبر الماضي وجال فيهِ وبحث في اوصافهِ الطبيعية والجيولوجية وكتب مقالةً مسهبة في مجلة العلم العام الاميركية اتى فيها على وصفهِ . قال ان المستنقعات تغطي تلك البلاد في اشهر الحر حتى يتعذَّر السير فيها ولكن تحتها على قدمين او ثلاثة تبقى الارض مجلودة على مدار السنة واما في اشهر البرد فتجلد كلها ويصير السير فيها سهلاً

والذهب منتشر هناك بين رمال الساحل واكثرهُ تبر دقيق قلما يسهل استخلاصهُ بغير الزيبق وقد تكون فيهِ شذور صغيرة تساوي الشذرة منها غرشًا او غرشين او اكثر الى خمسة غروش . وقد بلغ عدد الذين استخرجوا الذهب في الصيف الماضي ١٥٠٠ نفس وبلغ ما استخرجهُ كلٌّ منهم في اليوم ثلاثة جنيهات على المتوسط وكثيرًا ما كان يبلغ اثني عشر جنيهاً الى خمسة عشر واستخرج اثنان من بقعة واحدة ما يساوي ثلاثين جنيهاً في تسع ساعات لا غير . واستخرج اثنان مدة الصيف الماضي ما يساوي الفين وستمئة جنيه واثنان آخران ما يساوي تسع مئة جنيه في شهر واحد

والارض رملية حصوية ويكون الذهب ممزوجًا برملها في البر وفي البحر ايضاً وتحت الرمل على متر او مترين طبقة صخرية لا ذهب فيها . وقد وجدت بين الحصى شذور كبيرة من الذهب بلغ طول واحدة منها اربع عقد وثمنها ٦٢ جنيهاً وبلغ ثمن واحدة اخرى اكبر منها نحو مئة جنيه

وترجح دار الضرب في الولايات المتحدة الاميركية ان الذهب الذي يستخرج من هناك هذا العام اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات فاذا صحَّ ذلك فقد وُجد ما يعوّض عن جانب من مناجم الترنسفال فانهُ كان ينتظر ان يستخرج منها هذا العام ما يساوي عشرين الف جنيه لولا الحرب الضاربة اطنابها ولكن لا ينتظر الآن ان يستخرج منها هذه السنة سوى خمسة آلاف جنيه

وقد بُنيت هناك مدينة سميت مدينة نوم لم يكن فيها احد في شهر يونيو الماضي فبلغ عدد سكانها في اواسط سبتمبر نحو اربعة آلاف نفس بنوا فيها بيوتًا من خشب جلبوهُ عن بعد الفي ميل . وتشتدُّ العواصف في فصل الشتاء حتى تبلغ سرعة الريح ثمانين ميلاً في الساعة ويبلغ البرد الدرجة ٦٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت ومع ذلك يحتمل هؤلاء الناس عصف العواصف وبرد الزمهرير . وكانوا قد اعدوا شيئًا من الوقود للشتاء من الخشب الذي تجرفهُ اليهم مياه البحر ومن الفحم الحجري الذي اتوا بهِ الى هناك وبلغ ثمن الطن من الفحم الحجري في اكتوبر الماضي ٧٥ شلنًا وثمن رطل اللحم عشرين غرشًا وثمن البرتقالة خمسة غروش والبطيخة خمسة ريالات ثم تضاعفت هذه الاثمان كلها في الاسبوع الاول من نوفمبر

آثار السوس

لما استدعت الحكومة الفرنسوية المسيو ده مورغان من هذا القطر بعثت بهِ الى السوس عاصمة بلاد الفرس الاقدمين في خوزستان ليبحث عن آثارها. والرجل موفَّق في البحث عن الآثار القديمة كما يظهر مما اكتشفهُ في هذا القطر مدة اقامتهِ فيهِ مديرًا لدار التحف المصرية فكشف في السوس من الآثار ما يدل على ان تلك البلاد كانت مهد الآريين وان العمران المصري مقتبس منها وهاك بعض ما قالهُ في هذا الصدد

"وجدتُ في التل الباقي من انقاض القصر كثيرًا من مناجل الصوان لا يزال في بعضها القار الذي كان يلصق صوانها بخشبها. وعليها كلها دلائل الاستعمال الطويل كما يرى في المناجل التي وجدت في القطر المصري. وقد قلت في كتابي عن اصل المصريين ان زرع القمح لم ينشأ في وادي النيل لان القمح لا يوجد فيهِ ولا ما في حولهُ بريًا وقد استدللتُ من ذلك ومن ادلة اخرى مثلهِ ان المصريين الاولين جاؤُا القطر المصري من اسيا او ان العمران جاءهم من اسيا فلو علمت حينئذٍ ان مناجل الصوان التي وجدت في مصر يوجد مثلها في خرائب بلاد فارس لكان دليلي اقوى وامتن لا سيما وان القمح ينبت بريًا بين النهرين وفي البلاد المجاورة حتى في تلال السوس"

وانقاض المباني التي وجدت حتى الآن الحديث منها حديث جدًا من عهد الدولة السلوقية والساسانية وترى فيهِ جدران البيوت مبنية بالاجر المربع والغرف صغيرة وفيها ميازيب ينزل فيها ماء المطر عن السطوح ويجمع في الصهاريج. وتحت هذه الانقاض آثار مبانٍ اقدم منها فيها حجارة جيرية مثل الحجارة التي تستعمل في مباني داريوس الاول وارطحششت ووجدت هناك كأس من المرمر الشفاف عليها اسم زركسيس وهي اول مرة وجد فيها اسم هذا الملك في خرائب السوس

ومن الآثار الكثيرة التي وصفها ده مورغان بلاطة طولها متران وعرضها متر في اعلاها ثلاث رسوم للشمس والشعاع منتشر منها وتحتها صورة ملك على رأسهِ خوذة وفي يمناهُ سهم وفي يسراهُ قوس وفي منطقتهِ خنجر وهو طويل اللحية مثل الكلدانيين والاشوريين وتحت قدميهِ اشلاء اعدائهِ وامامهُ واحد منهم سقط جريحًا بسهم اصاب صدرهُ وهو يحاول نزعهُ منهُ ووراء هذا رجل رفع يديهِ كالمتوسل المتضرّع وتحت الملك ثلاثة من حملة الاعلام وكلٌّ منهم حامل علمًا بيدهِ اليمنى وواضع يدهُ اليسرى على خنجر في منطقتهِ. وتدلُّ الرسوم على ان البلاد جبلية وقد سار فيها هذا الملك تابعًا اعداءهُ فاثخن فيهم ولا يزال بعضهم بعيدًا عنهُ. وكان فوق راسهِ

كتابة ولكن النار فعلت بها فازالتها غير ان الصور حولها لا تزال محفوظة وهي تدلُّ على ان صنّاعها كانوا امهر من الكلدانيين والاشوريين " وقد ظن الاب شيل ان هذه البلاطة من عهد الملك نارام سن البابلي ابن الملك سرجوم الذي نشأ سنة ٥٦٥٠ قبل المسيح

وهناك ادلة كثيرة على ان السوس حرقت بالنار منذ عهد قديم وذلك يؤيد ما ورد في كتابات الملك اشوربنيبال عن نفسهِ حيث قال " اني حرقت قصر مدينة السوس الذي اساسهُ من الرخام وقلبتُ جدرانهُ رأساً على عقب وفي مدة شهر دوَّخت بلاد عيلام من طرف الى طرف وابعدت عن حقولها اصوات الناس وانغام الطرب وجئتها بالوحوش والافاعي والغزلان"

وخلاصة ما وصل اليهِ المسيو ده مورغان ان هذه المدينة قديمة جداً وقد توجد فيها آثار منذ عشرة آلاف سنة او اكثر تدلُّ على بدء العمران وانهُ لما خربها الاشوريون نهبوا ما نهبوهُ منها وما لم يستطيعوا حملهُ من تماثيلها ونقوشها قلبوهُ وابقوهُ في مكانهِ. وان المدينة لم تبنَ بعد ما خربها الاسكندر ذو القرنين وعفيت آثارها القديمة قبل الدولة الساسانية

سان غوثار

من كتاب مشاهد اوربا واميركا لحضرة موءلفهِ عزتلو افندم ادوار بك الياس

اما وقد بدأت بذكر ما في سويسرا من عجائب المناظر التي تؤثر في الذهن فاني اراني مقصراً في القليل الذي سيجيء لان هذه البلاد كعبة المتفرجين ومثابة السراة والموسرين ومصيف السائحين وهي فردوس اوربا وجنتها الفيحا. تجمعت فيها محاسن الجبل والوادي والسهل والبحر والنهر وتناسقت على شكلٍ يسحر الالباب ويقصر عن وصفهِ ابرع الكتاب . ولطالما سبقني البارعون الى تقرير الحقائق عما في هذه البلاد الحسناء من فخيم المناظر وبديع الامور فانا اكتفي هنا بقليلٍ مما رأيت فيها وقد كنت قصدتها من الاسكندرية في شهر يونيو سنة ١٨٩٥ ومررت ببعض مدائن الطليان قبل الوصول اليها مثل برندزي والبندقية وميلان ترى الكلام عنها في باب ايطاليا حتى وصلت حدود سويسرا ورأيت جبالاً شامخة شاهقة تعلو قممها الى السحاب هي جبال الالب المشهورة ليس في اوربا ارفع منها قمة ولا اوعر مسلكاً ولا افخم منظراً فلما مدت خطوط الحديد في كل الممالك وكان لا بدَّ من خطٍ حديدي يمرُّ في تلك الجهة ويربط هذه الممالك بعضها ببعض تعاونت المانيا وايطاليا وسويسرا على مدهِ في جبال الالب. فانت اذا ركبت القطار من حدود ايطاليا ترى العجب من كثرة ما يخترقهُ هذا القطار من الجبال يدخل في نفقٍ ويخرج من نفق طول الطريق حتى ان عدد السراديب هذه في ذلك الخط

لا يقل عن ٦٤ فضلاً عما ذكوهُ من الجبال وما فتتوا من الصخور ومهدوا من الطرق مدة تسع سنين انفقوا في خلالها ١٢٠٠٠٠٠ كيلو من الديناميت لنسف تلك الجبال الهائلة. واطول نفقٍ في هذا الخط كلهِ النفق المعروف باسم سان غوثار وهو جبل شاهق طويل عريض نقبوهُ من جانب الى جانب والقطار يمرُّ في جوفهِ ويظل ثلث ساعة سائرًا سيرًا حثيثًا في بطن الارض لان طول النفق هذا نحو مائة كيلو متر يقضيها المسافر في ظلام دامس ودخان متكاثف وتعتريهِ رهبة ودهش غريب متى فكر انهُ تحت الارض يسعى مجدًّا ومن فوقهِ جبال الالب الهائلة فيصفر عجباً لهمة الرجال وعظمة الانسان اذا تضافر واتمَّ الغرائب

وماذا اقول عن محاسن هاتيك الربوع التي يخترقها القطار في خط سان غوثار وانا لو اوتيت مقدرة اعظم الواصفين ما قدرت على عشر معشار الذي يليق بعظمة هذه المناظر الفخيمة وهي مقصد الطلاَّب ومطمع الروَّاد من كل بلاد فان قوى الطبيعة كلها تضافرت وتعاونت هنالك وعرضت من انواع الحسن الباهر ما يخلب الالباب ويفتن الانظار فبين انت في ذيالك القطر العجيب تسير في سهلٍ دبجتهُ يد الطبيعة باشهى الاعشاب وابهى انواع الزهر والشجر الباسق اذا انت على ضفة جدولٍ لمائهِ خرير يلذُّ للسمع وقد راق زلالهُ ورقَّ استرسالهُ ورصعت جوانبهُ بوشيٍ من الخضرة واشكال الزهر الغريب تخالك على الظن انك في ديار النعيم حتى اذا ضاع فكرك في التأمل ببدائع هذا السهل رأيت انك فوق جسر عظيم يمتد من جبل الى جبل كانما هو معلق بينهما وتحتهُ الوادي تجري فيهِ الانهار حتى اذا اجتزت ذلك الجسر مرت الى جانب المجرى سيرًا متعوجاً متعرّجاً كانما القطار افعى تنساب بك ما بين تلك المروج البهية والضفاف الشهية وتقع في حيرة الى اي الجانبين تحوّل الانظار الى جانب الوادي وما يليهِ من خضرة نضرة ومنازل رصِعت بها الجوانب ترصيعاً وقد التفت من حولها الاغصان على شكل بديع وماء ينسيك متاعب الدهر واحوالهُ أم الى الجانب الآخر حيث قام جبل شاهق فخيم في قمتهِ سحاب تتساقط منهُ كرات المطر كانما هي اللؤلؤ والدر على تلك الاعشاب الندية ومن دون السحاب ثلج يجلل قمة الجبل ويزيدهُ مهابةً وجمالاً ومن دون الثلج صخور بينها شجر تحنُّ النفس الى ذكر مثلهِ وتصبو الى التظلل طول العمر بفيئهِ لا سيما وقد جرت من بين تلك الصخور والجبال جداول ماء معين يتدفق في هاتيك المسالك البهيّة تدفقاً يروق للناظرين ويتساقط من سفح الجبل فيريك اعجب ما رأيت من اشكال الجنادل لا سيما وهي تغيب اونة وتظهر اخرى ما بين هاتيك المسالك التي يتعشق القلب ذكرها وتمثل للرائي منتهى العز وحد الاعجاز في الجمال الباهر

مصباح الشرق واهل الاديان

اتحفنا مصباح الشرق الاغر بمقالات بليغة الانشاء مستفيضة المباحث تتناول اصول الحضارة ودعائم العمران عزاها الى عظيم من علماء المسلمين اطلعها عليه من افق المشرق . قال في الرابعة من هذه المقالات ان قوماً من غير المسلمين خافوا من علو قوة الاسلام وارتفاع سلطانه اذا رجع اهلهُ الى ما كان عليهِ سلفهم الصالح من الائتلاف والاجتماع والتمسُّك بعروة الدين المتين فجعل يبين لهم ان الملَّة الاسلامية السمحاء لا تعترض احداً في دينهِ ولا تعاديهِ في مذهبهِ ونحلتهِ ولا تفرق بينهُ وبين المسلم في المعاملة بالعدل والاحسان وان الذين يعلمون عنها غير ذلك انما اخذوهُ بجهل من افواه العامَّة والجهلة واهل القصص من موضوعاتهم وتأويلهم وضلالاتهم واباطيلهم ممَّا لا يدخل تحت الحصر . ولم يلقِ الكاتب هذا الكلام على عواهنهِ بل اقام عليهِ الادلَّة التاريخية قال

وكيف لا ينظر الى التاريخ الاسلامي من يرمي الاسلام بالنفرة من غير اهلهِ ويحكم عليهِ بانهُ يأمر بعداوة من يخالفهُ ممن دخل تحت حكمهِ وهذا التاريخ امامنا يقصُّ علينا ما كان عليهِ أولياء الدين وأُولو الحكم فيهِ أيام لا قوة في الارض اعظم من قوتهِ ولا سطوة اكبر من سطوتهِ والسيوف مسلولة والرماح مشرعة والسهام مفوقة واليد مطلقة والجو خالٍ لا منازع ولا ممانع . نعم يقص علينا انهُ قلَّما تخلو دولة من دول الاسلام الاَّ ولأوليائها حفظة وأُمناء وارباب مناصب وذوو زلفى واصحاب مكانة واهل ثقة وأُولو كفاءة وغناء من غير المسلمين منذ الصدر الاول من الخلفاء الراشدين الى الدولة الاموية الى الدولة العباسية الى غيرها الى يومنا هذا

هذا ابو موسى الاشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان لهُ وهو والٍ على البصرة كاتب يهودي يعتمد عليهِ في شؤُون الولاية ويركن اليهِ ولا يثق بغيرهِ فبلغ عُمَر عنهُ ما دعاهُ الى طلب عزلهِ فتوقف ابو موسى عن اجابة الامر معتذراً بانهُ لا يجد لديهِ من يقوم مقامهُ سواهُ فعاودهُ عمر بالامر وبقي ابو موسى على رأْيهِ حتى كتب لهُ عمر في ذيل كتابهِ « مات اليهودي والسلام » (يعني افرض انهُ مات فماذا يكون العمل) ولم يحتجَّ لعزلهِ بيهوديتهِ

وهذا عبد الملك بن مروان في غرة الدولة الاسلامية وسطوة الخلافة الاموية اختص لنفسهِ ولدولتهِ شاعراً من شعراء النصرانية غياث بن غوث ابا مالك الاخطل . قال عنهُ ابو عبيدة انهُ شاعر الدولة الاموية وقدَّمهُ على الشاعرَين المسلمين جرير والفرزدق . وروى علي ابن مجاهد قال قال الاخطل لعبد الملك يا امير المؤْمنين زعم ابن المراغة (يعني جريراً) انهُ

يبلغ مدحتك في ثلاثة ايام وقد اقمت في مدحتك : « خف القطين فراحوا منك وابتكروا » سنة فما بلغت كل ما اردتُ . فقال عبد الملك ما سمعناها يا اخطل فانشده اياها فجعلت ارى عبد الملك يتطاول لها ثم قال ويحك يا أخطل أتريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعر العرب. قال اكتفي بقول امير المؤمنين . وامر له بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم والقى عليه خلعاً وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعر العرب . ودخل الاخطل مرة على عبد الملك بن مروان فاستنشده القصيدة فقال قد يبس حلقي فمر من يسقيني فقال اسقوه ماء فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير . قال فاسقوه لبناً قال عن اللبن فُطمت. قال فاسقوه عسلاً قال شراب المريض . قال فتريد ماذا . قال خمراً يا امير المؤمنين قال أوعهدتني اسقي الخمر لا أمَّ لك لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت. فخرج فلقي فرّاشاً لعبد الملك فقال ويلك ان امير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي فاسقني شربة خمر فسقاه فدخل على عبد الملك فانشده

خفَّ القطين فراحوا منك وابتكروا   وازعجتهم نوى في صرفها غيَرُ

فقال عبد الملك خذ بيده يا غلام فاخرجه ثم القِ عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته وقال ان لكل قوم شاعراً وان شاعر بني أمية الاخطل . وحدَّث أبو عبيدة قال قال رجل لابي عمرو يا عجباً للاخطل نصراني يهجو المسلمين فقال أبو عمرو يا لكع لقد كان الاخطل يجيء وعليه جبة خز وحرز خز في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن

فهذا نصراني يجترئ على خليفة الرسول وامام المسلمين يطلب منه خمراً وهو صاحب الحدّ فيها فلا يقابله على ذلك بأكثر من العتب لعلمه ان الخمر حلّ في دينه

وهذا أبو العباس السفاح رأس الدولة العباسية نزل عليه بالكوفة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي مناظره في الخلافة من آل البيت فسأله السفاح وكان به حفياً هل في نفسه شيء يشتهيه فيبلغه اياه فقال له لقد بالغتَ في اكرامي واجملت في صلتي ولكنني ما زلت أشتهي ان يجتمع لي مرة الف الف دينار فقال ابو العباس لا يوجد يا أخي هذا المقدار في بيت مال المسلمين ولكن انظرني ريثما أتداركه لك ثم ارسل السفاح من فوره الى رجل تاجر يهودي فاقترض منه هذا المال الجسيم . ومن هذه القصة يتبين لك جملة امور تنبئك بما كان عليه غير اهل الاسلام في صولة حكومته من جمال الحال . منها اطلاق الحرية لهم في السعي في طرق التكسب والاكتناز حتى يصلوا في اليسار الى ان يكونوا أغنى من بيت مال المسلمين

فيقترض منهم . ومنها أمنهم وخلوهم من المخاوف فلم يكن يجري في حسبانهم ان أحدًا من اهل هذا الدين الذين عرفوا حقيقته يتعدى عليهم في ثروتهم بمكروه فاظهروها واشتهروا بها . ومنها عدم استنكاف أمير المؤمنين وخليفة الرسول وابن عمهِ من ان يلجأ الى واحد من رعيتهِ لا يدين بدين الاسلام . ومنها استحكام العدل والامان في النفوس والدولة العباسية ناشئة والفتن قائمة ومظنة السلب والنهب موجودة

وهذا المأمون لما جاء الى مصر ووصل في طريقهِ الى قرية من قرى القليوبية قابلته امرأة قبطية وسألته ان ينزل عندها ضيفًا يستريح برهة من سفرهِ فلبى دعوتها فاستوقف الجيش ونزل فأكل وشرب عندها ولما همَّ بالانصراف قدمت اليهِ عشرة اطباق في كل طبق الف دينار وقالت له يا امير المؤمنين ان من عادة الرعية عندنا ان يقدموا تقدمة بين يدي ملوكهم علامة الشكر لهم فأسألك ان تقبل هذه الدنانير وهي من ضرب هذه السنة خاصة لتعلم مقدار ما ترتع فيهِ رعيتك من العدل والامان وتيسير الاحوال وكيف ان امرأة ضعيفة من بينهم لا سند ولا معين لها من الرجال تصل في ظل عدلك الى هذه الدرجة من الثروة . وفي هذه القصة جملة امور ايضًا منها تنازل هذا الخليفة العظيم والامام الكبير الى اجابة الدعوة من امرأة في قرية وتناوله من طعامها وشرابها واستيقافه الجيش عن المسير من اجلها . ومنها بيان ما كانت عليهِ الرعية من المسلمين وغيرهم من عدل الخلفاء وعمال ولاياتهم حتى يملك مثل هذه المرأة من المال قدرًا يعلمه من تأمل في أصل ثروة يهدى منها عشرة آلاف دينار من ضرب تلك السنة خاصة . ومنها اعتراف غير المسلمين لولي امرهم برفاهة احوالهم تحت حكمهِ واظهار علامة الشكر له على ذلك بتقديم شيءٍ من ثمرة ما يتمتعون بهِ من العدل والامن

وهؤلاء الخلفاء من العباسيين وغيرهم من ملوك الاسلام قد اتخذوا خاصة اطبائهم واصحاب اسرارهم وامناء خزائنهم من غير اهل الملة الاسلامية منهم بختيشوع طبيب هرون الرشيد وابنه جبريل من بعدهِ ومنهم ابن التلميذ الملقب بأمين الدولة طبيب المكتفي واحد مشاهير العلماء في عصرهِ والذي يقول عنه العماد الكاتب انهُ كان سلطان الحكماء ومقصد العالم في علم الطب بعيد الهم عالي الهمة شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم . ومنهم ثابت بن قرة كان من اعيان عصرهِ في الفضائل والعلوم واتصل بمحمد بن موسى العالم الرياضي الشهير فأوصله الى الخليفة المعتصم بالله العباسي فنال حظوة عنده وادخله في جملة المنجمين ودرج ابنه وحفيده من بعدهِ على درجتهِ عند الخلفاء . ومنهم ابو زيد حنين بن اسحق الطبيب العبادي المشهور كان من اطباء الخليفة المأمون وكان معتمدًا عنده في تعريب الكتب العلمية

اليونانية . ومنهم ولدهُ اسحق بن حنين خدم من الخلفاء والرؤساء من خدمهُ ابوهُ منهم ثم انقطع الى القاسم وزير الامام المعتمد بالله واختص بهِ حتى كان الوزير يطلعهُ على اسرارهِ

ومنهم ابو الفرج يعقوب بن كلس امين كافور الاخشيدي وموضع سرهِ ووزير العزيز العبيدي صاحب مصر والمغرب بلغ من المنزلة عند كافور انهُ كان جليسهُ الدائم في ديوانهِ الخاص وكان الامراء والاشراف يجلونهُ ويعظمونهُ ثم ترقَّى بهِ الامر عندهُ فامر سائر الدواوين بان لا يمضى دينار ولا درهم الاَّ بتوقيع ابي الفرج فوقع في كل شيء وبلغ من المنزلة عند العزيز في آخر عمرهِ أنهُ لما اعتلَّ علة الوفاة ركب اليهِ العزيز عائدًا وقال لهُ وددت انك تباع فابتاعك بملكي او تفدى فافديك بولدي فهل من حاجة توصي بها يا يعقوب فبكى وقبَّل يدهُ وقال أما فيما مضى فأنت أرعى لحقي من ان استرعيك اياهُ واما فيما بقي فانت أرأف على من أُخلفهُ من ان اوصيك بهِ ولكنني انصح لك فيما يتعلق بدولتك « سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبقِ على مفرج بن دغفل بن جراح ان عرضت لك فيهِ فرصة

ولا زال الجمع الدهم والعدد الجم من فضلاء النصارى واليهود والصابئين شعرائهم وادبائهم وكتَّابهم الى المغنين منهم يتقلبون على بساط النعمة ويتنقلون في مراتب السعادة ويصعدون في مراقي الاقبال تحت كرسي الخلافة النبوية وعرش الامامة المحمدية يفدونهُ بالارواح لايفضلون عليهِ سواهُ ولا يبغون عنهُ بديلاً . ولو اردنا ان نسير على هذا السرد في ذكرهم لملانا الكتب واستغرقنا الزمن ولكننا نختم هذه الشواهد الوجيزة بواحد هو فصل الخطاب وختم المقال في هذا الباب

ذلك ان المأمون لما اراد ان يدون العلوم ويجمعها في دولتهِ جمع في بغداد ثلاثمائة عالم من كل فن من الفنون وعلم من العلوم من كل جنس ودين فألف منهم اكبر ديوان للعلم هو اشبه عند اهل هذا الزمان باكادمي العلوم . ثم اذن بينهم بالحظر عليهم في اجتماعهم مسلمهم وغير مسلمهم ان يستشهدوا بآي القرآن ولا بالانجيل ولا بالتوراة وامر ان لا يتعرضوا في مباحثهم الى ما يمس بالاديان ويفضي الى التجادل والتشاحن والتباغض والتنافر

هذا حال الدولة الاسلامية في معاملتها لرعيتها ممن يدين منها بغير دينها اذ كانت آخذة بقول الكتاب عاملة باحكام الشريعة على حقيقتها نابذة ما يدخلهُ الضالون المضلون اعداء الدين في الدين لا تعصب يعيبها ولا جنف يشينها بل هو العدل والانصاف والفضل والكرم والسماحة والسماحة . فاذا نحن رجعنا البصر كرة الى الممالك النصرانية قديمها وحديثها قويها وضعيفها وجدنا الفرق عظيمًا والبون بعيدًا في معاملاتها لغير اهل دينها وفي معاملة اهلها بعضهم

لبعض في تفرق مذاهبهم واختلاف طوائفهم فاذا ذهبنا الى تاريخ القرون الوسطى انقلب البصر خاسئًا وهو حسير من لون الدماء التي تسيل من اقطاره في وقائع « التفتيش الديني » في اسبانيا ومذابح « سان بارتلمي » في فرنسا . واذا عدنا الى تاريخ هذا العصر الحديث وجدناه تكاد تنفجر منهُ امثال تلك الوقائع من جمعيات تتألف وتستعد للوقيعة بتلك البقية الباقية من بني اسرائيل على اعين الحكومات التي تصدعنا بالفاظ الحرية والمساواة والاخاء وفصل الدين عن السياسة . هذه البقية بقية بني اسرائيل اذا قسنا ما يقع عليها الآن من انواع الهوان في كثير من الممالك النصرانية بما عاملها ويعاملها بهِ المسلمون من الرأفة والعدل وصيانة الحقوق وحفظ المصالح تمثل لنا التعصب باشنع صورهِ وتجلّى لنا التسامح في اجمل اشكالهِ . وهذه مكرمة عبد الله ابن الاحمر آخر ملوك الاندلس مع اليهود حين سلّم غرناطة الى فردينند ملك اسبانيا اسطع الشواهد على ذلك . عاهدهُ عهد التسليم واشترط ان يكون لليهود ما للمسلمين فيهِ من المصالح والمنافع . واي فرق اعظم بين اهل دين يشركون في حكومتهِ غيرهم وبين اهل دين آخر يحكمون الملايين والملايين من اهل آسيا وافريقية مدة السنين والسنين فلا نسمع ان واحداً من اهل الهند اشترك في حكومة لوندره او ناب عن بلادهِ في مجلس نوابها او ان واحداً من اهل الجزائر اتصل بحكومة باريس او ناب في مجلس نوابها

لا جرم ان من يقف على حقيقة الدين الاسلامي من غير اهلهِ لا يسعهُ الاَّ ان يرتاح صدرهُ ويطمئن خاطرهُ من ارتفاع شأنهِ وانتشار حكمهِ ورجوع اهلهِ الى العمل بهِ هذا ان خلوا هم ايضاً عن الاغراض الكامنة والاهواء الباطنة

انتهت رسالة مصباح الشرق وكل ما فيها من الامثلة والشواهد منقول من تواريخ العرب وقد يكون في بعضهِ مبالغة كثيرة كما في قصة المرأة القبطية ولكن ايرادهُ في التواريخ الموثوق بها والكتب التي تتداولها ايدي الناس يدلُّ على تصديق الكتّاب النسّاخ لهُ واقرارهم على صحتهِ وحسبانهم اياهُ مما يحسن ذكرهُ ونشرهُ لا مما يخالف ما يعتقدونهُ ويحسن الاغضاء عنهُ . ولكن المطّلع على تواريخ الممالك العربية ولا سيما تواريخ هذا القطر يرى فيها ايضاً كثيرًا مما يسوء ذكرهُ ويضطرُّ الباحث المنصف الى القول بان نصيب الدين من اعمال الناس قليل جدًّا وانهم يعملون في الغالب على مقتضى طبعهم فالكريم كريم وثنياً كان كسقراط وفضلاء العرب قبل الاسلام او كتابيًّا كالفضلاء من اليهود والنصارى والمسلمين والاَّ فاذا آخذنا كل دين باعمال اهلهِ اضطررنا الى جمع النقيضين . وهذا لا ينفي ما هو مقرر من ان الاديان تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وان المؤتمرين باوامرها اقرب الى العدل من غيرهم

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

القسم الثالث . الفصل الاول

تقلّص نور القمر عن بستان الجثسمانية وقبر ابشالوم ومياه قدرون ووادي ابن هنّوم ولكنهُ بقي مشرقًا بجمالهِ وجلالهِ على اسوار اورشليم وابراجها وا. تاجها . هناك جبل صهيون وعلى قمتهِ برج داود وامامهُ برج الموريا وعليهِ هيكل اله ابرهيم الذي بناه لهُ اولاد اسمعيل

اورشليم في نور القمر . يا لهُ من منظر بهيج عدا ما فيهِ ممّا يهيج ذكرى العصور الغابرة. مدينة حصينة قامت حولها الاودية مقام الخنادق

وغاب القمر وراء جبل الزيتون فزاد اشراق الكواكب فوق اورشليم ومرَّ النسيم على سهل شارون فسمع السرو زفراتهِ وارتعدت منها فرائص النخيل . أهو صوت النسيم او انين الانبياء ينوحون على مدينة عزَّ عليهم انقاذها. ارض اختارها الله لسكناه لا تفارقها ارواح انبيائهِ. من هذا الجبل ومن طور التجلي اطلَّ رجال اسرائيل على مدينة العجائب. رجال كماة وحكماء يفاخَر بهم في كل العصور . المشترع الذي قام في عهد الفراعنة ولا تزال شريعتهُ ثابتة الاركان . والملك الذي اشتهرت حكمتهُ في الخافقين ودان لهُ الانس والجان . والمعلم الذي جاء بالعدل والرحمة وبُنيت على تعاليمهِ دعائم العمران . اعظم مشترع واعظم ملك واعظم مصلح. اي امة من الامم الحاضرة والغابرة تباهي بثلاثة مثل هؤلاء

أُطفئ المصباح الاخير في بيت عنيا وانقلب النسيم ريحًا عاصفة وسُدِل الضباب على وجنة السماء فاحتجبت بهِ الكواكب وغاب برج داود عن الابصار وحجبت الظلمة الحرم الشريف اما كنيسة القيامة فلم يزل النور فيها. على مَ بقيت مستنيرة وقد مرَّت بهرة الليل ونام القانتون والزهّاد

الحرس التركي في دار الكنيسة وفي داخلها راهبان من دير الافرنج قائمان على حراستها وبجانب القبر شابٌ جثا على ركبتهِ لما غابت الشمس وبات الليل كلهُ جاثيًا وهو ليس من اللاتين ولا من الارثوذكس ولا من الارمن ولا من الموارنة ولا من القبط ولا من الاحباش. اتى من جزيرة بعيدة في اقصى الشمال ليسجد عند قبر المخلص الذي جاء من نسل ملوك اسرائيل. ولكن لماذا جاء هذا الشاب وحدهُ وعلى مَ كان اسلافهُ يأتون زرافات الى الارض المقدسة قبل عصر العلم والاختراع . فان الارض المقدسة لم تزل مقدسة وهي ارض النبوّة ومهبط الوحي ارض الانبياء والرسل الارض التي من جبالها كلّم الله بني الانسان

يدّعي الجمهور من الاوربيين ان بلاد الشام مثل غيرها من البلدان . وقد غار بعضهم من الاسرائيليين وقالوا كيف يكون اهل الهدى والرشاد منهم .وقام ابناء اعظم مملكة من ممالكهم واقفلوا الكنائس وقتلوا القسوس وزعموا ان الدين حديث خرافة لكن ساء فألهم وحبطت اعمالهم وعادت البلاد الى عبادة اعظم من قام من الاسرائيليين وخصّت اعظم معبد من معابدها بامرأة من العبرانيات

والبلاد التي جاء منها هذا الشاب الجاثي امام القبر المقدس لم تجاهر بعداوة التوراة والانجيل ولكن اهاليها الذين ارسلوا ملكهم ونخبة امرائهم لانقاذ الارض المقدسة منذ سبعمئة سنة عدلوا عن هذه الخطة الآن ولم يعد لهم همٌ الاَّ توسيع المتاجر وانشاء سكك الحديد

ولقد حبطت مساعي الصليبيين لانهم جاؤُا الارض المقدسة وهم يتّهمون العرب بالالحاد والعرب اقرب منهم الى من جاؤُا لانقاذ قبرهِ كلهم ابناء ابرهيم وهم مأمورون باقامة التوراة والانجيل . وستبقى اورشليم ابد الدهر تابعةً لابناء عيسو او لابناء اسمعيل . واذا حاولت الممالك الاوربية ان تقيم عليها اميرًا من ابنائها حلَّ بهِ ما حلَّ بملوك القدس الاوربيين

الفصل الثاني

قرب باب صهيون شارع متحدّرٌ البيوتُ قائمة على جانبيهِ لا كوة فيها ولا شرفة لها . في كل بيت منها دار قد تكون فسيحة لا يدل ظاهرهُ على ما فيها من دلائل الرفاه والرفاهة

دخل رجل لابس اللباس السوري بابًا من ابواب تلك البيوت ومرَّ في الرواق الذي يحيط بدارهِ ومنهُ في سرداب يمتدُّ الى دار اخرى في وسطها حديقة غناء فيها اشجار الليمون على اختلاف انواعهِ ويحيط بها غرف كثيرة وفي آخرها سرداب آخر ودرج يصعد منهُ الى غرفة رحبة معقودة السقف منقوشة الخشب على جانبين من جوانبها الاربعة ارائك من الدمقس وارضها مرصوفة بالرخام وعليها كثير من البسط الفارسية . وعلى الارائك رجال بالحلل الشرقية يدخنون التبغ اللاذقي او التنباك العجمي وكلما كاد التبغ يفرغ من حجر واحد منهم صفق بيديهِ فجاءهُ غلام زنجي ملأ الحجر بالتبغ ووضع عليهِ جذوة نار

وصاحب المنزل متكئ في صدر الغرفة وهو طويل القامة طلق المحيَّا ناهز الخمسين ولكن لم يخلق الدهر ديباجتهُ ولا ابقى شيئًا من الاسارير في جبهتهِ كبير العينين واسع الجبين اقنى الانف صغير الفم اسيل الخد مثل كثيرين من الذين تراهم في سواحل الشام وبلاد اليونان رغمًا عمّا انتاب البلادين من نوائب الدهر . هناك الجمال الفائق . هناك على مقربة من البلاد

التي كان فيها الفردوس تجد اناساً مثل هؤلاء تشرق عليهم شمس الارض المقدَّسة ويشربون ماءها ويستنشقون هواءها . وكان عن يمين صاحب المنزل تاجر مصري اسمهُ شريف افندي يدخن التبغ بقصبة من الياسمين وهو عربي الاصل اسمر الوجه معتمّ بعمامة بيضاء وكان جالساً منتصباً كأنهُ قائم للقضاء وعن يساره رجل متكئ وقد تدثَّر حتى لم يبن منهُ شيء وبجانبهِ رجل نحيف الجسم برَّاق العينين شائب اللحية معتمّ بعمامة سوداء دليلاً على انهُ اسرائيلي واسمهُ باريزي ويلقب بباريزي البرج لانهُ ساكن قرب برج داود تمييزاً لهُ عن ابن عمهِ الملقب باريزي الباب لانهُ ساكن قرب باب صهيون. وهناك رجل ارمني من الاستانة يدخن التبغ بقصبة من الكرز ورجل فرنسوي من البارجة الراسية في بيروت

لما وصل الرجل الى هذه الغرفة خلع حذاءهُ عند الباب ودخل وسلَّم فردوا لهُ السلام ودعوهُ الى الجلوس فجلس وصفق صاحب البيت فدخل غلام بيده قصبة وتبغ. اسم هذا الرجل بسكواليجو وهو من البنادقة الذين يترددون على المشرق وقد اقام فيهِ قنصلاً مدة طويلة وابنهُ قنصل في يافا وهو مقيم في القدس . لما استقرَّ بهِ المجلس قال اتانا سائح كبير نوَّر كنيسة القيامة من المساء الى الصباح واقام الحرس في الدار ولم يسمح بدخولها الاَّ للرئيس الاسباني واثنين من الرهبان . ولعلَّهُ دفع للدير عشرة آلاف غرش . مضى زمن طويل من حين اتانا سائح لا ثيني مثل هذا

فقال الباريزي بلغني انهُ ليس من اللاتين. وقال الارمني انهُ ليس من قومي لانهُ لوكان منهم ما دخل الكنيسة مع رئيس اسباني . فقال بسكواليجو لو كان ارمنيًا من قومك ما دفع عشرة آلاف غرش وقال الباريزي ولا هو يوناني ولكنني اعلم عن ثقة انهُ انكليزي من اخوة الملكة . فقال بسكواليجو لقد ظننت انا ذلك ايضاً حالما بلغني انهُ انكليزي . فقال لهُ صاحب البيت مَن ابلغك انهُ انكليزي . قال خدمهُ اخبروني . وقال الباريزي ان معهُ جنرالاً انكليزيًا لرئاسة رجالهِ وهو رجل ظريف يقضي نهارهُ في دار القنصلاتو. وقد استأجروا بيت حسن نجد بخمسة آلاف غرش في الشهر

فقال شريف افندي اذاً هو انكليزي بلا شك . وقال الباريزي وهو فتى صغير السن اصغر من الملكة ولذلك آل الملكُ اليها لان ولاية العهد للاكبر حسب شريعة الانكليز ولو كان امرأةً

ولم يستطع احد ان يعارض الباريزي لانهُ كان ثقةً في هذه الامور . ثم قال الارمني اذا بقي هذا الشاب ينفق امواله على هذه الصورة افلس سريعاً لان القدس اغلى من استانبول .

فقال لهُ صاحب البيت لا خوف من ذلك لانهُ جاءَني بمكتوب توصية يأمرني ان ادفع اليهِ مهما طلب من المال

فرفع الرجل المتدثر الغطاء عنهُ وقال من هو هذا الرجل يا بسُّو (وكان هذا المتدثر شابًّا جميل المنظر ازرق العينين)

فقال بسو هو لورد انكليزي ومن اعظم امراءِ الانكليز

فقال الشاب وعلى مَ جاءَ الى هنا ولم نعهد الانكليز يأتون سيَّاحًا

فقال بسو ولكنهُ اتى للسياحة كما ترى

فقال الشاب ومن ادرانا ان هذه السياحة ليست سياسة فان امم الشمال لا ترى لها شأنًا الاَّ في المشاكل السياسية ولكنك لست من رجال السياسة لتعلم ذلك

فقال بسو قد يكون الامر كما قلتَ ايها الامير لكني لستُ من رجال السياسة كما شهدتَ لي

فقال الشاب يا حبذا ذلك فانهُ خير لك ولنا ولكن انظر هذا الرجل شريف افندي فهو قهرمان كبير وقد وعد بان يهرّب لي عشرة آلاف بندقية يستلمها منهُ البدو ويوصلونها الى الجبل فما قولك في ذلك أخبر بهِ ابنتك واسألها عن رأيها فيهِ

فقال بسو اذًا قد تمَّ كل شيءٍ على حسب مرامك

فقال الشاب كلاَّ لان شريف افندي لا يسلمني البنادق ما لم ادفع لهُ ثمنها والبدو لا ينقلونها ما لم ادفع لهم عشرة آلاف غرش فحبذا لو كنت تدفع لهم عني وتطرح ذلك من القرض الذي ساقترضهُ منك على حساب الجبل. اظنك تفعل ذلك يا اخا المروءة لانهُ ليس لنا غيرك

فقال بسو ان اشغالاً مثل هذه لا اقضيها بعد غياب الشمس

الفصل الثالث

الاديرة من اكبر مباني القدس في هذه الايام اعظمها ثلاثة دير اللاتين المعروف بالترَّا صنطا ودير الارمن ودير الروم وهي مبانٍ فخيمة واسعة كالقصور وحصينة كالقلاع يسع الواحد منها خمسة آلاف سائح

لما وصل تنكرد الى القدس نزل في دير اللاتين فأُعطي غرفةً صغيرة فيهِ . والان تراهُ فيها يحاول تدخين التبغ وخادمهُ الايطالي باروني راكع امامهُ على ركبة واحدة يصلح لهُ التبغ في الحجر. قال تنكرد قد صرتُ احبُّ التدخين . فقال باروني لا بدَّ ان تحبهُ يا مولاي لانهُ لازم في هذه البلاد لزوم اللبن للطفل وهذا التبغ من اللاذقية وهو من اجود الانواع اخذتهُ

من السنيور بسو حينما ذهبتُ اليهِ بمكتوب سيادتكم . قال ذلك ونهض قائماً وهو شاب في الثانية والثلاثين من عمرهِ ربعة بين الرجال نحيف الجسم اسود اللحية اقنى الانف ابيض الاسنان برّاق العينين لابس لبس المماليك بسراويل واسع ومنطقة بيضاء فيها خنجر وعلى رأسهِ عمامة بيضاء . ثم اشعل شبقهُ وجلس على الارض متربعاً

فقال لهُ تنكرد ماذا فعلتم بالبيت . قال سينقلون اليهِ اليوم كلهم . فقال تنكرد اما انا فافضل البقاء هنا لانني اريد الوحدة . فقال باروني انهم كلهم على تمام الرضى والكولونل يلازم القنصلاتو وهو يتغدَّى هناك كل يوم ويقصُّ عليهم اخبار الحروب التي شهدها كما كان يقصُّ علينا في البحر . والمستر برنارد يلازم المطران الانكليزي وهو مسرور بهِ لانهُ زاد عدد الحضور في الكنيسة فانهم ثلاثة جدًّا قنصل انكلترا وقنصل بروسيا وخمسة من اليهود تنصرُّوا على شرط ان يأخذ كل واحد منهم عشرين غرشاً في الاسبوع وقد بلغني انهم استقلُّوا هذه الاجرة وطلبوا الزيادة . اما الطبيب فمشغول جدًّا وقد دعاهُ الوالي لمشاهدة حرمهِ فجسَّ نبض كل نسائهِ من وراء الستار ولم يرَ وجه واحدة منهنَّ واظن ان صندوق الادوية نفد الآن

فقال تنكرد لا يهمني الاَّ ان يكونوا على اتم الراحة اما انا فلا بدَّ لي من الذهاب الى بستان الجثسماني

فقال باروني هو منا على رمية سهم تمضي اليهِ من باب صهيون وتمرُّ في مقبرة الاتراك وتعبر وادي قدرون فتجد نفسك في بستان الزيتون

فقال تنكرد يظهر لي انك تعرف المكان جيداً

قال نعم فقد زرتهُ عشرين مرة واتيت الى هنا ثماني مرات سنة ٤٠ و ٤١ مرتين من انكلترا وست مرات من مصر. تلك ايام مضت ولو عمل الباشا بمشورة المسيو ده صيدوني لرأيت الغرائب في هذه المدينة

تنكرد — متى زرت هذه المدينة اول مرة

باروني — لما زارها المسيو ده صيدوني فاني اتيت معهُ من نابلي منذ ثماني عشرة سنة

تنكرد — اذاً كنت صغيرًا جدًّا حينئذٍ

باروني — نعم وكنا سبعة ولكن لم يبقَ معهُ غيري لما اتمَّ سياحتهُ بعد خمس سنوات

تنكرد — وماذا جرى للباقين

باروني — مرضوا او تكاسلوا فطردهم من خدمتهِ ولم ارَ اشد منهُ . اذا كان في قلب الصحراء وابدى واحد منا اقلَّ تضجُّر اركبهُ جملاً واستأجر قبيلة كاملة لارسالهِ الى اقرب

مدينة واعطاها تحويلاً على السنيور بسو ليدفع اليها الاجرة

تنكرد — أوَ لم تمرض انت

باروني — كلاَّ وقد كانت خمس سنوات قضيناها في السفر والتعب ولكنها علتني كثيرًا

وبعد قليل قام تنكرد وباروني وخرجا من باب صهيون فلم يريا احدًا في طريقهما غير الحرس لان الوقت كان الظهر وكان الحرُّ شديدًا لا يطاق والشمس في كبد السماء فلا تلقي للاجسام ظلاً تستريح العين برؤيتهِ . واشار باروني الى اشجار كبيرة من الزيتون وقال هناك الجثسمانية والطريق التي الى اليمين توصل الى بيت عنيا . فقال لهُ تنكرد " دعني وحدي " . لانهُ اراد ان يزور ذلك المكان وحدهُ فنزل من جبل صهيون وعبر وادي قدرون ودخل البستان المقدَّس

الفصل الرابع

مالت الشمس الى المغيب وانكسرت سورة الحر وعلى الطريق قافلة آتية الى المدينة المقدَّسة فيها جمال كثيرة واناس بالحلي والحلل. والعلَم العثماني يخفق فوق برج داود والموسيقى العسكرية تصدح في رحبتهِ والوالي خارج بفرسانهِ والنساءُ صادرات من بئر ايوب وجرارهنَّ على رؤُوسهنَّ

رأى تنكرد ذلك وهو عائد من بستان الجثسمانية وقد لوَّحت الشمس وجههُ بعد ان اقام فيهِ بضع ساعات في حالة البحران . فتردد في اذنهِ قول باروني لهُ ان الطريق التي الى اليمين توصل الى بيت عنيا فقال في نفسهِ علامَ لا ازورها قبل رجوعي فعرَّج اليها ونظر الى ما حولهُ من الآكام والوهاد وكل ما فيها يذكرهُ بامور سلفت في تاريخ شعب الله ورجالهِ وانبيائهِ . نظر فرأى امامهُ المدينة العظيمة التي حاصرها ملوك اشور وفراعنة مصر وقياصرة الروم وصلاح الدين وقلب الاسد. اسيا واوربا اختصمتا عليها ادهارًا كثيرة. فقال في نفسهِ هنا تاريخ العالم وام العالم هنا تاريخ الارض والسماء

وسار جنوبي جبل الزيتون الى ان صار على مرأًى من قرية منفردة بين الآكام تنفرج الارض امامها وتطلُّ على الاردن حيث يغادر واديهُ الاخضر ويصب في البحر الميت. ورأى امامهُ بستانًا كبيرًا يحيط بهِ سور عالٍ تعلو فوقهُ اشجار السرو والنخيل وكان بابهُ مفتوحًا فوقف امامهُ ينظر الى ادواحهِ وخمائلهِ وكان قد ورثً حب الازهار والرياحين عن امهِ فلم يسعهُ الاَّ الدخول اليهِ فمشى الهوينا وهو مفتون بما شاهدهُ فيهِ من جمال الطبيعة وحسن الصناعة الى ان بلغ عريشًا من الورد والياسمين وسمع خرير الماء وغناء البلابل فنظر الى ما وراء العريش واذا

هو برواق من المرمر تحته ُ فسقية يتدفق الماء منها فدخل الرواق وجلس على حصير مبسوط في ارضهِ وشرب من الماء الجاري فيهِ وكانت الشمس قد خدَّرت دماغه ُ وران الكرى على اجفانهِ فوضع ذراعه ُ تحت رأسهِ ونام . وللحال انسدل شعره ُ الذهبي على وجههِ وكتفهِ فظهر كالصور التي يمثل بها المصورون الملائكة الاطهار

واستيقظ بعد هنيهة وحاول مدَّ يديهِ فاذا شيء يغطيهما ويغطي رأسهُ فنظر واذا هو بملاءة من الحرير المزركش فالتفت الى ما حوله ُ مدهوشاً فرأى فتاة جالسة امامهُ

فتاة بديعة الجمال طويلة القامة ممشوقة القد عليها ثوب من الحرير الاصفر مزركش بالذهب ازرَّتهُ من الجواهر وفوقهُ رداء من المخمل له ُ ردنان طويلان مفتوحان تظهر ذراعاها منهما كقطعتين من العاج . وعلى رأسها عراقية مغطاة باللؤلؤ الناصع البياض تسترسل من تحتها غديرتان عقصتهما بدبابيس الجوهر ولولا ذلك لبلغتا الارض لطولها

جمال شرقي لا مثيل له ُ الاَّ في جنة عدن كأنَّ حواء اوصت لها بهِ قبلما سقطت . رأس صغير ووجه مستدير وشعر بين الاسود والاشقر برَّاق كشعر الاوربيات ومهلهل كشعر البدويات . لكنَّ جمال المشرق في العينين والحاجبين هناك الدَّعج والنجَل والكحَل والحوَر والوَطَف والزجَج والبلَج (١) هناك سحر العيون ونبل قوس الحاجب . انف دقيق قليل الشمم وثغر صغير واسنان كاللؤلؤ النضيد

هذه هي الصورة التي وقعت عليها عين تنكرد . وكانت الفتاة جالسة على الجانب المقابل من الفسقية تنظر اليهِ صامتةً فاراد الاعتذار عن جرأتهِ في الدخول الى بستانها ولم ينتظر حتى ينهض بل بادرها بالكلام قائلاً اصفحي يا مولاتي عن جرأتي

فاشارت اليهِ بيدها لكي يبقى في مكانهِ وقالت له ُ نحن هنا قرب البادية فضيافة الغريب فرض علينا

فقال لما وقع نظري على النخيل في هذا البستان حدثتني النفس بالدخول فدخلت وراقني هذا الينبوع فجلست بجانبهِ ولا اعلم كيف غلبني النعاس

فقالت فعلت بك شمسنا كما فعلت بكثيرين قبلك وكنت امشي في البستان مع جواريَّ فرأيناك وخفنا ان يصيبك الرعَن (٢) لان الشمس كانت على رأسك فغطتهُ واحدة منا بملاءَتها . اذا اقمت في هذه البلاد فلا بدَّ لك من العمامة

تنكرد — هذا فردوس لا بستان ولم يخطر ببالي قط ان اجد بقعة جميلة مثل هذه بين الجبال القاحلة ولكنهُ جدير ببيت عنيا

(١) الدعج شدة سواد العين مع سعة المقلة . والنجل سعتها . والكحل سواد جفونها . والحوَر اتساع سوادها . والوطف طول اشفارها . والزجج دقة الحاجبين وامتدادها . والبلج ان يكون بينهما فرجة

(٢) الرعن ضربة الشمس

الفتاة — انتم الافرنج تحبون بيت عنيا حباً مفرطاً

تنكرد — كيف لا نحبها وهي تعيد لنا ذكرى امور عزيزة لدينا ذكرى المخلص وامهِ

الفتاة — نعم وانتم تسجدون لهذه المرأة وتعبدون ابنها وكلاهما من اليهود

فنظر اليها تنكرد مدهوشاً وقال وقد صبغت حمرة الخجل وجنتيهِ أوَ لا تعبدينهُ انتِ ايضاً . فقالت يخطر لي احياناً اني اكاد اعبدهُ لانهُ من ابناء امتي والمرء مفطور على حبّ ابناء امتهِ

تنكرد — اذاً انت يهودية

الفتاة — نعم انا من اقرباء مريم البتول التي تكرمها ولو كنتَ لا تعبدها

فصمت تنكرد قليلاً وهو ينظر اليها ثم قال يا حبذا لو قرأتِ سيرة ابنها في كتابهِ

الفتاة — قرأتها فقد اعطاني اياها مطرانكم واظنها مكتوبة كلها باقلام اناس من اليهود وقد رأيت فيها اشياء كثيرة اعجبتني ولكن تعاليمها لا تنطبق على سيرتكم في هذه الايام ولا ارى لي مرشداً يرشدني الى فهمها

تنكرد — عندنا المرشد وهو الكنيسة

الفتاة — اي كنيسة فان عندنا في القدس كنائس كثيرة كنيسة اللاتين وكنيسة الروم وكنيسة الارمن وكنيسة الموارنة وكنيسة القبط وكنيسة الاحباش وكلها متخالفة متناقضة ولذلك ارى الاصلح لي ان ابقى في كنيسة اقدم منها كلها الكنيسة التي ولد فيها السيد المسيح ولم يخرج منها فانهُ ولد يهودياً من بيت داود كما تعلم . واودُّ ان اعرف ما هو رأيك في اليهود ولماذا هم منتشرون الآن في الدنيا

تنكرد — احسب ان انتشارهم عقاب لهم لانهم رفضوا المسيح وصلبوهُ

الفتاة — ومَن عاقبهم بهِ

تنكرد — هم عاقبوا انفسهم بقولهم دمهُ علينا وعلى اولادنا

الفتاة — هل شريعتكم تبيح للمذنب ان يعاقب نفسهُ ومَن ادراكم ان الحق سبحانهُ وتعالى قبل بما فرضوهُ على انفسهم من العقاب . فليس في كتابكم ما يثبت ذلك بل فيهِ ما يناقضهُ فقد جاء فيهِ ان المسيح صلى الى الله لكي يغفر لهم . ولكن هبْ انهُ لم يصلِّ او ان الله لم يستجبهُ فان الذين قالوا دمهُ علينا وعلى اولادنا هم عامة الشعب فهل هم نوَّاب الامة وهل يُقبَل حكمهم على امة كبيرة . وقد كان في البلاد كثيرون يكرمون المسيح ويميلون الى تصديق دعوتهِ فكيف يؤخذون هم واولادهم بجريرة الذين قالوا دمهُ علينا وعلى اولادنا . وقد نقول ان اولئك تنصَّروا

فنجوا من العقاب فاقول سلّمنا بذلك جدلاً ولكن بني اسرائيل اثنا عشر سبطاً عشرة اسباط منها تشتتت قبل مجيء المسيح وقد يكون اكثر اليهود الآن منها لا من السبطين الباقيين فما شأنها والصلب

تنكرد — ان مسألة الاسباط العشرة مسألة عويصة جدًّا فقد ظن البعض ان الافغان منهم ولكن المرجح انهم انقرضوا او امتزجوا بغالبيهم حتى لا يمكن اقتفاء آثارهم الآن

الفتاة — هذا ضرب من المحال لان اليهود لا يمتزجون بغالبيهم وقد فُتحت بلادهم مراراً مثل كل البلدان الصغيرة التي تحيط بها ممالك كبيرة . فان بلاد الشام كانت داراً للحرب قروناً كثيرة .ولم تفتح اورشليم عنوةً اكثر مما فتحت اثينا لكن شعبها اظهروا البسالة الشديدة وجاهروا بالعصيان مراراً واخيراً أُجلوا من بلادهم . وقولي ان اكثر اليهود المنتشرين الآن في الدنيا هم من الاسباط العشرة ومن جالية اليهود الذين أُجلوا قبل المسيح عليهِ ادلة تاريخية كثيرة . ولكن هب ان اليهود المتشتتين الآن في المعمورة هم من نسل اولئك الذين قالوا دمهُ علينا وعلى اولادنا تبقَ مسألة اخرى وهي مسألة يهود البادية وبلاد العرب فان جدي لامّي شيخ من مشايخ العرب وقبيلتهُ من اكبر القبائل وهو يهودي وقبيلتهُ كلها يهود وعندهم اسفار موسى الخمسة وهم يسكنون الخيام فهل كانوا في اورشليم وقت الصلب . وامي تزوجت برجل حضري من سكان المدن يستحق ان يجلس على عرش سليمان . وهناك فتى يوناني يبيع التين في اسواق ازمير اذا رأى امي مارّة في الشارع ابعد عنها لكي لا يتنجس . لم ارَ ذلك في كتابكم لان الذين كتبوهُ كانوا من عقلاء اليهود اما انتم فقد بعدتم عنهم بعداً شاسعاً

وكانت تتكلم بذلك ويكاد الشرر يتطاير من عينيها وقد صبغت حمرة الحدَّة وجنتيها فنظر اليها مبهوتاً لانها كادت تعرب عمَّا في ضميرهِ . فقال لها انكِ تتكلمين عن امور تهمني كثيراً ولولاها ما رأيتني في هذه البلاد . ولكن هذا التشتت امر واقعي مهما كان سببهُ ولا بدَّ من انهُ اعجوبة الهية فان اليهود هم الشعب الوحيد من الشعوب القديمة المنتشرة الآن في كل المسكونة

فقالت قد يكون تشتُّتهم اعجوبةً من غير ان يكون عقاباً لهم ولكن لماذا تعدُّهُ اعجوبةً . فقال لان احتمالهم الطويل لهذه الحالة لا يكون بقوة بشرية . فقالت نحن لا ننكر ان لله يداً في كل شيء ولكن ليس احفظ للشعب من تشتيتهِ فان الشعب المغلوب يقتدي بالغالب ويمتزج بهِ واما الشعب المتشتت فيحافظ على نفسهِ وعاداتهِ .وقد اصاب الارمن ما اصابنا والارمني يقول ان لي بيتاً في كل مدينة من مدن المشرق . والارمن اكبر مناظرينا وهم يشبهوننا في الهمة والاجتهاد ولو لم يولد منهم رسل وانبياء مثلنا

فقال تنكرد — ولكن الارمن لا يوجدون الاَّ في بلدان المشرق

فتبسمت وقالت اذاً انت تحسب العقاب انما هو في اجلائنا الى اوربا . اظنك مصيباً. اما انا فلا اعرف بلادك غير انهُ لما نقم علينا السلطان بسبب مساعدتنا لوالي مصر اضطررت ان امضي الى فينَّا . واهاً على تلك الايام فكم كنت اتمنى الرجوع الى بلادي

تنكرد — الى هذا البستان الجميل في بيت عنيا

الفتاة — لم يكن هذا البستان في حيز الوجود حينئذٍ فانني غرستهُ بعد رجوعي وبنيت فيهِ بيتاً صغيراً يطلُّ على التربة حيث جدي وقبيلة امي . ولكن ارجو من فضلك ان تخبرني لاي شيءٍ المقام الاعلى عندكم في اوربا

فصمت هنيهة ثم قال وقد احمرَّت وجنتاهُ خجلاً يظهر لي ان المقام الاعلى للمال

الفتاة — وما هي المدينة الكبرى في اوربا

تنكرد — لندن قصبة بلادي

الفتاة — هي اكبر من فينا ولكن هل هي اكبر من باريس

تنكرد — نعم هي ضعفا باريس حجماً

الفتاة — ما اكبرها . مَن هو اغنى انسان فيها هل هو مسيحي

تنكرد — كلاَّ بل هو اسرائيلي مثلكِ

الفتاة — ومن هو اغنى انسان في باريس

تنكرد — اخو الغني الذي في لندن

الفتاة — اما فينَّا فلا اسألك عنها لاني اعلم ان امبراطورها جعل ابناء شعبي من امراء مملكتهِ حاسباً انهم عمادها . فانت ترى من ذلك ان هذا العقاب لم يضر بامَّة اليهود في اوربا ولو كنتم قد اضطهدتموها جهدكم . قالت ذلك وقامت وتوارت عن عينيهِ قبل ان يجيبها عن كلامها

فوقف هنيهة مدهوشاً حائراً في امرهِ لا يدري ما يفعل وهو يحسب انهُ يرى حلماً واذا بجماعة من الغلمان اقبلوا عليهِ ومعهم اطباق من الابنوس مرصَّعة بالذبل وعرق اللؤلوء وعليها صحاف الطعام فوضعوها امامهُ ودنا واحد منهُ وربط لهُ حول عنقهِ منديلاً من الكتان الابيض المطرز بالذهب ثم وقفوا متكتفين فقال لهم انهُ غير جائع ولا حاجة بهِ الى الطعام فلم يفهموا كلامهُ بل وقفوا صامتين كالاصنام فاكل قليلاً مما قدموهُ لهُ ثم اشار اليهم ليرفعوا الطعام فرفعوهُ وعادوا من حيث اتوا وهو ينظر اليهم ويفكر في ما رآهُ وسمعهُ من الفتاة . ثم جاءهُ

غلامان آخران بالقهوة فشرب والتفت فرأَى الشمس قد توارت بالحجاب فقال لا بدَّ لي من الانصراف فقام وخرج من البستان وكانت حمرة الشفق قد صبغت جبال اليهودية وارتدَّ نورها الى ما بينها من الاودية والشعاب وهبَّ النسيم من برية الاردن فلطف حر الهواء واخذت النجوم الكبرى تتلألأ في كبد السماء. مشاهد بديعة في مساء نهار شاهد فيهِ العبر. مَن تلك الفتاة. جمال لا يطمع المصوّرون ان يأْتوا بابدع منهُ جبين يعجز رفائيل عن الاتيان باجمل منهُ. اعتدال قدٍّ وذكاء فؤَاد وتوقُّد ذهن وعلم وصدق وإخلاص وبُعد عن التيه والهوى. حجة قوية وصوت رنّان وعبارة لطيفة واهتمام باهم المسائل لا غنج ولا تصنُّع ولا شيء مما يشين بل كل ما بدا منها شريف نبيل. في هذه الامور وهذه المناقب كان تنكرد يفكر وهو راجع من بيت عنيا. كان يمشي هنيهةً ثم يقف و يشخص الى الجبال والافق فوقها فيراها قد لبست حلة الارجوان ولبس نطاقاً من النضار وفي لحظة تعود بهِ الذاكرة الى البستان والرواق والفتاة وهي جالسة امامهُ تحاجه وتناظرهُ. فسار على هذه الصورة غائصاً في بحار الافكار واذا هو بصوت يناديهِ ان قفْ وحِد من الطريق فالتفت واذا هو بفارس لابس لباس المماليك على جواد عربي مطهم وامامهُ غلام يحمل نارجيلة وبندقية والفارس مدجج بالسلاح الكامل سيف وقربينة وفردين وهو الامير الذي كان في بيت بسُّو اليهودي على ماذكرنا في فصل سابق فالتفت الى تنكرد وظلَّ سائرًا في طريقهِ

هذا ولنعد الى البستان والفتاة فانها لما خرجت من الرواق سارت مع جوار بها اللواتي كنَّ ينتظرنها وراءهُ الى ان بلغت بيتها وهو غرف كثيرة يحيط بها رواق كبير فصعدت الى الرواق ودخلت البيت فقام الجواري فيهِ اكرامًا لها واجلالاً الى ان وصلت الى غرفة كبيرة بديعة النقش والزخرفة فيها ديوان من الحرير الوردي و بساط كبير يغطي ارضها وفي وسطها مسرجة من المرمر قائمة على ثلاث افاعي من النحاس حولها مقاعد وثيرة نخلعت جذاءها وجلست على الديوان وجاءت احدى الجواري بمصباح من الفضة وضعتهُ على المسرجة وجاءتها اخرى بكؤُوس فيها من فاخر الشراب المصنوع من عصير الاثمار فشربت قليلاً واتكأَت على الديوان وللحال اتت جارية اخرى بكتاب وجلست بجانب المسرجة وجعلت تقرأُ وبعد قليل ازيح الستار عن الباب ودخلت امرأَة وتقدَّمت الى الفتاة واسرَّت في اذنها ثم عادت وللحال دخل عبد دنقلاوي طويل القامة فسلم ووقف امام الفتاة وجعل يتكلم بصوت منخفض فامرت الجواري فاتينها بدواة وقرطاس فكتبت سطرين في رقعة ودفعتها الى العبد فقبَّل هدب ثوبها وخرج. فان الامير الفارس الذي التقى بهِ تنكرد وصل الى بيت عنيا حينئذٍ وطلب ان يرى الفتاة فاذنت لهُ

بالحضور ولم يكد العبد يخرج من حضرتها والقرطاس في يدهِ حتى ازيح الستار ودخل الامير فرحبت بهِ وقالت لهُ متى اتيت من الجبل يافخر الدين . فقال اتيت امس وقد احبط القناصل مساعينا كلها واوقفوا الحرب بعد ان انفقتُ عليها مئة الف غرش . واضطررنا ان ننزل الى بيروت ونمضي شروط الصلح فرأيت ان اجاريهم خوفا من القيل والقال اما الحركة فلا تزال على حالها والمشاكل تزيد تعقيداً ولكنني قد وقعت في مشكل جديد

الفتاة — هذا شأنك واي مشكل لم تقع فيهِ

الامير — وقد اتيتك لكي تخلصيني على جاري العادة ايتها الاخت العزيزة وما دمتُ انا استنبط المشاكل وانتِ تساعدينني في حلها فالفوز لنا وقد بدت تباشيرهُ

الفتاة — لم تفز بشيء حتى الآن ولكن هات قصَّ عليَّ ما عندك من اخبار الجبل

الامير — كان كل شيء جاريًا طبق المرام قبل هذا الصلح الملعون ولكنهُ لا يدوم الى المرافع فان الجبل كلهُ في حالة الاضطراب الشديد والباب العالي مصرٌّ على الإباء والانكليز يعضدونهُ في ذلك ولا يقبلون ان يكون حاكم الجبل من الامراء الشهابيين

الفتاة — أهذه تباشير الفوز الذي تمني نفسك بهِ

الامير — نعم فان عمي الامير بشير يبقى مبعدًا هو واولادهُ وقد ارسلتُ وعرضتُ عليهِ مئتي الف غرش سنويًا اذا اقنع الباب العالي انهُ لا يستطيع احد ان يسكّن القلاقل في جبل لبنان الاَّ امير من الشهابيين وانهُ هو واولادهُ مستعدون ان يتنازلوا عن حقوقهم لمن يعيَّن واليًا على الجبل من ابناء اعامهم. وقد اقنع واحد من اخصائي رضى باشا انهُ ليس في الشهابيين مَن يدافع عن حقوق الدولة مثلي ولا اصلح مني لهذا المنصب للاسباب التالية

الفتاة — مالك وللاسباب فان الباشا لا يقنع الاَّ بالادلة المحسوسة

الامير — نعم وهذا اقوى الاسباب فاني قد وعدتهُ بكل ايراد الجبل في السنة الاولى اذا حصل لي البراءة

الفتاة — ولكن يجب ان تعلم ان امر رضى باشا معروف فالذي يسميهِ لا يُنظَر اليهِ دائمًا بعين الرضى

الامير — نعم وقد استدركت ذلك وابنتُ لهم انهُ لم يبقَ غيري مسلمًا من الشهابيين

الفتاة — أأنت مسلم ومنذ شهرين ارسلتَ المطران الى باريس ليتوسط امرك عند الملك لويس بناءً على انك من خاصة النصارى وانك حامي حمى الموارنة في جبل لبنان

الامير — نعم كان ذلك لما كانت المياه جاريةً في مجاريها في باريس اما الآن فقد انقلبت الحال

الفتاة — اذا كان الامر كذلك فلا امل لك بالنجاح لان الموارنة اقوى عناصر الجبل وفرنسا تشدُّ ازرهم وهم معتمدها في سورية وانت من نخبة الشهابيين فاذا كنت مسيحيًا وتأخذ حزب الموارنة فلا شك ان فرنسا تعضدك واما اذا ارتددت عن النصرانية الآن فلا امل بالنجاح

الامير — لا يخفى عليكِ ان امير الجبل مضطر ان يتولى امر النصارى والدروز والمتاولة . وبيتنا من اقدم البيوت ونسبنا يتصل بعم النبي وقد ملكنا هذه البلاد منذ ثمانمئة سنة وتنصر اسلافي لكي يكون الموارنة من حزبهم وهذا شأن الاوربيين كلهم فان الامير الذي يُختار ملكًا لبلاد مذهب اهاليها يخالف مذهبهُ يترك مذهبهُ ويتمذهب بمذهبهم فعلى مَ لا يجوز لنا ما يجوز لهم واذا رأيت الصدود من فرنسا فعلى مَ لا التجيء الى الدولة واعود الى دين اجدادي . والغاية واحدة وهي الحصول على امارة الجبل فلا فرق عندي كيفما حصلتُ عليها

الفتاة — اسأت يا فخر الدين فاني لا افهم كيف تعدُّ نفسك اميرًا وانت تستخدم ما تأباهُ الشهامة وعزَّة النفس وكيف تمني نفسك بالنجاح وانت تتقلب مع الاهواء

الامير — ما نفع الامارة بلا مال اقرضوني المال اللازم فترينني في منصبي غدًا

الفتاة — لا يمكننا ان نقرضك غرشًا الاَّ بعد ان نراك واليًا على الجبل . والسند الوحيد الذي كان يمكن ان تستند اليهِ هو فرنسا فان كانت فرنسا قد تخلَّت عنك فلا امل لك بالولاية

الامير — ماذا تستطيعهُ فرنسا الآن بعد ان اضطرت ان تترك المصريين ليعودوا الى بلادهم . وقد كان خروجهم من سورية غاية مناي لانهُ عاد بالويل على عمي . ولم يبقَ لفرنسا شأن الآن في سورية وكل ما كنت انتظرهُ منها ان لا تعارض رضى باشا في تسميتي لهذا المنصب . اما المطران فارسلتهُ في الظاهر الى باريس وفي الباطن الى لندرا ارسلتهُ برسالة الى وزرائها ليقنعهم اني اسير على ما يبتغون فاسمح لمرسلي البروتستانت بالاقامة في الجبل وانشاء المدارس والكنائس فيهِ حتى يأمروا سفيرهم في استانبول ليساعد رضى باشا على تعييني فتصير فرنسا وانكلترا والدولة معي . وقبل ان وصلت اللقمة الى الفم سقطت لان وزير انكلترا لورد ابردين اخذ الرسالة من المطران ولفَّها وارسلها الى المسيو غيزو وزير فرنسا فخرب كل البناء الذي بنيناهُ

الفتاة — وسيخرب كل ما تبنيهِ لان الدسائس لا تثمر

الامير — الدسائس الدسائس ماذا نعمل اذًا اتظنين ان ابردين وغيزو وصلا الى منصب الوزارة بغير دسائس . كيف نجح رضى باشا وكيف نجح محمد علي وكيف يفعل السفراء

وعندي الآن في داري جاسوس من جواسيسهم . نصف الملوك وصلوا الى عروشهم بالدسائس . والسياسة بلا دسائس ضرب من المحال يا حوّاء

الفتاة — اذا هذا هو المشكل الذي وقعت فيهِ فلا ارى كيف نساعدك على النجاة منهُ

الامير — كلاَّ هذا ليس المشكل الذي اشرتُ اليهِ فان مسألة فرنسا لا تهمني لانني استطيع ان ادَّعي ان المطران لم يذهب من قبلي بل فعل ما فعل من تلقاء نفسهِ وزوَّر الكتاب عن لساني وقد وعدني البطريرك بالمساعدة في فرنسا ولهُ هناك كلمة مسموعة والموارنة كلهم ختموا عريضة الى الباب العالي يطلبون فيها توليتي على الجبل

الفتاة — افلا يغتاظ الدروز من ذلك و يعملون على مقاومتك

الامير — كلاَّ لاني ساكن عندهم وهم يحبونني ويعدونني واحداً منهم ويعلمون انها حيلة على الموارنة

الفتاة — وماذا فعلت حتى انحاز الموارنة اليك

الامير — فعلت ما لا يخطر ببال ملك وعدتهم باستقلال الجبل . ألا تتذكرين ان ابرهيم باشا جمع السلاح من الموارنة بعد ان اقنع الاكليروس بمساعدتهِ في ذلك لكن الدروز لم يقعوا في هذا الشرك فبقيت اسلحتهم معهم وتضايق الموارنة من جرَّاء ذلك ايَّ مضايقة ورأوا ان لا سبيل لهم لاسترداد الاسلحة فوعدتهم بعشرة آلاف بندقية

الفتاة — أأنت وعدتهم بذلك

الامير — نعم فان شريف افندي المصري اشترى لي خمسة آلاف بندقية من البنادق الانكليزية وقد اتفقت مع عرب زويلا على حملها الى الجبل

الفتاة — حقًّا ان عندك خاتم سليمان يافخر الدين

الامير — يا حبذا فكنت ادفع الى شريف افندي ثمن البنادق لانهُ لا يسلمني اياها ما لم ادفع لهُ الآن مئتي الف غرش

الفتاة — اذا هذا هو المشكل فاخبرني كم معك من هذا المبلغ

الامير — ولا غرش وقد بعت كل ما كان عندي من الحلى والجواهر ولم يبقَ تاجر في بيروت الاَّ استدنت منهُ فان رضى باشا مثل الاسفنج ينشف البحر اذا وضع فيهِ

الفتاة — اذا كان البطريرك راضياً عنك فالموارنة كلهم في يدك فما الحاجة الى الاسلحة لانك لست عازماً على الثورة

الامير — كلاَّ ولكني اذا سلحت الموارنة اليوم نشبت الحرب بينهم وبين الدروز غداً

فيقتل بعضهم بعضاً ونقل البضائع الواردة من منشستر فيقوم تجار الانكليز و يطلبون من حكومتهم ان تبذل جهدها في تسكين الفتن وتولية امير على الجبل لإعادة الأمن اليهِ فيضطر سفيرهم ان يمضي الامر بتعييني للولاية لاجل سلام اوربا ونجاح الجبل

الفتاة — هل كلّمت ابي في ذلك

الامير — نعم كلّمتهُ ولكنهُ غير ميَّال الى مساعدتي على ما يظهر

الفتاة — لقد ساعدك كثيراً

الامير — ويسهل عليهِ ان يساعدني ايضاً . ثم امسك بيدها وجعل يتوسل اليها لكي تكلم اباها . وقال لها " انهُ لا يردُّ لك طلبًا يا حوّاء كلّميهِ اكراماً للمحبة اكراماً للصداقة كلّميهِ فانهُ لا صديق لي في الدنيا غيرك انتِ تعرفينني اكثر من كل احد وتعرفين طهارة قلبي ولو كانت معايبي كثيرة . قولي لهُ انكِ اختي وانهُ هو مثل ابي واني احبك مثل اخيكِ وانكِ انتِ تحبينني ولو كانت عيوبي كثيرة . كلما زاد فضل المرأة زاد انعطافها على من تراهُ دونها لان ذلك يزيد في سطوتها عليهِ فعيوبي الكثيرة تشفع لي عندكِ وتدعوكِ الى مساعدتي " قال ذلك واخذت الدموع تهطل من عينيهِ

الفتاة — كنت احسب انك تتكلم بالهزل لا بالجد

الامير — كيف يهزل المرء في امرٍ مثل هذا . وانتِ تعلمين ان غرضي لا ينال الاَّ بوسائط كثيرة ومال وافر فكيف انالهُ وانا على ما تعلمين

الفتاة — اتركهُ اذاً

الامير — أأتركهُ بعد ان ورَّطت نفسي في الدين لاجلهِ . امير مثلي لا يترك غرض حياتهِ او يموت . قال ذلك ونهض قائماً وجعل يمشي في الغرفة . ثم قال لها انتِ تعلمين يا حواء اني اخوكِ فقد ارضعتني امكِ كما ارضعتكِ واني احسب اباكِ مثل ابي والدم الجاري في عروقكِ من لبن امكِ مثل الدم الجاري في عروقي وفوق ذلك نحن من اصل واحد فان العرب اجدادي من نسل اسمعيل وانتم من نسل اسحق وهما اخوان فانتِ اختي وابوكِ مثل ابي وتجمعنا كلينا قرابة النسب ولو كان بعيداً

الفتاة — مهما كانت نسبتك الى ابي فانا لا يمكنني ان اكلمهُ في شأنك بعد ان جرى ما جرى لاني وعدتهُ وعداً قاطعاً ان لا اكلمهُ في امرك فلا تطلب مني يا فخر الدين شيئاً لا استطيعهُ

الامير — انتِ مغتاظة مني وتحسبين انني لا اهتمُّ الاَّ بامر نفسي والحقيقة انني طالب اسمى المطالب واشرفها فقد كان يمكنني ان اقنع ببيت ابي وما عندنا من الخيل والخدم والحشم

واعيش بعيداً عن الناس ولكنني اقول في نفسي لماذا يشتهر ابرهيم باشا ولويس فيليب وبامرستون هل هم ارفع مني نسباً وانا ابن شهاب . اين كان ابرهيم باشا والبربون وبامرستون لما كان جدي يحمل بيرق النبي

الفتاة — مهما يكن من امرك فقد فرغت جعبتي ولم يعد في طاقتي ان اساعدك في شيء

الامير — يمكنكِ ان تساعديني فاسمعي ما اقول لكِ . جاء القدس منذ عشرة ايام او حواليها امير انكليزي غني جداً حتى يقال انهُ اغنى من قارون ومعهُ مكاتيب توصية الى ابيك ليدفع اليهِ كل ما يطلبهُ منهُ . ولا احد يعلم غرض هذا الامير اما انا فارتاب في امرهِ . وفي القدس الآن ضابط فرنسوي من البارجة الراسية في بيروت اظنهُ جاء ليتجسس اعمال هذا الامير وقد بلغني اليوم ان الامير ذاهب الى جبل سينا وما هو غرضهُ من الذهاب الى هناك الله يعلم لان الانكليز لا يحجون مثل النصارى ولا مثل اليهود. ومرادي ان اوعز الى قبيلة من قبائل العرب لتأخذهُ اسيراً فنأخذ فديتهُ من ابيكِ وندفع ثمن البنادق وكل النفقات اللازمة لنقلها الى الجبال فما قولك في ذلك (البقية تأتي)

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي كامل

كتبت في مجلة المقتطف مقالة تحت هذا العنوان فانبرى للرد عليها اديبان فاضلان وهما خليل افندي ثابت والدكتور نقولا فياض وقد تأملت كلامهما واستخلصت منهُ هاتين المسألتين الآتيتين الجديرتين بالنقد والمباحثة والرد وهما

١ — ان التعريب يُذهب بهجة المعرَّب لان اللفظ ثوب المعنى يحسنهُ بحسنهِ ويقبحهُ بقبحهِ

٢ — ان شعر العرب محصور في ابواب محدودة يقلد فيها الآخرُ الاول وانهُ بعيد عن الطبع

الجواب عن المسألة الاولى — اننا جعلنا في مقالتنا السابقة اركان البلاغة ثلاثةً اللفظ والمعنى والموضوع . ولا ننكر ان اللفظ قد يسقط عن مرتبتهِ بالترجمة بل ان هناك من ضروب التعبير والاستعارات اللفظية ما لا يمكن نقلهُ من لسان الى لسان مثال ذلك قولهُ تعالى "ما من دابَّة الاَّ هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم" فان هذه الآية لما ترجمها مترجمو القرآن حرفياً أصبحت لديهم في معنى غير المقصود في العربية تماماً. وامثال ذلك كثيرة

نعرفها ونسلم بها لكننا لا نسلم مطلقاً بان المعاني تتغير بتغير الالفاظ او لا يمكن نقلها بالترجمة . ولو سلمنا ذلك لما تلقينا علوم اليونان والفرس والافرنج وروينا انظارهم فيها كما هي بل لما روينا كثيراً من معاني الامم الاخرى الشعرية وحلّينا بها فصاحاتنا . هذا علي ابن العباس بن جُريج المعروف بابن الرومي كان ينقل كثيراً من معانيهِ عن (لُقريس) شاعر الرومان. قال لقريس مما يدلُّ على ان الدنيا دار شقاء لا دار سعادة ان الطفل يبكي عند ولادتهِ ولا يضحك فاخذ هذا المعنى ابن الرومي وقال

لما تؤذن الدنيا بهِ من صروفها يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يولدُ
والاَّ فما يبكيهِ منها وانهـا لأوسع مما كان فيهِ وارغدُ

وكذلك ابو الطيب المتنبي نقل كثيراً من معانيهِ عن ارسطاطاليس حتى ألَّف في ذلك الحاتمي رسالة مخصوصة . وكان (جاتي) اكبر شعراء جرمانيا كثيراً ما ينقل المعاني عن الفرس في شعرهِ حتى انهُ سمى كتاب اشعارهِ (الديوان) . ولو نقلنا الى اي لسان مثل قول سماحة السيد البكري في نابوليون " حتى زالت دولتهُ الشمَّاء . فغابت مغيب الشمس في كفن من الدماء . ثم استرجعها حفيدهُ بعد الذهاب . وحفظ من نور ذلك المجد بقدر ما يحفظ القمر نور الشمس بعد الغياب " لعُدَّ ذلك فيهِ آية من آيات البلاغة والبيان

وهكذا شعراء الامم تنقل المعاني بعضها عن بعض وتزيد بها خزائن السنتها والمعاني هي هي لا تتغير ولا تتبدل كالشخص الواحد يكتسي حللاً مختلفة او الماء يتناول بآنية شتَّى من لجين وعسجد وخزف وهو هو . نعم ربما ان بعض الاستعارات المعنوية والكنايات ونحوها لا تحمل في النقل من لسان الى لسان ولكن هذا شيء يسير لا يبنى عليهِ حكم ولا قياس

واذا تبين ما تقدم يكون ما عُرّب لنا ونشرناهُ قد سقط فيهِ بالترجمة الركن الاول من اركان البلاغة وهو اللفظ . اما الركن الثاني وهو المعنى الذي هو اهم الاركان فقد سقط فيهِ من نفسهِ اذ محاولة تحسين تلك المعاني السخيفة في الاذهان غير مقبولة عند اهل الادب والبيان

هذا على اننا لم نجزم في مقالتنا الاولى بان كلام الافرنج خالٍ عن البلاغة والمعاني الشعرية العالية بل قلنا ان ما ترجم لنا ليس فيهِ شيء من ذلك ورغبنا الى العالمين بالسنتهم ان ينقلوا الينا ما عندهم من العلوم الادبية كما نقلوا الينا علومهم الطبيعية . اما المطلعون على السنتهم من الراسخين في علم الفصاحة فقد جزموا بان ليس للقوم حظ من ذلك

قال الاستاذ احمد افندي فارس صاحب الجوائب في الكشف ما نصهُ " ومن ذلك انهم ينكرون على اهل اللغات الشرقية وخصوصاً اللغة العربية كثرة الاستعارات والكنايات مع

ان لغتهم تطفح بها طفحاً ولولاها اضاقت بهم العبارة عن تأدية اكثر المعاني وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل وانما اقول هنا اني لما اردت ان اترجم من قصيدتي التي مدحت بها الامبراطور نابوليون قولي

ولا تخال وقت تو أمي عدة له' وانجازها بل قلما سئلا

قال المصحح ان ذلك لا يكون مفهوماً بلغتهم ولو جاء بهذه الاستعارة أحد مؤلفيهم لحسبت من البلاغة بمكان ومن طبعهم في التاليف والكلام ان ينتقوا الالفاظ الجزلة الفخمة يكسون بها سخيف المعاني فتسمع منهم جعجعة ولا ترى طحناً وهذا داء فاش فيهم أجمعين"

الجواب عن المسألة الثانية وهي كون شعر العرب محدوداً في ابواب مخصوصة وانهُ بعيد عن الطبع — ان الشعر هو تصوير ناطق كما ان التصوير شعر صامت وكما ان بعض المصورين يختص بنوع مخصوص من الصور كالحروب او الرياض او نحوها وبعضهم يتناول كل شيء كان العرب ممن اختص بتصوير بعض مناظر الوجود دون البعض الاَّ انهم أبدعوا في تصويرها باشكال مختلفة بحيث بلغوا من ذلك مبلغاً ليس وراءهُ مطلع لناظر ولا مجال لفكر . فلا جرم أن كانت القصيدة الواحدة العربية في المديح او الرثاء او الغزل او الوصف تفضل مائة قصيدة محدثة في انواع مختلفة لان الاجادة في باب الفصاحة مقدمة على الاجادة في تنوع المواضيع وتخيل الاشكال المختلفة . ولو استوفى الافرنج اركان البلاغة كما قدمنا ثم تنوعوا في المواضيع كما تنوعوا لكان لهم القدح المعلي في البيان . ولكننا لانخالهم فعلوا ذلك والكلام خلو من هذه الاركان جعجعة ولا طحن . هذه الناقة وهي ركوب العرب قد أبدعوا فيها من الاوصاف والمعاني ما لا يعدُّ كثرة على اننا ما سمعنا الآن معنى شريفاً للافرنج في الوابور مثلاً . اما الطبيعة فلا شيء أقرب اليها وانسب لها من العرب في حالهم ومقالهم كما قال ابو الطيب

ما اوجه الحضر المستحسنات بهِ كاوجه البدويات الرعابيبِ
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوبِ
أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيبِ

وهكذا كل شعر لهم في الجاهلية والاسلام يذوب رقة وطبعاً كما قال ابو الطيب ايضاً

أبلغ ما يطلب النجاح بهِ ال طبع وعند التعمق الزللُ

نعم انهُ وجد في بعض المتأخرين من الشعراء والكتَّاب في اوائل القرن التاسع الهجري وما بعدهُ قوم خرجوا عن الطبع في الكلام والتزموا الصنعة والجناس والتورية والحذلقة الاَّ

ان هؤلاء مرذولون حيثما كانوا ولو رآهم العرب الاولى لكانوا اول المنكرين عليهم النافرين منهم . ولعمري اني قرأت عشرين رومانًا فلم أرَ فيها من مناجاة المحبين ما هو أقرب الى الطبع من مثل قول ابي الطيب

إلامَ طماعيةُ العاذلِ ولا رأيَ في الحب للعاقلِ
يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباعُ على الناقلِ
واني لاعشقُ من عشقكم نحولي وكل امريءٍ ناحلِ
ولو زلتمُ ثم لم ابككمْ بكيتُ على حبيَ الزائلِ
اينكر خدي دموعي وقد جرت منهُ في مسالكٍ سائلِ
أأول دمع جرى فوقهُ وأول حزن على راحلِ
وهبتُ السلوَّ لمن لامني وبتُّ من الشوق في شاغلِ
كأن الجفون على مقلتي ثيابٌ شُققنَ على ثاكلِ

بقي الكلام على السجع والمرسل وبديهي ان المرسل هو الطبع والسجع هو التكلف غير ان هذا انما هو في قص الوقائع وحكايات الاحوال ونحوها اما في تصوير الشيء ووصف الموضوع المخصوص بالاسلوب الشعري فلا بأس بالسجع وانما يكون في هذه الحالة ضربًا من شعر الافرنج الذي لكل شطرين منهُ قافية وربما كانت القوافي اذن مما يزيد المقال رونقًا وبهاء

وبالجملة فان شعر العرب مطبوع غير متكلف متصنع وان دائرتهُ لاتزال تزيد على مر السنين فقد وسعها المخضرمون عن الجاهلية والاسلاميون عنهما وتعددت الواحهم بصور الوجود الحسي والمعنوي ونرى المجددين لهذا الشأن الآن من ايمة الفصاحة والبيان يتناولون ببلاغتهم ما فات الاولين حتى تتسع دائرة الفصاحة العربية وتتبحبح رحابها

وهنا نورد رسالةمن كتاب (صهاريج اللؤلوء) لصاحب السماحة والسيادة السيد البكري في نعت الوابور والبالو وكلاهما من الامور المحدثة وها هي

سلامي على السيد الجليل ادامهُ الله وابقاهُ ما رسا ثهلان[1] واضاء النيران . وبعد فان لي قصة . فيها لكل اديب حصة . واني لاسوقها اليهِ . واتلو اساطيرها عليهِ . ذلكم اني أزمعت السفر . هلال صفر . من القاهرة المعزية . الى الاسكندرية . حيث البلد حاضر باد . والضب والنون والملاَّح والحاد . ورساتيق وسواد . وقصور في شرفات من سندلها . وبحر خضم . ويم طم . وملاعب كواعب اتراب . ومغاني قيان عراب . فاعرَوْرَيت ظهر قعود ذي

(١) ثهلان اسم جبل

تُذرًا . لا يرد المياه ولا يرعى الكلأ (٢) آلفهُ النجار من شطب . واعواد وخُشُب . يقودهُ هزج اسحم . يحك ذراعهُ بذراعهِ فعل المكب على الزناد الاجزم (٣) كانهُ حرف جار . او مبتدأ متعدد الاخبار . غراب البين ان نعب . وغدير الوادي ان سرب . ينساب في القيعان والكثبان . كانهُ أُفعوان . لهُ عينان حمراوان . ويجزع الشعاب والهضاب . ويطوي الارض طي السجلّ للكتاب . اين منهُ عيرانة (٤) وجناء . مضبورة قرواء موّارة كوماء . كأنها قصر . او بنية عقر . تراوح على الحاذ والانساء . بذي خُصَل كفضل رداء (٥) . حرف في السراب كالنون (٦) تنظر بعيني مجنون . عذافرة علاة . كانما رعاها مالك ابن زيد مناة . في ظهر كقنطرة الرومي . وخد كقرطاس الشآمي . ومشفر كالسِبت اليماني بل أين منهُ أعوجي (٧) حميم . صافن كريم . أغر محجل . كالهيكل المبني او صورة في هيكل . في أذن كخوصة العسيب . وغرة في موضع التقطيب . كما قلت

جواد لهُ من اربع الريح اربع قوائم خلناها كبعض القوادم
فلو سابقتهُ الشمس ما بين مشرق لغرب لكان الطرف اول قادم

بل اين منهُ الريح النكباء . والشمأل والجربياء . شتان شتان . وأنى يتساويان . وما زال هذا الطائر الميمون . يجوب السهول والحزون . يقطع ميتًا بعد ميت . في سير حثيث . ليس بالوخدان ولا الزميل . ولا التهويد ولا التطفيل (٨) . ويجوس في مزارع وزرداقات . كرقوش الحيات . وارض عذاة خضراء . بعيدة عن الاحساء . شجرها القطن والكتان . لا العرعر والظيان . فيها طلح منضود . في ظل ممدود . ونخيل مواقير بالقُنيّ . من الازاز والبرني . قد اخذت زُخارِيها او داؤُها . وتزينت بزينتها ارجاؤُها . فلا ترى الا عيونًا تنضح . واطيارًا تصدح .

---

(٢) يقول ركبت بعيرًا لا يرد الماء ولا يرعى يريد بذلك الوابور

(٣) هزج اي لهُ صوت · واسحم اي اسود قال عنترة يصف الذباب

هزج يحك ذراعهُ بذراعهِ فعل المكب على الزناد الاجزم

فشبه هنا الوابور الجار المعربات بذلك لتحرك ذراعيهِ في سيرهِ

(٤) العيرانة الناقة · اخذ يشبه الوابور باشياء مختلفة معروفة بسرعة السير كالناقة والفرس والريح ثم انهُ عند تشبيهه بكل واحد من هذه الاشياء يصف ذلك الشيء بجميع نعوتهِ وبصورهِ بسائر حالاتهِ

(٥) يصف ذنب الناقة وهي تضرب بهِ على افخاذها برداء مسدول لكبرهِ والنوق تمدح بذلك

(٦) الحرف الناقة · والنون الحوت والحرف المعروف · فهو يقول بانها كحرف النون لضمرها من السير و يوري ايضاً بانها في السراب كالحوت في الماء

(٧) الاعوجي الفرس المنسوب الى اعوج وهو فرس مشهور · وقد اخذ يشبه الوابور بالفرس

(٨) هذه ضروب من سير الابل

وقُرَيّات بيض في رياض خضر. كاشرعة الفُلك في لج البحر. حتى وصلنا الاسكندرية في عَشية ضاحية عَرِية. فسرنا الى (صان استيفان). فاذا قصر غمدان أَو خورنق النعمان. منزل كانهُ منزلة من منازل القمر. وبيت ظهر فيهِ الحسن فكانهُ بيت شعر او بيت شعَر

والحسن يظهر في شيئين رونقهُ بيت من الشعر او بيت من الشعَرِ

تحف بهِ روضة غناء. تضحك من ازهارها بالحمراء والصفراء. كانها بساط اجادتهُ يدُ صناع. او بُرد يمَني بالغت في حوكهِ الصنَّاع. وامامهُ بركة من ماء البحر. كانها مرآة ينظر وجههُ فيها البدر. اذا تجلّى القمر في ارجائها. حسبتهُ قلبًا خافقًا بين أحشائها. وما كاد يستقرُّ بنا القرار. ونزيل وعثاء الاسفار. حتى قيل ان (البال) سيكون الليلة في هذه الدار فهششنا لهذا النبإ. هشاش الرائد صادف قرن الكلإ. ثم لبثنا حتى اذا تغضفت الظلماء. ولمعت نجوم السماء. أُخذنا الى قاعة روحاء. عليها قبة جوفاء. فيها من كل زُخرف ورُواء. ونضائد مفروشة. وزرابي مبثوثة وأرائك منقوشة. وحُسبانات ونوَاويس. كاجنحة الطواويس. وبنود تخفق. وتهاويل تبرق. وطاقات الزهر والريحان. كاقواس السماء في الالوان. ومصابيح كالاثمار في الاغصان. تأتلق في الارجاء. كالنسر والفرقدين والجوزاء. واذا رأَيت ثمَّ رأَيت الرعابيب الحسان. كانهنَّ اللؤلوء والمرجان. من كل بيضاء جيداء. بخنداة ذلفاء. شموع عيناء. فينانة رقراقه. أُملود برّاقه

اذا خطرت تأرّج جانباها كما خطرت على الروض القبولُ

ويحسن دلها والموت فيهِ وقد يستحسن السيف الصقيلُ

يقوّم من تثنيها اعتدالٌ يكاد يقالُ من هيف نحولُ

غوان غيد. خُرّد اماليد. في صدور كالمرمر. تزهو باللؤلوءِ وتبهر. كانها الإغريض. او صدور البُزاة البيض. واكتادٍ عارية. ونحورٍ حالية. ومعاصم غضةٍ بضة. كانها شماريخ الفضة. وشعر كسلوك الذهب. يتقد فيهِ الجوهر اتقاد اللهب. ووجوه كالدنانير. واوساط كاوساط الزنابير. وثغور هي اللؤلوء الرطب. ولحاظ هي الاسهم ريشها الهدب. ومعاطف تكاد لرقتها يترك الوشي فيها شكلهُ. ويرسم على ديباجها مثلهُ. وفوق ذلك حَلي وسواس. كأنهُ ابليس وسوس في صدور الناس. وحلل من استبرق وديباج. ودمقسٍ وهاج. وقد تعلق الورد بالاردان. كانما تفتح على الاغصان

لبسنَ الوَشيَ لا متجملات ولكن كي يصُنَّ بهِ الجمالا

وهنالك فتيان. كانهم الولدان. في زي الحضارة. والرفهنية والشارة. وميعة الشباب.

وأولق الصبا والتصاب . يمشون بينهنَّ مشي القطا الكُدري . في الدَّمث الندي . قد حاز كل فتىً لديهِ غادة . كواسطة القلادة . خريدة مِعطال . كانها خشف غزال . ثم ترنمت الالحان . فترنحت الاغصان . وصارت الايدي مناطق للخصور . ومساند للظهور . ورسفت الاقدام . كانما تسير في وعر . وانتفضت الاجسام . كما انتفض العصفور بلله القطر

وكل غصن بغصن صار معتنقًا مسرة كاعتناق اللام للالف

وجرَّت ذيولهنَّ الغادات . كانهنَّ ذواتُ الاذناب من الكواكب العلويات . يرسمن الدوائر في أفلاك السموات

ترى حركاتهنَّ بلا سكون فتحسبها لخفتها سكونا
كسير الشمس ليس بمستقر وليس بممكن ان يستبينا

ثم سكنت الانغام برهة فتحت الابواب عن رواق فسيح الجناب فيهِ سماط يشغل الفم والعين . فيهِ الفاكهة زوجين زوجين . وقطع من نون . ولحم طير مما يشتهون . وطلع واعناب . وصلائق وسبائك وحناب . وقد رصفت فيهِ القوارير والدنان . والاباريق والصيعان . تلمع فيها الخرطوم السلسبيل . والمشعشعة القنديل(٩) . عقار . ان وافت المرء همٌّ ان ينفث الاسرار . فتعقد اللسان . للكتمان . وان نهل منها وعلَّ . خال جسمهُ قرية من قُرى النمل . لا تزيل الاشجان . عن الجنان . وانما تزيد ما فيهِ من حزن او سراء . فهي منظار يكبر الاشياء . فهرع القوم يطعمون الطعام . ويحسون المدام . الى ان خفّت الاحلام . وثنت القدود . وانتقل خمر القناني الى الخدود . ثم صدحت الالحان . وعاد الشان كما كان . فدارت هذه الكواكب في افلاكها . وانتظمت كالدراريء في اسلاكها . تنأى وتقرب . وتشرق وتغرب . وهكذا حتى لاح . وجه الصباح . واشرق نور ذكاء(١٠) . فتوارت كواكب الارض والسماء

متوسط العمر

بحث المستر تيلر في مجلة الفورم عن متوسط ما يعيشهُ الناس بحسب اختلاف صناعاتهم فوجد ان متوسط عمر

٣٨ مؤرخًا	٧٣ سنة	و ١١٢ سياسيًّا	٧١ سنة	و ٣٩ مصورًا	٦٦ سنة
و ٥٨ عالمًا ومخترعًا	٧٢ "	و ٤٠ مؤلفاء	٦٧ "	و ٣٠ موسيقيًا	٦٢ "
و ٤٨ قائدًا	٧١ "	و ٦٦ فيلسوفًا	٦٥ "	و ٤٦ شاعرًا	٦٦ "

(٩) اي الخمر (١٠) ذكاء علم للشمس

الاسكندر ذو القرنين

غزوة الهند

تركنا الاسكندر وقد دوَّخ بلاد الفرس ولم يبقَ عليهِ من البلدان التي كانت تحمل اليهم الجزية الاَّ الهند فقام في فصل الربيع من سنة ٣٢٧ ق . م بنحو مئة وعشرين الف مقاتل لان فوزهُ المتواصل في بلاد الفرس حمل كثيرين من اليونانيين والمكدونيين والسوريين على الانضواء اليهِ فزاد بهم جيشهُ رويدًا رويدًا خلا من انضمَّ اليهِ من امم المشرق وبقيت النجدات ترد اليهِ حتى بعد ايغالهِ في بلاد الهند . وبلغ وادي كابول حيث كان منذ سنتين وحصَّن المدينة التي انشأَها وسماها باسمهِ ولبث هناك فصل الصيف الى ان تمَّ استعدادهُ للحملة على بلاد الهند. ثم قام في الخريف وانحدر في وادي كابول و بعث امامهُ بالوفود يدعون ملوك الهند الى الطاعة وكانت شهرتهُ قد طبَّقت الآفاق فوفد اليهِ كثيرون منهم يحملون الهدايا الفاخرة فامَّنهم واقرَّهم في ممالكهم حتى اذا صار على مئة ميل من كابول شرقًا قسم جيشهُ قسمين سيَّر قسمًا منهما جنوبًا ليستولي على مضيق خيبر وسار هو بالقسم الثاني شمالاً ليستولي على بلاد بامير ومضايق شترال. وخيبر وشترال الطريقان الى بلاد الهند اللذان يطمع الروس بامتلاكهما يومًا ما و يرى الانكليز ان لا بد من صدهم عنهما . ففعل الاسكندر في سنة واحدة ما لم يستطعهُ الروس حتى الآن ولا استطاعهُ الانكليز الاَّ بعد اعوام كثيرة واراقة انهار الدماء

ولقي من سكان الجبال الامرَّين لشدَّة بأسهم ووعورة مسالكهم وما زال يفتح مدينة بعد مدينة ومعقلاً بعد معقل الى ان بلغ وادي السند . ومن المعاقل التي فتحها معقل شاهق اسمهُ اَارنا اي الملجأ . ويقال انهُ جبل كثير الحراج ارتفاعهُ ستة آلاف قدم ومحيطهُ اثنان وعشرون ميلاً وفي اعلاهُ حصن منيع فيهِ نبع ماء وقد عجز عنهُ كلُّ من قصدهُ بسوء فاختار الاسكندر شرذمةً من نخبة رجالهِ الذين يعتمد عليهم في الشدة وارسلهم مع القائد بطليموس بن لاغوس وهو الذي خلفهُ على مصر وانشأ دولة البطالسة كما سيجيء . واسترشد بعض السكان فارشدوهُ الى اكمة بجانب الحصن يستطيع القيام فيها الى ان يتهيأ لهُ الهجوم عليهِ فامر بطليموس ان يصعد اليها ليلاً فصعد وعند الفجر رأتهُ حامية الحصن فنشب القتال بينهُ وبينها ودام النهار كلهُ ولم يستطع الاسكندر ان يمدهُ بالرجال ذلك اليوم لكنهُ استطاع ذلك في اليوم التالي وصعد برجالهِ وقابل الحامية من جهة اخرى فصارت بينهُ وبين بطليموس واحتدمت نار القتال النهار كلهُ وجنود الاسكندر تتقدَّم رويدًا رويدًا وهي تتسلق الصخور والشواهق والحامية

تفتك بها فتكا ذريعا وكانت الاكمة التي عليها الحصن ارفع كثيرًا من الاكمة التي عليها بطليموس وبينهما واد عميق واسع فيتعذر الوصول الى الحصن منها بل يتعذر الوصول اليهِ من كل جهة لان الوادي يحيط بهِ من الجهات الاربع لكنَّ من فتح صور وغزَّة واسوارهما تناطح السحاب لا يتعذر عليهِ عبور واد مهما كان عميقًا فامر رجالهُ ان يقطعوا اشجار الحراج ويلقوها فيهِ وللحال تحوَّلت السيوف فؤوسًا وجعل الجنود يقطعون الاشجار ويلقونها في الوادي ليكون منها جسر يعبرون عليهِ والاسكندر واقف بينهم يشجعهم ويطيب نفوسهم وكان معهُ آلات كثيرة لرشق الحجارة والسهام كان ينصبها على هذا الجسر ويذود بها عن الجنود وهم يقطعون الاشجار ويضيفونها اليهِ الى ان تمَّ انشاؤُهُ في اربعة ايام. ورأت الحامية ان لا قبل لها بالاسكندر بعد ان بلغ الحصن فذاكرتهُ في امر الصلح واكثرت من الاخذ والعطاء وفي نيتها ان يمضي النهار كلهُ ويأتي الليل وهو مطمئنٌّ بانها استأمنت اليهِ فتخرج من الحصن ليلاً وتلجأُ الى الفرار. ولم يخفَ عليهِ ذلك فابعد عن الحصن قليلاً وتغافل عنهُ قصدًا الى ان خرجت الحامية منهُ ففاجأَها واوقع بها حتى كاد يفنيها فوقعت هيبتهُ في النفوس لاسيما وان ذلك الحصن كان مشهورًا في تلك الاقاليم بانهُ امنع من عقاب الجو

والجنود التي سارت جنوبًا لم تجد من المقاومة ما وجدتهُ الجنود التي سارت شمالاً فارتفع علَم الاسكندر على كل البلاد غربي نهر السند وترك الحامية في كل المعاقل والحصون التي مرَّ بها ونظَّم حكومة البلاد كأنها ايالة من ايالاتهِ

ويضيق نهر السند بقرب اتوك لمرورهِ في واد صخري ضيق فيبلغ عمقهُ نحو مئتي قدم وعرضهُ نحو مئتين وخمسين قدما لا غير فصنع جسرًا من القوارب عبرهُ بهِ وكان ذلك في اوائل الربيع من سنة ٣٢٦ ولقي هناك ملكاً من ملوك الهند كان قد بعث اليهِ بالهدايا وهي ثلاثة آلاف من الماشية وعشرة آلاف من الغنم وثلاثون فيلاً ومئتا وزنة من الفضة وسبع مئة فارس من فرسان الهند واسم عاصمة هذا الملك تكشاسيلا فاختصرهُ اليونان وسموها تكسيلا وسموا ملكها تكسيلاس وكأنهُ استأمن للاسكندر مخافة من جارهِ ملك فوراقا الذي يسميهِ اليونان فورس ويسمى في كتب العرب فور. وكان هذا الملك جبارًا عظيم السطوة بادي المهابة فلم يخشَ باس الاسكندر بل وطن النفس على منازلتهِ وصدهِ عن بلادهِ وجمع جيوشهُ ونزل بها على نهر هداسبس الذي يفصل بلادهُ عن البلاد التي وصل اليها الاسكندر وكانت ثلوج الجبال قد ذابت ومدَّت هذا النهر فطغى حتى بلغ عرضهُ ميلاً وكان مع فور خمسة وثلاثون الف مقاتل وثلثمئة فيل ورأى فرسان الاسكندر الافيال فراعهم امرها لان خيلهم تنفر من

رائحتها وصوتها والفرسان معتمد الاسكندر في هجماته فاخذ يدبّر الحيل ويترصّد الفرص وهو يتظاهر كل يوم بتصميمهِ على عبور النهر فينزل فيهِ القوارب وتتهيأ الفرسان للعبور ثم تعدل عنهُ وكانت تنهض في منتصف الليل وتبوّق قصد الهجوم ازعاجاً للهنود حتى لا تغمض جفونهم الى ان الفوا هذه الحالة ولم يعودوا يعبأون بما تفعلهُ جنود الاسكندر . ثم ان الاسكندر اشاع انهُ رأى النهر لا يُعبَر فعزم ان ينتظر الى ان ينخفض ماؤُهُ في الخريف المقبل وجعل يجوب البلاد التي حولهُ ويدوّخها ويجمع المؤن ويقيمها اكداساً اقناعاً لفور ورجالهِ بانهُ غير عازم على العبور اليهم قبل فصل الخريف

وكان على عشرة اميال من معسكر الاسكندر منعطف في النهر بينهُ وبين المعسكر آكام متواصلة وحراج غبياء وفي هذا المنعطف جزيرة شجراء فعزم على ان يعبر النهر من هناك وقام بنحو ثلاثين الفاً من نخبة جنودهِ ودار حول التلال حتى بلغ المنعطف وابقى بقية الجيش في المعسكر بقيادة كراترُس وامرهُ ان يحاول عبور النهر والهجوم على العدو حينما يعبرهُ هو من عند المنعطف حتى يشغلهُ من امامهِ ومن ورائهِ في وقت واحد

وسار الى المنعطف في ليلة ليلاء كثيرة الزوابع والامطار وقسم رجالهُ قسمين ترك قسماً منهم وهم نحو سبعة عشر الفاً من المشاة على الضفة الشمالية لكي يصدوا الملك ايبسارس الذي كان نازلاً من بلاد كشمير لنجدة الملك فور وعزم ان يهاجم فوراً بثلاثة عشر الفاً من الفرسان والرماة . وكان رجالهُ قد حملوا بعض القوارب والزقاق والاطواف فاستعانوا بها على قطع النهر وكانت الامطار قد مدّت ماءهُ حتى طغى على ضفتيهِ . ولما اجتاز الجزيرة درى بهِ رقباء الهنود وعدوا الى المعسكر واخبروا بما رأوا وعبر رجال الاسكندر من الجزيرة الى الضفة المقابلة فوجدوها جزيرة اخرى يفصلها الماء من البر ولم يكن ذلك ظاهراً لهم وهم على الضفة الاخرى فاسرعوا الى خوض الماء قبلما يقابلهم العدو والماء الى الاكتاف والارض طفالية كثيرة الزلق ولما رأى الاسكندر ما حاق بهِ من الشدّة حينئذٍ قال " ما اشد المخاطر التي تجشمتها لكي تجودوا عليَّ بالمدح ايها الاثينيون " . ذكر ذلك فلوطرخس

ولما بزغ الفجر كان الاسكندر ورجالهُ قد بلغوا الضفة الاخرى واصطفوا فيها وتأهبوا للهجوم وكان فور ورجالهُ واقفين امام النهر تتجه صفوفهم الى الشمال الغربي فاتاهم الاسكندر من الشمال الشرقي بعد ان عبر النهر ولذلك اضطر فور ان يدور بجنودهِ ويقابلهُ . وكان الرقباء قد وصلوا الى المعسكر واخبروا ان جنوداً عبرت النهر من عند المنعطف ولكنهم لم يتبينوها من هي لشدّة الظلام وكان فور ينتظر النجدة من ايبسارس ملك كشمير كما تقدَّم فظنها النجدة المنتظرة

لان خيام الاسكندر وجنوده لم تزل على الضفة المقابلة ولم يظهر انهُ غاب منها احد فارسل الفين من فرسانهِ ومئتي مركبة مع ابنهِ حتى اذا كانت الجنود من جنود ايسارس قابلها بالترحاب واذا كانت من جنود الاسكندر وقف في وجهها الى ان تأتيهُ النجدات

والاسكندر على ما رأيت يأبى ان يفرض له احد الخطة التي يسير فيها فيخط الخطط الحربية لنفسهِ ويفرضها على غيرهِ . واي خطة ابدع من الخطة التي سار فيها حينئذٍ فان فور اقام بجنودهِ على النهر حتى اذا عبرت اليهِ جنود الاسكندر من الضفة الاخرى اصطادها صيداً كلما عبرت فرقة منها اوقع بها فيكون النهر اكبر عون له عليها . فانكر الاسكندر عليهِ ذلك وعبر النهر خلسة من مكان آخر كما تقدم وجاءه من السهل عن يمينهِ فاضطرَّ ان يترك اعتمادهُ على النهر ويقابلهُ مواجهة اي ان يقبل بالخطة التي خطها له رغماً عنهُ

وبعد قليل عادت الفرسان التي أُرسلت للاستطلاع بعد ان اوقعت بها جنود الاسكندر ومزَّقت شملها وقتلت منها اربع مئة فارس فلم تبقَ شبهة في ان الجنود المقبلة هي جنود الاسكندر ولو كان معسكره لا يزال على الضفة الاخرى من النهر. ولو قابله فور حينئذٍ وهجم عليهِ لكان الفوز له لان ثلاثة عشر ألفاً لا تستطيع الثبات في وجه ثلاثين ألفاً من الجنود المدربة على القتال لاسيما وخيول اليونان تنفر من رائحة الافيال وصوتها لكنهُ لم يفعل ذلك بل ادار جنودهُ حتى قابلت جنود الاسكندر فامتدت صفوفها اربعة اميال والافيال في قلبها كالابراج وجعل الفرسان والمركبات على الجناحين وابقى جانباً كبيراً من جنودهِ على ضفة النهر مخافة ان تعبر اليهِ جنود الاسكندر من الضفة الاخرى وتوقع بساقتهِ واقام كذلك منتظراً قدوم الاسكندر. واقبل الاسكندر وجنوده منضمة ملتحمة لا يبلغ عرضها سوى ربع ميل فسهل عليهِ الهجوم على الجانب الذي يريده فهجم على الجناح الايسر المحاذي للنهر لكي لا تحيط بهِ جنود فور من كل ناحية وامر مشاته ان ينتظروا الى ان يقع الاضطراب في ميسرة الهنود فيهجموا عليها وبعث فريقاً آخر من الفرسان سار بجانب النهر حتى اذا دارت الميسرة لتقابلهُ وقع هذا الفريق على ساقتها فاطبقت فرسانهُ عليها من الامام ومن الوراء فتم له ما قدَّرهُ ودارت الدائرة على ميسرة فور وتمزَّق شملها. وهجمت جنود الاسكندر حينئذٍ على قلب الهنود من الجهة اليسرى فاختلَّ نظامهُ لما دار لكي يقابلها لكن فرسان الميسرة عادت فلمَّت شعثها وبادرت لمساعدة الجانب الذي هجم عليهِ الاسكندر وكانت الافيال هناك فهربت منها خيول فرسانهِ اما المشاة فوقفوا امامها وجعلوا يطعنونها وراكبيها بحرابهم حتى ارتدَّت على اعقابها وردَّت مشاة الهنود معها وحينئذٍ عادت فرسان الاسكندر ودفعت فرسان الهنود فاصطدمت بالافيال واجتمعت فيالق

المشاة وضمت اتراسها بعضها الى بعض حتى صارت كالبناء المرصوص وهجمت هي والفرسان على الافيال من جهتين من الامام ومن اليسار فاضطرت الافيال ان ترتد على اعقابها وتزحم المشاة الذين وراءها فعصرتهم عصرًا وداستهم باقدامها واشتبكت فرسان الهنود ومشاتهم وافيالهم في ورطة واحدة كل ذلك والملك فور يحث جنوده على الثبات ويدير صفوفهم من جهة الى اخرى ويمنعهم من الفرار الى ان ضاقت بهِ الحيل وجرح جرحًا بالغًا ورأى ان الدائرة دارت عليهِ فلوى عنان فيلهِ واركن الى الفرار . ورأى الاسكندر ما ابداهُ هذا الملك من البسالة والمهارة فاعجب بهِ ورام ان لا ينالهُ مكروهٌ فامر الملك تكسيلس ان يتبعهُ ويؤَمنهُ فلما رآهُ فور استلَّ خنجرهُ وهمَّ بضربهِ لانهُ عدو ألد لهُ فعاد واخبر الاسكندر فبعث وراءهُ رجلاً هنديًا من اصدقائهِ اسمهُ ميرو فلطف لهُ المقال الى ان اذعن للتسليم وعاد الى الاسكندر . فلما رآهُ مقبلاً سار للقائهِ وكان فور جبارًا طويل القامة مهيب الطلعة فنظر اليهِ الاسكندر معجبًا ببسالتهِ وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال ان تعاملني كما يليق بالملوك ان يعاملوا غيرهم فسُرَّ بهذا الجواب وقال اما من جهتي فكما يليق بالملوك اعاملك واما من جهتك فما هي طلبتك فتقضى فقال فور هذا حسبي

وهذه الواقعة اشهر وقائع الاسكندر من حيث ما ابدى فيها من المهارة الحربية . وقد روى ديودورس انهُ قُتل من جيش فور اثنا عشر الفًا وقال اريانوس بل قتل منهُ ثلاثة وعشرون الفًا واخذ الاسكندر ثمانين من الافيال وحُطِمت المركبات كلها وكان بين القتلى اثنان من ابناء فور

وانشأ الاسكندر مدينة في مكان الواقعة سماها نيقية (اي المنصورة) ومدينة اخرى على الضفة المقابلة حيث كان معسكرهُ سماها بوسيفلوس تذكارًا لجوادهِ المشهور لانهُ مات هناك بعد ان رافقهُ ثماني عشرة سنة ولم يعلُ صهوتهُ احد غيرهُ . ولم تزل هذه المدينة الى الآن واسمها جلال فور

هذا وقد ذكر عبد الله بن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة الملك فورًا نقلاً عن بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي في المقدمة التي قدمها لذلك الكتاب وقال فيها

"ان الاسكندر ذا القرنين الرُّوميَّ لما فرغ من امر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سارَ يريدُ ملوكَ المشرق من الفرس وغيرهم . فلم يزل يحارب من نازعهُ . ويواقع من واقعهُ . ويسالمُ من وادعهُ من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناوأهُ وتغلب على من حاربهُ فتفرَّقوا طرائق . وتمزقوا حزائق . فتوجه بالجنود نحو بلادِ الصين فبدأ في

طريقهِ بملك الهند ليدعوهُ الى طاعتهِ والدخول في ملتهِ وولايتهِ . وكان على الهند في ذلك الزمان ملك ذو سطوة وباس .وقوة ومراس. يقال لهُ فور فلما بلغهُ اقبال ذي القرنين نحوهُ تأهب لمحاربتهِ . واستعدَّ لمجاذبتهِ وضمَّ اليهِ اطرافهُ وجد في التألب عليهِ وجمع لهُ العدة في اسرع مدة. من الفيلة المعدة للحروب .والسباع المضرَّاة بالوثوب. مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع

فلما قرب ذو القرنين من فور الهندي وبلغهُ ما قد اعدَّ لهُ من الخيل . التي كأنها قطع الليل . مما لم يلقهُ بمثلهِ احد من الملوك الذين كانوا في الاقاليم . تخوف ذو القرنين من تقصير يقع بهِ ان عجل المبارزة . وكان ذو القرنين رجلاً ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة فرأى اعمال الحيلة والتمهل واحتفر خندقاً على عسكرهِ واقام بمكانهِ لاستنباط الحيلة والتدبير لامرهِ وكيف ينبغي لهُ ان يقدم على الايقاع بهِ . فاستدعى بالمنجمين وامرهم بالاختيار ليوم موافق تكون لهُ فيهِ سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليهِ فاشتغلوا بذلك . وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة الاَّ اخذ الصناع المشهورين من صناعها بالحذق من كل صنف . فنتجت لهُ همتهُ ودلالتهُ فطنتهُ ان يتقدم الى الصناع الذين معهُ ان يصنعوا خيلاً من نحاس مجوفةً عليها تماثيل من الرجال على بكر تجري اذا دفعت مرت سراعاً . وامر اذا فرغوا منها ان تحشى اجوافها بالنفط والكبريت وتلبس وتقدم امام الصف في القلب . ووقت ما يلتقي الجمعان تضرم فيها النيران فان الفيلة اذا لفت خراطيمها على الفرسان وهي حامية ولت هاربةً . وأوعز الى الصناع بالتشمير والانكماش والفراغ منها . فجدوا في ذلك وعجلوا وقرب ايضاً وقت اختيار المنجمين فأعاد ذو القرنين رسلهُ الى فور بما يدعوهُ اليهِ من طاعتهِ والاذعان لدولتهِ . فاجاب جواب مصرّ على مخالفتهِ مقيم على محاربتهِ

فلما رأى ذو القرنين عزيمتهُ سار اليهِ بأهبتهِ وقدَّم فور الفيلة امامهُ ودفعت الرجال تلك الخيل وتماثيل الفرسان فاقبلت الفيلة نحوها ولفت خراطيمها عليها. فلما احست بالحرارة القت مَن كان عليها وداستهم تحت ارجلها ومضت مهزومةً هاربةً لا تلوي على شيءٍ ولا تمرُّ باحدٍ الاَّ وطئتهُ وتقطع فور وجمعهُ وتبعهم أصحاب الاسكندر واثخنوا فيهم الجراح . وصاح الاسكندر يا ملك الهند ابرُز الينا وابقِ على عدتك وعيالك ولا تحملهم الى الفناء . فانهُ ليس من المروءة ان يرمي الملك بعدَّتهِ في المهالك المتلفة والمواضع المجحفة بل يقيهم بمالهِ ويدفع عنهم بنفسهِ . فابرُز اليَّ ودعِ الجند فأيُّنا قهر صاحبهُ فهو الاسعد فلما سمع فور من ذي القرنين ذلك الكلام دعتهُ نفسهُ الى ملاقاتهِ طمعاً فيهِ وظن ذلك فرصةً . فبرز اليهِ الاسكندر فتجاولا على ظهري

فرسيهما ساعاتٍ من النهار ليس يلقى احدهما من صاحبهِ فرصةً ولم يزالا يتعاركان. فلما اعيا الاسكندر امرهُ ولم يجد فرصةً ولا حيلةً أوقع ذو القرنين في عسكرهِ صيحةً عظيمةً ارتجت لها الارض والعساكر. فالتفت فور عند ما سمع الزعقة وظنها مكيدةً في عسكرهِ. فعاجلهُ ذو القرنين بضربةٍ امالتهُ عن سرجهِ اتبعها باخرى فوقع الى الارض. فلما رأت الهنود ما نزل بهم وما صار اليهِ ملكهم حملوا على الاسكندر فقاتلوهُ قتالاً أحبوا معهُ الموت. فوعدهم من نفسهِ الاحسان ومنحهُ الله اكتافهم فاستولى على بلادهم وملَّك عليهم رجلاً من ثقاتهِ. واقام بالهند حتى استوسق لهُ ما اراد من امرهم واتفاق كلمتهم. ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم ومضى متوجهاً نحو ما قصد لهُ"

واشار ابن خلدون الى ذلك فقال "ولما استولى الاسكندر على بلاد فارس تخطاها الى بلاد السند فملكها وبنى بها مدينة سماها الاسكندرية ثم زحف الى بلاد الهند فغلب على اكثرها وحاربهُ فور ملك الهند فانهزم واخذهُ الاسكندر اسيرًا بعد حروب طويلة". واشار المسعودي الى ذلك اشارةً والظاهر انهُ هو وابن الاثير نقلا عن ابن المقفع

هذا ولنعُد الى ما اثبتهُ الاستاذ هويلر نقلاً عن الثقات من المؤرخين قال ان الاسكندر اقام شهرًا من الزمان في بلاد الملك فور واصلح بينهُ وبين تكسيلس واقرَّ كلاًّ منهما على مملكتهِ شأنهُ في ابقاء الاكفاء من الملوك والولاة الذين انتصر عليهم في ممالكهم وايالاتهم واتخاذهم حلفاء لهُ لا عبيدًا. ثم ترك كراترس ليهتم ببناء نيقية وبوسيفالا وسار شرقًا ليتم تدويخ بلاد البنجاب المعروفة ببلاد الانهر الخمسة فاطاعهُ ملك كشمير لما رأى ان لا قِبَلَ لهُ بمناوأتهِ وبعث اليهِ هدية اربعين فيلاً ومقدارًا وافرًا من الذهب. وقاومهُ سكان المدن التي عبر نهر راڤي ومنها مدينة سنغالا وهي كبيرة حصينة ففتحها عنوةً وقتل من اهلها سبعة عشر الفًا واسر سبعين الفًا. ومن ثمَّ اطاعتهُ بقية المدن المجاورة وصارت البلاد كلها طوع امرهِ والظاهر انهُ لم يكن يعلم ان وراء نهر السند نهرًا آخر اكبر منهُ وهو نهر الكنك وبلادًا من اوسع بلدان المسكونة واعمرها لان اليونان كانوا يجهلون ذلك حينئذٍ فحسب انهُ بلغ نهاية ما وصل اليهِ مُلك الفرس وعزم ان ينزل في نهر السند الى مصبهِ ويدور في الاوقيانوس الهندي حتى يصل الى خليج فارس فامر ببناء السفن اللازمة لذلك عند نيقية ثم بلغهُ انهُ لا يزال شرقي الانهر الاربعة الصابَّة في نهر السند بلاد عامرة واقوام لهم شرائع غريبة خاصة بهم وهم اهل زراعة وصناعة عامَّتهم خاضعة لخاصتهم وكلهم طوال القامة اشداء البأس فعزم ان يمضي اليهم ولو من قبيل الاكتشاف والاستطلاع لكن رجالهُ ابوا عليهِ ذلك وهذه اول مرة جاهروا بمخالفتهِ

فان كثيرين منهم كانوا جرحى او مرضى وهطلت الامطار حينئذٍ سبعين يوماً متواليا فصغرت نفوسهم وضعفت عزائمهم وقالوا ان نحن جاريناهُ هذه المرة واصل السير بنا الى ما شاء الله . فجمع رؤساءهم وحثهم على الذهاب معهُ فابوا كلهم وقالوا انهم قد اجمعوا على العودة فاغتاظ منهم ودخل خيمتهُ وبقي يومين لا يكلم احداً فساءهم ذلك لكنهم بقوا مصرّين على عزمهم . ولما رأى منهم هذا الاصرار امر ان تقرَّب الذبائح للآلهة ليرى ما تدلُّ عليهِ وقت ذبحها فقال الكهان انها تدل على الرجوع فهتف الجنود فرحاً ولما رأى ان قوات الارض والسماء قد اتفقت على ارجاعهِ عن عزمهِ جمع خواصهُ حولهُ وقال لهم انهُ عزم على الرجوع فسرُّوا بذلك حتى بكى بعضهم فرحاً

وبنى هناك اثني عشر مذبحاً كالابراج الكبيرة قرَّب عليها ذبائح الشكر وعاد الى نيقية بعد ان قهر سبعة شعوب وفتح الفي مدينة وبُنيت السفن حالاً وهي الفا سفينة ثمانون منها كبيرة في كل واحدة ثلاثون مجذافا وامَّر عليها نيارخس الكريتي وجعل اونسيكريتوس ربّانا في السفينة الخاصَّة بهِ وقد كتب هذان الرجلان قصَّة سفرهما فخلدا بذلك ذكرهما . ومخرت هذه السفن في النهر في شهر اكتوبر سنة ٣٢٦ قبل المسيح ووقف الاسكندر على ظهر سفينتهِ وجعل يسكب السكائب للانهر وللآلهة مستمداً منها العون الالهي ثم هتف الجنود هتاف الفرح وبوّقت الابواق وشقت المجاذيف وجه الماء وسارت السفن جارية مع التيار وكان فيها الرماة وحملة التروس والفرسان اي نخبة جنودهِ واما سائر الجيش فبقي ماشياً على ضفتي النهر في ثلاث فرق كبيرة وكان عازماً ان يبلغ مصب نهر السند فيترك السفن تسير في الاوقيانوس الهندي الى بحر فارس ويسير هو على الشاطئ الى ان يلتقي بها هناك فيكون قد دار حول مملكة الفرس كلها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً

وكان اذا مرَّ باقوام مسالمين وهو نازل في النهر امنهم واذا مرَّ باقوام قابلوهُ بالعداء اجتاح بلادهم واقتص منهم وبعد قليل وصل الى مدينة حصينة قاومهُ اهلها فهجم عليها وفتحها عنوة وكان فيها حصن حصين رفيع الاسوار والابراج فدخلهُ اهلها واقفلوا ابوابهُ وللحال شرع بعض الجنود في نقب السور واتى البعض بسلمين وحاولوا نصبهما فلم يستطيعوا لان السهام كانت تنهال عليهم انهيال المطر ورأى الاسكندر ذلك فاختطف احد السلمين ونصبهُ بنفسهِ وصعد الى اعلى السور ووقف هناك يتلقى السهام بترسهِ ويضرب كل من يدنو منهُ بسيفهِ وتبعهُ ثلاثة من خواص رجالهِ ووقفوا بجانبهِ يدفعون عنهُ الاعداء وصعد كثيرين غيرهم على السلمين فانكسرا بهم وبقي الاسكندر والرجال الثلاثة وحدهم على السور والسهام تهطل عليهم هطل

المطر والرماح تلذعهم من كل ناحية فجعل رجالهُ ينادونهُ من خارج السور ليرمي نفسهُ فيستلقوهُ بايديهم اما هو فوثب الى داخل السور الى قلب الحصن وقلب الاعداء — وثبة طيش او بسالة تفوق التصوُّر — وثبة من اسكرتهُ خمرة الانتصار فلم يعد يقدّر العواقب

ووقف في الحصن وظهرهُ الى السور وجعل يضرب كلَّ من يتجاسر على الدنو منهُ من اهل المدينة واخيرًا اجتمعوا حولهُ في نصف دائرة ووقفوا يرشقونهُ بالسهام والحراب والحجارة ووثب رجالهُ الثلاثة الى داخل السور ووقفوا بجانبهِ يدافعون عنهُ فاصاب سهمٌ رأس واحد منهم نفذ من خوذتهِ وقتلهُ ووقع حجرٌ على رأس الاسكندر فكاد يصرعهُ ثم اصابهُ سهم في صدرهِ نفذ درعهُ واستقرَّ نصلهُ في رئتهِ فلم يبالِ بهِ اولاً بل بقي واقفًا يدافع عن نفسهِ ويورد من يدنو منهُ مورد الحتوف الى ان نزف كثير من دمهِ فخارت قواهُ وركع على ركبتيهِ ثم أُغمي عليهِ وبقي رفيقاهُ الى جانبهِ يدرآن عنهُ السهام وقد يئسا من النجاة

ولما رأت الجنود ان قائدها وثب الى داخل السور ولم تعد ترى لهُ اثرًا تولاها نوع من الجنون فحاول بعضها كسر الابواب وعدا البعض يفتشون عن السلالم ووقف البعض على اكتاف البعض الآخر الى ان صار منهم سلم بلغ اعلاهُ اعلى السور فصعدوا عليهِ واحدًا بعد الآخر وانقضوا على الاعداء انقضاض الصواعق ثم كسروا الابواب ودخلوا والسيوف في ايديهم يضربون بها يمنة ويسرة لا يعفون عن احد الى ان بلغوا الاسكندر فحملوهُ وخرجوا بهِ وهم يحسبون انهُ اسلم الروح ثم حاولوا نزع السهم من صدرهِ فنشروا قدحهُ (اي خشبهُ) اولاً حتى تمكنوا من نزع الدرع فرأوا النصل غائرًا في اللحم لا يستطاع نزعهُ لانهُ ناشب فيهِ وكان طولهُ اربع اصابع وعرضهُ ثلاثًا . ولما كانوا يحاولون نزعهُ افاق الاسكندر وحاول توسيع الجرح بيدهِ فلم يستطع فامر بردكاس ان يوسعهُ بسيفهِ ففعل ونزعهُ وزاد نزف الدم حينئذٍ فأُغمي على الاسكندر مرة أُخرى لكن رجالهُ اوقفوا الدم بما لديهم من الوسائل واقاموا حولهُ الليل كلهُ وهم لا يصدقون انهُ يبقى حيًّا الى الصباح . ولم ينم الجنود تلك الليلة ولا نزعوا اسلحتهم وعند الفجر نام نومًا هادئًا فانتعشت نفوسهم بعض الشيء

وبلغ الجنود البعيدة عنهُ انهُ مات فبكوا عليهِ وناحوا ثم تولاهم الجزع لانهم خافوا ان لا يجدوا من يعود بهم الى بلادهم بعدهُ . ثم بلغهم انهُ لم يزل حيًّا ولكنهُ ضعيف لا يستطيع الظهور امامهم فلم يصدقوا وحسبوا انها حيلة من القوَّاد ليسهل عليهم قيادهم لكن الاسكندر كان يتماثل رويدًا رويدًا وبلغهُ امر جندهِ فخاف ان يتمرَّدوا على قوادهم اذا رسخ في نفوسهم انهُ مات فامر ان يضعوهُ على ظهر السفينة امام جنودهِ حتى اذا دنت السفينة من الشاطيء

رفع يده واشار اليهم مسلماً فهتفوا كلهم هتاف الفرح ورفعوا اياديهم الى السماء بالشكر والدعاء وبكى بعضهم فرحاً . ثم انزلوه الى الشاطئ واتوه بمحفة ليحملوه فيها فقال كلا بل آتوني بجواد فاتوه فعلا صهوته والعيون محدقة اليه والقلوب طافحة سروراً واصوات الهتاف تصم الآذان الى ان بلغ خيمته فنزل ومشى خطوتين امام رجالهِ والسعيد منهم من كان يستطيع ان يلمس يده او هدب ثوبهِ فشملهم السرور بعد ان تولاهم الحزن والقنوط

ويستدل من هذه الحادثة وامثالها ان طبع الاسكندر لم يتغير عما عهدناه يوم علا صهوة الجواد بوسيفالوس وهو فتى في الثانية عشرة . فانه كان جسوراً مقتحماً لا يخشى المخاطر ولا يقدر العواقب ولاسيما اذا تهيج وكثر الدم في دماغهِ . لم تصرفهُ ابهة المشرق ورفاهية المعيشة عن طبعهِ الاول ولا كان رجاله ينظرون اليهِ نظر العباد الى المعبود بل كانوا يحسبونه مثلهم لحماً ودماً معرّضاً للموت والفساد ولو كانوا يعتقدون ان الآلهة تقيهِ اكثر مما تقي سائر الناس لشدة تعبدهِ وكثرة الهدايا التي يهديها الى هياكلها

وعادت السفن تمخر النهر بعد ان تماثل الاسكندر حتى بلغت نهر السند العظيم فانشأ هناك مدينة سماها الاسكندرية ومرفأً للسفن لكي تكون فاتحة بلاد البنجاب عند ملتقى الانهر الخمسة . ورأى البراهمة على ضفتي نهر السند يميلون الى العداء فسالم من سالمهُ منهم وحارب من حاربهُ الى ان بلغ صغدوي فبنى مدينة اخرى سماها باسمهِ وهناك امر ثلث رجالهِ ان يعودوا الى بلادهم بطريق قندهار وظل هو سائراً مع بقية الجيش الى ان بلغ رأس الدلتا حيثما يتفرع نهر السند قبلما يصب في البحر على مقربة من المكان الذي بنيت فيهِ مدينة حيدراباد فانشأ مرفأً ودار صنعة لبناء السفن وحصنها التحصين الكافي ثم جعل يطوف في بلاد الساحل يبحث في طبائعها ليكون على ثقة من ان سفنهُ تسير امامها آمنة ورأى المدّ والجزر هناك وهي اول مرة رآهما فيها لان بحر الروم لا يمدُّ ولا يجزر الاَّ قليلاً جداً . ورأى الفرع الشرقي من فروع نهر السند اصلح الفروع فانشأ مرفأً عند مصبهِ . وانشاؤهُ للمرافئ يدلُّ على انهُ كان يهتم بمصلحة التجار وما ينتج عن توسيع التجارة وتأمينها من توفر الخيرات . ومن ثمَّ عرف الاوربيون بلاد الهند وصاروا يمضون اليها ويأتون منها بالبضائع ولا بدَّ من انها كانت معروفة قبل ذلك عند العرب والمصريين كما كانت معروفة عند اهل فارس . وفي شهر سبتمبر من شهور سنة ٣٢٥ قبل المسيح ودَّع بلاد الهند وسار بنحو ثلاثين الفاً من رجالهِ في مفاوز بلوخستان وامر السفن ان توافيهُ ببقية الجيش الى بحر فارس . وسيجيء تفصيل ذلك في الجزء التالي

السكر بالمسكال

لماذا يسكر الناس . لماذا يخدّرون اعصابهم وادمغتهم . أَلمجرَّد انفاق المال . ام للتشبُّه بالعجماوات . كلاَّ لا لهذا ولا لذاك بل لانهم يجدون في المخدرات والمسكرات شيئًا من الراحة بعد التعب والسكون بعد الاضطراب . لكن الراحة تنال بغير هذه السموم والسكون يجيء من نفسهِ اذا انقطع الانسان عن الاعتمال والاشتغال لان الدم يمرُّ على دقائق الدماغ وينزح منها الفضول ويودع فيها الغذاء فاذا كانت ساكنة قليلة الاشتغال عادت اليها الراحة بعد التعب ودبَّ فيها النشاط بعد الخمول . ولو عرف جميع الناس هذه الحقيقة ومُنعوا عن المسكرات والمخدرات منذ الصغر لشبُّوا وهم في غنى عنها سواء كانوا من اهل الفاقة او من اهل اليسار . وبديهيٌّ ان كثيرين منهم يجهلونها او يتجاهلونها في كل درجات الحضارة من الهمج سكان الحراج والكهوف الى اكبر العلماء والفلاسفة ولذلك شاعت المسكرات في المسكونة كلها وتعدَّدت انواع المخدّرات والفها الجمُّ الغفير من الناس ولم تهتمّ الحكومات بمنعها لانها وجدت فيها موردًا للدخل غزيرًا

وكنا نحسب ان العالم الجديد قد اكتفى بتقديم التبغ فناظر بهِ المسكرات على انواعها والحشيش والافيون والتنبول وهي من مبتكرات العالم القديم واذا بمخازن الهنود الاميركيين مملوءة بمخدرات اخرى اقواها المسكال الذي فيهِ كلامنا الآن وقد بالغ في مدحهِ بعضهم فسماه فردوس العالم وهو اوراق نباتية من نبات كالصبر يُجمع وتصنع منهُ اقراص صغيرة يمضغها هنود اميركا فتسكرهم سكرًا وقتيًا يرون فيهِ مناظر بديعة حتى اذا زالت منهم سورتهُ عادوا الى اعمالهم على جاري عادتهم . وهم يجتمعون لمضغهِ مرةً في الاسبوع فيضرمون نارًا يوم السبت مساء يجلسون حولها ويقوم رئيسهم فيعطي كلا منهم اربعة اقراص فيمضغونها ويبتلعونها ويكرّر ذلك ثلاثًا او اربعًا من مغيب الشمس الى الفجر وهم جلوس حول النار يرون صورًا وخيالات بديعة التزاويق والتهاويل والمغنون يغنون والمطبّلون يطبلون حتى اذا كانت الظهيرة في اليوم التالي آب اليهم نشاطهم وعادوا الى اعمالهم على جاري عادتهم

وهم يعبدون نبات الصبر الذي يصنع منهُ المسكال فيدنون منهُ حاسري الرؤُوس ويقتلعونهُ بالوقار التام لئلاَّ يتألم وقت اقتلاعهِ . والذين تنصَّروا منهم لا يزالون ينظرون اليهِ نظر العابد الى المعبود

ومنذ بضع سنوات أُتي بالمسكال الى وشنطون عاصمة اميركا وامتُحن في بعض الشبان وعُرف فعلهُ وامتحنهُ الدكتور وير متشل في نفسهِ ثم امتحنهُ المستر هفلوك الس وهاك ما كتبهُ في هذا الشأن قال

نقعت ثلاثة اقراص وشربت نقاعتها بين الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين والساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر فشعرت اولاً بنشاط جسداً وعقلاً ثمّ تولاّني الخمول حتى كاد يغمى عليّ وضعف نبضي فاضطررت ان استلقي على جنبي وبقيت استطيع القراءة وكنت ارى امامي خيالاً بنفسجي اللون وانظر الى يديَّ فاراهما وارمتين كأنهما تكادان تنفزران واذا اغمضتُ عينيَّ رأيت صوراً بهية الالوان ولم اكن اراها دفعة واحدة بل كانت تتدرج تدرُّجاً من الغموض الى الظهور حتى تنفسح تمام الايضاح في المساء ولكنها كانت مما يفوق الوصف كأنها حلي من الذهب الوهّاج مرصعة بالزمرد والياقوت. وشممت الهواء رائحة طيبة كأنهُ كان عابقاً بالطيب ثم زال ما كنت اشعر بهِ من الاضطراب ولم يبقَ الاَّ قليل من الارتجاف في يديَّ حتى كان يصعب عليَّ الكتابة ولو بقلم الرصاص. ولم تكن الصور مما اعتدت مشاهدتهُ بل كانت كلها غريبةً وكأنها كانت تقترب مني دواماً ولكنها لا تصل اليَّ ولا تتخذ صورة اعرفها. مثال ذلك اني كنت ارى الارض مفروشة بالجواهر فرادى وجماعات بعضها برَّاق متألق وبعضها لامع وهَّاج ثم اراها تنتظم بعضها مع بعض في شكل ازهار او فراش او حشرات مختلفة الالوان وقد ارى اناء كبيراً مجوفاً مصنوعاً من عرق اللؤلؤ المتغير الالوان كعنق الحمام. واذهلتني كثرة الصور وتنوُّع اشكالها فانها كانت تتغير امامي دواماً شكلاً واشراقاً وكانت الوانها تدكن مرَّة وتشرق اخرى وشعرت حيناً كأن السماء تمطر ذهباً برَّاقاً. وكثيراً ما كانت الوان الصور رزينة وفيها نقط مشرقة متألقة. وما من لون الاَّ ورأيته يظهر امامي على درجاتهِ المختلفة فالاحمر كان يتدرج من القرمزي الى الوردي فالقرنفلي. وقد تظهر هذه الالوان كلها معاً او يتلو بعضها بعضاً ولها كلها اشكال محدودة جميلة بهيجة كأنها منسوجة نسجاً من خيوط دقيقة لمَّاعة تكاد تكون شفافة كأنها اجنحة الفراش مرصعة بالحجارة الكريمة. وقد تمثلت تلك الصور امامي مرةً بشكل الخزف الصيني ومرة اخرى باشكال الحلواء وكانت كأنها ملقاةً على خشب منقوش مخروط مثل اشغال المشربية المصرية وكثيراً ما كان الشكل الواحد يتكرَّر في اجزاء كثيرة من الصورة لكن الوانهُ تكون مختلفة

وكان الدكتور ويرمتشل لا يرى الصور الاَّ وهو مغمض العينين في غرفة مظلمة تماماً اما انا فكنت اراها وعيناي مفتوحتان ولكن الوانها لا تكون بهية حينئذ. واجمل الصور ما كنت اراهُ وانا مغمض العينين في غرفة منارة بالنار. وهذا يؤيد ما يفعلهُ الهنود الذين يضرمون النار ويجلسون حولها. وبعد مضي بضع ساعات ضعفت قواي فقمت وخلعت ثيابي واتكأت في سريري ولم اكن اشعر بالنعاس وكانت مشاعري كلها متنبهة متهيجة فكنت اسمع الصوت

الطفيف فيعظم في اذنيَّ جدًّا . واخيرًا تعبت من مناظر الصور فاشعلت الغاز وللحال رأيتُ امواجًا من النور تنتشر منهُ وتتعاظم جدًّا وكنت ارى في الظلال بروقًا حمراء وخضراء وبنفسجية وتغير لون الغرفة فصرت اراها كأنها صورة في ورقة لا كأنها غرفة حقيقية

وعند الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين بعد نصف الليل شعرت ان فعل المسكال قد ضعف لكن الصور بقيت تتراءى امامي وكانت قد تشكلت باجسام بشرية لابسة ثيابًا صينية ونمتُ حينئذٍ نومًا هادئًا ولم احلم ثم استيقظت في الصباح وانا لا اشعر بشيءٍ غير عادي

ثم خطر لي ان اجرب فعل المسكال وانا اسمع الاصوات الموسيقية لأرى ما تأثيرها في الهنود فشربت نقاعتهُ وجلست في غرفة منارة بالنار وجلس واحد يلعب على البيانو بجانبي فزادت رؤيتي للصور وبهجتي بها ولا سيما اذا كانت الموسيقى على منهج واحد واما اذا تغير منهجها قلَّ اشراق الصور كأن سحابة وقفت بينها وبيني . وكانت الصور تختلف باختلاف الالحان فاللحن المعروف بشهرزاد اراني حلة بيضاء طائرة فيها جواهر برَّاقة . واللحن المعروف بالطائر المتنبي اراني جوًّا مشرقًا فيهِ اشكال كالطيور ذاهبة فيهِ كل مذهب . وكنت ارى هذه الصور واصفها قبلما اعلم اسم اللحن

واستطرد المستر الس الى وصف المسكال ومقابلتهِ بغيرهِ من المسكرات والمخدرات ففضلهُ على الحشيش والكحول من كل وجه وقال ان فعلهُ لا يظهر على اتمهِ الاَّ في ذوي العقول السليمة الاصحاء الابدان واشدُّهُ في اسمى القوى العقلية وشاربهُ لا يذهب منهُ رشدهُ ولا يشعر كأنهُ انتقل من هذا العالم بل يرى العالم حولهُ قد تغير فلبس حلة جميلة بديعةً كأنهُ فردوس النعيم وجعل عنوان مقالتهِ التي وصف فيها هذه التجارب ونحوها "الفردوس الصناعي" . ويظهر من سياق كلامهِ انهُ يودُّ ترغيب الناس في استعمال المسكال لانهُ نافع غير ضارّ

ودعوى المستر الس هذه مثل دعوى الذين وصفوا الحشيش في اول استعمالهِ فقد ذكر المقريزي ان شيخًا من الفقراء اسمهُ حيدر اكتشف هذا النبات اتفاقًا واكل من اوراقهِ فحصل لهُ نشاط وسرور واخبر اصحابهُ بهِ فاخذوا من اوراقهِ واكلوا فحصل لهم من السرور والطرب ما عجزوا عن كتمانهِ فامرهم بصيانة هذا السر الاَّ عن الفقراء وقال لهم ان الله خصكم بهِ ليذهب همومكم الكثيفة ويجلو افكاركم وامرهم بزرعهِ حول ضريحهِ بعد وفاتهِ وتوفي سنة ٦١٨ للهجرة وكان قد اوصى اصحابهُ ان يوقفوا ظرفاء اهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار فاعلموهم بسرهِ فاستعملوهُ وشاع امر الحشيش في بلاد خراسان وفارس ثم حمل الى العراق والشام ومصر . وذكر ابياتًا في وصفهِ لمحمد ابن الاعمى الدمشقي يقول فيها

دع الخمر واشربْ من مدامة حيدرٍ معنبرة خضراء مثل الزبرجدِ
وكفّ اكفّ الهم بالكفّ واسترحْ ولا تطّرحْ يوم السرور الى غدِ

وابياتاً اخرى لعلي بن الشاعر يقول فيها

ألا فاكفف الاحزان عني مع الفجر بعذراء زُفّت في ملاحفها الخضرِ
تجلت لنا لما تحلّت بسندسٍ فجلّت عن التشبيه في النظم والنثرِ
عروس يسرُّ النفس مكنون سرّها وتصبح في كل الحواس اذا تسري
فللذوق منها مطعم الشهد رائقاً وللشم منها فائق المسك بالنشرِ
علت رتبةً في حسنها وكأنها زبرجد روض جادهُ وابل القطرِ
تبدّت فابدت ما اجنّ من الهوى وجاءت فولّت جندُ همي والفكرْ
جميلة اوصاف جليلة رتبة تغالت فغالى في مدائحها شعري
فقمْ فانف جيش الهم واكفف يد العنا بهندية امضى من البيض والسمرِ
تزيل لهيب الهمّ عنّا باكلها وتهدي لنا الافراح في السرّ والجهرِ

هذا ما قالهُ الشعراء في وصف الحشيش وهو من مذهبات العقل ومضعفات الحواس ومن شرّ الآفات على كل بلاد منيت بهِ . ولا شبهة عندنا في ان المسكال يكون مثلهُ اذا شاع شيوعه . وقد استدرك المستر الس على ما قالهُ اولاً في مدحهِ فقال "ان ما نعلمهُ من فعل المسكال بالمتمدنين قليل لا يكفي لان يبنى عليهِ حكم ولاسيما من حيث فعلهُ اذا أُدمن استعمالهُ ولا شبهة عندي في ان الاكثار منهُ مضرٌّ جدًّا". لكنهُ عاد فسوَّغ استعمالهُ للاصحاء ولو مرة او مرتين وقال انهم يجدون فيهِ لذة لا ينسونها. وما ادراهُ ان من يستعملهُ مرة لا يستعملهُ مراراً ثم يعكف عليهِ فيترك العمل و يعيش في الاحلام. ولو كان لهذا العقار فائدة حقيقية لظهرت في هنود اميركا وساعدتهم على الارتقاء من حالة الهمجية التي نشأوا فيها والواقع انهم يزيدون انحطاطاً عاماً بعد عام بمقدار ما يزيد نزلاء بلادهم ارتقاء ولعلّ المسكال هذا سبب من الاسباب الكثيرة التي اوقفتهم عن الارتقاء ودعتهم الى الانحطاط

هذا ونعيد ما اشرنا اليهِ آنفاً وهو ان التعب عرض طارئ على اعصاب الجسم ودقائقهِ لتجمُّع الفضول فيها فاذا انقطع الانسان عن الشغل والعمل واخلد الى السكينة فالدم الجاري في بدنهِ ودماغهِ يذهب بالفضول و يجلو صدأ الهموم حقيقة ومجازاً . وهذه هي الراحة الحقيقية المكتسبة من غير ضرر ولا اسراف وكل ما سواها من قبيل مداواة الداء بالداء



مطالب الزراعة

من خطبة الرئاسة للدكتور داود مورس مأمور الزراعة في جزائر الهند الغربية

قصب السكر

ان اتساع نطاق الزراعة واهتمام الامم الاوربية بها يأولان الى هبوط اسعار الحاصلات الزراعية الناتجة من البلدان الحارَّة . ولا تدفع الخسارة الناتجة عن ذلك الاَّ ببذل الهمة لتقليل النفقات الزراعية والصناعية ولا يتم تقليل النفقات الاَّ ببذل الجهد في استعمال اصح المعارف الزراعية والصناعية

وكل بلاد من البلدان التي يستخرج منها السكر قد بذلت الهمة في اجادة النبات الذي تستخرج السكر منهُ. فالممالك الاوربية التي تستخرج السكر من البنجر قد جعلت الكمية التي تستخرج منهُ مضاعف ما كانت اولاً باعتنائها بزرعهِ وانتقاء التقاوي منهُ . ولم يهتم احد هذا الاهتمام بقصب السكر الاَّ منذ عشر سنوات اي حينما ثبت ان قصب السكر يبزر بزوراً تنمو اذا زرعت. وقد حدث ذلك في جاوى و برباذوز في وقت واحد . والتجارب التي أُجريت حتى الآن في هذا السبيل تدلُّ على قرب النجاح فان القصب المعروف بنمرو ١٤٧ تبلغ غلة الفدان منهُ ٧١٩٠ رطلاً من السكر . والقصب المعروف بملكة كاليدونيا تبلغ غلة الفدان منهُ ٦١٣٧ رطلاً من السكر . والقصب المعروف بالربو تبلغ غلة الفدان منهُ ٥٩٢٩ رطلاً والقصب المعروف بالبوربون تبلغ غلة الفدان منهُ ٥٢١٠ رطلاً والمعروف بالشفاف الابيض تبلغ غلة الفدان منهُ ٥٢٧٥ رطلاً . وظاهر ان الفرق بين الاول والاخير نحو طن من السكر لكل فدان من الارض

ولا بدَّ من مواصلة التجارب في انواع السماد وموافقتها للانواع المختلفة من الاراضي واصلح الاوقات لاستعمالها . ومعالجة الحشرات المختلفة التي تسطو على قصب السكر والجري في استخراج السكر من القصب على احدث الطرق العلمية والصناعية

المزروعات الاخرى

لا يحسن ببلاد ان تعتمد على نوع واحد من المزروعات لئلا يمحل وقتاً ما فتسوء حالها وبلدان الهند الشرقية واسعة الارجاء وما زرع منها حتى الآن قليل جداً بالنسبة الى ما لم

يزرع في غينيا البريطانية من الاراضي الصالحة للزراعة عشرون مليون فدان والاراضي المزروعة لا تزيد على ٣٢٥ الف فدان وفي الترنداد من الاراضي المزروعة ٣١٠ آلاف فدان ومن الاراضي يمكن زرعها ايضاً ٥٥٠ الف فدان وفي جمايكا من الاراضي المزروعة ٦٩٣ الف فدان ومن الاراضي التي يمكن زرعها ايضاً مليون وخمس مئة الف فدان وبقال جملة ان الاراضي التي تزرع الآن في هذه المستعمرات لا تزيد على ثمانية في المئة من الاراضي الصالحة للزراعة

دور الامتحان الزراعي

الغرض من هذه الدور البحث في طبائع النباتات التي يستفاد من زرعها وجلبُها من مواطنها وزرعها وتوزيعها على ارباب الزراعة . والبحث عن الطرق التي تجود بها المزروعات المستعملة الآن كقصب السكر ونحوهِ . وهي مراكز تتوزع منها المعارف الزراعية الدقيقة ويخرج منها معلمو الزراعة الذين يجولون في البلاد يرشدون اهلها الى كيفية اختيار الارض واعدادها وزرعها واصلح الطرق لخدمة المزروعات واستغلالها

معلمو الزراعة

اثبتت التجارب ان بساتين الزراعة ودور الامتحان لا تكفي لفريق كبير من اهل الزراعة في جزائر الهند الغربية بل لا بدَّ من الوصول اليهم مباشرةً بطرق اخرى لتعليمهم فارسلنا المعلمين منذ سنة ١٨٩١ ليجولوا في البلاد ويعلموا اهلها . ويحسن ان يخبر عمد البلاد بذلك ويعين الوقت الذي يزورهم فيهِ المعلم حتى يجمعوا الفلاحين فيستفيدوا كلهم منهُ ويجب عليهِ ان يزور البساتين والاباعد ويرشد اهلها الى اصلح الطرق للحرث والري والصرف والزرع والغرس وما اشبه فيستفيد الفلاحون من شروحهِ لاسيما وانها تكون مقرونة بالمشاهدة

المعارض الزراعية

المعارض الزراعية قديمة في بلاد الهند الغربية لكن الجوائز التي تعطى فيها قلما تعطى لما يستحق الجائزة ولذلك يكون ضررها اكثر من نفعها ويجب ان تبذل الهمة في منح هذه الجوائز لما يستحقها حقيقة لمزية كبيرة ظاهرة فيهِ

الكتب والجرائد الزراعية

ولا بدَّ من نشر الكتب والجرائد والكراريس الزراعية بين جمهور اهل الزراعة وان تكتب بلغة سهلة الفهم ويكون فيها ارشادات كافية عما يجود في البلاد من المزروعات . وتعطى الكراريس مجاناً للعمد والقضاة والاطباء والمشائخ والقسوس والصيارفة وضباط البوليس وكل

الذين لهم شأن بين الجمهور حتى يقرأُوها و يستفيدوا منها ويفيدوا غيرهم

التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية

اهمّ ما يتحدَّث بهِ الناس في البلدان الزراعية في هذه الايام شدة الحاجة الى تعليم الصغار كيف ينتجون من الارض ما تمسُّ الحاجة اليهِ في اسواق المسكونة. لان الجهل وعدم الكفاءة لا ينتجان نتائج حميدة. والعادة المتبعة في بلدان الهند الغربية ان يؤْخذ خير الارض ثم تهمل وهذا هو نظام التخريب ولكن يستحيل تغييرهُ كلهِ دفعةً واحدة فيجب علينا ان نلتفت الى الصغار ونعلمهم اساليب اخرى في المدارس الابتدائية . وهذه المستعمرات تنفق مبالغ كبيرة على التعليم العمومي وقد بلغ ما انفقتهُ سنة ١٨٩٦ مئة وثمانين الف جنيه . والانفاق على التعليم العمومي حسن وفي محلهِ ولكن لابدَّ ايضًا من الانفاق على تعليم المبادىء الزراعية. والصعوبة الكبرى الآن هي في ايجاد المعلمين الذين يقدرون على تعليم مبادىء الزراعة غير ان ديوان الزراعة قد اهتم بتعليم المعلمين مبادىء الزراعة وتعليمهم ايضًا كيف يعلمون هذه المبادىء للتلامذة وسيؤلف لهم كتاب بسيط في مبادىء الزراعة ليقرأُوهُ لتلامذتهم. وينتظر ان يكون من بساتين المدارس فائدة كبيرة حيث يقرن التلامذة العلم بالعمل

مدارس الزراعة

من خطبة للقس وليم سمس

قال بعد تمهيد وجيز اني ابدأُ المقال بما اعدُّهُ من الحقائق المسلّمة التي يبنى عليها التعليم الزراعي وهو

(١) ان الزراعة هي العمل الخاص لجمهور السكان في هذه البلاد وستبقى كذلك

(٢) لا بدَّ من ايجاد اعمال اخرى عقلية ويدوية مع الزراعة

(٣) يجب ان لا يقتصر التعليم على العمل الذي يعملهُ الشاب بعد خروجهِ من المدرسة بل يتناول جعل الشاب قادرًا على الجري حسب مقتضى الاحوال التي يكون فيها ادبيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا

(٤) التعليم العمومي حديث النشأة فان عامة الشعب لم يكونوا يتعلمون منذ ستين او سبعين سنة بل كانوا يربون على الاعمال ويتعاطونها من غير استعداد علمي وكانت الاواسط يخدمون من يعلمهم الصنائع فيتعلمون عند الصناع انفسهم اما الآن فانتقل التعليم الى المدارس وصار الناس يستعدون فيها لمعاطاة الاعمال

(٥) اتفق الباحثون في امر التعليم على انهُ اعتمد على الكتب اكثر مما يحق لهُ ان يعتمد عليها وانهُ لا بد من التعليم العملي لكي يكون الانسان قادراً على تعاطي الاعمال المختلفة

(٦) انهُ يستحيل على الاولاد ان يتعلموا العلوم الصناعية او يستفيدوا منها قبلما يبلغوا السنة الثانية عشرة من العمر ويتعلموا العلوم الابتدائية

(٧) لا يمكن تعليم شيء ما لم توضع لهُ قواعد ويجرى في تعليمهِ على الاساليب المرعية في علم التعليم

(٨) لا يزال علم الزراعة حتى في البلدان الراقية اعلى مراقي النجاح كالمانيا اختبارياً والكتب الصالحة لتعليمهِ قليلة جداً

(٩) التعليم العملي اكثر نفقات من التعليم النظري . ويجب يكون عدد المعلمين في التعليم العملي اكثر منهُ في التعليم النظري بالنسبة الى عدد المتعلمين واجور المعلمين اغلى في التعليم العملي منها في النظري وكذلك المباني والادوات اللازمة للتعليم تكون اغلى في العملي منها في النظري

(١٠) من الخطإ الكبير ان تدخل علماً جديداً الى مدرسة ما فجأةً قبلما يكون فيها معلمون صالحون لتعليمهِ ولذلك يجب ادخال العلم الجديد رويداً رويداً حتى يرتقي تعليمهُ بالتدريج

والتعليم الزراعي في البلاد الانكليزية غير عام في المدارس الابتدائية حتى الآن فان مدارس قليلة تعلمهُ وهو فيها غير متقن وطلبتهُ قلال جداً . والمدارس الزراعية قليلة فيها

والمدارس الزراعية في الولايات المتحدة الاميركية متصلة كلها بمراكز الامتحان الزراعي ومدة التعليم فيها اربع سنوات لكن تلامذتها قلال واكثرهم يصيرون معلمين وخطباء ومحرري جرائد وقليلون منهم يتعاطون الزراعة بعد خروجهم من المدرسة . غير انها لا تقتصر على ذلك بل يدرس فيها الفلاحون مدة قصيرة تختلف من بضعة اسابيع الى سنتين وهؤلاء يقرنون العلم بالعمل . والتعليم الزراعي في المدارس الابتدائية والثانوية قليل جداً وقد حاول المستر بوكر وشنطون ادخالهُ في مدرستهِ على اسلوب عملي فنجح في ذلك

وفي كندا مدرسة زراعية ناجحة يتعلم فيها التلامذة من سن ١٦ الى سن ٢٥ ويتعلم فيها الفلاحون ايضاً ونساؤهم واولادهم مدداً قصيرة . والمدارس العالية تقتصر على تعليم الكيميا الزراعية

وفي بروسيا مدارس للزراعة ولكنها قليلة ولا نعلم الزراعة في المدارس الابتدائية بل في المدارس الليلية وتعليمها فيها نظري لا عملي

وفي فرنسا تعلَّم مبادىء الزراعة في المدارس الابتدائية ولكن اكثر التعليم نظري والعملي

منهُ مقتصر على التجارب في الاصص والصناديق واذا كان بجانب المدرسة بستان كبير فالغالب ان التلامذة يتمرنون فيهِ على الاعمال الزراعية

وبعد ان اسهب الخطيب في هذا البيان استطرد الكلام الى المستعمرات فاشار بانشاء مركز امتحان زراعي في كل مستعمرة تتلى فيهِ الخطب الزراعية وتعلّم فيهِ الزراعة بالعمل والذين يتخرجون منهُ ينشئون مراكز اخرى يعلمون فيها غيرهم ولا سيما اذا كانوا من تلامذة المدارس العالية . ثم قال ان التعليم الزراعي لا يفيد الطالب ما لم يكن قد عرف اساليب الزراعة اولاً وتمرَّن فيها

بزرة القطن

كتب الاستاذ مكنزي ناظر مدرسة الزراعة المصرية مقالة كبيرة الفائدة في مجلة الجمعية الزراعية الخديوية قال فيها ان اهالي الهند والصين كانوا يعصرون الزيت من بزر القطن من عهد قديم جدًّا ويستعملونهُ للاضاءة ويطعمون الكسب الباقي منهُ للثيران لكنَّ الاميركيين لم يعرفوا فائدة البزر الاَّ منذ نحو خمسين سنة وقبل ذلك كانوا يحرقون ما زاد منهُ عن التقاوي او يطرحونهُ في الانهار

والآن تنزع القشور من البزر اولاً ثم يسحق ويعصر زيتهُ فيكون منهُ ثلاثة اشياء القشر الخارجي والزيت والكسب الباقي من اللب بعد خروج الزيت منهُ . اما القشر فيحرق او يسحق ويطعم للمواشي ممزوجًا بغيرهِ من العلف المغذي لان مادتهُ خشبية قليلة الغذاء . ولكنهُ اذا استعمل وقودًا فالطن منهُ يساوي ربع الطن من الفحم الحجري واكثر رمادهِ من مركبات البوتاس والحامض الفصفوريك فيستعمل سمادًا للارض

وقد يعصر الزيت من البزر قبل تقشيرهِ كما هو جارٍ في القطر المصري فلا يكون نقيًّا مثل الزيت المعصور من البزر المقشَّر ولا يكون كسبهُ كثير الغذاء لاختلاطهِ بالقشر . ويظهر الفرق بين الكسب الناتج من البزر المقشور وغير المقشور من ان في المئة درهم من كسب البزر المقشور ٤٤ درهماً من المواد الزلالية واللحمية ونحو خمسة دراهم من الالياف الخشبية وفي المئة درهم من كسب البزر غير المقشور ٣١ درهماً من المواد الزلالية واللحمية ونحو ٢١ درهماً من الالياف الخشبية وفي الاولى ١٤ درهماً من الزيت وفي الثانية اقل من ستة دراهم . وثمن الطن من الكسب المقشور ستة جنيهات ونصف ومن غير المقشور خمسة جنيهات

وزبل المواشي التي تأكل كسب بزر القطن كثير المواد المغذية للارض لان ثمانية اعشار

او تسعة اعشار ما في الكسب من المواد المغذية للارض تنقل الى زبل المواشي التي تاكلهُ فلا يكون من الحكمة استعمال الكسب سماداً للارض ولكن يطعم للمواشي اولاً ثم يستعمل زبلها سماداً للارض فتستفيد الارض والمواشي معا

والزيت اثمن ما في البزر ويساوي الطن من زيت القطن خمسة عشر جنيهاً الى ستة عشر . ويوضع الزيت بعد عصره في حياض كبيرة فيرسب منهُ العكر وقد يسخن هذا العكر ويعصر ثانية او يباع لعملة الصابون اما الزيت الصافي فيصب من فوق العكر بمبزل ويسخن ويحرك جيدًا ويدخل فيهِ الهواء ثم يعالج بالصودا الكاوي او البوتاسا لكي تتجمع الشوائب التي فيهِ وترسب ويسحب الزيت النقي حينئذٍ ويمزج بالماء حتى يذوب ما بقي فيهِ من المواد القلوية ويرشح فيخرج صافيًا نقيًا وهو يستعمل بدل زيت الزيتون في الطعام وكبس السردين وعمل الصابون

وقد حُللت انواع مختلفة من البزر ليعلم مقدار ما فيها من الزيت من مديريات مختلفة فكان متوسطها كما ترى في هذا الجدول

	بزر الميت عفيف	العباسي	الباميا	الاشموني	ينوفتش
ماء	٠٨,٠٣	٠٧,٧٥	٠٧,٩١	٠٨,٤٤	٠٨,٧٨
زيت	٢٧,٩٢	٢٧,١٥	٢٦,٣٣	٢٥,٧٨	٢٤,٩٤
مواد نيتروجينية	١٨,٢٢	١٨,٣١	١٩,٠٦	١٩,١٣	١٩,٨٨
« نيتروجينية	٢٤,٥٧	٢٥,٨٦	٢٦,٧٩	٢٥,٩٣	٢٥,٨٢
الياف	١٧,١٢	١٦,٩٩	١٦,٣٤	١٦,٩٤	١٦,٣٨
رماد	٠٤,١٣	٠٣,٩٣	٠٣,٥٧	٠٣,٧٨	٠٤,٢٠

ويظهر من ذلك ان الزيت في بزر الميت عفيف اكثر قليلاً منهُ في العباسي وفي هذا اكثر منهُ في بزر القطن الباميا والاشموني والينوفتش اي ان الاصناف الجديدة التي ينتظر ان يكون قطنها اكثر من غيرهِ زيت بزرها قليل بالنسبة الى غيرهِ ولكن المواد الزلالية في الاصناف الثلاثة الاخيرة اكثر منها في الصنفين الاولين فان كان لذلك علاقة بالمحصول من القطن امكننا ان نعرف فائدة التقاوي من تحليل بعض بزورها ومعرفة مقدار ما فيها من الزيت والمواد الزلالية

وجاء في نشرة للمستر الن نشرها ديوان الزراعة الاميركي تحليل بزر القطن الاميركي فاذا هو

	الاكثر	الاقل	المتوسط
ماء	١٣,٥	٠٧,٠	١٠,٣

زيت	٢١و٦	١٨و٩	١٩و٩
مواد نيتروجينية	٢١و٧	١٤و٥	١٨و٤
" غير نيتروجينية	٢٩و١	١٧و٣	٢٤و٧
الياف	٢٨و٧	٢٠و٣	٢٣و٢
رماد	٠٨و٥	٠٢و٩	٠٤و٥

ويظهر من ذلك ان الزيت في متوسط بزر القطن المصري اكثر منهُ في متوسط بزر القطن الاميركي بنحو ٦ او ٧ في المئة

القطن والري

نكتب هذه السطور ومقياس النيل في الخرطوم تحت الصفر بنحو ٧٠ سنتمترًا وفي اصوان تحت الصفر بقيراط وهو انخفاض لم يبلغهُ النيل في سنة من السنين الماضية التي حُفظ قياسهُ فيها. ولا يزال أمامنا شهران او اكثر حتى يصل ماء الفيضان الى العاصمة فلا يعلم الى اي درجة يبلغ انخفاضهُ في اصوان قبل ان يصلها ماء الفيضان ولا ما اذا كان الماء المحصور الآن في مجرى النيل من اصوان الى القناطر الخيرية يكفي لارواء القطن كلهِ الى ان يرد ماء الفيضان.

وقد كتب الينا الخواجه اسكندر خوري حداد من كبار المزارعين في الفيوم رسالة مسهبة ابان فيها بالشواهد التاريخية ان القطن يحتمل العطش اياماً كثيرة وان قلة الماء هذا العام لا يضرُّ بهِ كثيرًا وهاك خلاصة مقالتهِ

"لقد اختلفت اقوال المزارعين في ما يصيب زراعة القطن هذا العام من الضرر والمحل لقلة المياه الى ان اتت نشرة جناب السر وليم جارستن منذرة بما يخيف ثم جاءت نشرة جناب المستر برون وفيها شيء من الاطمئنان فوجدتها تنطبق على ما كنت اظنهُ ولذلك رأيت ان ابعث الى حضرتكم بالجدول الآتي لتنشروهُ مع هذه الكلمات

ويظهر لي اولاً ان الخوف من قلة المياه لا يبلغ الحد الذي يتوهمهُ البعض ولا سيما الذين يحسبون ان المحصول لا يكون اكثر من الثلث او الربع اذ يظهر لي ان المحصول قد يبلغ خمسة ملايين قنطار وان نقص عن ذلك فيكون النقص قليلاً اذ لا يخفى ان طول مجرى النيل من ينابيعهِ عند بحيرة فكتوريا الى مصبهِ في المالح نحو ٥٥٨٩ كيلو مترًا وارتفاع منسوبهِ عند البحيرة عن مصبهِ هو ١١٢١ مترًا فلا بد من ان تصل الينا من الآن الى زمن الفيضان مياه تقدَّر بمليارات الامتار المكعبة لطول هذا المجرى وتحدرهِ بعد استبعاد ما يتبخر وما يركد

منها وسنرى في شهر ابريل ان اصوان تحفظ منسوبها تقريباً لبطء سير المياه

ثانياً ان منسوب تحاريق سنة ١٨٩٢ بلغ ١٠ قراريط ومع ذلك كان المحصول خمسة ملايين وربع مليون قنطار وكانت زراعة الارز منتشرة وهي تأخذ مياهاً كثيرة . واتذكر جيداً ان انتظام الري سنة ١٨٩٢ كان دون ما هو الآن بدرجات وقد بقيت اقطان كثيرة بدون ري مدة تختلف من ٥٠ الى ٦٠ يوماً بمديريتي الفيوم وبني سويف حيث يكثر تبخر المياه ويشتد فعل العطش . وقد ظن معظم المزارعين حينئذٍ وانا منهم ان لا بدَّ لنا من قلع الاقطان وزرع غيرها ولكن بدأت الزيادة في اصوان في منتصف يونيو وبلغتنا فروينا القطن ونحن لا نصدق اننا نأخذ منهُ محصولاً الاَّ ان المحصول فاق محصول السنة التي سبقتها مع غزارة مياهها ولكن اتفق ان الحر اشتد سنة ١٨٩٢ حتى آخر اكتوبر وجزءٍ من نوفمبر

ثم ان القناطر الخيرية قد تمت تقويتها الآن لرفع منسوب المياه وذلك مع الاصلاحات الكثيرة التي تمت في الري تمكن من خزن المياه في الترع حتى لا يضيع منها شيءٌ . اما العاهات التي يمكن ان تصيب القطن كالندوة والدودة والرطوبة الشديدة بين سبتمبر ونوفمبر فهذه لا تعلم الآن

ولا يغرب عن فهم احد انهُ يوجد الآن كثير من السواقي والآبار لري الاقطان وقد يبلغ عددها اربعين الفاً وجُدِّد كثير منها هذه السنة وكل واحدة منها تكفي لري خمسة فدادين الى عشرة . وان في الترع كثيراً من الينابيع مثلاً ترعة بحر يوسف الآخذة من الابرهيمية وطولها نحو ٢٣٠ كيلومتراً فان مقرر ينابيع هذه الترعة بين ربع مليون وثلث مليون متر مكعب كل ٢٤ ساعة . ولذلك لا خوف من العطش وانما الخوف كل الخوف من الندوة اذا اتت وتبعتها الرطوبة في سبتمبر واكتوبر

اما مساحة المزروع فربما يجد البعض جدولي مخالفاً لما في ارقام حضرة المراقب المالي التي تعرف من قسايم اوراد الصيارفة وتقارير المديريات اما الصيارفة فيملأُون خانات الزراعة من غير تروٍ لانهُ لا مسأولية عليهم اذا خالفوا الحقيقة . واما انا فارجح صحة الجدول الآتي لانني بذلت الجهد في البحث والتحري حتى جمعتهُ . ويظهر لي ان زمام زراعة القطن هذه السنة يبلغ نحو ١٢٥٠٠٠٠ فدان اي انهُ يقل ١٥٠٠٠٠ فدان عن زراعة العام الماضي وسيكون الماءُ كافياً لهُ ولا سيما بعد ان أُبطلت زراعة الارزّ هذه السنة والمياه التي كانت تلزم لها تكفي لري ثلث القطن

هذا ما اردت بيانهُ خدمةً لاخواني المزارعين لكي لا يقنطوا والله علام الغيوب

سنة	اول ابريل قيراط	اول ابريل ذراع	اول يونيو قيراط	اول يونيو ذراع	المحصول قناطير	زمام زراعة القطن
١٨٧٦	٠٩	٣	٢٢	١	٢٧٧٣٢٥٨	٧٧٠٠٠٠
١٨٧٧	١٠	٢	٢٢	١	٢٥٩٣٣٧٠	٧٨٠٠٠٠
١٨٧٨	٠٩	١	٠٨	٠	١٦٨٣٧٤٩	٧٩٠٠٠
١٨٧٩	٠٢	٦	٠١	٥	٣١٩٨٨٠٠	٧٦٠٠٠٠
١٨٨٠	٢١	٤	٠٥	٣	٢٧٧٦٤٠٠	٧٨٠٠٠٠
١٨٨١	١٥	٢	٢٢	١	٢٩١٢٠٠٠	٨٠٠٠٠٠
١٨٨٢	٠٥	٢	٠	١	٢٢٨٤٢٥٠	٨٠٠٠٠٠
١٨٨٣	١٢	٣	١٦	١	٢٦٩٤٠٠٠	٨٢٠٠٠٠
١٨٨٤	٠٠	٤	٢٠	٢	٣٦١٥٧٥٠	٨٤٠٠٠٠
١٨٨٥	١٠	٢	١٩	٠	٢٩٢٣٤٥٠	٨٧٠٠٠٠
١٨٨٦	٠٤	٢	١٢	١	٢٩٣١٠٠٠	٨٧٠٠٠٠
١٨٨٧	٢٠	٢	٠٨	٢	٢٩٣٧٠٠٠	٨٩٠٠٠٠
١٨٨٨	١٢	٢	١١	١	٣١٢٣٠٠٠	٩٠٠٠٠٠
١٨٨٩	٠٤	١	١٣	٠	٣١٨٣ ٠٠	٩٢٠٠٠٠
١٨٩٠	٢٢	١	١٥	٠	٤٠٧٢٥٠٠	٩٥٧٢٥٠
١٨٩١	٠٢	٢	١٤	١	٤٦٧٢ ٠٠	١٠٠٠٠٠٠
١٨٩٢	٠٧	٢	١١	٠	٥١١٨١٥٠	١٠٥٠٠٠٠
١٨٩٣	١٧	٥	١٦	٢	٤٩٣٣٠ ٠	١١٠ ٠٠٠
١٨٩٤	١٧	٢	٢١	١	٤٦١٥٢٧٠	١١٥٠٠ ٠
١٨٩٥	١٠	٥	١٧	٣	٥٢٧٥٣٨٣	١٢٠٠٠٠٠
١٨٩٦	١٩	٣	١٤	٢	٥٨٧٩٧٥٠	١٢٥٠٠٠٠
١٨٩٧	١٣	٤	١٨	٢	٦٥٣٤١٢٨	١٣٠٠٠٠٠
١٨٩٨	٠٩	٢	٠٤	١	٥٥٨٨٨١٦	١٣٥٠٠٠٠
١٨٩٩	١٥	٤	٢٠	١	٦٥٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠
١٩٠٠	٠٤	٠				١٢٥٠٠٠٠

بساتين المدارس

نشرنا منذ عامين مقالة مسهبة في هذا الموضوع كان لها وقع حسن عند جمهور كبير من معلمي المدارس كما يظهر مما كتبوا الينا به . وقد اطلعنا الآن على ما تفعله مدرسة من المدارس الالمانية الابتدائية في تعليم المبادىء الزراعية لصغار الطلبة . والمدرسة في قرية الفتروفيها اربع مئة تلميذ وستة معلمين ويتعلم فيها الطلبة ثماني سنوات . والتعليم الزراعي فيها قصير المدة يقتصر على ساعتين في الاسبوع مدة السنتين الاخيرتين ومواد التعليم كما ترى في هذا الجدول

في شهر ابريل ومايو — بناء النبات الداخلي . خلايا النبات والليافة ووظائفه . اقسام النبات الظاهرة . الجذور ووظائفها وكيفية تغذية النبات بها بامتصاصها للمواد الجمادية كالفصفور والبوتاسيوم والصوديوم والحديد والكلور والماء . سوق الاشجار وتفرعاتها ونماؤها وحلقاتها

في يونيو — الورق . وظيفة الكلوروفل في حياة النبات وفعل النور به . تنفس النبات اغتذاء النبات مما في الهواء من العناصر وهي الكربون والنيتروجين والاكسجين . الزهر وكيفية تذكره . الثمر والبزر . تكوُّن النبات من البزر ومن الفسائل

في يوليو — الارض واصلاحها . الارض الجيرية . الارض الطفالية والارض السواد . الرمل . استنزاف غذاء النبات والتعويض عنه بالسماد والفضلات المختمرة وورق الشجر . والسباخ . تأثير الاقليم في النبات

في اغسطس — زرع الفاكهة . زرع الترقيدة (المشتل) والاعتناء بها . اهم الطرق لاصلاح الاثمار . التطعيم . الاعتناء بالاغراس . كيفية تكوُّن الساق . نقل الاغراس . تعريش المعترشات . زرع النباتات الصغيرة ذوات الاثمار مثل توت الوزّ والقشمش والعليق والشايخ وزرع الكرم والاعتناء به

سبتمبر — نضج الاثمار . اجتناؤها . انتقاؤها وحفظها . اختلافها باختلاف الاقاليم والاتربة والاماكن العالية والواطئة وما يناسب كلاً منها . عمل المربى منها وعمل الشراب والخمر

اكتوبر ونوفمبر — الاشجار ذوات الاثمار — غرسها وقضبها وريها وخدمتها وتجديدها وتطعيمها . ادواؤها ومنعها

دسمبر — اعداء الاشجار المثمرة النباتية والحيوانية

يناير — الحشرات . دود الخوخ والتفاح والكمثرى . الزنابير . الفراش . المن . الديدان

فبراير — الفحم الحجري والبترووليوم والطين والخزف والطوب والملح

مارس — الحديد والرصاص والنحاس والنكل والذهب والفضة . والنقود

ابريل ومايو — تخطيط الارض . تسميدها . زرعها ريها . الخضر كالكرنب والخس والاسبانخ والجزر والبصل

يونيو — القطاني كالفول والبازلاَّ والهليون والخيار . وتخفيف الخضر وتحليلها . والحرث والعزق والتمهيد

يوليو — الحبوب على انواعها والبطاطس والبرسيم

اغسطس — تعاقب المزروعات . تسميدها . استئصال الاعشاب . الحيوانات التي تضرُّ بالنبات . الفيران . الفيلكسرا

سبتمبر — الحشرات الضارة كالديدان والحشرات النافعة كالنحل والذباب النمسي والحيوانات النافعة كالخلد وكبابة الشوك

اكتوبر ونوفمبر — اعداء النباتات من الطيور

دسمبر — الحيوانات الاهلية كالبقر والخيل والكلاب والدجاج والحمام

يناير وفبراير ومارس — علم وظائف اعضاء الانسان

وكل الاعمال الزراعية مثل الحرث والزرع والعزق والقضب والجني يعملها التلامذة ويكون المدير معهم وهو يساعدهم في كل الاعمال . وهم يزرعون الارض مرتين او ثلاثًا في السنة ويبيعون ما يحصل منها . ويمشي المدير في البستان كل يوم صباحًا ويفتش عن الحشرات المضرَّة حتى اذا وجد واحدة منها اخذها الى غرفة الدرس واراها للتلامذة وشرح لهم طبائعها وامرهم ان يفتشوا عن اخواتها في غضون النهار . وتزرع المزروعات في مواقيتها ويعتني التلامذة بها فيتعلمون طرق زرعها وخدمتها بالاختبار ويقرنون العلم بالعمل

هذا وحبذا لو اهتمَّ احد الفضلاء بانشاء مدرسة كبيرة في القطر المصري من هذا النوع يتعلم فيها التلامذة مبادئ العلوم ويتعلمون ايضًا مبادئ الزراعة نظريًّا وعمليًّا ويكفي ان يكونوا من اولاد الفلاحين الذين يعودون الى فلاحة الارض بعد خروجهم من المدرسة فانهم اذا اعتنوا بزراعتهم الاعتناء الواجب تعلم منهم جيرانهم واقتدوا بهم في اصلاح اساليب الزراعة

ولا شبهة في ان الاباعد الكبيرة والجفالك الوسيعة تستطيع ان تكون مدارس عملية لتعليم الزراعة كما ان الورش الكبيرة مدارس لتعليم الصناعة ولكن يشترط في تلك كما يشترط في هذه ان تكون ادارتها بيد رجال من الاكفاء من الذين اتقنوا صناعتهم علمًا وعملاً ويسهل عليهم تدريب العمال وتمرينهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الرضاعة واللبن

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

اهم ما تتوقف عليهِ صحة الاطفال ونموهم حسن تغذيتهم ويشمل ذلك نوع الغذاء وكميتهُ فللحصول على النوع المناسب منهُ يجب ان يُلتفت الى مصدر اللبن سواء كان من ام الطفل او من مرضع اخرى او من بقرة لانهُ لا ينتظر ان يكون اللبن جيداً ما لم يكن مصدرهُ سليماً قادراً على ادرار لبن جيد حاوٍ كل عناصر اللبن الجوهرية بكمياتها الاصلية . فاذا دعي الطبيب لمعالجة رضيع اصيب باعراض سوء الهضم او ضعف البنية او النزلة المعوية وجب عليهِ قبل ان يشير بالوسائط الدوائية او بابدال اللبن بغيرهِ ان يبحث عن صحة المرضع بحثاً دقيقاً ليعلم هل فيها مرض او هي عصبية المزاج والاَّ فهل هي قادرة على ادرار الكمية الكافية من اللبن الجيد الموافق لتغذية الطفل

وكثيراً ما نرى طفلاً تعتني بهِ امهُ اعتناء تاماً وتهتم بهِ اهتماماً شديداً وهو مع ذلك عليل سقيم وطفلاً آخر لا تهتمُّ بهِ امهُ ولا تعتني بهِ الاعتناء الواجب وهو مع ذلك صحيح الجسم سالمهُ . وقد نسب الدكتور كلم ذلك الى بعض الفواعل القوية منها ان التأثيرات العقلية والانفعالات النفسية تفعل فعلاً شديداً بصحة الطفل حتى ان قلق الام على طفلها واهتمامها بخدمتهِ وحفظ صحتهِ قد يكونان من اقوى الفواعل لاضعافهِ

وقد حلل لبن امهات كثيرات فوصل الى هذه النتيجة وهي انهُ اذا كان الطفل معتل الصحة لغير سبب ظاهر ففي لبن امهِ نقص في بعض المواد اللازمة للبن كالمواد الزلالية والحديد وزيادة في السكر . والحديد قليل جداً في اللبن وهو درهم واحد من كل مئتي الف درهم من اللبن في الاشهر الاولى من اشهر الرضاعة ويقلُّ بعد ذلك رويداً رويداً حتى يصير في الشهر السادس عشر درهماً واحداً في كل مليون درهم من اللبن اي خمس ما كان في الاشهر الاولى لكن الطفل يرضع بعد الشهر الثالث او الرابع اربعة اضعاف ما كان يرضعهُ في الشهر

الاول فيبقى مقدار الحديد الذي يتناولهُ مع اللبن كافياً لجسمهِ اما الاطفال المعتلون فيكون الحديد في اللبن الذي يرضعونهُ قليلاً جداً حتى يكون عشر الكمية الاعتيادية

فعلى الطبيب ان يعالج المرضع قبلما يعالج الرضيع وان يهتم بمعالجتها جسماً وعقلاً ولا سيما اذا كانت مصابة بفقر الدم او بعض الاعراض العصبية . ويحسن حينئذٍ ان يبدل لبنها بلبن آخر

ومن الامراض التي تنتقل الى الاطفال بواسطة اللبن التدرُّن المعوي فقد قلَّ متوسط الوفيات بالتدرن من البالغين في النصف الاخير من القرن التاسع عشر واما الاطفال فلم يقلَّ متوسط وفياتهم بهذا الداء الخبيث بل زاد كثيراً ولا سيما في انكلترا وذلك لكثرة الاعتماد على لبن البقر في تغذية الرضَّع وحفظ تلك البقر في المزارب الفاسدة الهواء وعدم اطلاقها في الحقول المطلقة الهواء

وقد عين مجلس باريس البلدي لجنة من امهر الاطباء للبحث عن تغذية الرضَّع فبحثت وكتبت تقريراً مسهباً بينت فيهِ ان جراثيم الامراض تصل الى اللبن من البقرة التي يحلب منها اذا كانت مصابةً بمرض معدٍ كالتدرُّن او الحمى القلاعية او من الغبار المتطاير في الهواء او من الاوساخ اللاصقة بالآنية التي يوضع فيها اللبن او من الماء الذي تغسل بهِ وهذا هو الاكثر واشارت بوجوب تعقيمهِ تعقيماً تاماً قبل استعمالهِ . وتبين ايضاً ان استعمال اللبن الموضوع في علب يضرُّ الاطفال بما يحويهِ من المواد الكيماوية التي تضاف اليهِ لحفظهِ من الفساد. وان تبريد اللبن الى درجة الجليد لا يعقمهُ وتسخينهُ الى الدرجة ٦٠ بميزان سنتغراد غير كافٍ لقتل الميكروبات المرضية مثل ميكروب التدرُّن . ولكنهُ اذا سخن الى درجة الغليان ماتت منهُ كل الميكروبات ثم يجب ابقاؤهُ في الاناء الذي سخن فيهِ وحفظهُ في مكان بارد حتى يبرد. واذا أُغلي في اناء مكشوف فلا تجوز تغطيتهُ الاَّ بعد ان يبرد تماماً لان البخار الذي يتصاعد منهُ ويتكاثف على غطائهِ وهو غير معقم يسقط فيهِ حاملاً الجراثيم التي كانت لاصقةً بالغطاء ما لم يعقَّم الغطاء اولاً بوضعهِ في ماء غالٍ

ومن رأي هؤُلاء الاطباء ان لبن الامهات هو الافضل لتغذية الاطفال واذا لم يكن بدٌّ من تغذيتهم بلبن البقر وجب ان يوضع في زجاجات مسدودة يوضع في الزجاجة ما يكفي لارضاع الطفل مرة واحدة ثم توضع هذه الزجاجات في الماء البارد ويسخن الماء تدريجاً الى الدرجة ١٠٠° مدة ٥٠ دقيقة ثم تبرَّد وتحفظ في مكان بارد . وقبل استعمال اللبن توضع الزجاجة في ماء سخن ويسقى الطفل منها . واذا كان لا بدَّ من مزج اللبن بالماء مزج بهِ قبل تعقيمهِ بالاغلاء . وحينما تفرغ الزجاجة تغسل جيداً بالماء والصودا والصابون ثم بالماء النقي

لتنظيفها من المواد الدهنية . وللنظافة شأن كبير ولا يمكن حفظ اللبن سليماً ما دامت فيهِ جراثيم حية . ولا يخسر اللبن شيئاً من خواصهِ المغذية بالاغلاء . ولا بد من الانتباه الى الامور التالية قبل استعمال اللبن وهي

اولاً ان يكون لونهُ في الزجاجة مثل لون اللبن الطبيعي ومنظرهُ مثل منظر اللبن الجيد وليس فيهِ شيء من المواد الخثرة

ثانياً انهُ اذا فتحت الزجاجة لا يشم منهُ رائحة كريهة ولا يصعد عنهُ غاز

ثالثاً اذا جمدت القشدة على وجههِ وجب ان تمزج بهِ برج الزجاجة رجاً كافياً بعد تسخينهِ

فاذا استوفى اللبن هذه الشروط كلها يفرغ من الزجاجة في الاناء المعد للارضاع بعد تنظيفهِ بالماء الغالي

وقال الدكتور لمبلنغ انهُ يجب تحسين الغذاء بعد الفطام وتنويعهُ تدريجاً بتقليل المواد الدهنية وزيادة المواد النشوية والسكرية ولا بدَّ من ان يكون غذاء الطفل كافياً لانهُ يفقد بحركتهِ يومياً ثلاثة اضعاف ما يفقدهُ البالغ بالنسبة الى جسمهِ اي ان الرطل من جسمهِ يفقد في اليوم بواسطة الحركة ثلاثة اضعاف ما يفقدهُ الرطل من جسم البالغ

ومن المؤثرات الشخصية والجسدية في اللبن اولاً الاختلاف الطبيعي فان النساء يختلفن كثيراً بالطبع ولو تساوت احوالهنَّ المعاشية والصحية وكذلك البقر الحلوبة تختلف كثيراً ولو تساوت في الصنف ونوع العلف . وللعمر تأثير كبير في تركيب اللبن فهو كثير الدسم في النساء الصغيرات السن ويقل دسمهُ بتقدمهنَّ في العمر واما لبن البقر فيزداد دسماً بتقدمها في العمر الى سن محدود ثم ينقص بعد السنة التاسعة او العاشرة . ويقال ان لبن المرأة السمراء اللون القوية البنية افضل من لبن المرأة البيضاء الشقراء

واذا جادت رياضة النساء خارج المدن وكانت معتدلة جاد لبنهنَّ واما التعب فيقلل افراز اللبن ويغير تركيبهُ واذا قلَّ نوم المرضع لسبب من الاسباب نقصت المواد الجامدة في لبنها وزادت الاملاح فيهِ . وكذلك اجهاد البقر في الفلاحة ونحوها يقلل افراز اللبن ويضعفهُ

علاج الارق

قالت جريدة السجل الطبي الاميركية ان الارق عَرَض لامرض مهما اختلفت اسبابهُ ولكنهُ قد يشتدُّ جداً حتى يستدعي انتباهاً خاصاً ومعالجة خاصة . فيبحث اولاً عن سببهِ فان لم يُكْشَف يقتصر على معالجتهِ كعَرَض ولو الى حين . فتستعمل المنومات والمسكنات اذا

كان الدماغ متعباً من كثرة الاشتغال او كان المجموع العصبي مرتبكاً بالهموم او مضطرباً بامر يهيجهُ او كان المرءُ قد أَلِف الارق لكثرة السهر على مريض

الهواء النقي والرياضة من اقوى الاسباب لجعل المجموع العصبي في حالة صالحة للنوم الهنيء وقد يضطرب نوم الانسان لسبب طفيف جداً كما اذا غيَّر فراشهُ او سمع صوتاً متكرراً او كان في غرفتهِ نور او ما اشبه . وقد يقلق اذا بردت رجلاهُ وينام اذا دفئتا بوضع زجاجة فيها ماء سخن معهما او بلفهما بملاءَة مسخنة من الصوف . واذا شرب فنجاناً من اللبن السخن قبلما ينام ساعدهُ ذلك على النوم وكذلك اذا شرب فنجاناً سخناً من مرق اللحم السخن. هذا اذا كان سبب الارق بطءٌ في الدورة الدموية . وقد يحصل من الحر او سخونة القدمين كأَن الحرَّ يوقظ النائم من نومهِ. والغالب ان يكون الشعور بالحرارة مرضياً لا حقيقياً فيعالج بمعالجة سببهِ وقد يحدث الارق من عدم انتظام الافرازات فيعالج بتنظيم الطعام واخذ الاملاح والزيبقيات

واذا كان الارق حادثاً عن سوءِ الهضم في اشكالهِ المختلفة كما في التطبل وتولد الغازات وتمدُّد المعدة فعولج بمعالجة سوءِ الهضم . وقد يفيد شرب كاس من الماء الحار عند النوم واذا لم يجدِ نفعاً يسبق بشرب قليل من روح الامونيا العطرة وكربونات الصودا . ومما يفيد ايضاً شرب الايثير وماء روح النعناع او ماء الكافور والفرك على البطن وبين الكتفين يساعد في ازالة التطبل . واذا كان الارق حاصلاً من شرب الشاي او القهوة وجب ابطالها حالاً

واذا حدث الارق على اثر الانفلونزا عولج بالافيون او المورفين مع البنج اذا لم تفد المقويات مثل الزرنيخ والكينا والفصفور والاستركنين . واذا نتج الارق عن ادمان المسكرات عولج بابطالها وباستعمال الاستركنين او الجوز المقيء

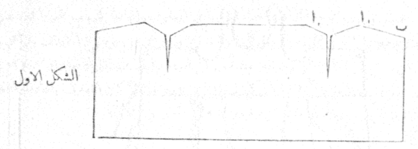
هذا ولابدَّ من الاعتماد على الطبيب في وصف العلاجات الدوائية مهما كان نوعها لاسيما وان بعضاً منها سام لا يجوز تعاطيهِ الاَّ بامرهِ وارشادهِ

ثياب الطفل

قلنا في الجزء الماضي ان ثياب الطفل يجب ان تخاط حتى تغطي بدنهُ كلهُ ويكون اعتمادها على طوقها حتى لا تضغط على ذراعيهِ . وان تفصَّل بحيث يمكن الباسها للطفل من غير تقليبهِ ووعدنا برسم صور هذه الثياب في هذا الجزء وانجازاً لذلك نقول

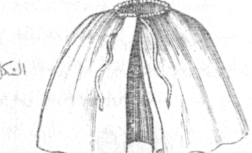
ترى في الرسم الاول من الرسوم الاربعة التالية صورة القميص الذي يلبَس للطفل من حين ولادتهِ الى ان يصير عمرهُ ستة اشهر وهو من الشاش الناعم جداً يفصَّل كما ترى في الرسم

الاوَّل ويكون طولهُ من فوق الى اسفل ٢٥ سنتمترًا وعرضهُ من جانب الى جانب ٦٨ سنتمترًا ولا يخاط الاَّ بين الحرفين ا و ا ويثنى من اعلاهُ وتوضع فيهِ عروة يزمُّ بها حول عنق الطفل فيصير كما ترى في الشكل الثاني فيغطي صدر الطفل وكتفيهِ ولا توصل العروة الى طرف



الشكل الاول

القميص من الامام بل تكون بعيدة عنهُ نحو ثلاثة سنتمترات كما ترى في الشكل الثاني حتى يقع طرف من القميص فوق الطرف الآخر فيضبُّ على صدر الطفل . والشكل الثاني صورة هذا القميص حينما يراد الباسهُ للطفل

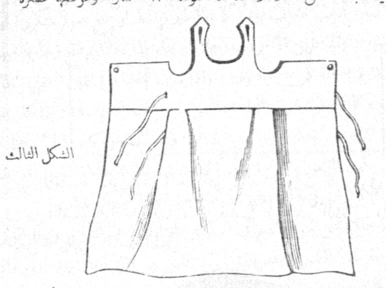

الشكل الثاني

وترى في الشكل الثالث رسم تفصيل تنورة الفلانلا طول صدرها (اي القسم الاعلى منها) من فوق الى اسفل نحو ١٢ سنتمترًا وعرضهُ من جانب الى جانب ستون سنتمترًا وطول كل تعليقة من تعليقتيها عشرة سنتمترات وعرضها الاكبر اربعة سنتمترات والبعد بينهما سبعة سنتمترات ونصف ولها زران يزران بهما فوق الصدر كما ترى في الشكل الرابع. وطول التنورة من فوق الى اسفل ٤٥ سنتمترًا وعرضها من جانب الى جانب ثمانون سنتيمترًا وتغبن غبنات واسعة مطبوقة طبقًا حتى يصير عرضها مثل عرض الصدرة ثم تخاط بها . وهذه التنورة تغطي الصدر جيدًا وتبقي الذراعين مكشوفتين . وهي تربط بالعرى كما ترى في الشكل الرابع وذلك خير من زرها بالازرار ومن ربطها بالمنطقة

ويلبس الطفل القميص اولاً وفوقهُ التنورة وفوق ذلك سلطة قصيرة مفتوحة من الامام وهي تربط بالعرى من الامام. والتنورة والسلطة يزيد طولها عن قدمي الطفل ثلاثين سنتمترًا

واذا زاد طولها عن ذلك فهو اسراف لا فائدة منهُ بل منهُ ضرر كبير لانهُ يعيق حركات الطفل

والقميص وتنورة الفلانلا والسلطة هي كل الثياب التي تلزم للطفل بعد وقوع صرّتهِ واما قبل ذلك فيلف ايضاً بلفافة من الفلانلا الناعمة طولها ٨٥ سنتمترًا وعرضها عشرة سنتمترات



الشكل الثالث

وقاية للصرة . ولا يلفق جانبا هذه اللفافة بل يتركان على قصتهما لانهما اذا لُفقا آلما الطفل

الثياب المذكورة آنفاً تلبس كلها للطفل وهو ملقى على بطنهِ ثم يقلب على ظهرهِ وتربط العرى بما لا مزيد عليهِ من السرعة والسهولة



الشكل الرابع

ويلزم للطفل على الاقل اربع سلطات وست قمصان وتنورتان ويلزم لهُ ايضاً كبوتان و ١٢ فوطة (حفاضاً) وهذه الفوط تمكن بالعرى لا بالدبابيس لان تمكينها بالدبابيس لا يخلو من الخطر. اما حفاضات المشمع فمن اكثر الاشياء ضرراً . ولا بدَّ من تغيير الحفاض كلما اتسخ او تبلل



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

المكاتب ودور المطالعة

حضرات اصحاب مجلة المقتطف الغراء

اطلعتُ على الجزء الرابع من مجلتكم البهية فوجدت فيها ما لذَّ وطاب لاحتوائها على اهم الفوائد العلمية واني لاعجب غاية العجب اذا كنت لا ارى المقتطف في كل بيت من بيوت الذين يعرفون القراءة فاني قد رأيت مدة اقامتي في اميركا ان الناس هناك يقرأُون الجرائد العلمية كما يقرأُون الجرائد السياسية واذا كانت الجريدة العلمية غالية الثمن لا يستطيع واحد وحدهُ دفع ثمنها اشترك اثنان في نسخة واحدة. واقول ولا اخشى لومة لائم انهُ لو كان مثل المقتطف في البلاد الاميركية لبيع منهُ في الشهر لا اقل من مليون نسخة

وقد سررت بما طالعتهُ في الجزء المشار اليهِ من اقتراح حضرة الاديب خليل افندي ثابت وهو انشاء المكاتب العمومية ودور المطالعة لانني وجدت هذه المكاتب وهذه الدور شائعة في اميركا ولها فيها الفائدة الكبرى وقد بقيت هناك ثماني سنوات وانا اجني منها الفوائد لنفسي وارى الالوف يستفيدون منها مثلي فعسى ان يجاب طلبهُ ونرى المكاتب العمومية ودور المطالعة شائعة في مدن هذا القطر كما هي شائعة في كثير من المدن الاوربية والاميركية

مصر الدكتور طيار

هبات علمية مصريَّة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعت في مقتطف هذا الشهر في باب الاخبار العلمية نبذة تحت عنوان "هبات علمية" قلتم في ختامها "وعسى ان نجد من الهبات المصرية ما يذكر مع هذه الهبات" . ومن حسن

الطالع ان حضرة الفاضل الكريم حسين باشا واصف محافظ القنال وحضرة حرمهِ المصون السيدة اسما هانم قد تبرعا بهبات علمية من هذا القبيل تذكر مع الهبات الاميركية فانهما اوقفا ما قيمتهُ خمسة عشر الف جنه مصري وقررا انشاء دار للعجزة من النساء الكفيفات والمصابات بالعاهات خصصا لها اربع مئة جنيه سنويًّا وتسمى باسم السيدة اسما هانم . وقررا ايضًا انشاء مدرسة صناعية تُعلّم فيها الصنائع المختلفة التي تدعو اليها حاجة البلاد ووقفا عليها ٦٠٠ جنيه في السنة وتسمى باسم حسين باشا واصف

وارصدا ٢٥ جنيهًا مصريًّا تعطي خمس جوائز سنوية لخمسة من نابغي الطلبة في الجامع الازهر . وقد سلمت هذه الجائزة اول مرة الى حضرة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع ووزعت على مستحقيها

وارصدا ٢٥ جنيهًا تعطي كل سنة لمن يؤَلف او يعرّب افضل كتاب يكون فيهِ الفائدة للدارسين والمستفيدين من نوع من العلوم والآداب . وقد نال هذه الجائزة في هذه السنة حضرة الفاضل احمد بك زكي سكرتير مجلس النظار الثاني لتعريبهِ كتاب تاريخ المشرق

مصر محمد عمر

فهرس عام للمقتطف

حضرات الافاضل منشئي المقتطف الاغر

لُقّب المقتطف بين قراء المجلات العربية "بشيخ المجلات" لانهُ اقدمها عهدًا واوسعها بحثًا فصار كأنهُ دائرة معارف او قاموس كبير تزداد موادهُ كل شهر ويرجع اليهِ الباحثون في فروع العلم المختلفة فاذا ارادوا معرفة ما قيل عن عمر الارض مثلاً قالوا هلم الى مجموعة المقتطف لنرى ما فيها عن هذا الموضوع وهكذا عن بقية المواضيع العلمية والادبية والتاريخية . والذي تحلّت مكاتبهم بمجموعة المقتطف يرون ان البحث عن كل ما قيل في موضوع ما في مجلدات المقتطف يستلزم وقتًا طويلاً لاضطرارهم الى البحث عنهُ في فهرس كل مجلد . ولما كانت سهولة البحث والاقتصاد في الوقت امرين مهمين لدى الباحثين رأينا ان نقترح عليكما طبع فهرس عام شامل جميع مواد مجلدات المقتطف من المجلد الاول الى المجلد العشرين ثم بعد مضي عشر سنوات ان شاء الله يطبع فهرس آخر عن تلك المدة وهكذا كل عشر سنين على توالي الايام ويباع هذا الفهرس بثمنهِ للذين يطلبونهُ . فعسى ان يقع اقتراحنا هذا لديكما موقع القبول فتقلدا قراء

المقتطف والمعتنين بجمعهِ منةً وفضلاً يذكرونها لكما بالشكر والامتنان زيادة عما لكما من الافضال السابقة على قراء اللغة العربية واقبلا فائق الاحترام ودمتما على مرّ الايام

جورج عطاالله

بنظارة المالية

(المقتطف) نشكر لحضرة الكاتب الفاضل على ما اشار اليهِ من اهتمام القراء بالمقتطف واعتمادهم عليهِ. والاقتراح الذي اقترحهُ نرى العمل بهِ واجباً علينا ونحن عازمون ان نجمع فهرساً عاماً للمقتطف بعد آخر هذه السنة اي حينما نتم خمسة وعشرين مجلداً من مجلداتهِ وعسى ان يكون هذا الفهرس كبير الفائدة

اثر علي باشا مبارك

في الساعة الثالثة الافرنكية بعد ظهر يوم الاثنين ٢ ابريل سنة ١٩٠٠ اجتمعت اللجنة المعينة لاقامة اثر علي باشا مبارك في منزل سعادة رئيسها اسماعيل صبري باشا وكيل نظارة الحقانية

فافتتح الرئيس الجلسة برثاء اثنين من اعضائها قد استأثرت بهما رحمة ربهما وهما المغفور لهما محمد صبري بك مفتش ري القسم الخامس وموسي شكري بك احد الموظفين بنظارة الداخلية. ثم تداولت في المباحث المعروضة عليها وقررت ما يأتي باجماع الآراء

اولاً — ارسال المبلغ المجموع من الاكتتابات العمومية وقدرهُ خمسمائة جنيه مصري الى الجمعية الخيرية الاسلامية لتشتري بهِ اطياناً تخصصها باسم المرحوم علي مبارك باشا وتجعل ايرادها كلهُ عشرة جوائز سنوية بالاكثر تسمى (جوائز علي مبارك باشا) وتوزعها على النابغين من تلامذة مدارسها الخيرية في اللغة العربية وفي الفنون والصنائع اليدوية

ثانياً — اذا انقرضت مدارس الجمعية الخيرية لاي سبب من الاسباب لاسمح الله تكون الاطيان تابعةً لنظارة المعارف وهي تخصصها لتكوين (جوائز علي مبارك باشا) وتعطي الجوائز التي يجب ان لا يزيد عددها عن عشرة الى النابغين من تلامذتها في الفنون والصنائع اليدوية بلا تمييز في العقائد والاجناس

ثالثاً — ان يكون توزيع هذه الجوائز في حفلات سنوية تحت رئاسة رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية ما دامت العين المخصصة للجائزة تابعة للجمعية اما اذا آلت لنظارة المعارف فتنعقد الحفلة تحت رئاسة ناظر المعارف العمومية

رابعاً — تكليف سعادة اسماعيل صبري باشا واحمد بك زكي بعمل كتاب صغير يحتوي

على ترجمة حياة المرحوم علي مبارك باشا مصدرًا بصورتهِ الفوتوغرافية وتوزيعهِ عند ظهورهِ على كافة المكتتبين

خامسًا — ان كل تلميذ ينال احدى المكافآت تعطي لهُ نسخة من هذا الكتاب فاذا نفدت نسخهُ تعيد الجمعية او النظارة طبعهُ لاستعمالهِ طبقًا لهذه الشروط وتكون مصاريف الطبع من اصل الايراد

سادسًا — ان كافة الاوراق الخاصة بهذه اللجنة تسلم الى الجمعية الخيرية الاسلامية

ثم قررت اللجنة انحلالها من يوم استلام الجمعية الخيرية الاسلامية للنقود وتوليها العمل بهذه الشروط

سكرتير اللجنة رئيس اللجنة

احمد زكي اسماعيل صبري

باب التقريظ والانتقاد

كتاب العالم الانكليزي

الف هذا الكتاب حضرة الاديب بشاره افندي كنعان ونشرهُ في جزئين تكلم في الاول منهما على جغرافية البلاد الانكليزية وتاريخها واحوال مستعمراتها وفي الثاني على تاريخ الملكة فكتوريا والحوادث السياسية التي حدثت مدة حكمها ونظام الحكومة وميزانيتها وموارد ثروتها وقوتها البحرية واحوالها الصناعية والتجارية وعادات اهلها ولغتهم وآدابها ومشاهيرهم مثل كرومول وشتام وبت وفوكس وبامرستون ودزرائلي وغلادستون وسلسبري وروز بري وغيرهم من مشاهير العلماء والفضلاء . والكلام على عادات الانكليز واخلاقهم مسهب وفيهِ فوائد جمة وهو افضل فصول الكتاب وحبذا لو ذكر كل المصادر التي نقلهُ عنها لانهُ لا يستطيع ان يصف اخلاق قوم وصفًا صحيحًا مدققًا الاَّ من عاشرهم سنين كثيرة وكان من اكثر الناس بحثًا في علم الاخلاق ومراقبة طباع الناس . وقد نقلنا عنهُ الفقرات التالية

"قال احد علماء الاخلاق من الفرنسيس: ان بلاد الانكليز منبت النساء ومعدن الازواج بمعنى ان الانكليزي يهنأهُ العيش اكثر من غيرهِ مع زوجتهِ . والانكليزية خلقت لان تكون للبيت اكثر مما هي للبهرجة فالرجل لا يهتم سوى باعمالهِ ولا يعلم من تدبير بيتهِ شيئًا وما عليهِ

الاَّ ان يقدم لامرأتهِ مقداراً معلوماً من المال كل اسبوع او كل شهر او كل عام وهي تنفقهُ في حاجة المنزل كيف شاءت فاذا عاد ليلاً خفت عنهُ وطأة مصائب النهار وزالت اتعابهُ بما تقابلهُ بهِ زوجتهُ من اللطف والجذل والوقار وبما يرى من نظافة منزلهِ واتقانهِ وما يجد بجوانبهِ من انواع الهناء مع راحة البال من الاسباب الباعثة على الالفة . والانكليزيات اوفر مودة واعتباراً لازواجهنَّ من غيرهنَّ يعضدنهم في الضراء بما يتوقع منهنَّ في السراء ويصبرنَ على الوفاء وعلى نوائب الايام صبر الكرائم الاَّ ان جاراتهنَّ الفرنساويات اكثر رقةً ورشاقةً واخف روحاً واعظم ميلاً الى اللهو والطرب واقرب الى القلوب وهنَّ ايضاً اوفر عشاقاً بينما ترى الانكليزيات اكثر رزانة ووقاراً وافضل منهنَّ ازواجاً

وينشأُ الفرنساوي بالنظر الى هشاشة والدتهِ وطباعها اكثر لطفاً وتودداً يكثر من المؤانسة والمعاشرة ومن مخالطة النساء ومحبتهن والتهالك في العشق كثيراً والمخاطرة بالنفس في سبيل مرضاتهنَّ بينما ينشأُ الانكليزي رزيناً وقوراً واوفر رزانة وبينما ينشأُ الشاب الشرقي بخلاف الاثنين هيوباً هلوعاً وفي ذهنهِ التخيلات والاوهام وترى ايضاً ان لوندرا تأوي كبار التجار اليها ويقصدها اصحاب جلائل الاعمال واما باريس فهي منتجع طلاب اللذات كل ايامها اعياد وافراح

وقد احلَّ الانكليز اكثر من سواهم من الاوربيين هذا الجنس اللطيف في أعلى مقام لانهم عرفوا ان نجاح البلاد يتوقف عليهِ وان المبادىء القويمة تتولد كما قال بعض علماء الاخلاق في احضان الامهات او على مقاعد المدارس فشيدوا لذلك المدارس في انحاء المملكة بين ابتدائية وكلية فتهافتت عليها البنات تهافت الصبيان وصرنَ يتعلمنَ وهنَّ صغيرات حتى يضارعن رجالهنَّ في العلوم العالية كبيرات وهن يسابقنهم في الاستخدام في كثير من المصالح الاميرية كالبوسطة والتلغراف وعلى الخصوص في المخازن التجارية والمحلات العمومية وترى منهنَّ أيضاً الكاتبات ومحررات الجرائد » وقد دل الاحصاء ان في مدينة لندن وحدها خمسين الف فتاة كاتبة في المصالح الاميرية والتجارية ونحو ٣٢٠ الف خادمة في الفنادق والبيوت

وليس في العائلة الانكليزية على الغالب رفع الكلفة ولا بين الزوج وزوجتهِ تلك الدالة الزائدة التي بين المتزوجين فالرجل يتبع مع امرأتهِ كل انواع الاكرام كما لو كان مع سيدة غريبة فهو يراعي اصول المحبة دون الغرام والكلف الزائد

ثم ان الانكليزية التي كانت حرة قبل الزواج تصبح مقيدة بعدهُ باوامر زوجها ونواهيهِ واذا اتاها زائر رجلاً كان او امرأة جلس معها دون حضورهِ ولها الحق مباح في الخروج دون استئذانهِ انما عليها فقط ان تشعرهُ بقصد خروجها ومع هذه الحرية التامة ترى العفة عند

الانكليز اكثر مما هي عند غيرهم فمقام العرض مصون لديهم كل الصيانة فلا يقبل في مخالطة العائلات من عرف عنهُ انهُ ارتكب المحرمات او عاش متهتكاً فالذي يثبت عليهِ هذا الامر يضام ضيماً عظيماً ويسقط شرفهُ ادبيًّا . والضيف الزائر لسيدة انكليزية يلزمهُ المحافظة على القواعد المتبعة عندهم كالتجمل باللباس الفاخر وعدم السعل والتدخين

والانكليزيات بارعات في اصول الحديث وافانين التمدن واساليب الاجتماع والمعاشرة وقد تستطيع السيدة العظيمة لعظمتها وعلو مقامها ان تصيّر رجلها عظيماً وان تمهد لهُ سبيل الترقي الى ذروة المجد والفخار فسلطانهن كما قيل " سلطان محبة وجمال وتعقل وتأثيرهن يعم الحياة باكملها " ومن الشهود الصادقة على هذا المقال ان بيكونسفيلد الشهير لم يتدرّج في معارج المجد ولم يصل الى منتهى مراتب السؤدد والعلاء التي وصل اليها الا حين عقد قراناً سعيداً على زوجة وندهام لويس الشهيرة بالبهاء والثراء فمثل بواسطتها في مشاهد السياسة فصولاً عظيمة اطارت صيتهُ في الافاق حتى طبقت الفضاء . ولما اعتزل الاعمال وارادت الحكومة ان تمنحهُ القاب الشرف جزاء خدماتهِ قال : اعطوا كل الالقاب لامرأتي لان لها اليد الطولى في كل اعمالي. ومثلهُ غلادستون فانهُ كان مقرًّا بالفضل لامرأتهِ في شهرتهِ فانها كانت ترشدهُ وتعضدهُ في اعمالهِ . وبين الانكليز كثيرون يعترفون بفضل المبادىء القويمة التي غرستها امهاتهم في عقولهم فنمت حتى صارت من اقوى العواطف الخاصة " انتهى

ولغة الكتاب سلسلة قريبة المأخذ وحبذا لو زيدت تنقيحاً وفيهِ كثير من الصور وقد طبع على نفقة حضرة الكتبي الشهير امين افندي هندية وهو يباع في مكتبتهِ فنثني على حضرة المؤلف والناشر ثناء جميلاً ونتمنى ان تكثر امثال هذه الكتب المفيدة ولاسيما ما توصف بهِ احوال الامم الراقية ذرى المجد لكي يقتدى بها في الجد والاجتهاد والجري في ميادين العمران

المطالب الطبية

هو كتاب نفيس كبير الفائدة الّفهُ حضرة الفاضل الدكتور ابراهيم منصور رئيس جمعية التوفيق المركزية في ثلاثة اجزاء كبيرة " الاول يحتوي على القواعد الصحية وتشريح الاعضاء ووظائفها وامراضها وامراض اعضاء الدورة واعضاء الهضم والكبد والكليتين وامراض المجموع العصبي والنباتات الطبية وكيفية تحضيرها واستعمالها. والجزء الثاني يحتوي على معالجة امراض الجلد وداء الزهري وامراض العين والاذن وفن الجراحة ومعالجة السموم والاختناق . والجزء الثالث يحتوي على امراض النساء والاطفال وهو مذيل باشياء كثيرة لا تقلُّ في الاهمية عمّا

تقدَّم". وقد صدر الجزء الاول منهُ فرأيناهُ كما وصفهُ حضرة مؤلفهِ في مقدمتهِ والكلام فيهِ قريب المأخذ يستفيد منهُ الخاصة والعامة ايضاً وعبارتهُ بسيطة قليلة المصطلحات الطبية كقولهِ في الكلام على الملابس

" واعلم ان الصوف والحرير يكسبان الجسم حرارة بسبب انهما يحفظان عليهِ حرارتهُ. وان القطن يكون بين الصوف والحرير والكتان والتيل فهو حافظ لحرارة الجسم ايضاً. واما التيل والكتان فلا يحفظان الحرارة على الجسم فيعدَّان من الملابس الباردة التي تحدث في الجسم رطوبة بملامستها لهُ. ومن المحقق ان الملابس الصوفية اوفق للصحة في كل وقت ومكان لانها تحفظ الحرارة اكثر والرطوبة اقل ولكونها تمتص من المرتدي بها الروائح والمواد المرضية المعدية اكثر من غيرها ولذا يلزم تغييرها مراراً. فالفلانيلا مثلاً اذا كانت منسوجة من صوف رقيق ولونها ابيض تكون اوفق وافضل لانها اذا لبست مباشرة على الجلد تحفظ حرارة الجسم وتمنعها عن التشعع والخروج ولكونها لا تخلو من خشونة لطيفة فتحك الجلد فتنبه الدورة الجلدية فيزداد التبخر الجلدي ولذا يلزم تبديلها مراراً غير ان الملابس المتخذة من الصوف لا توافق كل الناس فلا تناسب الاَّ ضعفاء البنية والناقهين والشيوخ وخنازيري المزاج واصحاب الانيميا والمصابين بامراض حدارية وزكامات مختلفة وتفيد المقيمين في الامكنة الباردة الرطبة ولا توافق ايضاً اصحاب المزاج الدموي واصحاب الاحتقانات الجلدية ولا تناسب الاولاد الصحيحي البنية حيث ان توليد الحرارة فيهم كثير". والمراد بالرطوبة في اكثر ما تقدَّم معناها المألوف في هذا القطر اي البرودة لا معناها اللغوي وهو النداوة او البلل

وقولهِ في الكلام على علاج البول السكري " ينحصر علاج هذا المرض في ترتيب معيشة المريض وتنظيم طعامهِ. فعليهِ ان يجتنب جميع المأكولات السكرية النشاوية كالخبز والارز والبطاطس وما يماثلها لان جميع المواد النشاوية الموجودة في الاطعمة تستحيل اثناء الهضم الى سكر. أما جميع اصناف اللحوم فيتعاطاها ما عدا الكبد وايضاً يتعاطى الزبدة والقشدة والجبن والبيض ويجتنب اللبن ويأكل من الخضراوات الخس والكرنب والكرفس والبصل والاسبانخ لاحتوائها على نشاء قليل ويمكن شرب القهوة والشاي بدون سكر او محلاة بالجليسيرين. وان كان من الضروري ان يشرب المريض بعض المشروبات الروحية فلا يسمح لهُ الاَّ بالويسكي او نبيذ الكرز او ما يماثلها لان السكر فيها اقل مما في غيرها. وقد يعمل من النخالة خبز وكعك نافعان جداً في هذا المرض

هذا ولا يوجد من الادوية دواء شافٍ من هذا المرض او موقف لسيرهِ على الاقل. نعم

توجد ادوية كثيرة تقلل كمية السكر ولكنها لا تؤَثر في تقدم صحة المريض الذي يهزل شيئاً فشيئاً وحينئذ يكون المهم في تحسين حالة المريض ليس هو تنقيص مقدار السكر بل زيادة وزن جسمهِ لانهُ كلما كان جسم المريض آخذاً في التناقص زاد مرضهُ ولا يعبأُ بمقدار السكر قليلاً كان او كثيراً"

وقس على ذلك سائر فصول الكتاب من البسط والاسهاب وهو مطبوع طبعاً متقناً وفيهِ رسوم كثيرة تزيدهُ ايضاحاً فنشكر لحضرة مؤَلفهِ على هذه التحفة السنية

كتاب مشاهد اوربا واميركا

وضع هذا الكتاب حضرة الفاضل عزتلو افندم ادوار بك الياس المفتش في نظارة الداخلية المصرية وصف فيهِ رحلاتهِ الى اوربا واميركا وهو يمتاز على غيرهِ من كتب الرحلات الحديثة بامور كثيرة منها اتساع نطاقهِ فان الكلام فيهِ شامل ممالك اوربا كلها حتى التي لا يقصدها اهل الرحلات الاَّ نادراً مثل روسيا واسبانيا والبورتوغال. وشامل الولايات المتحدة الاميركية ايضاً عدا ما فيهِ من الوصف المسهب للمالك المقصودة كثيراً مثل ايطاليا وفرنسا وانكلترا وسويسرا والنمسا والمانيا وبلجكا

ومنها اجمال تاريخ البلاد قبل وصفها حتى يسهل على القارىء ربط ما يقرأهُ عن مشاهدها بالحوادث التاريخية المتعلقة بها

ومنها تزيين الكتاب بكثير من صور الملوك والملكات والعظماء والمشاهد العظيمة مثل صورة الخديوي المعظم في صدر الكتاب لانهُ جعلهُ تقدمةً الى سموهِ. وصورة امبراطور النمسا وامبراطور المانيا وملك الدنمارك وملك اسوج ونروج وقيصر روسيا وصورة حفلة تتويجهِ وهلمَّ جرًّا

ومنها التدقيق الكثير في كل ما ذكر في هذه الرحلة وقد كنا نرى المؤَلف يبحث ويفتش في المظان المختلفة و يسأَل العارفين عن كل ما يرتاب في صحتهِ لكي يكون كتابهُ خالياً من الخطإِ على قدر الامكان

ومنها حسن الوصف وسلاسة العبارة وقد بالغ المحرر في ذلك مراراً كثيرة حتى قاربت عبارتهُ الوصف الشعري كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ عنهُ في هذا الجزء عن سان غوثار

ومنها جودة الورق واتقان الطبع. وبهذه المزايا جاء الكتاب من احسن الكتب الموضوعة في بابهِ طافحاً بالفوائد التاريخية والادبية والفكاهية فذلك ورخص ثمنهِ يجعلانهِ من الكتب النادرة التي يقبل القراء على مطالعتها فنشكر لحضرة مؤَلفهِ الفاضل على ما اتحف بهِ ابناء العربية

والكتاب مطبوع في مطبعة المقتطف وثمنهُ ثلاثون غرشاً مجلداً تجليداً حسناً وفيهِ أكثر من خمس مئة صفحة بقطع المقتطف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاءِ المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاعلام الحديثة

مصر . اسكندر افندي زكي . ما هو السبب في ان المصريين يسمون ابناءهم باسماء ليست اعلاماً في الاصل مثل رأفت وحشمت وحسيب ونجيب ولم يكن ذلك شائعاً عند العرب ولا عند الاقباط من سكان هذا القطر

ج يوضع العلم لتمييز المسمى بهِ عن غيرهِ وهذا يقتضي ان يكون المرتجل فيهِ مثل عُمَر اكثر من المنقول مثل سليم لان المنقول قد يلتبس بما نُقل عنهُ فيفوت الغرض الاصلي من العلَم وهو الدلالة على الشخص المعين لا على المعنى لكنَّ وضع الاعلام المرتجلة امر صعب لا يستطيعهُ كل احد والاعلام المنقولة عن صفة ممدوحة مرغوب فيها فاذا استطاع احد ان يسمي ابنهُ بعلَم منقول عن صفة حميدة في لغة غير مبتذلة وفى ذلك بكل غرضهِ لانهُ يكون قد سماهُ بما يلمح الى الصفة واختار اسماً قليل الاستعمال في معناهُ الاصلي ولهذا يكثر الاوربيون من تسمية اولادهم باسماء لاتينية او يونانية منقولة وعلى هذا النحو جرى الاتراك في تسمية اولادهم باسماء عربية منقولة مثل رأفت وشوكت وحشمت وكتبوها بالتاء المبسوطة على جاري عادتهم واقتدى بهم العرب الخاضعون لهم

(٢) كتاب الطبخ

الاسكندرية . احد القراء . ارشدونا الى كتاب في الطبخ وتحضير الاطعمة المختلفة والحلويات

ج ليس في العربية كتاب مطبوع في هذا الموضوع اوسع من كتاب الطبخ المطبوع في المطبعة الادبية في بيروت وهو يطلب منها بهذا الاسم ونظن انهُ يوجد في كل المكاتب العربية الكبيرة

(٣) غاز الضوء

حمص . محمد افندي سعيد حكيم . نرجو ان تصفوا لنا كيفية استخراج غاز الضوء الذي يستضاءُ بهِ في البيوت والشوارع وان ترسموا لنا القزان الذي يوضع فيهِ الحطب ان امكن

ج يستخرج غاز الضوء من الفحم الحجري لا من الحطب وسنصف كيفية استخراجهِ وتنقيتهِ في الجزء التالي وننشر الآلات اللازمة لذلك

(٤) دواء المقامرة

المنيا . احد المشتركين . لا بدَّ لكل داءٍ من دواءٍ فما هو دواء المقامرة وباي علاج تستطيع عائلة ان تميت جراثيمهُ من احد افرادها بعد ان ابتُلي بهِ

ج المقامرة مثل كل العادات القبيحة يتملك من النفس حتى يعسر نزعهُ منها ولكنهُ لا يستحيل اذا كان للمرء اناس يهتمون بامرهِ ويبعدونهُ عن اماكن المقامرة ويساعدونهُ على الاهتمام بشيءٍ آخر . فاذا بذلت عائلة الشخص المشار اليهِ جهدها في ابعادهِ عن اماكن المقامرة وفي جعلهِ يهتم بامرٍ آخر ولو من قبيل التسلية كالصيد والقنص انصرف همهُ اليهِ وضعف ميلهُ الاول رويدًا رويدًا الى ان يزول

(٥) منع المقامرة

ومنهُ . سمعنا غير مرة ان المقامرة ممنوعة قانونًا فهل هذا المنع خاص باندية المقامرة في العاصمة او هو شامل لكل انحاء القطر واذا كان الثاني فلماذا لا يسري هذا القانون على المنيا

ج المقامرة ممنوعة بقرار صادر من نظارة الداخلية في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩١ بعد تصديق محكمة الاستئناف المختلفة ويقال في المادة ١٧ منهُ ما نصهُ

"لا يجوز لاصحاب ادارات المحلات العمومية ان يمكنوا احدًا من اللعب بالعاب القمار على اختلاف انواعها مثل المعروفة بالبكارا واللانسكينة والواحد والثلاثين والاربعين والفرعون والزيرو وما كنية الخيول وما اشبه"

فترون ان لعب القمار ممنوع في الاماكن العمومية في كل القطر المصري ولكن العقاب يقع في هذا المنع على اصحاب الاماكن العمومية لا على المقامرين وهو لا يمنعهم من المقامرة في بيوتهم فلا يكفي لابطال المقامرة

(٦) علاج البراغيث

مصر . حسن افندي حسين يوسف . تكثر البراغيث في فصل الشتاء فمن اين تتولَّد وهل من دواء يمنع وجودها

ج تتولَّد من بيوض صغيرة تبيضها انثى البرغوث بين الشعر والصوف او في زوايا البيوت والاماكن المستورة . والبيض ينقف عن دود صغير يعيش مدة ثم يصنع شرانق

كدود الحرير يقيم فيها مدة اخرى ثم يخرج منها برغوثاً . وكل قاتلات الحشرات تميتهُ . ويقال انهُ اذا ذُرَّ الافسنتين في بيت ماتت البراغيث التي فيهِ او خرجت منهُ . وغنيٌّ عن البيان ان النظافة التامة افعل الوسائط لتقليل البراغيث او لمنع تولُّدها لان البراغيث وكل الحشرات لا تضع بيضها الاَّ حيث تجد غذاء لصغارها تغتذي بهِ حال ظهورها فاذا كان البيت نظيفاً جدًّا لم تجد فيهِ هذا الغذاء فلا تضع بيضها فيهِ . وهذا لا يمنع ان تعلق البراغيث بالناس من اماكن أُخرى وتدخل معهم الى بيوتهم ولكنها لا تكون كثيرة كما لو تولَّدت فيها

---

(٧) معرفة الكسوف

معمل الزجاج . احمد افندي السيد . لماذا لا تذكر طريقة معرفة اوقات الكسوف والخسوف في الكتب العربية في علم الفلك مع ان معرفتها لازمة

ج ان الطريقة المستعملة الآن صعبة جدًّا لكثرة ما فيها من التدقيق ولذلك لا تذكر في كتب الفلك الوصفي ولم ينشر كتاب في الفلك العملي باللغة العربية حتى الآن ولكن الاقدمين من علماء العرب كانوا يعرفون طريقة اقل تدقيقاً من الطريقة المستعملة الآن واسهل عملاً وهي مذكورة في كتبهم ففي الزيج الصابي للبتاني طريقة حسنة في الفصل الثالث والاربعين منهُ وهي الآن امامنا والظاهر انهُ نقلها عن اليونان . ومعلوم ان الكسوفات والخسوفات التي تحدث مدة ١٨ سنة يوليانية و ١١ يوماً تعود فتتكرر تماماً كل ١٨ سنة و ١١ يوماً . فالكسوف او الخسوف الذي يحدث في يوم معلوم يحدث ايضاً بعد ١٨ سنة يوليانية و ١١ يوماً . وقد لا يظهر ذلك في كسوف الشمس كما يظهر في خسوف القمر لان كسوف الشمس لا يرى الاَّ في اماكن محدودة على سطح الارض فقد يرى اليوم في القطر المصري ولا يرى فيهِ بعد ١٨ سنة و ١١ يوماً ولو حدث حقيقةً ولكنهُ يرى في قطر آخر . وربما ذكرنا طريقة البتَّاني في فرصة اخرى

(٨) اسماء المواد الكيماوية

ومنهُ . لماذا تذكرون المواد الكيماوية والطبيعية باسماء غريبة يجهلها كثيرون من قراء المقتطف فقد طلبنا الالومنيوم بالامس من احد الصيادلة فلم يعرف ما هو فنرجو ان تذكروا لنا هذه الاشياء باسمائها العربية

ج يُنتَظر من كل صيدلاني ان يعرف ما هو الالومنيوم لانهُ معدن بسيط مذكور في كل كتب الكيمياء التي لا بدَّ لكل صيدلاني من درسها . ولا ينتظر وجود هذا المعدن في الصيدليات كما لا ينتظر ان يوجد فيها الحديد والرصاص ولكنهُ يوجد عند باعة المعادن . اما نحن فقلما نذكر اسماً علمياً بلفظهِ

الافرنجي الآونشرحهُ شرحاً كافياً ولكن يتعذر علينا ان نعيد هذا الشرح كلما اعدنا ذكر الاسم وننتظر من قراء المقتطف ان يطالعوهُ بالتروي و يفتشوا في اجزائهِ الماضية عما يعسر عليهم فهمهُ الى ان يوضع قاموس مطول في العربية تذكر فيهِ كل الكلمات العلمية المعرَّبة حديثاً. وليس لهذه الاسماء ما يقابلها في العربية حتى نترجمها بهِ فنضطر ان نذكرها بلفظها الافرنجي. مثال ذلك الاليومنوم فانهُ معدن كالفضة اكتُشف حديثاً والذين اكتشفوهُ سموهُ بهذا الاسم وجرى على تسميتهم الاوربيون كلهم فلا بدَّ لنا من مجاراتهم

---

(٩) عسر الهضم

الاسكندرية . احد المشتركين . مضى عليَّ سنتان ونصف وانا مصاب بعسر الهضم وتمدد المعدة وقد ضعفت ضعفاً عمومياً. وعادني كثيرون من مشاهير الاطباء وكلهم تقريباً متفقون على اني مصاب بالدسبسيا وتمدد المعدة. وقد تعاطيت كثيراً من الادوية المقوية مثل ساق الحمام والجنطيانا وجوز القيء والاشربة الحديدية ونحو ذلك فلم تنجع فيَّ. واشار عليَّ احد الاطباء بالسفر الى اوربا والاستحمام بمياهها المعدنية مثل حمامات النمسا وفرنسا . واشار عليَّ غيرهم ان اكتفي بتبديل الهواء في ابي قير او راس البر والاستحمام بماء البحر. وانا افضل السفر الى اوربا ولكني استصعبهُ كثيراً واخاف ان يحدث لي حادث يذهب بحياتي لاني مصاب باحتقان الدماغ ومن كان مصاباً بهِ فهو معرَّض لداء السكتة فبماذا تشيرون عليَّ

ج اعتمدوا على رأي طبيب من مشاهير الاطباء وابقوا على علاجهِ ولا تغيروهُ الاَّ باذنهِ . ويظهر لنا ان التدبير الصحي الزم لكم من التدبير الدوائي ونعني بالتدبير الصحي الاقتصار على الاطعمة المغذية والاقلال منها حتى لا يزيد الطعام على حد الشبع والتمهل في الاكل واجادة المضغ حتى لا يزدرد الطعام الاَّ بعد ان يصير ناعماً جداً ويمتزج باللعاب مزجاً جيداً فانهُ يصير حينئذٍ اسهل هضماً . ثم لا بدَّ لكم من الرياضة المعتدلة في مكان نقي الهواء ولا بدَّ ايضاً من تقليل الاشغال العقلية او الانقطاع عنها تماماً الى ان تشفوا

(١٠) نفقات السفر الى فرنسا

ومنهُ . كم تبلغ نفقات السفر الى فرنسا والاقامة فيها شهراً من الزمان بالدرجة الاولى

ج اقلها سبعون جنيهاً او ثمانون مع الاقتصاد الشديد وقد يمكن ان تزيد الى مئة جنيه من غير افراط اما مع الافراط فلا حدَّ للنفقات

(١١) الرافع المائي

صور . احد المشتركين . قرأت في بعض الجرائد المصرية انهُ قد تمَّ اختبار الرافع المائي فنجح فوق المأمول فان كان ذلك صحيحاً فاكرموا علينا بتفصيل تركيبهِ

ج ان ما بلغنا عن الرافع المائي لا يدل على ان النجاح مكفول او ميسور له ولم يبلغنا انهُ جُرب تجربة كبيرة فوفى بالغرض ولا اطَّلعنا على تقرير لاحد علماء الهندسة الآلية الذين يعتمد عليهم في امرهِ

---

(١٢) بنجر السكر

اسنا . الخواجه بطرس بولس . ذكرتم في مقتطف مارس في باب الزراعة ان البنجر (الشمندور) السكري يزرع من ابريل الى ١٥ نوفمبر فنرجو ان تخبرونا هل بنجر السكر هو البنجر المعتاد وهل يزرع في ابريل و يستوي في ١٥ نوفمبر ام تستمر زراعتهُ من ابريل الى ١٥ نوفمبر

ج بنجر السكر من نوع البنجر المعتاد اصلاً ولكنهُ تنوَّع كثيرًا بالتربية والانتقاء عامًا بعد عام حتى صار كثير السكر فاذا زرع في هذا القطر وجب ان تجلب التقاوي من اوربا اولاً . وقد بلغنا ان معمل الشيخ فضل جلب من هذه التقاوي وهو يقدمها لمن يطلبها منهُ . اما من حيث الوقت الصالح لزراعتهِ في القطر المصري فهو من ابريل الى نوفمبر اي يجوز ان يزرع في اي شهر كان من هذه الشهور ولكن ظهر بالامتحان انهُ الاحسن ان تقسم زراعتهُ الى قسمين الزراعة الصيفية وهي تزرع من ابريل الى يوليو والزراعة الشتوية وتزرع من سبتمبر الى نوفمبر . ويمكن زرعهُ بعد البرسيم والفول والحبوب كالقمح والشعير وهو يبقى في الارض من اربعة اشهر الى خمسة اشهر وتزرع الارض بعدهُ زراعة شتوية فتجود لانها تكون قد خُدمت جيدًا

(١٣) كيفية زرعهِ

ومنهُ . نرجو ان توضحوا لنا كيفية زراعة هذا البنجر بالتفصيل ومواعيد سقايتهِ

ج تعد الارض لزرع البنجر بحرثها جيدًا طولاً وعرضًا وتمهيدها حتى ينعم ترابها الى عمق ثلاثين سنتمترًا او اكثر ثم تخطط خطوطًا مارة شمالاً وجنوبًا ويكون البعد بين الخط والآخر ٧٠ سنتمترًا وتروى جيدًا وتترك اربعة او خمسة ايام حتى تجف وتزرع البزور في جوانب الخطوط مترادفةً تحت الحد الذي وصل اليهِ الماء حتى يكون البعد بين كل نبات وآخر نحو عشرين سنتمترًا ولا بدَّ من جلب التقاوي اولاً من اوربا كما تقدم لان البنجر قد ربي فيها وأُصل حتى اتصلوا الى ايجاد نوع منهُ كثير السكر ولو كانت رؤُوسهُ صغيرة وهو بنجر السكر الذي يزرع لاجل سكرهِ لا البنجر المعروف في القطر المصري . و يزرع في كل حفرة اكثر من بزرة واحدة كما يزرع القطن ثم يخف كما يخف القطن وتركس الارض ثم تروى بعد سبعة ايام او ثمانية ويعاد عزقهُ ويروى كلما احتاج الى الماء و يعلم ذلك من ذبول اوراقهِ واصفرارها ثم يمنع الماء عنهُ مدة ٣٠ او ٣٥ يومًا قبلما يقتلع لكي يتم تكوُّن السكر فيهِ

(١٤) سباخ البنجر

ومنهُ . هل يحتاج هذا البنجر الى سباخ

ج فلما يحتاج الى السباخ اذا كانت الارض جيدة لان زيادة النمو لا تزيد السكَّر فيهِ وقد ظهر بالامتحان ان القليل من نيترات الصودا يفيد البنجر اذا استعمل بالحكمة ولكن الكثير يزيد نموهُ ولا يزيد سكرهُ

(١٥) الارض الصالحة لهُ

ومنهُ . هل تنجح زراعتهُ في الاراضي الطينية او الرملية

ج الاراضي الطينية الرملية افضل لهُ من الاراضي الطينية المحضة على ما يظهر لنا ولكن لابدَّ من التجارب الكثيرة قبلما يعلم اي ارض اصلح لهُ في هذا القطر

باب الاخبار العلمية

مالية الحكومة المصرية

بلغ ايراد الحكومة المصرية في العام الماضي ١١١٩٩٠٠٠ جنيه مصري ونفقاتها ٩٩٨٩٠٠٠ جنيه مصري فزاد ايرادها على نفقاتها ١٢١٠٠٠٠ جنيه مصري . لكن ارتباطها بصندوق الدين لا يجيز لها ان تنفق كل ما يبقى من دخلها في اصلاح بلادها ولذلك لم تنفق من هذه الزيادة على الاعمال العمومية سوى ٤٠٢٠٠٠ ويعدُّ كثيرون ذلك غبناً على الديار المصرية ويودون ان تطلق يد حكومتها من هذا القيد لكي تستثمر هذه الاموال في ما يعود بالنفع الجزيل على البلاد

نفقات حرب الصين واليابان

نشر وزير المالية في اليابان حساب النفقات التي انفقتها بلادهُ على الحرب بينها وبين الصين فظهر منهُ انها انفقت على الاعمال الحربية ٧٦ مليون ريال وعلى العمارة البحرية ١٨ مليون ريال والجملة ٩٤ مليون ريال وجمعت من اهلها لهذهِ الحرب ١١٣ مليون ريال فبقي عندها منها ١٩ مليون ريال اضافتها الى المال الاحتياطي واخذت غرامة الحرب من الصين ١٥٠ مليون ريال فهي تزيد على ما انفقتهُ ٥٦ مليون ريال اي اكثر من احد عشر مليون جنيه. فكانت الحرب لها تجارة رابحة اذا اغضت عمن قُتل منها من النفوس وعما اصابها من تعطيل المتاجر والاعمال في زمن الحرب

الاوتوموبيل في الحرب

عرض امبراطور المانيا جائزة اربعة آلاف جنيه لاحسن اوتوموبيل يمكن استخدامهُ في

الحرب . ولا بدَّ من ان يدعو ذلك الى اصلاح الاوتوموبيل وترخيص ثمنهِ

ركوب الهواء

خصص احد الاعضاء في جمعية السير في الهواء الفرنسوية مئة الف فرنك جائزة لمن يستنبط آلة يسهل بها ركوب الهواء واشترط ان تطير هذه الآلة من مكان الجمعية الى رأس برج ايفل ثم تعود الى المكان الذي طارت منهُ فتكون مسافة سيرها احد عشر كيلومترًا وان تقطع هذه المسافة في نصف ساعة او اقل . واطلق الحرية في المناظرة لكل احد مهما كانت بلادهُ

بناء السفن

بنى الانكليز في العام الماضي ٧٦١ سفينة محمولها ١٥٨٥٣٨١ طنًّا محمول التجارية منها ١٤١٦٧٩١ طنًّا ومحمول الحربية ١٦٨٥٩٠ طنًّا وهذا اعظم ما بنوهُ من السفن في سنة واحدة وهو يزيد عما بنوهُ في العام الذي قبلهُ ما محمولهُ ٧٢ الف طن

ميشل بسترس

رُزِئَت مدينة بيروت بنائبة من اكبر نوائب الدهر ذلك انهُ كان في مرفإِها سفينة تربيدية عثمانية اسمها سهام ركبها بعض الوجهاء يوم السبت في ٢١ ابريل وساروا لتشييع واليها وكان قد ركب سفينة اخرى وذهب في بعض المهام فانفجر مرجل السفينة التربيدية وقتل اكثر من كان فيها وبينهم السري الكريم الخواجه ميشل بسترس فأخرج من الماء وهو في غمرات الردى وفاضت روحهُ قبل ان بلغوا بهِ دارهُ واحتُفل بتشييع جنازتهِ في اليوم التالي احتفالاً عظيمًا ودفن مأسوفًا عليهِ مبكيًا من جميع معارفهِ لانهُ كان جوَّادًا كريمًا كثير المبرات عارفًا اقدار رجال العلم والفضل وهو الذي انشأَ التذكار لاستاذنا الدكتور فان ديك ولهُ الايادي البيضاء على كل الاماكن الخيرية في مدينة بيروت

ومن الذين اودت بهم هذه الداهية الدهماء ايضًا الكونت انطون طرازي وابرهيم افندي مفتش نفوس ولاية بيروت وحافظ بك سليمان قومندان السفينة اسمعيل وحقي افندي قبطان السفينة سهام الاول ومدحت افندي قبطانها الثاني وخليل افندي زنتوت وكامل افندي زنتوت وحيدر افندي قوميسير اسكلة بيروت وشوكت بك ابن قومندان اسطول بحر سفيد وقد دفنوا جميعهم بما يليق من الاكرام

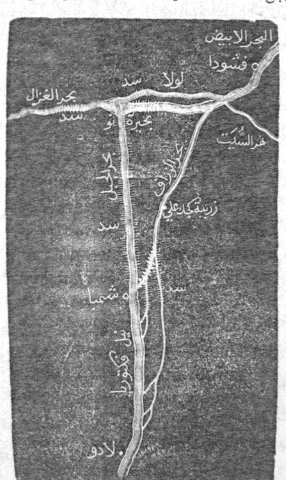
البترول الروسي الجديد

اكتشفت ادارة الزراعة في روسيا كثيرًا من زيت البترول في سهول كرجستان ويقال انهُ جيد جدًّا مثل اجود انواع الزيت الاميركي

النيل والسد

بعث السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال تلغرافاً الى اللورد كرومر عمَّا رآهُ من احوال النيل في السودان قال فيهِ

طلعت في بحر الجبل مسافة ٢١٧ ميلاً من بحيرة نو مع الماجور بيك حتى صرنا على بعد ٢٠ ميلاً من شمبا ثم اضطررنا الى الرجوع بسبب قلة الماء ونفاذ الوقود. وقد ازال رجال بيك بك ١٤ قسماً من السد ممتدة على طول ٨٣ ميلاً من النيل واظن انهُ يمكن السفن



ان تسير في بحر الجبل الى جندو كورو في السنين الاعتيادية واما في هذه السنة فانخفاض الماء يمنعها من المسير فيهِ . وقد وجدنا ان بحر الجبل تحوَّل عن مجراهُ الحقيقي مسافة ٢٥ ميلاً على الاقل وذلك من المكان الذي يبعد ١٣٧ ميلاً جنوباً عن ملتقى بحر الجبل بالنيل الى المكان الذي يبعد ١٦٢ ميلاً جنوباً عن ذلك الملتقى وهو يجري الآن في عدة بحيرات وفي فروع قريبة القعر ومشتبكة بعضها ببعض. واما المجرى الاصلي فقد سدهُ السدُّ كلهُ منذ اعوام على ما يظهر : فعينا مكان طرفي هذا المجرى المسدود وابتدأ رجال بيك بك يعملون

الآن في الطرف الشمالي منها ولكنني اخاف ان لا يفرغوا من فتح هذا القسم المسدود في هذا الفصل لان الوقت قد مضى وليس هناك تيار يساعدهم على جرف ما يسدهُ . وغني عن البيان ان ابتداء نزول الامطار على النيل الاعلى قد اضحى قريباً

وانا على يقين ان هناك جزءًا آخر من مجرى بحر الجبل الحقيقي مسدوداً مثل هذا الجزء ايضاً على بعد ٢١٧ ميلاً من ملتقاهُ بالنيل وهذا هو البعد الذي وصلنا اليهِ ثم عدنا منهُ راجعين كما تقدم . وادلتي على وجود هذا الجزء الآخر المسدود تشابهه بحر الجبل في المكانين فان الماء ينخفض فيهما كليهما فجأة من عمق ١٨ او ١٩ قدماً الى عمق ٥ اقدام فقط وبحر الجبل يتفرع فيهما ويجري في عدة مجارٍ . والمرجح ان هذا الجزء المسدود يصل الى مكان بالقرب من شمبا ولم يتيسر لي ان اثبت ذلك بالعيان ولكنني مقتنع ان بحر الجبل يجري هناك في مجارٍ غير مجراهُ الحقيقي ويمكن اتمام فتح المسدود كلهِ في الشتاء المقبل واما الآن فالماء لا يفقد منهُ شيء الاَّ ما يتبخر من البحيرات المذكورة آنفاً. وقد اخبرت الماجور بك برأيي وهو ان الامر الواحد الذي يجب عملهُ في هذا الفصل ازالة الزوايا والاجزاء الناتئة في الاماكن التي فتح سدها . وقد عمل الماجور بك وضباطهُ عملاً عظيماً يدهش السامع بهِ رغماً عن الاحوال الصعبة التي يعملون اعمالهم فيها

ولكن العمل في زمان المطر غير ممكن للعمال في تلك الجهات لان البواخر لا تقيهم شر الامطار هناك وهواء ذلك الاقليم يضرُّ بالصحة جدًّا . فانا وجدنا الرعود دائمة متواصلة والامطار غزيرةً في ٨ ابريل مع ان زمان المطر الحقيقي لم يكن قد ابتدأ والرياح تعصف شديداً من الجنوب والجو مطبقاً من كل جانب . والمرجح ان هذه الانواء هي التي تسبق الامطار القياسية التي يحتمل ان تبتدئ باكرًا جدًّا في هذا الفصل . ورأيي انهُ لا بد من وجود باخرتين او ثلاث لخفارة بحر الجبل على الدوام مدة فيضانهِ اذا أُريد بقاؤُهُ خالياً من السد اذ لا غنى عن بقاء باخرة واحدة على الدوام امام السد (في الجهة التي يتجه التيار اليها) لتساعد الباخرتين الاخريين اذا حال السد دونهما فحبسهما . فاننا لما رجعنا نازلين في بحر الجبل وجدنا جانباً من السد قد حال دوننا وسدَّ علينا سبيل الرجوع شمالاً ولولا تأخر باخرة اخرى عنا في الذهاب لاخذ الحطب ووجودها شمالي هذا السد عند رجوعنا لبقينا محبوسين وراءهُ الى ما شاء الله. وقد جدَّ هذا السد بعد ذهابنا جنوباً لاننا لما مررنا في ذلك المكان لم نجد لهُ اثرًا ثم تبعتنا باخرة أُخرى في ٦ ابريل فوجدت السبيل مفتوحاً ولا سدَّ فيهِ ولكن لما جاءت الباخرة التي تقل الحطب في ٩ ابريل وجدتهُ مسدوداً

ولم تستطع المرور ولما عدنا نحن في ١٠ ابريل وجدنا طول ذلك السد نحو ٥٠٠ يرد ومتوسط سمكهِ في المئة اليرد الاخير منهُ ١٥ قدماً . وقد حدث هذا السد كلهُ بهبوب عواصف على البحيرات المجاورة فقطعت السدود الطافية على وجهها وساقت ما مساحتهُ مئات فدن من هذه السدود الى المجرى العميق حيث تراكم بعضها على بعض فانضغطت وسدَّتهُ دون مسير السفن سدًّا . ولا بد من حدوث امثال هذه الحوادث فلا يؤمن على الباخرة التي تصعد في النيل هناك ايام العواصف والانواء ان لم يكن معها باخرة اخرى تساعدها متى مست الحاجة

ثم ان منسوب الماء تغير تغيرًا يستحق الاعتبار بين ارتفاع وهبوط في البحر الابيض بازالة اجزاء السد المختلفة . والسبب في هذا التغير ان المياه التي كانت راكدة في برك او بحيرات على جانبي كل جزء من اجزاء السد كانت تنصب في النيل عند ازالة ذلك الجزء فيرتفع الماء فيهِ ارتفاعًا وقتيًّا وقد بلغ عدد اجزاء السد التي ازيلت ١٤ جزءًا والبرك او البحيرات التي سبقت الاشارة اليها بين الميل ١٦٢ والميل ١٣٧ تصب الآن في النيل وهذا سبب ارتفاع الماء الحالي واملي ان هذا الارتفاع يدوم حتى يبتدئ الفيضان

وقد اتصل بي ان اهل القاهرة يشيعون اشاعات على غاية المبالغة كقولهم ان ماء البحر الابيض زاد اربع اقدام فذلك محال لان كل الزيادة التي حدثت بين اوطإ منسوب في ٣ مارس ومنسوب ١٥ ابريل في محلة القاعدة هي ٧٢ سنتمترًا والزيادة بين ٢٩ مارس و١٥ ابريل هناك ٣٦ سنتيمترًا . اما محلة القاعدة فهي قاعدة اعمال بك بك وتبعد ٥٤ ميلاً عن بحيرة نو في جهة مجرى النيل

واما الزيادة المذكورة فقد سارت شمالاً ففي ١٧ ابريل كان قياس النيل بمقياس فشوده ٥٠ سنتيمترًا فوق اوطإ منسوب ولسوء الحظ نزع مقياس فشودة القديم ووضع مقياسها الجديد في ٨ مارس ويعسر تتبع الزيادة بين فشودة والخرطوم لان مقاييسها غير جلية فقد بلغت الزيادة بمقياس الدويم ٢١ سنتمترًا من ٣ ابريل الى ٢١ منهُ ولكن القومندان الانكليزي الذي هناك اخبرني ان الزيادة كلها بلغت ٤٠ سنتمترًا . واوطأ منسوب قيس بمقياس سراي الخرطوم كان في ١٦ ابريل ثم زاد النيل ١٣ سنتمترًا منذ ذلك اليوم وهو اليوم اوطأ مما كان في ١ ابريل بسنتمتر واحد . ويستفاد من اخذ المناسيب الحالية في بحيرة نو ان الماء يعود فيهبط من جديد اذا كان ماء الفيضان لا يصل الى البرك والبحيرات قبل ان ينصب ماؤُها منها ولكني موقن تقريبًا ان ماء الفيضان يصل اليها ويعلو ماءها قبلما ينضب لان الامطار لا بد وان تزيد ماء النيل الاعلى قريبًا وبما ان تلك البحيرات

واسعة جداً تكون شبه خزانات ينصب الماء منها في النيل شيئاً فشيئاً . فاذا لم تكن الامطار قليلة هذه السنة ايضاً — وليس هناك دليل على انها تكون قليلة — فلست اخاف ان الماء ينخفض في البحر الابيض اكثر من انخفاضهِ الحاضر واما سرعة ارتفاع الماء فتتوقف على الفيضان وخصوصاً فيضان نهر السبت وهذا النهر لم تظهر فيهِ زيادة حتى الآن

هذا و يعسر علينا ان نقول ماذا ينتج عن انصباب مياه البرك والبحيرات في الخرطوم لان النيل يتسع كثيراً قبليّ ملتقى بحر الجبل بهِ و يبقى متسعاً كذلك مسافة طويلة فيخشى ان الزيادة لا تكون في الخرطوم بقدر ما هي في تلك الجهات القبليّة . ولكن لو فرضنا ذلك فيكفينا النفع العظيم الذي ينتج لنا من توقيف انخفاض النيل . ويحتمل ان تطهير بحر الجبل يجعل الماء يجري فيهِ بسرعة اعظم من السرعة الحاضرة ولكن اهم الامور في ما نحن بصددهِ نهر السبت كما هو رأيي منذ زمان طويل ففي ١٧ ابريل صعدت فيهِ مسافة ١٢ ميلاً لاقيس مقدار ما ينصرف منهُ فوجدت ماءهُ راكداً . وقد انخفض ماؤُهُ بقياس الناصر مقدار ١٤ سنتمتراً بين ٣١ مارس و ٤ ابريل ولكن اللفتننت جوين اخبرني انهُ لم يجد تياراً يذكر في هذا النهر وكان قد عبرهُ حديثاً في مكان يبعد مسيرة يومين عن قلعة السبت

وقد قست مقدار المنصرف من بحر الجبل اولاً على مسافة ١٨٠ ميلاً من بحيرة نو جنوباً في مكان فوق السد فوجدتهُ ٦٣٧٧ قدماً مكعبة في الثانية . وثانياً في مكان تحت السد على بعد ١٠ اميال من ملتقى بحر الجبل بالبحر الابيض بحيث يحتوي كل ما ينصرف من البرك والبحيرات فوجدتهُ ٨٠٥٠ قدماً مكعبة في الثانية ووجدت المنصرف من بحر الزراف ١١٤٥ قدماً مكعبة في الثانية ومن بحر الغزال ١١٩٧ قدماً مكعبة في الثانية . فكل المنصرف الذي يمر بفشودة هو ١٠٤٠٠ قدم مكعبة تقريباً في الثانية (نحو ٣٠٠ متر مكعب)

وقد سرنا في بحر الغزال حتى لم يبقَ بيننا وبين مشرع الريك الاّ اميال قليلة فوجدنا بحر الغزال خالياً من السدود ولكنا لم نستطع الوصول الى المشرع لقلة الماء وكذلك لم نستطع الصعود في بحر الزراف اكثر من ١٥ ميلاً وفي بحر العرب اكثر ١٢ ميلاً

ثم ذكر السر وليم جارستن انهُ لقي القومندان هنري في باخرة بلجية فاخبرهُ ان بحر الزراف جاف تقريباً . وقال ان موسم الذرة امحل عند قبائل النوير والشلك والدنكا وان البواخر تسير الآن في البحر الابيض كلهِ ما عدا مسافة ١٥ ميلاً قبلي ابي زيت انتهى

زيادة البحر الازرق

ورد تلغراف من مأمور سنار في التاسع

والعشرين من ابريل ان البحر الازرق زاد ٤٠ سنتمترًا في سنار . ويحتمل ان تكون هذه الزيادة وقتية كما يحتمل ان تكون بداءة الفيضان . اما سنار فتبعد ١٦٠ ميلاً عن الخرطوم. وقد قال جناب السر وليم جارستن في مذكرتهِ التي كتبها بعد رجوعهِ من السودان في السنة الماضية ان ماء البحر الازرق يبلغ اشدَّ تحاريقهِ في شهر ابريل وتبتدئ دلائل الفيضان عليهِ في النصف الاخير من شهر مايو ولكن الزيادة الحقيقية تبتدئ في شهر يونيو عادةً وتبلغ اعظمها في شهر اغسطس . وماؤُهُ اسرع جريًا من ماء البحر الابيض فهو يسير نحو ٣ اميال في الساعة في شهر فبراير واكثر من ٦ اميال في الساعة ايام الفيضان

ومهما يكن من ذلك كلهِ فزيادة البحر الازرق امر يشرح الصدور دائمة كانت او وقتية ولا سيما لانها جاءت حين قام السر وليم جارستن يبشرنا في تلغرافهِ الاخير ان مياه النيل لا تكاد تنخفض عما هي عليهِ الآن قبل ابتداء الفيضان بسبب ازالة السد وانصباب مياه البرك والبحيرات في النيل

وزد على ذلك ما في تلغرافهِ من البشائر باحتمال وقوع الامطار باكرًا هذه السنة على النيل الاعلى وبالتالي احتمال ابتداء الفيضان قبل الميعاد . ولعلَّ هذه الاعتبارات وامثالها المؤيدة لرأْي جناب الماجور براون هي التي جعلتهُ يقول لنا بالامس "اني باقٍ على رأْيي في كل ما قلتهُ عن مياه النيل وموسم القطن في هذا العام"

معرض باريس

فتح معرض باريس العام يوم السبت في الرابع عشر من ابريل (نيسان) فتحهُ رئيس الجمهورية الفرنسوية باحتفال نادر المثال يليق بالامة الفرنسوية العظيمة ويلائم طباعها. وخطب فيهِ المسيو مليرند وزير التجارة قال بعد ان اثنى على المسيو الفرد بيكار مدير المعرض العام والذين عاونوهُ في انشائهِ وتنظيمهِ "ان العالم كلهُ قد ساعد فرنسا في هذا العمل العظيم وان حكومة الجمهورية الفرنسوية تسرُّ بان تعرب عن شكرها لملوك الامم المصادقة لفرنسا وكبار حكامها الذين بادروا الى قبول دعوتها عن طيب نفس" . ثم اشار الى تقدُّم العلوم فقال "ان قوة الحياة آخذة في الازدياد وقوة الموت آخذة في التقلُّص امام سير الظفر الذي سارهُ العقل البشري . فان عقلاً مثل عقل باستور ضاعف قوة علم الجراحة وعلم الطب مئة ضعف فقبض على المرض في جراثيمهِ وظهرت في الافق تباشير العصر الذي تستأْصل فيهِ شأفة الاوبئة الفتاكة التي كانت تخرب المدن وتهلك السكان حتى لا يبقى منها الا ذكرها المرعب . وقد ضاعف العلم الوسائل التي جاد بها على الانسان بكرم حاتمي لكي يقابل بها قوى الطبيعة ويقي نفسهُ من غوائلها وخدمهُ خدمة اكبر من هذه بكشفهِ لهُ سر العظمة

المادية والمعنوية وهو الاتحاد . لكننا لا نزال نرى حولنا بيوت الفقراء وقد اختبأت فيها جراثيم الامراض وعقول الاغبياء وقد اختمرت بالاوهام والاضاليل وكلها شرور يدلنا العقل السليم على انهُ لا بدَّ من ازالتها باسرع ما يكون. واي واجب قومي اسمى والزم من التغلب على الجهل واقتلاع جذور الفاقة . وان لم يكن الايثار افضل مكارم الاخلاق وذلك خير جزاء لهُ فهو ممدوح لذاتهِ لانهُ يعود بالنفع على صاحبهِ . واذا قدَّرت قيمة الشيء بنتائجهِ فكل الجمعيات والشركات التي تجمع العناصر الضعيفة في مجتمع واحد قوي ادلة على فائدة الاتحاد . وحسبهُ فائدةً انهُ يضعف ما يرى في الأمة من الاختلاف الطبيعي او الاجتماعي ويربط ابناء الشعب الواحد بربط الاخاء . ولا تقف فوائدهُ عند تخوم ذلك الشعب بل تتجاوزها الى الشعوب الاخرى فتشتبك المصالح والآراء في الدنيا كلها اشتباك الاسلاك البرقية التي تطير عليها افكار الانسان. ويا لهُ من اشتباك نافع ارانا ما سيكون عليهِ القرن المقبل الذي ظهرت تباشيرهُ في مؤتمر السلم . وعلى مقدار ما يزيد ارتباط الناس بعضهم ببعض بازدياد الحاجيات وسهولة المواصلات يزيد الامل بدنو ذلك اليوم الذي لا يبقى فيهِ الأَ ثمار المناظرة التي تقتضيها الصناعة . انت ايتها الصناعة المجيدة التي تفكّ القيود وتعزي النفوس. حيثما سرتِ تقلصت ظلال الجهل وامحقت آثار الشرور . بك خرج نوع الانسان من غياهب الجهل وهو يرتقي الآن رويدًا رويدًا الى ان يبلغ تلك الربوع المجيدة حيثما تتحد القوة والعدل وكرم الاخلاق"

وتلاهُ المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية وربما جئنا على ترجمة خطبتهِ في الجزء التالي كما سنجيء على تفصيل مسهب لهذا المعرض

دوق ارجيل

قضى الشيخ الجليل والعالم الكبير والسياسي المحنَّك دوق ارجيل المشهور عند قراء المقتطف بمباحثهِ العلمية ومناظراتهِ الكثيرة مع الاستاذ هكسلي ولد سنة ١٨٢٣ وانتظم في سلك رجال السياسة وكان وزيرًا للهند ولهُ من التآليف العلمية المشهورة كتاب سلطان الشريعة . وكتاب الانسان الاول . وكتاب وحدة الطبيعة . وفلسفة الايمان . وما هو العلم . والبحث في النشوء الآلي . ولهُ غيرها كتب كثيرة ادبية وتاريخية وسنأتي على ترجمتهِ وبعض اقوالهِ في فرصة اخرى

دار التحف العربيَّة والمكتبة الخديويَّة

احتفل في الثامن والعشرين من ابريل بوضع حجر الزاوية في دار التحف العربية والمكتبة الخديوية التي تبنى الآن في القاهرة وتقدر نفقات البناء بخمسين الف جنيه وينتظر ان يتم في سنتين من الزمان

فهرس الجزء الخامس من المجلد الرابع والعشرين

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الرابع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٣ صفر سنة ١٣١٨

اللباس والعمران

حدَّثنا ثقة من ابناء هذه العاصمة قال : كان لي تجارة واسعة وكنتُ اضطرُّ الى مراجعة المحافظة في مسائل كثيرة فابعث اليها بخادم مالطي كان عندي فيقضي اشغالي على اتم المرام. وذات يوم بدا لي شغل ظننتهُ مشكلاً كبيراً لا يستطيع الخادم حلهُ فمضيت بنفسي ومضى الخادم معي وانا بالقفطان البلدي والفرجية وهو باللباس الافرنجي . فلما وصل الى الباب دخل امامي والبواب ينظر اليهِ بالخشوع والاكرام واردتُ الدخول وراءهُ فمنعني البواب فوقفت وانا لا ادري ما السبب . ولما قلتُ لهُ اني آتٍ لارى المحافظ شتمني واغلق الباب في وجهي . والتفت خادمي ورأى انني لم ادخل وراءهُ فعاد اليَّ وامر البواب ان يفتح لي الباب وقال لهُ اني سيدهُ . فوقف مبهوتاً وهو لا يصدق ما يسمع واتضح لي حينئذٍ ان لباسي البلدي جنى عليَّ فعدت من المحافظة الى مخزن الثياب الافرنجية ولم اعد البس غيرها بعد ذلك اليوم

ولقد لقينا قُبَيْل كتابة هذه السطور رجلاً من مسلمي الهند درس وتفقَّه في المدارس العليا واطلع على تواريخ الامم واحوالها فسألناهُ مسائل شتى عن احوال بلادهِ وعن اللباس الذي يلبسهُ الآن جمهور الرجال الذين تعلموا في اوربا او في المدارس الكبيرة المنشأة حديثاً في بلاد الهند فعلمنا منهُ ان كثيرين منهم اختاروا اللباس الاوربي لا لانهُ اصلح من اللباس الهندي في بلاد الهند ولا لمجرَّد التمثل بالاوربيين بل لانهم وجدوا بالاختبار ان مَن يلبس اللباس الاوربي يكرَم عند قومهِ وعند الاجانب اكثر مما يكرَم اقرانهُ الذين يلبسون اللباس الاهلي . اي ان اهالي الهند جارون على الخطة التي جرى عليها اهالي مصر واهالي الشام مع ان الاوربيين الذين نزلوا بلادهم نفرٌ قليل جداً لا يعبأ بهِ بالنسبة الى عديدهم

ثم التفتنا الى بلاد يابان البلاد التي تفتخر بانها وقفت على رجليها غير معتمدة على غيرها فوجدنا ان لاهاليها لباساً خاصاً تفننوا في اتقانهِ وزخرفتهِ كما ترى في الصورتين التاليتين وهما صورة الامبراطور والامبراطورة باللباس الوطني لكنهم لم يبقوا عليهِ بل ابدلوهُ باللباس الاوربي الكامل فالرجال من الطبقات العليا والوسطى لبسوا كلهم اللباس الاوربي هم ونساؤهم وكذلك رجال الحكومة على اختلاف طبقاتهم ورجال الجيش والبوليس. وكل رجال البلاد لايدخلون قصر الامبراطور الاَّ باللباس الاوربي الرسمي والامبراطورة لا تستقبل نساء اليابانيين الاَّ وهنَّ لابسات لباساً اوربياً


امبراطور اليابان


امبراطورة اليابان

ويذكر سكان هذه العاصمة ان ملك سيام ورجالهُ كانوا يلبسون اللباس الاوربي لما مرُّوا بالقطر المصري حتى ان الناظر اليهم لم يكن يفرق بينهم وبين اناس من الاوربين السمر الالوان مع ان لباس السياميين الوطني بعيد بعداً شاسعاً عن اللباس الاوربي كما ترى في صورة ملكة سيام المرسومة في الصفحة ١١٤ من المجلد التاسع عشر

وواضح ان بلاد يابان وبلاد سيام اللتين لبس رجالها اللباس الاوربي مقتفيتان خطوات الاوربيين اكثر من كل الممالك الشرقية وقد ارتقتا اكثر منها كلها اما بلاد الصين وهي اكبر منها واغنى واقدم عمراناً فلم تقتفِ خطوات الاوربيين في شيء حتى الآن ولا يزال رجالها ونساؤها باللباس الوطني القديم الدال على الراحة والرفاهة كما ترى في الصورتين التاليتين وهما

صورة ام امبراطور الصين وصورة البرنس كنغ عمهِ والتشابه واضح بين لباس الرجال ولباس النساء فلا عجب اذا تشابه الفريقان في حب السكينة وكراهة الحركة

فعلى مَ دخل الاسكندر ذو القرنين بلاد الفرس فلبس لباس اهلها وهو فاتح ظافر واقام بنو العباس في العراق فلبسوا لباس اهلهِ من القلانس والطيالس واما الاوربيون فيقتدَى بهم ولا يقتدون باحد



ام امبراطور الصين

والمعتبر في ذلك لبس الرجال لا لبس النساء لان للبس الرجال صورة معلومةً محدودةً واما لبس النساء فلم يزل كثير التغيُّر والتقلب وهو يزيد تغيرًا وتقلبًا كل يوم وينظر فيهِ الى الزينة والزخرفة اكثر مما ينظر الى الفائدة . اما لبس الرجال فيقتصر النظر فيهِ على الفائدة والامتياز. فاذا نظرنا الى الامر الاول اي الفائدة لم نجد اثنين يختلفان في ان الرجل يستسهل العمل والانتقال وهو لابس لباسًا اوربيًا اكثر مما يستسهلهما وهو لابس ثيابًا واسعة الاردان

طويلة الاذيال تعيقهُ في حركاتهِ . فكأَن الناموس الطبيعي القاضي بتغلُّب اصلح الامرين قضى بتغلب اللباس الاوربي على اللباس الشرقي اذا كان الانسان مضطرًّا الى السعي . ولقد كان الموجب الاول لاختلاف اللباس وكونهِ ضيقًا او واسعًا برد الاقاليم الشمالية وحر الاقاليم الجنوبية . فاهالي الشمال اضطروا ان يلفُّوا ابدانهم بثيابهم لفًّا لكي لا يدخل الهواء البارد اليها واهالي الجنوب اقتصروا على ما يظلل ابدانهم من حر الشمس ولا يمنع دخول الهواء اليها لتبريدها . ولا يزال الحرُّ على حالهِ في الاقاليم الحارَّة ولكن اللباس الاوربي المصنوع من نسيج حريري او قطني



عم امبراطور الصين

رقيق يقي منهُ ولا يعيق الانسان عن الحركة فتكون قد اجتمعت فيهِ المزيتان كما ان اللباس الاوربي المصنوع من نسيج صوفي سميك يقي من البرد ولا يعيق عن الحركة

هذا من حيث الفائدة . اما الامتياز وهو الغرض الاول من اللباس كما ابنا في مقالة مسهبة موضوعها "من الحلي الى الحلل" فقد اعترف الشرقيون رغماً عنهم ان الاوربيين فاقوهم في العلوم والفنون وانهم ممتازون عليهم حتى في بلادهم. فالاوربي مرعي الجانب اكثر من الوطني في هذا القطر وفي غيرهِ من الاقطار الشرقية وما القصة التي اوردناها في صدر هذه المقالة

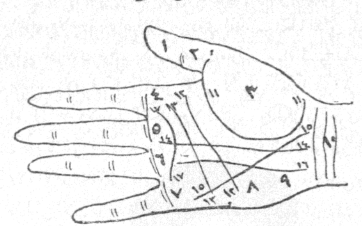
سوى مثال ما يحدث كل يوم في المجالس والمخازن والبيوت والحوانيت . اي اذا تساوى اثنان عقلاً وعلماً ومالاً وجاهاً وكان احدهما باللباس الاوربي والآخر باللباس الوطني أكرم الاول اكثر مما يُكرَم الثاني . ولاعبرة بافراد قلائل من ذوي المقامات العليا الذين يقضي عليهم مقامهم بلبس اللباس الوطني فان الذي يعرفهم يكرمهم بحسب منزلتهم سواء لبسوا لباساً اوربياً او وطنياً بل لا يكرمون باللباس الاوربي كأن اللباس الوطني لا يزال شعاراً مميزاً لهم

هذا ما يراه كل احد ولا سبيل لانكاره ولا لتغييره . والحكيم من جرى على مقتضى الحال وتشبه بالممتازين حتى لا تبقى لهم مزية عليه . ولكن قضى سوء الطالع او شور الذين ينوون الشر للمشرق ان اصرَّ ولاة الامر عندنا على ابقاء مزية يُفرَق بها بين الوطني والاجنبي وهي "الطربوش" وزُين لهم انهُ اذا لبس الاوربي المنتظم في خدمتهم طربوشاً مثلهم كان ذلك علامة ظاهرة على خضوعه لهم . ولا ندري كيف جازت عليهم هذه الحيلة بل هذه الاضلولة وقد كان الاجدر بهم ان يقولوا للاوربيين اننا رأينا سفنكم اصلح من سفننا فابدلنا سفننا بها ورأينا مركباتكم اصلح من مركباتنا فابدلنا مركباتنا بها وجاريناكم في محاكمنا ومجالسنا ومدارسنا وبيوتنا ومنتدياتنا واكثر امورنا فعلى مَ لا نبدل لباسنا بلباسكم وهو اصلح من لباسنا حتى في اقليمنا الحار . وان كنَّا قد ابدلنا لباس البدن كلهُ فعلى مَ لا نبدل لباس الراس وهو اسهل ابدالاً من غيره ونحن انفسنا قد ابدلناهُ مراراً فلبسنا العمائم والقلانس والطرابيش المغربية والاسلامبولية وترانا نتفنن في هذه فتكون تارة لاصقة بالراس وطوراً مرتفعة فوقهُ نصف متر والعذبة العالقة بها تطول مرةً وتقصر اخرى وكلها ليس مما يقي الراس من حر الشمس فلا تفي بالغرض الذي وضعت له

وخلاصة القول اننا اتصلنا بالاوربيين ونقلنا عنهم العلوم والفنون واخذنا منهم الآلات البخارية والكهربائية على تنوُّع اشكالها واختلاف اغراضها واعترفنا لهم بالتقدُّم علينا واقتدينا بهم في امور كثيرة لا تنفعنا بل تضرُّهم وتضرُّنا فعلى مَ لا نتمثل بهم في امور اخرى نافعة بنفسها لهم ولنا وبها يزول امتيازهم الظاهر علينا . ولو استطعنا ان نقنع الاوربيين ليتمثلوا بنا في كل شيء لكان ذلك اشرف لنا وادلَّ على امتيازنا عليهم ولكننا لم نستطع ذلك ولن نستطيعهُ فعلى مَ نحاول المحال ونعاف الاقتداء بهم في امور تنفعنا ولا تضرُّنا

وغنيٌّ عن البيان ان الاقتداء بهم في اللباس لا يكفي ولا يغني عن الاقتداء بهم في العلم والعرفان والجد والاجتهاد ولكن الاقتداء في اللباس لا بدَّ منهُ اذا اردنا ان نسهل على انفسنا وابنائنا سبل السعي ولا نبقي للاوربيين مزيةً علينا

الكف واسرارها



(١) الارادة دليل العزم والحزم
(٢) الحجة دليل قوة الحجة والاستدلال
(٣) جبل الزهرة دليل الحب والغناء
(٤) جبل المشتري « الكبرياء والطمع
(٥) جبل زحل « السعد او النحس
(٦) جبل الشمس « البراعة في الفنون
(٧) جبل عطارد « البراعة في العلوم
(٨) جبل المريخ « الشجاعة او القساوة
(٩) جبل القمر « الجهل او الخيال
(١٠) اسرار المعصم دليل طول العمر
(١١و١١) خط الحياة دليل « «
(١٢و١٢) خط الراس دليل سمو القوى العقلية
(١٣و١٣) خط القلب « شدة العواطف
(١٤و١٤) خط زحل دليل السعادة او الحظ
(١٥و١٥) خط الكبد او الصحة دليل جودة الصحة
(١٦و١٦) خط الشمس دليل النجاح في الفنون
(١٧و١٧) منطقة الزهرة « الميل الى الحب
المربع بين خطي الراس والقلب دليل كرم الاخلاق

كثيرًا ما ترى نساء الغجر (النور) ينظرنَ في يد الانسان ويدَّعينَ انهنَّ يستدللنَ منها ومن خطوطها على احوالهِ الماضية والحاضرة والمستقبلة وترى الناس يسمعون اقوالهنَّ ويصغون اليها مصدقين لها او واقفين حيارى بين الشك واليقين وكأنهم اميل الى الثاني منهم الى الاول حتى الذين يجاهرون بان ما يقولهُ هؤُلاء النساء تخرُّص واحاديث ملفقة يخالفون في قلوبهم ما يقولونهُ بأَلسنتهم اذا رأَوا في ما ينبئنهم بهِ شيئًا من المطابقة للواقع

وما يحسبهُ عقلاؤُنا في هذه البلاد من الخرافات واعمال التدجيل التي يعاقب عليها القانون ويعدُّ صاحبها متشردًا يحسبهُ بعض الاوربيين علمًا باصول وقواعد ويمارسهُ كثيرون من كبرائهم وعظمائهم رجالاً ونساء. وهو قديم عندهم اشار اليهِ ارسطوطاليس حيث قال ان

طويل العمر لهُ في كفهِ خطان ممتدان على طول الكف كلها وقصير العمر لهُ فيها خطان قصيران . وقال بلينيوس ان ارسطوطاليس عدَّ الخطوط القصيرة المتقطعة في الكف دليلاً على قصر العمر . وبقي التكهن بالكف عند الرومان ولو على قلة ثم اشتهر امرهُ في العصور الوسطى وكان معروفًا في بلاد الهند من عهد قديم جدًّا ولا يزال مستعملاً فيها حتى الآن ولولا ذكرهُ في مصنفات ارسطوطاليس لقلنا ان اليونان نقلوهُ عن الهنود

ويعتبر في الكف الآن راحتها واصابعها وما فيها من الاسرار (الخطوط) والمرتفعات فيقول اصحابها ان الابهام اهم ما في اليد فالبرجمة الاولى منهُ المدلول عليها بالرقم ١ في الصورة السابقة تدل على العزم والحزم في من كانت كبيرة نامية فيهِ. والثانية المدلول عليها بالرقم ٢ تدلُّ على قوة الحجة والاستدلال . والارتفاع الذي عند اسفل الابهام المدلول عليهِ بالرقم ٣ يسمى جبل الزهرة ويدل على الحب والغناء. والذي عند اسفل السبابة المدلول عليهِ بالرقم ٤ يسمى جبل المشتري ويدل على الكبرياء والطمع. والذي عند اسفل الوسطى يسمى جبل زحل وهو المدلول عليهِ بالرقم ٥ ويدل على ما يصيب الانسان من سعد او نحس. والذي عند اسفل البنصر يسمى جبل الشمس وهو المدلول عليهِ بالرقم ٦ ويدلُّ على البراعة في الفنون او على اكتساب الغنى. والارتفاع الذي عند اسفل الخنصر يسمى جبل عطارد وهو المدلول عليهِ بالرقم ٧ ويدلُّ على البراعة في العلوم او الآداب . والارتفاع المدلول عليهِ بالرقم ٨ يسمى جبل المريخ ويدل على الشجاعة او القساوة. والمدل عليهِ بالرقم ٩ يسمى جبل القمر ويدل على الجهل او الخيال . وقد اعدنا ذكر ذلك في الجدول السابق لتسهل مراجعتهُ . ولا بدَّ من كون هذه المرتفعات كبيرة لتدل هذه الدلالات . ثم ان دلالاتها تتنوَّع بتنوُّع ما يجاورها من الخطوط او السرر واشهر هذه الخطوط اربعة وهي

اولاً خط الحياة الذي يحيط بالابهام وهو المدلول عليهِ بالعددين ١١ و١١ فاذا كان هذا الخط طويلاً عميقًا دلَّ على طول الحياة

وثانيًا خط الرأس الذي بين العددين ١٢ و ١٢ وهو اذا كان طويلاً عميقًا غير متقطع دلَّ على سمو القوى العقليّة واذا اتصل بجبل القمر الذي عند الرقم ٩ دلَّ على شدَّة التصوُّر واذا كثر تعرُّجهُ دلَّ على الحماقة وضعف الرأي واذا تقطَّع وكان كالسلسلة المتصلة الحلق دلَّ على ضعف في قوة توجيه الفكر الى موضوع واحد

وثالثًا خط القلب بين العددين ١٣ و١٣ وهو اذا كان طويلاً واضحًا بادي اللون دلَّ على شدَّة العواطف والانشغاف . وقربهُ من جبل المشتري (عند الرقم ٤) دليل على حسن

الخلق . ويزيد صلاحهُ اذا كان متشعباً من طرفيهِ . ويمتدُّ هذا الخط الى جبل عطارد المدلول عليهِ بالرقم ٧ في الممثلين والمقلَّدين

ورابعاً خطوط الاساور او المعصم المدلول عليها بالعدد ١٠ وهي ثلاثة تزيد بها قوة خط الحياة ويقال ان كل خط منها يدل على ثلاثين سنة فمجموعها يدلُّ على تسعين سنة

هذه هي اهم الخطوط وتتلوها خطوط اقل منها اهمية لانها لا توجد في كفوف كل الناس وهي خط زحل المرسوم بين العددين ١٤ و١٤ وخط الشمس بين العددين ١٦ و١٦ وخط الكبد او الصحة بين العددين ١٥ و١٥ ومنطقة الزهرة بين العددين ١٧ و١٧

فاذا كان خط زحل واضحاً دلَّ على حياة السعادة والفلاح واذا كان متقطعاً دلَّ على الشقاء والفشل . واذا كان خط الشمس واضحاً دلَّ على النجاح في الفنون . واذا كان خط الكبد طويلاً واضحاً دلَّ على جودة الصحة وطول العمر . واذا كان خط الزهرة واضحاً دلَّ على الميل الى الحب والغرام . واذا اتسع الشكل المربع الواقع بين خطي الراس والقلب دلَّ على كرم الاخلاق واذا ضاق دلَّ على البخل والاثرة

وفي اليد غير ما ذكر من الخطوط والمرتفعات نجوم وصلبان ولكلٍّ منها دلالة خاصة بهِ فاذا وُجد صليب صغير في جبل المشتري دلَّ على سمو المطالب . واذا وجد صليب صغير في جبل الشمس دلَّ على بلوغ الانسان درجات الشهرة والمجد . واذا وجد صليب آخر على جبل زحل دلَّ على ان حياة صاحبهِ مفعمة بالمخاطر او بالمصايب . واذا كان البعد كثيراً بين الخنصر والبنصر حينما تبسط الكف دلَّ ذلك على حب الاستقلال . واذا بعُد خط الحياة عن خط الراس من اعلاها دلَّ ذلك على الجرأة الى حد التهوُّر وعلى شدة الثقة بالنفس ومن كان كذلك فالغالب انهُ يفلح اكثر ممن لا يخاطر ولا يثق بنفسهِ

هذه خلاصة ما زعمهُ القائلون بصحة هذا الفن اي علم اسرار اليد (شيرومنسي او بامستري) وهم يعللون دلالة هذه الاسرار على احوال الانسان بما بين اليد والراس من العلاقة الشديدة لان اعصاب الحس واعصاب الحركة المتصلة من الراس الى اليد اكثر من الاعصاب المتصلة منهُ الى اي عضوٍ آخر من اعضاء البدن . ثم يثبتون دلالتها بالاستقراء فيقولون انهم نظروا في كفوف الوف من الناس ورأوا ما فيها من الخطوط والمرتفعات وما يظهر لها من الاشكال المختلفة وقابلوا بين ذلك كلهِ وبين اخلاق اصحابها فوجدوا بينها علاقة ثابتة فقالوا بصحة دلالتها. وربما زدنا هذا الموضوع تفصيلاً في فرصة اخرى لا لاننا نعتقد صحة هذا العلم بل لان كثيرين طلبوا الينا ان نذكر بعض مبادئهِ

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل الخامس

كان في دمشق الشام امير من الشهابيين اشتبك في بعض الحروب الاهلية التي سبقت انقراض الانكشارية فاصيب بجرح بالغ قضى بهِ. وقبل ان فاضت روحهُ استدعى بسو التاجر اليهودي وسلمهُ ابنهُ وكان طفلاً رضيعاً وتوسل اليهِ ان يعتني بتربيتهِ لان امهُ كانت قد ماتت في النفاس. فاخذت زوجة بسو هذا الطفل وارضعتهُ من لبنها وربتهُ كأنهُ ابنها

هذا هو فخر الدين المذكور في الفصول السابقة. وولد لبسو ابنة سماها حواء فربيت مع فخر الدين وهو يحسبها اختهُ وهي تحسبهُ اخاها وكانت اصغر منهُ بثلاث سنوات فلما ترعرع وعلم انها ليست اختهُ حزن حزنًا شديدًا لكن حبهُ لها بقي على حالهِ

وكان فخر الدين وريثًا لاملاك واسعة في جبل لبنان ولهُ فيهِ دار كبيرة يستطيع ان يعيش فيها مثل ملك مستقل. حتى اذا بلغ العاشرة من العمر طلبهُ عمهُ الامير بشير الشهابي الكبير وكان واليًا على جبل لبنان لكي يقيم في دارهِ يتربى مع اولادهِ فترك بيت بسو في دمشق مضطرًا واتى الى بيت الدين في جبل لبنان وكاد فؤادهُ ينفطر لما ودَّع حواء وامها. ودارُ الامير بشير في بيت الدين من افخم دور الامراء الشهابيين واجملها موقعاً. وقد حدث ذلك حينما دخل ابرهيم باشا بالجنود المصرية بلاد الشام وكان الامير بشير وسائر الامراء الشهابيين وبيت بسو ممالئين للمصريين على الدولة العلية ولهم اليد الطولى في فوز ابرهيم باشا عليها. ودعت الحال حينئذٍ الى مكاتبات كثيرة بين الامير بشير وبيت بسو في دمشق وكان فخر الدين يكثر التوراد على دمشق فتراهُ حواء ويتجدَّد الحبُّ والاخاء بينها وبينهُ. وسنة ١٨٣٩ كان فخر الدين قد صار في الخامسة عشرة من عمرهِ وكانت القلاقل قد سكنت في بلاد الشام لانهُ كان فيها من الجنود المصرية المنظمة ثمانون الفاً تعضدهم اعظم دول اوربا الحربية وكانت الحكومة العثمانية قد ضاقت بهم ذرعاً ولم ترَ من الحكومة الانكليزية عضداً ظاهراً في اول الامر ثم لما عضدتها أخرجت المصريين من القطر الشامي فكان ذلك ضربةً قاضية على سلطة الامير بشير وعلى فرع بيت بسو المقيم في دمشق. لكن التجار ارسخ قدماً من الامراء فأمر الامير بشير واولادهُ ان يغادروا دارهم في بيت الدين ويمضوا الى الاستانة. ولما بلغ فخر الدين فتح عكاء هرب الى بلاد العرب ونزل ضيفاً على جد حواء ابي امها. وهرب بسو بزوجتهِ وابنتهِ الى تريسته وبقي في بلاد

النمسا نحو اربع سنوات واخيرًا توسط الصيدوني واصدقاؤهُ امرهُ لدى الباب العالي فعاد الى دمشق بعد ان اقنع رضى باشا ببراءتهِ على الاسلوب الذي يقنع بهِ ذلك الوزير . وتوفيت زوجتهُ وهو في بلاد النمسا ولم يفقد شيئًا من ثروتهِ لان اخوتهُ اداروا شؤونها وهو مهاجر وكان ولاة دمشق لا يستغنون عنهم ولولا اضطرارهُ الى المهاجرة بغتةً لاستطاع ان يصلح امرهُ مع الوالي كما اصلحهُ مع رضى باشا بعدئذٍ ولم يهاجر

وكان فخر الدين شديد الفراسة فخورًا عجولاً قليل الصبر كبير النفس كبير المطامع وقد ربي والقطر الشامي في اشد الاضطراب والدسائس باب السياسة ومفتاحها . وكان عمهُ الامير بشير يعجب بنجابتهِ وذكائهِ ولا يحاذر من التكلم امامهُ عن احوال السياسة فشبَّ وهو يحسب ان النجاح رهين الدهاء . والرجل الداهية يفلح في مطالبهِ مهما كانت وان حسن السياسة يقوم بان يخفي المرء ما فيهِ ويتظاهر بما ليس فيهِ ويفاوض دولتين متخالفتين وحزبين متناقضين مفاوضات سرية في وقت واحد ويُعرب عن استعدادهِ للعمل بكل الآراء التي تُعرَض عليهِ ولا يعمل برأيٍ منها ! ويشارك في كل الاعمال ويتجنَّب كل نتائجها . ويتخذ الناس كلهم سكِّينًا ولا يفعل الاَّ ما يعود عليهِ بالنفع الخاص . هذه هي اصول السياسة التي ربي عليها وتخرَّج فيها وحسب انها باب النجاح . وكان يحسب ان الرجل الندب من احدق اليهِ الناس بابصارهم والسعيد مَن نظروا اليهِ نظر الدهشة والاعجاب

وكان يكيد المكايد كما يشرب الماء ومسرتهُ العظمى في ان ينصب الاشراك للناس ثم ينجيهم منها وهو يحسب ان الدنيا كلها قوةٌ او خدعة . وهذا جلُّ ما اتصل اليهِ من معاشرتهِ للامراء والعظماء الذين كانوا في عصرهِ . وكان يفضل الخدعة على القوة لان فيها مهارة ودهاء ولانهُ كان رقيق القلب رقيق العواطف

وكان يفتخر بالجري على اسلوب اهل السياسة من اخفاء ما فيهِ والتظاهر بما ليس فيهِ لكنهُ لم يكن ماهرًا في ذلك فكان اذا آنس من امرءٍ اقل ميل اليهِ اطلعهُ على كل دخائلهِ . وكذلك اتخاذهُ الناس آلات لاغراضهِ لم يكن يمنعهُ من اطلاعهم على مقاصدهِ ولو عن طيش لا عن قصد فيغترُّون بهِ ويحسبون انهم نجوا من مخالبهِ ولكنهُ لا يلبث ان يوقعهم في شرَك آخر في لحظة من الزمان لشدَّة ذكائهِ ودهائهِ كأن الطيش احدى حظيَّاتهِ . وكان شديد الجرأة كما كان شديد الدهاء لكنهُ لم يكن شجاعًا شجاعةً ادبية فاذا حبطت مساعيهِ لعارض طرأ عليها او فترت همتهُ لضعف تولى اعصابهُ واخمد ذكاء عقلهِ خارت قواهُ وجعل يبكي كالطفل الصغير ثم هو لا يأنف من كل عمل ينجو بهِ من تلك الورطة مهما كان دنيئًا

لما بلغهُ ان الامير بشير واولادهُ مضوا الى الاستانة وحُجر عليهم فيها عاد الى لبنان وتظاهر بمصادقة الدولة العلية والقيام على ولائها وجعل يحاسن الامراء والمشايخ الذين حولهُ حتى التفَّ عليهِ حزب كبير منهم وهو في السابعة عشرة من عمرهِ . وكانت الدولة تنوي اخضاع الجبل اخضاعًا تامًّا وتعيين والٍ عليهِ من قبلها لكنها رأت ان الزمن لم يحن لذلك وانهُ لا بأس بشد ازر هذا الامير ما دام مقيمًا على ولائها . وكثر تردُّد الامراء والمشايخ على دارهِ وكلٌّ منهم يحسب انهُ المرشد لهُ وهو يلعب بهم لعبًا ولو كانوا اكبر منهُ سنًّا واكثر حنكةً حتى اذا عاد بسُو الى دمشق الشام سنة ١٨٤٣ رآهُ قد صار في مقدمة الامراء الشهابيين فعقدت القلوب على حبهِ وولائهِ وكان عمرهُ حينئذٍ تسع عشرة سنة وعمر حواء ست عشرة سنة . وبلغهُ وصول بسو الى دمشق فاسرع اليهِ وقبَّل يديهِ كأَنهُ اباهُ وضمَّ حواء الى صدرهِ والدموع تهطل من عينيهِ وتعانقا معانقة الاخوة ثم اخبرهما بكل ما جرى لهُ ولم يخفِ عنهما شيئًا . واخيرًا طلب من بسو ان يقرض الجبل مبلغًا من المال لكي يبتاع بهِ اسلحة فيستقل تحت امارتهِ وامارة حواء. وكان بسو قد انقذهُ من مشاكل عديدة ووفى عنهُ ديونًا كثيرة لتجار بيروت وصيداء اما الآن فلم يرُق لهُ ان يساعدهُ في عمل سياسي مثل هذا قد يعود عليهِ بالخراب والدمار او بالنفي المؤبد لاسيما وانهُ رأى ما حلَّ بالامير بشير ومحمد علي باشا لان دول اوربا لا تريد ان يحدث اقل تغير في بلاد الشام لئلاَّ يكون ذلك داعيًا لحل المسألة الشرقية ولم يصدّق ان فخر الدين يفلح في ما عجز عنهُ عزيز مصر

اما حواء فلم تكن من رأي ابيها لانها كانت شديدة الاركان الى فخر الدين وقالت في نفسها انهُ ليس عزيز الجانب مثل محمد علي ولكنهُ ارسخ منهُ قدمًا لان البلاد بلادهُ وقد حكمها اسلافهُ سنين كثيرة . وكانت تثق ايضًا باصلهِ العربي وتأنف من ان ترى دولة اوربية متسلطة على بلاد الشام ومرجعة اليها عصر الصليبيين فنظرت اليهِ كأَنهُ الرجل الوحيد القادر على انقاذ لبنان وبلاد الشام كلها من الوقوع في قبضة الاوربيين وشفعت فيهِ الى ابيها مرارًا فاعطاهُ ووفى عنهُ الى ان ضاق بهِ ذرعًا وآلى على نفسهُ ان يمنع عنهُ كل مساعدة مالية في المستقبل. فجعلت حواء تعطيهِ من جواهرها ولجأَت الى اولاد عمها فساعدوهُ على قدر طاقتهم فكاد يسلبها اموالها وهو يتودَّد اليها ويظهر لها الحب الشديد وكان يحبها حقيقةً ويخضع لاوامرها صاغرًا وكانت نظرة منها تبهجهُ او تنغص عيشهُ فيكون امامها كالطفل الصغير وهو يحسب ان طالعها سعد فلا يفلح مَن يخالف لها امرًا لكنهُ اذا غاب عنها نسي ما يشعر بهِ وهو في حضرتها وركب هواهُ وقد يفشي سرها ولو كان حبها متسلطًا على فؤَادهِ . وهذا شأن من كان عديم الرأي

متقلباً مع الاهواء مؤثراً لنفسهِ لا يرى غير نفعها

لو اقترن بحواء لتدمَّثت اخلاقهُ وقلَّ تقلُّبهُ مع الاهواء . وكان يودُّ الاقتران بها لا شغفاً بها ولا رغبة في مساعدتها لهُ على التخلق بالاخلاق النبيلة بل طمعاً بغناها لكي يكون لهُ منهُ ما يساعد الجبل على استقلالهِ . اما هي فكانت مخطوبة الى ابن عمها ابن بسو الحلبي وقد خُطبت وهي في فينا وقرَّ القرار على الاحتفال بزفافها حينما تبلغ الثامنة عشرة من العمر وقد قرب هذا الميعاد الآن ولم يبقَ لهُ الاَّ بضعة اشهر

وكانت قد الفت القول بانها مخطوبة لابن عمها حتى صارت تحسبهُ من الامور المحتومة عليها كالحياة والموت فلم تعد تفتكر بهِ بسرور ولا بكدر . ولو كان قيادها بيدها ما اختارت فخر الدين زوجاً لها لانها كانت تنظر اليهِ نظر الاخت الى اخيها . وحسب عادة البلاد كاشف فخر اباها بغرضهِ ووعدهُ بان تبقى زوجتهُ على دين قومها ويتبعها اولادها في دينها فيصير امير لبنان من امَّة اليهود . فقطع بسو كلامهُ بقولهِ انها مخطوبة لابن عمها فلا مجال للكلام في هذا الموضوع

قلنا في فصل سابق ان فخر الدين زار حواء في بيت عنيا حديثاً واطلعها على ما اضمرهُ للامير الانكليزي فارتعدت فرائصها وسفهت رأيهُ وشدَّدت عليهِ النكير . ولما رأى منها ذلك انصاع اليها وعرض عليها رأياً آخر وهو ان صديقاً لهُ من تجار الانكليز في بيروت وعدهُ بالمال اللازم لهُ ان هو نجح في مطل شريف افندي التاجر المصري شهراً او شهرين وطلب منها ان تسعى لهُ في ذلك لدى شريف افندي . فرأت ان السعي في هذا السبيل ممكن لها ولا ضرر منهُ فسُرت لانها وجدت سبيلاً لمساعدتهِ لا يضرُّ باحد ووعدتهُ بالمجيء الى المدينة في اليوم التالي لكي تكلم شريف افندي في امرهِ . فودَّعها والدموع ملء عينيهِ وخرج وكان قد اقنع شريف افندي ان بسو يكفلهُ على دفع ثمن البنادق ونفقات نقلها واتفقا على ان يلتقيا في القدس لهذه الغاية ولما جاء القدس ودخل بيت بسو رأى شريف افندي في انتظارهِ ثم لما رأى الاعراض من بسو زار حواء وعرض عليها لمكيدة التي كادها لتنكرد واتفق معها اخيراً على ان تقنع شريف افندي ليهلهُ ان دفع المال شهراً او شهرين كما تقدَّم ثم عاد الى شريف افندي وقال لهُ ما قولك لو ضمن لك المال شخص آخر مثل بسو. فقال سيان عندي فقال فخر الدين ان حواء ابنة بسو مثل ابيها فقال شريف افندي على الراس والعين. فقال فخر الدين وقد تطلب منك المهلة مدة وجيزة اذ لا بد لها من مكاتبة بعض ذوي قرباها في حلب أتعرف حلب

— نعم وحلب والشام صنوان ورضيعا لبان

— اذاً ارجو من فضلك ان تسلم بما تطلبهُ حواء منك فقد فهمت منها انها عازمة ان

تطلب مهلة ثلاثة اشهر فان النساء كثيرات الحذر كما لا يخفى عليك وهي تقول ربما سُرق المال في الطريق او ربما ضاع مفتاح الخزانة. فقد فهمتَ مرادي وفي الميعاد نلتقي في غزة لاستلام البنادق

وفي الصباح التالي قامت حواء ولبست ازارها وتبرقعت وركبت جوادها وتبعتها اثنتان من جواريها وسار امامها القوّاس وهو مدجج بالسلاح ومشى بجانبها اربعة من السواس ودخلت القدس من باب صهيون وسارت الى بيت ابيها وقابلت شريف افندي ثم دعت فخر الدين واخبرتهُ ان شريف افندي رضي ان يبقي الاسلحة عندهُ ثلاثة اشهر وهو اي فخر الدين يدفع اليهِ ربا ثمنها الى ان يتمكن التاجر الذي في بيروت من دفع الثمن كلهِ

فشكرها واكثر من كلام التودُّد والمجاملة واخبرها انهُ عائد الى بيروت سريعًا ليسعى في تدبير المال المطلوب

الفصل السادس

قام تنكرد من القدس قبل الفجر ومعهُ باروني وخادمان وكلهم بالاسلحة الكاملة وامامهم الشيخ حسن الجلاّح شيخ عرب الجلالحة وهو طويل القامة عبوس الوجه بيدهِ رمح طويل فيهِ كرة من ريش النعام تحت سنانهِ وقد تقلد سيفهُ وتنكب بندقيتهُ وخرجوا كلهم من باب بيت لحم

في بلاد الشام شيءٌ يراهُ المرء قبل بزوغ الفجر قلما يراهُ في غيرها يراهُ ويشعر بهِ فيزيد جسمهُ نشاطًا وروحهُ خفةً . يشعر كأن ملائكة السماء قضت الليل فوق تلك الجبال ويشم للهواء رائحة عطريةً وينظر الى الطبيعة فيراها قد لبست حلة البهاء والسكينة ونامت كطفل يستيقظ باسماً وهو لا يدرك شيئًا من هموم الحياة. وقد انحطت البلاد وزايلها مجدها السالف ولكن الراحة والسكينة لم تزولا منها . وزاد ضعفها بازدياد القوة عند جيرانها الاوربيين لكن طباع اهلها لا تزال مثل طباع بلادهم وهي طباع اهالي اسيا عمومًا تراها اميل الى الطبيعة منها الى الصناعة والى البساطة منها الى التركيب والتعقيد . هذه هي الحالة الفطرية التي بعُدت عنها اوربا بابتعادها عن العرب واهالي الشام الذين اخذت عنهم مبادئ العمران

ثم بزغ الفجر ووقعت اشعة الشمس على الظباء وهي تثب فوق التلال ورأتها الحجال فنادى بعضها بعضًا من بين الصخور كما كانت تفعل في عهد الانبياء . ووقف تنكرد ورفاقهُ عند قبر راحيل بين القدس وبيت لحم وكان عشرون من الجلالحة في انتظارهم هناك وهم رجال الشيخ حسن اتوا لحراسة تنكرد في ذهابهِ الى جبل سينا . والذي دبَّر ذلك باروني وكان يعرف هذا

الشيخ ويأتمنهُ وقد سُرَّ تنكرد لان باروني لم يخبر قنصل الانكليز بعزمهِ على زيارة جبل سينا ولو اخبره لدرى بهِ الكولونل براس ولبس عدَّة حربهِ ورافق تنكرد الى جبل سينا رضي او لم يرضَ

وقد مضى على تنكرد الآن خمسة ايام بعد ان زار بيت عنيا وشاهد فيها حواء وكان يودُّ ان يعرف من هي وهو يعلم ان باروني يستطيع ان ينبئهُ بذلك ولكنهُ لم يشأ ان يكلمهُ في هذا الموضوع انفةً لا حذرًا . وزد عليهِ انهُ كان في ذلك الحين محمولاً على اجنحة الامل حاسبًا ان الله سيعلن لهُ نفسهُ على اسلوب خاصّ وانهُ قد ترفع عن الدنيا ومطالبها وصار شغلهُ الشاغل وهمهُ الوحيد في الامور السموية . وكان قد قضى الايام التي اقامها في القدس بالصوم والصلاة والرياضة الروحية وزيارة المشاعر المقدسة والمذاكرة مع رئيس الدير الونزو لارا في المواضيع الدينيَّة وهو يحاول ان يكتشف غوامض المشرق . ولم يكاشَف بشيءٍ من السماء لكنهُ سُرَّ وتعزَّى كأن طهارة الارض المقدسة ملأَت قلبهُ طهارةً

وذات يوم كان يتحدث مع الاب لارا في هذه الامور وامثالها فاشار عليهِ ان يمضي الى جبل سينا فاصاب شورهُ اذنًا صاغية

ولما صار هو ورفاقهُ على مرأَى من بيت لحم بزغت اشعة الشمس من فوق الجبال ثم ساروا من بيت لحم الى حبرون (الخليل) والارض هنالك لم تزل تفيض لبنًا وعسلاً كما كانت في سالف عهدها ولو قلَّ خصبها الطبيعي في بعض الانحاء لما تولاَّها من الاهمال

وبعد بيت لحم بساعة من الزمان وصلوا الى البرك التي نقرها ملوك اسرائيل في الصخر حياضًا للمياه وجرُّوا الماء منها في قناة من الحجر الى اورشليم وهي ثلاث يختلف طول كل منها من خمس مئة قدم الى ستمئة وقد مُلِطت كلها من داخلها ملاطًا صلبًا وهي تسمى الى الآن برك سليمان ولا سبيل لانكار هذه النسبة الى سليمان الملك الحكيم العظيم . والظاهر انهُ انشأ هنالك بساتينهُ وفراديسهُ التي ذُكرت في سفر الجامعة وبنى القصر الذي لقي فيهِ ملكة سبا وكانت قد جاءت من اقصى بلاد التيمن لتمتحن حكمتهُ

اين تلك البساتين والفراديس واين مَن ضمَّت من ربَّات المجد والجمال . اصحيح ما قالهُ الجامعة ان الكل باطل وقبض الريح . لماذا هذا الفناءِ . اين الملوك اين الجبابرة اين الذين كلامهم اسرار الحكمة واسمهم يملأُ كل قلب هيبةً ووقارًا . لماذا لم يبقَ في بلاد العرب ملكات يغادرن عروشهنَّ ويمضين الى عواصم ملوك آخرين فيزرن قصور لبنان وبعلبك وتدمر ولكن اين تلك القصور ولماذا لم يبقَ منها غير الاطلال الدوارس

وكأني برجل من الاوربيين هاجر اسلافهُ بالامس من حراج البلدان الشمالية التي لم تزل

مسارح للوحوش وهو يكلمك الآن عن العمران والارتقاء . وما هو هذا العمران ومن اي شيء نتج . قامت الممالك ثم اندثرت وعظمت ثم اندرست والاوربيون يتناظرون على مسلة يحتملونها من بلاد نائية لكي يزينوا بها عواصمهم وقد نُسيت اساليب الصناعة وعفت سُبُل التجارة ودُرست مدارس العلم والفلسفة ومع ذلك كله ترى هؤلاء الاوربيين يكلمونك عن العمران والارتقاء كأنهما غرس ايديهم لانهُ اتَّفق لبعض رجالهم ان استخدم بعض المبادىء العلمية في ما يقلل التعب ويزيد الراحة فحسبوا ذلك عمراناً وباهوا بهِ

ثم مالت الشمس الى المغيب وانبسطت اشعتها على سهول فسيحة تتموَّج فيها الهضاب تموُّج البحر وتموج بالزرع والضرع . حقول الحنطة وبساتين الزيتون وقطعان الغنم وكروم العنب وفيها عرازيل النواطير كما كانت في ايام داود الملك . حينئذٍ بلغ تنكرد حبرون مدينة ابرهيم الخليل وقد نسي ابناء اسمعيل ما عامل بهِ امهم من الجفاء فاكرموا مقامهُ فيها ونسوا اسمها العبراني ونسبوها اليهِ فتعرف عندهم بمدينة الخليل الى الآن . وعلى ساعة منها سهل كثير الكلإ نصب تنكرد خيامهُ فيهِ لكي يبيت تلك الليلة ثم يقوم في الصباح ويخرج من ارض الموعد ويضرب في القفر العظم المخيف حيث لا ماء ولا مرعى

كان بنو اسرائيل قبيلة من قبائل العرب مثل بني قحطان وبني كلب وبني سليم وبني عامر تركوا البداوة ودخلوا بلاد الشام ليتحضروا فيها فلم يرحّب بهم اهاليها فغادروها الى القفر ثم راقهم خصب الديار المصرية فرحلوا اليها ونزلوا فيها كما نزلت فيها قبائل العرب بعدهم. وجار عليهم ملوك مصر واذلوهم فاحتملوا الذل ما استطاعوا احتمالهُ وهم في الاصل من قبائل القوقاس التي نشأ منها اعظم شعوب الارض . انتشروا في بلاد الجزيرة ودخلوا بلاد العرب من انحائها الشمالية وكان من امرهم ما كان الى ان ثقل عليهم نير المصريين وقام منهم موسى الكليم رجل عظيم متوقد الذهن حصيف الرأي تساوت فيهِ قوة الاستنباط وقوة العمل وبلغتا اسمى درجاتهما. رجل من اعظم رجال الجنس القوقاسي يكاد يكون كاملاً مثل آدم لما خرج من يد صانعهِ

لكن الله لم يدعُ موسى ليخرج بني اسرائيل من رياض مصر ويردهم الى قفار بلاد العرب ويقتصر عملهُ على ذلك بل لكي يعلن لهم مشيئتهُ والعهد الذي عاهد بهِ نوع الانسان

ولو شاء ربُّك لائتمن احقر مخلوقاتهِ على اتمام مقاصدهِ لكنهُ لا يفعل ذلك بل يختار اعاظم الرجال لاعاظم الاعمال يختار ذوي الآراء الصائبة والقرائح الوقادة يختار المشترعين او القواد او الشعراء او الخطباء ذوي النفوس الذكية والافئدة المتوقدة مثل موسى ويشوع وداود وسليمان ومن هذا القبيل اشعياء الذي لا تقلُّ فصاحتهُ عن فصاحة ديموستنس خطيب اليونان اذا نظرنا

اليها من وجهة البشر . وهاتان الامتان امة اليهود وامَّة اليونان مدَّنتا الدنيا قبيلة من بلاد العرب وقبيلة من بلاد اجيا وضعتا اساس معارف الناس ولولا اورشليم واثينا ما سمعنا عن مصر وبابل ونينوى وقورش واحشويروش

استيقظ تنكرد باكرًا لكي يقطع البلاد الفاصلة بين ارض الموعد وبلاد العرب قبلما يشتد حر النهار وهنالك تلال تفصل ارض كنعان عن نجد مرتفع يشبه صحراء الشام لكنهُ ليس قفرًا بل تغطيهِ الاعشاب والانجم ثم يقلُّ النبات فيهِ رويدًا رويدًا ولا تظهر الانجم الاَّ في رؤُوس الكثبان ثم يستحيل الرمل صخرًا ولا يبقى من النبات الاَّ القتاد وبعدها آكام شاخصة تغطيها حجارة الصوان

سار تنكرد ورجالهُ في هذا القفر ثلاثة ايام وكانوا يبيتون حيثما وجدوا شيئًا من المرعى لجمالهم وللحال تُنصَب الخيام وتوقد النار ويجلس تنكرد والشيخ حسن وباروني يتحدثون مدةً الى ان يروج الطعام فيأكلون ويشربون القهوة الحجازية ويدخنون التبغ الكوراني ويتكئ كلٌّ منهم وهو ينظر الى قبة السماء ونجومها العديدة . ولا ابدع من ذلك المنظر ولا يتصوَّرهُ الاَّ من رآهُ

وكانوا قد اقتربوا من جبل سعير وعليهم ان يقطعوا جبال الشراة الممتدة من هناك الى جبل سينا . وكان بين الشيخ حسن والقبائل النازلة في تلك البلاد ثارات قديمة فكنت تراهُ قلقًا حذورًا يسير امام قومهِ يتفقد الآثار ويستطلع البلاد من اعالي الآكام حتى اذا بلغ جبال الشراة اطمأَنَّ بالهُ وقال لتنكرد "قد جزنا الخطر ولم يبقَ داعٍ للتحرُّس والحذر لا لاني اخاف احدًا ولكن لاننا اذا التقينا بالعدو فإما ان نقتلهُ واما ان يقتلنا" . ولم يكن هذا الرجل شيخ قبيلة الجلالحة كلها بل كان شيخ بطن منها فاذا اجمع رأي القبيلة وشيخها الاكبر او اميرها على مقاتلة قبيلة اخرى وجب عليهِ ان يقاتل معها ويعادي اعداءها

وفي الصباح صعدوا في الجبال وتقدموا من اكمة الى اخرى الى ان كانت الساعة الثانية بعد الظهر فبلغوا مضيقًا بديع المنظر قامت الشواهق على جانبيهِ وهي مصبغة بالوان تزري بالوان الشفق فمن احمر كميت يليهِ احمر دموي ثم جلناري ثم برتقالي ثم اصفر فارجواني فازرق . الوان قوس السحاب مبسوطة على تلك الشواهق وفوقها ذهب وهاج ثم صخور بيضاء كالبان النوق وبينها اشجار الدفلة والسنط وفوق الكل قبة السماء لا سحاب فيها ولا غيم والطريق متعرّج في ذلك المضيق بين الانجم والصخور

لما نظر تنكرد الى ما حولهُ وقف مبهوتًا ثم صرخ قائلاً هذه هي الارض المسحورة وهذا هو الآل الذي يراهُ الرائي لحظة ثم يزول

ولما بلغوا منتصف المضيق عدا الشيخ حسن بغتةً ورشق اكمة صغيرة برمحهِ ونادى رجاله وهو يقول لهم هنا آثار خيل وجمال سارت امامنا في هذا المضيق ولم تقطعهُ بل بقيت فيهِ فكونوا على حذر

فأجابهُ باروني قائلاً نحن خمسة وعشرون رجلاً مسلحًا فمن يستطيع مقابلتنا في هذا المضيق من الطيّاح

فقال الشيخ حسن هؤُلاء ليسوا منهم ولا من عرب غراشة ولا من عرب مازن لاننا متآخون . ثم قال واحد من رجالهِ لعلهم من بني علي : —

وكانوا عند منعطف في المضيق فلما قطعوهُ رأوهُ يمتد امامهم مسافة طويلة على خط مستقيم فقال الشيخ حسن اني أرى الفرسان امامنا وهم من بني علي فتقدم اليهم هو وتنكرد وباروني وقالوا سلامٌ فقالوا سلامًا . ثم قال واحد منهم اننا نعلم من انتم ومن أين اتيتم فان هذا اخو ملكة الانكليز فليمضِ معنا وسيروا انتم بامان الله

فقال الشيخ حسن ان هذا اخي واخو كل واحد منا فلا ندعهُ يسير معكم وحدهُ وانتم من انتم

فقالوا نحن بنو يثرون وقد بعث بنا اميرنا اليكم للسلام عليكم فهلموا بنا الى السهل لان هذا الوعر لا يصلح لجمالكم ولا بدَّ لنا من اخذ اخي الملكة رضيتم او لم ترضوا

فنظر باروني الى ما حولهُ وقد امتقع وجههُ وقال قد دنت المنية ولا سبيل للنجاة من هؤُلاء الناس . وزعق الشيخ حسن في زعيم القوم وقال لهُ قف مكانك والاَّ اوردتك حتفك وللحال علت الصيحات من المضيق ونظر تنكرد ورجالهُ واذا الارض حولهم تموج بالرجال وهم مسلحون بالبنادق والرماح

فقال باروني لتنكرد يظهر لي يا مولاي اننا وقعنا في مكيدة كادها لنا هؤُلاء الملاعين والظاهر ان خبرك وصل اليهم فاتوا من مكان بعيد لكي ينهبوك

ونظر الشيخ حسن الى مقدم القوم وقال لهُ كم عدد رجالك يا ابن الانذال فاجابهُ ذاك باسمًا لو عددت رجالك وخيلك وجمالك وسيوفك ورماحك لكنَّا اضعاف اضعافها ولو شاء اميرنا ان يأتي الى هنا لجاء بعشرة آلاف فارس

فقال الشيخ حسن لباروني قُلْ لاخيك اني لا اتركهُ ابدًا بل اسفك دمي لاجلهِ واسألهُ ماذا يريد ان نفعل

فقال تنكرد لباروني اسأل هؤُلاء الرجال ماذا يبغون حقيقة . فقال باروني انهم يبغون سيادتكم ويحسبونك أخًا لملكة الانكليز فيأخذونك اسيرًا ويطلبون فكاكك مبلغًا كبيرًا من المال

— أليس بينهم وبين الجلالحة ثارات

— كلاَّ وهم غرباء عن هذه البلاد ولا شبهة في ان هذه المكيدة كيدت لنا في القدس

فقال تنكرد ان موقفنا في هذا المضيق يقضي علينا و يسوؤني ان اعرّض هؤلاء الرجال للهلاك فقل لهم يا باروني اني لست اخاً لملكة الانكليز واني اقاتل حتى أُقتل فلا أمل لهم بالفدية ولا بالفكاك

وكان الشيخ حسن منتصباً على صهوة جواده كالصنم وقد اشرع رمحهُ في يدهِ واستعدَّ للقتال وتقدَّم باروني الى القوم وجعل يجادلهم ويكثر من الحيَل والاكاذيب وقال لهم ان تنكرد ليس اخاً لملكة الانكليز ولكنهُ ابن شيخ من مشايخ بلادها وكل الخيل والجمال والقطعان لابيهِ ليس لهُ فيها شيء وانهُ تخاصم مع ابيهِ فطردهُ من بيتهِ واذا أُسر لا يفكهُ بمئة غرش . ثم عرض نفسهُ اسيراً بدل تنكرد وقال ان الشيخ حسناً ونصف رجالهِ يبقون عندكم رهائن الى ان آتيكم بفكاكي . فلم يصدقوا كلامهُ بل اصرُّوا على طلب تنكرد وهم يلقبونهُ اخا الملكة .

فعاد باروني وهو يقول قد فرغت جعبة الحيل وهذا شيء لم ارَ مثلهُ في حياتي . فقال تنكرد اذاً لا بدَّ لنا من ان نعبر هذا المضيق على رغمهم وان متنا متنا رجالاً فليختر كلٌّ منكم رجلاً يسدِّد رصاصهُ اليهِ حتى لا يذهب رخيصاً بل يأخذ ثارهُ قبل موتهِ وها انا قد اخترت ذلك الرجل المتلثم بالكوفية الحمراء . وقُلْ للشيخ حسن ان يخبر رجالهُ ليكونوا مستعدين للقتال ثم التفت الى خادميهِ فريمن وترومن وهما انكليزيان وقال لهما قد اشتدَّت الازمة علينا ولا بدَّ من مقابلة القوة بالقوَّة فان نجونا وعدنا الى منتكيوت ملكتكما الاراضي التي كنتما تزرعانها.

فقالوا لهُ لا تهتم بامرنا يا مولانا ولولا هذه الصخور ما ابقينا على احد من هؤلاء الانذال

فقال تنكرد لباروني امستعدون انتم . قال مستعدون فقال اني سلمت نفسي لله قال ذلك واطلق فردهُ على الرجل المتلثم بالكوفية الحمراء ثم اطلقهُ على رجل آخر وعدا مسرعاً في ذلك المضيق وللحال اطلقت البنادق كلها وعلت الصيحات واشتبك الرجال واشتدَّ القتام وعلا دخان البارود حتى لم يعد احد يرى احداً ثم هبَّت الريح بغتةً فانقشع الدخان ونظر تنكرد واذا هو في طرف المضيق ووراءهُ شرذمة من رجالهِ وامامهُ جموع متجمعة كانها تنتظر وصولهُ اليها وكان سيفهُ مسلولاً بيدهِ وهو يقول لا تبيعوا نفوسكم رخيصةً . فاصيب بضربة في يدهِ اوقعت السيف منها وعثر بهِ جوادهُ فسقط وللحال انقضَّ عليهِ اولئك الرجال وربطوهُ وشدوا الوثاق وزعيمهم يقول لهم ان كل نقطة من دمهِ تساوي الف كيس

القسم الرابع

الفصل الاول

دخل القنصل بسكواليجو بيت بسو بعد قيام تنكرد من القدس بعشرة ايام فسأَلهُ الباريزي الذي بيتهُ عند البرج اتعرف اين بسو الآن فقد مضى عليَّ نحو ساعة هنا ولم ارَ احدًا وهل بلغتك الاخبار

فقال بسكواليجو من لم تبلغهُ والناس يتحدثون بها كبيرهم وصغيرهم

فقال الباريزي . هات اخبرنا اذًا عمّا سمعت

بسكواليجو — سمعت اشياء يعرفها كل احد واشياء أُخرى لا يعرفها احد غيري

الباريزي — لا بدَّ اذًا من ان تكون قد رأيت احدًا اتى من هناك

بسكواليجو — هذا امر لا بدَّ منهُ . ولما قال ذلك كان الغلمان قد قدّموا اليهِ الحجر (الشبق) فاخذهُ وجعل يصلح النار التي على التبغ

الباريزي — فهل حضر الواقعة بنفسهِ

بسكواليجو — اي واقعة انت تعني

الباريزي — اذًا صاحبك سامع لاناظر

بسكواليجو — الامر صحيح سواء سمعهُ او نظرهُ

الباريزي — الفرق كبير وما راءٍ كمن سمع

بسكواليجو — لكنهُ سمع ورأى

الباريزي — فاذًا قد حضر الواقعة

بسكواليجو — نعم حضرها

الباريزي — اخبرنا اذا هل قُتل الامير الانكليزي عمدًا او قُتل اتفاقًا

ولم يكن بسكواليجو قد سمع شيئًا عما اصاب تنكرد فتاوَّه وقال كأَنهُ عارف بالامر كلهِ "ان الخطب جلل والمسأَلة كبيرة"

الباريزي — نعم المسأَلة كبيرة والخطب جللٌ فان كان قد قُتل اتفاقًا انتهت المسأَلة بالمذاكرات السياسية والانكليز يريدون قبرص فيأْخذونها تعويضًا عن ذلك واما اذا كان قد قُتل عمدًا فلا بدَّ من الحرب لان شرائع الانكليز تقضي عليهم بالحرب اذا قتل واحد من بيت الملك

فنظر بسكواليجو كمن همَّهُ هذا الامر كثيرًا ثم ابعد حبَّة الكهرباء عن شفتيهِ وقال لقد وقعنا في مشكل كبير

الباريزي — نعم المشكل كبير ولكن الاشكال لم يبتدئ حتى الآن لاننا مختلفون في هل ذلك القفر من اراضي الشام او من اراضي مصر فاني انا اقول انهُ من اراضي مصر وابن عمي يقول انهُ من اراضي الشام ورفائيل تفنه يقول ان البدو مستقلون لا هم خاضعون للباب العالي ولا لعزيز مصر

بسكواليجو — ان انكلترا تطالب كل البلدان المجاورة لمحل الواقعة سواءٌ كان البدو مستقلين او خاضعين لغيرهم . ولا يمكن ان تتخلى عن دم امير من امرائها ولا بدَّ من سير الجنود التي هنا كلها الى محل الواقعة باسرع ما يكون

الباريزي — لو ذهبت الجنود التي هنا والتي في دمشق وذهب الوالي معها ما قدروا كلهم ان يأخذوا حقًّا ولا باطلاً من العرب

بسكواليجو — اذًا يطلب الانكليز من محمد علي ان يؤدّب العرب

الباريزي — هذا الذي اقولهُ ولا بدَّ للانكليز من ذلك فيرسلون بارجة حربية الى الاسكندرية و يطلبون من محمد علي ان يستأصل قبيلة العرب التي قتلت اخا الملكة فيجيبهم بالاغضاء ويقول انهُ لما كانت جنودهُ في الشام ما كان احد يعتدي على اخوة الملكة فيغتاظ بامرستون ويأمر

بسكواليجو — لا شأن لبامرستون الآن لانهم عزلوهُ وعينوهُ حاكمًا لجزيرة صغيرة

الباريزي — اتظن اني اجهل ذلك ولكنهم يستدعونهُ الى الوزارة ثانية لانهُ ليس عندهم اشد منهُ ولا يمكن ان يحاربوا الاّ وهو في الوزارة فياخذ قيادة جنودهم البرية والبحرية حتى لا يعصي احد لهُ امرًا فيمتلكون القدس ويفتحون الاسواق لبضائعهم في كل بلاد الشام لانهُ لايهدأ بالهم حتى يتعمم كل اهالي هذه البلاد بعمائم من منسوجات منشستر

دار هذا الكلام بين بسكواليجو والباريزي في بيت بسو وكان بسُّو حينئذٍ في غرفتهِ منتظرًا مجيء ابنتهِ حواء وهو في اشد الاضطراب. ثم دخلت حواء وقالت لهُ ماذا تريد يا ابتاه وماذا حدث حتى اراك قلقًا مضطرب البال

بسو — اصابتنا الضربة العاشرة من ضربات مصر يا بنتي. منذ خرج ابرهيم باشا من هذه البلاد لم تصبنا مصيبة مثل المصيبة التي اصابتنا الآن

بفخر الدين

كلاً كلاً ولكن بشاب آخر في سنهِ شاب يهمني امرهُ جدًّا وان كنتُ لا اعرفهُ ان كنتِ لا تعرفهُ فهو ليس ابن عمي . لقد اقلقتني يا ابي فاخبرني من هو

ان هذا الحادث غاظني اكثر من كل الحوادث التي مرَّت بي مع انهُ متعلق بشخص لم تسمعي اسمهُ ولا رأيتهِ فاعلمي انهُ زار القدس منذ ايام شابٌّ انكليزي من اعظم امراء الانكليز

فقالت نعم وكاد صوتها يختنق

وقد اتاني بكتاب من افضل الناس واعظمهم من رجل انا ونحن كلنا مديونون لهُ ديناً عظيماً بل كل ما عندنا منهُ ولولاهُ ما كنَّا الآن في قيد الحياة . وقد كان عليَّ ان افعل كل ما يطلبهُ هذا الشاب مني وكنت افعلهُ عن طيب نفس وكان يجب عليَّ ان ارقبهُ كحدقة عيني واعرض عليهِ خدمتي عرضاً لكن وا اسفاهُ انا الملوم ولا يلام احد غيري . بعث اليَّ بهذا الكتاب مع واحد اعرفهُ من اتباعهِ فخشيت ان اثقل عليهِ . وقد بلغني انهُ متعصب في ديانتهِ فخفت ان ازورهُ فينفر مني

فقالت حواء وماذا جرى لهُ . ولم تستطع ان تخفي انزعاجها ولكن ظهر كأنها مضطربة لاضطراب ابيها

فقال ذهب منذ ايام لزيارة جبل سينا ومعهُ حرس كبير فاضلوهُ في البرية واسروهُ بعد حرب دموية

حواء — حرب دموية !

ابوها — نعم ولكنهم اضطروا اليها اضطراراً لان العرب حصروهم في مضيق لا نجاة لهم منهُ فاحتدم الشاب غيظاً واقتحم المضيق وحاربهم مستقتلاً فقتل بعض المهاجمين ولم يقتل من رجالهِ الاَّ قليلون ولولا وجودهُ بينهم لقُتلوا كلهم لان المهاجمين كانوا يقصدون القبض عليهِ حيًّا ليأخذوهُ اسيرًا ويأخذوا فكاكهُ . وقد تمكَّن من الخروج من المضيق هو ورجالهُ ولكنهم وجدوا السهل مملوءًا بالرجال فاضطروا الى التسليم ولاسيما بعد ان وقع جريحاً

حواء — أجُرِح

ابوها — نعم ولكني ارجو ان يكون جرحهُ طفيفاً وقد ارسلوا تابعهُ الى هنا ليأخذ لهم فكاكهُ . كم تظنين انهم طلبوا الفكاك

فاشارت الى انها لا تعلم

فقال اربعة آلاف كيس

فقالت اربعة آلاف اربعة آلاف أقلتَ اربعة آلاف كيس فهذا مبلغ كبير جدًّا ولكن

يمكننا ان نساومهم لعلهم يقبلون اقل من ذلك

ابوها — لو كان المبلغ ثمانية آلاف كيس لدفعته والذي يغيظني و يشق مرا تي ليس كثرة المبلغ لان والد هذا الشاب امير عظيم غني جدًّا فلا يصعب عليهِ دفعهُ ولكن هذا الشاب قد أُرسل اليَّ وطُلب مني ان اعتني بهِ واحرسهُ وابذل جهدي في كل ما يؤول الى راحتهِ ورفاهتهِ فلم ارهُ وقد جُرح وأُسر

فقالت حواء وهي مطرقة الى الارض. ولكن ان كان قد تجنَّبك فكيف يكون اللوم عليك. قالت ذلك كأَنها تخاطب نفسها

ابوها — لا يمكن ان يكون قد حسبني اكثر من صرَّاف يهودي يرسل اليهِ خادمهُ حينما يحتاج الى النقود . وكان عليَّ ان لا ادقق معهُ في هذه الامور بل اقف عند بابهِ كل يوم الى ان يتفضل و ينظر اليَّ . نعم هذا كان الواجب عليَّ

حواء — كلاَّ يا ابي كلاَّ انك مغتاظ ولذلك تقول هذا القول فان هذا الشاب ليس كما تظن او على الاقل اني ارجح انهُ ليس كذلك . فقد بلغك انهُ متعصب ولكنهُ قد يكون حسن التديُّن فقط وقد تكون افكارهُ متجهة الآن الى امور اسمى من حطام هذه الدنيا . والذي يتجشم المشاق لزيارة جبل سينا يستحيل ان ينظر الى اليهود بعين الازدراء

ابوها — ولكن كيف ينظر الى الذين اسروهُ . هذه هي الضربة القاضية . اتعلمين من رشقني بهذا السهم الصائب . جدُّك ابو امك

فغطَّت حواء وجهها بيديها وهي تقول الخائن الخائن الدنيء القبيح

ابوها — كلاَّ يا عزيزتي كلاَّ انهُ ليس من الخونة فان جدَّك لم يقصد لنا شرًّا ولا يعلم شيئًا عن علاقة هذا الشاب بنا بل قد اسرهُ على جاري عادة البدو لكي يأخذ فكاكهُ فمهما لحقني من الضرر بسببهِ لا يمكنني ان اتهمهُ بالخيانة ولا بتعمُّد ضرري

حواء — اصبت يا ابي وانا لم اقصدهُ بل كنت افكر في شخص آخر . والآن ماذا تقصد ان تفعل

ابوها — اولاً ان ابرّىء نفسي من هذه التهمة الشنعاء فان هذا الشاب اتى الى هنا ومعهُ اوامر صريحة لا يمكنني ردها لكي ادفع اليهِ كل ما يطلبهُ من المال ثم مضى الى القفر فاسرهُ حميَّ ابو امكِ وارسل اليَّ يطلب فكاكهُ مني . هذه هي واقعة الحال التي يتحدَّث بها الناس ولا يمكنهم ان يستنتجوا منها الاَّ نتيجة واحدة وهي اني متواطىءٌ مع جدكِ على سلبهِ وقد استنتجوها الآن على ما بلغني وصرت اخجل ان تقع عيني على عين احد من الناس حتى

على عين زواري الذين يأكلون طعامي ويدخنون تبغي. ولا لوم عليهم ولا تثريب اذا ظنوا بي الظنون لانهم لا يعرفون دخيلة الامر

حواء — انت بريء من ذلك فليقل الناس ما شاءوا

ابوها — نعم انا بريء ولكن لا بدَّ لي من دفع الفكاك من مالي الخاص . وغرامة اربعة آلاف كيس ليست مما يسرُّ النفس لا سيما واني سادفعها عن انسان لم ارَ وجههُ ولم يدخل باب بيتي ولكن لا بدَّ لي من ذلك لان جدك الذي صالحتهُ مع محمد علي واخذتُ لهُ الامتياز بحراسة ركب الحج مدة خمس سنوات فاكتسب بذلك اثني عشر الف جمل جدك هذا غرَّمني هذه الغرامة ولولاك للعنتُ الساعة التي امتزج بها دمي بدمهِ

حواء — لا تقلْ ذلك يا ابي بل ارسل اخبرهُ بواقعة الحال وانا واثقة انهُ يغضي عن طلب الفكاك ويندم على ما فعل

ابوها — ما اقلَّ معرفتك بهِ فاعلمي اني انا وهو على طرفَيْ نقيض هو يكرهني وانا اكرههُ ولم نجتمع الاَّ افترقنا على خلاف واني افضل دفع الفكاك كلهِ من مالي ولا اطلب منهُ معروفاً. ولكن كيف ادفع الفكاك من مالي وفي هذا الشاب الانكليزي من الكبرياء والعتو ما جعلهُ يهجم على الاعداء وحدهُ في مضيق مملوءٍ بالرجال والبنادق. اتظنين انهُ يقبل ان يفتدى بمال رجل يهودي. ما اقل ما تعرفينهُ عن الانكليز فانهُ لا شعب في الدنيا اشدُّ منهم انفةً وعتوًّا وعناداً فانهم يسكنون جزيرة يغطيها الضباب ويأكلون اللحم النيء ويشربون النبيذ المثلث ويضحكون على آبائهم . وامراؤهم يقضون اوقاتهم في الصيد والقنص وهم اقوياء اغنياء كالملوك والبلاد كلها في يدهم واذا نفدت اموال رعاياهم نهبوا ملوك الهند

حواء — ولكنك تقول ان هذا الشاب على جانب من التقوى والورع

ابوها — نعم كذا قيل لي ولكن ما هو غرضهُ من المجيء الى هنا فاني اعرف تابعهُ الذي كان مأسوراً معهُ واتى ليأخذ فكاكهُ وهو من خدام الصيدوني ونحن نعرف مقاصد ذلك الرجل العظيم ويظهر من ارسالهِ خادمهُ مع هذا الشاب انهُ يهتم بامرهِ اهتماماً عظيماً فلا يخلو الامر من مقاصد اخرى . لعنة الله على ذلك اليوم لعنة الله ثلاثاً

حواء — ليس هذا شأنك يا ابي ولا يليق هذا بحكمتك وشهرتك. هلمَّ نرَ الرجل الذي تقول انهُ تابعهُ ونسألهُ عنهُ ونبحث في الامر فاني ارجو ان نجد لنا منهُ منفذاً

حقائق احصائية

اتمَّ علماء الاحصاء بحثهم عن احوال الامم في العام الماضي من حيث الزراعة والصناعة والتجارة وسائر الاعمال والملابسات ونشروا خلاصاتهِ في الكتب والمجلات فنقلنا عنهم الفوائد التالية لانهُ يعتمد عليها في كثير من المباحث النظرية والعملية . وما من احد يجد في مطالعة جداول الاحصاء لذَّةً او فكاهةً ولكن الباحث في امور الامم لا بدَّ لهُ من الرجوع اليها والاعتماد عليها . وسنختار منها ما هو اعمُّ فائدةً من غيرهِ

(١) الذهب المستخرج من الارض سنة ١٨٩٩

		بالاوقية	بالجنيه الانكليزي
اوربا	من النمسا	٠٠٤ ٩٣٥	٠٠٢٠ ٩١٠
	" المجر	٠٩٨ ٦٤٥	٠٤١٧ ٩٩٣
	" فرنسا	٠٠٨ ٨٧٤	٠٠٣٧ ٦٠٣
	" المانيا	٠٩٥ ٧١١	٠٤٠٥ ٥٦٢
	" ايطاليا	٠١٠ ٥٨٨	٠٠٤٤ ٨٦٧
	" نروج	٠٠٠ ٤٩٨	٠٠٠٢ ١١١
	" روسيا	١ ١٦٤ ٦٠٣	٤ ٩٣٤ ٨٣٠
	" اسبانيا	٠١٣ ٢٧٩	٠٠٥٦ ٢٦٨
	" اسوج	٠٠٥ ١٤٤	٠٠٢١ ٧٩٥
	" تركيا	٠٠٠ ٣٨٦	٠٠٠١ ٦٣٥
	" بريطانيا	٠٠٠ ٣١٤	٠٠٠١ ٣٣١
اسيا	" الصين	٣٢١ ٢٩٣	١ ٣٦١ ٤٤٤
	" الهند	٤١١ ١٠٦	١ ٧٤٢ ٢٠٧
	" اليابان	٠٣٤ ٥٠٩	٠ ١٤٦ ٢٢٦
	" كوريا	٠٥٢ ٩٢٧	٠ ٢٢٤ ٢٧٠
	" ملقا	٠٢٥ ٠٠٠	٠ ١٠٥ ٩٣٣
	" بورنيو	٠٠٤ ٨٣٨	٠٠٢٠ ٥٠٠

اميركا الشمالية	من الولايات المتحدة الاميركية	٣ ٥٠٦ ٦٧٩	١٤ ٨٥٩ ٠٢٦
	" كندا	٨٧٢ ٢٢٧	٣ ٧٠٠ ١٦٦
	" نيوفوندلند	٠٠٣ ٠٠٠	٠٠١٢ ٧١٢
	" بلاد المكسيك	٤٤٨ ٧٨٣	١ ٩٠١ ٨٥٧
	" اميركا المتوسطة	٠٢٥ ٣٩٩	٠١٠٧ ٦٢٥
	" بلاد الفضة (ارجنتينا)	٠١٥ ٢٣٥	٠٠٦٤ ٥٥٦
اميركا الجنوبية	" بوليفيا	٠١٦ ٥٧٦	٠٠٦٨ ١٢١
	" برازيل	١٢٢ ٤٨١	٠٥١٨ ٩٩٦
	" شيلي	٠٦٨ ١٠٢	٠٢٨٨ ٥٦٢
	" كولمبيا	١٧٩ ٠٠٣	٠٧٥٨ ٥٠٠
	" يوكادور	٠٠٦ ٤٠٥	٠٠٢٧ ١٤٢
	" غينيا	١٨٥ ٥١١	٠٧٨٨ ٢١٧
	" بيرو	٠٠٩ ٩٥٨	٠٠٤٢ ١٩٤
	" اروغواي	٠٠١ ٨٦٣	٠٠٠٧ ٨٩٤
	" فنزويلا	٠٣٩ ٣٨٤	٠١٦٦ ٨٨٤
افريقية	" الترنسفال	٣ ٥٣٦ ٩٤٥	١٤ ٩٨٧ ٢٧٣
	" روديزيا	٠٥٣ ٧٤٧	٠٢٢٧ ٧٤٥
	" الشاطئ الغربي	٠٣٤ ٨٤٥	٠١٤٧ ٦٥٠
	" مدغسكر	٠١٩ ٣٥٢	٠٠٨٢ ٠٠٠
استراليا	" استراليا	٣ ٧٧٧ ٥٥٩	١٦ ٠٠٦ ٨٤٥
	المجموع	١٥ ١٧٥ ١٨٤	٦٤ ٣٠٩ ٤٥٠

اي بلغت قيمة الذهب الذي استخرج من الارض في العام الماضي اكثر من ٦٤ مليونًا من الجنيهات وبلغت في العام الماضي ٥٧ مليونًا فزادت نحو سبعة ملايين من الجنيهات وكان المستخرج من بلاد الترنسفال سنة ١٨٩٨ نحو ١٦ مليونًا فبلغ في العام الماضي اقل من ١٥ مليونًا . واكثر الزيادة من استراليا فقد كان المستخرج منها سنة ١٨٩٧ عشرة ملايين فبلغ سنة ١٨٩٨ اثني عشر مليونًا وسنة ١٨٩٩ ستة عشر مليونًا

(٢) غلة القمح في الدنيا سنة ١٨٩٩

القارة	البلاد	الغلة	البلاد	الغلة
اوربا	روسيا	٣٤٣ ٧٥٠ ٠٠٠	بلجكا	٠٢٠ ٦٢٥ ٠٠٠
	فرنسا	٣٣٦ ٠٥٠ ٠٠٠	الصرب	٠٠٨ ٢٥٠ ٠٠٠
	النمسا والمجر	٢٠٢ ٨٧٥ ٠٠٠	الروملي	٠٠٧ ٧٠٠ ٠٠٠
	ايطاليا	١٢٣ ٧٥٠ ٠٠٠	البرتغال	٠٠٧ ٤٢٠ ٠٠٠
	المانيا	١٠٤ ٥٠٠ ٠٠٠	هولندا	٠٠٥ ٥٠٠ ٠٠٠
	اسبانيا	٠٩٦ ٢٥٠ ٠٠٠	اليونان	٠٠٤ ٩٥٥ ٠٠٠
	انكلترا	٠٦٦ ٠٠٠ ٠٠٠	الدنمرك	٠٠٣ ٨٥٠ ٠٠٠
	تركيا	٠٣١ ٦٢٥ ٠٠٠	سويسرا	٠٠٣ ٨٥٠ ٠٠٠
	رومانيا	٠٢٨ ٨٧٥ ٠٠٠	اسوج	٠٠٣ ٣٠٠ ٠٠٠
	بلغاريا	٠٢٢ ٠٠٠ ٠٠٠	نروج وغيرها	٠٠٢ ٢٠٠ ٠٠٠
ومجموع اوربا		١ ٤٠٣ ٣٢٥ ٠٠٠		
اميركا	الولايات المتحدة	٥٠٨ ٧٥٠ ٠٠٠	كندا	٠٦٦ ٠٠٠ ٠٠٠
	ارجنتينا	٠٦٨ ٧٥٠ ٠٠٠	شيلي	٠١٥ ٦٧٥ ٠٠٠
ومجموع اميركا		٠٦٥٩ ١٧٥ ٠٠٠		
اسيا	الهند	٢٢٩ ٦٢٥ ٠٠٠	ايران	٠١٧ ٨٧٥ ٠٠٠
	اسيا الصغرى	٠٣٠ ٢٥٠ ٠٠٠	سوريا	٠٠٨ ٢٥٠ ٠٠٠
ومجموع اسيا		٢٨٦ ٠٠٠ ٠٠٠		
افريقية	الجزائر	١٧ ٢٢٥ ٠٠٠	تونس	٠٤ ١٢٥ ٠٠٠
	مصر	١١ ٥٥٠ ٠٠٠	مستعمرة الراس	٠٤ ١٢٥ ٠٠٠
ومجموع افريقية		٠٣٧ ١٢٥ ٠٠٠		
استراليا				٠٥٢ ٢٥٠ ٠٠٠
والمجموع من المسكونة كلها				٢ ٤٣٧ ٨٧٥ ٠٠٠

اي نحو ٢٥٠٠ مليون بشل او نحو ٤٧٠ مليون اردب بالارادب المصرية وذلك لو قسم على الناس الذين يعتمدون على الحنطة في خبزهم لحصَّ النفس منهم اردب

(٣) موسم الحرير في المسكونة

اسيا	الصين وشنغاي	١١ ٤٦٦ ٥٣٠	رطلاً (ليبرة)
	كنتون	٠٥ ٣٨٩ ٦٠٠	" "
	اليابان	٠٧ ٣٧٠ ١٨٠	" "
	الهند	٠٠ ٨٠٩ ٧٥٠	" "
اوربا	ايطاليا	٠٦ ٢٦٤ ٦٥٠	" "
	بقية اوربا	٠٢ ٣٠٣ ١٨٠	" "
	سورية	٠٢ ٣٤٩ ٤٧٠	" "
	والجملة	٣٥ ٨٥٣ ٣٦٠	" "

(٤) الغنم والبقر في المسكونة

	الغنم	البقر
ارجنتينا	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٢ ٠٠٠ ٠٠٠
استراليا	١١٦ ١٥٤ ٠٠٠	١٢ ٦٨٢ ٠٠٠
الولايات المتحدة	٠٤٥ ٠٤٨ ٠٠٠	٥٣ ٠٩٦ ٠٠٠
روسيا	٠٤٤ ٤٦٥ ٠٠٠	٢٤٦ ٠٩ ٠٠٠
بريطانيا	٠٣١ ٧٦٥ ٠٠٠	١١ ٢٠٣ ٠٠٠
فرنسا	٠٢٠ ٢٧٦ ٠٠٠	١٢ ١١٥ ٠٠٠
جنوب افريقية	٠٣٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٥ ٠٠٠ ٠٠٠
المانيا	٠١٣ ٥٠٠ ٠٠٠	١٧ ٥٥٦ ٠٠٠
كندا	٠٠٨ ٨٥١ ٠٠٠	٠٣ ٨٢٦ ٠٠٠

(٥) بوارج الدول الحربية

كانت بوارج الدول الاوربية الاربع الكبرى في شهر مارس الماضي على ما في هذا الجدول

	انكلترا	فرنسا	روسيا	المانيا
البوارج من الطبقة الاولى	١٧	١١	٠٥	٠
" " الثانية	٣٠	٢٠	١٥	٨
" " الثالثة	١١	٠٧	٣	٨
الطرَّادات المدرعة	٠٩	٠٧	٢	٠

	انكلترا	فرنسا	روسيا	المانيا
حاميات الشواطئ	١٣	١٣	١٣	١٩
الطرادات المحمية طبقة اولى	٢١	٠٦	٠	٠
" " ثانية	٢٤	١٧	٣	٨
" " ثالثة	٥٤	١١	٣	٥
مدفعيات التربيد	٣٣	٢٢	٩	٨
متلفات السفن	٩٦	٢	٧	٠
قوارب التربيد طبقة ١	١١	٤٢	٣٩	٣٥
" " ٢ و٣	١٧١	٢٢٢	١٥١	١٠٣
قوارب تسير تحت الماء	٠	٤	٠	٠

والاعتماد الاكبر على البوارج والطرّادات المدرعة والمحمية . وقد ذكر في هذا الجدول السفن الحربية الجديدة التي تصلح للحرب واهمل منهُ كل السفن الحربية القديمة ولو كانت بوارج من الطبقة الاولى

الشوقيات

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

ظهرت الشوقيات فانبرى لها الكتبة والشعراء والادباء بين مادحٍ ومقرظٍ ومنتقدٍ ومطريء وكان بين هؤُلاء نفرٌ ممن يتأبط اللسان والاساس والصحاح والقاموس فنقبوا عن صحة الفاظها وبحثوا في صاحبها أشاعرٌ هو ام شاعرٌ وناثرٌ معاً . وتلقت الجرائد والمجلاَّت الشوقيات بعد ان انتظرتها بذاهب الصبر فاحلتها محلها وانزلتها مكاناً رفيعاً

على ان صاحب الشوقيات لم يمثلها للطبع كي يدفعها الى الشعراء فقط ولا الى متأبطي اللسان والاساس وانما اتحف بكتابهِ جمهور القراء واكثرهم غير شاعر بدليل ما جاء في الديوان من الاقاصيص المنظومة وما وضع فيهِ عمداً للصغار وما فيهِ من وصف الحياة البيتية مما هو موجه الى عامة القراء لا الى خاصتهم وهو عذري في هذه الرسالة فاني منتقد الشوقيات لا كشاعر لان بضاعتي في هذه الصناعة مزجاة لكن الشوقيات خلت في البال أثراً لا بأس من رسمهِ على صفحات الاوراق بعد ان نقش على صفحات القلوب اذ المناظر يختلف جمالها بتباين موقف الناظر اليها وتستجلي العين دقائقها بتنقل الرائي

ورثنا الشعر عن شعراء الجاهلية فخراً وغزلاً ومدحاً وهجاء وجداً وهزلاً ورثاء ووصفاً وحكمة وامثالاً وتوجعاً وتحسراً كما اشار اليهِ صاحب الشوقيات في صدر ديوانهِ. ولم نزل نصبو الى الشعر ونعجب بقائليهِ حتى ان جمهورنا ليطرب اذا سمع الكلام الموزون لما في اوزان الشعر العربي من حسن التقطيع وجمال التوقيع فكأن الموسيقى مدفونة في اجزائهِ تكاد تبعث اذا لفظت تلك الاجزاء فاذا تغنيت بها هبت كاسية حلة الحياة

لكننا لم نتَّجر بارثنا ولم نتطلب نموهُ فالشاعر العربي في القرن التاسع عشر لا يزال يحدي الابل ويبكي لهبوب ريح الحجاز ويترنح لذكر الرقمتين فتبدو لهُ المركبات الحديثة في صور هوادج البدو و يرى في الاهرام اطلال الاحياء فلا يريد ان يعلم سوى ما علمهُ امرؤُ القيس وشركاؤُهُ اذ يخال الابتعاد عن خطتهم حطة من قدر الشعر ودليلاً على عدم تضلع ناظمهِ من فصنعنا للشعر قالبًا من حديد ضممناهُ قرائحنا وخطرات افكارنا كما يفعل اهل الصين باقدام بناتهم فلا القالب يتسع ولا الرجل تنمو والنتيجة واحدة في الحالين اعجاب في غير محلهِ وانحطاط حيث يجب النموّ والقوة ولكم من شاعر عربي في الزمان الحاضر يأنف ان يعزى اليهِ هذا البيت

تقول بابا انا دحًّا وهو كخ   معناهُ بابا لي وحدي وما طيخ

بين ان الكثيرين من الاباء والامهات يفرحون لدى قراءتهم القصيدة التي منها هذا البيت اذ يرون فيها ما يمثل افعال اطفالهم واخلاقهم وهم اعز ما وهبهم الله تمثيلاً يعجز عنهُ المصورون. على ان صاحب هذا البيت وهذه القصيدة هو راثي اسمعيل باشا الخديوي الاسبق بمثل ما لم يرثَ بهِ امير في قصيدتهِ التي مطلعها

حلم مدّهُ الكرى لك مدَّا   وسدى ترتجي لحلدك ردَّا

فشاعر الشوقيات ضرب في سبل تحاماها الشعراء اما جهلاً منهم بها وخوفاً من الضلال فيها او استخفافاً ومحافظة على القديم ان يلمَّ بهِ تغيير يذهب بقيمتهِ فكأن الشعر في عيونهم بقايا القوم الاول مما تراهُ في هياكل لقصر و كرنك يجوز تقليدهُ ولكن يحرَّم تبديلهُ وفاتهم ان الشعر يتغير بتغير البلدان واختلاف طبائع الامم و يرافقها في احوالها المتباينة فهو طوراً في مقام واصف ابهة الملك وعزة البلاد وتارة في مقام المفاخر بما خلفهُ الاباء والاجداد وآونةً يمثل عظمة الطبيعة وجمالها وحيناً يعكس في عين المرء او الشعب صورة اخلاقهِ وارائهِ . تلك غاية الشعر والاَّ فاذا اقتصر على تشبيه الممدوح بالبحر والسحاب والشمس والقمر وعلى تعداد الزلازل والنوازل التي انتابت الارض لوفاة من لا يعرفهُ الاَّ اهل بلدهِ كان الشعر صناعة حقيرة جداً لكنهُ اذا تطالَّ الى السموات العلى وركب متن السحاب وجاب مخادع النفس والقلب فنظر

في هذا وذاك وجاء المعاني الجديدة المبتكرة او البس المعروف منها ثوبا قشيبًا فاخلق بهِ ان يستظهرهُ الفتيان ويقبل على قراءتهِ الكهول والشبان ويرتاح اليهِ الشيوخ ذلك ما يراد بالشعر وذلك ما نطالب بهِ الشعراء

ولو جُمع اكثر ما قيل في هذا العصر من الشعر العربي في مصر وسائر الديار العربية لأُلفي من النوع الاول الاَّ قصائد يحرص عليها أُولو الذوق حرص الشحيح على مالهِ وقليل ما هي

وقد قرأتُ وانا في ارض الشام نتفًا من شعر احمد بك شوقي بقيتُ بعدها اتشوف الى غيرها من نظمهِ حتى اعلن عزمهُ على طبع ديوانهِ فانتظرت في جملة من انتظر وانا احسب الكتاب لن يصدر فلما تلقيتهُ اتخذتهُ رفيق السهر وانيس السمر فاجلى لي عن دُرَرٍ حبذا هي من درر فان لم يكن فيهِ الاَّ قولهُ في الذكرى

يا غاب بولون ولي ذمم عليك ولي عهود
زمن تقضى للهوى ولنا بظلك هل يعود
حلم اريد رجوعهُ ورجوع احلامي بعيد
وهب الزمان اعادها هل للشبيبة من يعيد

او قولهُ في وصف عبد الازل باشا

فقيل أَنلْ اقدامك الارض انها ابرُّ جوادًا ان فعلت وانجبُ
فقال أَيرضى واهب النصر اننا نموت كموت الغانيات ونعطبُ
ذروني وشأني والوغى لا مباليًا الى الموت امشي ام الى الموت اركبُ
أيحملني عمرًا ويحمي شبيبتي واخذلهُ في وهنهِ واخيبُ
اذا نحن متنا فادفنونا ببقعة يظلُّ بذكرانا ثراها يطيَّبُ
ولا تعجبوا ان تبتلى الخيل انها لها مثل ما للناس في الموت مشربُ

فقد جمع الرجل في هذه الابيات من وصف البأس وثبات الجاش وحفظ الولاء وعدم الرهبة من الموت مع شدة الايقان بالله وحسن الخبرة بالاخلاق حتى اخلاق الحيوان ما يشهد لهُ بطول الباع وبعد النظر كل ذلك بالكلام الطيب لا يشوبهُ شيءٌ من التعقيد والابهام

او قولهُ في وصف الشمس

هي الشمس كانت كما شاءها ممات القديم حياة الجديد
تردُّ المياه الى حدّها وتبلي جبال الصفا والحديد
وتطلع بالعيش او بالردى على الزرع قائمة والحصيد

وتسعى لذا الناس مهما سعت بخير الوعود وشرّ الوعيد
وقد تتجلى اذا اقبلت بنعمى الشقيّ وبؤس السعيد
وقد تتولى اذا ادبرت وليست بمأمونة ان تعود
فما للغروب يهيج الاسى وكان الشروق لنا ايّ عيد

هذا من العلم والحكمة والحقائق وحكاية العواطف في سبعة أبيات من الشعر لا غبار على رصفها ولا على نسب ألفاظها . او قولهُ في بداءة الحب ونموهِ

نظرة فابتسامة فسلامٌ فكلام فموعد فلقاء

فقد فضل التلمساني في بيتهِ المشهور

رأى لحبّ قوام الوصل فامتنعوا فسام صبرًا فاعيي نيلهُ فقضى

فان الاول اقرب الى الحقيقة مما يراهُ الناس كل يوم وما يمارسهُ اهل الحب وادعى الى الآداب بما خلص فيهِ من شائبة الطهارة في الحب ولا حاجة بي الى القول ان البيت يسيل رقة وعذوبة . او قولهُ في الانقاد

ارى زمرًا مشيعة واسمع ايما صوت
ولو عقلوا لما فعلوا جلال الموت في الموت

ولا اتولى ايراد الشواهد والامثلة مما يصح اقتباسهُ من هذا الشعر النفيس فان فعلت ضاقت هذه المجلة عن ان تسعها وانما اشير بعد الى قصيدتين اولاها الهمزية في تاريخ حوادث وادي النيل فقد دلّ بها على مقدرة تبشرنا انهُ يضع قصيدة تمثل حادثة عظيمة مما يسمى في الانكليزية Epic وفي الفرنسوية Epique كالالياذة والفردوس المفقود والانفرنو وغيرها او كالقصيدة الهندية التي عرب خلاصتها الوجيه الخواجه ديمتري خلاط عن الفرنسية ونشرها المقتطف في المجلد الحادي عشر

والقصيدة الثانية التي عنوانها "اثر البال في البال" وحسبها ما قالهُ فيها المرحوم الشيخ الليثي

وقد قسم ابن الاثير شعر المتنبي اقساماً خمسة وقال في عرض النظر فيها انهُ كان يخلق باحمد انهُ كان يضرب عن نشر شعر صباه اذ جلب عليهِ نقد الناس ولومهم . ومن يراجع الشوقيات يرَ منظومات صاحبها ايام الصبا فيشعر انها ليست من طبقة ما نظمهُ في الخمس الأُخَر من سني الديوان خذ مثلاً لذلك قصائدهُ في مدح المغفور لهُ الخديوي السابق من مثل قولهِ

سفر الحبيب فقلت يا عين انظري وتنزهي في حسن ذاك المنظر

وقولهِ هي الجزيرة فاحذر فتنة النظر وكيف والحب يأتي غير منتظر

لكنهُ احسن اذ اثبتها لان في اثباتها فائدة للمطالع فيرى بالمقابلة مبلغ نموّ ملكة الشعر في صاحب الشوقيات بعد ان يتضح لديهِ من قصائد الصبا هذه ان الرجل شاعرٌ مطبوع تزيد الايام ما يقول تهذيباً وحسناً وبهاء

والشوقيات جامعة لامرين تشارك في الواحد منهما خير اشعار العرب في الابواب المشهورة كالمدح والرثاء والفخر والوصف وطبقتها في هذه عالية . وتنفرد في الثاني عن المعروف من الاشعار العربية في كثير من الابواب. ولا ريب ان هذا الانفراد يجعلها محلاً رفيعاً في عيون القوم من المصريين خاصة والناطقين بالضاد عامة . والذي يظهر لي ان صاحب الشوقيات ذاق لذة الحياة البيتية ودرس اخلاق الصغار فاستطاع ان يفتح للشعر العربي باباً كان مقفلاً . ولا ادلُّ على سلامة ذوقهِ من افتتانهِ بجمال الطبيعة وتقديرهِ ذلك الجمال قدرهُ وحسن وصفهِ اياهُ وقصائدهُ في ابنتهِ وابنهِ على اختلاف مغازيها ومواضيعها شاهد عدل على صحة ما اقول

ولا ريب في ان مقامهُ في باريس زمناً اثر في طباعهِ واخلاقهِ بما فيها من الميل الى الشعر فرأى هناك ما لا يراهُ الشاعر العربي عادةً وقد زاد في ذلك الاثر وقوفهُ على الشعر الاجنبي كما يتضح من بعض تشابيهِ وتلميحاتهِ ولا يعاب ذلك فيهِ فالحكيم يلتقط الدرر ولو من مزبلة فكيف بها وهي في خزانات اصحاب التمدن والعلم وانما يعاب على الانسان تمسكهُ بالتقليد وهو يرى في الخروج عنهُ فائدة وفي كسر قيودهِ نفعاً وكسباً للناس . ولا تعزى اليَّ المغالاة في نقدي الديوان فالشعر عزيز المطلب عزيز المثال والاَّ فالنظم سهل والناظمون كثيرون لكن الشعراء في العالم معدودون فان امة الانكليز الغنية بالتقاليد و بالمعارف والمشهورة بشدة ميل افرادها الى المطالعة والدرس والمعروفة بانتشار العلوم والآداب في بلادها وقفت وقفة الحائر يوم مات شاعرها المكلل تنيسون لا ترى من تقيمهُ مقامهُ ولا تدري ما تفعل ولم يقع الانتخاب على المستر اوستن الاَّ لانهُ خير الموجود لا لانهُ يناظر سلفهُ او يماثلهُ شعراً وحسن منظوم

وصاحب الشوقيات من الشعراء الذين ادركوا للوطنية معنى فاما من سلف من شعراء الجاهلية فلم يتعدوا وصف القبيلة التي ينتمون اليها. هذا كان مبلغ الوطنية فيهم فلم يفد هذا الحرف عندهم مفاده في هذه الايام واما في الاسلام فلان الشعراء الفوا في الدين جامعة اشد ربطاً من جامعة الوطنية فمن منهم المَّ بشيء من الحض على الاتحاد اتاهُ على هذا السبيل الاَّ افراداً من شعراء الاندلس فقد كان بينهم من رأى في بلادهِ من الجمال والحسن ما حملهُ على تفضيلها على سائر بلدان الله لكن لفظة الوطنية لم تصل الى ما نفهمهُ منها الاَّ حديثاً ولصاحب الشوقيات ان يزيد قراء شعرهِ ما شاء في هذا الباب اذ الشعر فيهِ عزيز نادر والامة في حاجة اليهِ

انما يعاب في الديوان تغلب المديح فيهِ على سائر ابوابهِ ولعل لصاحبهِ عذراً في ذلك بان مقامهُ من حيث هو شاعر الامير يقضي عليهِ بطرق هذا الباب والاَّ ففي مقدمة الكتاب ما يشير الى انفتهِ من اتخاذ المدح خطة لهُ وغاية يضرب اليها . ومن ينظر في قصائدهِ من هذا النوع يلقَها على الغالب في اهل البيت العلويّ ان لم تكن في الخديويين منهم وانما كان يحسن بهِ لو اسقط منها شيئًا وابقى على شيء فالناس باتواوقد سئموا قراءة المديح ولو كان من اعلى طبقات الشعر والممدوح من اعلى طبقات القوم . وحبذا شعرهُ من مثل قصيدتهِ البائية في وصف البال التي يقول في مطلعها

حفَّ كاسها الحبب فهي فضة ذهب

او ما كان من باب القصيدة الهمزية التي اشرت اليها آنفًا

اما قصيدتهُ البائية في وصف الحرب بين الاتراك واليونان فمما لا يخجل منهُ ابو الطيب المتنبي لولم يكن فيها ما يؤاخذ عليهِ . وقد تقدَّم للمقتطف الاغرّ انتقاد هذه القصيدة يوم ظهرت . اما التاريخ (ويراد بهِ اللفظ الدال بحساب الجمل على تعيين الوقت) فليس لهُ فيهِ القدح المعلَّى كما في غيرهِ من ضروب الشعر خذ مثلاً قولهُ مؤرخًا جلوس الامير

جئتها راقيًا فيا عصر ارّخ جاء عباس مصرنا في ارتقاء

وقولهِ يا رب هذا القبر في سامي حماك وفي حنانك

حسبت عليك فارخوا حرم المفتش في جنانك

ولكن يقال في هذا المقام ان التاريخ صناعة لا تدل على مبلغ صاحبها من الشعر . وقد احسن صاحب الشوقيات بتنكيبهِ عنها فانها قتل للوقت اللهمَّ الاَّ اذا كان هنالك نكتة او تلميح الى آخر ما يستملح في تدوين تاريخ الحوادث والاعمال في شطر بيت او اقل من شطر

وهنا انتقل من انتقاد الكتاب من حيث هو مجموعة اشعار الى الكتاب من حيث هو مجلد يتداولهُ الناس ويتخذونهُ مؤنسًا وجليسًا لهم في اوقات الفراغ فقد كان الاولى بصاحبهِ ان يحسن طبعهُ ويضبط الفاظهُ بالشكل اذ يعسر على غير الراسخين في العلم والشعر قراءة القصيدة اوالقصيدتين لاول مرة وتفهمها لما يقع في القراءة من الالتباس ولا فائدة من توجيه النظر الى الطبعة الاولى فهذه طُبعت وظهرت وانما يؤمل عند نفاد نسخها ان يراعى ما ذكر في الطبعة الثانية فتظهر كاسية حلة عربية بهية تسهل قراءتها على الجميع فيزيد في نفع الكتاب وفي رغبة القوم في اقتنائهِ وبلازم النموّ النمو والارتقاء الارتقاء حتى نرى نسخًا من هذا الديوان تزين بها خزائن الكتب كما تزين بها خزائن العقول

الاسكندر ذو القرنين

رجوعهُ الى بابل وموتهُ

تركنا الاسكندر في الجزء الماضي وقد أتمَّ تدويخ ما دوَّخهُ من الهند وقصد العودة الى بلاد فارس بطريق بلوخستان فردَّ ثلث جنودهِ الى بلادهم بطريق قندهار وسار هو في طريق الساحل بنحو ثلاثين ألفاً وامرَ بقية جنودهِ ان توافيهُ في السفن بحراً . وقد ذكر مؤرخو العرب انهُ ذهب الى بلاد الصين قبل مغادرتهِ الهند قال ابن الاثير ان الاسكندر سار الى بلاد الهند فقتل ملكها وفتح مدنها وخرب بيوت الاصنام واحرق كتب علومهم ثم سار منها الى الصين فلما وصل اليها اتاهُ حاجبهُ في الليل وقال هذا رسول ملك الصين فاحضرهُ فسلم وطلب الخلوة ففتشوهُ فلم يروا معهُ شيئاً فخرج من كان عند الاسكندر فقال انا ملك الصين جئت أسألك عن الذي تريدهُ فان كان مما يمكن عملهُ عملتهُ وتركت الحرب فقال لهُ الاسكندر ما الذي آمنك مني. قال علمتُ أنك عاقل حكيم ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا دخل وأنت تعلم انك ان قتلتني لم يكن قتلي سبباً لتسليم اهل الصين ملكي اليك ثم انك تُنسَب الى الغدر. فعلم انهُ عاقل فقال لهُ اريد منك انتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلاً ونصف الانتفاع لكل سنة قال قد اجبتك ولكن اسألني كيف يكون حالي قال قل كيف قال اكون اوَّل قتيل لمحارب واول اكلة لمفترس قال فان قنعتُ منك بانتفاع سنتين قال يكون حالي اصلح قليلاً قال فان قنعتُ منك بانتفاع سنة قال يبقى ملكي وتذهب لذاتي قال وان كنت اتركك لك ما مضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك قال يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لي والثلث للعسكر والثلث لك. قال قد قنعت منك بذلك فشكرهُ وعاد وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الاسكندر فركب الاسكندر والناس فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسهِ التاج فقال لهُ الاسكندر أغدرت. قال لا ولكني أردت ان تعلم اني لم اطعك من ضعف ولكني لما رأيت العالم العلوي مقبلاً عليك اردت طاعتهُ بطاعتك والقرب منهُ بالقرب منك فقال لهُ الاسكندر لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بيني وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردتهُ منك وانا منصرف عنك فقال لهُ ملك الصين فلست تخسر وبعث اليهِ بضعف ما كان قررهُ معهُ وسار الاسكندر عنهُ من يومهِ ودانت لهُ عامة الارضين في الشرق والغرب وملك التبت وغيرها . انتهى

ولم يذكر ابن خلدون هذه القصة ولا ذكرها احد من المؤرخين الاوربيين في ما نعلم ولكن كثيرين من القصاصين رأوا في سيرة الاسكندر باباً واسعاً للوضع والتصنيف فكتبوا قصصاً حشوها بالغرائب والمختلقات ولا يبعد ان تكون قد وصلت الى كتّاب العرب فنقلوا عنها بعض ما رووهُ عن الاسكندر ولا ذكرَ لهُ في كتب المؤرخين الموثوق بهم

هذا ولنعد الى وصف ما لقيهُ الاسكندر في رجوعهِ من الهند الى بلاد فارس فنقول نقلاً عن الاستاذ هوبلر الاميركي والعلاّمة نيبور الالماني

سار الاسكندر بنحو ثلاثين الفاً من رجالهِ متبعاً طريق الساحل فلما كانت البلاد آهلة اضطرَّ ان يحارب اهلها لكي يستطيع السير فيها حتى بلغ مفازة مكران على ساحل بلوخستان وهي اشد المفاوز حرًّا واقلها ماء وكان همُّهُ الوحيد في اول الامر ان يجمع المؤَن ويضعها على الشاطىء ويحفر الآبار بجانبها حتى اذا وصلت السفن اليها وجدت فيها طعاماً وشراباً فلما اتسعت المفازة امامهُ وبعُد عن المعمور لم يعد يجد طعاماً لرجالهِ ولا ماء لهم واشتدت حمارة الحر ودق الرمل في الكثبان حتى صار السير فيها شديد المشقة لان الماشي كان يغرق في الرمل الى ركبتهِ وبعث الروّاد امامهُ في كل جهة فعادوا اليهِ وقالوا انهم وجدوا بعض السكان عند شاطىء البحر طعامهم السمك لا غير وشرابهم من الماء الملح المتحلب من البحر وبيوتهم من عظام الحيتان وهم على غاية الذل والمسكنة

وكانت المياه تقلُّ بتقدُّمهم غرباً حتى صاروا يسيرون اربعين ميلاً او خمسين ولا يجدون نقطة ماء يطفئون بها ظمأَهم وخارت قواهم من الجوع وجعلوا ينحرون ما معهم من الدواب ويشربون دمها ويأكلون لحمها وعصت الجنود قوَّادها فصارت تفتح اكياس الحنطة ولو كانت مختومة بخاتم الاسكندر وتأكل ما فيها وتفك الدواب من المركبات التي فيها المرضى وتذبحها وتأكلها وتترك المرضى في القفر ليهلكوا

واشتد العطش بالاسكندر كما اشتدَّ بجنودهِ حتى خارت قواهُ وذات يوم وجد جنديٌّ قليلاً من الماء في منخفض من الارض فجمعهُ بخوذتهِ واتاهُ بهِ فلم يشربهُ بل صبَّهُ امام جنودهِ على الارض لكي لا يميز نفسهُ عليهم. ستون يوماً من ايام الشدة والضيق لم يرَ احد من الاوربيين مثلها في تلك المفازة غير واحد وهو الملازم بوتنجر الانكليزي . واخيراً وصل واحة فورا بمن بقي معهُ من رجالهِ وهم نصف الذين ساروا معهُ في تلك المفازة وصلوا وهم على آخر رمق فاستراحوا هناك اياماً ولمّوا شعثهم وساروا الى قرمان فالتقوا بالجنود التي سارت بطريق قندهار ثم جاءتهم النجدات من بلاد مادي وبعث اليهم مرزبان ايران بالجمال محملة بالاطعمة والاطايب

فقرَّب الاسكندر ذبائح الشكر للآلهة لانها غلَّبتهُ على بلاد الهند ونجتهُ من الهلاك في تلك المفازة واحتفل بذلك احتفالاً عظيمًا

ثم وصلت السفن بمن فيها الى المكان المسمى الآن بندر عباس بعد ان لقوا الشدائد من اضطراب البحر وقلة الماء والزاد . وقد كتب نيرخس امير البحر رحلتهُ ووصف فيها ما شاهدهُ من غرائب الاوقيانوس الهندي . وقام الاسكندر من هناك وعاد الى السوس (شوشن القصر) وكان قد مرَّ عليهِ ضاربًا في بلدان المشرق ست سنوات وشاع مرارًا كثيرة انهُ قضى نحبهُ فيها فشقت بلدان كثيرة عصا الطاعة ولذلك كان عليهِ ان يرد الامن والنظام الى سلطنتهِ الوسيعة بعد ان كاد ظلها يتقلص منها فعزل ونصب وقاص وسامح حسب مقتضى الحال من غير ابطاء ولا تسويف . وكان شأنهُ تقليد المناصب للرجال وائتمانهم عليها واطلاق يدهم فيها فان احسنوا فلهم وان اساءوا اقتصَّ منهم من غير امهال اقتصاصًا يذهب الضرر ويجلب النفع كأنهُ يقتصُّ من الذنب لا من المذنب ويقصد الاصلاح لا الانتقام . ولم يكن يغير نظامًا قديمًا اذا وجدهُ صالحًا لغرضهِ ولكنهُ كان يضيف اليهِ التغيير الذي يشاءهُ كأنهُ يطعم غصنًا جديدًا في شجرة قديمة لكي ينمو فيها ولولا ذلك ما استطاع ان يغيب عن بلاد الفرس خمس سنوات او ستًّا وتبقى في طاعتهِ

وكان اسلوبهُ واحدًا في الغالب وهو ابقاء الملوك والولاة في مناصبهم وفصل الجيش عنهم ووضعهُ تحت امارة قائد خاص يرجع في امورهِ الى الاسكندر مباشرة لانهُ كان قائدًا عامًا للجيوش كلها . وفصل المدن الكبيرة عن الاقاليم المجاورة لها واعطاها نوعًا من الاستقلال كما في مدن اليونان فوقعت المناظرة بينها وبين الاقاليم وضعفت سلطة الملوك والولاة فلم تعد كلمتهم تجتمع عليهِ وقويت سلطة الشعب لان سكان المدن يرون في نفوسهم القوة والعزَّة ويتناصرون في الدفاع عن مصالحهم العامَّة وهذا هو النظام اليوناني الذي ادخلهُ الاسكندر الى بلدان المشرق

ولم يكد بالهُ يطمئن بعد رجوعهِ الى السوس حتى ظهرت فيهِ آثار الاكرام والاحترام للمشرق وعادات اهلهِ فانهُ دخلهُ محاربًا ظافرًا ولكنهُ لم يغمض عينيهِ عما رآهُ فيهِ من الحسنات من الوئام بين طوائف مصر والانتظام في ممالك الفرس والبسالة عند رجال بخارا وذلك كله يفوق ما كان عند اليونان بمراحل فعزم ان يمزج عمران المشرق بعمران المغرب ويؤلف بينهما وقوي فيهِ هذا العزم رويدًا رويدًا بمرور الايام . لكن رجالهُ المكدونيين لم يكونوا من رأيهِ بل كانوا يزعمون ان الغالب يجب ان يبقى غالبًا ولا يمتزج بالمغلوب كما يقول اكثر

الاوربيين في هذه الايام . وكان الفتح في عرفهم قهر الاعداء وتدويخ بلادهم ونهبها . وهو ليس فتحاً بمعناه الحقيقي بل هو غزو ونهب ولكنهم لم يدركوا ذلك بل حسبوا ان الاسكندر مال الى المشارقة وابقى امراءهم في مناصبهم عناداً منهُ واغضاباً لقومهِ

ولما عاد من بلاد الهند كان شغلهُ الشاغل تنظيم المملكة الواسعة التي فتحها وكان ارسطوطاليس قد وضع في ذهنهِ ان عقول اليونان اسمى العقول كلها ويجب ان تخضع لها كل الامم لكنهُ لما ضرب في بلدان المشرق ورأَى ما عند سكانهِ من معالم العمران وجد بالحس والمشاهدة ان ارسطوطاليس مخطئ في زعمهِ وان في المشرق من العقول الذكية ما لا تفوقهُ عقول اليونان وانهُ لا يليق افساد عمران المشرق وجلب العمران اليوناني اليهِ بل لا بدَّ من مزج الاثنين معاً والابقاء على عادات المشارقة واساليبهم . وهنا تظهر عظمة الرجل اكثر مما تظهر في قهرهِ الملوك وفتحهِ البلدان لان كثيرين يستطيعون التخريب والتدمير ولكن قليلين يستطيعون التعمير والتنظيم . وقد ماتت هذه العظمة بموت الاسكندر كما تموت حبَّة الحنطة ثم نمت ثانية في المملكة الرومانية الغربية والشرقية

ولما وصل الاسكندر الى السوس واراد الاحتفال برجوعهِ ورجوع جنودهِ غالبين غانمين عزم ان يلبس هذا الاحتفال حلة المزج الذي كان ينويهِ بين المشرق والمغرب فجمع خاصة قوادهِ والمقربين منهُ وهم اثنان وتسعون وطلب منهم ان يختاروا لهم زوجات من اشرف بنات الفرس واختار هو ستاتيرا ابنة داريوس الكبرى زوجةً لهُ وزُفت هؤُلاء الزوجات الى ازواجهنَّ في دار كبيرة وُضعت فيها الارائك قوائمها من الذهب والفضة وعليها فاخر الرياش المطرز بخيوط الذهب ومدَّت فيها الولائم ودام الاحتفال خمسة ايام جرت فيها الالعاب المدهشة وخُطبت الخطب البليغة وتغنى مشاهير الموسيقيين على آلات الطرب ورقص الكبراء والعظماء

قال اريانوس ان الاحتفال جرى على الاسلوب الفارسي فوُضعت العروش للرجال بعضها بجانب بعض ثم دخلت العرائس فاخذ كل رجل عروسهُ وقبَّلها واجلسها معهُ على عرشهِ مبتدئين من الاسكندر ثم نهض الاسكندر وخرج مع عروسهِ وتبعهُ رجالهُ وسار كل منهم بعروسهِ الى دارهِ . وكان مهر هؤُلاء العرائس كلهنَّ من الاسكندر . وامر ان تكتب اسماء كل المكدونيين الذين اختاروا لهم زوجات من بنات اسيا فوُجدوا عشرة آلاف فوهبهم كلهم هبات سنية واجزل عطاياهم

ثم امر المنادي ان ينادي قائلاً ان كل من كان عليهِ دين يكتب اسمهُ ومقدار ما عليهِ من الدين فيوفى عنهُ فلم يصدق رجالهُ ذلك بل حسبوهُ حيلة منهُ ليعلم من منهم اسرف

واستدان وبلغهُ قولهم فاستاء وامر ان يوفى دين كل من يطلب ايفاء دينهِ ولو لم يعرف اسمهُ فاوفى من الديون عن رجالهِ ما بلغ عشرين الف وزنة من الفضة . ثم وهب الهبات السنية للذين امتازوا في اعمالهم الحربية وألبس بعضهم تيجاناً من الذهب

ونظر في امر الجيش وكان رجالهُ المكدونيون واليونانيون ممتازين عن الفرق التي اضيفت اليهِ من اهالي اسيا فرأى ان لا بدَّ من ان يعود كثيرون من رجالهِ الى بلادهم واراد ان يقوّي العناصر الشرقية في جيشهِ ويجعل مقامها مثل مقام الجنود اليونانية فاختار ثلاثين الفاً من نخبة شبان المشرق وامر ان يعلموا الفنون الحربية على الاساليب اليونانية فكبر ذلك على اليونانيين والمكدونيين وحسبوا انهُ يقصد الاستغناء عنهم كلهم وجاهروا بذلك علانية فجمع رؤَساءهم وابان لهم فساد ظنونهم وبين الحكمة من استخدامهِ الشرقيين في الجيش وان ذلك يسهل عليهم العودة الى اوطانهم مشمولين بكرمهِ

فلم يصغوا الى كلامهِ بل قالوا لهُ قد استخدمتنا لما كنتَ محتاجاً الينا اما وقد قضيتَ لبانتك فانت تريد الآن ابعادنا عنك . فاما ان نمضي كلنا معاً او نبقى كلنا . واشتدَّ الهرج والمرج حتى كادت الفتنة تفشو في الجند كلهِ . وكان جالساً على دكة فنزل عنها سريعاً ودخل بين رجالهِ وجعل يقبض على زعماء الفتنة بيدهِ ويأمر ان يودعوا السجن فاخذتهم الدهشة وتملكهم الرعب ثم صعد الى الدكة ونظر اليهم وخاطبهم قائلاً

" اني اخاطبكم الآن لا لكي امنعكم عن مغادرتي ورجوعكم الى بلادكم لاني لا احظر عليكم الذهاب اينما اردتم ولكنني اود ان ابين لكم كيف جازيتم الذين اوصلوكم الى هذه الحالة فان ابي وجدكم فقراء مستضعفين تلبسون جلود الحيوانات وترعون قطعانكم في الجبال وتضطرون ان تذودوا عنها فالبسكم لباس الجند وانزلكم في المدن وسنَّ لكم السنن وجعلكم سادةً للبرابرة الذين حولكم بعد ان كنتم عبيداً لهم وفتح المناجم لصناعتكم والمرافىء لتجارتكم وروَّسكم على التساليين الذين كنتم تهابونهم واخضع لكم الفوشيين وفتح لكم السبل الى بلاد اليونان نفسها . وبعد ان كنتم تحملون الجزية الى اثينا وتنظرون بالرهبة الى طيبة صارت هاتان المدينتان تنظران الينا نظر المسود الى السيد . ودخل ابي بلاد اليونان وجُعل قائداً لهم في محاربتهم للفرس فعاد ذلك بالفخر عليكم لا عليهِ . هذا ما فعلهُ ابي وهو كبير اذا نُظر اليهِ بنفسهِ وصغير اذا قوبل بما فعلتهُ انا

فقد ورثتُ من ابي قليلاً من كؤوس الذهب والفضة وخزينة فيها اقل من ثلاثين وزنة وعليها من الدين اكثر من خمس مئة وزنة فاستدنت فوقها ثمانمئة وزنة وخرجت بكم من بلاد

ليس فيها ما يقوتكم ففتحنا طريقاً كان في يد الفرس وقهرنا مرازبة داريوس ودوّخنا ايونيا وايليا وفريجية وليدية وعدتم بثمار الظفر . وفاضت عليكم خيرات مصر والقيروان وملكتم سورية وفلسطين وما بين النهرين ودانت لكم بابل وبلخ والسوس وامتلكتم ثروة الليديين وكنوز الفرس وخزائن الهند وقام منكم القواد والمرازبة ولم ينلني من ذلك كلهِ غير هذا الاكليل وهذا البرفير . وما منكم مَن يستطيع ان يشير بيدهِ الى خزانة ويقول هنا اموال الاسكندر لان المال الذي غنمتهُ لكم كلهُ وليس لي منهُ شيءٌ ولا حاجة بي الى شيءٍ منهُ . طعامي مثل طعامكم ومنامي مثل منامكم بل انا ابسط معيشة من كثيرين منكم اسهر لكي تناموا واتعب لكي تستريحوا

مَن يقدر ان يقول انهُ تعب لي اكثر مما تعبت لهُ هلمّوا اروني مَن منكم في بدنهِ جراح اكثر مما في بدني . ما من عضوٍ من اعضائي الاَّ وهو مجروح بآلة من آلات الحرب بسيف او بسهم او برمح. رُشقت بالحجارة ضُربت بالنبابيت وانا اقودكم الى الظفر والمجد والسعة برًّا وبحرًا في السهول والجبال والاودية. تزوجت معكم مثل واحد منكم واوفيت دين المديونيين منكم من غير ان اسأل عن اسمائهم فوق ما اعطيتكم من الغنائم. والذين امتازوا منكم ببسالتهم كُلّلوا باكاليل من ذهب والذين قُتلوا دفنوا بالفخار والمجد العسكري واقيمت لهم التماثيل في مدنهم واعفي اولادهم من الاموال الاميرية

والآن خطر لي ان اصرف الذين استحقوا الراحة منكم ولم يعودوا يصلحون لتجشم مشاق الحروب لكي يمضوا الى اوطانهم ويظهروا بالفخر امام ابناء بلادهم لكنكم تطلبون ان تمضوا كلكم وتتركوني فامضوا امضوا الى اوطانكم واخبروا اقرانكم ان ملككم الاسكندر الذي غلب بكم الفرس والماديين والبلخيين ودوّخ كل بلدان المشرق وعبر مفاوز بلوخستان هجرتموهُ بعد ان عاد بكم الى السوس وتركتموهُ لحماية الذين غلبهم وعسى ان تجدوا ما يبرركم في عيون الناس والآلهة فامضوا بسلام"

قال ذلك وقام ودخل قصرهُ ولم يعد يخرج منهُ ووقف الجنود حيارى لا يدرون ما يفعلون ولا الى اين يمضون ومضى يومان ولا احد يجسر ان يقابل الاسكندر او يشفع لهُ في جنودهِ وفي اليوم الثالث امر بتأليف الفيالق من الفرس والماديين فهاجت جنودهُ وماجت واسرعوا الى قصرهِ ورموا اسلحتهم وانطرحوا على الارض وجعلوا يتوسلون اليهِ ليعفو عنهم ويريهم وجههُ ويشفق عليهم وبعد اللتيا والتي عفا عنهم واصطلح معهم . واولم لذلك وليمة فاخرة جلس فيها المكدونيون والفرس معاً وسكبوا السكائب للآلهة واشترك كهنة اليونان ومجوس الفرس في الطلب منها واستجلاب رضاها وبذلك انتهت اخر مقاومة ابداها المكدنيون لرأي الاسكندر وعاد عشرة

آلاف منهم الى بلادهم ومع كل واحدمنهم وزنة فوق راتبهِ وعاد معهم كراتروس وأُمر ان يتولى حكومة مكدونية وتراسيا وتساليا وابيروس وان يأتي انتيباتر حاكمها ومعهُ نجدات جديدة فعاد هؤُلاء العشرة الآلاف يدعون بالنصر للاسكندر وينادون بفضل الاسلوب الجديد لمزج الشرق بالغرب

وارسل نيكانور ينوب عنهُ في الالعاب الاولمبيَّة ومعهُ براءةعامة منهُ لجميع المنفيين ليعودوا الى اوطانهم ويقال انهُ اجتمع في الالعاب الاولمبية عشرون الفاً من هؤُلاء المنفيين ليسمعوا البراءة التي تجيز لهم الرجوع الى اوطانهم واسترجاع الحقوق المدنيَّة .وزاد بذلك عدد المنتصرين لهُ والقائلين بقولهِ واشار بعضهم حينئذٍ بتأليههِ وعبادتهِ كما تعبد الالهة ولكن لا دليل على ان هذه المشورة قُبلت الاَّ بعد موتهِ وحينئذٍ صوروهُ وعليهِ جلد الاسد مثل هرقل او على رأسهِ قرنا الثور مثل امون ووضعوا صورتهُ على النقود بدل صورة الالهة

وسار الاسكندر الى همذان وعاد في الربيع الى بابل وكان كهنة الكلدان يحذرونهُ من المضي اليها ولكنهُ لم يعبأ بتحذيرهم واهتم وهو هناك بريّ الارض وانشاء الترع وتنظيم الجيش والتأهب لغزوة بلاد العرب برّاً و بحراً وغزوة البلاد التي بين نهر سيحون والدنيوب . وفي اواخر شهر مايو (ايار) سنة ٣٢٣ قبل الميلاد تمَّ انشاء السفن التي قصد تدويخ سواحل بلاد العرب بها لكنهُ مرض في اليوم الثاني من شهر يونيو وكان قد افرط في شرب المسكر في الليلة السابقة في بيت صديقهِ مديوس فلما عاد الى قصرهِ اغتسل واكل قليلاً ونام وهو يشعر بقليل من الحمى وحُمل في الصباح على سرير الى المعبد لتقديم ذبيحة الصباح وبقي مستلقياً النهار كلهُ في بهو القصر وقابل قوادهُ وعيَّن اليوم الخامس من الشهر لقيام الجنود واليوم السادس لقيام السفن وفي المساء سار في زورق الى البساتين عبْر النهر واغتسل هناك ونام . وفي اليوم التالي (وهو ٣ يونيو) اغتسل وقرب ذبيحة الصباح ولعب النرد مع مديوس وارسل يدعو قوادهُ ليجتمعوا عندهُ في الصباح التالي لكن الحمى اشتدَّت عليهِ تلك الليلة وقام في الصباح واغتسل وقرَّب الذبائح وتذاكر مع نيرخس وغيرهِ من رؤَساء السفن وامرهم ان يكونوا مستعدين للسفر بعد الغد حاسباً انهُ يكون قد تعافى حينئذٍ ليسير معهم. وفي الثامن من الشهر بلغت الحمى درجة الخطر وأُمر القواد حينئذ ان لا يفارقوهُ وكان ينظر اليهم ولا يستطيع الكلام ولم يعُد قادراً على تقديم ذبيحة الصباح وترك الاغتسال منذ اليوم السادس فزاد قلق رجالهِ واستولى عليهم اليأس. وشاع في اليوم الثاني عشر انهُ مات وان حرَّاسهُ اخفوا خبر موتهِ فاتى الجنود القصر وطلبوا ان يروهُ وفتحوا الابواب قوةً واقتداراً وقائدهم اليهِ الحب لهُ

والتعلّق بهِ والحزن عليهِ ولما وقفوا امامهُ رفع رأسهُ قليلاً وودعهم الوداع الاخير بعينيهِ لا بلسانهِ

وفاضت روحهُ في اليوم التالي عند المساء وهو الثالث عشر من شهر يونيو سنة ٣٢٣ قبل المسيح وعمرهُ ٣٢ سنة وثمانية اشهر ولم يوصِ بملكهِ لاحد ويقال ان اخصاءهُ سألوهُ لمن توصي بالملك بعدك فقال هامساً للرجل الافضل

وقد اختلفت الاقوال في سبب موتهِ فمن قائل انهُ مات مسموماً ومن قائل ان السكر اودى بهِ ولكن يظهر من الوصف المتقدم وهو منقول عن اخبار ايامهِ انهُ مات بالحمى الملاريّة التي تكثر صيفاً في آجام بابل ويوصلها البعوض الى الناس او بالحمى التفويدية . اما السكر فان كان لهُ اثر فيهِ فيكون اضعاف جسمهِ عن مقاومة ميكروب الحمى

مات الاسكندر فوجفت القلوب وا تعدت الفرائص من رهبة الموت. مات الاسكندر فوقف نبض المسكونة وذهلت ممالك الارض مات ولا ملك يخلفهُ. كان لهُ ولد اسمهُ هيراقليس من بارسيني ارملة ممنون التي اخذها من اسوس لكنها كانت سبيّة لما ولدتهُ لهُ فلم يحسبهُ ابناً شرعيًّا. وكانت زوجتهُ ركسانة حاملاً فلا يُعلَم اتلد ذكرًا او انثى وكان لهُ اخ اسمهُ ارهيديوس من ابيهِ لا من امهِ وهو ابله سخيف العقل هؤلاء هم الورثة لسرير الملك ابن غير شرعي واخ ابله وجنين في بطن امهِ . وبديهي ان الابطال الذين ساعدوهُ في فتوحاتهِ واحرزوا لهُ النصر في غزواتهِ اولى بملكهِ من كل احد لكنهم اختلفوا في ذلك فقال بطليموس بتجزئة المملكة بين قوادهِ وقال ملياجر بتنصيب ابنهِ هيراقليس ابن بارسيني المشار اليهِ آنفاً او اخيهِ ارهيديوس واشار بردكاس بانتظار ما يولد من ركسانة ويدير اربعة من العظماء شؤُون المملكة في غضون ذلك

فرضي الفرسان بهذا الرأي الاخير لانهم من الخاصّة واما المشاة وهم من العامة فلم يرضوا بهِ لانهم حسبوا انهُ يعود بهم الى حكم الخاصة واستبدادهم واخيرًا تم الاتفاق بين الفريقين على ان ينادى باسم اخي الاسكندر ملكاً الى ان تلد زوجتهُ ركسانة فان ولدت ذكرًا كان هو الملك وتبقى ادارة السلطنة في يد اربعة من القوّاد . وبعد شهر من الزمان ولدت ركسانة ذكرًا فسمي الاسكندر ونودي بهِ ملكاً وهذان الملكان اي اخو الاسكندر وابنهُ تسلطا بالاسم لا بالفعل الى ان قضي عليهما الاول بيد زوجتهِ سنة ٣١٧ ق . م والثاني بامر كسندر سنة ٣١١ ق . م وبذلك انقرض نسل الاسكندر

واشتدَّ الخصام بين قواد الاسكندر الى ان انقسمت مملكتهُ اربعة اقسام سورية وبابل وعليها سلوقوس . ومصر وعليها بطليموس . وتراقية واسيا الصغرى وعليهما لسياخوس . ومكدونية وبلاد اليونان وعليهما كسندر

وقد ذكر مؤرخو العرب موت الاسكندر ورثاء الحكماء لهُ على اسلوب لم نقف عليهِ في غير كتبهم قال ابن الاثير "ورجع الاسكندر الى العراق فمات في طريقهِ بشهرزور بعلة الخوانيق وكان عمرهُ ستًّا وثلاثين سنة في قول ودفن في تابوت من ذهب مرصّع بالجوهر وطُلي بالصبر لئلاَّ يتغير وحُمل الى امهِ بالاسكندرية وكان ملكهُ اربع عشرة سنة وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكهِ وبنى اثنتي عشرة مدينة منها اصبهان وهي التي يقال لها جي ومدينة هراة ومرو وسمرقند وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبارض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية فلما مات اطاف بهِ من معهُ من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم فقال كبيرهم ليتكلم كل واحد منكم بكلامٍ يكون للخاصة معزيًا وللعامة واعظًا ووضع يدهُ على التابوت وقال اصبح آسر الاسراء اسيرًا. وقال آخر هذا الملك كان يخبأ الذهب فقد صار الذهب يخبؤهُ. وقال آخر ما ازهد الناس في هذا الجسد وما ارغبهم في التابوت. وقال آخر من اعجب العجب ان القويَّ قد غلب والضعفاء لاهون مغترون. وقال آخر هذا الذي جعل اجلهُ ضمارًا وجعل املهُ عيانًا هلاَّ باعدت من اجلك لتبلغ بعض املك بل هلاَّ خففت من املك بالامتناع من وفور اجلك. وقال آخر ايها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج اليهِ فغودرت عليك اوزارهُ وقارفت آثامهُ فجمعت لغيرك واثمهُ عليك. وقال آخر قد كنت لنا واعظًا فما وعظتنا موعظة ابلغ من وفاتك فمن كان لهُ معقول فليعقل ومن كان معتبرًا فليعتبر. وقال آخر رُبَّ هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك. وقال آخر رُبَّ حريص على سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك ولا تتكلم. وقال آخر كم اماتت هذه النفس لئلاَّ تموت وقد ماتت. وقال آخر وكان صاحب كتب الحكمة قد كنت تأمرني ان لا ابعد عنك فاليوم لا اقدر على الدنو منك. وقال آخر هذا يوم عظيم اقبل من شرهِ ما كان مدبرًا وادبر من خيرهِ ما كان مقبلاً فمن كان باكيًا على من زال ملكهُ فليبكِ. وقال آخر يا عظيم السلطان اضمحلَّ سلطانك كما اضمحلَّ ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب. وقال آخر يا من ضاقت عليهِ الارض طولاً وعرضاً ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها. وقال آخر اعجبوا ممن كان هذا سبيلهُ كيف شره نفسهُ بجمع الاموال الحطام البائد الهشيم النافد. وقال آخر ايها الجمع الحافل والملقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سرورهُ وتنقطع لذتهُ فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد. وقال آخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى. وقال آخر يا من كان غضبهُ الموت هلاَّ غضبت على الموت. وقال آخر قد رأيتم هذا الملك الماضي فليتعظ بهِ هذا الملك الباقي.

وقال آخر ان الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت. وقال آخر سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته. وقال آخر مالك لا تقل عضواً من اعضائك وقد كنت تستقل بملك الارض بل مالك لا ترغب عن ضيق المكان الذي انت فيه وقد كنت ترغب عن رحب البلاد. وقال آخر ان دنيا يكون هذا في آخرها فالزهد اولى ان يكون في اوّلها. وقال صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا ارى عميد القوم. وقال صاحب بيت ماله قد كنت تأمرني بالادّخار فالى من ادفع ذخائرك. وقال آخر هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها في سبعة اشبار ولو كنت بذلك موقناً لم تحمل على نفسك في الطلب. وقالت زوجته روشنك ما كنت احسب ان غالب دارا يُغلَب فان الكلام الذي سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكاس الذي شرب به ليشربهُ الجماعة. وقالت امهُ حين بلغها موتهُ لئن فقدتُ من ابني امرهُ لم يفقد من قلبي ذكرهُ"

وحُملت جثتهُ الي الاسكندرية بعد تحنيطها ودُفنت في تابوت من الذهب دفنها فيه بطليموس ويقال ان هذا التابوت باقٍ في الاسكندرية حتى الآن في مدفن يتعذَّر الوصول اليه

وقد اختلف الباحثون في ما جنتهُ المسكونة من غزوات الاسكندر من المنافع والمضار والجمهور على ان المنافع اكثر من المضار كثيراً قال كاتب ترجمته في انسكلوبيذيا تشمبرس انه كان اكثر من فاتح فهو الذي نشر اللغة اليونانية والعمران اليوناني في المسكونة ولهُ الفضل الاول في اكثر ما عرفهُ الاقدمون من علم الجغرافية والتاريخ وهو الذي علَّم الاوربيين طريق الهند واراهم من مجدها ما ادهشهم مدة عشرين قرناً كما تقدم. لكن المؤرخ نيبور الشهير ذهب الى ضد ذلك فقال ما خلاصتهُ ان بلاد اليونان جنت من فتوحاته الضرر واصابها السل بمن فقدتهم من رجالها الذين تركوها واستوطنوا اسيا وانتقلت التجارة منها الى الاسكندرية. وبلاد مصر جنت منها النفع لان حالها صارت في عهد البطالسة اصلح منها في عهد الفرس. واهالي اسيا الصغرى تمثلوا باليونان في اللغة والاخلاق فنسوا لغاتهم القديمة في اقل من قرن وشاعت بينهم اللغة اليونانية ولكنهم افسدوها ولم يستفيدوا من التمثل باليونان فائدة تذكر. وبلاد الشام استفادت قليلاً ولكن فينيقية خسرت خسارة لم تعوَّض حتى الآن وقامت مقامها الاسكندرية وردوس وانطاكية. وكذلك وقع الضرر بالعراق وبلاد فارس جميعها والمستعمرات التي انشأها الاسكندر فيها لم تفلح زمناً طويلاً ولو طال عمرهُ لرأى تداعي مملكته في ايامه فلم يستفد منهُ فائدة كبيرة الا القطر المصري

هذا وسنذكر تاريخ خلفائه في الاجزاء التالية مبتدئين بتاريخ البطالسة في مصر

دوق ارجيل

Duke Argyll.

العلم مستقلٌ عن الجاه وقد تقدَّم على يد ابناء السوقة والعوام اكثر مما تقدَّم على يد ابناء الملوك والعظماء . لكن اذا نصرهُ اهل الجاه وانتظموا في خدمتهِ عظم بهم شأنهُ وزادت رغبة الجمهور فيهِ ولذلك ترى عظماء البلدان التي قُسم لها حظٌ وافر من الارتقاء يجلُّون قدره ُ ولا يأنفون من خطب ودهِ ومشاركة رجالهِ في الاشتغال بهِ . وامثلة ذلك كثيرة بنوع خاص في البلاد الانكليزية فترى فيها العلماء من اهل السيادة مثل لورد بليفير ودوق ارجيل واهل السيادة من العلماء مثل لورد كلفن ولورد لستر وهو من اسرار نجاحها واسباب ارتقائها

وقد نعينا الى قراء المقتطف دوق ارجيل في الجزء الماضي بعد ان قرأوا فيهِ مراراً كثيرة عن علمهِ وفضلهِ ونحن نزيدهم وصفاً لاشغالهِ العلمية فنقول انهُ من اكبر امراء الانكليز واعرقهم نسباً من سلالة البارون كمبل الذي لقب بهذا اللقب سنة ١٤٤٥ اي منذ اكثر من اربع مئة وخمسين سنة .وقد اشتهر اسلافهُ في بلادهم شهرة فائقة فاقتفى آثارهم في الاشتغال بسياسة بلادهِ وفاقهم بتضلعهِ من العلوم الفلسفية والطبيعية وبكونهِ من ارباب الاقلام الذين يضنون بعلمهم ان يبقى في صدورهم فيبثونهُ في الآفاق لينتفعوا بهِ ابناء وطنهم . ولم تشغلهُ السياسة عن العلم فبقي مجارياً لاربابهِ يقرأُ ويبحث ويكتب ويخطب وامتاز من اول ظهورهِ الى ان ادركتهُ الوفاة بالدرس والبحث والانتقاد والانشاء ونصرة المشتغلين بالعلم عموماً . ولم يوفق الى اكتشاف علمي عظيم يخلد بهِ ذكرهُ ولا الى استنتاج حقيقة علمية كبيرة النفع ولكنهُ ساعد العلم بالمشاركة فيهِ فذلك ومنصبهُ السياسي وجاههُ وغناه ُ صيرتهُ قوة في البلاد الانكليزية للخير والنفع فاسف عليهِ العلماء والجرائد العلمية كما اسف عليهِ رجال السياسة وجرائدهم

واول علم اشتغل بهِ واشتهر علم الجيولوجيا ويقال انهُ رأى اوراقاً متحجرة عند واحد من رجالهِ منذ خمسين سنة فبحث عن كيفية تكونها ومن ثمَّ شاقهُ علم الجيولوجيا فدرسهُ وكثر اشتغالهُ بهِ . وهو من الكتَّاب المجيدين والناقدين المدققين فاستنتج مما رأى نتائج لا تنطبق على ما استنتجهُ غيرهُ ولذلك اشتدَّ الجدال والحجاج بينهُ وبينهم ولم يتحاش قوارص الكلم فاحتدمت نار المناظرة بينهُ وبين هكسلي وتندل وسبنسر وغيرهم من العلماء كما يعلم كلُّ مطلع على مجلدات المقتطف الماضية لكنهُ انصف خصومهُ في العلم ولم يبخسهم حقهم

ثم لما شاع مذهب النشوء كان من اول الباحثين فيهِ والمنتقدين عليهِ وتوالت مقالاتهُ وخطبهُ وكتبهُ في هذا الموضوع فكشف كثيراً من مواقع الضعف في اقوال النشئيين وادلتهم

وبلغ بحثهُ ادقهُ في ما كتبهُ عن ملابسات مذهب النشوء في كتابهِ سلطان الشريعة وكتابهِ وحدة الطبيعة . وهذان الكتابان يدلان على علم واسع ورأي صائب وفضل راجح وحجة قوية وبلاغة في الانشاء قلما فاقهُ فيها احد

وكان عالي الهمة شديد العزيمة تستفزهُ المناظرة الى مساجلة العلماء وتشديد الوطأة عليهم كانهُ يناظر خصومهُ في السياسة . ولذلك ولانفتهِ الطبيعية كان يكلم الناس كرئيس يكلم مرؤوسيهِ او استاذ يكلم تلامذتهُ فلم يتيسر لهُ قياد الجمهور وبلوغ المنزلة العليا بين رجال السياسة ولا اقتصر على علم واحد فجارى النابغين فيهِ من رجال العلم ولذلك لا يعدُّ في طبقة غلادستون بين رجال السياسة ولا في طبقة هكسلي بين رجال العلم . وقد وصفهُ احد العامة وصفاً بليغاً بقولهِ " انهُ في مركز حرج جداً لان سموّ نسبهِ منعهُ من الامتزاج برجال العلم وسمو عقلهِ منعهُ من الامتزاج برجال النسب "

وكان مغرماً بحب الطبيعة واستجلاء غوامضها فيقضي الايام والاسابيع يبحث عن المتحجرات والاصداف وآثار البحر في البر وآثار ما ظنهُ طوفان نوح وقد فعل ذلك سنة بعد سنة منذ علق قلبهُ حب الطبيعة

وكان غرضهُ الاكبر نصرة الدين على ما يخالفهُ من العلوم الطبيعية لكنهُ لم يرضِ رجال الدين ولا ارضى رجال العلم لانهُ سلّم بامور كثيرة لا يسلّم بها رجال الدين عادةً او لم يكونوا يسلمون بها وانكر اموراً أخرى يعتقد رجال العلم بحتها كما ترى في خطبتهِ عن الطوفان التي ترجمناها ونشرناها في المجلد الثامن من المقتطف فانهُ اثبت فيها ان طوفان نوح ارتفع الماء فيهِ ١٤٠٠ الى ١٥٠٠ قدم على الاكثر . والنص صريح في التوراة على ان المياه " غطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء . فمحا الله بها كل قائم كان على وجه الارض الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء " . فما حاول اثباتهُ لا ينطبق على العلم الطبيعي ولا على نص التوراة

ولم يقتصر على البحث في المسائل السياسية والطبيعية بل كان يبحث في كل موضوع في التاريخ واللاهوت والفلسفة والاقتصاد وما وراء الطبيعة كما يظهر من كتبهِ الكثيرة والمقالات العديدة التي كان ينشرها في المجلات والجرائد الدينية والعلمية والادبية والسياسية

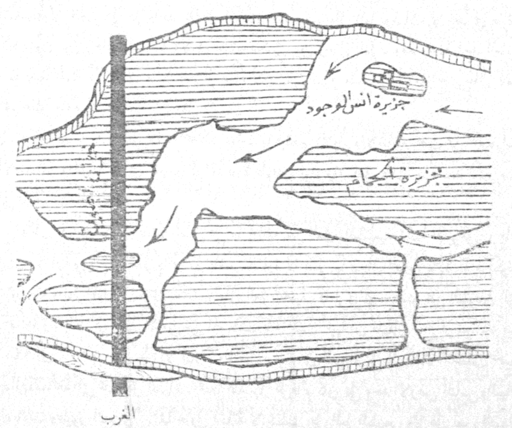
وكانت مباحثهُ العلمية تساعدهُ على مناظراتهِ السياسية فقد وصف المستر غلادستون وحزبهُ مرةً بقولهِ انهم مثل السمك الغروي الذي يظهر جميلاً للنظر لكنهُ خالٍ من العظم ويبدو متحركاً في الماء وهو في الحقيقة ساكن والماء يحملهُ

وراًس مجمع ترقية العلوم البريطاني سنة ١٨٥٥ وجمعية ايدنبرج الملكية سنة ١٨٦١ ولهُ

اولاد كثيرون اكبر ابنائهِ مركيز لورن زوج البرنسس لويز ابنة ملكة الانكليز واكبر بناتهِ زوجة دوق نورثمبرلند

وصف الخزان

لسعادة حسن بك واصف مدير الفيوم



قصدتُ الوجه القبلي لمشاهدة آثار القدماء ومعابدهم وما هو منقوش عليها من الرسوم ثم لمعاينة ما تشيدهُ يد الانسان الآن من الاعمال الفخيمة في خزان اصوان الذي سيكون سبباً لزيادة ثروة مصر ودوام الراحة والرفاهة لسكانها بتوفير المياه لري اراضيها . لانهُ من المحقق ان خصب هذه الديار يتوقف على نيلها المبارك ولولاهُ لكانت صحراء قاحلة وان جانباً كبيراً من مياه هذا النيل يصب حتى الآن في البحر الابيض المتوسط ويذهب هدراً فلا يستفيد احد منهُ وهو لو خزن الى ايام التحاريق لكانت منهُ الفائدة الكبرى وهذا ما ارادتهُ الحكومة المصرية الآن بانشاءِ الخزان في اصوان

وقد زرت اصوان في اوائل شهر ابريل وشاهدت هذا البناء العظيم فرأيتهُ يضارع الاهرام متانة ويفرق عنها بان نفعهُ كبير عامٌّ وهي لانفع لها

وهو سدٌّ عظيم يمتدُّ من الشرق الى الغرب كما يرى في الصورة السابقة يخترق اساسهُ هضبات شلال اصوان وهي من حجر الجرانيت الاصم . طول هذا السد الفا متر اربع مئة متر منها في الجهة الشرقية خالية من الفتحات وكان بناؤها قد تمَّ حينما شاهدناه ُ وما بقي منهُ تصنع فيهِ مئة وثمانون فتحة او عيناً تقفل لخزن الماء ثم تفتح لخروجهِ منها وعرض الفتحة من الامام متران و ٩٤ سنتمترًا ومن الوراء متران فقط وبين كل فتحة واخرى بغلة سمكها خمسة امتار و بين كل عشر فتحات دعامة من الخلف عرضها خمسة امتار وهي بارزة عن بناء الواجهة مترًا وفي الطرف الغربي من السد فتحة كبيرة عرضها تسعة امتار ونصف متر وستكون هويساً لمرور المراكب والوابورات الصاعدة والنازلة في النيل ويقسم هذا الهويس الى ثلاثة احواض تسهيلاً لمرور السفن وقد انشئت ترعة امام هذه الفتحة وكسيت بالحجر كما ترى في الشكل

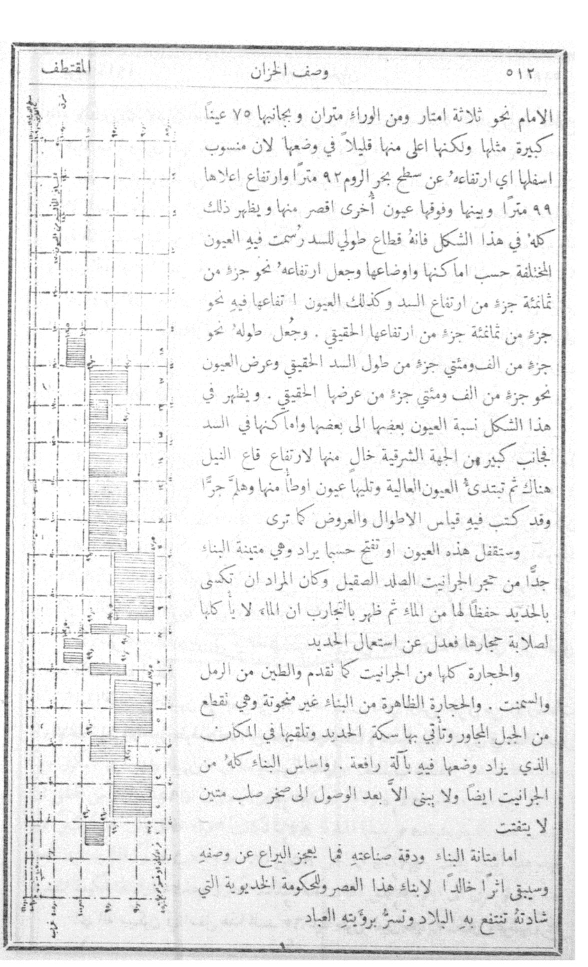
وسمك هذا السد من اسفلهِ ثلاثون مترًا ثم يدق رويدًا رويدًا ويبلغ متوسط سمكهِ ثمانية عشر مترًا فيميل البناء من الجهة الامامية والخلفية حتى يكون هرمياً الى ان يبلغ المنسوب ١٠٥ ثم يصير رأسياً مسافة مترين وهناك تبتدئ الذروات او الاطناف فتبلغ ثلاثة امتار فيكون اعلى السد عند المنسوب ١١٠ امتار اي يكون اعلاهُ مرتفعاً عن سطح البحر الابيض المتوسط ١١٠ امتار . اما الماء الذي يخزن فيهِ فيبلغ اسفل الذروات اي المنسوب ١٠٧ وحينئذٍ تبقى اكثر المباني التي في جزيرة انس الوجود فوق سطح الماء

وفي اعلى هذا السد طريق عرضهُ في الجزء الخالي من الفتحات خمسة امتار وفي الجزء الذي فيهِ فتحات سبعة امتار

اما الفتحات او العيون فلم تجعل على علو واحد بسبب ما في ارض الخزان من الارتفاعات والانخفاضات ولا جعل طولها واحدًا بل جعل بعضها واطئاً و بعضها عالياً كما ترى في هذا الجدول

عدد العيون	منسوب قاعها	منسوب عقدها
٦٥	٨٧,٥٠	٩٤,٥٠
٧٥	٩٢,٠٠	٩٩,٠٠
١٨	٩٦,٠٠	٩٩,٠٠
٢٢	١٠٠,٠٠	١٠٣,٥٠

اي انهُ سيكون في اسفل هذا السد ٦٥ عيناً طول العين منها ٧ امتار وعرضها من



الامام نحو ثلاثة امتار ومن الوراء متران و بجانبها ٧٥ عيناً كبيرة مثلها ولكنها اعلى منها قليلاً في وضعها لان منسوب اسفلها اي ارتفاعه عن سطح بحر الروم ٩٢ متراً وارتفاع اعلاها ٩٩ متراً وبينها وفوقها عيون أُخرى اقصر منها ويظهر ذلك كلهُ في هذا الشكل فانهُ قطاع طولي للسد رُسمت فيهِ العيون المختلفة حسب اماكنها واوضاعها وجعل ارتفاعه نحو جزءٍ من ثمانمئة جزءٍ من ارتفاع السد وكذلك العيون ارتفاعها فيهِ نحو جزءٍ من ثمانمئة جزءٍ من ارتفاعها الحقيقي . وجُعل طوله نحو جزءٍ من الف ومئتي جزءٍ من طول السد الحقيقي وعرض العيون نحو جزءٍ من الف ومئتي جزءٍ من عرضها الحقيقي . ويظهر في هذا الشكل نسبة العيون بعضها الى بعضها واماكنها في السد فجانب كبير من الجهة الشرقية خالٍ منها لارتفاع قاع النيل هناك ثم تبتدئ العيون العالية وتليها عيون اوطأ منها وهلمَّ جرًّا وقد كتب فيهِ قياس الاطوال والعروض كما ترى

وستقفل هذه العيون او تفتح حسبما يراد وهي متينة البناء جدًّا من حجر الجرانيت الصلد الصقيل وكان المراد ان تكسى بالحديد حفظاً لها من الماء ثم ظهر بالتجارب ان الماء لا يأ كلها لصلابة حجارها فعدل عن استعمال الحديد

والحجارة كلها من الجرانيت كما تقدم والطين من الرمل والسمنت . والحجارة الظاهرة من البناء غير منحوتة وهي تقطع من الجبل المجاور وتأتي بها سكة الحديد وتلقيها في المكان الذي يراد وضعها فيهِ بآلة رافعة . واساس البناء كلهُ من الجرانيت ايضاً ولا يبنى الاَّ بعد الوصول الى صخر صلب متين لا يتفتت

اما متانة البناء ودقة صناعتهِ فمما يعجز اليراع عن وصفهِ وسيبقى اثرًا خالدًا لابناء هذا العصر وللحكومة الخديوية التي شادتهُ تنتفع بهِ البلاد وتسرُّ برؤيتهِ العباد



النيل والقطن

اصبح المزارعون والتجار في هذا القطر ولا همَّ لهم الاَّ النيل والقطن ففي يوم واحد يرتفع ثمن القنطار من القطن المصري ريالاً او يهبط ريالاً اي ما يساوي مليونًا من الجنيهات لو أُطلق على المحصول كلهِ وذلك تبعًا لما يُعلم عن زيادة المياهِ او نقصانها وتشديد المناوبة او تسهيلها. وكل حقيقة عن النيل والفيضان لا تخلو من فائدة كبيرة في هذه الايام وغيرها ولذلك جمعنا الحقائق التالية من كتاب ولكوكس عن الري المصري

(١) مقدار التبخر اليومي في الوجه القبلي ٧ مليمترات في اليوم صيفًا و٥ مليمترات شتاءً. وفي الوجه البحري ٣ مليمترات في اليوم صيفًا ومليمتران شتاء

(٢) المياه التي تغور في الارض تزيد على المياه التي تتبخر صيفًا اذا كانت الارض رملية وتقلُّ عنها اذا كانت طفالية ويكون مقدارها حينئذٍ بين مقدار المياه التي تتبخر صيفًا والتي تتبخر شتاء

(٣) عمق البحر الابيض في لادو متران في التحاريق و ٤,٥٠ في الفيضان ويختلف تصريفهُ هناك من ٥٠٠ الى ١٦٠٠ متر مكعب في الثانية ويبتدئ فيضانهُ عادةً في ١٥ ابريل ويبلغ معظمهُ بين ١٥ و ٣٠ اغسطس

(٤) يبتدئ فيضان البحر الازرق في اوائل يونيو ويمتدّ الى آخر اكتوبر

(٥) تصريف البحر الازرق والبحر الابيض متساويان زمن الفيضان واما زمن التحاريق فتصريف البحر الابيض اكثر كثيرًا من تصريف البحر الازرق

(٦) لنهر الاتبرة شأن كبير في الفيضان لان تصريفهُ يبلغ احيانًا ٦٩٠٠ متر مكعب في الثانية ومتوسط تصريفهِ وقت فيضانهِ ٣١٠٠ متر مكعب ويكون فيضانهُ من يوليو الى اكتوبر واعظمهُ في اغسطس

(٧) يصل الماء من بحيرة فكتوريا الى بحيرة البرت في ثمانية ايام ومن بحيرة البرت الى لادو في خمسة ايام ومن لادو الى الخرطوم في ٣٦ يومًا زمن التحاريق وفي ٢٠ يومًا زمن الفيضان ومن الخرطوم الى اصوان في ٢٦ يومًا زمن التحاريق و١٠ ايام زمن الفيضان ومن

اصوان الى العاصمة في ١٢ يوماً زمن التحاريق و٣ ايام زمن الفيضان . فيصل الماء من بحيرة فكتوريا الى العاصمة في ٩٠ يوماً زمن التحاريق وفي ٥٠ يوماً زمن الفيضان

(٨) يصل الماء في البحر الازرق من منابعهِ في بلاد الحبش الى الخرطوم في ١٧ يوماً زمن التحاريق وفي سبعة ايام زمن الفيضان

(٩) في زمن الفيضان العادي يبتدئ الفيضان في لادو على البحر الابيض في نحو ١٥ ابريل وتبلغ بداءتهُ الخرطوم في ٢٠ مايو واصوان في ١٠ يونيو . وتصل المياه الخضراء التي تبشر بهذا الفيضان الى العاصمة في ٢٠ يونيو

(١٠) يكون المتصرف من البحر الابيض عند الخرطوم ٣٠٠ متر مكعب في الثانية في ٢٠ مايو وذلك في السنين العادية وحينئذٍ يصل الفيضان الى هناك فيزيد المتصرف رويداً رويداً حتى يبلغ ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية بين ١٥ و ٢٠ سبتمبر

(١١) لا يبتدئ فيضان البحر الازرق في الخرطوم عادة الاَّ في نحو ٥ يونيو و يكون المتصرف منهُ حينئذٍ ١٦٠ متراً مكعباً في الثانية ثم يزيد بسرعة و يبلغ اعظمهُ في ٢٥ اغسطس حينما يصير المتصرف منهُ ٥٥٠٠ متر مكعب في الثانية . وتبلغ مياههُ الحمراء اصوان في ١٥ يوليو والعاصمة في ٢٥ منهُ

(١٢) يبتدئ فيضان الاتبرة في اوائل يوليو ولكن يمضي عليهِ شهر حتى يبلَّ مجراهُ فلا يجري الماء فيهِ الاَّ في اواخر يوليو و يبلغ معظمهُ في ٢٠ اغسطس و يبلغ المتصرف منهُ حينئذٍ نحو ٤٠٠٠ متر مكعب في الثانية

(١٣) يذهب من النيل بالتبخر بين اصوان والقاهرة ١٣٠ متراً مكعباً كل ثانية زمن الفيضان

(١٤) يكون متصرف اصوان على اقلهِ في اخر مايو وهو حينئذ في السنين العادية نحو ٤١٠ امتار مكعبة في الثانية. ويكون متصرف الروضة على اقلهِ في ١٥ يونيو وهو حينئذٍ ٣٨٠ متراً مكعباً في الثانية

(١٥) حينما يكون متصرف البحر الابيض عند لادو على اقلهِ يبلغ ٥٥٠ متراً مكعباً في الثانية يصل منها ٣٥٠ متراً مكعباً في الثانية الى الخرطوم

وحينما يكون متصرف البحر الازرق على اقلهِ يبلغ ١٩٠ متراً مكعباً في الثانية ويفقد هذا الماء في مسيرهِ الى اصوان ١٣٠ متراً مكعباً في الثانية بالتبخر فيكون المتصرف عند اصوان ٤١٠ امتار مكعبة في الثانية ولكنهُ هبط احياناً الى ٢١٠ امتار مكعبة في الثانية

(١٦) يؤخذ من كتاب ولكوكس انهُ اذا كان مقياس النيل في اصوان ذراعًا و١٧ قيراطًا فوق الصفر كان مقدار الماء المتصرف من هناك ٤٣٠ مترًا مكعبًا في الثانية وكلما نقص المقياس ثلاثة قراريط نقص الماء المتصرف عشرين مترًا مكعبًا حتى تصل الى الصفر فيصير الماء المتصرف نحو ١٥٧ مترًا مكعبًا في الثانية كما نرى في هذا الجدول

المقياس ذراع	المقياس قيراط	المتصرف امتار مكعبة	المقياس ذراع	المقياس قيراط	المتصرف امتار مكعبة
١	١٧	٤٣٠		١٧	٢٧٠
١	١٤	٤١٠		١٤	٢٥٠
١	١١	٣٩٠		١١	٢٣٠
١	٠٨	٣٧٠		٨	٢١٠
١	٥	٣٥٠		٥	١٩٠
١	٠٢	٣٣٠		٢	١٧٠
٠	٢٣	٣١٠	تحت الصفر	١	١٥٠
	٢٠	٢٩٠	"	٤	١٣٠

فلما بلغ مقياس اصوان ٤ قراريط تحت الصفر كان الماء المتصرف هناك ١٣٠ مترًا مكعبًا في الثانية اي ١١ مليون متر مكعب في اليوم يصل منها الى القناطر الخيرية نحو ثمانية ملايين متر مكعب فاذا كان المتصرف من القناطر الخيرية ٢٠ مليون متر مكعب في اليوم وجب ان يؤخذ اكثر من نصفها من المخزون في حوض النيل نفسهِ

(١٨) اذا راجعنا السنين الماضية لنعلم في اي وقت بلغ التحاريق اشدَّهُ في اصوان رأينا الوقت يتقدَّم ويتأخر من ٨ مايو الى ٢٤ يونيو كما نرى في هذا الجدول

السنة	معظم التحاريق	السنة	معظم التحاريق
١٨٧٣	٠٥ يونيو	١٨٧٩	٢٣ مايو
١٨٧٤	٣٠ مايو	١٨٨٠	٩ يونيو
١٨٧٥	٢٣ "	١٨٨١	١٤ مايو
١٨٧٦	١٥ يونيو	١٨٨٢	٢٣ يونيو
١٨٧٧	٢٧ مايو	١٨٨٣	٢٢ يونيو
١٨٧٨	٢٣ يونيو	١٨٨٤	٢٧ مايو

السنة	معظم التحاريق	السنة	معظم التحاريق
١٨٨٥	٢١ يونيو	١٨٩٢	١٨ يونيو
١٨٨٦	٠٣ يونيو	١٨٩٣	١٨ يونيو
١٨٨٧	٨ مايو	١٨٩٤	١٦ يونيو
١٨٨٨	٨ يونيو	١٨٩٥	٢٣ يونيو
١٨٨٩	٢٤ يونيو	١٨٩٦	١٣ مايو
١٨٩٠	٨ يونيو	١٨٩٧	٣١ مايو
١٨٩١	١٩ مايو	١٨٩٨	٢٣ يونيو

وكان اعظم ما بلغتهُ التحاريق في ٢٣ يونيو سنة ١٨٧٨ فانها بلغت حينئذٍ ثمانية قراريط فوق الصفر بمقياس اصوان اي بقي مقياس النيل اعلى مما بلغهُ هذا العام باثني عشر قيراطاً

الحمى القلاعية

نشرت مجلة الشركة الزراعية الخديوية مقالة في هذا الموضوع للمستر اغسطس ملر اثبت فيها الحقائق التالية وهي

(١) ان الحمى القلاعية مرض معدٍ جدًّا يصيب البقر والغنم والمعزى والخنازير والكلاب والفراخ وقد يصيب الناس ايضاً ولكن اشد فتكهِ بالبقر . ويرافقها طفح حويصلي في الفم وبين الاصابع والاظلاف وفوقها

(٢) بعد العدوى بمدة تختلف من ٢٤ ساعة الى ثلاثة ايام او اربعة ترتفع حرارة الحيوان درجتين الى اربع ويظهر نفاط حويصلي على لسانهِ وباطن شفتيهِ وسقف حلقهِ يختلف اتساعهُ مما يساوي القطعة التي بغرشين الى ما يساوي القطعة التي بعشرة غروش وقد يظهر هذا النفاط على ضرعهِ وتظهر نفاطات صغيرة بين شقوق اظلافهِ وعلى دائرها الاعلى ويزيد المفرز من الانف والعينين ويظهر اضطراب فمهِ بحركة شفتيهِ ويسيل لعابهُ ويعسر عليهِ مضغ طعامهِ وقد يعرج اذا ظهر النفاط في قوائمهِ وبعد قليل تنفصل القشور التي تغطي النفاط وتقع قشوراً مستديرة ويبقى ما تحتها ليناً ثم يتغطى بقشرة أُخرى . وقد تقع الحوافر في بعض الحوادث

(٣) ان سم هذا المرض يخرج من الفم والقوائم ويصل الى الارض فتنتشر العدوى سريعاً . وقد تنتقل العدوى من مديرية الى اخرى بواسطة الكلاب والحشرات . واذا رضع العجل لبن بقرة مصابة بهذا الداء فقد يموت حالاً

(٤) اذا كانت الاصابة شديدة انقطع لبن البقرة كله واذا كانت خفيفة انقطع بعضهُ وبقي البعض الآخر

(٥) اذا كانت الاصابة خفيفة ولم تشتد في قوائم الدابة فالغالب انها تشفى في مدة تختلف من اسبوع الى اسبوعين واما اذا كانت شديدة فالغالب ان الحيوان يهزل وتسقط حوافره او ترم مفاصله

(٦) يمكن اتقاء هذا المرض بتطعيم الحيوان باللقاح ممزوجة بدم حيوان آخر اصيب بالمرض وشفي منهُ

(٧) اذا كانت الاصابة خفيفة سارت سيرها وانتهت بالشفاء . وحينئذٍ يجب ان يكون طعام الحيوان مما يسهل مضغهُ مثل الرضة (النخالة) والعشب الاخضر واذا وقعت اظلاف الحيوان تعالج اقدامهُ بمادة قابضة مثل خلات الرصاص ممزوجة بقليل من الحامض الكربوليك واذا ضعف الحيوان كثيراً وخارت قواهُ يسقى بعض المنعشات مثل الكنياك وروح الايثر النتروس واذا تقرحت اقدامهُ تعالج بمحلول ثقيل من الحامض الكربوليك ومحلول كلوريد الزنك

(٨) اذا شفي الحيوان يغسل جيداً قبلما يطلق ليسير في الطرق والحقول

القطن والسماد

اشرنا في الجزء الثاني الى التجارب التي جُرّبت في تسميد القطن في هذا القطر ونتائجها نقلاً عمّا نشرهُ المستر فودن في مجلة الشركة الزراعيّة . وخلاصتها

اولاً ان القطن يستفيد من السماد

ثانياً ان السباخ البلدي الجديد لا يصلح للقطن

ثالثاً ان المسحوق (بودرت) الجيد يفيد القطن اذا اضيف منهُ طن ونصف الى الفدان

رابعاً انهُ اذا كان السماد كثيراً جداً لم تكن فائدتهُ على نسبة مقدارهِ اي انهُ يوجد حد للسماد اذا تعدّاهُ لم تعد منهُ فائدة

خامساً انهُ نتج من الجوانو فائدة كبيرة فهو سماد جيد للقطن

سادساً اذا استعملت الحكمة في التسميد نضج القطن باكراً فزادت الجنية الاولى

ولكن لما نشرت هذه النتائج لم يكن القطن قد حُلج لتُعلم نفقات السماد بالنسبة الى الفائدة الحاصلة من القطن اما الآن فقد حُلج وبيع فكتب المستر فودن نتيجة ذلك في مجلة الشركة وهذه خلاصتها

(١) ان القطن المسبخ بالسباخ البلدي الجديد انتج فدانهُ سبعة قناطير ونصف قنطار

وغير المسبخ انتج سبعة قناطير فقط ولكن القنطار من القطن المسبخ صفى ٩٥ رطلاً ونصف رطل والقنطار من القطن الذي لم يسبخ صفى ٩٧ رطلاً وتسعة اعشار الرطل هذا من الجنية الاولى والثانية اما الثالثة فصفى القنطار من المسبخ منها نحو ٩٨ رطلاً ومن غير المسبخ ٩٣ رطلاً ونصف رطل . وحكم المسيو بناكي ان القطن المسبخ ادنى من القطن غير المسبخ والنتيجة ان السباخ البلدي الجديد لا يزيد المحصول مايفي بثمنهِ ويقل بهِ صافي الجنية الاولى والثانية وعليهما الاعتماد ولا يكون نوع القطن جيداً كما لو لم يسمد

(٢) اما البودرت فاكثر فائدة من السباخ البلدي الجديد كما ترى من هذا الجدول

	غلة الفدان قناطير	صافي القنطار	
		الجنية ١ و٢	الجنية ٣
قطن غير مسبخ	٨,٨	١٠٤,٥٠	١٠٣,٧٣
قطن مسبخ بطن ونصف للفدان	١٠,١	١٠٧,٣٦	١٠٥,٢٠
" " بثلاثة اطنان "	٩,٥	١٠٦,٠١	١٠٥,٦٠
" " بستة اطنان "	٩,٦	١٠٨,٠٥	١٠٥,٨٣

ويظهر من ذلك باجلى بيان ان التسبيخ بالبودرت مفيد على شرط ان لا يزيد على طن ونصف للفدان وحينئذٍ تكون الزيادة قنطاراً وثلثاً من القطن ثمنها ٣٢٥ غرشاً وثمن البودرت وجمع القطن الزائد ١٧٥ غرشاً فتكون الزيادة من كل فدان ١٥٠ غرشاً باستعمال سماد البودرت. واما اذا سمد الفدان بثلاثة اطنان من البودرت كانت الخسارة ١٣٨ غرشاً عن كل فدان واذا زاد البودرت زادت الخسارة

ونوع القطن المسمَّد بطن ونصف من البودرت اجود من نوع القطن غير المسمَّد مطلقاً. وهذا الاخير مثل القطن المسمد بثلاثة اطنان من البودرت ويأتي بعدهما في الجودة القطن المسمد بستة اطنان من البودرت

(٣) والقطن المسبخ بالجوانو كانت نتيجتهُ بعد الحلج كما ترى في الجدول التالي وكان الجوانو قنطاراً ونصفاً للفدان المزروع من القطن العباسي

	غلة الفدان بالقناطير	صافي القنطار	
		الجنية ١و٢	الجنية ٣
غير المسبخ	٨,٣	١٠٦,٢٣	١٠٣,٩٥
المسبخ بالجوانو	٩,٠	١٠٢,١٠	١٠٤,٥١

فالزيادة في الفدان سبعون رطلاً تساوي ١٩٦ غرشاً وثمن الجوانو واجرة جمع زيادة القطن ٨٣ غرشاً فتكون زيادة الربح من الفدان ١١٣ غرشاً والقطن المسمَّد بالجوانو اجود كثيراً من القطن غير المسمَّد



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الدكتور بسيط

حضرة صديقيَّ منشئي المقتطف الاغر

يسرني كما يسرُّ كلَّ وطني غيور ان يرى رجال الجد والاجتهاد من ابناء سورية يهجرون بلادهم ويتجشمون المشاق في طلب الفوائد العلمية واذخار لآلئ المعرفة ثم يعودون اليها فائزين باكاليل النجاح . وبملء السرور انقل الى قراء مجلتكم الافاضل خبر الشاب الاديب الدكتور صابر بسيط الذي اتى الولايات المتحدة الاميركية منذ بضع سنوات قصد اتمام دروسهِ الطبية فدرس كتلميذ قانوني في اشهر مدارس هذه البلاد ونال الشهادة في الطب والجراحة وامتاز على رفاقهِ بشهادة الامتياز في الجراحة علماً وعملاً . ثم قضى المدة المطلوبة في المدرسة الخاصة بتمرين الاطباء في كل العمليات الجراحية حسب درجاتها تحت يد مهرة الجراحين ونال شهادتها. وهذه المدرسة في نيويورك ولا يُقبل فيها الاَّ الاطباء القانونيون الذين نالوا شهاداتهم الدكتورية

واني سمعتُ من كثيرين من الاميركيين الثناء الجزيل على الدكتور صابر بسيط فقد ترك في هذه الديار اسماً طيباً وصيتاً حميداً لاجتهادهِ ومهارتهِ ودماثة اخلاقهِ وحسن سيرتهِ . وسيبارح هذه البلاد عائداً الى وطنهِ قريباً لينفعهُ بعلمهِ وعملهِ

واشنطون عاصمة اميركا — الدكتور ابرهيم عربيلي

علم الجفر

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

عثرت على كتاب خط يدعى "ملخص كتب الجفرية وشرح الشجرة النعمانية لسيدي محيي الدين بن العربي" . قال في مقدمتهِ قال "الشيخ الامام العارف بربهِ كمال الدين ابو سالم ابن طلحة" . . . . الى ان قال "ويفتح حم بلاد الهند ويس بلاد السند ويحكم الصبي بالوجه البهي ويعبر الفرات راعي الفلاة ويغور الماء وينقلب الهواء ويموج البحر وينشف النهر ويهدم القصر ويظهر النصر يوم الجمعة بعد العصر . وينزل الاعور على المرج الاخضر وتظهر الكنوز ويكسر الكوز وتنفك اللغوز ويحل الملغوز وتحكم العجوز وتظهر السبع الشداد وتقتل الآباء والاولاد ويجلس على السرير حرف الشين وينقلب بالروم حرف السين ويمسك الجيم حرف الياء ويقتل الميم حرف الباء ويظهر العين على الجيم والميم على الميم ويقتل الجيم حرف العين ويجلس على الشين مع العين . وفي اي اوان يخرج المحبوس من المكان وينفك الميم ويملك القاف وينفك الامير ويجبر الكسير ويكون الحرب في البحر ثلاث عشرة مرة وفي البر سبع عشرة مرة ومتى محمد يصافح محمدًا وتصير ارض العرب مروجًا وانهارًا ورياضًا وازهارًا ويفتح ابواب الولد البكا ويجلس يوسف على سرير يوسف وينقطع النيل ويكثر القتل ويموت الفيل ويعم الحريق ويطم الغريق ويهدم حصون الروم ويصيح في جوانبها البوم وتظهر سعيدة صاحبة الخصال الحميدة . وتعبد الاوثان ويرتفع القرآن وتقوم الساعة وتظهر الشفاعة الى غير ذلك من الامور الجسام والحروب العظام والله اعلم بالصواب"

وفي موضع آخر من الكتاب قرأت ما يأتي

"ان الله سبحانهُ وتعالى يبعث في كل الف سنة نبيًّا بمعجزات واضحة وبراهين قاطعة لرفع اعلام دينهِ القويم وظهور صراطهِ المستقيم فكان في الالف الاولى آدم عليهِ السلام والثانية ادريس عليهِ السلام والثالثة نوح عليهِ السلام والرابعة ابرهيم والخامسة موسى والسادسة عيسى والسابعة سيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم ختمت بهِ النبوة والرسالة وتمت بهِ ألف الدنيا فالالف الاولى لزحل والثانية للمشتري والثالثة للمريخ والرابعة للشمس والخامسة للزهرة والسادسة لعطارد والسابعة للقمر"

والكتاب صغير الحجم كلهُ كلام واشارات على نسق ما تقدم اخبرني صاحبهُ انهُ الجفر وانهُ يمكنهُ الوقوف منهُ على مستقبل الايام والسنين

ثم طالعت كلمة "جفر" في دائرة المعارف للعلامة المرحوم البستاني فرأيتهُ يقول فيها . قالوا انهُ "عبارة عن العلم الاجمالي بلوح القضاء والقدر المحتوي على كل ما كان وما يكون كليًّا وجزئيًّا" واورد صاحب الدائرة رحمهُ الله كلامًا كثيرًا عما قيل عن هذا الكتاب . وقرأْت في مقدمة ابن خلدون ان الجفر كتاب لجعفر الصادق جمع فيهِ بعض الاخبار للوقوف عليها ثم حكم بفسادهِ وانهُ معدوم بالمرة غير ان في "الدائرة" "ان بعض المؤرخين" ذكر ان السلطان سليماً العثماني حصَّل هذا الكتاب من مصر ووجعلهُ في بلاطهِ مع عدة تحف نفيسة"

فارجو ممن وقف على حقيقة هذا العلم وادلة صحتهِ او فسادهِ ان يتحفنا بها ولهُ الفضل

محمد عمر

مصر

بلاغة العرب والافرنج

لم يزد حضرة احمد افندي كامل في مقالتهِ الثانية شيئًا على ما اوردهُ في مقالتهِ الاولى الاَّ ان يكون ما انتخبهُ من الشواهد وما استخرجهُ منها تأْييدًا لدعواهُ وانما هو لم يحسن الانتقاء هذه النوبة كما سيتضح ذلك

اعترف حضرتهُ ان اللفظ يسقط عن مرتبتهِ بالترجمة واقرَّ ان هناك من ضروب التعبير والاستعارات اللفظية ما لا يمكن نقلهُ من لسان الى لسان ثم استطرد الكلام الى قولهِ "لكننا لا نسلم مطلقًا بان المعاني تتغير بتغير الالفاظ او لا يمكن نقلها بالترجمة ولو سلمنا ذلك لما تلقينا علوم اليونان والفرس والافرنج وروينا انظارهم فيها كما هي بل روينا كثيرًا من معاني الامم الاخرى الشعرية وحلينا بها فصاحاتنا"

لو سألنا عربيًّا عن الصورة التي يتمثلها اذا قيل لهُ جدار ابيض وانكليزيًّا عما يفهم من قولنا white wall وافرنسيًّا عن مدلول muraille blanche لالفينا الصور الثلاث متشابهة تمام الشبه في لونها المقيدة بهِ بالصفة وهي البياض المعبر عنهُ بالالفاظ ابيض و white و blanche في الامثلة الثلاثة . ولو سردنا هذه القضية لعربي وهي "ان الخط المستقيم هو اقرب الابعاد بين نقطتين" ونقلنا العبارة الى الانكليزية فقلنا A straight line is the shortest distance between two points لكان مفهوم العبارتين في اللغتين واحدًا ولكن لو نقلنا الى الانكليزية قول المعري

خفف السير واتئد يا حادي   انما انت سائق بفؤادي

او عربنا قول ملتن في مطلع قصيدتهِ الفردوس المفقود Of man's first disobedience

and the fruit etc. لم يكن المفهوم واحداً في كل من المثالين عند اهل اللسانين كما في المثالين الاولين

والسبب * ان ما يصل الى العقل عن طريق الحواس تتماثل صورهُ في جميع الناس على حدّ سوى تقريباً (باستثناءِ المتوحشين لانهم خارجون عن دائرة البحث) فالالوان تظهر للواحد كما تظهر للآخر ممن لم يصب بالعمى اللوني ومهما اختلفت اسماؤُها فالمسميات واحدة وصورها واحدة ايضاً. اما في ما يولدهُ الخيال من محتويات الفكر او ما يستخلصهُ التصور مما يمثلهُ الذهن من المشاهدات بالحواس فمخالف لذلك. فعماد هذه الاحوالُ والتربية والدرس واخلاق الامة ومقامها من الحضارة ومبلغها من التهذيب ودينها وجميع ما يؤثر في اراءِ افرادها ومالها من التقاليد وما تحرص عليهِ من الآثار. ولهذا استطعنا نقل علوم الاجانب من اليونان والافرنج ولم نستطع نقل اشعارهم وبلاغاتهم . وهنا موضع الضعف في قضية حضرة الاديب فانهُ لم يميز الفرق بين ما في العلوم التي اركانها الحقائق او ما يتخذهُ القوم بمثابة الحقائق وبين ما في الشعر الذي يرجع الى الخيال والتصور فما كان من الشعر جامعاً للحقائق كالقصائد التاريخية والتهذيبية لا يصعب نقلهُ من لسان الى لسان اذا اريد نقل الوقائع والنصائح فقط فاذا تعدَّى هذه بدت الصعوبة كما يعلم المختبر المجرّب. خذ مثلاً قصيدة تنيسون المشهورة في الانكليزية التي يصف بها غارة ستمئة فارس انكليزي في سهل بالاكلافا في حرب القريم فان الشاعر العربي يستطيع تعريب حكاية الواقع منها بما يضاهي الاصل الانكليزي او يفوقهُ تأدية معنى وجزالة لفظٍ ولكنهُ يقف حائراً اذا اراد اجتياز ذلك الى الجزء الشعري منها اذ هو انكليزي محض

ولما رأيت حضرة الاديب يستند الى الشواهد والامثلة ويستنكف من القواعد والقضايا ارتأيت ان اضرب على امثلتهِ ليعلم هو والقراءُ فساد الاستنتاج المسند اليها فهو يقول انهُ لم يرَ في ما كتبتهُ وكتبهُ الدكتور فياض ما يزيد على قولنا ان التعريب يذهب ببهجة المعرَّب وان شعر العرب محصور في ابواب محدودة فاذا لم يرَ سوى ذلك فايراد القضايا من العبث وخير طرق البحث مقابلة الاديب على قولهِ والنظر في الامثلة

قال ان جايتي شاعر الالمان كان ينقل بعض معانيهِ عن الفارسية. ولم انكر عليهِ جواز النقل قبل اليوم بل انا ممن ينادي بوجوبهِ ولكن ذلك لا يفيد ان كل مكتوب يستطاع نقلهُ. ولو تأمل حضرتهُ قليلاً لالفى هذا الشاهد عليهِ لا لهُ فالفارسية من اللغات الآرية لا السامية وهي اقرب الى الالمانية منها الى العربية ولعلّ هذا القول يدهشهُ لكنهُ اذا رجع الى الموضوع في فن اشتقاق اللغات تأكد صحة هذا القول. وماذا يقول حضرتهُ في ما لو ردى ان الانكليز

والاميركان يدرسون اشعار عمر الخيام وغيره من شعراء الفرس و يستظهرونها ويقرأونها في مجامعهم ومنتدياتهم فهم يفعلون ذلك لما يلقونهُ فيها من الاستعارات والخيالات التي تجد منهم ارتياحاً اذ يفهمونها ويدركون قيمتها

ثم قال " ولو نقلنا الى اي لسان قول سماحة السيد البكري في نابوليون حتى زالت دولتهُ الشماء الخ لعدَّ ذلك فيهِ آية من آيات البلاغة والبيان " وهو تحكمٌ وتعسفٌ اذ أنّى يعلم حضرة الاديب صحة دعواهُ فهل امتحن الامر وكتب عن خبرةٍ او هو رأي عرض لهُ فدوَّنهُ ثم هو يطلب الينا ان نقبلهُ سواءٌ كان الاستنتاج صحيحاً او لا . والذي اظنهُ (مع اعترافي بقدرة سماحة السيد) ان العبارة لو نقلت الى لسان الافرنج لجاءت باردةً . اما قول صاحب الجوائب فلا يعتبر حجة في هذا المقام لسببين احدهما انهُ انما كان يتكلم في شعرهِ وهو معذور لان شعر المرء بمقام ولدهِ من فؤادهِ فهو لا يرى الاَّ حسناتهِ والثاني ان احمد افندي فارس ليس شاعراً كما يتوهم حضرة الاديب فصاحب الجوائب كاتب مجيد ومنتقد في الاخلاق شهير ولغوي محقق لكن شعرهُ ليس من طبقة نثرهِ والشواهد كثيرة في ايدي القوم في ما خلفهُ من القصائد كالتي جاءت في كتابهِ الشهير " في ما هو الفارياق " وجلّ ما يقال فيهِ انهُ ناظم احسن النظم واما الشعر فلم يكن من طبيعتهِ فانهُ مع وقوفهِ على بعض لغات الافرنج لم يأنف من ان يهزأ بلامارتين وغيرهِ من شعرائهم ويقص وقائعهم معقباً عليها بعبارات الهزء والسخرية مع ان شعرهُ ليس من طبقة شعرهم كما يتضح بالمقابلة للعارفين بالعربية ولغات اوروبا . ومن يقرأ الالياذة والانفرنو والذكرى والفردوس المفقود وهيواثا وما شاكلها يثق ان شعر الافرنج طحن لا جعجعة ولعلّ حضرة الاديب يطالبني بتعريب شيء مما ذكرت تأييداً لدعواي وتفكهة لقراء العربية اما انا فابرأ اليهِ من المقدرة على اقتحام هذه الغمرات واعترف بعجزي والقصور

ومن اغرب ما جاء في مقالة حضرتهِ قولهُ " هذه الناقة وهي ركوب العرب قد ابدعوا فيها من الاوصاف والمعاني ما لا يعد كثرة على اننا ما سمعنا للآن معنًى شريفاً للافرنج في الوابور مثلاً " (هذا توطئة لانتقاء رسالة سماحة السيد التي تتلو) فما مقام الوابور من الشعر واي صاحب ذوقٍ سليم يستطيع التغزل بالناقة والجمل الاَّ بدوياً اعتاد شظف البادية والمعيشة فيها ومن منا يأنس الى السكنى بجانب مناخ النوق حيث يسمع باذنيهِ هديرها ويشم بانفهِ رائحتها الكريهة ويرى بعينيهِ صورتها القبيحة او ان يتغزل برضابها وريقها وجمال طلعتها والدمقس والحرير تتقلب عليهما . اما الوابور فحقيقة من اكبر حقائق هذا العصر لم يصطنعهُ الافرنج للتغزل بهِ بل للانتفاع منهُ ومع ذلك فلم يقصروا في الكلام عنهُ في عرض وصفهم مناظر الطبيعة وجمالها ولو كان لديَّ

من الكتب ما اشتهي لكنت اعدد لحضرتهِ بعض ما ورد في اشعارهم ونثورهم من هذا القبيل. واين ما في الناقة من مهيجات الشعر الاَّ نفعها وهي تساوي بهِ سائر حيوانات النقل وما الذي تحدثهُ هيئتها في النفس من الطرب حتى تنطق المفحم واين هي من وجه السماء اذا تبدَّى ساطعة فيهِ النجوم او مشرقاً فيهِ البدر واين رائحتها من رائحة البنفسج والورد واين شكلها من شكل الغزال . هذه مناظر تستحق الوصف الشعري وفي هذه فاق الافرنج العرب كما يتضح من مقابلة المثال بالمثال والشبيه بالشبيه من شعر الفريقين ومنثورهما

اما قول حضرتهِ انهُ قرأ عشرين رومانًا فلم يرَ فيها من مناجاة المحبين ما هو اقرب الى الطبع من مثل قول المتنبي "الامَ طاعية العاذل" فهلاَّ ذكر ايّ الطباع يريد الافرنجية منها ام العربية فاذا كانت الثانية فهو مصيب واذا كانت الاولى فنصيب "الامَ طاعية العاذل" في عيون اهلها نصيب مناجاة المحبين في العشرين رومانًا في عيني حضرتهِ وهو عين ما قلتهُ في مقالتي الاولى في الردّ على حضرتهِ اذ اوضحت بالامثلة والشواهد بعد وضع القضية الاساسية ان التربية والاحوال والاذواق تختلف في البلادين وفي الشعبين وعلى ذلك فهلاَّ ذكر لنا حضرتهُ اسماء بعض ما قرأ من الروايات اذ لا يخفى على حضرتهِ ان هذه تتباين بلاغة واكثر ما عُرّب منها سقيم بعيد عن الاصل الافرنجي فهل قرأ مثلاً رواية سارسنسكا وسان الاريو لماريون كرافورد او ڤيڤيان كراي لدزرائيلي او ايفانهو والتاسمن وفتاة برث وغيرها لولتر سكوت او ايام بومباي الاخيرة واخر البارونات واوجين ارام والباريسيين للورد لتون وهل اطلع على رواية داڤيد كوپر فيلد ونيكولاس نيكلبي لدكنس او رومولا ومدلمارش وادم بيد لجورج اليوت وهل نظر في مكنونات باريس واليهودي التائه لاوجين سو وهل فتح مكنونات مرسيليا لاميل زولا وهل رمق رواية التعساء لڤكتور هيكو او الباريسية الحسناء التي عربها المرحوم اديب اسحق وهل شام الذكرى هيو كندي والزعماء الاسكتلنديين لمس بورتر . وهل عثر بروايات دوماس كالحراس الثلثة وهل لم يرَ في روميو وجوليت من مناجاة المحبين ما نال رضاهُ وهل قرأ اشعار الفرد ده موسيه شاعر الافرنسيس الرقيق او اقوال تنيسون شاعر الانكليز المكلَّل او طالع غزل شكسبير امير الشعراء او ابصر وصف روبرت برنس شاعر اسكتلندا المطبوع ولم يرَ فيها ما يذوب رقة ولطفاً . فهو يحاول الاستشهاد بخيرة المنظوم والمنثور في العربية ثم لا يفعل ذلك في الافرنجية فاين العدالة. أوَ انكرت عليهِ ان في الشعر العربي ما فيهِ من طيب المعاني ورقيق الغزل وحسن الوصف او لم اقل في رسالتي الاولى اننا نحن معاشر العرب لنا من آثار البلاغة والفصاحة ما يعترف بفضلهِ المستشرقون من الفرنج ولنا امرؤ القيس

ولبيد والنابغة وزهير والامام والمتنبي وابن المقفع وغيرهم كثير

وفي جملة ما انتقاهُ من الشواهد في مقالتهِ رسالة من صهاريج اللؤلوء في وصف (الوابور والبالّو) لسماحة الكاتب الشهير والشاعر المجيد السيد توفيق البكري واني اترك الحكم في مجملها لحضرات القراء اما انا فلم استفد منها سوى تشبيه الوابور بالناقة والفرس والريح والافعوان وان البال ضمَّ كثيرات من الغواني الحسان (باستثناء غير الحسان) موصوفات كما وصف كتّاب العرب الجميلة من النساء (بحذف الاكتاد العارية) وكثيرين من الفتيان صبوحي الوجوه (بصرف النظر عمن كان شيخاً وغير صبوح الوجه) وان هؤلاء خاصروا اولاء كل ذلك بالفاظ مترادفات وفواصل مسجعات اضف الى ذلك اني التزمت ان ارجع الى تفسير الالفاظ مما فسر في ذيل كل صفحة وافزع الى معجم اللغة لتفهُّم ما لم يفسر هناك. ولو جردت الرسالة من الفاظها الفخيمة والسجع الكثير لما زادت عما توصف بهِ حفلات الرقص والراقصين والراقصات ودور الرقص ومجالي الزينة فيها عادةً. ولم يعجبني في الرسالة شيء كآخرها وعبارة هي الختام قال فيها سماحة الكاتب "وهكذا حتى لاح وجه الصباح واشرق نور ذكاء فتوارت كواكب الارض والسماء". وقد حان الزمان الذي يحق فيهِ للناس ترديد الشكوى من مثل هذه الرسائل التي يقصد بها الدلالة على سعة معارف واضعيها في مفردات اللغة وطول باعهم في ضبط شواردها واوابدها. وكأني بحضرة الشاعر المجيد صاحب المقالة لا ينشر ابحاثهُ الاَّ ليضمنها رسالة او اثنتين من صهاريج اللؤلوء كما يتضح من مقالتهِ فنصيبهُ منها مع الشواهد ثلاث صفحات ورسالة سماحة السيد تملأُ ثلاث صفحات ولم تفد الباحث شيئاً الاَّ ما اورثت كلامهُ من الضعف والوهن

اما جواب حضرة الاديب على المسألة الثانية فضعيف في الحجة والاستنتاج فانهُ قال "وكما ان بعض المصورين يختص بنوعٍ مخصوص من الصور كالحروب اوالرياض اونحوها وبعضهم يتناول كل شيء كان العرب ممن اختص بتصوير بعض مناظر الوجود دون البعض الاَّ انهم ابدعوا في تصويرها باشكال مختلفة بحيث بلغوا من ذلك شأْواً ليس وراءهُ الخ" ولو قال وكما ان بعض المصورين يختص بنوعٍ مخصوص الخ كان بعض شعراء العرب ممن اختص بتصوير بعض مناظر الوجود لصلح التشبيه واستقام والاَّ فاذا اراد تشبيه صناعة الشعر بصناعة التصوير تشبيهاً تاماً فلماذا يتخذ افراد المصورين ركناً واحداً والعرب باسرهم ركناً آخر وما الداعي لهذا الاختصاص في العرب سوى التقليد فان ما نظمهُ الجاهلية منهم لا غبار عليهِ لانهُ جهد ما استطاعوا نظمهُ في بلاد العرب التي سكنوها لذلك العهد ولم يكن لديهم من التاريخ والتقاليد ومناظر الطبيعة والمعارف شيء يذكر فشعرهم يصف حاساتهم وشعائرهم واخبارهم ووقائعهم وصفاً

تاماً ولكن العجب في هذا الاختصاص بعد ان تطرق العمران الى العرب وجابوا البلاد ونظروا في بلاغة غيرهم وشحن تاريخهم بالاخبار وجاءتهم العلوم من الامم المحيطة بهم كيف لم يتسع وكيف لم ينهجوا سوى منهج الجاهلية في الشعر ولم يخالفوهُ الاَّ بما قصروا فيهِ عنهُ من جزالة اللفظ وحسن التركيب وكون الشعر كلفة لا عفواً كما كان في اولئك. افلا يحسب الشعر العربي محدوداً ولا اثر فيهِ للروايات التمثيلية ولا للقصائد التاريخية ولا الاقاصيص الحقيقية او الخيالية ولا . . . ولا . . . والشعر الاجنبي كاليوناني والايطالي والانكليزي والافرنسي والالماني يشتمل على المديح والهجاء والرثاء والفخر والغزل والحماسة الى آخر ما تلقاهُ في الشعر العربي ويفضلهُ بما يزيد بهِ عليهِ مما تقدَّم من الابواب فاذا لم يكن هذا النقص كافٍ لنعت الشعر العربي بالمحدود فاي النقص يحوز هذا النعت . الى ان قال " ولو استوفى الافرنج اركان البلاغة كما قدمنا ثم تنوعوا في المواضيع كما تنوعوا لكان لهم القدح المعلَّى في البيان ولكننا لا نخالهم فعلوا ذلك والكلام خلو من هذه الاركان جمجمة ولا طحن " فكيف يحق لحضرة الاديب ان يقول هذا القول ولم يبدُ لنا من شواهدهِ ما يفيد اطلاعهُ على آيات البلاغة الافرنجية وعلى مَ هذه التهمة التي لا تحط من قدر تلك البلاغة وانما تدل على مبلغ علم مرسلها. فان في اللغات الافرنجية من جواهر اللفظ وسحر المعاني مع تنوع المواضيع ما يشرح الصدر ويقرّ العين ومن اراد زيادة التحقيق فما عليهِ سوى المطالعة فيحكم لنفسهِ ويقنعهُ وجدانهُ واختبارهُ. واذا شاء حضرة الاديب الوقوف على كنهِ بلاغة الافرنج فخير الوسائل انقطاعهُ اشهراً لدرس لغة اجنبية حية كالانكليزية او الافرنسية فاذا بلغ منها مناهُ (وما ذلك على فطنتهِ وذكائهِ بكثير) شهد من آثار بلاغة القوم وفصاحتهم ما لا يراهُ في مئة مقالة ينظر فيها اصحابها في هذا الموضوع. ولا بدَّ لي من الاعتراف بما لحضرتهِ من الغيرة على الآداب والشعر واهتمامهِ بالوقوف على الحقيقة مما يرفع شأن الكاتب وعدم استلامهِ للحق الاَّ بعد البحث الدقيق ووزن القضايا بميزان العقل السليم. اكثر الله من امثال غيرة وسعة صدرٍ ووفرة علم وجمعني واياهُ في غير هذا البحث فهذه الرسالة آخر عهدي بالموضوع

اسيوط خليل ثابت

اقتراحان

حضرة منشئ المقتطف الزاهر

كثيراً ما نرى في المقتطف كلمات معرَّبة من اللغات الاوربيَّة ونود ان نعرف تهجيتها الافرنكية حتى نهتدي الى البحث عنها في فهارس مؤَلفاتهم مثال ذلك ما جاء في الجزء الاخير

من المقتطف عن راس نوم عند ساحل بحر بيرنج وكذا كلمة فلوطرخس وتكساسيلا وما اشبه والذي اقترحه على حضرتكم ان تضبطوا لنا هذه الاسماء وامثالها بحروفها الافرنكية

هذا هو الاقتراح الاول اما الثاني فهو ان تنشروا لنا خريطة البلاد التي فتحها الاسكندر ذو القرنين فيزيد شكرنا لحضرتكم امبابه سمعان عوض

(المقتطف) اما من حيث الاعلام فاننا نضع احياناً لفظها بحروفهِ الافرنجية اذا كان المراد معرفتها بالذات واما اذا كان المراد شيئاً آخر وهي واردة فيهِ عرضاً لم فلا نرى داعياً لذكر الحروف الافرنجية ولا سيما اذا كان العلم مشهوراً مثل كثير من الاسماء الجغرافية واسماء مشاهير الناس . واما الخريطة فستنشر في هذا الجزء او الذي يليهِ

باب الصناعة

السلوليث Cellulith

اذا ضُرب الرُّب الذي يصنع منهُ الورق زماناً طويلاً صار شفافاً مرناً يصلب شديداً اذا جفَّ ويصير الورق المصنوع منهُ متيناً جداً وهو السلوليث ويقال ان سبب ذلك هو خروج مادة غروية من حويصلات السلولوس تلصق الياف الورق بعضها ببعض. والظاهر ان هذا هو السبب في تكوُّن الرق النباتي بواسطة الحامض الكبريتيك . فان الوراقين يعالجون رب الورق بالحامض الكبريتيك فيستحيل بعض السلولوس الذي فيهِ الى مادة غروية (اميلويد) ترسب في الماء الكثير وتغري بقية الياف الورق بعضها ببعض فيصير من ذلك ورق شبيه برق الغزال يكاد يكون شفافاً . اما السلوليث فصنع بالوسائط الميكانيكية لا الكيماوية وذلك بضرب الرب مدة طويلة من اربعين ساعة الى ١٥٠ ساعة حتى يصير الرُّب كلهُ جسماً واحداً خالياً من الالياف

واذا اريد تلوين السلوليث اضيف اللون اليهِ قبل ضربهِ ثم يضرب كما تقدم حتى يصير في قوامهِ كالعسل ويبخر الماء منهُ على درجة ٤٠ س فيجف رويداً رويداً حتى تصير منهُ مادة قرنية ويكون ثقلهُ النوعي حينئذٍ نحو ٤و٥ . ويمكن ان يخرط ويقطع كالقرن والابونيت وهو مثل السلولويد ولكنهُ لا يلتهب مثلهُ واذا مزج بنشارة الخشب والهباب كان منهُ مادة كالابنوس

سد الخزان

نشرنا في هذا الجزء وصفاً وجيزاً لخزان اصوان وكيفية بنائهِ ولم نكد نقرأ المسوَّدة الاخيرة منهُ حتى جاءتنا جريدة السيتنفك اميركان وفيها وصف خزان آخر مثل هذا الخزان تعالى عليهِ الماء فصدعهُ وجرف منهُ قطعة كبيرة طولها اربع مئة متر سار بها السيل كانها قشَّة ثم فتتها تفتيتاً كأنها مدرة فارتعدت فرائصنا من تصور حادث مشوم مثل هذا يحدث لخزان اصوان اذا اخطأ المهندسون والبناؤُون في تقدير صلابة اساسهِ او اغفلوا بقاء شيءٍ غير متين منهُ فان الخزان الاميركي المشار اليهِ وهو على نهر كلورادو بناهُ اشهر المهندسين الاميركيين وهو ليس طويلاً مثل خزان اصوان فان طول سدهِ ١١٢٥ قدماً وعلوهُ عن قاع النهر ٦٥ قدماً وعرضهُ من اسفلهِ ٦٦ قدماً واما خزان اصوان فطول سدهِ ٦٦٠٠ قدم وعلوهُ ٨٣ قدماً وعرضهُ من اسفلهِ نحو ذلك فضغط الماء على كل جانب منهُ يزيد على ضغط الماء على السد الاميركي

وموقع الخلل في السد الاميركي ضعف اساسهِ لانهُ مبني على صخر جيري فصار الماء يغور في شقوق الصخر وينبع من الجانب الآخر كما كان الماء يغور من فوق القناطر الخيرية ثم ينبع من تحتها . وبذل المهندسون جهدهم في سد هذه المنافذ الى ان امطرت السماء مطراً غزيراً فعلا ماء النهر احد عشر قدماً فوق اعلى السد فانصدع من مكانين بينهما اربع مئة قدم ودفع الماء هذه القطعة العظيمة منهُ وجرى بها نحو خمسين قدماً وهي واقفة . يا لها من قوة عظيمة جرفت بناء عظيماً طولهُ اربع مئة قدم وعلوهُ ٦٥ قدماً وسمكهُ من اسفلهِ ٦٦ قدماً ومن اعلاهُ نحو ثلاثين قدماً. ثم كسرتهُ قطعتين ومزقت اوصال كل قطعة منهما على حدة . هذه قوة الماء الجاري التي قلَّما يقف في سبيلها شيء

ولا يمتاز خزان اصوان على هذا الخزان الاَّ في ان الصخر الذي تحت سدهِ من الجرانيت وفي ان ميل هذا السد الى اسفل مجرى الماء لا الى اعلاه فهو اقدر على مقاومة الضغط ولم يجعل الميل في ذاك الى الاسفل لئلاَّ يأكلهُ الماء ولو كان مبطناً بحجارة الجرانيت

الصوف في الصناعة

الصوف تنوُّع من الشعر يوجد في اكثر الحيوانات ذوات الثدي و بعضها تكاد ابدانها تكون مغطاة بهِ وحدهُ كالغنم الاهلية اما الغنم البرية ففي ابدانها شعر وصوف لكن الشعر زال من الغنم الاهلية وبقي فيها الصوف

و يمتاز الصوف عن الشعر بان الشعر صقيل غالباً واما الصوف فخشن لان على سطحهِ قشوراً

متراكبة كفلوس السمك والشعر مستقيم . واما الصوف فمتجعد او متموج ولذلك يطول اذا شُدَّ وهو سبب المرونة في المنسوجات الصوفية . والقشور التي فيهِ هي سبب اشتباكهِ بعضهِ ببعض في عمل اللبد

ويختلف طول الشعرة من صوف الغنم من سنتيمترين ونصف الى عشرين سنتمترًا والاول يحلج حلجًا قبلما يغزل والثاني يمشط مشطًا قبلما يغزل

وتتوقف قيمة الصوف على نعومة شعرهِ ودقتهِ وطولهِ وتموُّجهِ ولمعانهِ ومتانتهِ ومرونتهِ ولونهِ وسهولة صبغهِ . والصوف يمتص الرطوبة بكثرة فاذا كان الهواء حارًّا جافًّا فقد يكون في الصوف ٨ الى ١٢ في المئة من الرطوبة واذا كان الهواء رطبًا فقد يكون فيهِ ٣٠ الى ٥٠ في المئة من الرطوبة ولذلك ينظر الى مقدار ما فيهِ من الرطوبة وقت بيعهِ. وحكومات اوربا تراقب ذلك ولا تسمح بان تكون الرطوبة اكثر من ١٨ الى ٢٥ في المئة

واجود انواع الصفوف الابيض ويتلوهُ الاصفر والاسمر الى الاسود وعلى سطح الصوف مادة دهنية تذوب في الايثير ومادة اخر تسمى عرَق الصوف وهي تذوب في الماء ويطلق على المادتين معًا اسم مح الصوف. وفي عرق الصوف املاح بوتاسية وحوامض زيتية وشمعية واملاح من املاح الصودا وحوامض طيارة الخ. ولذلك يكون في الماء الذي يغسل فيهِ كثير من املاح البوتاسا واذا جُفِّف هذا الماء واحرق ما فيهِ بقي منهُ كثير من كربونات البوتاسا وتبلغ كربونات البوتاسا المستخرجة من غسل الصوف في فرنسا وبلجيكا اكثر من مليون كيلو في السنة . واذا استقطر نح الصوف استقطارًا جافًّا بقي منهُ مادة يستخرج منها بروسيات البوتاسا الاصفر

وينحل الصوف عند الدرجة ١٣٠ بميزان سنتغراد وتخرج منهُ ابخرة نشادرية وعند الدرجة ١٤٠ و ١٥٠ تخرج منهُ ابخرة كبريتية واذا أُشعل خرجت منهُ رائحة كريهة مثل رائحة الريش المحروق وبقي منهُ بقية كثيرة المسام . والصوف يذوب في مذوب النحاس الهيدراتي النشادري اذا كان سخنًا . والحامض الهيدروكلوريك والكبريتيك المخففان لا يفعلان بهِ سواء كانا باردين او سخنين وبذلك يفرق القطن عن الصوف فان الحامض الكبريتيك المخفف يفعل بالقطن ولا يفعل بالصوف فاذا عولج النسيج الذي فيهِ صوف وقطن بالحامض الكبريتيك المخفف وجفف على الدرجة ١١٠ من الحرارة بميزان سنتغراد انحلّت دقائق القطن ووقعت من النسيج بنفضهِ ويبقى الصوف فيهِ . والحامض الكبريتيك لا يفعل فعلاً شديدًا بالصوف ولكنهُ يجعلهُ اصفر . والحامض الكبريتوس او بخار الكبريت يقصر الصوف فيبيضهُ لانهُ يزيل المادة الصفراء التي تلونهُ . والقلويات الكاوية تفعل بهِ فعلاً شديدًا وتتلفهُ . واما الكربونات القلوية والصابون

فتفعل بهِ قليلاً اذا لم تزد الحرارة على ٥٠ درجة بميزان سنتغراد . والكلور يتلفهُ فلا يبيض بهِ ولا بمركباتهِ ولكن اذا كان الكلور خفيفاً جدًّا اصفرَّ بهِ لون الصوف وزادت قابليتهُ لبعض الاصبغة

ومما يجري مجرى الصوف مرعزَّى معزى انقرة وجنوبي افريقية وهو طويل حريري ناعم جدًّا لمَّاع . والالبكا والثيكونا واللاما والغواناكو وهي شعر اربعة اصناف من المعزى تكون في اميركا الجنوبية واشهرها الالبكا وهو طويل حريري لمَّاع متوسط بين الشعر والصوف . ومنها وبر الجمال وتنسج منهُ منسوجات ناعمة غالية الثمن

وسيأتي الكلام على احدث الطرق لتنظيف الصوف وقصره

السيوف اليابانية

السيوف اليابانية مشهورة كالسيوف الدمشقية القديمة وهي تصنع من صفائح رقيقة من الفولاذ (الصلب) على هذه الصورة: يستخرج الحديد من معادن الحديد المغنطيسي ويرقق رقوقاً يوصل رق منها بقطعة من الحديد تكون مقبضاً للسيف ثم يلحم بهِ رقوق اخرى حتى يصير من ذلك نصل طولهُ نحو عشرين سنتمترًا وعرضهُ خمسة سنتمترات وسمكهُ سنتمتر ويحمى هذا النصل الى درجة البياض ويثنى على نفسهِ ويطرَّق حتى يعود الى اصلهِ قبل ثنيهِ ويكرَّر ذلك خمس عشرة مرةً فيثنى على نفسهِ كل مرة ثم يطرق حتى يرق ويعود الى اصلهِ . ثم تلحم اربعة نصال مثل هذا النصل حتى يكون منها نصل واحد ويثنى على نفسهِ ويطرَّق ويكرَّر ذلك خمس دفعات فاذا كانت النصال التي لحمت اول مرة خمسة فقط ففي النصل الاخير عشرة ملايين ورقة رقيقة من الصلب . وقد تصنع هذه النصال من صفائح متوالية من الحديد والصلب . ثم تهذَّب وتجلخ وتغطى بمزيج من الطين والرمل والفحم المدقوق وترسم فيهِ رسوم غائرة حتى تنقش بحسبها وتحمى الى درجة معلومة عندهم وتغطس في الماء والزيت وتسن بعد ذلك . فتكون من اقطع السيوف وامتنها ويقال ان اجود النصال لا يتم عملهُ في اقل من خمسين يوماً

الفوتوغراف على الرخام

يجلى الرخام جلياً ولكن لا يصقل ثم يدهن بمزيج من ٥٠٠ جرام من البنزين و٥٠٠ من التربنتينا و٥٠ جراماً من القار و٥ جرامات من شمع العسل ويترك حتى يجف الدهان عليهِ ثم يوضع عليهِ لوح فوتوغرافي والجلاتين الى الرخام ويعرض للنور ٢٠ دقيقة ثم يزال اللوح

ويغسل الرخام بالغازولين فتظهر عليهِ الصورة ثم يغسل بالماء الكثير ويغطس في محلول الازرق البروسياني بالالكحول واحمر الابوسين ويزال الدهان عن الرخام فتظهر الصورة عليهِ غائرة فيهِ ثم يصقل جيداً فيكون لونها جميلاً

الشمع للاثاث

صبَّ ثلاثة دراهم من زيت التربنتينا على اربعة دراهم من شمع العسل الابيض في اناء خزفي وغطهِ بورقة وضعهُ في ماء سخن فوق فرن لكي يذوب الشمع ويمتزج بزيت التربنتينا اتركهما حتى يبردا ثم اضف اليهما درهمين من الالكحول القوي فيكون من ذلك دهان جيد لخشب الجوز

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر يونيو ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويمكن ان يرى بالعين في الشفق مدة الايام الاخيرة من الشهر . وسيرهُ الى الشرق في الثور والجوزاء ويقطع عرضهُ الشمسي الاعظم شمالاً في العاشر من الشهر الساعة السابعة مساء ويقترن بالزهرة في الثاني والعشرين من الشهر الظهر ثم يسهل الاستدلال عليهِ بها بعد ذلك

الزهرة

تبقى الزهرة نجم المساء ويبلغ اشراقها اشدَّهُ في غرة الشهر الساعة العاشرة صباحاً ثم يقل اشراقها وتباينها بسرعة ومسيرها الى الشرق حتى السادس عشر من الشهر الساعة الرابعة صباحاً وتظهر ثابتة حينئذٍ بين النجوم ثم تنقلب حركتها غرباً وهي في الجوزاء الشهر كلهُ وتقطع عقدتها النازلة في التاسع عشر من الشهر الساعة ٢ مساء وتقترن بالمريخ في الثاني والعشرين منهُ الظهر

المريخ والمشتري

المريخ نجم الصباح وسيرهُ الى الشرق من برج الحمل الى برج الثور . والمشتري نجم المساء وهو في حركتهِ المتقهقرة في برج العقرب

زحل

يكون زحل في الاستقبال مع الشمس في الثالث والعشرين من الشهر الساعة السابعة مساء ويبلغ الهاجرة نصف الليل وهو في برج الرامي وسيره غربًا وحركتهُ متقهقرة

ويكون اورانوس في الاستقبال مع الشمس في غرة الشهر الساعة ١ مساء ونبتون في الاقتران مع الشمس في الثامن عشر من الشهر الساعة ١ مساء

اقتران القمر بالسيارات

اليوم	الساعة						
٠١	١٢	صباحًا	يقترن القمر	بالزهرة	فتقع	٦ ٥	شماليهُ
١١	١٠	مساء	"	بالمشتري	فيقع	١ ٢٩	"
١٤	٠١	صباحًا	"	بزحل	"	٠ ٥٨	جنوبيهُ
٢٣	١٠	"	"	بالمريخ	"	١ ٣١	شماليهُ
٢٨	١١	"	"	بالزهرة	فتقع	١ ٢٩	"
٢٩	١١	"	"	بعطارد	فيقع	٥ ٠٩	"

اوجه القمر

		دقيقة		
٠٥	٠٩	٠٣	صباحًا	الربع الاول
١٣	٠٥	٤٣	"	البدر
٢٠	٠٣	٠٢	"	الربع الاخير
٢٧	٠٣	٢٣	"	الهلال
٠٥	١٠	٥٣	مساء	في الحضيض
١٩	٠٤	١١	صباحًا	في الاوج

ابليس الاسود

جناب الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

لما كنت اسرح الطرف في رياض مقتطفكم الزاهرة عثرت على سؤال جبري عنوانهُ "ابليس الاسود" في المجلد العاشر بقلم الرياضي الفاضل قسطنطين افندي سعد وطريقة

حله بقلم محمد افندي عارف فعمدت الى حله بطريقة أُخرى وبعد الجهد والعناء تيسر لي حله على طريقة تستوجب انظار الرياضيين ولست أَقصد بهذا التعرض لحضرة محمد افندي فاني اعترف لهُ بالتقدم والسبق ولكن ثقتي بحضرتهِ انهُ ممن يسرُّهم تشجيع الاحداث للاقبال على مثل هذه المسائل حملتني على ارسال حلي راجيًا من فضلكم ادراجهُ تعميمًا للفائدة ولجنابكم جزيل الثناء

الحل

$$\frac{(\text{دس}+\text{١})(\text{ك}^{\text{٢}}+\text{١})}{\text{ك}+\text{١}} = \frac{(\text{د}^{\text{٢}}+\text{١})(\text{كى}+\text{١})}{\text{ى}+\text{١}} \quad \ldots\ldots \quad (\text{١})$$

$$\frac{(\text{دس}+\text{١})(\text{ى}^{\text{٢}}+\text{١})}{\text{ى}+\text{١}} = \frac{(\text{س}^{\text{٢}}+\text{١})(\text{ىك}+\text{١})}{\text{ك}+\text{١}} \quad \ldots\ldots \quad (\text{٢})$$

من (١) $\frac{\text{ك}^{\text{٢}}+\text{١}}{\text{كى}+\text{١}} = \frac{\text{ك}+\text{١}}{\text{ى}+\text{١}} \times \frac{\text{د}^{\text{٢}}+\text{١}}{\text{دس}+\text{١}}$

" (٢) $\frac{\text{ى}^{\text{٢}}+\text{١}}{\text{كى}+\text{١}} = \frac{\text{ى}+\text{١}}{\text{ك}+\text{١}} \times \frac{\text{س}^{\text{٢}}+\text{١}}{\text{دس}+\text{١}}$ وبالضرب يحصل

$$\frac{(\text{ك}^{\text{٢}}+\text{١})(\text{ى}^{\text{٢}}+\text{١})}{(\text{كى}+\text{١})^{\text{٢}}} = \frac{(\text{د}^{\text{٢}}+\text{١})(\text{س}^{\text{٢}}+\text{١})}{(\text{دس}+\text{١})^{\text{٢}}}$$

ثم بطرح المخارج من الصور

$\frac{(\text{ك}-\text{ى})^{\text{٢}}}{(\text{كى}+\text{١})^{\text{٢}}} = \frac{(\text{د}-\text{س})^{\text{٢}}}{(\text{دس}+\text{١})^{\text{٢}}}$ فاذاً $\frac{\text{ك}-\text{ى}}{\text{كى}+\text{١}} = \pm\frac{\text{د}-\text{س}}{\text{دس}+\text{١}} \quad \ldots \quad (\text{٣})$

من (١) ايضاً $\frac{(\text{ك}^{\text{٢}}+\text{١})(\text{ى}+\text{١})}{(\text{ك}+\text{١})(\text{كى}+\text{١})} = \frac{\text{د}^{\text{٢}}+\text{١}}{\text{دس}+\text{١}}$ وبطرح المخارج من الصور

$$\frac{(\text{ك}-\text{ى})(\text{ك}-\text{١})}{(\text{كى}+\text{١})(\text{ك}+\text{١})} = \frac{\text{د}(\text{د}-\text{س})}{\text{دس}+\text{١}} \quad \ldots\ldots \quad (\text{٤})$$

بقسمة (٤) على (٣) $\frac{\text{ك}-\text{١}}{\text{ك}+\text{١}} = \pm\,\text{د}$

فاذاً ك $= \frac{\text{١}+\text{د}}{\text{١}-\text{د}}$ او $\frac{\text{١}-\text{د}}{\text{١}+\text{د}}$

ثم اذا عاملت (٢) كما عاملت (١) في الحالة (٤) وقسمتهُ على (٣)

يحصل $\frac{\text{ى}-\text{١}}{\text{ى}+\text{١}} = \pm\,\text{س}$ فاذاً ي $= \frac{\text{١}+\text{س}}{\text{١}-\text{س}}$ او $\frac{\text{١}-\text{س}}{\text{١}+\text{س}}$

واذا شئت فعوض عن ك بقيمتها فى احدى المعادلات .

منصور حنا جوداق
تلميذ
في المدرسة الكلية السورية



الرجل والرفش

THE MAN WITH THE HOE
AND OTHER POEMS.
BY
EDWIN MARKHAM.

رأى الشاعر ادون ماركهام الاميركي صورة الرجل والرفش التي صوَّرها المصور مله[1] Millte وهي تمثل رجلاً عاملاً انحنى على رفشهِ مستنداً اليهِ وقد حنت ظهرهُ الهموم فنظم قصيدة في ذلك كان لها اعظم وقع في النفوس فكتب اليهِ العلماء والادباء والفلاسفة يشكرونهُ ويهنئونهُ لانهُ اماط بها اللثام عن امسّ مسائل العمران . وقد طبعت هذه القصيدة في كتاب صغير مع قصائد ومقاطيع اخرى للناظم واهديت الينا نسخة منهُ . اما القصيدة فما قالهُ فيها

"عرت متنيهِ اثقال الدهور فانحنى على رفشهِ واطرق الى الارض. وزال البشْر من وجههِ زوال السرور من الزمان. مَن جعلهُ لقىً لا يشعر بفرح ولا يترح لا يحزن ولا يرجو شيئًا خاملاً رفيقًا للثيران شرسًا خائر العزيمة . اي يد جبهت جبهتهُ واطفأت منهُ نور العقل

"اهذا هو الرجل الذي خلقهُ الله وسلطهُ على البر والبحر واعطاهُ العلم والعرفان والرغبة في الخلود. اهذا هو غرض الخالق الذي كوَّن الكواكب ورفع جلد السماء وبث فيهِ النور .ليس في الدنيا ولا في اعماق الهاوية ما هو ادلُّ على الطمع والشؤم وسوء المصير "الى ان قال

"ايها الامراء والعظماء والحكام أهذا هو العمل الذي تقابلون بهِ الخالق.هذا الرجل الذي احنتهُ الهموم واطفأت النور من نفسهِ كيف تقوّم قامتهُ وتردُّ اليهِ آمال الخلود وبهجة الحياة ويُصلَح ما فسد منهُ وتشفى ادواؤهُ التي عزَّ شفاؤُها

"ايها الامراء والعظماء والحكام ما يكون شأنكم حينما تثور عواصف العصيان وما يحل بالملوك والممالك حينما يحشر الناس للحساب"

والقصيدة على هذا النمط من التوبيخ والتقريع وقد القى الناظم فيها تبعة الشقاء الحالِّ بالفقراء والعمال على العظماء

(١) مصور فرنسوي من اشهر المصورين بيعت صورة واحدة من صورهِ باكثر من ثلاثة وعشرين الف جنيه لكنها بيعت كذلك بعد موتهِ اما في حياتهِ فعاش بالفقر والمسكنة

فصول سريانيَّة فلسطينيَّة
Palestinian Syriac Texts.[1]

يذكر قراء المقتطف اسم السيدتين العالمتين مسز لوس واختها مسز جبسن اللتين تترددان على هذا القطر والقطر الشامي وتمضيان الى طور سينا وتبحثان في الكتب القديمة التي في ديره من عربية وعبرانية وسريانية وتتجشمان مشاق الاسفار برًّا وبحرًا لكشف حقيقة تاريخية مع انهما على ثروة طائلة وتعيشان في بيتهما كما يعيش الملوك . ومما اتحفتانا بهِ الآن فصول وُجدت في كنيس اليهود في مصر العتيقة اخذها الدكتور شختر من حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية سنة ١٨٩٧ واهداها الى الدكتور تيلر بمدرسة كمبردج الجامعة فنظرتا فيها وفي رقوق اخرى اخذتاها من الكنيس المشار اليهِ واظهرتا الكتابة الطامسة وقرأتا بعضها . وهذه الفصول رقوق بعضها من التوراة وبعضها من الاناجيل او الرسائل او كتب اخرى واصلها سرياني ثم مُحيَت عنها الكتابة السريانية وكتبت بالعبرانية وقد وصفتاها كلها وطبعتا بعضها منقولاً بالتصوير الشمسي فظهرت فيهِ الكتابة العبرانية وتحتها آثار الكتابة السريانية

هذه كنوز المشرق العلمية ندفنها في التراب لاننا لا نعرف قيمتها ويحج اليها علماء اوربا رجالاً ونساء فيستخرجونها من مدافنها ويظهرون فوائدها ويتجرون بها

اربع روايات

اهدت الينا مطبعة الرقيب في الاسكندرية اربع روايات معربة بقلم الكاتب المجيد والمنشيء البليغ نجيب افندي ابرهيم طراد محرر جريدة الرقيب الغراء وهي رواية المتمولة الحسناء وخليلة هنري دي نافار ووقائع رني ووقائع الملكة كاترين. وما تخطهُ يراع حضرة المعرب يكون مسبوكًا في قالب عربي خاليًا من التراكيب السقيمة التي يسقط فيها كثيرون من المعربين ومن الالفاظ المهجورة التي يكثر منها المتأنقون في اللغة ولو ضاع معنى ما يكتبونهُ على جمهور القراء

والروايات الاربع سلسلة واحدة تنتهي بمذبحة مار برثلماوس التي حدثت سنة ١٥٧٢ . وقد حاول المصنف تبرئة الملك شارل التاسع منها حاسبًا انهُ جن جنونًا وقتيًا فامضى الامر القاضي بذبح البروتستانت وهو لا يدري ثم ثاب اليهِ عقلهُ قبل ان يقضى على زوج اختهِ هنري ده نافار فنجاهُ من القتل وكان يقصد بالمكيدة قتلهُ لئلاَّ يخلف ملك فرنسا وهو بروتستانتي

وستتلو هذه الاجزاء قصة حصار باريس وهي خاتمها وتطلب كلها من المكتبة الخديوية بالاسكندرية لحضرة صاحبها الاديب جرجي افندي غرزوزي مدير جريدة الرقيب الغراء

[1] Messrs. C. J. Clay & Sons London. price 10/6

التجارة والحرب ومؤتمر السلم

هما مقالتان للكاتب الاديب عبد الله رزق الله شار الاولى منهما مسهبة ذكر فيها اصل التجارة وتاريخها واهميتها ومسهلاتها وقال ان محط رحال التجارة ومحورها في العصور الغابرة بلاد فينيقية فكانت سفائن الفينيقيين تمخر البحار الشاسعة مذللة تيارها ساعية فوق امواجها الزاخرة بمصنوعات العالم وسلعهم بينما كانت قوافلهم تطوي البيد وتفري الفيافي متطلبة في شاسع الارض ودانيها المحصولات المتنوعة فشقت سفنهم عباب البحار والنجوم دليلها غير مبالية بالعواصف والانواء وانشأوا المستعمرات في البحر الاسود والارخبيل والاتلنتيك واسفارهم الشهيرة حول قارة افريقية تشهد بانهم فحول هذه المعامع واسودها ...

ولم يقف الفينيقيون في مدن اوربا الساحلية بل قد توغلت قوافلهم في قلب البلاد كلها كما دلت على ذلك آثارهم المستخرجة حديثاً . فقد اكتشف علماء العاديات في وسط فرنسا على ابنية خاصة بالفينيقيين وروى فريق من الحكماء ان اولئك البحارين الجسورين وطئوا ارض اميركا قبل كاشفها الجنوي كما تقدموا البرتغاليين الفي سنة في مياه جنوبي افريقية فيجوز لي والحالة هذه القول بان الفينيقيين اشبه بانكليز زماننا من الليلة بالليلة والماء بالماء . وكان للصيدونيين والصوريين والبيروتيين السهم الاوفر والنصيب الاكبر من هذه المفاخر والمناقب فهم دعاة التجارة وهم رسلها في مشرق الارض ومغربها وهم محور تلك الحركة العظيمة وحجر رحاها . بل هم حياة الهيئة الاجتماعية القديمة ودمها وبلادهم قلبها وسفائنهم وقوافلهم عروق جسمها"

وقد احسن في وصف مسهلات التجارة العمومية والخصوصية كقوله في الكلام على المستودعات

"المستودعات — ان خدمة المستودعات (Dépôts,docks) للتجار وخصوصاً القليلي رأس المال منهم لخليقة بالذكر وحرية بالاعتبار . ذلك ان رأس مال زيد يبلغ الفي ليرة فيشتري بها مثلاً قطناً . فان لم يبعهُ في الحال وقف دولاب تجارتهِ ريثما تنفق بضاعتهُ . على ان اربح التجارة ما تعددت معاملاتها . وعليهِ يضع زيدٌ قطنهُ باجرة جزئية في احدى مستودعات بلدتهِ ويأخذ لقاءهُ من اصحابها سفتجةً بقيمة الف وثمانمائة ليرة ويرسلها في الحال الى عميلهِ في مرسيلية مثلاً فيشتري لهُ هذا لقاءها صوفاً . فاذا جاءهُ الصوف وضعهُ ايضاً في المستودع واخذ من صاحبهِ سفتجةً بقيمة الف وخمسمائة ليرة يبتاع بها شيئاً آخر بينما يظهر مشترٍ لسلعهِ الاولى . وهكذا يعدد المعاملة بنفس رأس المال . وقد اكثر الغربيون من انشاء هذه المستودعات المفيدة في بلدانهم التجارية وصرفوا عنايتهم الى تنظيم شؤونها"

وتكلم بعد ذلك على "وسائلنا التجارية" في الممالك العثمانية فعدد منها الانهر وسكك

الحديد والبواخر ومراكز البريد والتلغراف . ولا ندري كيف كان يشعر الكاتب وهو يكتب في هذه الوسائل وهل كان يخطر على بالهِ نسبتنا الى الامم الاوربية منذ الفين وخمس مئة سنة ونسبتنا اليهم الآن . وهل يجوز في شرع احد ان نسهب في تعداد مفاخر اسلافنا ونوجز في وصف معايبنا ثم اذا ذكرناها غضضنا الطرف عن اسبابها الاولية واقتصرنا على ذكر الاسباب الثانوية والكلام على الحرب ومؤتمر السلم وجيز وكأَنَّ مجلّة المشرق التي نُشر فيها اولاً يضرُّ بها ذكر المقتطف فاغفلتهُ عند ذكر الفقرات المقتبسة منهُ . وتُطلَب هذه النبذة من مكتبة امين افندي هندية في مصر ومن مكاتب بيروت

الخلاصة الماسونيَّة

معربة بقلم الاديب ايليا افندي الحاج وقد اهداها حضرة معربها الى سعادة صاحب الوجاهة والفضل ادريس بك راغب الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري وفيها فذلكة في تاريخ الماسونية وتسع وتسعون مادة كلها نصائح حكمية كقولهِ "على العاقل ان يعلم كنه وجودهِ في هذه الدار ولاي سبب خلقهُ الخالق فيمتلىء حكمة ونوراً" . وقولهِ "اذا وُجدتَ مع جاهل بالعلم مجادل فلا تجاوبهُ بل اصغِ الى كلامهِ لعلهُ ينطق بكلمة من الحكمة تخفى عنك فتقتبسها منهُ" . وقولهِ "اذا مدحك احد بما ليس فيك فاعلم انهُ مخاتل"

وهي تطلب من ادارة مكتبة الترقي بشارع عبد العزيز وثمنها غرشان

الدنيا في باريس

هي رسائل يبعث بها حضرة الكاتب الفاضل احمد بك زكي في وصف معرض باريس فتنشرها ادارة طبيب العائلة نشرات اسبوعية . وقد جرى حضرة الكاتب فيها مجرى مارك توين في ذكر الحقائق موشحة بوشاح الهزل والفكاهة فوصف في الرسالة الاولى والثانية اكلهُ طعاماً مصنوعاً من لحم الضفادع وصفاً يضحك الثكلى ثم ما لبث ان عقب عليهِ بما يسهل على المشارقة اكل الضفادع . ويلي ذلك كلام وجيز عن المعرض وكونهِ لم يتم حتى الآن والنصيحة لقاصديهِ ان يتأخروا شهراً او شهرين

تذكار الدكتور وليم ادي

مقالات لبعض رفقائهِ وتلامذتهِ ذكرت فيها ترجمتهُ واعمالهُ والاحتفال بدفنهِ وبعض القصائد التي قيلت في رثائهِ . وهو من اقدم المرسلين الاميركيين في سورية قدم سورية سنة ١٨٥١

ووصل مدينة بيروت في اوائل سنة ١٨٥٢ واشتغل بالتعليم والتبشير الى ان وافتهُ المنية في اوائل هذا العام. ومن آثارهِ الباقية كتاب الكنز الجليل في تفسير الانجيل في خمسة مجلدات. وكان رجلاً فاضلاً اصيل الرأي دقيق النظر انيس المحضر عرفناهُ زماناً طويلاً واستفدنا من اختبارهِ ونصائحهِ فوائد شتى

وقد ربى هو وقرينتهُ الفاضلة عائلة خلفتهُ في اعمال البر والنفع فمنها ابنهُ القس وليم ادي وابنتهُ مسز هسكنس خلفاهُ في اعمال التبشير. وابنهُ الدكتور كندت ادي وابنتهُ الدكتورة ماري ادي اشتهرا في صناعة الطب. وتلامذتهُ كثار في انحاء سورية فما من مبشر في الكنائس الانجيلية فيها الاَّ وهو من تلامذتهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) شراب العشبة

نجع حمادي الخواجه منسي نكلا. رأيت كثيرين يهتمون بشراب العشبة و يطنبون في فوائدهِ فيستحضرونهُ ويتعاطونهُ بضعة اسابيع فما فوائد هذا الشراب ومضارهُ وهل يوجد فرق بين ما يستحضرهُ العوام وما يستحضرهُ الصيدلاني القانوني

ج يقال ان العشبة تفيد من كان مصاباً بالداء الزهري فتشفي الآلام الليلية وقروح الحلق والطفحات الجلدية. وانكر البعض ذلك وقالوا ان لا فائدة لها. وما يستحضرهُ الصيادلة بالطرق القانونية يجب ان يكون اصلح مما يستحضر بطرق غير قانونية

(٢) الحصبة

ومنهُ. لا يكاد فصل الشتاء يقبل حتى تهجم الحصبة على الاطفال بجيشها الجرَّار ولا هجوم الكواسر فتفتك بهم فتكاً ذريعاً ولم نرَ فصلاً اشأم على الاطفال منهُ في هذا العام فقد اوقعت بهم الفناء. وقد سمعت من بعض الاوربيين ان مرض الحصبة في بلادهم كالامراض العادية التي لا خطر منها على الاطفال فاذا صحَّ ذلك الخبر كنا بالنتيجة

مقصرين بالتحوطات التي عملها الاوربيون او ان موقع بلادنا الطبيعي يساعد على انتشار هذا الداء ويقوي فعله فما الحقيقة في ذلك وما هي التحوطات الواجب اتخاذها وكيفية المعالجة للتخلص من شره

ج الحصبة مثل سائر الامراض الوافدة تكون احياناً شديدة الوطأة واحياناً خفيفتها كما في الطاعون والجدري ونحوها. والظاهر ان البلدان التي يتكرر فيها المرض الواحد من هذه الامراض سنة بعد سنة تخف وطأته فيها والبلدان التي ينتابها قليلاً يبقى فعله شديداً فيها. كأن الاجسام تعتاد المرض في الحالة الاولى فلا تعود تتأثر به كثيراً. وقد اصيب اولادنا بالحصبة في القاهرة فلم تكن شديدة عليهم ولا يبعد ان تكون التدابير الصحية اتم عندنا مما هي في اماكن كثيرة في هذا القطر فاذا روعيت التدابير الصحية كما يجب خف فعل الحصبة كثيراً ولو كانت وطأتها شديدة "والحصبة مرض خفيف يندر الموت منه غير انه يجب الاعتناء به فيجب اولاً حجز الولد في البيت او الفراش واجتناب مجاري الهواء لئلا يختلط المرض بعلة رئوية على انه يجب تجديد هواء المكان. ويكون الطعام لبناً او مرقاً وان كانت الامعاء قابضة فيعطى مسهل خفيف. واذا دام السعال بعد زوال النفاط كان العلاج كعلاج التهاب الشعب. واذا غاب النفاط فجأة وحدث اضطراب للولد فيوضع في حمام سخن. ولما كانت العلة معدية وجب افراد المريض وابعاد الاولاد عنه الى مرور ثلاثة اسابيع بعد زوال النفاط". انتهى نقلاً عن كتاب كفاية العوام

(٢) احلام الحوامل

ومنه. سمعت من بعض السيدات مرّ الشكوى من الاحلام المزعجة فالواحدة منهنّ تحلم كأن واحداً يضربها على رأسها او على ظهرها او ترى ناراً يندلع لسانها حتى يكاد يدنو منها فيلتهمها ونحو ذلك من الاحلام المزعجة فتتأثر من ذلك شديداً حتى لقد تسقط بعد الحلم بيوم او يومين فما سبب ذلك وما طريقة علاجه

ج ان الحلم نتيجة لا سبب اي ان انحراف الصحة وما يتبعه من ألم الراس وألم الظهر واشتداد الحرارة هي التي تجعل المصابة تحلم كأن واحداً يضرب رأسها او ظهرها او تجعلها تشعر كأن النار مشتعلة قريباً منها. اما العلاج فلا بدَّ من ان ينظر فيه الى اصل العلة وهذا لا يعلمه الاَّ الطبيب الذي يعالج المصابة ويرى فعل العلاج بها. ونقول بوجه عام ان تنقية الدم بالسكن في بيوت مطلقة الهواء والقيام ساعات من النهار في الخلاء والاقتصار على ما يكفي للشبع من الاطعمة المغذية السهلة الهضم والبعد عن كل الاسباب التي تهيج المجموع العصبي كل ذلك لازم للحوامل وللضعيفات الاجسام وقد يغني وحده

عن العلاج ان لم يكن هناك علة خاصة تجب معالجتها بالوسائط الدوائية . اما سوء الكيم الاخر عن البول فقد يكون ناتجاً عن التهاب في المثانة او عن حصاة او عن البلهارتسيا ولا بدَّ من الاعتماد على تشخيص الطبيب وعلاجهِ

(٤) مساحة الارض الزراعية

مصر . يوسف افندي نحاس . كم هي مساحة الاراضي التي تزرع في القطر المصري في الوجهين القبلي والبحري

ج ٥٧٥٧١٠٠ فدان منها ٣٤٣٧٨٠٠ فدان في الوجه البحري و ٢٣١٩٣٠٠ فدان في الوجه القبلي

(٥) عدد الفلاحين في مصر

ومنهُ . كم عدد اصحاب الاطيان من صغار الفلاحين ومن الاغنياء الكبار على قدر الامكان

ج في القطر المصري ٦١١٠٧٤ يملك كلٌّ منهم اقل من خمسة فدادين و ٨٠٨١٠ يملك كلٌّ منهم من خمسة فدادين الى عشرة و ٤١٢٧٦ يملك كلٌّ منهم من عشرة فدادين الى عشرين فداناً و ١٢٩٢٨ يملك كل منهم من عشرين فداناً الى ثلاثين و ٩٢٩٧ يملك كلٌّ منهم من ثلاثين فداناً الى خمسين و ١١٨٥٧ يملك كل منهم اكثر من خمسين فداناً وذلك بحسب الاحصاء الذي جمعهُ السر الون بالمر سنة ١٨٩٧ لما كان مستشاراً للمالية

(٦) البرسيم والنحل

لبنان . الدكتور يوسف سليم . قرأت في كتاب تربية النحل عن نبات يدعى في الانكليزية كلوفر Clover يزرعونهُ في اميركا الشمالية لاجل النحل لانهُ يجني منهُ مقداراً وافراً من العسل والكلوفر اسم جنس لنباتات مثلثة الاوراق من الفصيلة القرنية تشمل البرسيم والفصفصة وغيرهما فهل النوع الذي يزرعونهُ في اميركا لهذه الغاية (وهو ذو الزهر الابيض) هو نفس البرسيم الذي يزرع في بر مصر للمواشي وما هي خصائص البرسيم المصري وهل هو من النبتات السنوية او المحولة وهل اذا بقيت جذورهُ في الارض ينبت كل سنة نظير الذي يزرعونهُ في الشام للخيل وهل اذا ازهر ثم قطع يعود يفرخ ويزهر ثانيةً حتى يمكن انتفاع النحل بهِ مدة طويلة وما هي الارض التي تصلح لزرعهِ وهل يخصب في اراضي لبنان وهل يمكن زرعهُ بعلاً اي في ارض تشرب من ماء المطر فقط واذا لم يكن هو نفس الذي يزرع في اميركا هل يمكنكم ان تفيدونا عن الكلوفر العسلي المستعمل زرعهُ هناك فارجو التكرم بالجواب مسهباً

ج الكلوفر يطلق على النفل والبرسيم الذي يزرع في القطر المصري وهذا خمسة اصناف البعلي والسيده والمسقاوي والخضراوي والحجازي . فالبعلي يزرع في اوائل الشتاء بعد ري الارض ويترك في الارض ثلاثة اشهر

ويحش او يترك في الارض اربعة اشهر و يستخرج البذار منهُ حينئذٍ

والسيده يبقى في الارض اربعة اشهر ويحش ثلاث مرات ثم يترك حتى يزهر لاجل البذار او يحش مرة رابعة . ويروى مرتين كلما حش مرة

والمسقاوي يترك في الارض سبعة اشهر ويحش سبع مرات ويروى مرتين كلما حش مرة

والخضراوي يبقى في الارض عشرة اشهر ويحش ٨ مرات الى ١٠ ويروى مرتين كلما حش مرة

والحجازي يبقى في الارض اربع سنوات او اكثر ويحش كل شهر ويروى مرتين كلما حش مرة وهو مثل الذي يزرع في الشام

وازهار هذه الانواع بيضاء كلها ما عدا زهر البرسيم الحجازي فانهُ بنفسجي وفيها كلها مادة عسلية فيقصدها النحل ليجني منها العسل ولكن الذي يزهر منها لا يعود ينمو اذا قطع واذا نما لا يزهر . وكل هذه الاصناف يمكن زرعها في لبنان ولكن متى ازهرت وبلغت يجب قطعها. ولا بدَّ من سقيها فلا تعيش في لبنان من غير سقي الاَّ حتى تزهر وتبزر واما اذا قطعت في الصيف ولم تسقَ لم تعد تنبت.

والنفل الابيض الذي يزرع في اميركا اسمهُ العلمي (*T. repens*) ويمكن زرعهُ في لبنان كما يزرع في اميركا ولكنهُ اذا ازهر وقطع لا يعود يزهر ثانيةً

(٧) منشىء مقياس النيل

مصر . نخله بك صالح . يقال ان مقياس النيل الموجود الآن في الروضة انشأهُ احد الخلفاء من بني امية فهل ذلك صحيح وان لم يكن صحيحاً فمن هو الذي انشأهُ

ج ان الذي انشأهُ الخليفة المأمون العباسي الذي ولي الخلافة من سنة ٨١٣ للميلاد الى سنة ٨٣٣ وكان قبلهُ مقياس انشأهُ الخليفة سليمان بن عبد الملك الاموي الذي ولي الخلافة من سنة ٧١٥ الى سنة ٧١٧

(٨) ذراع المقياس

ومنهُ . ان المقياس المذكور حسابهُ هكذا

الذراع من ١ الى ١١ = ٥٤ سنتيمترًا
" " ١٢ " ١٣ = ٤٩ "
" " ١٤ " ١٦ = ٥٤ "
" " ١٧ " ٢٢ = ٢٧ "
" " ٢٣ " ٢٧ = ٥٤ "

فما هو سبب وضع هذه المقاسات على هذه الصورة

ج يظهر من كتاب المستر ولكوكس ان المسافات بين الاذرع اكثر اختلافاً مما ذكرتم فمن الذراع الثامن الي العاشر ١١٦ سنتمترًا ومن العاشر الى الثاني عشر ١٠٩ سنتمترات ومن الثاني عشر الى الرابع عشر ٩٨ سنتمترًا ومن الرابع عشر الى السادس عشر ٩٧ سنتمترًا ومن السادس عشر الى الثامن عشر ٥٤ سنتمترًا وكذا من الثامن

عشر الى العشرين . ومن العشرين الى الثاني والعشرين ٥٦ سنتمترًا ومن الثاني والعشرين الى الرابع والعشرين ١٠٦ سنتمترات ومن الرابع والعشرين الى السادس والعشرين ١٠٨ سنتمترات ومعظم الخلاف بين الذراع السادس عشر والثاني والعشرين. ونظن ان الذي صغَّر الاذرع هناك قصد ان يقنع اهالي مصر بوفاء النيل في سني الشحائح فان الفيضان يبلغ ١٦ ذراعًا حتمًا واذا زاد عليهِ ذراعًا عادية حسبتهما الحكومة ذراعين واذا زاد ذراعين حسبتهما اربعة ليطمئن الناس ولا يمانعوا في دفع الاموال الاميرية ثم اذا بلغ النيل الذراع ٢٢ لم تبقَ فائدة من تصغير الذراع بل صار تكبيرهُ اولى لئلاَّ تضطرب الافكار خوفًا من الغرق . هذا ظن ظنناهُ ولم نقف على ما يؤيدهُ حتى الآن

---

(٩) ريش القنفذ

بعبدات بلبنان . اسكندر افندي توما سمعت مرارًا ان القنفذ يضرب بريشهِ كالسهام الى مسافة بعيدة ويصيب من يضربهُ ولا يخطئهُ . وقرأت في احد الكتب ان ليس لهُ قدرة على ذلك فايهما اصح

ج ما قرأتموهُ في الكتاب ولكن اذا امسك حيوان القنفذ ليفترسهُ فقد تعلق بهِ شوكة او اكثر من شوكهِ وتغور في جسمهِ لان فيها حزوزًا دقيقة مائلة الى الوراء فكل حركة تدفعها الى امام في الثقب الذي تكون فيهِ (انظروا ما كتبناهُ في هذا الموضوع في الصفحة ٤٢٢ من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف)

(١٠) علاج لازالة اثر الجدري

ومنهُ . ما العلاج لازالة اثر الجدري من الوجه

ج اذا كان الجدري قد شفي وبقيت آثارهُ في الوجه فلا واسطة لازالتها واذا كان لم يشف فقيل ان كل واسطة تقي البثرات من الهواء تعين على منع آثارها وقال الدكتور فان ديك في باثولوجيتهِ ان كل الوسائط المستعملة لمنع آثار الجدري او ازالتها عبث لا فائدة منها كما ظهر من امتحانات كثيرة

---

(١١) كيفية عمل البيرا

بركة السبع . نخلة افندي عوض رزق الله مكاتب جريدة مصر . ما هي كيفية عمل البيرا وما هي المواد التي تضاف اليها حتى تصير مثل البيرا الواردة من بلاد اوربا ولاسيما التي ترد من المانيا . نرجو ان تجيبونا عن هذا السؤال تفصيلاً في مجلتكم الزاهرة

ج تستخرج البيرا من الشعير والقمح وقد تستخرج من الارز والذرة والبطاطس وسكر النشا ولا يستعمل فيها التقطير كغيرها من الارواح . وفيها عناصر الحبوب التي تستخرج منها محلولة ومتكوّنًا منها عناصر أُخرى

كالدكستروس والكحول والحامض الكربونيك والكليسرين . ولا بدَّ لعمل البيرا من اربعة اشياء وهي الحبوب التي تستخرج منها وحشيشة الدينار والخمير والماء

اما الحبوب فالشعير أكثرها استعمالاً لان فيهِ من النشا والسكر المقادير الاصلح لتوليد الالكحول . وقد استعمل بعضهم البطاطس والارز والذرة والكليسرين وسكر البطاطس وسكر النشا ولكن الشعير افضلها

واما حشيشة الدينار فتستعمل زهورها الاناث لجعل طعم البيرا مرًّا بما فيها من المبدإِ المرّ وفيها حامض تنيك يرسب المادة الزلالية التي في الشعير فتروق البيرا بذلك

ونوع البيرا يتوقف على نوع حشيشة الدينار التي تستعمل في استخراجها . وقد حاول بعضهم التعويض عن حشيشة الدينار بقشر بعض انواع الصنوبر وبالكواسيا وورق الجوز والافسنتين وخلاصة الصبر والحامض البكريك وكان المصريون القدماء يمرّرون جعتهم بالترمس وغيرهِ من النباتات المرّة ولكنهم لم يعرفوا حشيشة الدينار

واما الماء فيستعمل لبلّ الشعير واجود المياه لعمل البيرا المياه الناعمة التي يرغي الصابون بها كمياه الانهر والغالب ان يرشح الماء بالحصى والرمل والفحم قبل استخدامهِ في عمل البيرا

واما الخمير او خميرة البيرا فعلى نوعين اما ان تؤخذ من الزَّبد الطافي على وجه السائل المختمر او من الكدر الراسب منهُ . والزَّبد يستعمل في البيرا الباڤارية فيحفظها من الاختمار اذا عرضت للهواء . وطريقة العمل هكذا

ينقع الشعير بالماء حتى يبتل جيدًا وينتفخ والغرض من ذلك تحويل بعض النشا الذي فيهِ الى سكر فان الحبوب التي نقعت في الماء حتى كادت تنبت تقوى فيها قوة تحويل النشا الى سكر . والشعير افضل من غيرهِ من الحبوب لهذه الغاية لانهُ يتكوَّن منهُ سكر اكثر ممَّا يتكوَّن منها . ويتدرَّج الانبات في ثلاث درجات ففي الاولى يغشَّى الشعير بغشاء خارجي ثم يزول هذا الغشاء . وفي الثانية ينتفخ طرف الشعيرة الاسفل الذي كان متصلاً بالسنبلة وفي الثالثة يظهر البرعم الذي يصير نباتًا اذا طال عليهِ الوقت . ويطول الجذر في هذه المدة ويصير بطول الحبة ويتحوَّل نصف النشا الى سكر وهذا التحويل هو الغاية المقصودة . وحينما يصير طول البرعم طول ثلثي حبة الشعير يكون عمل الانبات قد تم . وطريقة الانبات واحدة في الشعير وفي غيرهِ من الحبوب وكلها تقتضي ان لا تكون درجة الحرارة اقل من ٤ درجات سنتغراد ولا اكثر من ٤٠ درجة ولا بدَّ من كون الماء كافيًا لبل الحبوب ولا بدَّ ايضًا من اتصال الهواء بها بسهولة وكون النور محجوبًا ما امكن

وتنقع الحبوب في حياض وسيعة من الخشب او الحجر تملأُ بالماء الى نصفها وتوضع الحبوب فوق الماء فلا يمضي ساعة حتى تغور فيهِ كلها الاَّ الحبوب المريضة او التي ضربها السوس فانها تبقى طافية على وجه الماء فتنزع وتطعم للمواشي . ويسمرُّ لون الماء مما يذوب فيهِ من قشر الحبوب ويصير لهُ طعم خاص . وتختلف المدة اللازمة لبل الحب بحسب كونهِ جديداً او قديماً وبحسب درجة الحرارة فالحب الجديد يبتل جيداً في مدة من ٤٨ ساعة الى ٧٢ ساعة واما الحب القديم فلا يبتل جيداً في اقل من ستة ايام او سبعة ولذلك يبل الجديد وحدهُ والقديم وحدهُ

وبعد ان يبتل الحب جيدًا يرفع من الماء ويترك من ٨ ساعات الى ١٠ ساعات حتى ينضح الماء منهُ جيداً فينقل الى غرف الانبات ويبسط فيها طبقةً سمكها ١٢ سنتمترًا فتشرع البراعم في النموّ الى ان تصير بالطول المطلوب وترتفع الحرارة في مدة النموّ نحو عشر درجات ولا بدَّ من توقيف النموّ حينئذٍ لان السكر يكون قد بلغ حدَّهُ من التحوُّل فاذا تركت البراعم والجذور لشأنها امتصت قوَّة الحبوب وتختلف مدَّة الانبات بحسب حرارة الشهور من ستة ايام الى ستة عشر يوماً والمتوسط في بلاد باڤاريا ثمانية ايام . ويخسر الحب مدة الانبات جزئين في المئة من وزنهِ

ثم تنقل الحبوب الى غرفة جافة مطلقة الهواء وتبسط على ارضها طبقة سمكها من ٣ الى ٥ سنتمترات وتقلب بالرفوش ست مرات او سبعاً كل يوم . وحينما تجف تقع منها الجذيرات من نفسها او تزال منها بالفرك والتذرية ثم تحمص على صحاف كبيرة من المعدن او من الاسلاك المعدنية وتحمى بنار الكوك دفعاً للدخان وقد تحمص في اساطين من الحديد كما يحمص البن . ولا تحمص كلها على درجة واحدة بل منها ما يحمص حتى يصفر لونهُ فقط ومنها ما يزاد تحميصهُ رويداً رويداً حتى يصير كهربائياً او اسمر او اسود والاول يحمص على درجة بين ٣٣ و ٣٨ والثاني على درجة بين ٤٩ و٥٢ والثالث على درجة بين ٦٥,٥ و ٧٦,٥ والرابع يحمص في اساطين مثل محامص البن على درجة بين ١٣٦ و ٢٢٠ . وتخسر الحبوب في هذه الاعمال كلها ثمانية في المئة من وزنها

ثم تطحن الحبوب او تهرس في مطحنة خاصة وتوضع في حياض ويصب عليها الماء السخن حتى يذوب فيهِ كل ما يمكن ذوبانهُ منها ومقدار الماء يختلف باختلاف نوع البيرا والغالب انهُ نحو ثلاثة اضعاف جرم الدقيق وهذا الماء هو الذي يصير بيرا ويكون حينئذٍ حلو الطعم اصفر او اسمر حسب تحميص الحبوب ثم يغلى في آنية من النحاس بعد ان تضاف اليهِ حشيشة الدينار بنسبة رطلين الى كل مئتين وعشرين لترًا من دقيق الحبوب وذلك

يختلف باختلاف الفصول ففي الشتاء يضاف قليل من حشيشة الدينار وفي الصيف والخريف يضاف كثير فيصفو السائل ويصير طعمهُ مرًّا قليلاً ويتكاثف وحينما تصير درجة حرارته ٩٠ بميزان سنتغراد (وهو المعول عليهِ في هذه النبذة) يتخثر الزلال وينفصل عن السائل . ويعلم ان الاغلاء قد بلغ حدهُ من وضع قليل من السائل في كاس فان رسبت المواد الخاثرة منهُ بسرعة فقد بلغ الاغلاء حدهُ والاَّ فلا . ويكفي ان يغلى السائل ساعةً في الشتاء وثلاثة ارباع الساعة في الصيف وقد لا تضاف حشيشة الدينار الى السائل بل توضع في سلّة ويصب عليها حتى يأخذ خلاصتها

وحينما يتم اغلاء السائل يبرّد حالاً والتبريد غير سهل والبلدان الحارَّة التي لا يمكن تبريدهُ فيها لا يمكن عمل البيرا فيها الاَّ اذا استعمل الجليد لذلك او كان الفصل شتاء. وحينما يراد تبريدهُ يوضع في آنية معدنية قريبة القعر في مكان بارد فيرسب فيها راسب كثيف مؤلف من الزلال المتخثر بالحامض الثنيك الذي كان في حشيشة الدينار ومن قليل من النشا

ثم يصب هذا السائل في حياض الاختمار فيختمر من نفسهِ بما يتصل بهِ من جراثيم الخمير التي لا تخلو منها معامل البيرا ولكن الغالب ان يضاف اليهِ قليل من خميرة البيرا فيتحول ما فيهِ من السكر الى الكحول وحامض كربوليك ويتوقف مقدار الخميرة على حرارة المكان فالمكان الحار يقتضي ان تكون الخميرة صغيرة والبارد كبيرة . والخميرة التي تكوَّنت من اختمار سريع على درجة عالية من الحرارة تكون سريعة الفعل والتي تكوَّنت من اختمار بطيء على درجة واطئة من الحرارة تكون بطيئة الفعل . والاولى تنتشر على سطح السائل والثانية تغرق الى اسفلهِ ويسمى الاختمار الاول علويًّا والثاني سفليًّا ويعتمد على الاول في عمل البيرا التي تشرب حالاً وعلى الثاني في عمل البيرا التي تخزن وقتًا طويلاً

ففي الاختمار الثاني توضع الخميرة في اناء وتمزج بقليل من السائل مزجًا جيدًا ثم يصب ما في هذا الاناء في السائل كلهِ ويمزج بهِ بقضيب طويل او يؤْخذ لكل الف جزء من السائل من ستة الى ثمانية من الخمير ويضاف اليها قليل من السائل وتترك فيهِ مدة خمس ساعات الى ان يختمر جيدًا ثم يصب هذا السائل فوق السائل الكثير وبعد اضافة الخمير الى السائل باثنتي عشرة ساعة يطفو الحبب على وجههِ حول جوانب الاناء وبعد اثنتي عشرة ساعة اخرى يكثر الزبد على وجه السائل حتى يصير منظرهُ كالصخور المكسرة ويبقى فعل الاختمار مستمرًّا من يومين الى اربعة ايام

ويتم الاختمار في نحو ثمانية او تسعة ايام وحينئذٍ يكون السائل قد صار بيرا فيزال

الزبد عن وجهها والرواسب من قعرها وكلها يمكن استعمالها خميرة ولكن الطبقة الوسطى من طبقات الرواسب الثلاث اجودهنَّ للتخمير. وتوضع البيرا الصافية في الدنان وتوضع الدنان في اقبية باردة فيحل فيها الاختمار الثاني وقد تكون هذه الاقبية مغائر منقورة في الصخور وحينما يتم الاختمار الثاني تسد الدنان سدًّا غير محكم مدة اسبوعين ثم تُسد سدًّا محكمًا وتترك الى حين الحاجة

وفي الاختمار الاول العلوي تضاف الخميرة الى السائل كما تضاف في الاختمار السفلي فيزبد السائل وينصب الزبد عنهُ وبذلك تزول الخميرة الزائدة عن الاختمار. وتوضع هذه البيرا في القناني غالبًا وهي كثيرة الزبد اذا صبت في الكؤوس

هذا شرح موجز لعمل البيرا ولا يُكفَل النجاح الاَّ بالمزاولة الطويلة ولو اردنا ان نشرح كل دقائق هذه الصناعة كما هي مشروحة في كتب القوم للزم لنا مجلد كبير

---

(١٢) قياس بعد الكواكب

مليج. حبيب افندي حنا. كيف اتَّصل العلماء الى تحديد ابعاد الاجرام السموية وحجم كلٍّ منها ونسبتهِ الى غيرهِ وهل اقوالهم في شأنها فرضية او عن طرق علمية

ج ان الطرق المستعملة لمعرفة ابعاد الاجرام السموية واقدارها علمية محضة لا خطأَ فيها الاَّ ما يحتمل وقوعهُ من قلة التدقيق في آلات القياس مع انها بلغت حدًّا من التدقيق يكاد يفوق الوصف ولكن الخطأ القليل ولو كان جزءا من مئة من الشعرة يوقع خطأً كبيرًا في القياس. هذا ولنفرض ان ما يراد قياس بعدهِ وجرمهِ هو الشمس لان بقية الاجرام السموية تقاس ببعد الشمس عن الارض فنقول انهُ اذا مرَّت الزهرة بيننا وبين الشمس ظهرت لنا كنقطة سوداء على قرص الشمس واذا نظر اليها اثنان في وقت واحد من مكانين مختلفين يعرف البعد بينهما لم يرَياها على نقطة واحدة من قرص الشمس بل رأَياها في نقطتين مختلفتين ويحدث من ذلك مثلثان متشابها زواياها معروفة كلها وتعرف ايضًا قاعدة احدهما وهي البعد بين المكانين على سطح الارض وتعرف نسبة العمودي في احدهما الى العمودي في الآخر من قواعد كبلر التي تعرف بها نسبة ابعاد السيارات بعضها عن بعض فيعرف حالاً البعد بين النقطتين اللتين ترى فيهما الزهرة على قرص الشمس ومن ثم يعرف طول العمودين اي بعد الشمس عن الارض ومتى عرف بعدها يعرف طول قطرها وجرمها

لكن قياس الزوايا ومعرفة البعد بين مكانين بعيدين بالتدقيق التام ليس بالامر السهل ولذلك لم يتفق العلماء اتفاقًا تامًّا في ما وصلوا اليهِ من قياس بعد الشمس بل بقي

بينهم فرق قليل فان الفلكي اري وجد البعد ٩٣٣٧٥٠٠٠ ميل ووجدهُ ستون ٩٢٠٠٠٠٠٠ ميل وهاركنس ٩٢٣٦٥٠٠٠ وفاي ٩٢٧٥٠٠٠٠ وينغ ٩٢٨٨٥٠٠٠ وبول ٩٣٠٠٠٠٠٠ والاختلاف بين هذه الابعاد نحو واحد في المئة

ولهم طرق أُخرى لقياس بعد الشمس عن الارض تنطبق نتيجتها على النتائج المتقدمة. ومتى عرف بعد الشمس سهلت معرفة ابعاد السيارات والكواكب التي يمكن ان تقاس زاوية اختلافها. ولا يسهل ادراك ذلك الاَّ بعد درس حساب المثلثات وبعض المبادىء الفلكية

(١٣) النوم المغنطيسي والعلاج

ومنهُ . هل يمكن للمنوَّم تنويمًا مغنطيسيًّا اذا سئل عن مريض ان يصف لهُ الدواء الشافي واذا كان ذلك ممكنًا فعلى مَ لا يسأل المنوَّمون التنويم المغنطيسي عن ادوية الامراض العسرة الشفاء كالسل ونحوهِ

ج ان القسم الثاني من سؤالكم يكاد يكون جوابًا للقسم الاول . ونحن نقول قولكم وهو انهُ لو استطاع من ينوَّم النوم المغنطيسي ان يعرف علاج الامراض لاستغني بهِ عن الطب والاطباء . والحقيقة انهُ لا يعرف شيئًا من ذلك ولكنهُ اذا سئل فقد يصف علاجًا كما يصفهُ لو كان مستيقظًا فيخطئُ او يصيب حسب معارفهِ واذا كان المنوّم ماهرًا فقد يرشدهُ بسؤالهِ الى مايريد ان يجيبهُ بهِ

(١٤) سكان المريخ

ومنهُ . طالعنا في احدى المجلات العربية ان استاذًا من اساتذة مدرسة جنيف الكلية نشر كتابًا قال فيهِ ان احدى السيدات عاشت في المريخ وقتًا طويلاً وقد سمعها حين تنام نومًا مغنطيسيًّا تقول انها تقمصت في المريخ ووصفت اخلاق سكانهِ وتكلمت بلغتهم وقد خطَّت على ورق امامهُ حروف هذه اللغة بحسب الكتابة المريخية . فكيف تعللون ذلك وهل يوجد ما يثبت هذا الامر بادلة علمية

ج كلاَّ ولا بدَّ من ان يكون الاستاذ المشار اليهِ قد وضع قصة وهمية مثل القصص التي وضعها جول فرن وضمنها كثيرًا من الحقائق العلمية بعد ان البسها ثوبًا وهميًّا لا حقيقة لهُ . والقصص الموضوعة على هذا الاسلوب كثيرة جدًّا في اللغات الاوربية

وقد قال المسيو فلامريون الفلكي " انهُ يحتمل ان يكون المريخ مسكونًا ولما كانت الجاذبية قليلة على سطحهِ فتكون الاجسام عليهِ خفيفة ولذلك تكون سكانهُ مجنحة كالطيور تنتقل من مكان الى آخر بالطيران . وهو اقدم من الارض وقد برد قبلها فيحتمل ان يكون سكانهُ اقدم من سكانها واعقل منهم واكمل " وذلك كلهُ من باب الظن

(١٥) الشيب الباكر

ومنهُ . قد يأتي الشيب بعض الناس باكرًا جدًّا فما سببهُ وما علاجهُ

ج سببهُ الغالب الوراثة ولا علاج لهُ ولكن اذا حفظت صحة الجسم والعقل وقلت الهموم والغموم تأخر الشيب اكثر مما اذا ضعفت الصحة وزادت الهموم والاحزان

(١٥) المواليد في فرنسا

ومنهُ . تدل احصاءات فرنسا على ان مواليدها قليلة . وقد قرأت في كتاب لا اتذكر اسمهُ ان نسبة النساء الغضبي من ازواجهنَّ ٨٤ في المئة والمطلقات ٩٢ في المئة . والمعروف ان هذه الامة قد بلغت اعلى درجات الحضارة والمدنية فهل تمدنها ادى الى نفور الزوجات عن ازواجهنَّ واحجام الشبان عن الاقتران او هناك شرائع اخرى تقضي بذلك وما اسباب العقم في فرنسا

ج ان ما قرأتموهُ في الكتاب الذي تشيرون اليهِ لا نصيب لهُ من الصحة على الاطلاق . والكتاب الذي يصم امة عظيمة بمثل هذه الوصمة الشنعاء يجب ان يحرق . اما قلة النسل عند الفرنسويين بحيث لا تزيد المواليد على الوفيات الاَّ قليلاً جدًّا فسببهُ الاكبر استثقال تربية الاولاد

(١٦) النبيذ واستخراجهُ

ومنهُ . هل النبيذ المستخرج من عصير العنب مفيد او غير مفيد وما كيفية استخراجهِ بطريقة نقيهِ من التلف

ج مفيد اذا استعمل بمقادير قليلة ولكن الاكثار منهُ مضرٌّ وكلهُ غير لازم فالاستغناءُ عنهُ خير من استعمالهِ . وطريقة استخراجهِ بسيطة جدًّا وهي ان يداس العنب ويُعصَر ويوضع عصيرهُ في آنية مكشوفة يومين او ثلاثة فيختمر ويحرَّك حتى ينتشر الاختمار فيهِ كلهِ فيصير خمرًا ويرسب منهُ راسب في اسفل الاناء فيصب في اناءٍ آخر يسدُّ سدًّا محكمًا ويجري فيهِ اختمار آخر مدة عدة اشهر ترسب منهُ رواسب على جوانب الاناء ثم يصب في القناني ويترك الى ان يروق

(١٧) تنقية الماء

ومنهُ . باي كيفية يصير ماء الشرب نقيًّا وهل وضع الفحم البلدي والرمل في اسفل الزير يكفي لقتل الجراثيم المرضية او ما هي احسن الوسائط وابسطها لمن يسكن الارياف ويريد شرب الماء النقي

ج ان الفحم البلدي كبير الفائدة ولكن لا بدَّ من احمائهِ مرة بعد أُخرى لكي يبقى كافيًا لاصلاح الماء . ونشير على كل احد ان يستقي من ساقية (ناعورة) وان لم توجد فمن النيل نفسهِ اذا كان جاريًا والاَّ فمن ترعة كبيرة ماؤُها جارٍ . وماء الساقية اصلح من غيرهِ واذا قُطر ماء الترع او النيل او السواقي في زير بلدي نظيف صار نقيًّا . اما اذا كان في البلاد مرض وافد مثل الكوليرا او اذا

خيف تلوث الماء بمبرزات المصابين بالتيفويد فلا بد من اغلاء الماء جيداً قبل شربهِ

---

(١٨) التطهير في التيفويد

حلوان. احد القراء. أُصيب واحد عندنا بالحمى التيفويدية وارسلناه ُ الى المستشفى فنرجو ان تتكرموا علينا بالافادة عن طريقة لتطهير اثاث الغرفة التي كان فيها من اسرَّة وفرش وخزائن وبسط. وهل يخشى من استعمالها بعد تطهيرها

ج ان عدوى الحمى التيفويدية تكون في مبرزات المصاب بها فاذا تلوث شيء بهذه المبرزات وجب وضعهُ في الماء الغالي او غسله ُ بمحلول السليماني. ويقال ان العدوى تنتقل ايضاً بغازات الكنف التي القيت فيها مبرزات المصابين بالتيفويد فيجب ان تطهر المبرزات قبل القائها في الكنف ولكن اذا كان في الكنيف ممصٌّ يمنع خروج الغازات منهُ الى البيت فلا خوف منها. اما ما لم يلوَّث بمبرزات المريض فلا داعي لتطهيرهِ تطهيرًا خصوصيًا لان جراثيم العدوى لا تكون متصلة بهِ ولكن لا بدَّ من التطهير العمومي والنظافة العمومية في كل شيء

---

(١٩) ارتقاء الحيوان

الفيوم. حمد بك محمود باسل عمدة قبيلة الرماح. اذا قيل ان الانسان ارتقى شكلاً من اصل كالقرد كما يتبين من رسم الوجهين اللذين في الجزء الماضي من المقتطف فلماذا لا نرى القرد ارتقى في النطق ايضاً مثل الانسان

ج ان الذين يقولون بارتقاء الانسان من حيوان ادنى منهُ يقولون ان الحيوانات كلها تشعبت من اصل واحد كما تتشعب اغصان الشجرة من اصل واحد وتشعبها هذا ناتج عن اسباب طبيعية فاذا توفرت الاسباب الارتقاء لنوع منها ارتقى واذا توفرت له ُ اسباب لانحطاط انحطَّ فلو توفرت للقرد اسباب الارتقاء كما توفرت للانسان مدة ادهار كثيرة واسباب النطق ايضاً لصار من الناس ولم نعد نحسبهُ قردًا. اما الزمن اللازم لفعل هذه الاسباب حتى تبعد نوعًا عن نوع بُعْدًا شاسعًا كما بين الانسان والقرد فلا يقاس بمئات السنين ولا بالوف السنين بل بمئات الالوف من السنين او باكثر من ذلك. هذا اذا جرت نواميس الطبيعة على السنن الذي نراها جارية عليهِ الآن ولكن يحتمل ان تعرض للارض وما عليها قوىً اخرى في سيرها في فضاء هذا الكون فتغير فعل النواميس المعروفة بان تقويها او تضعفها او تنوعها على اسلوب آخر. وغنيٌّ عن البيان ان الانسان المتكلم تمرُّ عليهِ مدة من عمرهِ لا يستطيع النطق فيها فعجزه ُ عن النطق في السنة الاولى من عمرهِ دليل على ان النطق طارىء عليهِ

(٢٠) قراءة الهيروغليف

ومنهُ . ان الخط الهيروغليفي القديم قد اندثر وانقطع المتكلمون بهِ والكاتبون ايضاً فما هي الطريقة التي توصلوا بها في هذا الاوان الى قراءة هذا الخط وكيفية النطق بهِ

ج قد شرحنا ذلك مراراً ولا سيما في الجزء الاول من المجلد الثالث عشر ونعيد هنا بعض ما ذكرناهُ قبلاً وهو انهم وجدوا حجراً في رشيد مكتوباً بالقلم المصري وباللغة اليونانية وفيهِ اعلام متكررة وفي بعضها حروف مكررة في علمين فحكموا ان الكتابة اليونانية ترجمة الكتابة المصرية والاعلام في كليهما واحدة في لفظها . وفي اليونانية كلمة بطليموس وكلمة كليوباطرا وحرف اللام وحرف الطاء مكرران في فيهما فثبت من ذلك ان العلامتين اللتين تقابلانهما احداهما لام والاخرى طاء ثم ان صور بعض العلامات تدلُّ على الحروف الموضوعة لها فالحرف الاول من كلمة كليوباطرا صورة ركبة والركبة في اللغة القبطية تبتدئ بحرف الكاف فهي علامة لحرف الكاف وعلى هذا النمط قرئت اكثر حروف الكتابات القديمة وعرفت الفاظها . اما معاني الكلمات فعرفت من اللغة القبطية لانها نفس اللغة المصرية القديمة وقد طرأ عليها التغيير من اتصال اللغة اليونانية بها ومن توالي الازمان . واذا اردتم زيادة الايضاح فعليكم بمراجعة المقالة المشار اليها آنفاً

(٢١) اجسام الحيوانات

ومنهُ . يوجد في شكل الحيوانات التي من جنس واحد فرق عظيم في كبر حجمها بمعنى انك ترى حماراً كبير الجسم جداً وحماراً آخر صغير الجسم ولا يوجد مثل ذلك في الانسان فما سبب ذلك

ج نعم والفرق اكبر في انواع أُخرى مثل الكلاب فان منها ما يقارب الاسد جسماً ومنها ما يوضع في الجيب لصغرهِ واكبر من ذلك في النباتات والاثمار . والسبب فيهِ كثرة التغذية وقلتها وكون هذه الحيوانات وهذه النباتات تتوالد بسرعة فاذا اثَّر فيها مؤَثر ظهر اثرهُ في نسلها حالاً واما الانسان فلا يخلف نسلاً الاَّ بعد ان يبلغ الثامنة عشرة من عمرهِ فاذا طرأ عليهِ طارئ يمنع نموَّهُ فالغالب انهُ يميتهُ قبلما يصل الى السن الذي يخلف فيهِ نسلاً فلا يرسخ تأثيرهُ بالتناسل والوراثة ومع ذلك تختلف قامات الناس اختلافاً بيناً بحسب اجيالهم فالروسيون والانكليز اكبر قامةً من الفرنسويين والعرب وكلهم اكبر قامة من الاقوام الذين لقيهم ستانلي في قلب افريقية

(٢٢) البداوة والحضارة

ومنهُ . يوجد في الناس البدو والحضر كما يوجد في الحيوانات البري والاهلي فهل صفة البداوة والحضارة غريزية في هذه المخلوقات

ج الاصل في الانسان والحيوان البداوة

اما الانسان فمال الى الحضارة رويدًا رويدًا ورسخ ذلك فيهِ لانهُ اصلح لهُ اي اذا هاجرت قبيلتان بدويتان الى بلادين احداهما كثيرة الخيرات وخيراتها ثابتة في مكان واحد كالقطر المصري ولا خير في البوادي حولها والاخرى قليلة الخيرات وخيراتها لا تدوم في مكان واحد بل هي تابعة لوقوع الامطار وامطارها غير منتظمة كبلاد استراليا فالاولى تساعدها احوال بلادها على الاستقرار والتحضر فيقوى فيها الميل الى الحضارة رويدًا رويدًا لان الذي يولد مائلاً الى الحضارة يعيش بالهناء ويخلف نسلاً والذي يولد مائلاً الى البداوة يعيش بالشقاء وقلما يخلف نسلاً . وعلى توالي السنين ينقرض نسل المائلين الى البداوة ولا يبقى الاَّ نسل المائلين الى الحضارة. اما القبيلة الاخرى فتضطرها احوال البلاد التي نزلتها الى التنقل فيها طلبًا للرزق فاذا ولد فيها اولاد يميلون الى البقاء في مكانهم ماتوا جوعًا وانقرض نسلهم ويبقى نسل المائلين الى البداوة فيقوى فيها هذا الميل . اما الحيوانات فالاهلية منها صارت اهلية بتربية الانسان لها ادهارًا كثيرة . والبرية منها بعضها اصعب قيادًا من بعض لان الانسان كان يطاردها ادهارًا كثيرة فرسخ فيها الفنور منها

(٣٣) اهالي اميركا الاصليون

ومنهُ . ما هي الحالة التي كان عليها اهالي اميركا قبلما اكتشفها كولمبوس وهل كانوا في درجة توحش اهالي اواسط افريقية او اشد.

ج كان اهالي المكسيك والممالك القريبة منها ارقى من الاسبانيين الذين غلبوهم واما اهالي الولايات المتحدة فكانوا دونهم بمراحل ولا يفرقون كثيرًا عن اهالي اواسط افريقية وكذا اهالي جانب كبير من اميركا الجنوبية

---

(٣٤) مجموعة فوتوغراف الملوك والامراء

امبابه . سمعان افندي عوض. ألا تهدوننا الى مجموعة عامة شاملة فوتوغراف الملوك والامراء والكتاب وارباب السيف والفلاسفة والوزراء والعظماء والعلماء ورؤساء الاديان والمخترعين والمكتشفين والساسة واصحاب الجرائد وكل مشاهير الرجال والنساء من يوم الخليقة الى الآن

ج لا ندري كيف يخطر على بالكم انهُ يمكن ان يصور الناس صورًا فوتوغرافية قبل وجود صناعة الفوتوغراف فان هذه الصناعة حديثة جدًّا وجدت في عصرنا هذا ولكن توجد معجمات لاعلام الناس فيها صور كثيرين من المشاهير رجالاً ونساءً مثل قاموس بايل Bayle بالفرنسوية وقاموس تشالمرس Chalmers بالانكليزية وهو في ٣٢ مجلدًا وقاموس فبرو Vapereau بالفرنسوية . واعلام العصر بالانكليزية وغير ذلك من القواميس العمومية والخصوصية

(٣٥) الصور على الرصاص والنحاس

بيروت . الخواجه انيس خوري . نرى في اكثر الجرائد الاوربية وفي مقتطفكم الاغر صوراً مختلفة يظهر انها منقولة عن صور فوتوغرافية فكيف طريقة نقلها على الرصاص او النحاس حتى تصير صالحة للطبع بواسطة المطابع

ج تصور الصور على الزجاج بالتصوير الشمسي العادي وتُظهر عليهِ ويوضع لوح الزجاج على صفيحة صقيلة من النحاس او الزنك حتى يباشر الكلوديون الصفيحة فيلصق بها ثم توضع في مغطس من الحامض النيتريك المخفف فيأ كل بعض اجرائها و يبقى البعض الآخر حسب صورة الكلوديون اللاصقة بها. ثم تسمر هذه الصفيحة بلوح من الخشب بعلو حروف الطبع فتصير صالحة للطبع



مناجم الذهب المصرية

اهتمت شركة انكليزية بالبحث عن مناجم الذهب في القطر المصري التي كان المصريون الاقدمون يستخرجون الذهب منها وذهب وفد مؤلف من سعادة جنصن باشا وحضرات المستر الفرد والمستر وسترن والمستر بشل الى الاماكن التي فيها تلك المناجم بين لقصر والقصير فاكتشف سبعة عشر منجماً من المناجم القديمة واتى بحجارة كثيرة منها بعث بها الى بلاد الانكليز واستخرج الذهب منها فوُجد في بعضها قليلاً جداً لا يزيد على درهم او درهمين في الطن من الحجر وفي البعض الآخر كثيراً يبلغ ستة عشر درهماً او اكثر في الطن . والحجارة عروق من الكوارتز المعروف "بدب الملح" ودقائق الذهب فيها صغيرة جداً لا تراها العين ولكن اذا سحق الحجر سحقاً ناعماً وصوّل بالماء حتى جرف الماء كل دقائق التراب والكوارتز بقيت دقائق الذهب في المصولة

وامامنا الآن قطع كثيرة من هذه الحجارة بعضها ابيض برّاق من الكوارتز الصرف و بعضها من الكواتز وحجارة أُخرى ملونة وبعضها حديدي كحجر الرحى (القوفا) وفي بعضها دقائق صغيرة من كبريتت الحديد ويقال ان دقائق الذهب ضمنها وهي تحتوي على قليل من الفضة مع الذهب

وقد وقفنا على تقرير هذه اللجنة فاذا هي قد اكتشفت المناجم القديمة كما تقدَّم ورأت

آثار المعدّنين والبيوت التي كانوا يسكنونها والارحية التي كانوا يطحنون الكوارتز بها ولكنها لم تعثر على شيء من المطارق والازاميل ونحوها مما كان يستعمل في قطع الصخور لان المناجم مطمورة ويعسر النزول اليها ومن رأيها ان يعاد البحث والتنقيب حتى تعلم حقيقة المناجم ومقدار ما يمكن ان يستخرج منها من الذهب ونفقات استخراجه بالتدقيق

وقد وصف اغاثرخيدس النحوي اليوناني الذي نشأ سنة ١٤٠ قبل المسيح هذه المناجم فقال "ان الرجال الاقوياء كانوا يقطعون حجارة الكوارتز من الاسراب بمطارق الحديد ويخرجها الشيوخ والاولاد الى الساحقين فيسحقونها ثم تطحنها النساء وتُغسل على موائد مائلة فيجرف الماء المواد الحجرية منها ويبقى الذهب ثم يصهر هذا الذهب في بواتق من الخزف مع الرصاص والملح وقليل من القصدير والخزف وتدوم النار عليه خمسة ايام فيجري الذهب كلهُ ولا يخسر من وزنهِ الاَّ شيئًا قليلاً"

التلفونوغراف

اخترع رجل من اهل دنمرك آلة سماها التلفونوغراف منذ سنة من الزمان ثم اتقن اختراعهُ وحسنهُ وجربهُ امام مدير بوستة برلين في الاسبوع الماضي ليثبت مزاياهُ التالية وهي اولاً انهُ يحفظ كلام من يتكلم بهِ الى ماشاء الله من الزمان فاذا كان المخاطب غائبًا بقي كلام المتكلم في التلفون حتى يعود المخاطَب ويسمعهُ . وثانيًا انهُ يقوي صوت المتكلم بالتلفون بواسطة المغنطيسية والفونوغراف فيمكن بذلك مد خطوط التلفون الى ابعاد اعظم من الابعاد الحاضرة والتكلم والسمع بالتلفون من مدينة الى مدينة بعيدة عنها كثيرًا. وثالثًا انهُ يمكن لكثيرين ان يتكلموا على خط واحد في وقت واحد

والاجزاء الجوهرية في هذه الآلة سير من الصلب بدل اسطوانة الشمع التي في فونوغراف اديصن وقلم من المغنطيس بدل قلم الصلب فاذا جرى المجرى الكهربائي بالتلفون اثر المغنطيس في سير الصلب تأثيرًا يبقى ويعاد ولذلك يستطيع صاحب هذه الالة ان يخرج من منزلهِ ويتركها مفتوحة فيهِ فيصل اليها كلام من يخاطبهُ ويثبت فيها حتى اذا عاد وادارها سمع الكلام ثانية

اكتشاف عادي في قبرص

ابتدأ الانكليز منذ شهر مارس ينقبون في جزيرة قبرس وسط الاراضي التي يروى في خرافات اليونان القدماء ان الملك مينوس بنى التيه فيها لسجن الثور منيتور الذي قتلهُ ثيسيوس فاكتشفوا بناء قديمًا يظن انهُ بني بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ قبل المسيح وهو قصر يشبه القصور التي اكتشفها شليمن الشهير في ميسيني وفي ترواده ووجدوا في غرفة من غرف

ذلك القصر صفائح كثيرة من الآجر منقوشة بالخط الكريتي القديم وهو اقدم من حروف الهجاء اليونانية ووجدوا ايضاً صورة من الصور النافرة لفتاة بلباس ميسيني القديم وحاملة جاماً بيديها

الطاعون

ظهر الطاعون في بورت سعيد في اواسط ابريل ثم ظهر في الاسكندرية واصيب بهِ من اول ظهورهِ الى الحادي والثلاثين من شهر مايو ٥٤ نفساً توفي منهم ٢٥ وشفي عشرة ولا يزال ٢٠ تحت المعالجة ١٧ منهم في بورت سعيد و٢ في الاسكندرية وواحد في دمياط اصيب وهو آتٍ اليها من بورت سعيد

علم الفلك عند الكلدان

زعم بلينيوس المؤرخ انهُ كان عند الكلدانيين حسابات فلكية تمتد الى ٤٩٠ الف سنة . لكن كل ما كشف من آثارهم حتى الآن لا يمتد الى ابعد من عهد الملك سرجون الذي كان قبل المسيح بثلاثة آلاف وثمانمئة سنة وقد ظهر من هذه الآثار انهم كانوا يعرفون السيارات ويعدون منها الشمس والقمر واسماؤُها عندهم سن (القمر) وشمش (الشمس) وامنبودو (المشتري) ودبات (الزهرة) وكيانو (زحل) وجُدُو (عطارد) ومشتبارو متانو المريخ وكانوا يعرفون الابراج والهالات ويستخدمون ذلك كلهُ في التنجيم وحساب المطالع والاوقات . وقد عثر اهل البحث على ما كتبهُ منجمو الكلدان في هذه الموضيع ونشر ذلك حديثاً في كتابين فيهما رسوم الكتابات الاصلية وقراءتها وترجمتها

كسوف الشمس

اشرنا الى هذا الكسوف في الجزء الثاني الصادر في غرة فبراير وكنا ننتظر ان نراهُ في هذه العاصمة حتى كان اليوم الموعود وهو الثامن والعشرون من مايو فحجب الضباب وجه السماء النهار كلهُ لكن سكان حلوان رأَوا الكسوف جليًّا فابتدأَت المماسة الاولى نحو الساعة الخامسة والدقيقة ٤٠ وبلغ الكسوف اعظمهُ نحو الساعة ٦ والدقيقة ٣٥ وكسف نحو تسعة اعشار قطر الشمس فغابت مكسوفة

اكرام العلماء للملوك

نسمع كثيراً عن اكرام الملوك للعلماء فيعطونهم من الرتب والنياشين بعض ما يعطونهُ لوزرائهم وقوَّاد جيوشهم ولكن العلماء لا يعاملون الملوك بالمثل إما لانهم يخافونهم او لانهم لا يجدون منهم مَن هو اهل للاكرام العلمي لكنَّ هذه القاعدة قد خولفت الآن فمنحت مدرسة كمبردج الجامعة رتبة دكتور في الشرائع المدنية لجلالة ملك اسوج ونرويج في الرابع عشر من شهر مايو في محفل حافل. وسرَّ جلالتهُ بهذا الانعام كثيراً

الخمر وحلاوة العنب

وضع المسيو دغاس كتاباً في كروم البلاد الحارَّة ابان فيهِ ان شدة الحرارة في بعض الاقاليم مثل بلاد الجزائر تكثر السكَّر في العنب وتقلل منهُ الحامض وهذا يضرُّ بالخمر المستخرجة منهُ ويفسد طعمها واشار بان يعصر بعض العنب الذي لم ينضج مع العنب الناضج اصلاحاً لذلك ويضاف اليهِ قليل من الحامض الطرطريك . وقال ان السكَّر يجب ان لا يزيد في العصير على ٢٠ في المئة

دواء الجرذان

اكتشف المسيو دنيز من مستوصف باستور ميكروباً اذا دخل بين الجرذان فتك بها فتكاً ذريعاً حتى لقد يفنيها كلها . وقد استخرج هذا الميكروب اصلاً من الفيران التي تصاب بالوباء ورباه حتى صار يفتك بالجرذان ايضاً اذا اكلتهُ في طعامها وقد جرَّبهُ في اماكن كثيرة فوفى بالغرض واستأصلت بهِ الجرذان في خمسين في المئة من الاماكن التي جُرب فيها وقلَّت كثيراً في ثلاثين في المئة من الاماكن ولم يؤثر في عشرين في المئة من الاماكن

ثوران بزوف

ثار بركان بزوف في اوائل مايو وقذف الصخور والحمم من فوهتهِ . ونشرت شركة روتر ان الصخور المقذوفة اصابت اربعة من السيَّاح الانكليز ثم كذَّبت ذلك

الصور الفوتوغرافية الملونة

صور بعضهم ثلاث صور فوتوغرافية ملونة بثلاثة الوان وطُبعت بالوانها في الجرنال الجغرافي وهي صور اماكن على سطح الارض فجاءت منطبقة على الحقيقة. وهذه اول مرة استُعمل فيها التصوير الفوتوغرافي الملوَّن في المواضيع العلمية

لحم الزرافة

اخبرنا قادم من الرصيرص في اعالي السودان ان الناس هناك يأكلون لحم الزرافة ولا يكادون يأكلون لحماً سواهُ . وبعد ان اخبرنا ذلك وقعت عيننا على فقرة في جريدة ناتشر العلمية تشير فيها الى تقرير جمعية علم الحيوان ببلاد الانكليز ومما ذكرتهُ منهُ ان في بساتين تلك الجمعية زرافة اشترتها في شهر ابريل من العام الماضي بثمانمئة جنيه . فاعجب لقوم يأكلون لحم الزراف وهم على غاية الفقر لا يملكون من متاع الدنيا شيئاً يذكر والزرافة تساوي مئات الجنيهات

الاستاذ ملن ادوار

Prof. Miln-Edwards.

هو الاستاذ الفونس ملن ادوار مدير متحف التاريخ الطبيعي في باريس ابن الاستاذ هنري ملن ادوار العالم بعلم الحيوان الشهير ولد بباريس سنة ١٨٣٥ ودرس الطب ونال الدبلوما الطبية سنة ١٨٥٩ وجُعل استاذاً في

مدرسة الصيدلة سنة ١٨٦٥ ثم عين استاذاً لعلم الحيوان بدل ابيهِ وعين مديراً للمتحف سنة ١٨٩١ ولهُ مؤلف كبير في علم الطيور وتشريحها وساعد اباهُ في كتابهِ الكبير عن ذوات الثدي والّف كتاباً آخر في حيوانات مدغسكر . و بسعيهِ انفقت الحكومة الفرنسوية على البحث في قاع البحر وما فيهِ من انواع الاحياء ونشر نتائج ذلك سنة ١٨٨١ و١٨٨٢ و١٨٨٣ . توفي في الحادي والعشرين من شهر ابريل ولهُ من العمر اربع وستون سنة

الحرب في الترنسفال

نكتب هذه السطور في اليوم الاخير من مايو والانباء التلغرافية تدلُّ على ان الحكومة الانكليزية قد ضمت اليها ولاية اورنج الحرة وجعلتها مستعمرة من مستعمراتها فيتمتع اهاليها بحقوق الرعوية الانكليزية مثل سكان استراليا وسكان ولاية الراس . وان الجنود الانكليزية احدقت بعاصمة الترنسفال وكادت تستولي عليها وان الرئيس كروجر فرَّ من وجهها . وستضمُّ تلك البلاد الى الممالك الانكليزية ايضاً . فاذا رضي اهاليها بما قدّر لهم وامتزجوا بالانكليز عن طيب نفس شاركوهم في كل الحقوق والامتيازات ولم يعد ابناؤُهم يفرقون عن ابناء الانكليز كما لا يفرق بين ابناء الشعوب المختلفة المؤلفة منها الامة الانكليزية

هبة علمية

ذكرنا غير مرة ان المستر ركفلر المحسن الشهير وهب مدرسة شيكاغو الجامعة هبة جديدة قدرها نصف مليون جنيه مشترطاً ان يهبها غيرهُ نصف مليون آخر فجعلت الهبات ترد اليها من جهات مختلفة حتى بلغت نصف مليون جنيه فاستحقت اخذ نصف المليون الذي وهبها اياهُ . وقد بلغت اموال هذه المدرسة الآن مليونين ومئتي الف جنيه

اكبر الحجارة النيزكية

لما عاد الملازم بيري من رحلتهِ القطبية الاخيرة جلب معهُ حجراً نيزكيّاً كبيراً يبلغ ثقلهُ الفي قنطار مصري واوصلهُ الى دار الصنعة في مدينة بروكلين باميركا وهو يطلب بهِ الان خمسة عشر الف جنيه

نسيج من خيوط العناكب

في معرض باريس كلة (ناموسية) منسوجة من خيوط العنكبوت وهي من عناكب كبيرة تكون في جزيرة مدغسكر يخرج من العنكبوتة منها خيط حريري طولهُ اكثر من ثلثمئة متر ذهبي اللون برّاق متين جداً ينسج بسهولة

نجاح الاوتوموبيل

تسابقت مركبات الأُتوموبيل في فرنسا مسافة ١٤٠٠ ميل فثبت انها خير وسائط

النقل بعد السكك الحديدية فان واحدةً منها سارت مئتي ميل وثمانية اميال من غير ان تقف لحظةً وكان متوسط سيرها اربعة واربعين ميلاً في الساعة وقطعت الاربعة والثلاثين ميلاً الاولى في ثلاث وثلاثين دقيقة. ثم جرت مركبات الاتوموبيل مسافة الف ميل في بلاد الانكليز فقطعتها بسهولة حتى لم يكد يظهر فرق كبير بين انواعها

تلغراف بولاك وفراج

استنبط هذان الرجلان آلة جديدة للتلغراف امتُحنت بالامس بين برلين وبست فأُرسل بها ٢٢٠ كلمة في تسع ثوانٍ فيرسل بها ٨٨ الف كلمة في الساعة الواحدة وعلامات الكلام تطبع بها طبعاً بنوع من التصوير الشمسي

الكهربائيَّة لسبك الحديد

يشتري اهالي سويسرا من الحديد كل سنة ما ثمنهُ مليونا جنيه ليصنعوا منهُ الآلات والادوات لا لان مناجم الحديد غير موجودة في بلادهم بل لان الفحم الحجري الذي يسبك بهِ الحديد غير موجود فيها اما الآن فاهتدوا الى طريقة يستغنون بها عن الفحم الحجري وهي انهم شرعوا يحوّلون قوة ماءِ نهر الآر الجاري في بلادهم الى كهربائية ويحسبون ان قوتهُ تساوي ستين الف حصان فيستخدمونها كلها في صهر الحديد من معدنهِ . فان كان اهالي سويسرا استخرجوا من نُهَيْر مثل الآر قوةً تساوي ستين الف حصان فالقوة التي يمكن ان تستخرج من النيل ومن انهر بلاد الشام في فصل الشتاء لا تقدَّر بمال

زيت البترول في الجزائر

وجدت بقعة في اوران ببلاد الجزائر طولها نحو ١٢٠ ميلاً فيها كثير من زيت البترول ويقال انهُ كثيرٌ فيها جداً حتى يمكن ان تقابل بباكو

الشب في الخبز

لا يخفى ان الشب الابيض يصلح لون الدقيق الاسمر فيجعل خبزهُ مثل خبز الدقيق الابيض الغالي الثمن . وقد عيَّن مجلس النواب في اميركا لجنة من العلماء للبحث عن فعل الشب في الخبز فوجدت بعد البحث انهُ ضار جداً ولذلك منعت الحكومة الاميركية اضافة الشب الى الخبز وفرضت عقاباً على من يخالف ذلك

نزع العصب

أُصيب احد مشاهير علماءِ الفلك الاميركيين بألم مبرح في رجلهِ لا يُعرَف لهُ سبب فشكا منهُ اثنتي عشرة سنة واخيراً رآهُ اثنان من الجراحين وقالا ان في ساقهِ عصباً مريضاً اذا نزع زال الالم وطلبا ان يبنجاهُ لان العملية مؤلمة جداً فلم يقبل بل طلب منهما ان يشقا ساقهُ امام عينيهِ ليرى

العملية فشقاها ووصلا الى العصب المطلوب فوجداهُ مريضاً كما ظننا فقطعاهُ وخاطا الجرح ولم تمضِ عشرة ايام حتى قام وصار يلبس ثيابهُ وهو الآن سليم معافى

الغذاء من السم

في بعض البزور مثل بزر اللوز المر وبزر المشمش المر مادَّة سامة جدًّا هي الحامض الهيدروسيانيك وقد بحث احد العلماء عن فائدتها للبزر فوجد ان النبات الذي ينبت منهُ يغتذي بالنيتروجين الذي في هذا الحامض السام

ارتفاع المباني

رأى القدماء ما لا يراهُ مديرو التنظيم في اكثر المدن الآن وهو ان ارتفاع المباني في المدن الكبيرة مشوّهٌ لمنظرها مفسد لهوائها فامر اوغسطس قيصر ان لا ترفع المباني اكثر من سبعين قدماً وامر تراجنس ونيرون ان لا ترفع اكثر من ستين قدماً

التصوير باشعة رنتجن

تستعمل اشعة رنتجن الآن لتصوير اعضاء الانسان فيظهر ما فيها من العظام والآفات المختلفة ولكن صورها لا تكون واضحة جدًّا لان النور الكهربائي الذي تتولد منهُ اشعة رنتجن لا يكون ثابتاً وقد استنبط الاستاذ ترو بردج الاميركي طريقة جديدة لثبوت النور الكهربائي وجعل الصور التي تصور باشعة رنتجن واضحة اتم الوضوح وسيكون من ذلك فائدة كبيرة لعلم الطب والجراحة

اعمق الآبار

اهتمَّ كثيرون في هذا القطر بحفر الآبار الارتوازية لارواء مزروعاتهم خوفاً من قلة ماء النيل وقد استغرب بعضهم الوصول في الحفر الى مئة قدم او مئتي قدم لكن الآبار التي حفرها الناس في اوربا واميركا تزيد على ذلك زيادة فاحشة فبقرب سلسيا في النمسا بئر عمقها ٦٥٧٠ قدماً وبقرب ليبسك بئر عمقها ٦٢٦٥ قدماً وفي وادي مونوغهالا باميركا بئر بلغ عمقها الآن ٥٥٣٢ قدماً ويراد ايصالها الى ٦٠٠٠ قدم وفي هويلن باميركا ايضاً بئر عمقها ٤٩٢٠ قدماً . وماء هذه الآبار سخن لا يصلح للري اما الآبار التي يستعمل ماؤُها للري فلا يزيد عمقها على مئتي قدم الَّا قليلاً

سفن التجارة

نشرت جريدة السينتفك اميركان احصاء السفن التجارية التي يزيد محمول الواحدة منها على مئة طن سواء كانت بخارية او شراعية فاذا هي ١١٤٥٦ سفينة محمولها كلها ١٩٧٧١٠٠٠ طن للانكليز اكثر من النصف وما بقي لكل امم الارض كما ترى في هذا الجدول

	عددها	محمولها
لانكلترا	٥٤٥٣	١١٠٩٤٠٠٠
لالمانيا	٩٠٠	١٨٧٣٠٠٠

	عددها	محمولها
لفرنسا	٥٢٦	٩٨٦ ٠٠٠
لاميركا	٥٥١	٩٧١ ٠٠٠
لنروج	٦٥٧	٦٧٣ ٠٠٠
لاسبانيا	٣٧٧	٥٥٢ ٠٠٠
لليابان	٣٣٢	٤٥٦ ٠٠٠
لايطاليا	٢٥٨	٤٤٣ ٠٠٠
لروسيا	٤٣٥	٤٠٨ ٠٠٠
للدنمرك	٣١٨	٣٨٩ ٠٠٠
لهولندا	٢٣٤	٣٦٦ ٠٠٠
لاسوج	٤٩٧	٣٤٠ ٠٠٠
للنمسا	١٦٧	٣٣٥ ٠٠٠

وما بقي لبقية دول الارض

آثار الفيوم

وجد المستر غرانفل والمستر هنت آثار هيكل كبير في مديرية الفيوم طول حرمهِ ١١٠ امتار وعرضهُ ٦٠ مترًا وسمك جدرانهِ ثلاثة امتار وفي الجهة الشرقية الشمالية الهيكل وهو صغير وعلى مقربة منهُ بيوت الكهنة وقد وجدا فيها كثيرًا من ادراج البردي وهي من القرن الثالث بعد المسيح وبعضها من عهد البطالسة ووجدا هناك نقودًا من الفضة والنحاس وسجلات من عهد اوغسطس قيصر

معارض باريس

انشئ اول معرض في باريس سنة ١٧٩٨ وكان العارضون فيهِ ١١٠ ودام ثلاثة ايام وآخر معرض فيها كان سنة ١٨٨٩ وبلغ عدد العارضين فيهِ ٦١٧٢٢ وعدد الذين حضروهُ ٣٢ مليونًا و٦٥٠ الفًا . والمظنون ان عدد الذين يحضرون معرض هذا العام يبلغون ستين مليونًا او اكثر

القطن المصري

اضحت زراعة القطن الشغل الشاغل لافكار الناس في القطر المصري هذه الايام فقد خيف اولاً ان ماء النيل لا يكفي لري ما يزرع من القطن عادة حتى قدَّر المستر ولكوكس موسم هذا العام بثلاثة ملايين من القناطير اي نصف الموسم ثم اشار بفتح السدود في اعالي النيل فبعثت الحكومة من بذل الجهد في فتحها فزاد بها الماء قليلاً ومنعت زراعة الارز وري الشراقي فتوفرت المياه كلها لري القطن واعطي الماء لريهِ بالقسط . وهو الآن نامٍ يانع والمرجح ان الماء الموجود في حوض النيل والماء الوارد من السودان يكفيان القطن الى ان يرد ماء الفيضان ولكن يرجح ان طول مدة المناوبة تضرُّ بهِ فيقل ما يجنى منهُ حتى لا يزيد على خمسة ملايين قنطار وقد لا يكون الاَّ اربعة ملايين ونصف مليون لان مدة المناوبة قد صارت ٢٨ يومًا والقطن الذي يعطش هذه المدة ثم يروى يذبل جانب كبير مما عليهِ من اللوز و يسقط وبذلك يقل المحصول نحو الربع

فهرس الجزء السادس من المجلد الرابع والعشرين

